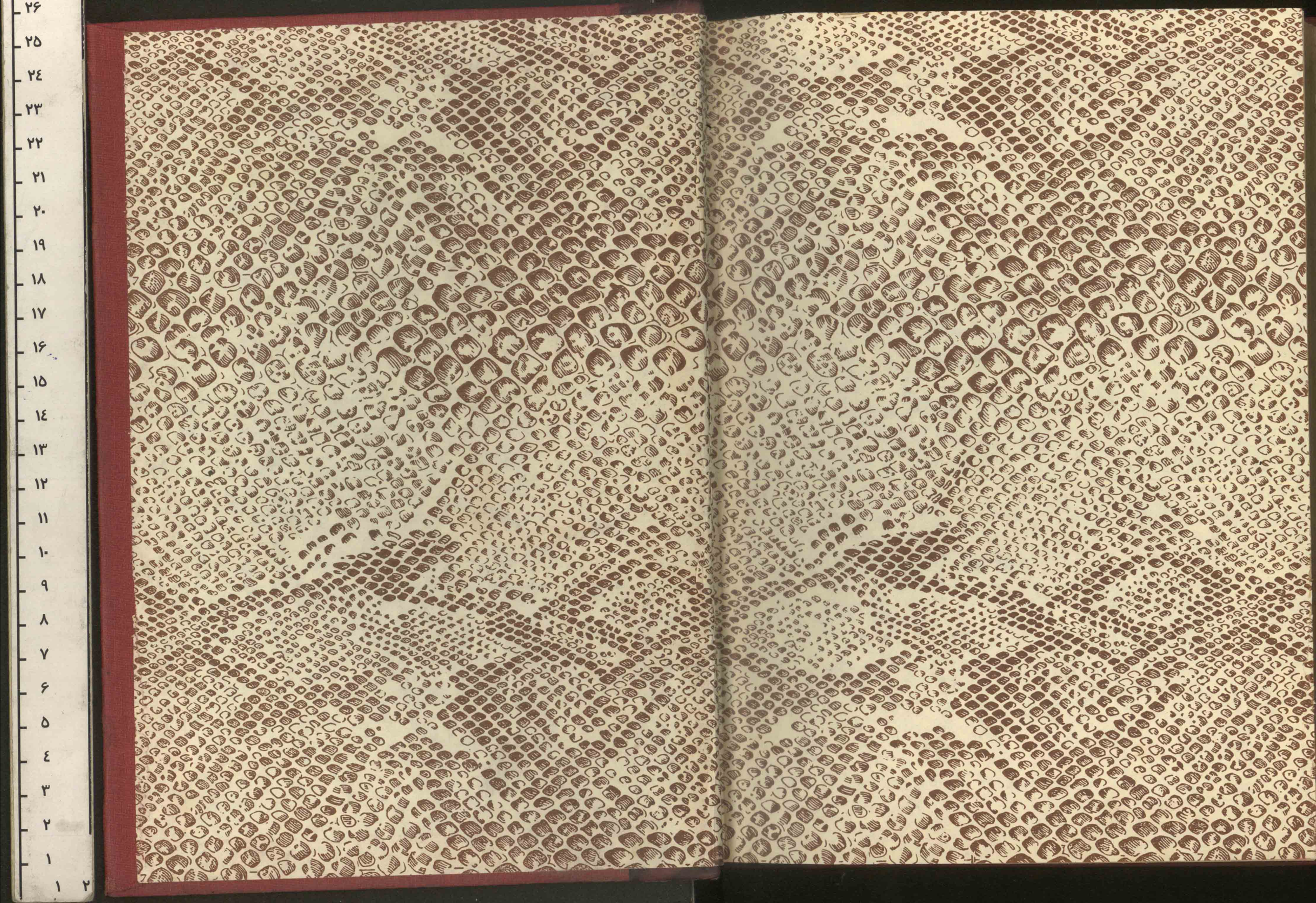

صما
غنائی

﴿تزیین الاسواق﴾

۳۸۲۷۴۹

ترجمة المؤلف رحمه الله مختصرة من خلاصة الاثر
فى ذكر اعيان القرن الحادى عشر

هو داود بن عمر البصير الانطاكى نزيل القاهرة الحكيم الطبيب المشهور رئيس الاطباء فى زمانه شيخ العلوم الحكمية واعجوبة الدهر وقد اطال فى توصيفه أبو المعالى الطالوى فى سالمحانه ثم قال وقد سألته عن مسقط راسه ومشتمل نبراسه فقال ان مولدى بانطاكية وولدت بعارض ريح تحكم فى الاعصاب يمنع قوائمى من حركة الانتصاب وكان والدى رئيس قرية سيدى حبيب النجار له كرم وخيم وطيب نجار فاتخذ قرب مزار سيدى حبيب رباطا للواردين فيه حجرات للفقراء والمجاورين ورتب له رواتب وكنت أحمل كل يوم الى حصن الرباط حتى حفظت القرآن ولقنت مقدمات تثقيف اللسان الى ان نزل بساحة الرباط رجل من أفاضل العجم ذو قدر منيف يسمى بمحمد شريف فاستأذنه بعض المجاورين فى القراءة عليه فابتدأ فى بعض العلوم الالهية فكنت اسابقه اليه فلما رأى مارأى منى استخبر عمن هنالك عنى فأجبته ولم يكن غير الدمع سائلا ومجيبا فعند ذلك اصطنع لى دهنا مدنى به فى حر الشمس ولفنى بلفافة من فرقى الى قدمى حتى كدت افقد عن الحس وكرر ذلك فشت الحرارة الغريزية فى مجريان الحمى فى المفاصل ثم شد وثاقى وفصدنى من عضدى وساقى فقمت بقدرة الواحد الاحد بنفسى لا بمعونة احد ودخلت المنزل على والدى ففرح بى وضمنى الى صدره وسألنى فحدثته بالقصة فذهب الى الاستاذ ودخل حجرته وشكر سعيه واجزل عطيته فقبل منه شكره واستغفاره ثم قرأت عليه المنطق واتبعته بالرياضى ثم اللغة اليونانية ثم سافر وانقطعت عنا أخباره وخلت الديار من أهلها واقفرت بتنكرها على لانقلاب ابوى فكان ذلك داعية المهاجرة لديار مصر القاهرة فسافرت وهبطت مصر هبوط آدم من الجنة فوجدتها كما قال ابو الطيب ملاعب جنة غير انهم انقبوا عن قبول الحكمة فيها طباع الرجال نبوة فتاتهم الحسان عن حتى شيب القذال ينفر احدهم عن كماله السرمد نفرة الظليم رأى الظلام فجود ثم تمثل بقول المتنبى

ما مقامى بدار نخلة الا * كمقام المسيح بين اليهود

انا فى امة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

(وكان) اذا سئل عن شئ من الفنون الحكمية والطبيعية والرياضية املى على السامع ما يبلغ الكراسة والكراستين وقد سأله رجل عن حقيقة النفس الانسانية فأملى عليه رسالة عظيمة فى ذلك وله كثير من التآليف الكبيرة والرسائل كالتذكرة وكتاب البهجة والدرة المنتخبة فيما صح من الادوية المجربة وله رسالة فى الحمام الفها باسم الاستاذ البكرى

وشرح

وشرح قصيدة النفس المشهورة للشيخ الرئيس ابن سينا التى اولها

هبطت اليك من المحل الارفع * ورقاء ذات توحد وتمنع

(وله) منظومة فى هذا المعنى تشعر باعتراضه فيها على الشيخ الرئيس واولها

من بحر انوار اليقين بجستها * فلوصل اوفصل تنوب كما ادعى

وكان كثيرا ما يتمثل بقصيدة الفاضل والفيلسوف الكامل ابى على الحسين بن سطراء البغدادى التى خاطب بها الفلك وتشتمل على مباحث حكمية ومسائل فلسفية وهذا اولها مع ابيات منها

بربك ايها الفلك المدار * اقصد ذا المسير ام اضطرار

مسيرك قل لنا فى اى شئ * ففى افهامنا منه انبهار

وفيك نرى القضاء فهل قضاء * سوى هذا القضاء به تدار

وعندك ترفع الارواح ام هل * مع الاجساد يدركها البوار

وموج ذى المحرة ام فرند * على لجج الدروع له اوار

وفيك الشمس رافعة شعاعا * باجنحة قوادمها قصار

الى آخر ما قال (وله) غاية المرام فى تحرير المنظوم من الكلام ونزهة الاذهان فى اصلاح الابدان وزينة الطروس فى احكام العقول والنفوس والقيمة فى الطب ونظم قانونجك وشرح عليه وله تآليف كثيرة لا تطيل بذكرها * ومن اعجب ما يحكى عنه فى قوة معرفته بعلامات الامراض ما اخبرنى به من اثق به بالقاهرة المعزية قال كان له حجرة بالمدرسة الظاهرية اتخذها لاجتماعه بالناس ومداواة اصحاب الباس فورد عليه فى بعض الايام رجل من الاجناد جاهرا بالسلام فلما سمع سلامه عرف مرامه وقال اذهب فلا شفى الله لك علة ولا برد لك غلة تشرب الخمر وتفعل ذلك الامر حتى يحدث لك هذا الداء وتأتى الضرير تروم منه الدواء ثم استتابه وشفاه من دائه بعد ما اشفاه ومافهم كنه علته الا من تحرك شفته وعجائبه فى هذا الباب لا تحصى وغرائبه لا تستقصى واذا اردت تفاصيل احواله ومعتقداته واقواله فعليك بكتاب خلاصة الاثر المذكورة تجدا وصافه فيها مسطورة

(فهرسة الجزء الاول من تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق)

صحيفة

٥ المقدمة فيما جاء فى العشق من الاحاديث والآثار وفى حده ومراتبه
١٢ فصل فى الترغيب فى العشق والحث عليه
١٢ فصل فى رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء وغيرهم فى ذلك
١٤ فصل فى بيان مراتبه وما ورد فى كيفية ترقيه الخ
٢٠ فصل فيما ذكر له من العلامات
٢١ (الباب الاول فيمن استشهد من المحبين شوقا الى حضرة رب العالمين)
٣٠ فصل من الباب فى ذكر من فارقته روحه من الاحباب
٣٥ (الباب الثانى فى ذكر أحوال عشاق الجوارى والكواعب وذكر ما صدر منهم من العجائب وفيه خمسة اقسام)
٣٥ الاول فيمن اشتهرت سيرته وظهرت فى الحب سريرته
٣٦ عروة بن حزام
٣٨ أخبار جميل وصاحبته بثينة
٤٧ أخبار كثير عزة
٥٣ أخبار قيس ولبنى
٦٢ أخبار المجنون وصاحبته ليلى
٨٤ أخبار عروة بن حزام وصاحبته عفراء
٩٠ أخبار عبد الله بن عجلان وصاحبته هند
٩٢ أخبار ذى الرمة وصاحبته مى
٩٦ أخبار مالك وصاحبته جنوب
٩٧ أخبار عبد الله بن علقمة وصاحبته حبيش
٩٨ أخبار نصيب وصاحبته زينب
١٠١ أخبار المرقش وصاحبته أسماء
١٠٣ أخبار عتبة بن الحباب وصاحبته ريا
١٠٤ أخبار الصمة وصاحبته ريا
١٠٦ أخبار كعب وصاحبته ميلاء
١٠٨ القسم الثانى فيمن جهل اسمه أو اسم محبوبته او شئ من سيرته او ما آل حقيقته
١٣١ فصل فيمن أناخ به الحب بثقله حتى أذهب عقله
١٣٧ فصل فى ذكر من جرع كاس الضنى وصبر على مكابدة العنا الخ
١٤٠ القسم الثالث فيمن خالسته عيون الاماء فأسلمته الى الفناء الخ

صحيفة

١٤٨ القسم الرابع فى ذكر من حظى بالتلاق بعد تجرع كاس الفراق وهم صنفان
١٤٨ فمن الصنف الاول عبد الله بن أبى بكر الصديق
١٥٥ ومن الصنف الثانى ما حكى عن على رضى الله عنه
١٥٦ وحكى عن عبد الله بن جعفر انه كان يحب جارية له الخ
١٦٦ القسم الخامس فى ذكر من وسموا بالفساق من العشاق وهو أصناف
١٦٧ الصنف الاول فى ذكر من حمله هواه على أذية من يهواه
١٧٣ الصنف الثانى فى ذكر من اشتدت به الغيرة الى ان خامرته الحيرة
١٧٥ الصنف الثالث فى ذكر من عانده الزمان فى مطلوبه حتى شوركه فى محبوبه
١٧٧ الصنف الرابع فى ذكر من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق
١٧٩ القسم السادس فى ذكر من حل عقد المحبة وخالف سنن الاحبة وفيه ثلاثة اصناف
١٧٩ الصنف الاول فى ذكر من تاب عن الخلاف ورجع الى حسن الائتلاف
١٨٢ الصنف الثانى فى ذكر من تمادى على نقض العهد ومات على اخلاف الوعد
١٨٤ الصنف الثالث فى ذكر من أشبه العشاق فى محبته وشاكلهم فى مودته
١٨٤ فمنهم صخر بن عمرو وهو أخو الخنساء
١٨٥ ومن لطيف شعر الخنساء فى صخر الخ

(تمت)

(فهرسة الجزء الثانى من تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق)

صحيفة

٢ (الباب الثالث فى ذكر عشاق الغلمان وأحوال من عدل الى الذكور عن النسوان وتفصيل ماجرى عليهم من تصاريف الزمان)
٣ القسم الاول فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى أسلمه رمسه وهو نوعان
٣ الاول فيمن عرف اسمه واشتهر فى العشاق رسمه
٣ أخبار محمد بن داود وصاحبه محمد الصيدلانى
٦ أخبار أحمد بن كليب وصاحبه أسلم
٧ أخبار مدرك وصاحبه عمرو
٨ قصيدته المزدوجة مع زيادة الحلى خامسة الاشطار وما أبدله صاحب الاصل الخ
١٦ النوع الثانى فى ذكر من جهل حاله وكان الى الموت فى الحب ما آله
١٩ القسم الثانى فيمن اشتهر فى العشق حاله ولم يدر ما آله
١٩ القسم الثالث فى ذكر من ساعده الزمان فى المراد حتى بلغه ما اراد
٢١ منهم الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسى
٢١ قصيدته المشهورة فى مملوكه تتر
٢٤ القسم الرابع فى ذكر من منعه الزهد والعباده ان يقضى من محبوبه مراده وهو نوعان
٢٥ الاول فيمن سلم من القضاء الجارى فعصم عن الجوارى
٢٨ النوع الثانى فى ذكر من بلغه زهده الامان فعصمه من الغلمان
٢٩ خاتمة فى ذكر ما عولج به العشق من الدوا وقصد به السلو عن الهوى
٣١ (الباب الرابع فى ذكر ماسوى البشر ومالقوا من العير وهو نوعان)
٣١ الاول فى الجنة ومالقوا من المحنه
٣١ النوع الثانى فى ذكر من كلف وهو غير مكلف وهو خمسة اصناف
٣٢ الصنف الاول فى الطيور
٣٣ الصنف الثانى فى ذكر بعض ماوقع للحيوان من أمور العشق فى اختلاف الازمان
٣٥ الصنف الثالث فى ذكر ماجرى من القوة العاشقية والمعشوقية بين الانفس النباتيه
٣٥ الصنف الرابع فيما بث من الاسرار بين أصناف الاحجار
٣٦ الصنف الخامس فيما بث من الاسرار الملكيه بين الاجسام والاجرام الفلكيه
٣٦ (الباب الخامس فى تتمات يفتقر اليها الناظر فى هذا الكتاب ويحسن موقعها

عند

صحيفة

عند أولى الالباب)
٣٦ فصل فى تحقيق معنى الحسن والجمال وما استلطف فى ذلك من الاقوال
٤٠ فصل فى خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين
٤٣ فصل فى مراتب الغيره وما توقعه بالمحب من الحيره
٤٤ فصل فى أحكام اسرار المحبه وما فيها من اختلاف آراء الاحبه
٤٧ فصل فى ذكر المغالطة والاستعطاف واستدرار ما صدر عن المحبوب من الانحراف
٤٨ فصل فى ذكر الرسل والرسائل وتلطف الاحباب بالوسائل
٤٩ فصل فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال
٥٢ فصل فى أحكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولهما عند الهجر والنفار الخ
٥٤ فصل فيما ذكر واشتهر على ألسنتهم من لوم العدول وسوء عقله الذى أوقعه فى الفضول
٥٨ فصل فى أحكام الزياره وما جاء فى فضلها من البراعة والعباره
٦٥ فصل ومما يلحق بالعتاب ويصلح ان يكون معه فى باب الصبر الخ
٦٦ وقد قسم الهجر عند أهل المحبة بعد الاستقصاء الى أربعة أقسام
٦٦ القسم الاول هجر الدلال
٦٧ القسم الثانى هجر الملال
٦٧ القسم الثالث الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبه
٦٨ القسم الرابع الهجر المطلق
٧٢ فصل فى نفى كدر الهم والصدود باستجلاب الامانى والوعود
٧٦ فصل فى ذكر مكابدة الامور الصعاب عند طلب رضا الاحباب
٧٩ تتمة تشتمل على ذكر مقاطيع فائقه وأبيات رائقه يشير بمجموعها الى جميع الاصول السابقه
١١٢ خاتمة تشتمل على لطائف متفرقة تروق بالمسامع وتزين بها المجامع
١١٥ فصل فى النوادر والحكم
١١٩ فصل فى المجون
١٢٣ فصل فى ذكر نبذة من لطائف الاشعار
١٢٨ لطيفة وخاتمة تشتمل على لطائف ما نقش على الخواتم والتكك وغيرهما

(تمت)

الجزء الاول من تزيين الاسواق بتفصيل أشواق
العشاق تاليف العالم العلامة الشيخ
داود الانطاكى المعروف بالاكمه
مؤلف التذكرة الطبية
طيب الله ثراه
آمين

وبهامشه ديوان الصبابة للاديب الفاضل شهاب الدين
أحمد بن أبى حجلة المغربى رحمة الله تعالى عليه

(ترجمة ابن أبى حجلة من كتابه مغناطيس الدر النفيس باختصار)

هو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن ابى بكر بن عبد الواحد المغربى مولدا الدمشقى منشأ
نزيل القاهرة الشهير بابن أبى حجلة مولده بالمغرب سنة خمس وعشرين وسبعمائة
بزاوية جده الشيخ الصالح الزاهد أبى حجلة عبد الواحد قدس الله روحه ونور
ضريحه وكنى جده بذلك لصلاح حاله وتعلق الحجل والوحوش باذياله وزاوية
جده بالمغرب مشهورة وأحاديث بركته مأثورة يؤخذ منها التراب لطلب الدواء
والتماس الشفاء وقدم من المغرب مع أبويه واخوته فبلغوا السول بزيارة الرسول
صلى الله عليه وسلم ثم تنقلت به بعد موتهم الاحوال وشاهد بمصر بعد رؤية أبى
الهول الاهوال فصنف كتابه غرائب العجائب وعجائب الغرائب وفيه يقول

هذا الكتاب ذكرت فيه عجائبا * تغنى النديم عن المدامة والطرب
يهتز سامعها اطيب حديثها * الا حسودا ليس يعجبه العجب

وله أكثر من ثمانين مصنفا فى الحديث والفقه والنحو والادب
وله شعر ونثر سيأتى شئ منه فى أثناء ديوان الصبابة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى جعل للعاشقين
باحكام الغرام رضا وحبب اليهم
الموت فى حب من يهوونه فلا تكن
يافتى بالعذل معترضا فكم فيهم
من عاشق ومحب صادق
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا
فسام صبرا فاعيا نيله فقضا

(أحمده) حمد من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وشيب يذكر محبوبه ان كان تهاميا فى حجازا وشاميا فى نوى
طورا يمانا اذا لاقيت ذا يمن
وان لقيت معديا فعدنانى
وأشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له الحميد المجيد شهادة من أصبح مونه لبعده أقرب من حبل الوريد وقال لعاذله لقد علمت مالنا فى بنا تك من حق وانك لتعلم مانريد
ولو أن مابى من حبيب مقنع
عذرت ولكن من حبيب معمم
وأشهد ان محمدا عبده ورسوله شهادة من أخلص فى موالاته وتبرأ من الاثم حين تولى عنه محبوبه بختام ربه وبراءته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يحبهم ويحبونه ويقفون عند ما أمرهم ولا يتعدونه ماذر شارق وهام عاشق *(أما بعد)*
فان كتابنا هذا كما قيل
كتاب حوى أخبار من قتل الهوى
وسار بهم فى الحب فى كل مذهب
مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل * تشبب فيه بالرباب وزينب فهم ماهم تعرفهم بسماهم قد تركهم الهوى كهشيم المحتظر وأصبحوا من علة الجوى على قسمين فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر فهم مابين قتيل وشهيد وشقى وسعيد

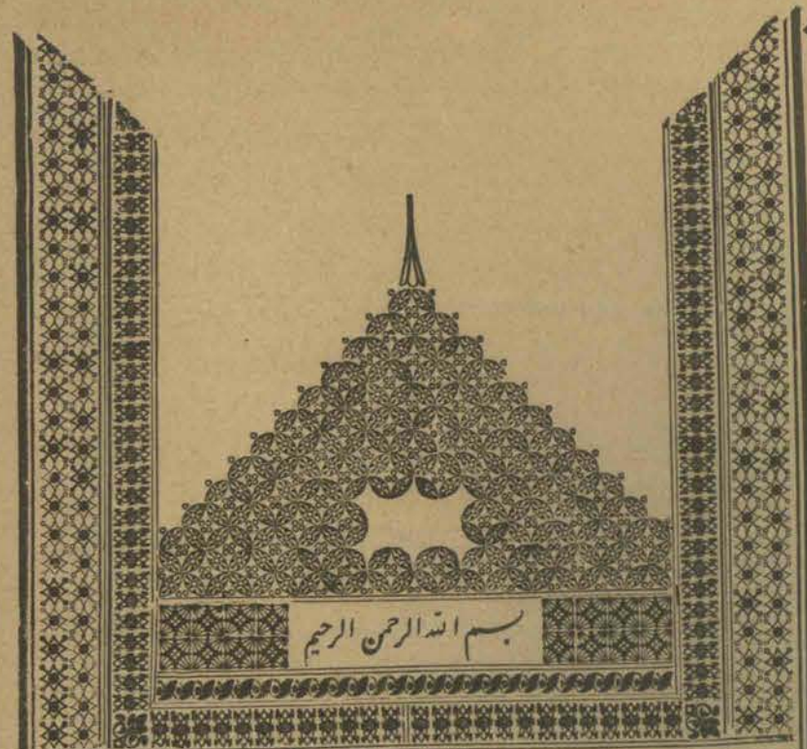

الحمد لله الذى اطلع فى بروج اعتدال القدود شموس المحاسن والجمال وأهل فى منازل السعود بدورا للطائف والكمال وزين أغصان القدود برمان النهود ورياض الوجوه بنرجس اللحاظ ووردالخدود وألف بين ماتظم فى الثغور وقلائد النحور وجعل تسريح الابصار لذوى البصائر ولطافة الافكار من أسباب الافتتان بتأمل الحسان فنزلهم وان اختلفت اغراضهم منزلة الاغراض لرشق قسى الحواجب بسهام الالحاظ (نحمده) على تعديل أمزجة فرعها صحة التأمل فى حسن التجمل وتصفية نفس لازمها الاستبصار والتبصر فى الفرق بين الجهل والتعقل ونصلى ونسلم على من بعث بنهى النفس عن الهوى والارشاد الى طريق العدل والاستوا والامر باعلاء العقل على النفس وقهر شهوات الجسم وتقييد مدارك الحس لحث على تهذيب النفس الابية عن الرذائل الدنية سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المتخلقين باكرم الاخلاق والاوصاف وأجل اللطافة والعفاف مانضرت الحدائق وتطرت الحدق وتأنق المقلق وتالق الفلق *(وبعد)* فلما دل تنويع أصل الايجاد وتفريع عالم الكون والفساد مع قدرة الموجد على جعل ما اوجد من أصل واحد على سأم النفس من ملازمة الشئ الواحد فى كل حال واستراحتها فى اختلاف الاطوار بالنظر والانتقال وكان أعظم مطلوب منها تحصيل العلوم التى هى سبب السعادة الدينية وتشييد المبانى الشرعية وجب اسعافها بالمفاكهات الانيقة والاخبار اللطيفة الرشيقة لتنشط من عقال التعب وتستريح فتعود الى المطلوب منها خفيفة من كل الوصب والنصب وذلك هو العلوم الادبية كالتواريخ والاخبار ولطائف الحكايات والاشعار ولما من الله تعالى على بعد تحرير العلوم العقلية وتهذيب النفس بالدائق الحكمية بالهجرة الى الديار المصرية فمثلت بها بين يدى الاماثل وخدمت من سماقيها من أرباب الفضائل من أيضا سبحانه وتعالى بجارى عوائده السنية بتحصيل ما أمكن من العلوم الشرعية بيد أنى رميت فى خلال الاشتغال بماشوش الفكر وغير البال وهيج أليم البلبال

من هموم وحاجة واغتراب * كدرت منى القوى النفسيه
فهى فى كل ساعة فى ازدياد * غبت منه عن مدرك الحسيه
فأنا وهى فى التلازم صرنا * كالهيولى والصورة الجنسيه

لا أجد من يفرج الكرب اذا شكوت اليه ولا من أعول اذا ضاق الامر عليه كان الزمان كما قيل

ففى المساوى بدا التساوى * فلا معين ولا معين

فغير ذلك ادراكى الثاقب فقصرت عن بلوغ المارب فاعملت الحيلة فيما به أريح النفس وأنفى اللبس فانقدح فى الفكر بعد طول التعب ان امتطى غارب الادب فمارست من الاصحاب من هوله كالعناصر فمال اليه ذهنى الفاتر فشرعت فى جمع شئ فى محاسنه المختلفه وضمها بحيث تكون فى الجنس وان اختلفت بالنوع مؤتلفه فكان أول ماسطرته واحكمت قواعده وحررته طبقات ذكرت فيها أخبار الحكماء ولطائف الاطباء ثم لم أزل أجيل النظر فى مجاميع مختلفة الى ان وقع اختيارى على اختصار أسواق الاشواق المأخوذ من مصارع العشاق المنسوب الى أبى بكر محمد بن جعفر البغدادى السراج رحمه الله فانه وان كان قد جمع فيه بين جد القول وهزله وظرائف نكت العشق وأهله ورقيق اللفظ وجزله اذهو صنيعة وحيد زمانه ورئيس اقرانه وواحد عصره ونادرة دهره مولانا أبى الحسن ابراهيم بن حسن بن عمر الرباط الشهير بالبقاعى تغمده الله برضوانه وأسكنه فسيح جنانه الا انه كتاب طال فى غير طائل وجمع مالا حاجة بهذه الصناعة اليه من المسائل كذكر الاسانيد والتكرار الذى هو شأن الاحاديث النبويه لتوثيق الاحكام الدينيه وكالاخلال بمحاسن الاخبار ولطائف الاشعار التى هى بهذا الفن أعلق من الجوى باهل الهوى وعدم الترتيب المستلزم لاختلال التهذيب وكالاعراض عن ذكر غالب أسباب وقوع بعض العشاق فى شرك الحب الى غير ذلك مما يظهر لمتأمل كتابنا مع أصله اذا طرح الهوى وانتظم فى سلك الانصاف وأهله فألفت هذا الكتاب الذى هو فى قلادة هذا الفن درة بيضاء وفى جبهة جواده غرة غراء أكملت فيه فوائده ورددت شوارده وأضفت ما تبذه ظهريا ولم آت شيأ فريا فزاد على أصله بامور اثنى عشر أحدها وهو الاعظم تبديل ما فى الباب الاخر بآخر من كلفت بحبه * لا خير فى حب الحبيب الاول اتشك فى ان النبى محمدا * سيد البرية وهو آخر مرسل وقال ديك الجن الحمصى يرد على حبيب قوله المتقدم كذب الذين تحدثوا ان الهوى * لا شك فيه للحبيب الاول

على اختلاف طبقاتهم وأشكالهم وتباين مراتبهم واحوالهم وغير ذلك مما تصبح به اوراقه يانعة الثمر وتسمى به صفحاته فى كل ناحية من وجهها نقر فاذا نظرت الى الوجود بأسره * شاهدت كل الكائنات ملاحا ٣ على ان جماعة من العصريين غلبوا من تقدم بالتأليف فى هذا الباب ولم يفرق غالبهم فى التشبيب بين زينب والرباب
وكل يدعى وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذا كا
فربع كتابنا هذا بذكر العامرية معمور وهو بالنسبة الى ما الفه الشهاب محمود مشكور ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام وانشد فى تصديق هذه الدعوى
اذا قالت حذام فؤلف طوق الحمامة بالنسبة الى جلته يجعل وصاحب منازل الاحباب بمن عرف المحل فبات دون المنزل وعذرت طيفك فى الجفاء لانه
يسرى فيصبح دونها بمراحل
(آخر)
فيدارها بالطيف ان مزارها
قريب ولكن دون ذلك أهوال
فان قلت الفضل للمتقدم وهل غادر الشعراء من متردم قلت نعم فى الخبر معنى ليس فى العنب وأحسن ما فى الطاوس الذنب فدع كل صوت بعد صوتى فانى انا الصائح المحكى والآخر الصدا فكم ترك الاول للآخر ولا اعتبار بقول الشاعر
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لاول منزل
فقد سقط فى يديه وقيل فى الرد عليه

مالى احن الى خراب مقفر * درست معالمه كأن لم يؤهل فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن المذكور
كذب الذين تخرصوا فى قولهم * ما الحب الا للحبيب المقبل ٤ افطيب فى الطعم ما قد ذقته * من مأكل اوطعم مالم يؤكل

فقال ديك الجن أيضا حين بلغه قول حبيب هذا

ارغب عن الحب القديم الاول
وعليك بالمستأنف المستقبل
نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى
كهوى جديد اوكوصل مقبل

وقال ابو البرق وسلك بينهما مجادة الانصاف وبقوله يجب الاعتراف لانه احسن فى المقال حيث قال

زادوا على المعنى فكل محسن
والحق فيه مقالة لم يجهل

الحب للمحبوب ساعة وصله
ما الحب فيه لآخر ولاول

على انى لم اجحد ما فى منازل الاحباب من ذكرى حبيب ومنزل ولا تحملت على مصنفه فوا عجبا من قلبى المتحمل ولكن قصدت التنبيه على ان حسن التأليف مواهب وان للناس فيما يعشقون مذاهب ومعلوم ان الجنون فنون وكل حزب بما لديهم فرحون ولم يزل كتابنا هذا فى مسوداته منذ جج وبيوته من بحورها فى لجج لا يبح ما فيه من منازل الاحباب لساكن ولا امكن عاشقا من المرور بتلك الاماكن

اغار اذا آنست فى الحى آنة
حذارا وخوفا ان تكون لحبه

حتى برز اطلبه المرسوم الشريف الملكى الناصرى ادام الله نشر اعلامه ولا اخلى كنانة من سهامه ما نفذت مراسيم سهام المقل وتفى قوام الحبيب الذى طاب به الزمان واعتدل فبادرت الى تجهيزه وسبك ابريزه حسب المرسوم الشريف من غير تسويف ولا تكليف ولم ابح زهر منثوره لغير حضرته الشريفة من الانام لانه كان يقال كل ما يصلح

العاشر الذى سماه بالشارع الجامع لما فى المصارع بما هو خليق بهذا الاسم وجدير بهذا الرسم ضمنته ما حل مما تقدمه محل الاصول من الفروع لجعلك الغيرة أصلا لنحو حكاية ديك الجن وكتم الاسرار لنحو صاحب الجارية فى عرفة وتامل الخيال لنحو من عشق فى نومه الى غير ذلك وجمعت فيه ديوان الصبابة وغيره وهو نمط مابسط قبل وثانيها حسن التقسيم فى الابواب وثالثها لطف الترتيب وضم الانواع المتماثلة ورابعها حذف الاسانيد والتكرار مع ذكرما اختلف باشارات كاووقيل وخامسها ذكر السبب الموقع لصاحب الحكاية فيها وسادسها تمييز من جهل شئ من أحواله ممن علم بسائر أقواله وأفعاله وسابعها تفصيل من علق الاحرار من أهل الرق والمسلمين من أهل الشرك وامثال ذلك من قديم ومحدث وثامنها ذكر ما فى الاصل من الالفاظ اللغوية مفسرا ذلك بازائه مبدلا ذلك باوضح منه وتاسعها شرح ما فى الاشعار من الغريب وعاشرها تعليل الاسباب المتعلقة بهذا الفن بالعلل الحكمية مأخوذا من الاصول والادلة الفلسفية والقواعد الطبية وحادى عشرها ذكر تعلق هذا الفن بانواع الموالید الثلاثة وكيفية دخوله فيها وثانى عشرها الزيادات فى الابواب فربما كانت أنواعا مستقلة اوتكميلا لما وجد بعضه فى الجملة وربما زاد عليه باشياء غير المذكورة فى مطاوى معانيه فتر عن استحضارها الذهن هنا كل ذلك مما استخرجه فكرى القاصر وذهنى الفاتر اوظفرت به فى كتب ربما اسمى بعضها فيه هذا كله مع انى والله لم أخل فى يوم من أيام عمله من مشوش طارئ على ما عندى مما سبقت الاشارة الى ذكره ولما كمل واتسق وانتظم فى أكمل نسق (سميته) بتزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق ورتبته على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة والله المسؤل ان ينفع به فيما قصد بترتيبه وان يوفقنا الى أصح القول وتهذيبه انه أكرم من أعطى المراد وسئل فجاد (فالمقدمة) فيما جاء فيه من الاخبار والآثار ويلى ذلك أربعة فصول الاول فى الترغيب فيه والثانى فى رسمه والثالث فى مراتبه والرابع فى علاماته *(والباب الاول)* فى مصارع محبى الله تعالى وفيه فصل ميزنا فيه من قتله التذكر بنحو سماع آية *(والباب الثانى)* فى عشاق الجوارى وهو ستة أقسام الاول فيمن اشتهر الثانى فيمن جهل الثالث فى عشاق الاماء الرابع فيمن حظى بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق الخامس فيمن وسموا بالفساق من العشاق السادس فيمن نكث الصحبة وحل عقد المحبة وفى كل قسم أصناف وأنواع بحسب ما احتمله المقام من صحة الانقسام *(والباب الثالث)* فى عشاق الغلمان وهو أربعة أقسام الاول فيمن استلب الهوى نفسه الثانى فيمن جهل حاله الثالث فيمن ظفر بمطلوبه الرابع فيمن منعه الزهد والعبادة ان يقضى مراده والحقت ذلك بخاتمة تشتمل على ذكر الدوا للسلو عن الهوى *(والباب الرابع)* فى ذكر دخول العشق فيما سوى البشر وهو نوعان الاول فى الجن والثانى فى الحيوان والنبات والمعدن والعناصر والافلاك *(والباب الخامس)* قد اشتمل على فصول كل فصل منها قد احتوى على النكت والعجائب واللطائف والغرائب من أصول هذه الصناعة وقد الزمت نفسى ان افتتح كل فصل منه بكلام استاذ الحقيقة ورئيس أهل الطريقة مسكت كل لافظ ومبين ما فى الطريق من القواطع والعوارض سيدى عمر بن الفارض نمر نا الله تعالى ببركاته وطيبنا بنفحاته منبها ذلك بما تيسر من حل ألفاظه حسب ما سنح فى الذهن ثم أقول بعد انتهاء متعلق الطريقة رجع الى كلام المترسمين من أهل الظاهر واختم الفصل بما سمعت به القريحة الفاترة والفكرة القاصرة من لطائف النظم المناسب لما ذكر من أهل الصناعة هنالك واتبعت الفصول بقمة فى لطائف الغزل الخاص والعام وتقسيم ذلك *(وأما الخاتمة)* ففى لطائف ونكت متفرقة لا التزم تعلقها بالعشق وبها يتم الكتاب

(المقدمة فيما جاء فى العشق من الاحاديث والآثار وفى حده ومراتبه)

(اعلم) ان واهب الصور لما صدر عنه العقل كان أعظم صادر اقربه من الكمال الذاتى فالعود اليه وطلب القرب منه واجب على كل ذى نفس قدسية ومن ثم تطابقت الادوار شاهدة بذلك ويدل له عموم فقال له اقبل الحديث وعنه النفس الكلية ثم قسما الاجسام الفلكية والعنصرية كما هو فى محله الى ان كان أشرف النفوس وأرفعها على الاطلاق النفس الانسانية ولشبه الشئ باصوله كما هو واضح مقرر فى محله بالبراهين انقسمت هذه النفس باعتبار أصولها الى ثلاثة أقسام أحدها النفوس المعدنية وهى الجامدة التى لا تعقل ما يراد منها ولا تعرف الا ما تقوم به بنيتها ويصدر عنها وذلك اما بالخاصية اوبامر اودعه صانعها فيها لمصالح يعلمها ويشهد لذلك ما يشاهد من صور فى الجبال والطين ونحوهما وثانيها النباتية وهى ارفع من الاولى باعتبار الذبول والتحلل الظاهر وثالثها الحيوانية وتفضل السابقة بالحركة الارادية والحساسية ونحوهما من العوارض ثم كل واحدة من هذه الثلاث تنقسم باعتبار ما تشابهه من النوع كانقسامه فى نفسه وذلك كانقسام الاولى الى ما يكون صافى الجوهر جيده كالياقوت والذهب والثانية الى ما هو كثير النفع طيب الطعم والرائحة كالعنبر والعود والثالثة الى ما هو صالح للنفع والزينة كالخيل والى شجاع كالاسد وخبيث كالنمر وحافظ للعهد كالكلب وقوام على حفظ ما يستحفظ كالقرد ونظائر ذلك ولما كانت النفس الانسانية زبدة الكائنات وخاتمة طرق فى سلسلة العلل والمعلولات لاجرم كانت مقتدرة على ان تتبع شهوات الجسم وعوارض الكثيف فتكون حيوانية بحتة اوتعمل فى خلاص النفس من ظلمة الطبيعة وقفص الجسم فتلحق بعالمها الاصلى وهى النفس الملكية المقرة بالمبدا والمعاد الخلصة من محض الكثافة المنتظمة فى سلك محض اللطافة اوتجمع بين

للمولى على العبد حرام لاجرم انه جاء بنظره السعيد نزهة للنظر وقال الواقف على عتبة بابه ان السعادة لتلحظ الحجر فهو للسلطان بستان وللعاشق سلوان وللمحب الصادق حبيب موافق ٥ وللمهجور نجوة وللنديم قهوة وللناسى تذكرة وللاعمى تبصرة وللشاعر المجيد بيت القصيد وللاديب الماهر مثل سائر وللمحدث قصص وللحاسد غصص وللفقيه تنبيه وللحبيب بالقمر تشبيه

تبادره بالبدر منه بوادره
وتحلوله عند المرور نوادره
ففيه له فى كل يوم وليلة
حبيب ملم اوند يم يسامره
وفى فيه نظم ان تضوع نشره
فتى طيه حلو الكلام ونادره
وفى فيه منثور غدا فى مقامه
وعرف سناه مشرق الروض عاطره
وفى فيه من سحر البيان رسائل
اذا ما جفانى احورا لطرف ساحره
وفى فيه اسرار الحروف لانه
ينقطه دمعى فتبدو سرائره
فمنثور دمعى مثل نظم سطوره
خدودى اذا ما خط فيها دفاتره
تمد مداد الدمع اقلام هديه
فدمعى حبرى والسواد محابره
خدمت بديوان الصبابة عاملا
فبا شر قتلى من سبانى ناظره
فلولا الهوى ما مات مثلى عاشق
ولا عمرت بالعامرى مقابره
وفى غزلى ذكر الغزال ومربع
تطارحنى فيه الحديث جاذره
انزهه عن وصف خدر عنيزة
ومنزل قفر سرن عنه اباعره
تجر قوافيه معان غدا بها
يجر يرکعبدا وثقته جرائره
يشيب بها فود الوليد لانه * يسير وجنح الليل سود ضفائره ولست ارى يوما بدارة جلجل * سوى شاعر دارت عليه دوائره
اذا ما نسيت ذكرى حبيب ومنزل * فالى لمن اهواه ما عشت ذاكره اجاور فى سفح المقطم جيرة * فيا حبذا المحبوب حين تجاوره

فياطيف من اهواه طرفى ان غفا * اتهجره بالله انت زائره وحقك لو سايرته بعض ليلة * لسايرت صبابات فى الحب سائره
يمثلك الشوق الشديد لطرفه * فتجرى به كالماجرى محاجره ٦ ويأتيه طيف من خيالك طارق * فيطرق اجلالا كانك حاضره

وبى من يحج الغصن رمح قوامها
اذا بانت فى الروض التضع يناظره
اذا اقبلت فى الحلى والطيب قيل لى
حبيبك بستان تضوع ازاهره
وان رمت منها وهى غضبى التفاتة
ثنت عطفها نحو الغزال تشاوره
ايبرد ما القاه من حر هجرها
وقد حميت يوما على هواجره
تحصنت فى حصن الهوى من عواذلى
وبات لقلبى جيش هم يحاصره
ولو لم يكن اعمى البصيرة عاذلى
لما عميت عمن هويت نواظره
يشبهها بالغصن والغصن عندها
بشاهدها يغضى ويطرق ناظره
أللغصن خد كالشقيق اذا بدا
وشعر كجنح الليل سود غدائره
لئن طاب ذلى فى هواها فانتى
وحقك ممن عز فى مصر ناصره
مليك يهز الرمح اعطاف قده
كما اهتز غصن طار فى الحب طائره
مليك تريه قبل ما هو كائن
بصيرته اضعاف ما هو ناظره
مليك اذا ما جئته حسن الملقا
جميل المحيا بارع الحسن باهره
مليك اذا ما صار كالبدر فى الدجى
فاولاده مثل النجوم تسايره
مليك ارى من حوله كل عالم
يد كره فى العلم ما هو ذاكره
مليك له فى كل يوم وليلة
بشير توالت بالهناء بشائره
مليك اسود الغاب تحذر بأسه
لان ملوك الارض طرا تحاذره
اذا اقترعت اشكال حال اجتماعهم * تروعهم شهب السماء بروقه وماهى الا سمره و بواتره

الجنة

الامرين وتؤلف بين الطريقين وهذه هى الانسان المطلق والاولى الحيوانى والثانية الملكى فقد بان لك ان الانسان منقسم كاصله ومميز بفعله ثم لاشبهة فى انقسام كل كالمنتسب اليه ويكون كماله منزلا عليه فالحكيم محتاج فى اصلاح الاولى الى ما يكون بمجرد حسن اللفظ والسياسة كالطيور او بالضرب والاهانة كالدب والحمار او باطعام الطعام كالخيل والكلاب او بالارسال والجذب والتحفظ من غدرها كالاسود والجمال والثانية وان تفاوتت مراتبها غنية عن الاصلاح الا من قبل مبدعها والثالثة هى المحتاجة الى العلاج وملاطفة المزاج والعشق الحقيقى لها غالبا لانه تابع للامزجة ولان عشق الملكى والحيوانى بسيط اذ الاول يكون لمحض ذات واجب الوجود ومبدع الفيض والجود والثانى لمحض قضاء شهوات الجسم الفاسدة الناشئة عن الفكر الجامدة اذا تقرر هذا فاعلم ان العشق بعد ان سمعت ما سمعت يختلف باختلاف المزاج على اتجاه أربعة سريع التعلق والزوال كما فى الصفراوى بين وعكسه كما فى السوداوى بين وسريع التعلق بطىء الزوال كما فى الدموى بين وعكسه كما فى البلغمى بين ومثل هذه مراتب الحفظ والنسيان وأما المعتدل فيكون العشق فيه كذلك فعلى هذا يكون قولهم لكل أحد صبوة الا من جفت خلقته او نقصت بنيته او خرجت عن الاعتدال امزجته محمولا على الاعتدال النسبى الذى اذا حصل لشخص كان به على ما ينبغى ان يكون عليه لا الحقيقى لعزة وجوده ولزوم ندور العشق حينئذ والواقع خلافه ثم هو متى وقع على ما وصفناه امكن حصول المزايا المذكورة فيه فقد قال الاستاذ ان أقل مزاياه تعليم الكرم والشجاعة والنظافة وحسن الاخلاق وذلك ان غاية مراد العاشق رضا معشوقه ورضا المعشوق يكون باتصاف العاشق بما يوجب المدح ويحسن المرتبة فى القلب فعلى ثبوت هاتين المقدمتين ينتج ما قلناه واللازم واقع فكذا الملزوم وبيان الملازمة ظاهر وايضاحه ان العاشق وان بخل جدا فلا يمكن بخله على المعشوق ومنه يتطرق الحال الى من يعلم انه متى بخل عليه اوصل الامر الى معشوقه وهكذا فيؤدى الحال الى مطلق الكرم وكذا باقى السجايا المذكورة ولذلك جاء الناموس الشرعى بطابقة القانون الحكمى كما هو شأن الشارع فى غير هذا أيضا ليكون التطابق بين الحكمة والشرع فى كل شئ ولا عبرة بكلام بعض الاغبياء * عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات دخل الجنة زاد الخطيب عنه فظفر ثم أبدل قوله دخل الجنة بقوله مات شهيدا وفى أخرى وكتم والحديث بسائر ما ذكر صححه مغلطاى وأعله البيهقى والجرجانى والحاكم فى التاريخ بضعف سويد وتفرده به ورواه ابن الجوزى مرفوعا وأبو محمد بن الحسين موقوفا وأخرج الخطيب عن عائشة رفعه أيضا وحاصل الامر اما صحته او حسنه والجواب عن تفرد سويد المنع بوروده عن غيره وحكايته تحديثا وكونه قبل عماه فلا تدليس واذ قد ثبت فهو شاهد بما قلناه لان غاية الغايات دخول

واى قصيد بحرها لم يرق له * وغائص فكرى ناظم الدر ناثره ولى فيه من غر التصانيف خمسة * وهذا الذى طوق الحمامة عاشره
يضوع به المنثور كالزهر عندما * تراوحه ريح الصبا وتباكره ٧ فكم فيه لى من مرقص حول مطرب

الجنة وهو مستلزم لرضا الله الذى لا مطلب أعلى منه وقد جعلت مقدمة هذا المطلب العالى العفة وهى مذهب الحكماء بل أساس الحكمة وهى كما صرح به المعلم ثمرة الاصل الطاهر لان أعلى الخلق الرضا والمزاج المعتدل ومنها الكتم وهى ثمرة المروأة والشهامة وكلاهما مستلزم علو النفس وصحة المزاج فقد اتضح ما قلناه * وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليعجب من شاب لا صبوة له ووجه الاعجاب القدرة على حكم زمام النفس وزجرها مع تركيب الشهوة وتوفر الدواعى وما تكلفه فى الاصل من ان المراد بالاعجاب أثره واضح لا يحتاج اليه لانه وما شاكله من الرحمة التى هى رقة القلب لا تكون الا لذى المزاج ولما علم بالضرورة تنزهه عن الاجسام والاعراض علم بروئه من لوازمها فما وقع مما يوهم شيأ فالمراد لازمه ولصحة هذا الحديث واشتهاره بين الاكابر جاء تضمينه فى أشعارهم كثيرا فمن ألطف ما قيل فى ذلك قول ابن الصائغ

سأكتم ما ألقاه يا نور ناظرى * من الاجر كيلا يذهب الاجر باطلا
فقد جاءنا عن سيد الخلق أحمد * ومن كان برا بالعباد وواصلا
بان الذى فى الحب يكتم وجده * يموت شهيدا فى الفراديس نازلا
رواه سويد عن على بن مسهر * فما فيه من شك لمن كان عاقلا
وماذا كثير اللذى مات مغرما * سقيما عليلا بالهوى متشاغلا

(وألطف من ذلك) ما حكاه التاج السبكى فى الطبقات الكبرى عن أبى نواس قال مضيت الى باب أزهر والمحدثون ينتظرون خروجه فما كان الا ان خرج وجعل يعظهم واحدا بعد واحد حتى التفت الى فقال ما حاجتك فقلت

ولقد كنتم رويتم * عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب * ان سعد بن عباده
قال من مات محبا * فله أجر شهاده

فقال أزهر نعم وذكر الحديث ولابى نواس أيضا

حدثنا الخفاف عن وائل * وخالد الحذاء عن جابر
ومسعر عن بعض أصحابه * يرفعه الشيخ الى عامر
وابن جريج عن سعيد وعن * قتادة الماضى وعن غابر
قالوا جميعا ايما طفلة * علقها ذو خلق طاهر
فواصلته ثم دامت له * على وصال الحافظ الذاكر
كانت لها الجنة مبذولة * تسرح فى مرتعها الزاهر
واى معشوق جفا عاشقا * بعد وصال ناعم ناضر
فنى عذاب الله مثوى له * بعدا له من ظالم غادر

اختيارى او اضطرارى ونحو ذلك واما الابواب فالباب الاول فى ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيل واجمال والباب الثانى فى ذكر المحبين والظرفاء من المملوك والخلفاء والباب الثالث فى ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع

بتشبيهه فى الحى يطرب زامره
ولو لم يكن مثل السكردان ماغدا
بحضرته يوما تطيب حواضره
نعم الفته باسم مولانا السلطان على
الوجه المشروح وتوليت لاجله
عمله بنفسى فجاء كما قيل عمل
الروح للروح
اهيم بن هام الحبيب بحبه
ألا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل
وسلكت فى تأليفه الاختصار
والاقتصار على النوادر القصار
لانه كان يقال الوضع وضعان
وضع له افتخار و وضع له نجار
وقال يحيى بن خالد لولده اكتبوا
احسن ما تسمعون واحفظوا
احسن ما تكتبون وحدثوا
باحسن ما تحفظون وخذوا من
كل شئ طرفا فانه من جهل شيأ
عاداه * (وسميته) * ديوان الصبابة
ليصح الواقف عليه مولها ويعلم
انه ان لم أكن أبا للصبابة من لها
ما يعلم الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها
اى والله
قلما يبرح المطيع هواه
كلفا اذا صبابة وجنونا
(ورتبته) على مقدمة وثلاثين بابا
وخاتمة أما المقدمة ففى ذكر حد
العشق واشتقاقه وما قيل فى وسمه
ورسمه وأسبابه وعلاماته
ومراتبه واسمائه ومدحه وذمه
وذكر اختلاف الناس فيه هل هو

الى الحبيب فى نزاع والباب الرابع فى ذكر من نظر اول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة والباب الخامس فى ذكر تغير الالوان عند العيان من صفرة ٨ ووجل وحمرة وبخجل ومافى معنى ذلك من عقد اللسان وسحر البيان والباب السادس فى ذكر الغيرة ومافيها من الحيرة وقوع سن ديك الجن والباب السابع فى ذكر افشاء السر والكتمان عن ابناء الزمان والباب الثامن فى ذكر مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافى غيظه وانحرافه والباب التاسع فى ذكر الرسل والرسائل والتلطف فى الوسائل والباب العاشر فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه على اختلاف معانيه والباب الحادى عشر فى ذكر قصر الليل وطوله وخضاب شفقه وتصوله ومافى معنى ذلك والباب الثانى عشر فى ذكر قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول والباب الثالث عشر فى ذكر الاشارة الى الوصل والزيارة والباب الرابع عشر فى ذكر الرقيب والنمام والواشى الكثير الكلام والباب الخامس عشر فى ذكر العتاب عند اجتماع الاحباب ومافى معنى ذلك من الرضا والعفو عما مضى والباب السادس عشر فى ذكر اغاثة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين والباب السابع عشر فى ذكر دواء علة الجوى ومايقاسيه اهل الهوى والباب الثامن عشر فى ذكر تعنت المعشوق على الصب المشوق وغير ذلك من اقسام الهجر وصبر القابض فيه على الجمر والباب التاسع فعاودته عشر فى ذكر الدعاء على المحبوب ومافيه من الفقه المغلوب والباب العشرون فى ذكر الخضوع وانسكاب الدموع

وفى رشاق الاتفاق فى ملح شعراء الآفاق لابن المبارك الامام

حدثنا سفيان عن جابر * عن خالد عن سهل الساعدى
يرفعه من مات عشقا فقد * استوجب الاجر من الماجد

(وأما) الآثار فكثيرة لا تكاد تحصى ولكن نورد ألطفها كما هو شأننا فمن ذلك ما روى عن المهدى قال اشتهى ان أصلى على جنازة عاشق مات فى الحب وكان شريح يكثر الجلوس فى الطرقات ويقول لعلى أرى صورة حسنة وكان ابن الليث قاضى مصر يكتب فى فتيا فسمع جارية تقول

ترى فى الحكومة ياسيدى * على من تعشق ان يقتلا

فرمى القلم من يده وهو يقول لا وعن ابن عباس الهوى المعبود فقيل له اتقول ذلك فقال فمم أليس الله تعالى يقول أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال العباس بن الاحنف

ويح المحبين ما أشقى جدودهم * ان كان مثل الذى بى للمحبينا
يشقون فى هذه الدنيا بعشقهم * لايدركون بها دنيا ولا دينا
يرق قلبى لاهل العشق انهم * اذا رأونى وما ألقى يرقونا

(وله أيضا)

أيها النادب قوما هلكوا * صارت الارض عليهم طبقا
اندب العشاق لاغيرهم * انما الهالك من قد عشقا

وأخرج ابن الحسين الجاذرى عن معن بن عيسى قال دخل ابن سحنون على مالك فقال يا امام اجعلنى فى حل من أبيات قلتها فيك فقال وقد ظن انه هجاه أنت فى حل من ذلك فانشد الابيات بين يديه وهى

سلوا مالك المفتى عن اللهو والغنا * وحب الحسان المجتبات الفوارك
يفتيكم انى مصاب وانما * أسلى هموم النفس عنى بذلك
فهل فى محب يكتم الحب والهوى * اثام وهل فى ضمة المتهالك

فضحك وقال لا ان شاء الله وأظرف من ذلك ما أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن الربيع بن سليمان قال دخل شاب على الشافعى برقعة فوقع فيها بعد ما نظر فى ناوله اياها فتبعته على انها فتيا أكتبها فاذا هى

سل العالم المكى هل فى تزاور * وضم لمشتاق الفؤاد جناح

(فكتب تحته)

أقول معاذ الله ان يذهب التقى * تلاصق اكبادبهن براح

فانكرت كتابته مثل هذا الشاب وذكرته له فقال انه هاشمى وقد دخل بعرسه فى هذا الشهر يعنى رمضان فسأل عن الضم والتقبيل هل يفسدان الصوم فقلت له لا قال الربيع

والباب الحادى والعشرون فى ذكر الوعد والامانى ومافيها من راحة العانى والباب الثانى والعشرون فى ذكر الرضا من المحبوب بأيسر مطلوب والباب الثالث والعشرون فى ذكر اختلاط الارواح ٩ كاختلاط الماء بالراح والباب الرابع والعشرون فى ذكر عود الهجر كالخلال وطيف الخيال ومافى معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب والباب الخامس والعشرون فى ذكر ما يكابده فى طلب الاحباب من الامور الصعاب والباب السادس والعشرون فى ذكر طيب ذكرى حبيب والباب السابع والعشرون فى ذكر طرف يسير من المقاطيع الفائقة والاغزال الرائقة مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك مما هنالك والباب الثامن والعشرون فى ذكر طرف يسير من اخبار المطربين المجيدين من الرجال وذوات الجمال ومافى معنى ذلك من ذكر موالاتهم ووصف آلاتهم والباب التاسع والعشرون فى ذكر من ابتلى من أهل هذا الزمان بحب النساء والغلمان والباب الثلاثون فى ذكر من اتصف من العفاف بأحسن الاوصاف وأما الخاتمة ففى ذكر من مات من حبه وقدم على ربه من غنى وفقير وكبير وصغير على اختلاف ضروبهم وتباين مطلوبهم ولاجل ذكرهم استت قواعد هذا الكتاب ودخلت فيه من باب وخرجت من باب ومن هنا نشرع فى ذكر مايجاب الراحة كراوح الخميش

فعاودته فاذا الامر كذلك فعجبت من فراسته وحكى فى الاصل عن ابن حجر قال اخرج ابو نعيم أيضا عن ابن سيرين انهم كانوا يعشقون بلا ريبة وفى الطبقات الكبرى لابن السبكى وحكاه فى الاصل متردد اقال كتب جلال الدولة الى أبى الطيب الطبرى سؤالا صورته

ياأيها العالم ماذا ترى * فى عاشق ذاب من الوجد
من حب ظبى اهيف اغيد * سهل المحيا حسن القد
فهل ترى تقبيله جائزا * فى الثغر والعينين والخد
من غير ما فحش ولا ريبة * بل بعناق جائز الحد
ان أنت لم تفت فانى اذا * أصبح من وجدى واستعدى

(فاجابه)

ياأيها السائل انى أرى * تقبيل العين مع الخد
يفضى الى ما بعده فاجتنب * قبلته بالجد والجهد
فان من يرتع فى روضة * لابد ان يجنى من الورد
وان من يحسبه ناسكا * لابد ان يغلب بالوجد
فاستشعر العفة واعص الهوى * يسلم لك الدين مع الود
تغنيك عنه كاعب ناهد * تضمها بالملك والعقد
تملك منها كلما تشتهى * من غير ما فحش ولا رد
هذا جوابى لقتيل الهوى * فلا تكن بالحق تستعدى

واخرج الخطيب البغدادى عن الغزى قال رأيت عاشقين اجتمعا فتحدثا من أول الليل الى الغداة ثم قاما الى الصلاة وفى معناه انشد العلامة محمود لنفسه وهو من لزوم مالا يلزم

لله وقفة عاشقين تلاقيا * من بعد طول نوى وبعد مزار
يتعاطيان من الغرام مدامة * زادتهما بعدا من الاوزار
صدقا الغرام فلم يميل طرف الى * فحش ولا كف لحل ازار
فتلاقيا وتفرقا وكلاهما * لم يخش مطعن عائب اوزارى

ومنه ما حكى عن بعضهم قال حكت لى امرأة عن شخص هو بها وهو بيته انه قال لها يوما هل لك ان نحقق ما قيل فينا فقالت معاذ الله ان افعل ذلك وأنا أقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل لاعرابى ليلة تزويج محبوبته ايسرك ان تظفر بها قال نعم قيل فما كنت تصنع بها قال أطيع الحب فى لثمها واعصى الشيطان فى اثمها وعن الاصمعى قيل لاعرابى ما تصنع ان ظفرت بمحبوبتك قال امتع عينى من وجهها وسمعى من حديثها واستر منها ما يحرم كشفه الا عند له وانشد ابن القاسم فى المعنى وان كان فيه

٢ تزل وتكون عند المطالعة كالطليعة للجيش وهذه المقدمة فى ذكر رسم العشق ووسمه وحده وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختيارى او اضطرارى ويشتمل ذلك على خمسة فصول (الفصل الاول فى رسم العشق ووسمه وما قيل فى اسمه)

اقول هذا الفصل عقدناه لذكر رسم العشق وحده وجزر بحره المتلاطم ومده وما للناس فيه من الكلام البادين والقول المتباين اذ فيهم من التبس عليه فسماه باسم ١٠ سببه او باسم مايؤل اليه وغير ذلك مما التبس عليهم فيه الجواب واصابة الصواب وعذرهم الظاهر قول الشاعر

يقول اناس لونعت لنا الهوى ... ووالله ما ادرى لهم كيف أنعت

فليس لشئ منه حد أحده ... وليس لشئ منه وقت موقت

فمن حدوده الملیحة ورسومه الصحيحة قول فيثاغورس الذى أخذ عن أصحاب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فيما ذكره صاعد فى كتاب الطبقات العشق طمع يتولد فى القلب ويتحرك وينمو ثم يتربى وتجتمع اليه مواد من الحرص وكلما قوى زاد صاحبه فى الاهتياج واللجاج والتمادى فى الطمع والفكر والامانى والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك الى الغم المقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالة السوداء أو التهاب الصفراء وانقلابها اليها ومن طبع السوداء افساد الفكر ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء مالا يكون وتمنى مالا يتم حتى يؤدى ذلك الى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر الى معشوقه فمات فرحا وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى اربعا وعشرين ساعة فيظنون انه مات فيدفنونه وهو حى وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه فى تامور قلبه ويغتم عليها القلب ولا يستقر حتى يموت وتراه اذا ذكر من يهواه هرب دمه واستحال لونه قال الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهرى واذا كان ذلك كذلك فان زوال المكروه عن هذه حالته لاسبيل اليه بتدبير الادوية ولا شفاء له

بعد لائمة تعتبر الحياء من الايمان اللازم للعفة وخوف الله تعالى

كم قد خلوت بمن اهوى فيمنعنى * منه الحياء وقد اودى بعقلى

يأبى الحياء وشيبى ان ألم به * وخشية اللوم من قال ومن قيل

واصرح منه فى المقصود ما أنشده ابراهيم بن عرفة

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر

وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى * منه الفكاهة والتحديث والنظر

أهوى الحسان وأهوى ان اجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر

كذلك الحب لا اتيان معصية * لاخير فى لذة من بعدها سقر

واخرج صاحب الاصل عن سعيد بن عقبة الهمذانى قال لاعرابى حضر مجلسه ممن الرجل قال من قوم اذا عشقوا ماتوا فقال عذرى ورب الكعبة ثم سأله عن ذلك فقال لان فى نسائنا صباحة وفى فتياتنا عفة واخرجه فى الخليفيات ايضا وفى معناه انشد حرب

ما ان دعانى الهوى لفاحشة * الا عصانى الحياء والكرم

فلا الى محرم مددت يدى * ولا مشت بى لزلة قدم

هذا ما جاء فى الآثار من العشق مع العفة واما مايدل على كثرة وقوعه واختصاص قوم بمزيد منه فكثير * فمن ذلك ما اخرجه التنوخى عن عروة بن الزبير قال قلت لعذرى انكم ارق الناس قلوبا يريد اصابهم الى الحب فقال نعم لقد تركت ثلاثين شابا خلفى هم السل مابهم داء الا الحب وقيل لشخص منهم مثله فقال كقوله وزاد لكن غلبتنا بنو عامر بجنونها وفى منازل الاحباب للشهاب محمود ليس حى اصدق فى الحب من بنى عذرة ولا تضرب الامثال فيه الا بهم وقال (٣) قلت يوما لعذرى اتعدون موتكم فى الحب مزية وهو من ضعف البنية ووهن العقدة وضيق الرئة فقال اما والله لو رأيتم المحاجر البلج ترشق بالعيون الدعج من تحت الحواجب الزج والشفاه السمر تبسم عن الثنايا الغر كأنها شذر الدر لجعلتموها اللات والعزى وتركتم الاسلام وراءظهوركم (ومن) أبى عمرو بن العلاء قال استطقت اعرابيا عند الكعبة واستنسبته فاذا هو فصيح عذرى فسألته هل عاقته الحب فانبأ عن شدة ولوع فسألته ما قال فى ذلك فأنشد

تتبعن مرعى الوحش حتى رمينا * من النبل لا بالطائشات الخواطف

ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فيا عجبا للقاتلات الضعائف

وللعين ملهى فى البلاد ولم يقد * هوى النفس شئ كاقتياد الطرائف

وقال بعض حكماء الهند ما عاق العشق بأحد عندنا الا وعز شأنه فيه * وحكى الحافظ مغلطاى ان العشق يختلف باختلاف أصحابه فان الغرام اشد ما يكون مع الفراغ

وتكرار

(٣ فى نسخة وقال فزارى)

الا بلطف رب العالمين وذلك ان المكروه العارض من سبب واحد قائم بنفسه يتهيأ التلطف فيه بزوال سببه فأما اذا وقع السببان وكان كل واحد منهما سببا فاذا كانت السوداء سببا لاتصال الفكر وكان ١١ اتصال الفكر سببا لاحتراق الدم والصفراء

وقلبهما الى تقوية السوداء فهذا هو الداء العضال الذى يعجز عن معالجته الاطباء * ومنها قول افلاطون الآخذ للحكمة عن فيثاغورس المتقدم ذكره العشق قوة غريزية متولدة من وساوس الطمع واشباح التخيل نام بنضال الهيكل الطبيعى محدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة يكسو كل انسان عكس طباعه حتى يبلغ به المرض النفسانى والجنون الشوق فيؤديانه الى الداء العضال الذى لا دواء له * ومنها قول ارسطاطاليس الآخذ للحكمة عن افلاطون المتقدم ذكره العشق عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم وقول الشاعر

فلست براء عيب ذى الود كله ... ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدى المساويا

(وقول الآخر)

وعين السخط تبصر كل عيب

وعين أخى الرضا عن ذاك عميا

ومنها ما مشى عليه أبو على بن سينا وغيره من الاطباء العشق مرض وسواسى شبيه بالمالیخولیا يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقد يكون معه شهوة

وتكرار التردد الى المعشوق والعجز عن الوصول اليه فعلى هذا يكون اخف الناس عشقا الملوك ثم من دونهم لاستغنائهم بتدبير الملك وقدرتهم على مرادهم ولكن قد يتذللون للمحبوب لما فى ذلك من مزيد اللذة كقول الحكم بن هشام

ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذا مليكا

تركته جاذر القصر صبا * مستهاما على الصعيد تريكا

يجعل الخد واضعا تحت ترب * للذى يجعل الحرير أريكا

هكذا يحسن التذلل بالحر اذا كان فى الهوى مملوكا

وقول الرشيد أيضا

ملك الثلاث الآنسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان

مالى تطاوعنى البرية كلها * واطيعهن وهن فى عصيانى

ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين أعز من سلطانى

وقال ابن الاحمر سلطان الاندلس

ايارية الخدر التى اذ هبت نسكى * على كل حال انت لا بد لى منك

فما بذل وهو اليق بالهوى * واما بعز وهو اليق بالملك

وقال ابن طاهر صاحب خراسان

فانى وان حنت اليك ضمائرى * فما قدر حبى أن يذل له قدرى

ودونهم افرغ لقلة الاشتغال حتى يكون المتفرغ له بالذات أهل البادية لعدم اشتغالهم بعوائق ومن ثم هم أكثر الناس موتا به * ثم اعلم ان العشق متى استولى لم يبق صفة سواه ولذلك يذهب الاخلاق العسرة وقوة النفس وفى معنى ذلك انشد بعضهم حيث قال فى رسالة أرسلها الى محبوبته

شكوت فقالت كل هذا تبرم * بحبى أراح الله قلبك من حبى

فلما كتمت الحب قالت لشدما * صبرت وما هذا بفعل شجى القلب

وادنو فتعصينى فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبى

فشكواى يؤذيها وصبرى يسوءها * وتجزع من بعدى وتنفر من قربى

فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربى

ومنهم من تحمله الانفة على ان يفارق بعد اظهار شدة شوق وقوة ميل وكذا شدة الاقبال من المحبوب فيتوهم حيث تشيع نفسه أن الشوق لا يعاوده فيفارق ويعود ذلك عليه بتلف نفسه والحق ان ذلك كله مع عدم التمكن وهو الموسوم بالاشراك والا فالصادق منه لا يرى وجودا لسوى المحبوب ومن ثم طعن على من يرى الدنيا مثالا لمحبوبه او يظن وجوده ودونوا ما صدر عن بدأبا للسلوان ثم ندم فمن الطف ما قيل فى ذلك قول الهذلى

بجماع وقد لا يكون وقال بعض الادباء الظرفاء العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل المخصوص من شخص مخصوص وهذا ظريف * وقال الجنيد العشق ألفة رحمانية والهام شوق اوجبها كرم الله تعالى على كل ذى روح لتحصل به اللذة العظمى التى لا يقدر

على مثلها الا بمثلك الالفة وهى موجودة فى الانفس بقدر مراتبها عند ارباب فما أحد الا عاشق لامر يستدل به على قدر طبقته
من الخلق ولاجل ذلك كان اشرف المراتب ١٢ فى الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الاخرى مع
كونها مخبرا لهم عنها بصورة اللفظ
وقال الاصمعى سألت اعرابية عن
العشق فقالت جل والله عن ان
يرى وخفى عن ابصار الورى
فهو فى الصدور كامن ككمون
النار فى الحجر ان قدحته اورى
وان تركته توارى وقال بعضهم
الجنون فنون والعشق فن من
فنونه واحتج بقول قيس
قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم
العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه
وانما يصرع المجنون فى الحين
انى جننت فما اتوا من جنفت به
ان كان يتقى جنونى لا تلومونى
وقيل لابى زهير المدايني ما العشق
فقال الجنون والذل وهو داء أهل
الظرف وقيل لابى وائل الاوضاحى
ما تقول فى العشق فقال ان لم يكن
طرفا من الجنون فهو عصارة من
السحر وقالت اعرابية هو تحريك
الساكن وتسكين المتحرك وقال
المأمون ليحيى بن اكثم ما العشق
فقال سوانح تسنح للمرء فيهيم بها
قلبه وتؤثر بها نفسه فقال له
تمامة اسكت يا يحيى انما عليك
أن تجيب فى مسئلة طلاق أو
محرم صاد صيدا فاما هذه فمن
مسائلنا نحن فقال له المأمون قل
يا تمامة قال العشق جليس ممتع
وأليف مؤنس وصاحب ملاطف
وملك قاهر ملك مسالكه لطيفة
ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها
والعقول وآرائها قد أعطى عنان طاعتها وقوة تصرفها وقياد ملكها وتوارى عن الابصار مدخله وعمى عن القلوب

ويمنعنى من بعض اظهار ظلمها * اذا ظلمت يوما وان كان لى عذر
مخافة أنى قد علمت اذا بدا * لى الهجر منها ما على هجرها صبر
وانى لادرى اذا النفس اشرفت * على هجرها ما يبلغن بى الهجر

وقال ابن الجهم

نوب الزمان كثيرة واشدها * شمل تحكم فيه يوم فراق
يا قلب لم عرضت نفسك للهوى * اومارأيت مصارع العشاق

(فصل فى الترغيب فى العشق والحث عليه)

قيل ان بهرام جور لم يرزق سوى ولد فأخذ فى ترشيحه للملك وهو ساقط الهمة الى ان اتفق
المعلون من الحكماء وغيرهم على ان لا نافع له غير العشق فسلط عليه الجوارى يعبثن به الى
ان علق بواحدة منهن فأمرها الملك بالتجنى عليه وانها لا تطلب الا رفيع الهمة ذا رغبة
فى العلم والملك فكان بسبب ذلك من اجل ملوك الفرس واعلمها وفى المعنى قال ابن
الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذو والهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

(وقال بعضهم)

وما سرنى انى خلى من الهوى * ولو أن لى ما بين شرق الى غرب

وقال ابن أبى كثير لابن أبى الزرقاء هل عشقت حتى تكاتب وتراسل فقال لا قال لن تفلح
والله أبدا وأنشد الشعبى

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فانت وعير فى الفلاة سواء

وعجزه غيره فقال * فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا *

وانشد ابن معاذ

ولا خير فى الدنيا اذا انت لم تزر * خليلا ولم ينظر اليك حبيب

وقالت امرأة فيه أيضا

رأيت الهوى حلوا اذا اجتمع الشمل * ومرا على الهجران لا بل هو القتل
ومن لم يذق للهجر طعما فانه * اذا ذاق طعم الحب لم يدر ما الوصل
وقد ذقت طعميه على القرب والنوى * فأبعده قتلا وأقربه خبل

(فصل فى رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء وغيرهم فى ذلك)

قال بعضهم العشق مجهول لا يعرف ومعروف لا يجهل هزله جد وجده هزل وهذا
فى الحقيقة تعريف بالعوارض غير اللازمة واشارات الى اختلاف الحالات الكائنة
عنه فان الجهل يعترى العشاق عند تزايد الحب فيوجب الحيرة فى الامر وعكسه عند
انفصاله عن الخيلة والهزل مباديه والجد تمكنه ونحوه ما أجاب ابن اكثم به وقد سأله
المأمون ما العشق فقال سوانح للمرء تؤثرها النفس ويهيم بها القلب فقال له تمامة انما

مسلكه فقال له المأمون احسنت يا تمامة وأمر له بألف دينار وهذا القدر كاف فى معرفة العشق ورسمه *(الفصل الثانى
فى أسبابه وعلاماته)* أقول هذا الفصل عقدناه للكلام على اسباب العشق ١٣ النفسانية وعلاماته الجثمانية على

شائك ان تفتى فى مسئلة طلاق أو محرم فقال المأمون قل يا تمامة فقال العشق جليس
ممتع واليف مؤنس وصاحب ملاطف وملك قاهر مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة
وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها
والعقول وآرائها قد أعطى عنان طاعتها وقوة تصرفها وقياد ملكها وتوارى عن الابصار مدخله وعمى عن القلوب
وخفى فى مسلكه فقال له المأمون احسنت يا تمامة وأمر له بألف دينار * وفى رواية انه قال له اذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور
ساطع تستضئ به بواصر العقل ويتصور من ذلك اللواح نور خاص بالنفس متصل
بجواهرها يسمى عشقا قول وهذا تعريف له بحقائقه ومواده الذاتية والاول تعريف
بالعوارض والغايات وهذا بالحكمة اليق وايضاحه ان نور البصر يوصل ما يدركه الى
المشترك وهو الى الواهمة حتى يرتسم فى القوة العاقلة المعروفة بالنفس الناطقة فقوله
بوصل المشاكلة يريد ان النظر الواقع عن تأمل عارف بتأمل المحاسن ودقائق لطيف
الشمائل يوجب ارتسام انوار فى النفس تشبه الجواهر المجردة تزدوج بالنفس لاتحاد
بينهما فى اللطف والصفاء وهذا دليل على ان العشق لا يتصور من جاهل غليظ الطبع
ووصفه بعض البلغاء بانه فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخى كف البخيل وتصفى
ذهن الغبى وتطلق بالشعر لسان الابجم وتبعث حزم العاجز الضعيف وهو عزيز يذل له
عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية للادب وأول باب تفتق به الاذهان
والفطن ويستخرج به دقائق المكايد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن به فواتر
الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس اليفه وله سرور يجول فى النفوس وفرح
يسكن فى القلوب وقال سعيد بن سالم وقد قيل له ان ابنك شرع فى الرقيق من الشعر
فقال دعوه يتطف ويلطف ويظرف يعنى انه يطلع من رقيق الشعر على اسرار البلغاء
وليس ارق من الغزل ولا ادق لما فيه من تعلق العشق ومدح المحبوب وذلك يؤدى الى
ما ذكر فان العاشق اذا علم ما يقرب الى محبوبه بذل فيه امكانه والظرافة واللطافة
والنظافة اعظم مقرب فكأنه قال دعوه لعله يتصف بالعشق ولولا الجمل على ذلك لم يصلح
سوق هذا هنا لانه على ظاهره ترغيب فى مطلق الشعر فليتأمل ونقل ابن خلكان فى
ترجمة العلاف ما ملخصه ان العشق جرعة من حياض الموت وبقعة من رياض النكل
لكنه لا يكون الا عن اريحية فى الطبع ولطافة فى الشمائل وجود لا يتفق معه منع
وميل لا ينفع فيه عذل وفى معنى شدة العشق انشد المؤمل

شق المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر
يكفى المحبين فى الدنيا عذابهم * والله لا عذبتهم بعدها سقر

وعرفه ارسطو بانه جهل عارض صادف قلبا فارغا دق عن الافهام مسلكه وخفى عن
الابصار موضعه وحارت العقول فى كيفية تمكنه غير ابتداء حركته وعظم سلطانه من

ناظرا اليه أو كانت الكواكب المذكورة ناظرة فى أشكال محمودة او متقارنة فزحل يهيئ الفكرة والتمنى والطمع والهم
والهيجان والاحزان والوسوسة والجنون وعطارد يهيئ قول الشعر ونظم الرسائل والملق والخلاعة وتنميق الكلام والتذلل

والتلطف والزهرة تهيج العشق والوله والهيمان والرقة وتبعث فى النفس التلذذ بالنظر والمؤانسة بالحديث والمغازلة التى تبعث على الشبق والغلمة وتدعو الى الطرب وسماع الاغانى وماشابهه وقال بطليموس سببه ان تكون الشمس والقمر فى برج واحد اوتناظرين من تثليث اوتسديس فتى كان كذلك كانا مطبوعين على مودة كل واحد منهما لكون سعادتهما فى مولديهما فى برج واحد أو يتناظر السهمان من تثليث أوتسديس بعد ان يكون نظر صاحب سهم المحبة والصداقة فذلك يدل على ان هذين المولودين محبتهما من جهة المنفعة ومنفعتهما من جهة واحدة وأن أحدهما ينتفع بمودة صاحبه فتجلب المنفعة مابينهما المحبة والمودة ويمتزجان ويؤيد هذا قول الخبازرزى

ولكن أرواح المحبين تلتقى
اذا كانت الاجساد عنهن نوما
وأحسب روحينا من الاصل واحدا
ولكنه مابيننا متقسما
ولولم يكن هذا كذا ماتألمت
له مهجتى بالغيب لما تألما

ومن علاماته اغضاء المحب عند نظر محبوبه اليه ورميه بطرفه نحو الارض وذلك من مهابته له وحيائه منه وعظمته فى صدره ولهذا يستهين الملوك من يخاطبهم وهو يحد النظر اليهم بل يكون خافض الطرف الى الارض قال الله تعالى مخبرا عن كمال أدب نبيه صلى الله عليه وسلم فى ليلة الاسراء ما زاغ البصر وما طغى وهذا غاية الادب فان البصر لم يزغ يمينا ولا شمالا ولا طمح متجاوزا الى ماهو وراءه ومنها اضطراب يبدو للمحب عند رؤية من يشبه محبوبه أوعند سماع اسمه كما قيل

القلب ثم يتغشى على سائر الاعضاء فيبدى الرعدة فى الاطراف والصفرة فى الابدان واللجلجة فى الكلام والضعف فى الرأى والزلل والعثار حتى ينسب صاحبه الى الجنون زادت اعرابية يذهب العقل ويحمل الجسم ويهمل الدمع بجدده مرور الايام ولا تفقده بل لا تغيره اساءة المحبوب على الدوام ومن ثم قال الاصمعى وقد سأله الرشيد ما حقيقة العشق فقال انه شئ يستغرق القلب فى محاسن المحبوب ويذهله عن مساويه فيجد رائحة البصل من المحبوب اعظم من المسك والعنبر وتعاتب امرأتان من أهل المدينة فى الهوى فقالت احداهما تعذل الاخرى ذكروا فى الحكمة لا تلم من اساء بك الظن اذا جعلت نفسك غرضا للتهمة ومن لم يكن عونا على نفسه من خصمه لم يكن عند شئ من عقدة الرأى ومن قدم على الهوى وهو يعلم مافيه من المتعبة سلط على نفسه لسان العذل وضيع الحزم فقالت المعذولة ليس الهوى الى الرأى فيملكه ولا الى العقل فيدركه أما سمعت قول الشاعر

ليس خطب الهوى بخطب يسير * لا ينبئك عنه مثل خبير
ليس أمر الهوى يدبر بالرأ * ى ولا بالقياس والتفكير
انما الامر فى الهوى خطرات * محدثات الامور بعد الامور

وقيل هى لعلية بنت المهدى حكاه الصولى ووجد على صخرة العشق ملك عشوم مسلط ظلوم دانت له القلوب وانقادت له الالباب وخضعت له النفوس فالعقل اسيره والنظر رسوله واللحظ عامله والتفكر جاسوسه والشغف حاجبه والهيمان ناقبه بحر مستقر غامض وريح تياره طافح وفائض وهو دقيق المسلك عسير المخرج وضرب بعض الحكماء مثلا للشهوة والعشق فقال هما كالنحل يستميل القلوب بحلاوة عسله وربما قتل بسمه وذلك لان الانسان اما ذو عقل ملكى يتعقل الاشياء فينزجر او نفس شهوانية ترى اللذات فتنهمك ومن ثم اذا وقع عن صدق جعل المتحابين كنفس واحدة * حكى الغنوى قال دعيت الى عيادة مريض احبه آخر فدخلنا عليهما والمحب الصحيح يذب عنه فكان اذا شكا المريض شيأ شكا الآخر مثله فقدر ان قضى ونحن عنده فمال مفارقة نفسه فارق الصحيح نفسه ومثله ماحكاه فى ذيل الامالى عن التيمى ان اخوين من امرأة يقال لهما فضل وفضيل قضى احدهما فلما دفن طاط الآخر يتطره فما سوى عليه اللبن أنشد

سابكيك لا مستقصيا فيض عبرة * ولا مبتغ بالصبر عاقبة الصبر
ثم عاد فلزم المنزل حتى قضى من الغد

* (فصل فى بيان مراتبه وما ورد فى كيفية ترقيه حتى يستولى على الحواس النفسية ويستغرق القوى الحسية ويملك العقل والبدن ويورث الذل والمحن ويسهل الوقوع فى المهالك ويغرى على سلوك أوعر المسالك *)

اعلم انه الطف موجود نشأ فى الوجود كما حققناه وحيث هو كذلك فتعلقه لا بد وان يشاكله لاحتياج كل اثنين تألفا الى نسبة تأليفية ولا شبهة ان الروح ألطف ما فى البدن فلذلك كان العشق أول ما يتشبث بها فهذا دليل على انه يقابل الامراض كلها ومن ثم قال المعلم العشق نصف الامراض وشطر الاعراض وقسيم الاسقام وجل الآلام وهذا واضح لان الروح هى الجزء اللطيف والبدن الجزء الكثيف والامراض تبدأ بالبدن والعشق بالروح ولاشك ان سريان اللطيف فى اللطيف أسرع ملاكا وأعظم استقلاكا ويليه اللطيف فى الكثيف كالحمى فى البدن ثم الكثيف فى الكثيف كالفالج فيه فعلى هذا يتجه كلام المعلم بل أقول ان العشق غالب الامراض وليست بالنسبة اليه الا كالعشر الى الكل والقطرة الى البحر وبرهانه ان الامراض غالبا تخص البدن وانما اشتغال الروح حينئذ بالتدبير والافهى فى نفسها صحيحة واما العشق فعاقبته افساد البدن وتعطيل الفكر والحاق العقلاء باهل الجنون ثم مرتبته الثانية تتولد عن تكرار نظر أو سماع خطاب يتعقل له فى الذهن معنى يكون لحديد القلوب مغناطيسا جاذبا ولانظارها السفطة برهانا غالبا ويسمى حينئذ العشق الحسى وقال فيثاغورس لا يسمى حسيا الا اذا تولد عن مباشرة الحس وهذا عندى ليس بشرط وان اشترط ففى حق البلداء من الناس ومن فى حواسهم الباطنة ضعف والا فاحد الحاستين الاصليتين كاف فى ايصاله الى الحس المشترك ثم مرتبته الثالثة الخيالية وهى عبارة عن استيعابه التخيل حتى لم يبق للعاشق تخيل الا صورة المعشوق وان شارك الناس فى الامور الظاهرة كانت تلك المشاركة غير تامة وعلاماتها غلبة السهو ونقص الافعال والاحتياج الى محرك باعث ثم مرتبته الرابعة مرتبة الحفظ وهى الاستيلاء على الحفظ فتنصرف القوة عن تحصيل كل كمال والنظر الى كل جمال وهذا هو العشق الذى يرى صاحبه الميل الى سوى المحبوب اشراكا والفكر فى غيره ضياعا واشغال الزمان بما سواه فسادا وخروجا اليه اشار الفارضى بقوله

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردتى

فتعبيره بالسهو اشارة الى تقصى المراتب واستيفاء الشروط وكأنه يقول من المعلوم ان السهو لا يحدث الا من كثرة الواردات ولم يبق على قلبى وارادتى سواك فكيف اسهو ومن ثم اشار بعد ذلك الى طرح المراد وامانطة العلائق واتحاد الطالب مع المطلوب وعدم الاثنينية بقوله

وكل الذى ترضاه والموت دونه * به أنا راض والصبابة ارضت

بعد ان كان قبل الوصول الى هذه المرتبة قد أثبت لنفسه مرادا حيث قال

وعيدك لى وعد وهجرك منى * ولى بغير البعد ان يرم يثبت

ثم الخامسة مرتبة الاستغراق وهى استيلاء الاشتغال بالمحبوب على النفس الناطقة ومنها الانبساط الكثير الزائد والتضايق فى المكان الواسع والمحاربة على الشئ يأخذه أحدهما وكثرة الغمز الخفى والميل والتعمد للمس اليد عند المحادثة ولمس ما أمكن من الاعضاء الظاهرة وشرب ما أبقى المحبوب فى الاناء قلت ومنها تقبيل

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج أشجان الفؤاد وما يدرى

اعلم

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * أطار بليلى طائرا كان فى صدرى دعا باسم ليلى اسخن الله عينه * وليلى بأرض الشام فى بلد قفر

ومنها انه يستدعى سماع اسم محبوبه ويستلذ الكلام فى أخباره ويحب آهل محبوبه وقرابته وغلمانه وجيرانه ومن ساكنه كما قال الشاعر

فيا ساكنى أكناف دجلة كلكم
الى القلب من أجل الحبيب حبيب

وقال آخر

أحب لحبها السودان حتى
أحب لحبها سود الكلاب

ومنها كثرة غيرته عليه ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاه والانصات لحديثه اذا حدث واستغراب كل ما يأتى به ولو انه عين المحال وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم والشهادة له وان جار واتباعه كيف يسلك والاسراع بالسير نحو المكان الذى يكون فيه والتعمد للقعود بقربه والدنو منه واطراح الاشغال الشاغلة عنه والزهد فيها والرغبة عنها والاستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقته والتباطى فى المشى عند القيام عنه وجوده بكل ما يقدر عليه مما كان يتمتع به قبل ذلك حتى كأنه هو الموهوب له وهذا قبل استعار نار الحب فاذا تمكن اعرض عن ذلك كله وبذله سؤالا وتضرعا كأنه يأخذه من المحبوب حتى انه يبذل نفسه دون محبوبه كما كانت الصحابة يفدون النبى صلى الله عليه وسلم فى الحرب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله كما قيل

يفديك بالنفس صب لو يكون له
أعز من نفسه شئ فدا لك به

نعله فى غيبته وقد رأيت من فعل هذا فعنفته على ذلك فقال اسكت يا فلان ما تعلم ما فى هذا من اللذة ثم انى وجدت هذا

المذكور بمكة وأرسل معى كتابا الى محبوبه ١٦ المذكور لانه جاور فقلت له كيف أمكن الصبر يا يزيد عن عمرو فأنشد

ولله منى جانب لا أضيعه

وللهوى منى والخلاعة جانب

ومنها تقبيل جدار الدار كما قيل

أمر على الديار ديار ليلى

أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبى

ولكن حب من سكن الديارا

ومنها الاتفاق الواقع بين المحب والمحبوب ولا سيما اذا كانت المحبة محببة مشاكلة ومناسبة فكثيرا ما يتكلم المحبوب بكلام أو يريد أن يتكلم به فيتكلم المحب به بعينه وكثيرا ما يمرض المحب بمرض محبوبه قلت وقد اتفق هذا غير مرة للسلطان الملك الناصر أحمد لما كان بالكرك مع محبوبه الشهيب فانه كان يمرض لمرضه ويصح لصحته أخبرنى بذلك من لا ارتاب فى قوله ممن كان فى خدمته ملازما له واما وقوع ذلك للمتقدمين فكثير فمن ذلك ما حكى عن أبى نواس انه مرض فدخل عليه بعض أصحابه يعودونه فوجد وابه خفة قال فانبسط معنا وقال من أين جئتم فقلنا من عند عنان جارية الناطفى فقال اوكانت عليلة قلنا نعم وقد عوفيت الآن فقال والله لقد أفكرت على حتى هذه ولم اعرف لها سببا غير انى توهمت ان ذلك لعلة نالت بعض من أحب ولقد وجدت فى يومى هذا راحة ففرحت طمعا ان يكون الله عافاه منها قبلى ثم دعا بدواة وكتب الى عنان انى حممت ولم أشعر بحمالك * حتى تحدث عوادى بشكوالك الماهية

فقلت ما كانت الحمى لتطرقنى * من غير ماسبب الا بحمالك وخصلة كنت فيها غير متهم * عافانى الله منها حين عافالك

لأسرها وارتسام صورة المحبوب فى مرآة العاقلة وحدها مع محو ماسواها والى ذلك أشار العارف المذكور بقوله

ولا غرو ان صلى الانام الى أن * ثوت بفؤادى فهى قبلة قبلتى

وقوله * ووجدى بها ما حى والفقد مثبتى *

يعنى ان وجدى الصحيح بالمحبوبة محانى أى صورتى التى كانت مع العالم الدنيوى فكأن فقدى لها هو الذى اثبتنى وهذه المرتبة على الاصح من كلام كثير هى أول المراتب التى يقع بلوغها اليأس من الانتفاع بالعلاج الذى ذكرته الاطباء كالنظر فى الحساب والمحاورات وتذكر مساوى المحبوب والنظر الى أمثاله وما يقاربه الى غير ذلك مما هو مقرر فى مواضعه السادسة مرتبة الانقلاب وهى مرتبة ينقلب فيها ادراك العاشق فى سائر آلاته فيصير اذا مس الحجر أو ذاق الصبر أو سمع الايذاء اورأى شيأ كالجيفة أو شم رائحتها فضلا عن اضداد ذلك يعتقده المحبوب وربما تجرد عن صورته فشاهدها المحبوب واليه أشار بقوله

فلم تهونى مالم تكن فى فانيا * ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى

وهذه المرتبة مع العناية والاخلاص تنقلب قدسية اذا كانت النفس الناطقة قبل ذلك قد تخلصت بالكمالات عن البهيمية والالحقت صاحبها بالحيوانات وعنها عبرت الاطباء بالمانيا والسرسام والسهر السباتى والماليخوليا * والسابعة مرتبة العدم الكلى والمفارقة الابدية وهى التى اذا بلغتها النفس لم تستقر فى البدن وربما كانت مفارقتها بتذكر اوسماع ذكر اوتنفس صعداء اوامر من المحبوب وحاصلها ان يصير الموت اعظم امنية للنفس كما أشار اليه بقوله

فموتى بهما وجدا حياة هنيئة * وان لم أمت فى الحب عشت بغصتى

وقد صرت ارجو ما يخاف فاسعدى * بروح ميت للحياة استعدت

الى غير ذلك مما لو منح الله تعالى شخصا مددا يستغرق المدد وحياة تستفرغ الابد وفراغا يذر الشواغل سدى وفجوات قدسية تصقل مرآة عقله لقبوله الفيض أبدا وافرغ ذلك كله فى تحرير ما اودعه عارف الزمان وسلطان الافاق وفرد دائرة الاكوان وجامع فضائل العشاق سيدى عمر بن الفارض اعاد الله علينا وعلى المسلمين من فواضل بركاته وفضائل نفحاته من مراتب العشق وادواره وتنقلاته واطواره لضنى الزمان ولم يدرك معشاره وبادت الاكوان ولم يعرف قراره ولو لا ضيق هذا المختصر لاوضحت لك من بعض عجائب تدقيقاته فى اقل أبياته وكلماته ما يدعك فى حيرة الفكر وبحار التعجب غارقا ويسكتك وان كنت مصقاعا ناطقا ومن ثم قيل المحبوب خير من الحياة والمكروه بالطبع شر من الموت لتمنى كل عند حصول ذلك أما ما نقل عنه فى بيان مراتبه خصوصا ما ذكره هنا فليس بالجيد اذ البعض دال على الاسماء والبعض على

حتى اذا اتفقت نفسى ونفسك فى * هذا وذاك وفى هذا وفى ذاك ومنها انه اذا سئل عن أمر اجاب بخلافه وكثرة التثاؤب

والقطى والتكسل اذا نظر الى محبوبه ونكته فى الارض بابهام رجله ١٧ وهذا كثيرا ما يقع للنساء وعضها

على شفتها السفلى وضربها على عضديها اوتديبها واظهار محاسنها لمن تهواه توهمه انها ترى ذلك لبعض اهلها وتظرها الى اعطافها ووضعها الحديث فى غير موضعه (اياك اعنى واسمعى ياجاره) ومنها الانقياد للمحبوب فى جميع ما يختاره من خير وشر فان كان المحبوب مشغوفا بالعلم اجتهد المحب فى طلبه اشد من اجتهاده وان كان مشغوفا بالنوادر والحكايات الحسان والاخبار المليحة المستحسنة بالغ المحب فى طلبها وحفظها وان كان مشغوفا بحرفة أو صناعة اجتهد فى تعلمها ان امكنه ذلك فالمحبة النافعة ان يقع الانسان على عشق كامل يحمله عشقه على طلب الكمال والبلية كل البلية ان يبتلى الانسان بمحبة فارغ بطال صفر من كل خير فيحمله حبه على التشبه به * وفى اخبار العشاق ان عاشقا عشق السراويلات من اجل سراويل معشوقته فوجد فى تركته اثنا عشر حملا وفردة من السراويلات ذكره الصيمرى وعشق آخر الهاونات من أجل صوت هاون محبوبته فوجد فى تركته عشرة آلاف منها وقد وقفت من هذا على أشياء كثيرة والجنون فنون

(الفصل الثالث فى مراتبه واسمائه)

اقول هذا الفصل عقدناه لذكر

المراتب والبعض على السبب فلم يحققه غيرنا احد فاحفظ مقادير ما ظفرت به وها انا ابين لك عدم انطباق ما ذكروه على المطلوب قال ابن صاعد فى طبقات الامم عن فيثاغورس صاحب سليمان نبى الله عليه السلام العشق طمع يتولد فى القلب يعنى عن النظر ثم يغور ويحدث اللجاج والاحتراق حتى ان الدم يهرب عند ذكر المحبوب وقد يموت من شهقة او برؤية المحبوب بغتة وربما اختنقت الروح من نحو ذلك فدفن ولم يمت وفى سيرة الاسكندر أن هذا الابقراط زاد القيسى فى كتاب امتزاج النفوس عن جالينوس ان العشق من فعل النفس وذلك كامن فى الاعضاء الرئيسة فتى تمكن افسدها وهذا كله اشارة الى المراتب اجمالا وفى كتاب المتيمين نظر رجل الى معشوقته ففشى عليه فقال حكيم انه من انفراج قلبه اضطرب جسمه فقيل له ما بالنا لا نكون كذلك عند النظر الى اهلنا فقال محبة الاهل قلبية وهذه روحانية فهى ادق والطف واعظم سريانا وفعلا وقال افلاطون العشق غريزة تتولد عن الطمع زاد المعلم وهو يحدث عمى القلب عن عيوب المعشوق وبه جاءت السنة حيث قال حبك للشئ يعمى ويصم رواه أبو داود واحمد

وانشد فيه

فلست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راقيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

ورأيت فى نسخة * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا * وهى البق بتحسين الكلام لما فيها من المقابلة وفى اخرى * ولا بعض ما فيه وان كنت راثيا * وهذا أليق بالمقام والطف واحسن دلالة على المقصود لما فيه من دفع التوهم من كونه ضعيف النظر فانه يقول لا ارى له عيبا مع انى صحيح النظر فهذا على حد قوله

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

وقال السكرى وابن أبى طاهر فى المنثور والمنظوم وابو عبيد البكرى فى كتابه اللآلى فى شرح الامالى ان البيتين لجرير بن الخطفى وقال السمعانى هما العلى والاول اصح قال الحاتمى وقد سرق ابن عبد الاعلى هذا المعنى حيث قال

وعين السخط تبصر كل عيب * وعين الرضا عن ذاك تعمى

واما الشيخ فقد حده بانه مرض يشبه الماليخوليا تولده الفكر فمن استحسان الصور والشمائل ولا يشترط اقترانه بشهوة جماع وقالت اعرابية العشق جل ان يرى وخفى عن الورى فهو كامن فى الصدور كالنار فى الحجر ان قدح اورى وان ترك توارى وهذا حده بحقيقته فى النفس ويؤيد عدم اشتراط الشهوة فيه والحسن قول بعضهم

وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شئ به الروح تكلف

وعلامة ما يكون منه عن شهوة فقط زواله اذا زالت لانه عرض واما الكائن عن مشاكلة فى النفس وارتسام فى الذهن فحد لا يزول ومتى صح ارتسم عند كل من المتحابين ما عند

مراتب الحب وسياقه واسمائه واشتقاقه على اختلاف لغاته واتفاق رواته ومن المعلوم ان الشئ اذا كان عند العرب عظيما وخطره جسيما كالهزبر والرمح والخمر والسيف والداهيه والمحبة المحرقة وما أدراك ما هيه

وضعوا له اسماء كثيرة وكانت عنايتهم به شهيرة ولاشئ يعتدل اعتناءهم بالحب الذى يسلب اللب فأول مراتبه
الهوى وهو ميل النفس وقد يطلق ١٨ ويراد به نفس المحبوب قال الشاعر ان التى زعمت فؤادك ملها *
خلقت هواك كما خلقت هوى لها
ثم العلاقة وهى الحب اللازم للقلب
كما قال الشاعر
ولقد اردت الصبر عنك فعافنى
علق بقلبى من هواك قديم
وسميت علاقة لتعلق القلب
بالمحبوب ثم الكلف وهو شدة الحب
واصله من الكلفة وهى المشقة
يقال كلفه تكليفا اذا أمره بما
يشق عليه فكان الحبيب يكلف
المحب ما لا يطيق ويتغافل عن
قوله تعالى لا يكلف الله نفسا
الا وسعها وقيل هو مأخوذ من
الاثر وهو شئ يعلو الوجه كالسمسم
والكلف أيضا لون بين السواد
والحمرة وهى حمرة كدرة ثم العشق
وهو اسم لما فضل عن المقدار الذى
اسمه الحب وفى الصحاح العشق
فرط الحب وهو عند الاطباء من
جملة انواع المالیخولیا والمراد
بالمالیخولیا تغير الظنون والفكر
عن المجرى الطبيعى الى الفساد
وهو أمر هذه الاسماء وقلما نطقت
به العرب وكانهم ستروا اسمه
وكنوا عنه بهذه الاسماء فلم
يكادوا يفصحون به ولا تكاد تجده
فى شعرهم القديم وانما اولع به
المتأخرون ولم يقع هذا اللفظ
فى القرآن ولا فى السنة الا فى
حديث ابن داود الظاهرى كما يأتى
بيانه وقال ابن سيده العشق عجب
المحب بالمحبوب يكون فى عفاف
الحب وذعارته وقيل العشق الاسم والعشق المصدر وعشق فى كثير العشق وامرأة عاشق وشجرة يقال لها
عاشقة تخضر ثم تندق وتصفر قال الزجاجى واشتقاق العاشق من ذلك وقال الفراء العشق نبت لزج فسمى العشق الذى يكون

الآخر اصفاء جوهر النفس وخلوها للمحبوب وقد تكون العوارض المذكورة سببا
لانقلابه الى الحد الاصلى كما تجده واما المحو الرسيس والحب وغيرهما فاسماء اقترحتها
الشعراء للتغزل والتشبيب لا تنطبق فى الحقيقة على ماذكرنا لكن ربما كان لبعض
منها مسيس مناسبة فالرسيس من الرس وهو الثبات ورسوخ صورة المحبوب فى النفس
وزعموا انه اول المراتب ولا ينطبق على المعنى اللغوى ويليه الحب وهو فى الحقيقة اول
الالفة واشتق من حبة القلب اومن حباب الماء اومن حب البعير اذا برك اومن حبب
الاسنان وهو بياضها وحدت المحبة بالميل الدائم بالقلب الهائم اوقيام المحبوب بما
يحب وعدم مشاركة شئ معه وفيه انشد المتنبى

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

وانشد بعضهم

ومن عجب انى احن اليهم * واسأل عنهم من لقيت وهم معى
وتطلبهم عينى وهم فى سوادها * ويشتاقهم قلبى وهم بين اضلعى

والطف منه قوله

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فاين تغيب

والحب اخص من العشق لانه عن اول نظرة واقصاه امتزاج الارواح والرأفة اشد
لانها مبالغة فى الرحمة قال الحرانى هى ارق الرحمة والرحمة اعم لوقوعها على غير ذى صلة
بخلاف الرأفة ويقرب من الحب الود أو خالصه فيكون من الحب كالرأفة من الرحمة
وفى معناه المقة والتتيم حالة يتلبها المعشوق العاشق فاذا زاد فهو الوله اعنى الخروج عن
حد الترتيب وانشد فى المعنى

الحب اوله ميل يهيم به * قلب المحب فيلقى الموت كاللعب
يكون مبدؤه من نظرة عرضت * اومزحة اشعلت فى القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قدحة فاذا * تضرمت احرقت مستجمع الحطب

(وانشدا يضا)

ثلاثة احباب فحب علاقة * كذا حب تملاق وحب هو القتل

والشجو هو الحزن والطرب أيضا ضده ويطلق على القهر والغلبة وهو هنا عشق يقترن
بالهم كما فى ديوان الصبابة والخلة هى تمام المحبة سواء كانت بلاعلة وهى الصداقة
او بها وهى فرط العشق الذى لا يخالطه غيره اخذت من الخلو أو التخلى فكان القلب لما
تخلى للمحبوب دون غيره اتصف بها والعلاقة وهى فى الصحيح اسم لمبادى المحبة اخذت
من علق بالتحريك اى حب وكصحاب الهوى وبهاء ويجوز أن يراد بها شدة اختلاط
القلب بالحب ويقرب منها الغرام وهو أشد لانه ولع واشتغال بالحب والهوى مطلق الميل
والارادة ويطلق على ذهاب العقل فى العشق وعلى نقص المحبوبة واما العشق فاعم منها

بالانسان للزوجته واصوقه بالقلب وقال ابن الاعرابى العاشقة اللبلابة تخضر وتصفر وتعلق بالذى يليها من الشجر فاشتق من
ذلك العاشق ذكره فى ديوان العاشقين والعشيق يكون للفاعل والمفعول وجمع العاشق عشق وعشاق
ويقال فى المرأة عاشقة وامرأة
عاشق ايضا وقد تقدم ذكر ذلك
والله اعلم ثم الشغف قال العزيزى
فى غريب القرآن شغفها حبا
اصاب حبه شغاف قلبها والشغاف
غلاف القلب ويقال هو حبة
القلب وهى علقة سوداء فى صميمه
وشعفها حبا ارتفع حبه الى اعلى
موضع فى قلبها مشتق من شعاف
الجبال أى رؤسها وقولهم فلان
مشغوف بفلانة أى ذهب به الحب
اقصى المذاهب واما الشعف
بالعين المهملة فهو احراق الحب
القلب قال فى الصحاح شعفه الحب
اى احرق قلبه وقد قرئ بهما
جميعا شغفها حبا وشعفها وكذلك
اللوعة واللاعج اعنى مثل الشغف
فى الاحراق فاللاعج اسم فاعل
من قولهم لجمه الضرب اذا آلمه
واحرق جلده ويقال هوى لاعج
لحرقة الفؤاد من الحب وفى
الصحاح لوعة الحب حرقته فهذا
هو الهوى المحرق ثم الجوى وهو
الهوى الباطن وفى الصحاح
الجوى الحرقة وشدة الوجد من
عشق أو حزن ثم التتيم وهو أن
يستعبده الحب ومنه سمى تيم الله
اى عبد الله ومنه قيل رجل متيم
ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى
ومنه رجل متبول وفى الصحاح
تبلهم الدهر واتبلهم اذا افناهم
ثم التدله وهو ذهاب العقل من

وقيل اخص وهو اعجاب بالحب أو افراط فيه واخذ من العاشقة وهى شجرة تعلق وتلصق
بما يليها وهى اللبلاب ومن ثم تسميه العامة عاشق الشجر والغمرة سكر القلب بتذكار
الحب واشتغاله به والشغف شدته مأخوذ من شغاف القلب اى غلافه او سويدائه
وبالمهملة رأس القلب مما يلى باطنه ويؤنث كأن النوع من الحب المجعول هذا الاسم
علما عليه قد بلغ هذا المحل والمراد من القلب هنا أمر معنوى فى الانسان لا الشكل
المعلوم وعنه ينتج الوله ثم الهيام واما الاستكانة فالخضوع او شوق ينزع النفس من
البدن الى لقاء الحب ومن ثم قد يقتل عند الرؤية والشوق ارفع وهل يزيده الوصل
او ينقصه خلاف واستدل للاول بقول الشاعر

واعظم ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام

وللثانى بقوله

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

والاصح انه ان كان لمجرد شهوة تنقص بقضائها بل ربما عدم والابان كان كلفا لا تكلفا
وطبعا لا تطبعا وميلا نفسانيا أنشأته المشاكلة فلا يزيده الوصل الا رسوخا على انه
لا دليل فى الثانى على الدعوى لعدم ذكر الشوق فى الشعر لانه ذكر استقرار النوى وهو
البعد الذى هو اعم فيجوز تفسيره بفرد غير الشوق على ان المحققين اجمعوا على ان الشوق
حال الغيبة يغاير الشوق حال الحضور كما أنشد ابن الرومى فى ذلك

اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدانى
وألثم فاها كى تزول صبابتى * فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله * سوى ان ترى الروحين يمتزجان

واما الصبوة فلا تطلق حقيقة الا على الميل والافتتان الواقعين زمن الصبا لكن تطلق
تجوزا على مطلق الميل للمشابهة والنزوع والاشتياق كالصبابة او هى رقة وحرارة
فى الشوق والوجد شدتها والكلف الاستغراق والاشتغال وبالكسر العاشق نفسه
والشجن الهم والكرب تحمل النفس كل مشقة متعلقها الحب والكآبة شدة الحزن
كالتفجع او هو توجع وبكاء على الفقد والبرح والغل شدة العشق او الغل من الغلل
يعنى العطش والجامع ميل النفس والحنين شوق ممزوج برقة وكلف وتذكر يهيج الباعثة
والبلبال شدة الشوق والجوى ضيق الصدر وكتم الهوى والارق والسهد شدة السهر
وتواتر احوال المحبوب على القلب وفى معناه التحرق واللذع والولع وكذا اللوعة واللاعج
واما الوصب والنصب فلوعة مع مرض وغم وكذا الكمد والدنف شدته قيل مع صفرة
او الكمد تغير الى سواد والدنف الى صفرة وهو مولد والتبل والخبل الجنون وهذا
فى الاصح آخر المراتب والجزع عدم الصبر على الفرقة والهلع اشده والدله بالمهملة
احتراق القلب بنار الحب والخلابة سلب العقل والهيام مجرد الحب أو هو السياحة فيه

الهوى ويقال دلهه الحب اى حيره ثم الهيام وهو ان يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم والهيام بالكسر
الابل العطاش وقوم هيم اى عطاش والصبابة رقة الشوق وحرارته والمقة المحبة والوامق المحب والوجد الحب الذى يتبعه

الحزن واكثر ما يستعمل في الحزن والدنف لا تكاد تستعمله العرب في الحب وانما ولع به المتأخرون وانما استعملته العرب
في المرض والشجو حب يتبعه هم ٢٠ وحزن والشوق سفر القلب الى المحبوب قال في الصحاح الشوق والاشتياق
نزاع النفس الى الشئ وقد جاء
في السنة واسألك النظر الى وجهك
الكريم والشوق الى لقائك
واختلف في الشوق هل يزول
بالوصال او يزيد فقالت طائفة
يزول لانه سفر القلب الى المحبوب
فاذا وصل اليه انتهى السفر
فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر
وقالت طائفة بل يزيد واستدلوا
بقول الشاعر
واعظم ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الخيام من الخيام
قالوا الان الشوق هو حرقة المحبة
والتهاب نارها في قلب المحب
وذلك مما يزيده القرب والمواصلة
والصواب ان الشوق الحادث
عند اللقاء والمواصلة غير النوع
الذي كان عند الغيبة عن المحب
قال ابن الرومي
اعانقها والنفس بعد مشوقة
اليها وهل بعد العناق تداني
وألثم فاها كي تزول صبابتي
فيشتد ما ألقى من الهيمان
كان فؤادي ليس يشفي غليله
سوى ان ترى الروحين يمتزجان
والبلبال الهم ووسواس الصدر
والبلابل جمع بلبلة يقال بلابل
الشوق وهي وساوسه والتباريح
الشدائد والدواهي يقال برح
به الحب والشوق اذا اصابه منه
البرح وهو الشدة والغمرة
ما يغمر القلب من حب او حزن او غفلة والشجن الحاجة حيث كانت وحاجة المحب اشد الى
محبوبه وقال الراجز
اني سأبدي لك فيما ابدي * لي شجنان شجن بنجد * وشجن لي ببلاد السند

والبله حق او غفلة فيكون هنا استغراقا في الحب فهذه حقيقة اسمائه التي جعلها
مراتبه وليست الا باعتبار صفة او اول او تسمية جزء او سبب بكل او مسبب وعكس ذلك
وانما المراتب ما قررناه وفي ترتيب هذه الاسماء خلاف يرد على من التزم ترتيبها ونحن قد
اوضحنا نفس المعاني ومنها يسهل الترتيب والتنزيل على المراتب فتأمله

(فصل فيما ذكر له من العلامات)

وهي احوال يتصف بها البدن كتغير الالوان والعينين وتواتر النبض والخفقان وربما
ازدادت هذه عند رؤية المحبوب او سماع ذكره حتى انها قد تقضي بالهلاك وكذا
اعتقال اللسان واحوال يتصف بها الفكر كفساد الذهن والتعقل وقد مر ثم هذه قد
يستدل عليها بالتطور والتنقل (قيل) أتى بشاب الى طبيب فلما تأمله لم يجد به ألما فقال
وهو قابض على نبضه لغلامه قد أخذني البرد فأتني بالفرجية فتغير نبض الشاب تحت يده
فقال لامه ان هذا عاشق امرأة اسمها فرجية فقال وهو كذلك وانشد

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج اشواق الفؤاد ومايدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائرا كان في صدري

وفي معناه محبة كل ما ينسب الى المحبوب حتى الجدار وفيه قيل

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

وأبلغ من ذلك هجر ما كان عليه زمن الوصل زمن الفرقة من نحو ملبس ومأكل
والاستلذاذ بتقبيل النعل قال ابن أبي جمرة وقد رأيت من فعل ذلك وعنفته فادعى في ذلك
لذة عظيمة فقلت له بعدها وقد رأيته بمكة كيف تصبر على ما اعلم فيك فانشد يقول

وقد مني جانب لا اضيعه * وللهوى مني والخلاعة جانب

(اقول) وفيه تطرف عظيم حيث جعل حصة الله منه نصفا وعدد المقابل وهو دليل مزيد
الاشتغال بالله حيث لم يجعل المقاسم واحدا خصوصا واللهو في شعره اعم من ان يكون
بالمحبوب او غيره واما التشبيه بالمحبوب في سائر الافعال والاقوال والميل الى ما يحبه
والاستلذاذ باستعمال ما كان من اثره فامر معلوم لا يجهل ومطلوب بين العشاق حتى
قيل ان شخصا وجد في تركته اثنا عشر حملا وفرد قمن السراويل لكونه رأى ميل
محبوبه اليها وآخر الف هاون لسماع صوت هاون محبوبته واما اتحاد الاجساد والمرض
حيث يمرض الآخر فكثير قيل مرض ابو نواس ولم يعلم سبب مرضه حتى عاده شخص
فاخبره بمرض عنان جارية الناطفي وانها اشترطت فكتب اليها

اني حميت ولم أشعر بحماك * حتى تحدث عوادي بشكواك
فقلت ما كانت الحمى لتطرقني * من غير ما سبب الا لحماك
وخصلة كنت فيها غير متهم * عافاني الله منها حيز عافاك

وقال آخر تحمل أصحابي ولم يجدوا وجدي * وللناس اشجان ولي شجن وحدي
اصل الوصب المرض والكمد الحزن المكتوم والكمد تغير اللون ٢١ والوصب الم الحب ومرضه فان
والارق السهر وهو من لوازم المحبة
والجنين الشوق والجنون اصل
مادته الستر والحب المفرط يستر
العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه
ولا ما يضره فهو شعبة من الجنون
ومن الحب ما يكون جنونا والود
خالص الحب واللطفه وارقه وهو
من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة
والخلة توحيد المحبة فالخليل هو
الذي يوحد حبه لمحبوبه وهي مرتبة
لا تقبل المشاركة ولهذا اختص
بها من العالم الخليلان ابراهيم
ومحمد صلوات الله عليهما كما قال
واتخذ الله ابراهيم خليلا وصح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ
ابراهيم خليلا وفي الصحيح عنه
لو كنت متخذا من أهل الارض
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا
وقيل انما سميت خلة لتخلل
المحبة جميع اجزاء الروح
قال الشاعر
قد تخللت موضع الروح مني
وبذا سمي الخليل خليلا
وزعم من لا علم عنده ان الحبيب
افضل من الخليل وقال محمد
حبيب الله وابراهيم خليل الله وهذا
الزعم باطل لان الخلة خاصة وهي
توحيد المحبة كما تقدم والمحبة عامة
قال الله تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين وقد صح ان الله
تعالى اتخذ نبينا خليلا فحصل من
انعام الحب العام على الخاص

حتى قد اتفقت نفسي ونفسك في * هذا وذاك وفي هذا وفي ذاك
وفي معناه انشد
وقف الهوى بي حيث انت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم
اجد الملامة في هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمني اللوم
ويقرب من هذا قول الشافعي
مرض الحبيب فعدته * فمرضت من حذري عليه
وأتى الحبيب يعودني * فبرئت من نظري اليه

اذا تقرر هذا فليكن الاخف منه كالغيرة وبذل النفس وترك ماسوى المحبوب بالطريق
الاولى وكذا تطايرها كاستحلاء ما يتعلق به من نحو حديث وملبوس ورؤية ما ينسب
اليه وبقوله حسنا صحيحا وان كان بالخلاف ولم ينسب نحو هذا الى المبالغة عند العشاق
للاتيان باعظم منه كما سمعت (قال الزراع) ودع هندي جارية كان يهواها فذرفت احدى
عينيه فغمض الاخرى عن الملاذ عقوبة لها اربعا وستين سنة حتى مات * واما حصول
العشق برؤية في النوم او بالاثر او بالسماع او بالكلام او الوصف او اللمس او باول
نظرة او بالمطاولة والمعاشرة وزيادته بالبعد لقوم والقرب لآخرين فبحسب الامزجة
وقد اسلفت في طالعة الكتاب تفصيل ذلك وقبول المزاج سرعة الانتقاش والفرق بين
لطافة المزاج وكثافته ونحو ذلك مما ينبئك على تعليل هذا فليراجع وقد ظهر
لي في ذلك أن الناس اما ناظرون بلا حجب اوبها اما من العاشق والمعشوق معا او من
احدهما فقط وتختلف الحجب لطفا وصفاء وعكسهما فهذه اسباب الاختلاف وان
كانت لاهل الحقيقة بالذات

(الباب الاول فيمن استشهد من المحبين شوقا الى حضرة رب العالمين)

لما كان غاية المحبة اما وصولا الى المطلوبات الدنيوية او الاخروية ومبدؤها من الحواس
الظاهرة غالبا او الباطنة ومطالبها العالية ومقاصدها الذاتية اما اشتغال عن الحق
بخيالات وهمية تنتقش في العقل من الخلق او ميل نفسي الى المبدع باستيحاش ممن
سواه لاجرم قسمت المحبة قسمين اشرفهما متعلقا التوابي وهو الحب في الله لانه لا يفنى
متعلقه ولا تكيف غايته ولا يفضله شئ في الحقيقة اذ ما سواه اوهام تضمحل وتزول
واعراض تفنى وتحول ولا شبهة في ان ادخار ما لا يتطرق اليه تغير ولا فناء اولى
في الحكمة عند العقلاء فلذلك صدرت به الابواب ومدار ما يذكر هنا في الاصل على ذكر
من انفق نفسه في طاعة ربه واكثر اغترافه من الحلية لابي نعيم اذا تقرر هذا فحد المحبة
كما قال الحصري وصول الى مقام الانس والنعمة باطنا والوحشة والبلاء ظاهرا بشرط
الاشراف على الغيوب وفناء الكل في بقاء المحبوب وهذا تعريف لها بحسب الغاية
الخاصة وكان عليه ان يورد التعريف التام العام اولا ثم يفصل وقال الاستاذ ابو يزيد

والعلم حلت بهذا حله ثم حله * جد فاطناب الوادي كلاهما والغرام الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب وقد لزمه
الحب وفي الصحاح الغرام الولوع والغريم الذي يكون عليه الدين وقد يكون الذي له الدين قال كثير

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها والولد ذهاب العقل والتصير من شدة الوجد وله اسماء آخر غير هذه

اضربت عنها خوف الاطالة والمحبة ٢٢ أم باب هذه الاسماء كلها وقيل الشوق جنس والمحبة نوع منه

الا ترى ان كل محبة شوق وليس كل شوق محبة وخالف ذلك صاحب المنظوم والمنثور فقال زعموا ان العشق والوجد والهوى ان يهوى الشئ فيتبعه غيا كان اورشدا والحب حرف تنتظم هذه الثلاثة فيه وقد يقال للعاشق والواجد والذى يهوى الامر محب وللناس فى حد المحبة كلام كثير فقيل هى الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل هى قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك وقيل ذكر المحبوب على عدد الانفاس كما قال المتنبى

يراد من القلب نسيانكم
وتأبى الطباع على الناقل

وقيل هى مصاحبة المحبوب على الدوام كما قيل

ومن عجب انى احن اليهم
واسأل عنهم من لقيت وهم معى
وتطلبهم عينى وهم فى سوادها
ويشتاقهم قلبى وهم بين اضلعى

وقيل هى حضور المحبوب عند المحب دائما كما قال الآخر

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى
ومثواك فى قلبى فاين تغيب

وفى اشتقاقها ايضا اقوال فقيل هى مشتقة من حبة القلب وهى سويداؤه ويقال ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب وقيل هى مشتقة من اللزوم والثبات ومنه احب البعير اذا برك فلم يقم وقيل من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه او ما يعلو الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وقيل من حب الماء الذى يوضع فيه لانه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع غيره اذا امتلأ به كذلك اذا امتلأ القلب من الحب فلا اتساع

البسطامى هى استهلاك النفسانية مع بقاء الروحانية وهذا عندى قريب من الاول غير ان بعض شراح النصوص قال ان فيه تعريضا بالمادة واظنه اخذ ذلك من قوله استهلاك وفيه تكلف ونقل الحمدين البحرانى فى شرح التائية على قول الاستاذ فقالت هوى غيرى قصدت واقربهما واحسن منهما ما نقل عن شيخ الطريقة الجنيد رضى الله عنه وقد سئل ما المحبة فقال هى الصفاء فى الباطن مع حقائق الحق والوفاء فى الظاهر مع استعمال دقائق الشرع فهذا والله هو الحد التام وان كان الى الخاص اميل فان قوله الصفاء فى الباطن يريد به الخلوة الحقيقية التى هى قفل ابواب الحواس عن ممارسة الخلق ونشر القلب بالاستكانة والخضوع على اعتاب الحق ونفى الكدورات الحسية عن الحواس النفسية لالحاقها بالحضرة القدسية وذلك غير تام قبل نفى العوائق وقطع العلائق والخروج من شوائب الخلائق ليتحقق الصفاء والتخلق بتلك الحقائق

هنالك وجدت الكائنات تحالفت * على انها والعون منى معينتى

حيث انتفت معاندات الاغيار وتحققت ممازجات الاخيار حتى انتقشت المطلوبات الحقية فى مرآة الصورة الخلقية وانبسطت اشعة الاحوال البسطية حيث انتفت الكدورات الوحشيه

فلم تهوني مالم تكن فى فانيا * ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى

وقوله والوفاء فى الظاهر يعنى لكل معاهد بعهده، وموعود بوعده وضال برده ومتغفل بتنبيهه وتقوية جده لان العارف المتصف بمذاكر خليفة الله على خلقه ينفذ فيهم أوامره ويقيم شرائعه فان فعل ذلك ظاهرا وباطنا فهو النبى وخلفاؤه ومن فعله على الاول فهم السلاطين او على الثانى فهم الافراد الاقطاب جوامع الاسرار ومعادن الحقائق والاستبصار علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل وورثة الانبياء

فعالمنا منهم نبى ومن دعا * الى الحق منا قام بالرسلية

واما قوله استعمال دقائق الشرع فاشارة الى معنى لا يدركه الا الخواص وان غاص عليه من غاص فان فيه اشارة الى حفظ الكليات التى عليها مدار النظام واستقصاء الجزئيات التى قصر عنها الكلام واجتهاد النفس فى جمع ما تفرقت فيه الآراء وتشعبت اليه الاهواء يدان ذلك فيما لم يخط على كل ذى قد واشكال اقيسة فكر لم يستخلصها كل ذى جد اللهم حققنا بحقائق معارفك وارفعنا من حضيض زوايا الخمول الى اوج استقامة لطائفك وانقل أنفسنا من مراكز عكس الصعود الى اشرف منازل السعود واما قول بعضهم وينسب الى ذى النون المصرى المحبة ارق بالارفاد وجسم بلا فؤاد وتهتك فى العباد وتشتت عن البلاد فتعريف بصورة الحالة الراهنة من المحبة بعد قطع الطرق فان الارق الذى هو السهر من الفكر فى الامور

الطارئة على النفس لا يكون الا بعد تمكن تلك الامور فى الذهن وان الجسم لا يكون بلا فؤاد الا اذا ذاق فهى كناية عن عدم الالتفات الى ما من شأنه ان يدرك بالقلب مما سوى الموجود المطلق بقرينة المقام وفيه تكلف وخلط لحالة المحانين باحوال المحبين وباقى الكلام ظاهر وعندى ان المحبة ميل نفسانى الى المراد يعضده الجزم بالاعتقاد ورؤية ما سوى المطلوب من الفساد وفى الدين ارتداد واليه اشار عارف الوقت والحقيقة وسلطان عشاق الخليقة بقوله

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردتى

فقولنا ميل كالجنس ونفسانى كالفصل والى المراد فصل قريب ولذلك اخره وهذا هو فعل المادة والصورة والجزم فى الاعتقاد بالفاعلية وغاية ذلك الثبات على الحب حيث ثبت ان ما سواه فساد فقد جمع هذا الحد مطردا ومنعكسا احوال المحبة على وجه العموم فمن اراد تخصيصه فبالفصول اللائقة ثم لهذه المحبة اوصاف وشروط منها ان لا يبالى المحب بما يرد من المحبوب وان يؤثر رضاه على نفسه فيتلذذ فيه بالبلاء كالعطاء وبالغيبة كالحضور والهجر كالوصل والفناء كالبقاء اذا كان ذلك رضا المحبوب قال العارف

فكل الذى ترضاه والموت دونه * به انا راض والصبابة ارضت

فانظر الى هذا الاستاذ كيف اوضح طرق السلوك للسالك ودل على المطالب والمسالك واوضح مرقاة الوصول للدارج ونكب عن المعارج الى اسنى المعارج حيث قال

* نعم بالصبا قلبى صب الاحبتى * لان الزمان المذكور محل الميل الى مرادات النفس وشهواتها ففى البيت مع الجناس التام واستيفاء مادة الكلام تحرير احوال الغرام باقصى المرام ثم اكد ما اسس وأبدع ما جنس وقوى جزئى الميل حتى صار كليا عاما وشمح من بديع نظامه وانق من لطيف كلامه بقوله

محجبة بين الاسنة والظبا * اليها انثنت ألبابنا اذ تثنت
ممنعة خلع العذار نقابها * مسربلة بردين قلبى ومهجتى

فجدوا ايها المقصرون وانتبهوا أيها الغافلون وبادروا ايها المشمرون فان المطلوب خطير والوصول عسير وليس هذا قطعا عن الطريق وتخذيلا للهمم كما زعمه بعض الشراح المتلبسين بهذه الصناعة الظانين ان الوصول الى هذا النفس بالظاهر من البلاغة والبراعة كلا بل هو تبيين وتحقيق لئلا يقدم على هذا الامر الا من أراد علو همته وغلو قيمته ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ولا يتلبس بالعلم غير أهله ولا يسند الفرع على غير أصله

فللحب أقوام كرام نفوسهم * منزهة عما سوى الحب باخلى

الى غير ذلك مما دلت عليه ابياته الفائقه وعباراته الرائقه والفاظه الشائقه التى

فيه لغير المحبوب وعلى ذكر حب الماء الذى يسميه المصريون الزير ما أحسن قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فى كوز الزير وفيه اعتراض يشينه وحسن نظم يزينه ٢٣ وذى اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب

اذا استولى على حب
فقل ما شئت فى الصب

(الفصل الرابع فى مدحه وذمه)

اقول هذا الفصل عقدناه لمدح العشق وذمه وتر ياقه وسمه فكم مدحه عاقل وذمه متعاقل هيهات فات من ذمه المطلوب ومن أين للوجه المليح ذنوب فمن خصاله المحمودة وفضائله الموجودة ما قاله العلامة قدامة العشق فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخى كف البخيل وتصفى ذهن الغبى وتطلق بالشعر لسان الييم وتبعث حزم العاجز وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية الادب واول باب تفتق به الاذهان والفطن وتستخرج به دفائق المكايد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن نوافر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس اليفه وله سرور يجول فى النفوس وفرح يسكن فى القلوب وقيل لبعض العلماء ان ابنك قد عشق فقال الحمد لله الآن رقت حواشيه ولطفت معانيه ولمحت اشاراته وظرفت حركاته وحسنت عباراته وجادت رسائله وجلت شمائله فواظب على المليح واجتنب القبيح وقيل لآخر كذلك فقال لا بأس بذلك اذا عشق لطف وظرف ودق

ورق وقيل لبزرجمهر متى يكون الفتى بليغا فقال اذا صنف كتابا او وصف هوى او حبيبا وقد صدق فيما قال العباس ابن الاحنف وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال غيره

وماسرنى انى خلى من الهوى * ولوان لى مابين شرق ومغرب وقال آخر ولاخير فى الدنيا بغير صبابة * ولا فى نعيم ليس فيه حبيب

وقال آخر

٢٤ اسكن الى سكن تلذ بحبه * ذهب الزمان وانت خال مفرد وقال آخر

اذا لم تذق فى هذه الدار صبوة
فموتك فيها والحياة سواء

وقال آخر

ولا خير فى الدنيا اذا أنت لم تزر
حبيبا ولا والى البك حبيب

وقال آخر

ماذا ق بؤس معيشة ونعيمها
فيما مضى أحد اذا لم يعشق

وقال المتنبى

وعذلت أهل العشق حتى ذقته
فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقلت انا مضمنة القول المتنبى هذا مع زيادة التوبة

ان تسألوا عما لقيت من الهوى
فانا الذى مارسته وعرفته

خالفت فى وثف الرضاب وطعمه
وعذلت أهل العشق حتى ذقته

(حكى) ان الملك بهرام جور كان له ولد واحد فاراد ترشيحه للملك بعده فوجده ساقط الهمة دنئ النفس فسلط عليه الجوارى والقيان فعشق منهن واحدة فأعلم الملك بهرام بذلك ففرح وارسل الى التى قيل انه عشقها ان تجنى عليه وقولى انى لا اصلح الا لشريف النفس عالى الهمة ملك او عالم فلما قالت ذلك راجع العلم وما عليه الملوك من شرف الهمة حتى برع فى ذلك وتولى الملك فكان من خيرهم واثبت ذلك فى حكمة الى كسرى ان الملك لا يكمل الا بعد عشقه وكذلك العالم قالوا والعشق المباح مما يؤجر عليه العاشق كما قال شريك وقد سئل عن العشاق فقال اشدهم حبا أعظمهم أجرا

هى لصوادق الهمم الى مقام الوصول سائقه ولولا ما فى ذلك من التعاويل الذى يستغرق المدد مع المدد ويستنفد الابد فضلا عن طول الامد لاوضحت لك ما فى كلامه من الاسرار الحقيقية الدالة على ان ابيات القصيدة وضعت كدوح المرقاة فى الابرام والنقض لا يجوز تقدم بعضها على بعض (ومن لطيف ما اتفق لى) انى خلوت بنفسى ليلة وكانت ليلة الجمعة سادس رجب الفرد من شهور احدى وسبعين وتسعمائة فأخذت أتفكر فى كلامه متصفحا فى دقائقه الى أن قام فى فكرى معارضة بين ما اتفق له من قوله وعيدك لى وعد البيت وقوله عذب بما شئت غير البعد وقوله واصعب شئ دون اعراضكم سهل * وبين قوله وكل الذى ترضاه البيت فانه فى جميع الابيات أشار الى انه راض بكل أفعال المحبوب خلا البعد والهجر ثم اشار فى هذا البيت الى الرضا بسائر الحالات ومنها البعد والهجر ثم قام عندى جواب ان ذلك عام خصص ثم غشينى النوم فرأيت كانى بالمدرسة الاشرفية وقد زينت بانواع الزينة وليس فيها غيرى واذا برجل طويل غليظ شديد البياض فى يده عكاز أخضر متوشح بثوبين أبيضين وعلى رأسه كالازار فقام عندى انه الشيخ فاذا هو هو فسلم على ووضع يده على كتفى ووقفنا متقابلين وهو يقول لى هذا جواب الفقهاء ولم أقصده فقلت ياسيدى وما الذى قصدت قال اما تعلم ان المسافر أثقل ما يكون فى مبادى سفره ثم لم يزل يخف اذا طالت طريقه حتى لم يبق الا هو ورجاءى قلت نعم قال وكذلك السالك لم يزل يلقى مرادات نفسه حتى اذا وصل انطوى فى دائرة المحبوب فلم يبق له مطلوب كما فى الحديث القدسى فبى يسمع وبى يبصر فعلمت ان هذا الشأن لا يدرك بالعلوم الظاهرة ان لم تدركها نفحات من الحضرة الطاهرة فرجعت عما كنت عزمت عليه من الكتابة على القصيدة الا ان تداركنى الالطاف الباهرة (وقال بعض العارفين) شرط المحبة أن تكون ميلا بلا ليل وشرطا بلا جزاء لئلا تزول عند زوال العوض وبتأكد ذلك فى احباء الله عز وجل روى عن على رضى الله عنه أنه كان يقول فى مناجاته الهى ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك ولكنى وجدتك أهلا للعبادة ومن ثم قيل أفضل الحمد ما وقع دالا على استحقاق الله له بلا شرط نحو نحمدك يا من جلت صفاته عن الاحصاء بخلاف ما وقع فى مقابلة شئ كالحمد لله على ما أنعم وأخبر السراج عن أبى بكر الازدستانى بسنده الى ابن كثير قال لما تاب داود عليه السلام كان له يوم نوح تجتمع اليه فيه الناس حتى الوحوش والطيور فينوح ويعظ مذكرا بالجنة ثم النار ثم الاهوال ثم الخوف من الله وفى كل واحدة يموت من كل طائفة خلق وولده قائم على رأسه فيقول حسبك يا بنت قدمات الناس ثم يقول له العباد لا تعجل بطلب الجزاء فيخر ساجدا مغشيا عليه فتأخذ كل طائفة من مات منها وتذهب ثم يدخل بيت عبادته وهو يقول يا اله داود اغضبان أنت عليه أم راض الى أن يخر مغشيا عليه وأخرج عبد العزيز بن على الطعان عن ابن عطاء فى

قالوا وأرواح العشاق عطرة لطيفة وأبدانهم ضعيفة وأرواحهم بطيئة الانقياد لمن قادها حاشى سكنها الذى سكنت اليه وعقدت حبها عليه وكلام العشاق ومنادمتهم تزيد فى العقول وتحرك ٢٥ النفوس وتطرب الارواح وتجلب الافراح

معنى قوله عز وجل انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ان أيوب لم يزل يأكله الدود حتى لم يبق غير قلبه ولسانه فأكل بعضه بعضا حتى بقيت واحدة فدبت الى قلبه فقال ذلك لانه قال أى رب لم أخف من بلاء ما دام قلبى عارفا بجلالك وذكرك فأوحى الله اليه بم تنظر الى غدا قال بهاتين العينين قال لاولكن أخلق لك عينين يسميان البقاء لتنظر الى البقاء بالبقاء (وقيل) خرج عيسى عليه السلام فى سياحته ليلة بارد وريح ومطر فعاج الى كهف ليستظل فخرج اليه أسد فقال أنت أحق بمكانك وعاد وهو يقول رب لكل ذى روح ملجأ الا عيسى فأوحى اليه كأنك استبطأتنى نوعزتى وجلالى لازوجنك بحوارى ولأولمن عليك أربعة آلاف سنة (وحكى) المنذرى عن ابن سعدير فعه ان انصاريا بكى من خشية الله خوفا من النار حتى حبسه البكاء فى بيته فحكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فلما اعتنقه خر ميتا فقال جهزوا صاحبكم فان الفرق بتحريك الراء يعنى الخوف فلذ بالمجمة يعنى قطع كبده (وحكى) أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة عبد الواحد بن زيد عن الفضيل بن عياض ان ابن زيد سأل ربه ثلاث ليال أن يريه رفيقه فى الجنة فاذا بقائل يقول له هى ميمونة السوداء قال فقلت وأين هى قال بالكوفة فخرجت فى طلبها فلما سألت عنها قالوا هى مجنونة وانها بموضع كذا ترعى غنيمات لنا فجئتها فرأيتها قد غرست عكازا وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشترى والغنم ترعى مع الذئاب بلا ضرر وهى تصلى فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها ثم قالت يا ابن زيد ليس هذا موضع الموعد فقلت ومن أين عرفتنى فقالت الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وفى رواية أخرى قالت جالت روحى وروحك فى عالم الملكوت فتعارفنا فقلت لها عظينى فقالت واعجبا من واعظ يوعظ ثم قالت يا ابن زيد لو وضعت معيار القسط على جوارحك لخبرتك بمكنون ما فيها يا ابن زيد ما من عبد اعطاه الله شيأ من الدنيا فابتغى اليه ثانيا الا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الانس الوحشة وأنشدت

يا واعظا قام لاحتساب * يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقا * هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا * عيبك أو تبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبى * موقع صدق من القلوب
تنهى عن الغى والتمادى * وأنت فى النهى كالمريب

قال ثم سألتها ما بال الذئاب التى مع الغنم لا تضرها فقالت أصلحت ما بينى وبينه فاصلح ما بين الذئاب والغنم (وفى الكتاب المذكور) عن ابن المبارك قال بينما أطوف فى الجبال اذا أنا بشخص فلما دنا منى اذا هو امرأة عليها ثياب من صوف فلما دنت سلمت ثم قالت من أين قلت غريب قالت وهل تجد مع سيدك وحشة الغربة وهو مؤنس الضعفاء ويتشوق الى سماع أخبارهم الملوك فمن دونهم ويكفى العاشق المسكين الذى لم يذكر مع الملوك ومع الشجعان الابطال انه يعشق ويشتهر بالعشق فيذكر فى مجالس الملوك والخلفاء فمن دونهم تدور أخباره وتروى أشعاره ويبقى له العشق ذكرا مخلدا ولولا العشق لم يذكر له اسم ولا جرى له رسم ولا رفع له راس ولا ذكر مع الناس * وقال المرزبانى سئل أبو نوفل هل سلم أحد من العشق فقال نعم الجلف الجافى الذى ليس له فضل ولا عنده فهم فأما من فى طبعه أدنى ظرف أو معه دماثة أهل الحجاز وظرف أهل العراق فلا يسلم منه وقال بعضهم لا يخلو أحد من صبوة الا أن يكون جافى الخلقة ناقصا أو منقوص البنية أو على خلاف تركيب الاعتدال

فواعجبا للدهر لم يخل مهجة
من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

ويكفى العاشق انه يرتاح للمعروف واغاثة الملهوف كما قيل

ويرتاح للمعروف فى طلب العلا
لتحمد يوما عند ليلى شمائله

وقال أبو النجاب رأيت فى الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف يلوذ ويتعوذ ويقول

وددت بان الحب يجمع كله
فيقذف فى قلبى وينفلق الصدر

فلا ينقضى ما فى فؤادى من الهوى * ومن فرحى بالحب أو ينقضى العمر

فقلت يا فتى أما لهذه البنية حرمة تمنعك من هذا الكلام فقال بلى والله ولكن الحب ملأ قلبى فتقيت المنى والله ما سرنى ما بقلبى منه ما فيه

أمير المؤمنين من الملك وانى أدعو ان ينبته الله فى قلبى عمرى ويجعله ضجيعى فى قبرى دريت به أم لا أدرى هذا دعائى وله قصدت وفيه ترغبت مما يعطى الله سائر خلقه ثم مضى (قلت) ذكرت هنا ما قاله الاخطل وقد لامه عبد الملك على الخمر فقال ليت شعرى

مايحبسك فيها وأولها مرار وآخرها خمار فقال لكن بينهما والله نشوة لا أبيعها بخلافة فقال يا أمير المؤمنين أخذه الشاعر فقال

ان يكن أول المدام مرارا
أو يكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذاوذ الذهنات
وصفها بالسرور لن يستطاعا
* وأما ماجاء فى ذمه وسريان سمه فاكثر من أن يحصر فكم ترك الغنى صعلوكا والمالك مملوكا كما قيل

ظل من فرط حبه مملوكا
ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جاذر القصر صبا
مستهاما على الصعيد تريكا

وهذه الابيات لبعض ملوك الاندلس وسيأتى ذكرها فى الباب الثانى من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكم من عاشق أتلف فى معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع أهله ومصالح دينه ودنياه ووقع فيما يأباه اى والله والعشق يجتذب النفوس الى الردى بالطبع واحسدى لمن لم يعشق قالوا وكم عاشق هرب من الحب الى مواقف التلف ليتخلص من التلف بالتلف وعلى هذا حكاية دعبل الشاعر قال كنت بالنفر فنودى بالنفير فخرجت مع الناس فاذا انا بفتى يجر رمحه بين يدى فالتفت فنظر الىّ فقال انت دعبل قلت نعم قال اسمع منى ثم أنشد بالقدوم

أنا فى أمرى رشاد * بين حب وجهاد
بدنى يغزو عدوى * والهوى يغزو فؤادى

ثم قال كيف ترى قلت جيد والله

قال فوالله ما خرجت الا هار با من الحب ثم قاتل حتى قتل (وقال الواوا الدمشقى)

سيل الهوى وعر وحلوا الهوى مر * وبرد الهوى حر ويوم الهوى دهر (وقال غيره)

العشق مشغلة عن كل صالحة
وسكرة العشق تنفى سكرة الوسن
وقال عبد المحسن الصورى
وكان ابتداء الذى بى مجونا
فلما تمكن امسى جنونا
وكنت أظن الهوى هينا
فلاقيت منه عذابا مهينا
(وقال محمد اليزيدى)
كيف يطيق الناس وصف الهوى
وهو جليل ماله قدر
بل كيف يصفو لحليف الهوى
عشق وفيه البين والهجر
(وما أحسن قول عبد الله بن اسباط)
القيروانى
قال الخلى الهوى محال
فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب
ان أنت لم ترضه صرفته
وهل سوى زفرة ودمع
ان لم تر دجريه كفقته
فقلت من بعد كل وصف
لم تعرف الحب اذ وصفته

(تنبيه) الهوى أكثر مايستعمل فى الحب المذموم قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقد يستعمل فى الحب الممدوح استعمالا مقيدا ومنه الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال ابن عباس الهوى الهه معبود وقرأ أفرأيت من اتخذ الهه هواه فتلخص من الآية الكريمة والحديث الشريف أن الهوى ينقسم على قسمين هوى محمود وهو فى الخير والصلاح وهوى مذموم وهو فى الشر والفساد * وفى كتاب السهل الموانى فى فضائل ابن سماك ان بعض الصوفية قال انما سمى الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه الى النار

بالقدوم الى الله تعالى شوقا فليس فيهم من آنس بمخلوق ولا مستوزق من مرزوق فهو فى الملأ حقير وعند الله خطير ثم ولى (وعن أبى سليمان) قال مررت ليلة فسمعت فى جبل اللكام رجلا يقول فى دعائه سيدى وأملى وموئلى ومن به تم عملى أعوذ بك من بدن لا يتنصب بين يديك وقلب لا يشتاق اليك ودعاء لا يصل اليك وعين لا تبكى عليك فعلمت انه عارف ثم صعق فتركته وانصرفت واذا أنا برجل نائم فركضته وقلت قم فان الموت لم يمت فرفع رأسه وقال ما بعد الموت أشد منه (وعن عبد الله بن المبارك) قال مررت فى سياحتى بالشام بطبيب يصف لكل ما يجب فقلت له يا طبيب أعندك دواء للذنوب فقال نعم فلما تفرق الناس قال لى ياهذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الصفا وبليلج الرضا وغاريقون الكتمان وسقمونيا الاحزان فامرسهم بماء الاجفان ودعهم فى طاجن القلق وأوقد تحتهم نار الفرق وصفهم بمنخل الارق واشربهم على الحرق فانه شفاؤك وانشد

يا طبيبا بذكره يتداوى * وصفوه لكل داء غريب
ليس حزنى عليك شئ يجيب * انما الصبر عنك شئ يجيب

(وسئل ابو بكر الشبلى) ما علامات العارف قال صدره مشروح وقلبه مجروح وجسمه مطروح قيل من العالم قال من عرف الله وعمل بما علمه الله واعرض عما نهاه الله قيل فما الصوفى قال من صفا قلبه ورمى الدنيا وجفا الهوى واتبع المصطفى قيل فما التصوف قال التألف والاعراض عن التكلف وأحسن منه تصفية القلوب لعلام الغيوب وأحسن منه التعظيم لامر الله والشفقة على عباد الله وأحسن منه من صفا من الكدر وخلص من العكر وامتلأ من الفكر وتساوى عنده الذهب والمدر (وعن ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه) قال كنت يوما من الايام مارا بقبر فترحمت عليه وبكيت عليه فسألنى من معى عنه فقلت قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن غرق فى الدنيا ثم استنقذه الله بلغنى انه سر يوما من الايام بما هو فيه ثم نام مع بعض محاظيه فرأى رجلا واقفا على رأسه وفى يده كتاب فناوله اياه ففتحه فاذا هو مكتوب بالذهب لا تؤثر فانيا على باق ولا تغتر بملكك وسلطانك وخدمك ولذاتك فان الذى انت فيه جسيم لولا انه عديم وملك لولا انه بعده هلك وفرح وسرور لولا ان بعده غرور فسارع الى امر الله فانه يقول وسارعوا الى مغفرة من ربكم فانتبه مرعوبا وخرج الى هذا الجبل فما زلت اتعهده حتى مات ودفن ههنا (وحكى) ان ملكا اراد الركوب يوما فسد عليه باب الزينة فجىء بها فردها وقال اريد ثيابا كذا فجىء بها فردها حتى جىء باصناف كثيرة ثم اختار ما اراد وفعل كذلك بالدواب فلما ركب نفخ ابليس فى انفه فعلاه من التكبر مالا يوصف حتى انه لم يخاطب احدا فبينما هو فى موكبه اذ ابر جل رث الهيئة قد قبض على لجام دابته وهو يقول لى اليك حاجة قال حتى ارجع قال لا بل مكانك قال اذكرها فقال ادن منى فطأطأ فقال له انا

قلت لو قال يهوى بصاحبه الى الهاوية لكان أنسب وقال بعضهم الهوى الهوان زيدت فيه النون كما قيل
فسألتها باشارة عن حالها * وعلى قنيها للوشاة عيون ٢٨ فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان أزيل عنه النون

وقوله تعالى أخلد الى الارض واتبع هواه قيل أخلد الى الارض أى سكن اليها ونزل بطبعه عليها وكانت نفسه أرضية سفلية لاسماوية علوية وبحسب مايخلد العبد الى الارض يهبط من السماء * قال سهل قسم الله للاعضاء من الهوى لكل عضو حظا فاذا مال عضو منها الى الهوى رجع ضرره الى القلب وللنفس سبع حجب سماوية وسبع حجب ارضية فكلما دفن العبد نفسه أرضا أرضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفن النفس تحت الثرى وصل قلبه الى العرش وحاصل القضية ان العشق والهوى أصل كل بلية وفيه ذل كل نفس أبية وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لاينبغى للمرء أن يذل نفسه قال الامام أحمد تفسيره أن يتعرض من البلاء لما لايطيق وهذا مطابق لحال العاشق فانه اذل نفسه لمعشوقه كما قيل

اخضع وذل لمن تحب فليس فى شرع الهوى أنف يشال ويعقد

وقال آخر

مساكين أهل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر

وقال الشيخ شرف الدين بن الفارض

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل فما اختاره مضنى به وله عقل وعش خاليا فالحب راحته عنا * فاوله سقم وآخره قتل وكان

ملك الموت فتغير واضطرب وسأله ان يعود فيودع اهله فأبى وقبضه مكانه (وحكى) انه عارض فى ذلك الوقت رجلا زاهدا فقال له كما قال للملك فقال حبا وكرامة فقال له ملك الموت هل لك حاجة تقضى اليها فقال لا حاجة أحب الى من لقاء الله فقال اخترعلى اى حالة اقبضك فقال ألك ذلك قال نعم فتوضأ وصلى فلما سجد قبضه (وعن عتبة المعروف بالغلام) وهى بذلك لكثرة خدمته انه كان مقيما بالجبانة فبلغ خبره على بن سلمان امير العراق فخرج حتى وقف عليه فسلم فرفع رأسه فرد عليه فقال له الامير كيف اصبحت قال متفكرا فى القدوم على الله بخير أم بشر ثم بكى وأطرق رأسه منكسا الى الارض فقال الامير قد أمرت لك بألف درهم فقال قبلتها على أن تقضينى معها حاجة فقال وقد سر بذلك وما هى قال تقبل منى ما وهبتنى فقال قد فعلت وانصرف ولقد كان عتبة هذا لاينام الا أول الليل ثم يستيقظ فزعا مرعوبا ينادى النار النار قد شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات ثم يتوضأ ويقف للخدمة وان البكاء ليمنعه القراءة وكثيرا ما يقول اللهم ياعالما بحاجتى غير معلم بما أطلب وما أطلب الا فكاكى من النار اللهم ان الجزع قد أرقنى من الخوف فلم يؤمنى وكل هذا من نعمتك السابغة على وكذلك فعلت باوليائك وأهل طاعتك الهى قد علمت لو كان لى عذر فى التخلى ما لقت مع الناس طرفة عين (وعن سهل ابن عبد الله التسترى رضى الله عنه) الناس ثلاثة أصناف صنف مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على بابه ينتظر الكرامة وصنف مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابه ينتظر العفو وصنف مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابه ينتظر العقوبة (وعن حيان القيسى) العباد مع الله على ثلاث طبقات قوم ظعن بهم عن البلاء لئلا يسترق الجزع سرهم فيكون هذا حكمة أو يكون فى صدورهم حرج من قضائه وقوم ظعن بهم عن مساكنة أهل المعاصى لئلا تغتم قلوبهم فمن أجل ذلك سلمت صدورهم للعالم وقوم صب عليهم العذاب صبا فازداد وا بذلك الاحبا (أقول) والتقسيم الاول شامل لطبقات العالم السعيد منهم والشقى الا ان القسم الاول أسعد السعداء وأما هذا التقسيم فهو تقسيم لاهل الله فقط على ان لنا أن نتكلف للاول أن يكون مثله وفى هذا تلميح الى التسليم البحت فى القضاء والقدر والاول الى الاختيار (وعن محمون بن حمزة الخواص) ان أبا بكر البصرى وكان رجلا من أكابر الاولياء مات قبل الجنيد بيسير وكان قد سمى نفسه بالكذاب لبيت قاله وهو محتضر بوله اثر قوله هذا فتضجر فسمى نفسه الكذاب فى المحبة (غيره)

فليس لى فى سوالك حظ * فكيف ماشئت فامتحنى
ولو قيل طأ فى النار اعلم انه * رضاك أومدن لنا من وصالك
لقدمت رجلى نحوها فوطئتها * سرورا الانى قد خطرت ببالك

وله أيضا

(الفصل الخامس فى اختلاف الناس فيه هل هو اضطرارى أو اختيارى)

أقول هذا فصل عقدناه لما تقدم ذكره وأسفر كالصباح سفره اذ للناس فيه كلام من الطرفين وبمختار بين الصفين فقائل بأنه اضطرارى وقائل بأنه اختيارى ولكل من القولين وجه مليح ٢٩ وقد رجح ونحن نذكر من ذلك مايم به الانتفاع ونتكلم فى طوله وعرضه بالباع والذراع فمن ذلك ماقاله القاضى أبو عمرو محمد ابن أحمد النوفانى فى كتابه تحفة الظراف العشاق معذورون على كل حال مغفور لهم جميع الاقوال والافعال اذ العشق انما دهاهم على غير اختيار بل اعتراهم على جبر واضطرار والمرء انما يلام على مايستطيع من الامور لا فى المقضى عليه والمقدور وقد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الحامل كانت ترى يوسف عليه الصلاة والسلام فتضع حملها فكيف ترى هذه وضعته أباختيار منها كان ذلك ام باضطرار لا بل باضطرار وفقد اقتدارها عما لا يشك فيه ذو لب ولا يختلج خلافه فى قلب (قلت) وجاء فى تفسير قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه اى رأينه فى اعينهن كبيرا وقيل حضن من الدهش وقال ابن عباس أمذين وأمنين من الدهش وقطعن أيديهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن ألما لخز أيديهن لاشتغال قلوبهن بحسنه وقال وهب كن أربعين امرأة فمات منهن تسع وجدا بيوسف وكدا عليه * وما أحسن قول بعض بنى عذرة وقد قال له بعض العرب مالاحدكم يموت

وكان فؤادى خاليا قبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبى هواك أجابه * فلست أراه عن فنائك يبرح
رميت بين منك ان كنت كاذبا * وان كنت فى الدنيا بغيرك أفرح
وان كان شئ فى البلاد باسرها * اذا غبت عن عينى بعينى يملح
فان شئت واصلنى وان شئت لاتصل * فلست أرى قلبى بغيرك يصلح

وله ايضا

يامن فؤادى عليه موقوف * وكل همى اليه مصروف
ياحسرتى حسرة أموت بها * ان لم يكن لى اليك معروف

(وعن الجنيد رضى الله عنه) قال انفذنى السرى فى حاجة فلما قضيتها دفع الى رقعة وقال قد أجرتك هذه الرقعة ففتحتها فاذا فيها

ولما شكوت الحب قالت كذبتنى * ألست أرى منك العظام كواسيا
وما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لاتجيب المناديا
وتضعف حتى لايبقى لك الهوى * سوى مقلة تبكى بها وتناجيا

(ودخل أبو بكر الشبلى) يوما المارستان فوجد غلاما أسود قد غل الى سارية فلما رآه قال يا أبا بكر قل لربك ما كفاه أن تيمنى بحبه حتى قيدنى وانشد يقول

على بعدك لايصبر من عادته القرب
وعن قربك لايصبر من تيمه الحب
فان لم ترك العين * فقد أبصرك القلب

فصعق الشبلى وخر مغشيا عليه فلما أفاق وجد القيود مطروحة ولم ير الاسود * وعن على ابن سعيد العطار قال مررت ببغداد ان بمكفوف مجذوم فاذا الزنبور يقع عليه فيقطع لحمه فقلت الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاه وفتح من عينى ما أغلق من عينيه قال فبينما أنا اردد الحمد اذ صرع فبينما هو يتخبط نظرت اليه فاذا هو مقعد فقلت مكفوف يصرع مقعد مجذوم قال فما استقمت كلامى حتى صاح بى نقال ما دخولك فيما بينى وبين ربى دعه يفعل بى ما يشاء ثم قال وعزتك وجلالك لو قطعتنى ارباا ربا أو صيبت على العذاب صبا ما ازددت لك الا حبا وللشبلى رضى الله عنه

ان المحبين احياء ولو دفنوا * فى التراب أو غرقوا فى الماء او حرقوا
او يقتلوا بسيوف وسط معركة * او حتف انف وان أضناهم الفرق
لو يسمعون منادى الحب صاح بهم * يوما لبباه من بالحب يحترق

(وعن أحمد بن عيسى الجزار) قال دعتنى امرأة الى غسل ولدها فلما جردته قبض على يدى فقلت سبحان الله احياة بعد موت فقال ان المحبين لله احياء وان ماتوا * ودعا عبد الواحد يوما جماعة من الصوفية فاولهم وكان فيهم عتبة الغلام فقام لخدمتهم ولم يأكل

عشقا فى هوى امرأة يا لقها انما ذلك ضعف نفس ورقة وخور تجدونه فيكم يا بنى عذرة فقال أما والله لو رأيتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى * وقال الفضيل بن عياض لو رزقنى الله دعوة مجابة لدعوت

الله تعالى بها أن يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية * ورؤى أبو السائب المخزومي وكان من أهل العلم والدين بمكان متعلقا باستار الكعبة وهو يقول

اللهم ارحم العاشقين وقو قلوبهم واعطف عليهم قلوب المعشوقين

فقيل له في ذلك فقال والله للدعاء لهم أفضل من عمرة من الجعرانة ثم أنشد

ياهجر كف عن الهوى ودع الهوى
للعاشقين يطيب ياهجر
ماذا تريد من الذين جفونهم
قرحى وحشو قلوبهم جمر
متقلبين من الهوى ألوانهم
مما تجن قلوبهم صفر
وسوابق العبرات فوق خدودهم
درر تفيض كأنها قطر

والظاهر ان قوله افضل من عمرة من الجعرانة هو الذي جسر الفتح ابن خاقان على قوله من أبيات

أيها العاشق المعذب صبرا
نحطايا إلى الهوى مغفوره
زفرة في الهوى أحط لذنب
من غزاة وحجة مبروره

قلت وقد بالغ في هذا الكلام حتى استحق الملام فليته اكتفى بما قبل في التمثيل

على انني راض بأن أحمل الهوى
وأخلص منه لا علي ولا ليا

والظاهر ان الحامل له على هذا مذهب اليه الشافعي في أن الميت عشقا من الشهداء للحديث الوارد في ذلك وسيأتي ذكره في باب العفاف ان شاء الله تعالى * وقال التميمي في كتابه امتزاج الارواح سئل بعض الاطباء عن العشق فقال ان وقوعه باهله ليس باختيارهم ولا بحر صهم عليه ولا لذة لاكثرهم فيه ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفة والامراض المتلفة فقال لا فرق بينه وبين ذلك * وقال المدائني لام رجل رجلا من أهل الهوى فقال لو كان لذي هوى اختيار لاختار ان لا يهوى ولكن

فلما انصرفوا قال له عبد الواحد لا تأكل قال ذكرت اهل الجنة واجتماعهم على الموائد وقيام الخدم على رؤسهم فاشتقت الى ذلك فابت نفسي الطعام فبكى عبد الواحد وتفرقا متعاهدين على ان لا يولما ولا يشبعا من نوم ولا طعام وقيل ان عتبة عاهد الله على ان لا ينام الا مغلوبا وقرأ غلام يوما بين يدي صالح المزني بالمجمة نسبة الى قرية بدمشق واندرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما الظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فقال كيف يكون لهم حميم وشفيع مطاع والمطالب لهم رب العالمين والملائكة تسوقهم بمقامع الحديد يصيحون تارة على الوجوه ويمشون اخرى ما بين بالأ ومنادا بالويل ثم صاح ياويلتاه وياسوء منظراه وبكى وبكت الناس فقام شاب فيه تأنث فقال اوكل ذلك في القيامة يا ابا بشر فقال واكثر من ذلك لقد بلغني انهم يصرخون الى ان تنقطع اصواتهم فقال الشاب انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى وخر ميتا بعد ان استقبل ودعا بالتوبة فرؤى بعد قليل في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال ادخلني الجنة ببركة مجلس صالح ودعاء صالح يوما فتربه مخنث وهو يقول في دعائه اللهم اغفر لاقسانا قلبا واجمدنا عينا واقربنا بالذنوب عهدا فسمع المخنث فمات فرؤى في المنام فقال كما قال الشاب * وقال عبد الوارث نظرت الى رباح القيسي يقبل غلاما من اهله فقلت اتحبه قال نعم قلت ما كنت اظن ان في قلبك بقية لاحد فخر مغشيا عليه فلما أفاق مسح وجهه وقال انما هي رحمة منه القاها في قلوب العباد (وحكى) ابن سعيد التيمي قال نظرت الى جارية سوداء تسف الخوص وهي تقول

للك علما يجن فؤادي * فارحمن ذل ذاتي وانفرادي

فقلت لها ما علامة الحب وكان الى جانبها رجل يصرع فقالت يا بطال الحب ان تقول لهذا المجنون قم فيقوم ورمقته فقام والجني يقول ويحك لا عدت اليه ابدا فهذا ملخص ما ناسب ترجمة الباب وقد ذكرني الاصل ما لا علاقة له اذا مع ان النظر بهذا المحل وربما يأتي بعضه حيث نجد له محلا

(فصل من الباب في ذكر من فارقت روحه من الاحباب)

قال عبد الرحمن الصوفي مررت في اسواق بغداد بسوق النخاسين فرأيت جمعا كبيرا على شاب مطروح فقلت ما باله فقالوا سمع قارئا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فسقط مغشيا عليه قال فلما سمع الكلام انتبه وهو يقول

الم يأن للهجران ان يتصرما * وللغصن غصن البان ان يتبسما
وللعاشق الصب الذي مات وانحنى * اما آن ان يبكى عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحي * كتابا على نقش الوشاة منمنما

ثم صاح وخر مغشيا عليه (وروى) عن ابن الحواري مثل ذلك الا انه زاد * وللغصن غصن البان ان يتكلما * وفي البيت الاخير كتابا حكى نقش الوشاة * وقام ابو زهير في مجلس المزني فقال له اقرأ فقرأ صالح وقدمنا الى ما علموا من عمل الى قوله واحسن مقيلا

لا اختيار لذي هوى قالوا والعشق نوع من العذاب والعاقل لا يختار العذاب لنفسه وفي هذا قال المؤمل

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر يكفي المحبين في الدنيا عذابهم * والله لا عذبتهم بعدها سقر

فقال له اعدها فلم يزل يكررها حتى سقط ميتا وفي رواية الحافظ مغلطاي عن ابي القاسم في الامالي وابن ابي الدنيا في كتاب الخائفين عن صالح ومحمد بن واسع وحبيب وثابت البناني ومالك بن دينار انهم قالوا اتينا ابا زهير الضرير المذكور وقت الظهيرة للزيارة فخرج الينا وكانه نشر من قبر فصلى وجاس كالمهموم فسلمنا عليه فقال لصالح اقرأ فقرأ الآية المذكورة فخر ميتا فقلنا هل له من احد فقال الحاضرون نعرف امرأة تأتيه من هنا ببعض حاجاته فاستحضرناها واخبرناها بالقصة فقالت لعل فيكم صالحا قلنا وما بدريك به قالت كثيرا ما كان يقول لي ان قرأ علي صالح قتلني فجهزناه رحمه الله تعالى (اخبرنا ابو الطيب) وكان صوفيا من اهل سر من رأى مدينة بالعراق قال حضرنا يوما في مجلس ومعنا رجل صوفي يقال له ابو الفتح فقرأ قارئ اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فقال الرجل بلى وخر مغشيا عليه فلم يفق الى ان ذهب النهار ثم مضى فبلغني بعد ايام انه حضر بالكرخ مجلسا فانشدت فيه جارية الابيات المنسوبة الى عبد الصمد المغربي الاشبيلي المعروف بالمعدل

يا بديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج
ان بيتا انت ساكنه * غير محتاج الى السرج
وجهك المعشوق جنتنا * يوم تأتي الناس بالحجج

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبية كيف قلت فلما بلغت البيت خر ميتا وأخرج في الامالي عن عبد المؤمن القصة الا ان البيت الاخير * وجهك المأمول جنتنا * قلت واعل الذي مات من سماعه الرجل هو هذا الا ان العارفين اذا سمعوا ما يدل على صاحب البقاء كان أكثر أخذا من نفوسهم ولا شبهة في ان المأمول أبلغ * وحكى ابو الفرج الصوفي قال كنا نجتمع للخدمة وكان بالقرب منا رجل اسمه القاسم الشركي يرعى عنيزات وكلما دعوناه الى السماع ابى فمر به صبي يوما يغني

ان هواك الذي بقلبي * صيرني سامعا مطيعا
أخذت قلبي ومحض عيني * سلبتني العقل والهجوعا
فدع فؤادي وخذ رقادي * فقال لا بل هما جميعا
فراح مني بحاجتيه * وبت تحت الهوى صريعا

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبي كيف قلت فخاف الصبي منه ومضى فجعل يقول له لا بأس عليك كيف قلت فلم يجبه وانصرف فرجع هائما الى رجل هناك بطبرية يقال له حامد الفاخوري وكان عارفا بالاشعار فجعل يردد الابيات عليه ثلاثة أيام وهو يضطرب حتى مات * وأخرج مغلطاي عن ابن أبي الدنيا والمنذري آخر الترغيب في فضل الخوف عن ابن عمر وصححه الحاكم ان رجلا حبشيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله فضلتم علينا بالالوان والنبوة أفرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت

حكي انه نال ما تمنى لانه عمي بعد قوله هذا * وقال أبو محمد بن حزم قال رجل لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين اني رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذلك مما لا يملك وقال كامل في سلمى

يلومونني في حب سلمى كأنما
يرون الهوى شيأ تمنيته عمدا
الا انما الحب الذي صدع الحشا
قضاء من الرحمن يلوي به العبدا

وقال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بالعشق وهذا لم يريدوا به التخصيص وانما أرادوا به التمثيل وأن العشق من تحميل ما لا يطاق والمراد بالتحميل ههنا التحميل القدري لا الشرعي الامري انتهى كلامه * وقال عبيد الله بن طاوس في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا قال اذا نظر الى النساء لم يصبر نقله عنه سفيان بن سعيد في تفسيره وقالوا قد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم أن يعافيهم الله من العشق ولو كان اختيارا لازالوه من نفوسهم ومن هنا يتبين خطأ كثير من العاذلين ويظهر ان عذلهم في هذا الحال بمنزلة عذل المريض في مرضه وما احسن قول بعضهم

ياعاذلي والامر في يده * هلا عذلت وفي يدي الامر

وانما ينبغي العذل قبل تعلق هذا الداء بالقلب وانصباب دمع العاشق الصب * وذهب جماعة من الاطباء وغيرهم الى انه اختياري لا اضطراري وقد تقدم في حد العشق الذي ذكره ابن سينا وغيره انه

مرض وسواسى يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل فهذا تصريح منهم بان الانسان هو المختار فى العشق بتسليط فكرته الواقع على ارادته ولهذا يحمد مريد الخير وان لم يفعله ويذم مريد الشر وان لم يفعله وقد ذم الله تعالى الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا وأخبر ان عذابهم اليم ولو كانت المحبة لا تملك لم يتوعدهم بالعذاب على مالا يدخل تحت قدرتهم ومنه قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى ومحال أن ينهى الانسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته قالوا والعقلاء قاطبة مطبقون على لوم من يحب ما يتضرر بمحبته وهذه فطرة فطرا الله عليها الخلق فلو اعتذر بانى لا املك قلبى لم يقبلوا له عذرا (قلت) والقول الصحيح الذى ليس فيه رد ولا عن محبوبه صدّ التفصيل فى ذلك وهو ان العشق يختلف باختلاف بنى آدم وما جبلوا عليه من اللطافة ورقة الحاشية وغلظ الكبد وقساوة القلب ونفور الطباع وغير ذلك فمنهم من اذا رأى الصورة الحسنة مالت من شدة ما يرد على قلبه من الدهش كما تقدم فى حق النسوة اللاتى قطعن لما رأين يوسف عليه الصلاة والسلام وقد كان مصعب ابن الزبير اذا رأته المرأة حاضت لحسنه وفيه يقول الشاعر

انما مصعب شهاب من الله ... تجلت بنوره الظلماء

ومنهم من اذا رأى الملیح سقط من قامته ولم يعرف نعله من عمامته قال الشاعر

فما هو الا ان يراها فجاءة ... فتسطل رجلاه ويسقط للجنب

اعتزلوا فهذا وامثاله عشقه اضطرارى والمخالفة فيه مكابرة فى المحسوس

أكون معك فى الجنة قال نعم ثم قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله كتب له بها مائة ألف حسنة فقال رجل يا رسول الله كيف يهلك بعد هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان الرجل ليجىء يوم القيامة بعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله لولا ما يتفضل الله من رحمته ثم نزلت هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا الى قوله وملكا كبيرا فقال الحبشى يا رسول الله وهل ترى عينى فى الجنة مثل ما ترى عينك فقال نعم فبكى الحبشى حتى فاضت نفسه رضى الله عنه قال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه فى حفرته بيده رواه الطبرانى عن أيوب بن عتبة وأخرج مغلطاى عن ابن أبى الدنيا فى كتاب الخوف باسناده الى عاصم البصرى قال كنت اماما بمسجد ابن جراد وكان يتردد الى رجل فسألنى يوما مصحفا ينظر فيه فأعطيته اياه فخرج وهو يقول فسيكون لى ولهذا المصحف نبأ عظيم واختفى فلم أره بقية اليوم يحضر الصلاة فلما كان الصباح دخلت عليه فوجدته ميتا والمصحف على صدره فخرجت متفكرا فى أى شىء أكفنه واذا أنا بجماعة من العباد منهم حسان وحبيب وابن واسع ومعهم كل كفن وحنوط فقالوا أتعرف هنا رجلا مات فقلت لا أعرف الا رجلا غريبا كان يصلى هنا فقالوا أنت أشقى من أن تعرف حجاما ثم دخلوا عليه وجعلوا يتنافسون فى تجهيزه ثم صلوا عليه ودفنوه ورأيت هذه الحكاية فى أنيس الجليس الا انه زاد ورأيت المصحف مفتوحا وأول سطر فيه الله نزل احسن الحديث الآية * وفى الحلية عن ابن السماك قال دخلت البصرة على رجل أعرفه فسألته ان يدلنى على رجل من العباد فدخلنا على رجل منكس الرأس كثير الصمت لابس الشعر فلم يكلمنا وخرجنا فقال لى ادخل على ابن المجوز فدخلنا على شخص يشبه الاول وعنده أم له عجوز فقالت لا تذكروا لولدى نارا ولا جنة فتفجعونى فيه فلما جلسنا عنده رفع رأسه فقال أما للعباد موقف يقفون فيه فقلنا بين يدى من خلقهم فشهق شهقة فارق الدنيا * وفيها قال دخل جماعة على أبى سعيد القطان فقرأ رجل منهم سورة الدخان فلما انتهى الى قوله ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين جعل يضطرب ويعلو صدره حتى غشى عليه وأصاب صدره فأدماه وجاءت النساء وخرجنا الى الباب فلما سكنت الغوغاء دخلنا عليه فاذا هو على فراشه يردد الآية حتى قضى عليه * وحكى مغلطاى عن ابن أبى الدنيا قال كرز ابن خليد قوله عز وجل كل نفس ذائقة الموت فناداه منادكم تكرر هذه الآية فقد قتلت بها أربعة نفر من الجن لا يرفعون رؤسهم حتى يموتوا ورأيت فى أنيس الجليس القصة وزاد فيه ان رجلا قصد الحاج فعدل عن الطريق تائها اثر نوم فاذا هو فى أرض لا يعهد مثلها واذا بقوم قد أقبلوا الى ماء هناك فتوضؤا ودعوه الى الصلاة بهم فصلى وقرأ الآية فخروا الى الارض وحركوا فوجدوا أمواتا وقائل يقول له يا عبد الله ان هؤلاء قوم من الجن قد

ومنهم من يكون أول عشقه الاستحسان للشخص ثم تحدث له ارادة القرب منه ثم المودة وهو ان يود لو ملكه ثم يقوى الود فيصير محبة ثم يصير خلة ثم يصير هوى ثم يصير عشقا ثم يصير تتيما والتتيم حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق ثم يزيد التتيم فيصير ولها والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن التمييز فهذا وامثاله مبدأ عشقه اختيارى لانه كان يمكنه دفع ذلك وحسم مادته على ان هذا النوع أيضا اذا انتهى بصاحبه الى ما ذكرناه صار اضطراريا كما قال الشاعر

العشق أوله ما يكون مجانة ... فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

ولهذا قال بعض الفلاسفة لم أر حقا أشبه بباطل ولا باطلا أشبه بحق من العشق هزله جد وجده هزل أوله لعب وآخره عطب قال الشاعر

تولع بالعشق حتى عشق ... فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منها غرق

قال صاحب روضة المحبين وهذا بمنزلة السكر مع شرب الخمر فان تناول المسكر اختيارى وما يتولد عنه من السكر اضطرارى فمتى كان السبب واقعا باختياره لم يكن معذورا فيما تولد عنه بغير اختياره ولا ريب ان متابعة النظر واستدامة الفكر بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على السبب ولهذا اذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته أو جاريته ثم فارقها وبقى عشقها غير مفارق له فهذا لا يلام على اعتزلوا ههنا للعبادة وان الخوف لم يترك فيهم بقية وأنت ان أردت الحاج فامض أمامك فستظفر باصحابك طلوع الفجر قال الرجل فكان كذلك * وعنه عن محمد بن صالح قال خرجنا ومعنا قارئ يقرأ فسمعته امرأة من أهل البصرة على سطح فاضطربت حتى غشى عليها واحتملت الى بيتها فلم تبرح حتى قضت نحبها وكان لها مشهد عظيم * وعن محمد عن منصور بن عمار قال مر رنا فى جوف الليل فاذا بشاب قائم يصلى وهو يقول فى مناجاته الهى ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولقد عصيتك اذ عصيتك وما أنا بكالك جاهل ولكن خطيئة عرضت وأعاننى عليها شقائى وغرّنى سترك المرخى وقد عصيتك بجهدى وخالفتك بجهلى فالآن من عذابك من يستنقذنى وبحبل من أتصل ان أنت قطعت حبلك منى واشباباه واشباباه فلما فرغ تلوت آية من كتاب الله وهى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الآية فسمعت دكدكة وانقطع الصوت فلما أصبحنا جعنا على الاثر واذا بجنازة وعجوز قد أخذ منها الكبر فسألناها فقالت مرّ قارئ بولدى فقرأ آية فتقطرت مرارته ومات * وعنه من طريق آخر الحكاية زاد فيها بعد قوله ان قطعت حبلك منى واسوأتاه اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا فيا ليت شعرى أمع المثقلين نحط ام مع المخفين نجوز ويحى كلما طال عمرى كثرت ذنوبى ويحى كلما كبرت سنى كبرت خطاياى فيا ويلى كم أتوب وكم أعود ولا استحيى من ربى قال منصور فلما سمعت كلام الشاب وضعت فمى على باب داره وقرأت الآية المذكورة وعلمت الباب فلما رجعت الحكاية الا أنه ذكر عن العجوز ان الشاب كان يصنع الخوص ويبيعه ويقسمه بين القوت والصدقة وشراء الخوص * وعن ذى النون المصرى قال بينما أنا أسير على جانب البحر فى الليل واذا أنا بجارية عليها أطمار شعر وهى ناحلة ذابلة قد نوت منها السماع ما تقول واذا هى متصلة الاحزان بالاشجان وقد عصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان فصرخت وسقطت الى الارض فأفاقت وهى تقول سيدى لك تقرب المتقربون فى الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان فى البحار الزاخرات وبجلال قدسك تصافقت الامواج المتلاطمات أنت الذى سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شىء عندك بمقدار لانك العلى القهار وأنشدت

احبك حبين حب الوداد * وحبا لانك أهل لذاك
فأما الذى هو حب الهوى * فحب شغلت به عن سواك
وأما الذى أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراك
فما الحمد فى ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فوقفت متعجبا واذا بنسوة على أحسن ما يكون من الحالات قد اقبلن فاحتملنها ثم غبن وأقبلن بها قد جهزت فقدمتنى للصلاة وهن ورائى فلما فرغت مضين بها * قال المختصر عن مغلطاى رأيت غير مرة شيخا مغربيا يحمل على ظهره

○ تزل دلك كما فى قصة مغيث وبريرة المشهورة وقد ظهر بهذا ان العشق يكون اضطراريا تارة وتارة اختياريا وذلك بحسب حالة العاشق كما تقدم فحينئذ يكون ادعاء من قال انه اضطرارى مطلقا أو اختيارى مطلقا غير مقبول عند ذوى العقول والله تعالى

أعلم أقول والى هنا انتهى الكلام على هذه الفصول التى طاب زمانها واعتدل وظهر بهائى وبهجة الورد حمرة الخجل وسابق الا
الدخول فى الابواب على الوجه المقترح ٣٤ والاتيان بمفتاح الله سبحانه ومن دق باب كريم فتح

(الباب الاول فى ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيل واجمال)

الخضر من باب زويلة الى الكتبيين ويكثر من انشاد شعر بلا وزن مضمونه ان الحاكم أخذ ماله المتروك عن والده وأورثه كثيرة منها هذا الشعر وانه استمع ليلة لمحدث فى سيرة البطال وقد ذكر أن جماعة قتلوا فى الجهاد فقال المغربى للمحدث وفيم قتل هؤلاء قال فى سبيل الله قال المغربى وانا أيضا أموت فى سبيل الله فقال له المحدث افعل فقمت الى جانبهم فخرك فاذا هو ميت * وعن أبى الحسين احمد بن أبى الحوارى قال مررت فى الشام بقبة واذا أنا بامرأة تحدق الحائط فقلت لها ما بالك فقالت امرأة ضالة دلنى على الطريق فقلت أى الطريق تريدين قالت طريق النجاة قلت هيهات ان بيننا وبينه عقبات لا تقطع الا بسير حثيث ونصح المعاملة وقطع العلائق الشاغلة من أمور الدنيا والآخرة فقالت سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تنقطع وحفظ عليك فؤادك فلم يصدع ثم خرت مغشيا عليها فقلت للنساء حركنها فاذا هى ميتة ووصيتها الى جانبها ان كفنونى فى أثوابى وخلوا مابينى وبينه فان كان لى عنده خير فهو اسعد لى والا فبعد النفسى * وفى الاصل قيل كان بالموصل رجل نصرانى يكنى أبا اسمعيل وانه سمع يوما قارئا يقرأ وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون فبكى حتى غشى عليه ثم اسلم وصحب فتحا الموصلى فحدث عنه انه نظر يوما الى الدخان يفور من المدينة فبكى وقال قد قرب الناس قربانهم فليت شعرى ما قربانى وجعل يبكى حتى فارق الدنيا هذا ما قرره من أول الباب الى هنا وفى كل نظر وذلك انه عقد الباب كله لعشاق الله ثم ذكر فصلا لمن مات بذلك على انه قد ذكر قبل الفصل من مات وبعده من لم يمت ثم فصل بآخر وقال انه لعشاق الحور العين وقد أمطنا ما يتوقف فيه النظر حيث لم نذكر الا ما يظهر فيه طرف المناسبة ومن هنا الى آخر الباب لم يخالف أوله فلا فائدة فى الفصل فتأمل * عن منصور بن عمار قال بينا انا فى السياحة اذ مررت بخدم وقصر ملكى لا تمكن الاحاطة بوصفه فهممت أن ادخله فانتهر ونى فلم أبال بهم ودخلت فاذا أنا بشاب فى أرفع طبقات الجمال والملابس وقد استحضر صبية تناسبه فلما رآنى هم بقتلى فقلت أنا طبيب وقد رأيت فيك داء فقال وما هو قلت ميلك الى الفانى وحبك مالا يبقى وغفلتك عما عند الله ثم وصفت له الجنة والنار وما فيهما فتجرد من وقته وكان ملك البصرة فلما خرجنا وقد زال ما فى القصر من البهجة تعلقت به الصبية وقالت على من تتركنى ثم تجردت وخرجا هائمين فلما كان بعد عام وانا فى الطواف اذا أنا به يتضرع وقد أخلقته العبادة حتى لم أعرفه الى أن قال لى انا من عرفنى ياطبيب ثم ذكرنى بالحالة ثم قال لى هل لك ان تنظر الى نسوان يعنى الصبية قلت نعم فاخذ بيدى حتى أوقفنى عليها فلما رأتنى قالت مرحبا أيها الطبيب ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فقال الرجل انى على اثرها فلا تبرح ثم نظر اليها وخر ميتا * وعن عبد الواحد بن زيد قال اشتكيت ألما فى ساقى حتى منعنى القيام فتحاملت حتى عجزت فجمعت ازارى فى المحراب وتوسدته ففقلت واذا أنا بجارية كأنها جوهرة مضيئة وعليها من الملابس ما يبهر العين

وقيل الحسن أمر مركب من اشياء وضاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية فى البشرة وقيل الحسن تناسب الخلقة واعتدالها واستواؤها ورب صورة متناسبة الخلقة وليست فى الحسن بذاك ٣٥ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا تم
رؤيته وخلفها جوار كانهن الاقمار فقالت لبعضهن احملنه ولا تؤذينه ثم قالت افرشنه ومهدنه وأقبلت تمسح على ألمى ثم قالت قم الى صلاتك بلا أذى فانتبهت كالذى نشط من عقال وعنه من رواية اخرى انها قالت له انا التى فجدت فى طلبى فانى فى طلبك قال فلم أنم بعدها وفى اخرى عنه قال فما أخذتنى السنة حتى رأيت شابا وبيده ورقة بيضاء فناولنى اياها واذا فيها

ينام من شاء على غفلة * والنوم كالموت فلا تشكل
تنقطع الاعمال فيه كما * تنقطع الدنيا على المنتقل

وكان كثيرا ما يردد هذه ويقول فرق الموت بين المصلين ولذة الصلاة ويعدد أفعال الخير واعمال الوقائع متعددة * وعن صاحب المصارع بسنده الى محمد بن الفرج قال نظرت الى جارية تباع فقلت بكم هذه قيل بألف دينار فرفعت رأسى الى السماء وقلت اللهم انك تعلم انى لا قدرة لى على ذلك وانى لو سألتك اياها لوهبتها لى ولكنى أسألك انفس منها عندك من لا تمرض ولا تسقم ومهرها عندى ان لا انام ليلا ولا اطعم نهارا ولا أضحك الى احد وها أنا مجد فى المهر فلم ير بعد ذلك على غير ما قال حتى مات * ومن رابعة العدوية قالت كان لى ورد فى الليل قد اعتدته فمرضت مرضا أعقبنى فترة عنه فبينما انا راقدة اذ نظرت كأنى فى روضة كثيرة النبات والقصور وجارية تطاردطيرا أخضر تريد أن تأخذه فانتبهت بحسنها عنه وقلت دعيه لانى لم أر احسن منه فقالت ألا أريك احسن منه فقلت بلى فاخذت بيدى فادخلتنى الى قصر ثم قالت لجوار فيه افتحوا باب القبة ففتح لها باب فدخلت الى بيت يحار فيه البصر من تلألؤ نوره ثم رفع عن بستان وخرج منه وصائف بايديهن مجامر الند والعنبر فقالت لهن الآخذة بيدى الى اين فقالوا الى فلان قد قتل فى البحر فقالت الا تجهزن هذه المرأة فقالوا قد كان لها حظ فى ذلك فتركته فانتبهت فزعة ولم انم بعدها وبقى من هذا الباب بعض حكايات لا تناسب الترجمة ومع ذلك فائدتها قليلة فلذلك أضربنا عنها

(الباب الثانى فى أحوال عشاق الجوارى والكواعب وذكر مصادرهم من العجائب)

(وفيه خمسة أقسام الاول فيمن اشتهرت سيرته وظهرت فى الحب سريرته) قد تقدم فى أحوال العشق أنه من الاحوال القديمة حتى ورد فيه ما سمعت من الاخبار والآثار وغالب ما يكون من قبل النساء حتى قال بعض العارفين واظنه الجنيد كما ان النساء حبائل الشيطان فهن حبائل العرفان اذ قد يتوصل العاقل من عشقهن الى معرفة مبدعهن لان المقدمات الصريحة تنتج الاغراض الصحيحة وبالحرى من امعن النظر فى مخلوق زائل ترقى عند معرفة غايته الى دائم فاعل وهذا مثل قولهم الرياء قنطرة

يباض المرأة فى حسن شعرها فقد تم حسنها وقالت عائشة رضى الله عنها البياض شطر الحسن وقالوا فى الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب فالجميلة التى تأخذ جملة بصرك فاذا دنت منك لم تمكن كذلك والمليحة التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل لجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم والمليحة أيضا من الملحة وهى البياض والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه وقال بعضهم الظرف فى القد والبراعة فى الجيد والرقة فى الاطراف والخصر والشأن كله فى الكلام واحسن الحسن ما لم يجلب بتزيين وقال امرؤ القيس
وجدت بها طيبا وان لم تطيب
وقال آخر

ان المليحة من تزين حليها
لا من غدت بحليها تتزين

وقال بعض أهل اللغة العرب تقول الحلاوة فى العينين والملاحة فى الفم والجمال فى الانف والظرف فى اللسان ومنه قول الحسن رضى الله عنه اذا كان اللص ظريفا لا يقطع أى اذا وقع دفع عن نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه وما أحسن قول بعضهم البدن فيه الوجه والاطراف * وفى الوجه المحاسن والبها الاستشراف * وفى المحاسن النكت التى هى الغاية فى الاستحسان والاستظراف

* كالملاحة فى العين ونكتة الملاحة الدعج وكالحسن فى الفم ونكتة الحسن الفلج وكالطلاوة فى الجبين ونكتة الطلاوة البلج وكالرونق فى الخد ونكتة الخد الضريح * ومما يستحسن فى المرأة طول أربعة وهى اطرافها رقامتها وشعرها وعنقها * وقصر

*ومما حسنات وقلت أنا ووجه زال رونقه فاضحت * محاسنه بلحيته عيوبا قليل الحظ بالشامات امسى * فما حسناته الا ذنوبا

أربعة يديها ورجليها ولسانها وعينيها والمراد بهذا القصر المعنوى فلا تبذر مافى بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل بلسانها ولا تطمح بعينيها * وبياض اربعة لونها ٣٦ وفرقها وثغرها وبياض عينها وسواد أربعة اهدابها وحاجبيها وعينيها

وشعرها * وحمرة أربعة لسانها وخدها وشفتيها مع لعس وشراب بياضها بحمرة * وغلظ أربعة ساقها ومعصمها وبجيرتها وما هنالك * وسعة أربعة جبهتها وجبينها وعينها وصدرها * وضيق أربعة فمها ومنخرها ومنفذ اذنيها وما هنالك وهو المقصود الاعظم من المرأة * قيل وجدت جارية فى زمن بنى ساسان بهذه الصفات المذكورة جميعها فما كان أحقها ان يقال فى حقها

لوان عزة حاكت شمس الضحى فى الحسن عند موفق لقضى لها

وحكى ان بعض ملوك الصين اهدى الى كسرى انوشروان ملك فارس هدية من جملتها جارية تغيب فى شعرها وتتلألأ جمالا فبعث اليه كسرى بهدية من جملتها جارية طولها سبعة اذرع تضرب اهداب عينيها خديها كأن بين اجفانها لمعان البرق مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرهن اذا مشت

* (فصل) * قال فى روضة المحبين كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبد الله وكان عمر بن الخطاب يسميه يوسف هذه الامة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وقال بعض الحكماء ينبغى للعبد ان ينظر كل يوم فى المرآة فان رأى صورته حسنة فلا يشنها بقبيح فعله وان رآها قبيحة فلا يجمع بين قبح الصورة والفعل فان وقد نظم بعضهم هذا فقال ياحسن الوجه توق الخنا * لا تفسدن الزين بالشين وياقبيح الوجه كن محسنا * لا تجمعن بين قبيحين

الاخلاص * عن ابن عباس قال لما عتقت بريرة وكان زوجها حبشيا وفى رواية أسود وخيرت فاختارت الفسخ جعل يطوف فى المدينة باكيا يترضاها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تزوجته فقالت ان أمرتنى بذلك فقال لا آمرك ولكنى شفيع وقد أخرج القصة البخارى وفى تتمة ذيل الامالى للقالى عن ابن الانبارى قال دخلت على ابراهيم بن محمد وقد ساءته جارية له البيع فاجابها وكان يحبها فأنشد

أبت الغداة بوصلها غدار * فدموع عينك لا تجف غزار

واستبدلت بك صاحبا ومؤانسا * وكذا الغوانى وصلهن معار

وكان ابن عباس يوما جالسا بفناء الكعبة اذ وضع يزيد به شخص قد حمله قومه الى الكعبة يستشفون له فكشف عنه فانشد

بنا من جوى الاحزان والحب لوعة * تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكن ما أبقى حشاشة ماترى * على ماترى عود هناك صليب

فرأى رسما عافيا وحساخافيا وجسما باليا فمكث أربعين يوما لا يسأل الله بعد صلاته الا المعافاة من العشق وأخرج ابن عساكر فى الامالى ان هذا المذكور عذرى وقال السيوطى فى شرح الشواهد ان اسمه عروة بن قيس وأنه ولع بجارية من العرب فزوجوه بها بشفاعة الحسين بن على فاقام معها مدة وكانت أمه تقسم عليه ان يفارقها وهو يقول لها اخاف تلاف نفسى فلم ترض فلما كان يوم حرشديد وقفت حافية على الرمل وأقسمت لا تزول أو يفارق عروة الجارية ففارقها فقاياه فجعل يرداديه الوجد حتى امتنع من الطعام والشراب وعاود أهلها فاقاموا عليه فاقام أياما وحمل كما ذكر الى الكعبة فلم يفن عنه فلما عاد وابه توفى فى الطريق * وحكى ان الاحوص بن جعفر الشاعر المشهور كان يهوى اخت زوجته ولا يفصح باسمها وفى الامالى ان اسمها نخلة فتزوجت برجل من العرب اسمه مطر فاشتد بالاحوص الغرام فباح به وأنشد

أان نادى هديلا ذات فلج * مع الاشواق فى فنن حمام

ظللت كأن دمعك درسلك * هوى نسقا واسلمه النظام

تموت تشوقا طربا وتحسيا * وأنت جوى بدائك مستهام

كذلك من تذكر ام حفص * وحبل وصالها خلق رمام

صريع مدامة غلبت عليه * تموت لها المفاصل والعظام

وانى من بلادك أم حفص * سقى بلدا تحليه الغمام

احل النعف من أحد وادنى * مساكنها الشبيكة اوسنام

سلام الله يامطر عليها * وليس عليك يامطر السلام

فلا غفر الاله لمنكحيها * ذنوبهم وان صلوا وصاموا

كأن المالكين نكاح سلمى * غداة يرومها مطر ينام

ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس معظما فى القلوب لم يبعث الله نبيا الا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت كما قال على بن أبى طالب وقد سئل أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٧ مثل السيف قال لا بل مثل القمر وفى صفته صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه فكان كما قال شاعره حسان بن ثابت

متى يبد فى الداجى البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد

فمن كان اومن قد يكون كأحمد * نظام لحق اونكال لمعتدى

(وقال أيضا)

فأجمل منه لم ترقط عينى * وأكمل منه لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا رآه يقول

أمين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رآه ينشد قول زهير

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المضىء ليلة البدر

ونظرت اليه عائشة يوما ثم تبسمت فسألها عن ذلك فقالت كأن أبا كبير الهذلى انما عناك بقوله

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وفى الجملة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن فى الذروة العليا وروى ان بعض الصحابة لقى راهبا فقال صف لى محمدا كانى انظر اليه فانى رأيت صفته فى التوراة والانجيل فقال لم يكن بالطويل البائن

فان يكن النكاح احل شئ * فان نكاحها مطر احرام

فلو لم ينكحوا الا كفاه * لكان كفيئها الملك الهمام

فطلقها فلست لها بكفء * والاعض مفرقك الحسام

وساق فى المطرب الحكاية بعينها الا انه زاد بيتا فى الاول وهو

الا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

وقال فى البيت الاخير والابعل مفرقك بدل عض * وأخرج أبو الفرج الاصفهانى عن زياد بن عطفان قال كنا بباب بعض الولاة واذا باعرابى ينادى من أراد ان يسمع العجائب فليدن منى فدنوت منه واذا هو الرماح بن مالك القيسى فقلت ما عندك فقال اعلم انى علقت امرأة يقال لها ام جحدر فاتصلت بها وطال الامر وانى عتبتها يوما فقلت لها الوصل عليك مردود فقالت ماقضى الله فهو خير وارتحلوا عنا وطال الامر وراجعنى الشوق فنذرت مراجعتها ان دنت دارها فلما كان ذلك خرجت اتصفح احياء العرب حتى وجدت امرأتين امام البيت فى كساء فسلمت عليهما فردتا احداهن وسالت عن شأنى فاخبرتها فاشارت لى بدخول بيت فدخلت واذا الساكنة ام جحدر وقامت لتدخل الى واذا بغراب ينعق فتغيرت فاقسمت عليها الا ما اخبرتنى عن تغيرك فقالت ان الغراب يخبرنى ان لا اجتماع ففارقتها وغدوت لما أصبح النهار فاخبرتنى امرأة أخيها انها شاميا خطبها الى أهلها فزوجوه بها فجئت بالقرب من خبائها مترددا أياما الى ان مضى بها فكنت أنشد

اجارتنا ان الخطوب تنوب * على وبعض الامنين تصيب

اجارتنا لست الغداة ببارح * ولكن مقيم ما أقام عسيب

فان تسأليني هل صبرت فانني * صبور على ريب الزمان صليب

جرى بانبتات الحبل من أم جحدر * ظباء وطير بالفراق نعوب

نظرت فلم اعيف وعافت وبنت * لها الطير قبلى واللبيب لبيب

فقالت حرام ان نرى بعد يومنا * جميعين الا ان يلم غريب

اجارتنا صبرا فبارب هالك * تقطع من وجد عليه قلوب

ومما نقله هنا من ان ابن ميادة سرق الابيات فغير مسلم فى الجمع وابن ميادة هو الرماح ابن مالك بن ابرد بن ميادة المشار اليه والابيات له ما عدا الاولين ولهما ثالث لم يورده والثلاثة لامرئ القيس بن حجر الكندى ولهما حكاية عجيبة هى انه لما قتل والده مضى الى قيصر ملك الروم يستنصره فوعده النصر فاقام بالقسطنطينية اياما فرأته ابنة قيصر فعلقته وراسلته فاجتمع بها وفيها يقول الا انعم صباحا القصيدة المشهورة وان القصة بلغت قيصر فكره قتله جهارا للشنعة فالبسه حلة قد دهن زيقها بالسم وأمره بالمسير فلما بلغ جبلا يقال له عسيب عن القسطنطينية مسافتين لعب فيه السم فنزل الى جانب قبر فلما

ولا بالقصير فوق الربعة أبيض اللون مشربا بالحمرة جعد الشعر ليس بالعطط جمته الى شحمة اذنه صلت الجبين واضح الخد ادعج العينين أقنى الانف فلج الثنايا كأن عنقه ابريق فضة وجهه كدائرة القمر فأسلم الراهب وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا

الحسن قد القيت عليه المحبة والمهابة فمن وقعت عليه عيناه أحبه وهابه وقد كمل الله سبحانه له مراتب الكمال ظاهرا وباطنا فكان أحسن خلق الله خلقا وخلقا صورة ٣٨ ومعنى وهكذا كان يوسف عليه الصلاة والسلام قال ربيعة قسم الحسن نصفين

أحس بالموت سأل عن القبر فقيل هو قبر امرأة غريبة فقال ادفنوني الى جانبها وأنشد البيتين الاولين وبعدهما

اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

واما قوله فان تسأليني هل صبرت الى آخر الابيات فللرماح وماذكر من ان الثالث للجاهلي لم يعلم له ناقل وقد ساق القصة ابن هشام في شرح الدريدية وذكرها ابن عساكر في تاريخه الكبير وقوله نظرت فلم أعيف يعني لم أدر لك حال الفرقة من زجر الطير المعروف عندهم بالعيافة وهو علم نفيس ولنافيه رسائل وأخبر ابن دريد عن عمه قال عشقت حبيبة الحضرية ابن عم لها فدرى قومها فحجبوها فانشدت

هجرتك لما ان هجرتك أصبحت * بناشمتا تلك العيون الكواشح
فلا يفرح الواشون بالهجر ربما * أطال المحب الهجر والحب ناصح

وبعد النوى بين المحبين والهوى * مع القلب مطوى عليه الجوارح

وهذا الذي ذكر من أول الباب الى هنا كالمقدمة لهذا الباب وقد آن الشروع في مقاصده واصدرها باحد العشاق الاربع قال الفارسي في تنزيه النفس من لدن ادار الله الافق على نظام التربيع حيث جعل دائرة العالم العلوي أربعة والعناصر والرياح والطبائع كذلك جعل المذاهب وطريقة الحقيقة يعني مسالك الصوفية والعشاق كذلك وكل من هذه معروف في مواضعه فاما العشاق فجميل بثينة ومجنون ليلى وكثير عزة وقيس لبنى وهذا سر اشارة الاستاذ في التائية وغيرها الى ماذكرنا كقوله

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى أو كثير عزة

وأقدم الكلام على جميل لانه كما يقال انسب الاربعة وأما تقديمه في نزهة النفوس المجنون فمراعاة للاولية وجميل المذكور هو ابن عبد الله بن عامر يتصل نسبه بقضاعة كذا قاله مغلطاي عن ابي الفرج الاصفهاني كان شاعرا فصيحا منطيقا صادق الصبابة عفيفا منزها عن الرذائل عارفا بالنسيب روى عنه كثير وهو عن هدبة ابن الخشرم عن الحطيئة عن زهير بن أبي سلمى بضم السين صاحب المعلقة نشأ في قومه بني ربيعة بوادي القرى بين المدينة ومكة فعلق بثينة بنت يحيى بن ثعلب من قومه صغيرين فلما انتشآ خطبها فرد لان العرب كانت تستهجن ان تزوج من جرى بينهما عشق فكان يأتيها سرا يتصادقان فعلموا به فاراد واقتله وانما غمزته عن ذلك فاستخفى وفي ذلك يقول

فلو ان القادون بثنة كلهم * غيارى وكل حارب هزمع قتلي
لحاولتها اما نهارا مجاهرا * واما سرى ليل ولو قطعت رجلي

فلما شاع ذلك شب حواش أخو بثينة باخت جميل وتفاخرا فغلبه جميل بشهادة العرب حتى قالوا له قل ماشئت في نفسك وأبيك وأنت الباسل الجواد ولحواش قل وأنت دونه في نفسك ويقال ان سبب عشقه بثينة انه سرح ابله يوما بوادي البغيض وانسطح فاتت

مع جوار يملأون الماء فعبثت بفصيل له فتساباوهذا أخذ من قوله

وأول ماقاد المودة بيننا * بوادي بغيض يابثين سباب
وقلت لها قولا فجاءت بمثله * لكل كلام يابثين جواب

واستعدى أهلها عليه مروان بن هشام الحضرمي وكان واليا من قبل عبد الملك على تيماء وقيل ربعي بن دجاجة فتوعده فمضى مستخفيا الى الشام وقيل الى سيد من بني عذرة فأحسن مكانه وزين سبع بنات له رجا ان يعلق واحدة منهن فيتزوج بها فكن يرفعن الخباء اذا أقبل جمل فقطن لذلك فانشد

حلفت لكيما تعلميني صادقا * والصدق خير في الامور وأنجح
لتكليم يوم واحد من بثينة * ورؤيتها عندي الذ واملح
من الدهر أو اخلو بكن وانما * اعالج قلبا طامحا حيث يطمح

(وفي نزهة النفوس)

لرؤية يوم واحد من بثينة * الذ من الدنيا لدي واملح

وهو أحسن تركيبا واظهر في اعمال افعل التفضيل وقوله من الدهر معمول ٢ حلفت وفي نسخة مدى الدهر وهو أحسن وأنسب فقال الشيخ أرخين الخباء فوالله لن يفلح أبدا يعني لا يرجع عن العشق ويدل للاول قوله

* أتاني عن مروان بالغيب انه * مقيد دمي أو قاطع من لسانيا
فني العيش محياة وفي الارض مهرب * اذا نحن دافعنا لهن المثانيا

ويحتمل تعدد الواقعة ولما عزل عاد وقيل مما استدل به على تمكن عشقه لها وانه لا يمكن سلوه عنها مع حكاية البنات المذكورة قوله فيما رواه الشهاب محمود في منازل الاحباب عنه

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل * الى الآن ينمي حبها ويزيد
وافنيت عمري في انتظار نوالها * وافنت بذاك الدهر وهو جديد

(والعشاق من امثال ذلك كثير فمن ذلك قول عروة)

هواها هوى لا يعرف القلب غيره * فليس له قبل وليس له بعد

(وقول المجنون)

* ولما ابى الاجماع فؤاده * ولم يسل عن ليلى بمال ولا اهل
تسلى بأخرى غيرها فاذا التي * تسلى بها تغرى بليلى ولا تسلى

واعظم ماقيل في هذا المعنى واسجم والطف وارق واصنع وامنع قول الاستاذ رحمه الله

حديثي قديم في هواها وماله * كما عملت بعد وليس له قبل

فانه قد جمع مع معاني الابيات المذكورة الصناعات البديعية من المقابلة الضدية والطرفية ولعمري انها لم تجتمع لغيره فيما نعلم وعن مغلطاي عن ابي الفرج وشت جارية

مايشاء انه الصوت الحسن والوجه الحسن ولهذا قال أبو فراس

قد فاق بدر السماء حسنا
والناس في حبه سواء
فزاده ربه عذارا
تم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير
يزيد في الخلق مايشاء

(وحكي) عن بعض النساء انها كانت تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك فقالت انها تحسن الوجه وانا احب ان يحسن ٣ وجهي * وحكي ان المأمون استعرض جيشا فمر رجل قبيح الوجه فاستنطقه فرآه ألكن فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع أثرها في الظاهر كانت صباحة واذا وقع أثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر له ولا باطن وكل شخص له حكمان أحدهما من جهة جسمه وهو منظره والآخر من جهة نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فرع أصحاب الفراسة من معرفة أحوال النفس الهيئة البدنية حتى قال بعض الحكماء قلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة وقد قال عليه الصلاة والسلام اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فهذا كله يدل على ان الحسن وكمال الجسم من الفضائل ويدل عليه قوله تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم والحسن أول سعادة الانسان لان الله تعالى بلطيف حكمته لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من الآفات الا واضاف اليها ما يناسبها من العقل والصفات وقلما تجد الخلق الا تبع للخلقة تناسبا

لا كالبهائم وعلى هذا حكاية الرشيد اما خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكوني أحسن من هذا القمر فانت طالق فافتى

مطردا واصلا لا ينعكس واجماعا لا ينقرد وما خلق الله نياقط الا وقد بهر أهل زمانه بحسنه وإحسانه فاذا نظرته أول مرة رأيته

احسنهم صورة واتقنهم بنية فهو أولاهم مرتبة وأعلاهم منقبة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يعذب الله حسان الوجوه سود الحدق قال الامام فخر الدين الرازى فى اسرار التنزيل ما ملخصه حسن الصورة وان كان أمرا مرغوبا فيه فان حسن السيرة أفضل منه ويدل عليه وجوه منها ان حسن الصورة من مطالب الشهوة وحسن السيرة من مطالب الحكمة ولا شك ان الحكمة أفضل من الشهوة فكان حسن السيرة افضل من حسن الصورة لا محالة ومنها ان يوسف عليه الصلاة والسلام اجتمع له حسن الصورة وحسن السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع فى أنواع من البلايا منها ان اباه كان يحبه أزيد من اخوته بدليل قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا فلهذا قصدوا قتله بدليل حكايته عنهم اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ومنها انه وقع بسبب الحسن فى أسر الرق ومراودة امرأة العزيز وادخاله السجن بسبب ذلك فلما علم الملك بعد ذلك حسن سيرته اصطفاه لنفسه وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين ولم يقل صبيح مليح فدل ذلك على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة ومعلوم ان حسن الصورة لا يبقى الا أياما قلائل وأما حسن السيرة فانه لا يزول اثره ولا تبطل نتيجته (قلت) وممن حصل له الاذى بسبب حسن صورته نصر بن حجاج وذلك ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه مر ليلا فسمع امرأة تقول

بجميل وبثينة الى ابيها وانه الليلة عندها فأتى واخوها مشتملين معتمدين سيفيهما فقتل فسمعاه يقول لها بعد شكوى شغفه بها هل لك فى طف عما بى بما يفعل المتحابان فقالت قد كنت عندى بعيدا من هذا ولو عدت اليه ان ترى وجهى ابدا فضحك ثم قال والله ما قلته الا اختبارا ولو اجبت اليه لضربتك بسيفى هذا ان استطعت والا هجرتك اما سمعت قولى

وانى لأرضى من بثينة بالذى * لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلى وبأن لا أستطيع وبالمنى * وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى * أواخره لا نلتقى واوائله

فقالا لا ينبغى لنا ايذاء من هذه حالته ولا منع التزاور وانصرفا وسأل عبد الملك يوما كثيرا عن حال جميل وبثينة فقال يا امير المؤمنين سايرته يوما اليها فلما وصلنا بالقرب منهم اقبلت مع نسوة فلما رأينه ولين ووقفا يتحادثان من أول الليل حتى طلع الفجر ثم قالت حين ازمعا الفراق ادن منى فدنا فأسرت اليه فخر مغشيا عليه فلما أفاق انشد

فما ماء مزن فى جبال منيفة * ولا ما كنت فى معادنها النحل
باشهى من القول الذى قلت بعدما * تمكن فى حيزوم ناقتى الرحل

وعن كثير قال سألنى جميل أخذ موعد من بثينة فقلت هل بينكما موعد قال بوادى الدوم وهى تغسل الثياب فجئت اباها وهو جالس فحادثته قليلا ثم أنشدته

وقلت لها يا عز ارسل صاحبى * على نأى دار والموكل مرسل
فان تجعلى بينى وبينك موعدا * وان تأمرينى بالذى فيه أفعل
وآخر عهد منك يوم لقيتنى * بأسفل وادى الدوم والثوب يغسل

فضربت سحاف البيت وقالت اخسأ فقال ابوها ما هذا فقالت كلب يأتينا من وراء هذه الرابية اذا نام الناس فضيت واخبرته فاقبل حتى اجتمعا ليلة وسارته كما سلف الا انه انشد البيتين عند افاقته لم يغير فيهما غيرا ن قال * فامكنه ترفى مجامر جنة * ولا ما سرت وعن مغلطاى قال دخلت بثينة على عبد الملك وقد اخلقها الدهر فقال لها ما الذى رأى فيك جميل حتى عشقك فقالت ما رأى فيك الناس حتى ولوك الخلافة فضحك حتى بدت له سن سوداء كان يسترها ودخل مصعب بن الزبير يوما على زوجته عائشة بنت طلحة وكان شغفا بها فوجدها تتمشط فتمثل بهذا البيت

ما انس لا انس منها نظرة عرضت * بالحجر يوم جلتها ام منظور

فقيل له ان ام منظور المشار اليها فى هذا البيت موجودة فاستحضرها واستحكاها عن سبب قول جميل هذا البيت فقالت كنت ماشطة لبثينة وانى زينتها يوما فاقبل على بعير مارا فرآها بمؤخر عينيه فانشد البيت فأمرها مصعب ان تصنع بعائشة كذلك وصنع هو بجميل وله فيها من الاشعار ما لا يحصى ما بين وصف ونسيب وذكر حكاية الى غير ذلك فمن

(فصل) قد تقدم ذكر ما يستحسن من المرأة فلنذكر ههنا ما قالته الشعراء فى تشبيه الاعضاء بالحروف لانهم أكثروا من ذلك فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالميم والصاد

هل من سبيل الى خمر فاشربها * او هل سبيل الى نصر بن حجاج فدعا نصر بن حجاج وهو من بنى سليم فرآه احسن الناس وجها وله شعر حسن فحلق شعره فكان احسن منه بشعر فقال لا تساكنى فى بلد تشفع نصر اليه ان لا يخرجه من المدينة فلم يقبل عمر رضى الله عنه فلما ودعه نصر قال له يا امير المؤمنين لقد سمتنى قتل نفسى فقال عمر كيف ذلك فقال قال الله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم فقرن هذا بهذا فقال عمر ما ابعدت لكن أقول ما قال شعيب عليه السلام ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله ولقد اضعفت لك يا نصر عطاءك ليكون ذلك عوضا لك (أقول) ذكرت بحلقه شعره فكان أحسن منه بشعر قول بعضهم فى ذلك

حلوا وأسه ليزداد قبحا
غيرة منهم عليه وشحا
كان صبحا عليه ليل بهيم
فمحوا ليله وابقوه صبحا

وما أحسن قول السراج الورّاق فى مليح قلندرى

عشقت من ريقته قرقفا
وماله اذ ذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا
منه كنون الخط من كاتب

سلطان حسن زاد فى عدله
فاختار ان يبقى بلا حاجب

(وقال) ابن سنا الملك

حكيت جسمى نحولا
فهل تعشقت حسنك
وكان جفنك مضنى
فصرت كالك جفنك
وزادك السقم حسنا
والله انك انك

مستحارها الالامية التى أنشدها العمر بن ابى ربيعة وكان من أجل معاصريه فى الشعر لقيه يوما فتفاخرا واستنشده جميل فأنشد

الم تسأل الاطلال والمتربعا * ببطن خليات دوارس بلقعا
أتانا رسول من ثلاث كواعب * ورائقه تستجمع الحسن اجمعا
فلما توقفنا وسلمت اقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما عرفننى * وقلن امرؤ باغ اضل واوضعا
وقرّبن أسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن اصبعا
فقلت لمطريهن بالحسن اغنما * ضررت فهل تطيع نفعا فتنفعا

فانشده جميل اثر هذا القصيد قصيدته المشهورة التى أولها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى * بثينة أو بدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل وانتى * لاقسم مالى عن بثينة من مهل
احلما فقبل اليوم كان أوانه * او آخشى فقبل اليوم أوعدت بالقتل

(ومنها)

اذا ما تناشدنا الذى كان بيننا * جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل
كلانا بكى أو كاد يبكى صبابة * الى الفه فاستعجلت عبرة قبلى
فيا ويح نفسى حب نفسى الذى بها * ويا ويح اهلى ما اصيب به اهلى
خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلى

ومنها بيتان أنشدهما وقد مر به رجل فأضافه فريد الجعل يأكل ويبث وجدا به على ابنة عمه حتى اتى عليه وهما

ويعجبنى من جعفران جعفرا * يلح على قرصى ويبكى على جمل
فلو كنت عذرى العلاقة لم تكن * بطيئا وانسالك الهوى كثرة الاكل

ولما انشد جميل هذه القصيدة قال لعمر يا ابا الخطاب هل لك فى هذا الروى شئ قال نعم وانشد

جرى ناصح بالود بينى وبينها * فقرّبنى يوم الخضاب الى قتلى
وطارت بوجد من فؤادى ونازعت * قرينتها حبل الصفاء الى حبلى
فما انس ما الاشياء لا انس موقفى * وموقفها يوما بقارعة النخل
فلما توقفنا عرفت الذى بها * كمثل الذى بى حذوك النعل بالنعل

(ومنها)

فسلمت واستأنست خيفة ان يرى * عدوى بكافى اوبرى كاشح فعلى
فقالت وارخت جانب الستر انما * معى فتحدث غير ذى رقبة أهلى
فقلت لها ما بى لهم من ترقب * ولكن سرى ليس يحمله مثلى

والثنايا بالسين والطرة المضفورة بالشين ومن احسن ماقيل فى ذلك قول محاسن الشواء ارسل فرعاولوى هاجرى صدغا فأعيا بهما واصفه تخفت ذا من خلفه حية تسعى وهذا عقربا واقفه ذى الف ليست لوصل ودى واو ولكن ليست العاطفه

(وقول الآخر)

ياسين طرتها وصاد عيونها
انى أعوذ بها بسورة ناظره

(وقول ابن مطروح)

قالت لنا الف العذار بخده
فى ميم مبسمه شفاء الصادى

(وقول ابن نقادة)

صنع الجمال فصاده من عينها
والنون حاجبها بخال نقطة
والميم فوها فالحروف تألفت
مكتوبة والصبر عنها يكتظ

(وقول الآخر)

لاتقل لى لا فمكتوب على
وجهك المشرق نورا نم
بحروف صورت من قدرة
ماجرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها
طرفك الفتان والميم الفم

(وقال شهاب الدين أحمد بن الخيمى)

ان صدغ الحبيب والفم والعا
رض منه واو وصاد ولام
هى وصل بين المحاسن لما
تم حسنا وبالعذار التمام
غير أنى أراه وصل وداع
فيه يقضى افتراقنا والسلام

(وقلت أنا)

حبيب تغالى قده حين سمته
وقال قوامى رمحه مايقوم
وخط عذارى أعجم الخال لامه
ولم أدر ان اللام فى الخط يعجم

(وقلت أيضا)

يرنو الى بعين نون حاجبها * كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان (وقلت أيضا) فى عكس هذا المعنى

وهو تشبيه الحروف بالاعضاء فى تقريظ قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن

وقيل ان جميلا لم ينشد فى هذه المرة شيأ بل قال له امض بنا الى بثينة فقال له قد حجر على فقال دلنى على أبياتها ففعل ومضى عمر فاجتمع بها ثم عاد ثانية وتلاقيا فانشد جميل رائيته وهى

خليلى عوجا اليوم حتى تسلما * على عذبة الانياب طيبة النشر
فانكما ان عجتمالى ساعة * شكرتكما حتى اغيب فى قبرى
وانكما ان لم تعوجا فانى * سأصرف وجدى فأذنا اليوم بالهجر
ومالى لاأبكى وفى الايك نائح * وقد فارقتنى نهتة الكشح والخصر
أيبكى حمام الايك من فقد الفه * واصبر مالى عن بثينة من صبر
يقولون مسحور يجن بذكرها * فأقسم مابى من جنون ولا سحر
واقسم لا انساك ماذر شارق * وماهب آل فى معلمة قفر
ومالاح نجم فى السماء معلق * وما ورق الاغصان من ورق السدر
لقد شغفت نفسى بثين بذكركم * كما شغف المجنون يابين بالخمر
ذكرت مقامى ليلة البان قابضا * على كف حوراء المدامع كالبدر
فكدت ولم أملك اليها صبابة * أهيم وفاض الدمع منى على النحر
فيالیت شعرى هل ابيتن ليلة * كليلتنا حتى نرى ساطع الفجر
تجود علينا بالحديث وتارة * تجود علينا بالرضاب من الثغر
فليت الهوى قد قضى ذاك مرة * فيعلم ربى عند ذلك ماشكرى
ولو سألت منى حياتى بذلتها * وجدت بها ان كان ذلك من أمرى

فلما سمعها عمر اعجب بها ثم قال لجميل دونك هذه وأنشد * امن آل نعم أنت غاد فمبكر *

(ومنها)

وغاب قبير كنت أرجو غيوبه * وروح رعيان ونوم سمر
فحييت اذ فاجأتها فتولهت * وكادت بمكتوم التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتنى * وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر
أريتك اذ هنا عليك المخف * رقيبا وحولى من عدوك حضر
فوالله ماأدرى أتجميل حاجة * أتى بك أم قد نام ماكنت تحذر
فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى * اليك وماعين من الناس تنظر
فيالك من ملقى هنالك مجلس * لنا لم يكدره علينا مكدر
يميج ذكاء المسك منها كأنما * رقيق الحواشى ذو غروب مؤشر
يرق اذا تفتر عنه كأنه * حصا برد أو أقحوان منور
وترنو بعينيها الى كمارنا * الى زرنب وسط الخميلة جؤذر
فلما تولى الليل الا أقله * وكادت توالى نجمه تتغور

اشارت

اشارت بأن القوم قد كان منهم * هبوب ولكن موعد لك عزور
فمارا عنى الامتاد برحلة * وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنور منهم * وايقاظهم قالت أشر كيف تأمر
فقلت أباديهم فاما أفوتهم * واما ينال السيف ثأرا فيثأر
فقالت التحقيق لما قال كائح * علينا وتصديق لما كان يؤثر
اذا كان مالابد منه فغيره * من الامر أدنى للخفاء واستر
أقص على اختى يدى حديثنا * ومالى عما يعلما متأخر
لعلهما أن يبعثا لك حيلة * وأن يرحبا صدرا بما كنت أصدر
فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا * اقلى عليك الخطب فالامر أيسر
يقوم فيمشى بيننا متسترا * فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجنى دون من كنت أتقى * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما التحمنا ساحة الحى قلن لى * الم تشق الاعداء والليل مقمر
وقلن اهذا دأبك الدهر سادرا * أما تنتهى أو ترعوى أو تفكر

وقد أنشد عمر هذه القصيدة لعبد الله بن عباس بحضرة نافع بن الازرق واتفق اهل ذلك العصر على انه ليس احد اشعر من جميل وابن ابى ربيعة وكان جميل يثنى على ابن أبى ربيعة كثيرا وكان الناس يقولون هو فى عينيته أشعر وجميل فى لاميته والذى يظهر أن جميلا أشعر مطلقا عند التأمل ومن اشعار جميل ايضا قوله

ألا ليت ايام الصفاء جديد * ودهرا تولى يابثين يعود
فنبقى كما كنا تكون وأنتم * صديق واذما تبدلين زهيد
وما انس ما الاشياء لا انس قولها * وقد قربت نحوى أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التى ترى * أتيتك فاعذرنى فدتك جدود
خليلى ما اخفى من الوجد ظاهر * ودمعى بما أخفى الفؤاد شهيد
الا قد أرى والله لا رب غيره * اذا الدار شطت بيننا ستزود
اذا قلت مابى يابثينة قاتلى * من الحب قالت ثابت ويزيد
وان قلت ردى بعض عقلى أعش به * مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فما ذكر الخلان الا ذكرتها * ولا البخل الا قلت سوف تجود
فلا أنا مردود بما جئت طالبا * ولا حبها فيما يبيد يبيد
جرت لك الجوازى يابثين سلامة * اذا ماخليل بان وهو حميد
وقلت لها بينى وبينك فاعلمى * من الله ميثاق له وعهود
وقد كان حبيكم طريفا وتالدا * وما الحب الا طارف وتليد
وان عروض الوصل بينى وبينها * وان سهلته بالمنى لصعود

فكم الف بها امسى * رشيق القامة النضره وكم شين بحاشية ال * كتاب تخالها طرره
وعين أصبحت فى العين * من مثل العيز والنقره (وقلت أيضا) فى تقريظ كتاب ورد على بعض الاحباب من رسالة

افتتحتها بقصيدة منها

رفضت النوم بعدك ياعلى
فلا تعجب لدمعى ان توالا
ووافانى كتاب منك عال
حكت القامة السمر الطوالا
وكم شاهدت من خط ولكن
مثالك مارأيت له مثالا
لئن امست به الفات قطع
فكم وصل به ضمن الوصالا
وكم ألف به للوصل لاحت
كفصن البان لينا واعتدالا
تعانق لامها طورا يمينا
وآونة تعانقه شمالا
ظننت اللام فيه عذار خد
وخالت النقط فوق الخد خالا
وامسى طالع الطاآت فيه
يعلم لينه الغصن الكمالا

(وقال القاضى الفاضل) من رسالة كتب بها الى موفق الدين خالد القيروانى وقد وقف له على رسالة كتبها بالذهب جاء منها فمن ألفات الفت الهمزات غصونها جاثم ومن لامات بعدها يحسدها المحب على عناق قدودها النواعم ومن صادات نقعت غلة القلوب الصوادى والعيون الحوائم ومن واوات ذكرت مافى وجنة الاصداغ من العطفات ومن ميمات دنت الافواه من ثغرها لتنال جنى الرشفات ومن سينات كانها الثنايا فى تلك الثغور ومن دالات دالات على الطاعة لكاتبها بالخضاء الظهور ومن جيمات كالمناسر تصيد القلوب التى تخفق لروعات الاسنحسان كالطيور وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين وخالد فيها خالد وتحيته فيها الجاحد ويده تضرب فى ذهب ذائب

والناس تضرب فى حديد بارد
عقدنا له ذكر احسن الملوك طباعا

فكرا واقربهم مرجوعا
واكثرهم بالحبيب ولوعا اذهم
فى الحقيقة اولى الناس بذلك
واحقهم بالنوم على تلك الارائك
وذلك بحسب ماسولته لهم نفوسهم
وزينه لهم جليسهم كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

فنهم من قنع من محبوبه بالنظر
حتى مات كمداً ولحق مثل نور الدين
الشهيد بالشهداء وستأتى حكايته
فى باب العفاف ان شاء الله تعالى
ومنهم من أصبح دونه فى العفاف
واقام سالف محبوبه مقام السلاف
ومنهم من خلع العذار واحتج
بقول الشاعر فى العقار

دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداوني بالتى كانت هى الداء

بجمع ما بين ذات العقود وابنة
العنقود واكن مع صيانه
ورجوع الى ديانه فهو وان
طال به المجلس اختصر وان جنى
فيه على محبوبه اعتذر كما قيل

ان أكن قد جنيت فى السكر ذنبا
فاعف عنى يا راحة الارواح

اى عقل يبقى هنالك لمثلى
بين سكر الهوى وسكر الراح

ومنهم من نال بالراح اللذة المحظورة
واخرج بها وجنة الحبيب من
صورة الى صورة كجارى النديم
فى الجريال وسما الى الحبيب سمو حباب الماء حالا على حال فافضى به ذلك الى هلكه وفساد ملكه وطابت

(الباب الثانى فى ذكر المحبين الظرفاء من الملوك والخلفاء) أقول هذا باب
٤٤ واطولهم باعا واطيبهم عيشا واكثرهم طيشا وارقهم شعرا وادقهم

فأفنيت عيشى بانتظار نوالها * وأبلت بذاك الدهر وهو جديد
فليت وشاة الناس بينى وبينها * يدوف لهم سما طعائم سود
وليتهم فى كل عمى وشارق * تضاعف أكبال لهم وقيود
ويحسب نسوان من الجهل أننى * اذا جئت اياهن كنت اريد
فأقسم طرفى بينهن فيستوى * وفى الصدر بون بينهن بعيد
الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة * بوادى القرى انى اذا لسعيد
وهل اهبطن أرضا تظل رياحها * لها بالثنايا الشاويات وئيد
وهل القين سعدى فتى الدهر مرة * ومارث من حبل الوصال حديد
فقد تلتقى الاهواء من بعد يأسها * وقد تطلب الحاجات وهى بعيد
وهل ازجرن حرفا علاة شملة * بخرق تبارى بها سواهم قود
على ظهر سرحوب كأن نسوره * اذا حار هلاك الطريق رقود
سبتنى بعينى جؤذر وسط ربرب * وصدر حكى لون اللجين وجيد
تزيف كما زافت الى سلفاتها * مباهية طى الوشاح ميود
اذا جئتها يوما من الدهر زائرا * تعرض منقوص اليدين صدود
يصد ويقضى عن هواى ويجتنى * ذنوبا علينا انه لعنود
فاصرمها خوفا كانى مجانب * ويقفل عنا مرة فنعود
فمن يعط فى الدنيا قرينا كمثلها * فذلك فى عيش الحياة رشيد
يموت الهوى منى اذا ما لقيتها * ويحيا اذا فارقتها فيعود
يقولون جاهد يا جميل بغزوة * واى جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل بينهن شهيد
اذا ذكرت قالت قد ادركت وده * وما ضرنى بخلى فقيم اجود
ومن كان فى حبى بثينة يمترى * فبرقاء ذى ضال على شهيد
الم تعلمى يا أم ذا الودع انى * اضاحك ذكراكم وانت صلود

وممن كان يلهج بهذه القصيدة لرصانتها ولطفها معبد وكان من اشهر الناس بالدخول وضرب العود والغناء والغريض وكان اعظم منه حكى عنه فى الاغانى ان الجن افتتنت به فاخرجوه الى مكة فاقام بها لا يفتح بابه وان معبدا أراد الاجتماع به فقصده واقام يطرق الباب فلم يجب فهجس له انه لا يخرجه الا الغناء فانشد علقت الهوى منها وليدا البيت فلم يشعر الا وقد فتح الباب وأذن له فدخل عليه فتصادقا وانشده (وما انس ما الاشياء لا انس قولها) الى خمسة ابيات ثم قال انما غنيتك ذلك لانى علمت انك تريد ان اغنيك

وما انس ما الاشياء لا انس شادنا * بمكة مكحولا اسيلا مدامعه
وان الجن قد منعتنى عنه قال معبد فقلت لم تعد ما اريد ثم فارقته حين رأيته يستثقل المجالسة

وطلبت ان يكمل لى السرور بأن أضم الى اجتماعى به اجتماعى بمن رأى جميلا لا آخذ عنه القصيدة ففتح لى شيخ فى بنى عذرة فجئته فسألته عن جميل فحدث انه كان فى ابل له واذا رجل غشاه فنزل به فلما ائتلفا قال له هل لك ان تصنع معى من الخير ما لو كانت لك الدنيا ذهبا وانفقتها على لم تبلغ معشاره قلت وما هذا قال تمضى الى وراء السفح فتنشد لى بكرة صفتها كذا قلت نعم ومضيت فوجدت العرب مجتمعين على جزور ينحرونها فاستطلعتهم عنها ثم استأذنتهم فى البيوت وقلت لهم ان النساء ادرى بالمبارزة فأذنوا فانصرفت انصفح الحى الى ان احتدم النهار ولم أظفر بطلبه واذا أنا بثلاث بنات فقلت لا أنصرف اليه وأدع هذا اليسير فجئتهن فسلمت فرددن ثم استنشدتهن البكرة فقالت احداهن قد أصبت حاجتك ثم أدخلتنى بيتا وأتتنى بقدح مقضض فيه تمر وصحفة شامية مقضضة فيها لبن فتناولت كفايتى ثم قالت ان بكرتك تأتى هذه الشجرة فتطوف بها الليل فرجعت اليه وحدثته القصة فابتهج كالذى أصاب بغيته وأنا لا أدرى فلما جاء الليل وآنس ان قد نمت عمد الى رحله فاستخرج بردين ملوكيين من برود الخلافة فاتزر بأحدهما واتشح بالآخر ومضى فتبعته بحيث لم يشعر حتى تلاقيا فلم يكن بينهما الا ما يرضى الوشاة الى ان رأيا الصبح فلما أزمعا الفراق سبقته ونمت وجاء فصلى ثم نبهنى وهو مسرور فأكل معى وشرب ثم اخبرنى انه جميل وانها بثينة ثم أعطانى بردا واعتذر وودعنى بعد ان قال هل لك ان تمضى فتنشدها أبياتا قلتها بعدك منصرفى عنها قلت نعم فانشدنى وما انس ما الاشياء الابيات الخمسة فمضيت اليها فقالت قد جئت بالامس طالبا واليوم مسلما وذكرت تنامه ووجده ثم قلت هل أنت بارزة الى قالت نعم فسمعت جارية تقول لها يا بثينة ان عليه بردجيل ثم خرجت فى زينة وقالت يا أخاتيم ان بردك لا يشبه ما عليك واستخرجت ملاءة مصبغة بالعصفر واقسمت ان اتشح بها ففعلت وانشدتها ما قال ورجعت بملحفة بثينة وبردجيل وحكى الشيخ لمعبد ان جميلا لما اجتمع ببثينة قالت له هل قلت شيأ فأنشدها

علقت الهوى منها وليدا ولم يزل * الى اليوم ينمى حبها ويزيد
وافنيت عمرى فى انتظارى نوالها * وافنت بذاك الدهر وهو جديد

قال معبد فرجعت جذلان بما اجتمع لى مما طلبت وعن أبى زيد حين قرئت عليه هذه القصيدة ان هذين البيتين يليهما ما قوله فلا أنا مردود اليت وفى نسخة ان قوله فما انس ما الاشياء بعد قوله فما أنا مردود ومنه برواية ملغطاى

وكأن طارقها على علل الكرى * والنجم وهنا قد دنا التعوار
نشوان ريح مدامة معلولة * بذكى مسك أو سحيق العنبر
انى لأحفظ غيبكم ويسرنى * لو تعلمين بصالح ان تذكرى
ويكون يوما لا أرى للدهر سلا * اونلتقى فيه على كاشهر
يا ليتنى أخشى المنية بغتة * ان كان يوم لقائكم لم يقدر

ثم قال يا ربيع اترانى لا أحسن التدبير والسياسة واكن
٤٥ غيرنا عاس اشهى الى من مقابلة الناس

وكذلك خلع قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والامراء من آثر راحة النفس على تعب السياسة والذى اراه طلاق ما ذهبوا اليه بالصريح ومفارقة الجميع على وجه مليح كما قيل

لو رأى وجه حبيبى عاذلى
لتفارقنا على وجه مليح

(وما أحسن قول أبى الفتح البستى)

اذا غدا ملك بالهو مشتغلا
فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس فى الميزان هابطة
لما غدا وهو برج اللهو والطرب

ومن هنا شرع فى ذكر من ذل لمحبوبه من الملوك فاصبح مع كونه مالكا كالمملوك وهم فى ذلك لشدة الباس على خلاف ما عليه الناس وذلك لان العشق واصحابه طبقات فنهم من لا يطيب له العشق الا بالذل وهذا هو الغالب على العشاق الصادقين فى المحبة كما قال الشيخ شرف الدين بن الفارض

ولو عز فى الحب مالذ الهوى
ولو لم يذل لم تكسب عزة

وكما قيل

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة
فكم عزة قد نالها المرء بالذل

ومنهم من يرى توحيد المحبوب وعدم الشريك كما قيل

ليس فى القلب موضع لحبيبين ولا احدث الامور اثنان * فكما العقل واحد ليس يدرى
فكذا الذات واحد ليس يهوى * غير فرد مباعدا ومدان * خالقا غير واحد رحمن
وكذا الدين واحد مستقيم * وكفور من عنده دينان

هو فى شرعة الموتة ذو شر * لبعيد من صحة الايمان فمن كان على خلاف هذا ممن يرى الشريك فى المحبة كالرشيد وغيره
كما يأتى بيانه فى بابه لم يكن محبا ٤٦ حقيقة وهذا الغالب على الملوك لكثرة مالديهم واختلاف الشكل

عليهم كما قيل

تنقل فلذات الهوى فى التنقل

ورد كل صاف لاتقف عند منهل

فالملوك ليسوا كغيرهم لقدرتهم على من يحبونه بالنقود الفضة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة نعم قد يعشق الملك العظيم فلا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وانما أكثر مايظهر من أمر الملوك ان يضعوا محبوبهم فى مقام مالكهم وهم مالكوه كما قال الحكم بن هشام ملك الاندلس

ظل من فرط حبه مملوكا

ولقد كان قبل ذاك مليكا

تركته جاذر القصر صبا

مستهاما على الصعيد تريكا

يجعل الخد واضعا فوق ترب

للذى يجعل الحرير اريكا

هكذا يحسن التذلل بالحر

اذا كان فى الهوى مملوكا

وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جوار

ملكت الثلاث الآنسات عنانى

وحللن من قلبى بكل مكان

مالى تطاوعنى البرية كلها

واطيعهن وهن فى عصيانى

ماذاك الا ان سلطان الهوى

وبه قوين أعز من سلطانى

(وقال) المستعين بالله بن الحكم الاموى أحد خلفاء المغرب واجاد

عجبا بهاب الليث حد سنانى

واهاب لحظ فواتر الاجفان

وتملكت نفسى ثلاث كالدمى * بزهر الوجوه نواعم الابدان

واقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران

وأما

لو استطيع تجلدا عن ذكركم * فأنى بعد صبابتى وتفكرى

لو تعلمين بما أجن من الهوى * لعذرت أو لظلمت ان لم تعذرى

فلتبكين البا كيات ولم أبح * يوما بسرك معلنا لم اغدر

(ومنه)

منع النوم شدة الاشتياق * واد كار الحبيب يوم الفراق

ليت شعرى اذا بثينة باتت * هل لنا بعد بينها من تلاق

واقد قلت يوم نادى المنادى * مستحثا برحلة وانطلاق

ليت لى اليوم يا بثينة منكم * مجلسا للوداع قبل الفراق

حيث ما كنتم وكنت فانى * غير ناس للعهد والميثاق

وعن ابن عياش قال لقيت مجنونا من بنى عذرة فقلت لها هل تروى شيأ عن جميل ومحبوبته قالت نعم كنت يوما وبثينة قد انفردت نيوم غزلا والعرب قد اعتزلت الطريق خوف المارة الى الشام واذا برجل قد اقبل الينا فاستبثناه فاذا هو جميل فقلت له قد عرضتنا ونفسك شرا فمن أين جئت قال من هذه الهضبة ولى بها ثلاثة انتظر الفرصة لاحدث بكم عهدا فانى ذاهب الى مصر فخدثنا ساعة وهو لا يتماسك فجئته بقدح فيه تمر واقط فنال منه يسيرا ثم ودع ومضى فلم نلبث ان جاء أهل الحى ومنه

ارى كل معشوقين غيرى وغيرها * يلذان فى الدنيا ويغتبطان

وامشى وتمشى فى البلاد كأننا * اسيران للاعداء مرتهنان

أصلى فابكى فى الصلاة لذكرها * لى الويل مما يكتب الملكان

ضمنت لها ان لا أهيم بغيرها * وقد وثقت منى بغير ضمان

الا ياعباد الله قوموا فسمعوا * خصومة معشوقين يختصمان

وفى كل عام يسخجدان مرة * عتابا وهجرا ثم يصطلحان

يعيشان فى الدنيا غريبين أينما * أقاما وفى الاعوام يلتقيان

وعن سهل الساعدى ٢ قال قال لى رجل هل تعود جميلا فانه مريض فدخلنا عليه فاذا هو يجود بنفسه فنظر الى وقال ماتقول فى رجل لم يزن قط ولم يشرب خمرا ولم يسفك دما ويشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله منذ خمسين سنة قلت من هذا فانى اظنه ناج قال انا قلت عجبا منك تشب بثينة هذه المدة وأنت كذلك قال أنا فى آخر يوم من الدنيا لانا تنى شفاعة محمد ان كنت وضعت يدى عليها بريبة واكثر ما كان منى ان اسندتها الى فؤادى استريح ساعة ثم أغمى عليه فلما افاق أنشد

صرح النوى وما كنى بجميل * ونوى بمصر ثواء غير قفول

قومى بثينة فاندبى بعويل * وابكى خليلك دون كل خليل

٢ الذى فى شرح الشواهد للسيوطى العباس بن سهل الساعدى

فاجبن من قلبى الحمى وتركننى * فى عزملكى كالاسير العانى لاتعذلوا ملكا تذلل للهوى * ذل الهوى عز وملك ثانى

ماضر آل عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبدانى ٤٧ (قلت) وكم مثله من ملك قاهر وسلطان قادر تذل لهيبته الاملاك وتدعن لسطوته الفتاك هدم الهوى اركانه واذل عزه وسلطانه فقصر جفنه فى الليالى الطوال واوقعه مع عقله الحسن فى اسر الاعتقال فقال

اما يكفيك انك تملكينى

وان الناس كلهم عبيدى

وانك لو قطعت يدى ورجلى

لقلت من الرضا احسنت زيدى

وقيل هما للرشيد وقيل هما للمأمون وقيل هما للمهدى (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان) كان السلطان أبو عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله أحد ملوك الاندلس جميلا حسن السياسة منظاهرا بالدين رأيته مرارا بغرناطة وأنشدنى شعرا وحضرت عنده انشاد الشعر ومن شعره

اريارية الخدر التى اذ هبت نسكى

على كل حال انت لابدلى منك

فامابذل وهو اليق بالهوى

واما بعز وهو اليق بالملك

(وقال الملك الامجد)

من منلى فى عصرى

بستانى فى قصرى

معشوقى مملوكى

غنى لى من شعرى

(وقال الملك الظاهر) فى مملوكه

ايها الجامدار

انا مالك مملوك ظبى اغيد

ومن العجائب مالك مملوكه

وانا الفتى وانى من وصله * بين البرية معدم صعلوك ولكم سفكت دما بسيفى عنوة * ودمى بسيف لحاظه مسفوك

(وقال الملك الاشرف فى مملوكه) وكان خازندار ه دويت افدى فرا تحار فيه الصفة * يسخو بدمى وهو أمين ثقة

ولما حضرته الوفاة قال من ينعانى الى بثينة قال رجل أنا فأعطاه حلته فراح حتى جاء الحمى فأنشد

بكر النعى وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول

بكر النعى بفارس ذى همة * بطل اذا احم اللقاء مذيل

فسمعته بثينة فخرجت مكشوفة تقول

وان سلوى عن جميل لساعة * من الدهر لا حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر * اذا مت باساء الحياة ولينها

ثم قالت للناعى يا هذا ان كنت صادقا فقد قتلتنى وان كنت كاذبا فقد فضحتنى فقالت لها والله انى لصادق وخرجت الحلة فلما رأتها صرخت وصكت وجهها واقبل النساء يبكين معها حتى خرت مغشيا عليها ثم افاقت وانشدت وان سلوى البيتين فلم يسمع منها غيرهما حتى قضت

(اخبار كثير عزة)

هو ابو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الاسود الشهير بابى جمعة قد اوصله الكلبى فى جمهرة النسب الى ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة المشهور أحد أولاد الازد ومن اجداده عمرو بن ربيعة الذى دعا العرب عن دين ابراهيم الى عبادة الاصنام واقترح السوائب والبحيرة فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج يجر قصبه فى النار وهو من خزاعة سموا بذلك لانقطاعهم عن الازد أيام سيل العرم وجاؤا الى الشام وهو صاحب عزة بنت جميل ابن حفص بن اياس بن عبد العزى يتصل نسبها الى عبد مناف علقها جارية قد كعبت نهودها بدليل قوله

نظرت اليها نظرة وهى عاتق * على حين ان شبت وبان نهودها

نظرت اليها نظرة ما يسرنى * بها حمر انعام البلاد وسودها

وكان سبب دخول الهوى بينهما ان كثيرا مر بغنم له ترد الماء على نسوة من ضمرة بوادى الحبت فارسلن له عزة بدريهمات تشترى بها كبشا لهن منه فنظرها نظرة متأمل فدا خله منها ما كان فرد الدراهم واعطاها الكبش وقال ان رجعت أخذت حتى فلما عاد سألنه ذلك فقال لا أقتضى الا من عزة فقلن له ليس فيها كفاءة فاختر احدانا فابى وأنشد البيتين فجعلن يبرزنها له كارهة ثم داخلها ما داخله وانه خرج لزيارتها يوما ومعه اداوة ماء فجفت من الحر ورفعت له نارفأمها واذا بعجوز فناشدته من الرجل فقال صاحب عزة فقالت له انت القائل

اذا ما أتينا خلة كى تزيلنا * ابين وقلن الحاجبية اقول

سنوليك عرفان أردت وصالنا * ونحن اناس الحاجبية أوصل

هلا قلت كما قال جميل

فماذا عجبا يحظ مالى ويرى * وحبى تلفت به ولا يلتفت

وبقية ماله من المقاطيع ذكرتها فى الباب الاول من نقل الكرام

فى مدح المقام وذكرت فيه أيضا حكاية محبوبه ابن ثلوكه وما بان فيها عنه من حسن السيرة وهى من أغرب ما يحكى عن الملوك وقال الملك تميم

بالله جد لى بوعد صدق * وخل هذا الدلال عنكا

ولا تدعنى أظل أشكو * مثل محبالك ليس يشكا

(وحكى) عن المأمون انه غضب على جاريته عريب المغنية وكان كلفا بها فأعرض عنها واعرضت عنه ثم أسلمه الغرام وأقلقه الشوق حتى أرسل اليها يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه وكلما قام تردد عليه فأنشأ يقول

تكلم ليس يوجعك الكلام * ولا يزرى بحاسنك السلام

أنا المأمون والملك الهمام * ولكنى بحبك مستهام

يحق عليك ان لا تقتلينى * فيبقى الناس ليس لهم امام

فقالت له يا أمير المؤمنين والدك أمير المؤمنين هرون الرشيد اعشق منك حيث يقول ملك الثلاث الآنسات الابيات المتقدمة وتمام حكايتها ذكرتها فى الباب الثانى من السكردان وهى حكاية مليحة جدا ورأى المأمون أيضا يوما غلاما مليحا لاحد بنى يوسف فقال ما اسمك يا فتح فقال المأمون يا فتح يا فاتح البلوانى

ويا عليما بطول شكوانى * الحمد لله لا شريك له

فبلغ ذلك أحمد فوهبه الغلام قلت فكان كما قيل كل ما يصلح للمو * لى على العبد حرام

ويهتز

مولاك عبدى وأنت مولانى

يارب عارضة علينا وصلها * بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها بالقول بعد تأمل * حبى بثينة عن وصالك شاغلى

لو كان فى قلبى كقدر قلامة * فضلا لغيرك ما أتتك رسائلى

والله لا سقيتك شيأ فتركها وانصرف ولما اشتدت حالته انشد

يزهدنى فى حب مية معشر * قلوبهم فيها مخالفة قالى

فقلت دعوا قلبى وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وما تبصر العينان فى موضع الهوى * ولا تسمع الآذان الا من القلب

هكذا رواه ابن اسحق وقال الشهاب محمود بذلك ونقل فى الطبقات الابيات الا انه قال يزهدنى فى حب عزة معشر * ثم قال هذه الابيات لكثير وقد توهم قوم انها الذى الزمة بدليل قوله يزهدنى فى حب مية معشر وليس كذلك وانما كان سهوا ودخل كثير على عبد الملك ابن مروان فقال له وقد كان يتهمه بالتشيع بحق على هل رأيت اعشق منك فقال لو أقسمت على بحقك لاخبرتك فقال بحقى الا ما اخبرتنى فقال يا امير المؤمنين خرجت يوما واذا أنا بصياد قد نصب شبكته ليصطاد ما يستدبه رمقه فقلت له ان ساعدتك تركتنى فيما يكون قال نعم فجاءت ظبية فوقعت فى الاحبولة فسبقنى اليها فحلها ثم مسح وجهها وقبلها واطلقها وأنشد

اباشبه ليلى لا تراعى فانتى * لك اليوم من وحشية لصديق

اقول وقد اطلقتها من وثاقها * فانت لليلى ما حييت طليق

فعينك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك دقيق

ودخلت عزة على ام البنين بنت عبد العزيز فقالت لها ما الحق الذى مطلته كثيرا اذ قال

قضى كل ذى حق فوفى حقوقه * وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت وعدته قبلة فقالت تجزيها وعلى اثمها وفى رواية ان الحكاية مع سكينة بنت الحسين وفى الذيل من رواية الفارسى * قضى كل ذى دين فوفى دينه * وفى أخرى غريمه وللبيت حكاية من عجيب الاتفاق هى ان كثيرا كان له غلام يتجر على العرب فأعطى النساء الى أجل فلما اقتضى ماله منهن ما طلته عزة فقال لها يوما وقد حضرت فى نساء اما آن ان تفى بما عندك فقالت كرامة لم يبق الا الوفاء فقال صدق مولاى حيث يقول قضى كل ذى دين وأنشد البيت فقلن له اتدرى من غريمتك فقال لا لعن هى والله عزة فقال أشهدكن على انهم انى حل مما عندها ومضى فاخبر مولاه بالحكاية فقال له وأنت حر وما عندك لك ورأيت فى روضة الدولتين لابى شامة ان الذى وهبه كثيرا ألف دينار وأنشد حين أعتق الغلام

سيهلك فى الدنيا شفيق عليكم * اذا غاله من حادث الدهر غائله

يود بأن يمسى سقيما لعلها * اذا سمعت عنه بشكوى تراسله

وقعد والده الرشيد يوما عند زبيدة وعندها جواريها فنظر الى جارية واقفة على رأسها فأشار اليها ان تقبله فاعتذرت بشفتيها فدعا بدواة وقرطاس فوقع فيه قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه

ثم ناولها القرطاس فرقعت فيه فما برحت مكانى حتى وثبت عليه

فلما قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له فمضى بها وأقام معها اسبوعا لا يدرى مكانهما فكتبت اليه زبيدة

وعاشق صب بمعشوقة * كانما قلباهما قلب

روحاهما روح ونفساهما * نفس كذا فليكن الحب

(وحدث) أبو جعفر قال بينما محمد ابن زبيدة يطوف فى قصره اذ مر بجارية له سكرى وعليها مطرف خز وهى تسحب أذيالها من التيه فراودها عن نفسها فقالت يا أمير المؤمنين انك قد هجرتنى مدة ولم يكن عندى علم بموافاتك فأنظرنى الليلة حتى أتهيأ للقبالة وآتيك فى غد فلما أصبح انتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسألها انجاز الوعد فقالت يا أمير المؤمنين اما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج من مجلسه فقال من بالباب من الشعراء فقيل له مصعب والرقاشى وأبو نواس فأمر بهم فدخلوا فلما جلسوا بين يديه قال ليقل كل واحد منكم شعرا يكون آخره كلام الليل يمحوه النهار فأنشأ الرقاشى يقول

متى تصحو وقلبك مستطار * وقد منع القرار فلا قرار

وقد تركتك صبا مستهاما * فتاه لا تزور ولا تزار

اذا استنجزت منها الوعد قالت * كلام الليل يمحوه النهار

(وقال مصعب) أتعذلنى وقلبى مستطار * كئيب لا يقر له قرار

بحب مليحة صادت فؤادى * وبهتز للمعروف فى طلب العلا * لتحمد يوما عند عزة شمائله

ودخلت عزة على عبد الملك فقال لها أترون قول كثير

لقد زعمت انى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى يا عز لا يتغير

تغير جسمى والخليقة كالتى * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت لا أدرى هذا ولكن أروى قوله

كأنى أنادى صخرة حين اعرضت * من الصم لو تمشى بها العصم ذلت

صفوحا فما تلقاك الا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فضحك من ذلك وقيل انه سألها عن قوله قضى كل ذى دين وهذان البيتان من قصيدة طويلة رواها فى الذيل عن ابن دريد عن عمه عن حماد عن كثير وقال انها من عجائب شعره وهى

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا * ولا موجعات الحزن حتى تولت

وفى رواية ولا موجعات القلب البيت

فقد حلفت جهدا بما نحرت له * قريش غداة المازمين وصلت

اناديك ماج الحجيج وكبرت * بقيفا غزال رفقة وأهلت

وكانت لقطع الحبل بينى وبينها * كاذرة نذرا فأوفت وحلت

فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

ولم يلق انسان من الحب ميتة * تعم ولا غماء الا انجلت

كأنى انادى البيتين

ابا حت حمى لم يرعه الناس قبلها * وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت

فليت قلوصى عند عزة قيدت * بحبل ضعيف حزمها فضلت

وغودر فى الحى المقيمين رحلها * وكان لها باغ سواى فدلت

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وكنت كذات الظلع لما تحاملت * على ظلعها بعد العثار استقلت

أريد التواء عندها وأظنها * اذا ما أطلنا عندها المكث ملت

فما انصفت امّا النساء فبغضت * الىّ واما بالنوال فضنت

يكلفها الخنزير شتمى وما بها * هوانى ولكن للملالة استذلت

هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت

ومن أول القصيدة الى قوله فما أنصفت لزوم ما لا يلزم ولم يخالفه الا فى البيت المذكور وللبيتين اللذين بعده حكاية هى ان كثيرا سافر مع جماعة الى مكة فاتفق ان خرجت عزة وزوجها فى ذلك العير فلما كان فى أثناء الطريق مرت بجمل له فسلمت على الجمل فبلغ كثيرا

تزل وقد منع القرار فلا قرار * وقد تركتك صبا مستهاما * فتاه لا تزور ولا تزار اذا استنجزت منها الوعد قالت *

بالحاظ يخالطها احورار ولما ان مددت يدى اليها * لأ لمسها بدا منها نفار فقلت لها عديني منك وعدا *
فقالت فى غد منك المزار ٥٠ فلما جئت مقتضيا أجابت * كلام الليل يمحوه النهار (وقال أبو نواس)

وخود أقبلت فى القصر سكرى
ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الرداء عن منكبيها
من التخميش والمحل الازار
وهز الريح ارداها فمالا
وغصنا فيه رمان صغار
هممت بها وكان الليل سترا
فقام لها على المعنى اعتذار
وقالت فى غد فضيت حتى
أتى الوقت الذى فيه المزار
وقلت الوعد سيدتى فقالت
كلام الليل يمحوه النهار
فقال له ويلك أكنت مطلعا علينا
أو ثالثنا فى القصر فقال لا والله
يا أمير المؤمنين ولكن نظرت
اليك فعرفت ما فى نفسك وعبرت
عما فى ضميرك فأمر له بأربعة
آلاف درهم ولصاحبيه مثلها
وذكرت هنا ما قلته فى ابن نهار
أقول لموعدى زورا بليل
بدا كالبدر فيه نم غابا
كلام الليل يا ابن نهار زيد
اذا طلعت عليه الشمس ذابا
(وقلت)
أتيت ريان الجفون من الكرى
وبت اسهر فيك مع سمارى
وتلوم ان اصبحت فى يوم الجفا
مجنون ليلى فيك يا ابن نهار
(حكى) انه كان للمتوكل غلام اسمه
شفيع وكان من احسن الفتيان
فكان المتوكل يحن به ينادمنا
فاحب يوما ان ينادم حسين بن
الضحاك ان يرى ما بقى من شهوته وكان قد اسن فأحضره فسقاه حتى سكر وقال لشفيع

ذلك فجاء الى الجمل فحله وأطلقه من الحمل وانشد

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت * فحى ويحك من حياك يا جمل
ليت النعيمة كانت لى فاردها * مكان يا جمل حييت يا رجل

زاد أبو على بينا بين هذين وهو

لو كنت حييتها مازلت ذا مقة * عندى ولا مسك الادلاج والعمل

ثم اتفق ان زوجها أمرها ليلة ان تقتبس نارا وقال فى النزهة ان تستعطى منا فلقيها كثير فاخبرته بحاجتها فاخرج اداوة سمن وجعل يسكب فى اناء عزة وهما يتحادثان فلم يشعرا حتى غرقت أرجلهما فلما رجعت انكر زوجها كثرة السمن واقسم عليها فاخبرته فحلف ليضربنها أو لتخرجن فتشتم كثيرا بحيث يسمعها ففعلت فأنشد يكلفها الخنزير البيتين وفى منازل الاحباب انها وقفت عليه وهو يبرى سهما فجعل يبرى ساعده فدخلت عليه فمسحت الدم بثوبها وان زوجها لم ينكر الا وجود الدم وقيل له أنت اشعر أم جميل فقال كيف يكون اشعر منى وهو القائل

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى * وفى الغر من انيابها بالقوادح

وأنا القائل هنيئا مريئا البيت وليس فيما ذكر دليل على انه اشعر منه وانما يدل ذلك على ان كثيرا أرق قلبا واشفق على محبوبته وأشد عشقا فلو سيق الكلام لذلك لكان الصق بالمعنى وأولى وتمام القصيدة

ووالله ما قاربت الا تباعدت * بصرم ولا أكثرت الا أقلت
فان تكن العتبى فاهلا ومرحبا * وحقت لها العتبى لدينا وقلت
وان تكن الاخرى فان وراءنا * مناويح لو سارت بها العيس كلت
فلا يبعدن وصل العزة أصبحت * بعافية أسبابه قد تولت
خليلى ان الحاجبية طلحت * قلوصيكما اذ ناقتى قد أكلت
أسيئى بنا أو احسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت
ولكن أنيلى واذكرى من مودة * بنا خلة كانت لديك فضلت
وانى وان صدت لمثن وصادق * عليها بما كانت علينا أدلت
* فما أنا بالداعى لعزة بالجوى * ولا شامتا ان نعل عزة زلت
فلا يحسب الواشون ان صبابتى * بعزة كانت غمرة فتجلت
واصبحت قد ابليت من دنفا بها * ولا بعدها من خلة حيث خلت
ومر من يوم على كيومها * وان عظمت أيام أخرى وجلت
وأضحت بأعلى شاهق من فؤاده * فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
فيا عجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس اذ وطنتها كيف زلت
* وانى وتهيامى بعزة بعدما * تخليت مما بيننا وتخلت

خدمى بحضرتى فكيف لو خلوت به ما احوجك الى الادب وكان المتوكل قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة فكتب

وكالوردة الحمراء حيا بزهرة * من الورد يمشى فى قراطق كالورد ٥١

لكالمرتجى ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيم اضمحلت
كأنى واياها سحابة ممحل * رجاها فلما جاوزته استهلت

وخرج يوما من عند عبد الملك فاعترضته مجوز معها نار فى روثة فقالت من أنت قال صاحب عزة فقالت أنت القائل

وما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من اردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

قال نعم قالت ويحك اذا أوقد المندل الرطب على هذه الروثة أو بخرت به امك العجوز الشمطاء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس بن حجر الكندى

ألم تريانى كلما جئت زائرا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فناولها مطرف خز كان معه وقال استرى على ذلك وهذه الحكاية نقلها قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى تاريخه ثم قال ان بعض مشايخ الادب قال ليس على كثير شئ فان قوله اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها نعت للروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لو لم يطلب كثير من العجوز الستر فانه عرفنا بذلك انه ما أراد الا المعنى المعترض فيكون هذا تصحيحا لاثبات قصده وتوفى كثير سنة خمس ومائة فى اليوم الذى مات فيه عكرمة مولى ابن عباس ودفن فى مقابر المدينة وله فى عزة اشعار كثيرة من محاسنها قوله

يقولون سوداء العيون مريضة * فأقبلت من أهلى اليها أعودها
فوالله ما أدرى اذا أنا جئتها * أأبرئها من دائها ام أزيدها
اذا جئتها وسط النساء مخفها * صدودا كان النفس ليس تريدها
ولى نظرة بعد الصدود من الجوى * كنظرة ثكلى قد أصيب وحيدها

وقيل ان هذه الابيات لذى الرمة لانه بعد ما ذكر يقول

وكنت اذا ما جئت ميا ازورها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

ومنها وقد سأل عبد العزيز ان يرشده الى قبر عزة فلما وقف عليه أنشد

وقفت على ربع لعزة ناقتى * وفى البرد شاش من الدمع يسفح
فيا عز أنت البدر قد حال دونه * رجيع تراب والصفيح المضرح
وقد كنت أبكى من فراقك خيفة * فهذا لعمرى اليوم انأى وانزح
فهلا فداك الموت من ان تريبه * بمن هو أسوا منك حالا وأقبح
ألا لا أرى بعد اثنة النضر لذة * لشئ ولا ملجا لمن يتملح
فلا زال رمس ضم عزة سائلا * به نعمة من رحمة الله تسفح
فان التى أحببت قد حال دونها * طوال الليالى والضريح الموشح
أو ب بعينى البكا كل ليلة * فقد كاد مجرى الدمع عينى يقرح

وقيل انه لم يقم بعدها الا سبعة أيام ومات أسفا عليها ومثل فعله هذا فى عدم دفنه محبوبته ما حكيته فى نقل الكرام فى مدح المقام فى الباب الرابع عن السلطان جلال الدين خوارزم شاه لما مات مملوكه قلج منع من دفنه فكان يحمل معه فى

تمنيت ان اسقى بعينيه شربة
تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم ابت فيه ليلة
خليا ولكن من حبيب على وعد
ثم دفعها الى شفيع فأعطاها للمتوكل
فاستملحها وقال أحسنت يا حسين
ولو كان شفيع ممن تجوز هبته
لوهبته لك ولكن بحياتى يا شفيع
الا كنت ساقيه بقية يومنا وأمر له
بمال كثير وكان شفيع المذكور
يكتب على طراز قبائه الايمن
بدر على غصن نضير
شرف الترائب بالعبير
ويكتب على الطراز الايسر
خطت صحيفة وجهه
فى صفحة القمر المنير
(ومن غريب) ما يحكى ان يزيد بن
عبد الملك بن مروان كان صبا
بجارية جاريته فخلا يوما فى لهو
معها وقال لا كذب من قال
ان الدهر لا يصفو لاحد يوما
واحضر حاجبه وقال له لا تأذن
لاحد يدخل على ولا تعلمنى بخبر
ولو كان فيه ذهاب ملكى مدة
هذا اليوم وأقام معها فى أتم حال
فتناولت رمانا فشرقت فماتت
لوقتها فعرض له عليها طرف من
الوله فحال بينه وبين الصبر ومنع
من دفنها حتى سأله جماعة من بنى
أمية فى دفنها ولاطفوه فى ذلك
فأمر بدفنها وقال

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى
فبالياس تسلو عنك لا بالتجلد

محفة وكلما حضر بين يديه طعام قال احملوا هذا الى قيح فقال له بعض الامراء أيها الملك قدمات قيح فضرب عنقه فلا حول ولا قوة الا بالله وتمام حكايته ذكرتها في ٥٢ الكتاب المذكور *(الباب الثالث في ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع الى الحبيب في النزاع)*

أقول هذا باب عقدناه لذكر من عشق قبل ان يرى فتم عليه ما تم لما جرى من دمعه ما جرى فأصبح لا يقر له قرار بعد ان كان قرير العين وشهد على عينيه بمالم تريا فكان كمن كلف ان يعقد بين شعيرتين كم ليلة رقص فيها على السماع وجمعة سهر من لياليها مثنى وثلاث ورباع فهو اعلى طبقة ممن عشق باللمس أو غيرها من بقية الحواس الخمس والظاهر ان ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب في نفس الامر أو تعارف سابق في عالم الذر كما قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس وأحسن في الاقتباس

محبة ما عرفت الدهر سلوتها ... تسري الى النفس أو تجري مع النفس

ومالها آخر لكن أوّلها ... تعارف سابق في حضرة القدس

في عالم الذر ناجاني البشير بها ... أهلا بميمنة اطهر امن الدنس

أشهى الى القلب من أمن على وجل ... ومن مجال الكرى في الاعين النعس

قولي لمشاكلة بينه وبين المحبوب الى آخره فيه اشارة الى انك لا تجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق في بعض الصفات لابد من هذا ولهذا اغتم بقراط حين وصف له رجل من أهل النقص انه يحبه فقال ما أحبني الا وقد وافقته في بعض أخلاقه ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سال عائشة رضي الله تعالى عنها عن امرأة كانت تدخل على نساء قريش فتضحكهن قدمت المدينة فنزلت على امرأة

اذا لم يكن ما تسفح العين لي دما ... وشر البكاء المستعار المسيح

ومنها

ألا حبيا ليلى اجد رحيلي ... وآذن أصحابي غدا بقفولي

تبدت له ليلى لتذهب عقله ... وشاقتك ام الصلت بعد ذهول

اريد لانسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

اذا ذكرت ليلى تغشتك عبرة ... تعل بها العينان بعد نهول

ومنها

حلفت برب الراقصات الى منى ... خلال الملا يعددن كل جديل

يمين امرئ مستغلظ من أليمة ... يكذب قيلا قد ألح بقيل

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بليلى ولا اسلمتهم برسول

فان جاءك الواشون عني بكذبة ... فروها ولم يأتوا لها بحويل

فلا تجعلي بالليل ان تتفهمي ... بنصح اقي الواشون ام بخيول

ومنها

تذكرت اترابا لعزة كالمها ... حسان بلفظ ناعم وقبول

وكنت اذا الاقيتهن كانني ... مخالطة عقلي سلاف شمول

ومنها

كفى حزنا للعين ان رد طرفها ... لعزة عير آذنت برحيل

وقالوا نأت فاخترمن الصبر والبكى ... ففلت البكى اشفى اذن لغليلي

تولت بمحزونا وقلت لصاحبي ... اقاتلتي ليلى بغير قتيل

لعزة اذ ما حل بالخيف أهلها ... فأوحش منها الخيف بعد حلول

وبدل منها بعد طول اقامة ... تبعث نكباء العشي جفول

لقد أكثر الواشون فينا وفيكم ... ومال بنا الواشون كل ميل

ومازلت من ليلى لدن طر شاربي ... الى اليوم كالمقصى بكل سبيل

ومنها

لا تغدرن بوصل عزة بعدما ... اخذت عليك مواثقا وعهودا

ان المحب اذا احب حبيبه ... صدق الصفاء وأنجز الموعودا

* الله يعلم لو اردت زيادة ... في حب عزة ما وجدت مزيدا

رهبان مدين والذين عهدتم ... يبكون من حذر العذاب قعودا

لو يسمعون كما سمعت حديثها ... خروا لعزة خاشعين سجودا

والميت ينشر ان تمس عظامه ... مساويخلدان يرك خلودا

وهذا الشعر رواه الحافظ مغلطاي كما هو عن جميل وقد رأيته في النزهة منسوبا اليه وبعد

وبعد ما ذكر بيتا استشهد به على مجيء التوكيد بالحرف قال وكثيرا ما تقله النحاة هكذا

لا لا أبوح بحب بثنة انها ... اخذت علي مواثقا وعهودا

قال القالي هو لكثير وذكر بثنة سبق قلم والاصل عزة او ان الشعراء كثيرا ما يعدلون عن اسم من يريدون الى ما لا يريدون توريه وغيره وسيأتي لذلك ايضاح

ومنها

تفرق انواع الحجيج على منى ... وفرقهم شعب الغوي بين أربع

فلم أر دارا مثلها دار غبطة ... وملقى اذا التف الحجيج لمجمع

اقل مقيما راضيا بمقامه ... واكثر جارا ظاعنا لم يودع

فشاقوك لما وجهوا كل وجهة ... سراعا واخلوا عن منازل بلقع

فريقان منهم سالك بطن نخلة ... وآخر منهم سالك خبت يفرع

(اخبار قيس ولبنى)

هو قيس بن ذريح بن سنة وفي رواية ابن الحباب يتصل نسبه بيكر بن عبد مناة عذري وهو من خزاعة واسم ابيه علي او هو جده وكان ينزل بظاهر المدينة وهو رضيع الحسين بن علي بن ابي طالب وسبب علاقته بلبنى بنت الحباب الكعبية انه ذهب لبعض حاجاته فمر ببني كعب وقد احتدم الحر فاستسقى الماء من خيمة منهم فبرزت اليه امرأة مديدة القامة بهية الطلعة عذبة الكلام سهلة المنطق فناولته اداوة ماء فلما صدر قالت له الا تبرد عندنا وقد تمكنت من فؤاده فقال نعم فهدت له وطاوعته واستحضرت ما يحتاج اليه وان اباها جاء فلما وجده رحب به ونحر له جزورا واقام عندهم بياض اليوم ثم انصرف وهو اشغف الناس بها فجعل يكتم ذلك الى ان غلب عليه فنطق فيها بالاشعار وشاع ذلك عنه وانه مر بها ثانيا فنزل عندهم وشكا اليها حين تخالينا ما نزل به من حبها فوجد عندها اضعاف ذلك فانصرف وقد علم كل واحد ما عند الآخر فمضى الى ابيه فشكا اليه ذلك فقال له دع هذه وتزوج باحدى بنات عمك فتم منه وجاء الى امه فكان منها ما كان من ابيه فتركهما وجاء الى الحسين بن علي واخبره بالقصة فرثى له والتزم له ان يكفيه هذا الشان فمضى معه الى أبي لبنى فسأله في ذلك فأجابه بالطاعة وقال يا ابن رسول الله لو ارسلت لكفيت يدان هذا من أبيه البق كما هو عند العرب فشكره ومضى الى أبي قيس ونقل السيوطي في شرح الشواهد عن ابن عساكر ان الحسين بن علي لما بلغه انقباض أبي قيس عن ذلك جاء اليه حافيا على حر الرمل فقام ومرغ وجهه على اقدامه وكان ذريح مليا فمضى مع الحسين حتى زوج قيسا بلبنى ونقل الجلال السيوطي ان الحسين ادى المهر من عنده ولما تزوجها اقام مدة مديدة على أرفع ما يكون من احسن الاحوال ومراتب الاقبال وفنون المحبة وان قيسا كان على ابلغ ما يكون من أنواع البر بأمه فشغله الانهماك مع لبنى عن بعض ذلك فحنت لابيه التفريق بينهما فقالت له يوما لو تضحك الناس بها فقال على من نزلت فلانة فقالت على فلانة المضحكة فقال الحمد لله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وأنشد طرفة

تعارف أرواح الرجال اذا التقوا ... تفهم عدو بيننا وخليل

وقال أبو الهذيل العلاف لا يجوز في دور الفلك ولا في تركيب الطبيعة ولا في القياس ولا في الحس ولا في الممكن ولا في الواجب أن يكون محب ليس لمحبوبه اليه ميل والظاهر ان هذا السر الذي ذكرناه من وجود ما بينهما من المشاكلة فان قلت فقد رأينا من أحب من لا يحبه ولا يلتفت اليه قلت ذكر عن ذلك أجوبة أحسنها أن يقال المحبة على قسمين القسم الاول محبة غرضية فهذه لا يجب الاشتراك فيها بل يقابلها مقت المحبوب وبغضه للمحب كثيرا الا اذا كان له معه غرض نظير غرضه فانه يحبه لغرضه منه كما يكون بين الرجل والمرأة لان لكل منهما غرضا مع صاحبه والقسم الثاني محبة روحانية سببها المشاكلة والاتفاق بين الروحين فهذه لا تكون الا من الجانبين ولابد فلو فتش المحب محبة صادقة قلب محبوبه لوجد عنده من محبته نظير ما عنده أو فوقه أو دونه وذكر بعضهم ان سبب المحبة ثلاثة أشياء اما رؤية صورة أو سماع نغمة أو سماع صفة فهذه الثلاثة هي أصل ينبوع المحبة اذ لا يخلو حب أحد من ان يستند الى شيء منها وقد قيل ثلاث محبات في علاقة

وحب تملاق وحب هو القتل ... وأحوال الناس تختلف في ذلك

(فمنهم) من يحب بمجرد الوصف دون المعاينة فيقفني بمن وصف له محبة ومارآه ولكن وصفه له واصف كما قيل

فانني ان ارى الديار بطرفي ... فلعلي أرى الديار بسمعي

اخذه القاضي الفاضل فقال عللوني عن الشام بذكرى

ان قلبي عليه بالاشواق مثلثه الذكرى لسمعي كاثني * اثنتي هنالك بالاحداق وقال بعض الحكماء ان الله عز وجل جعل القلب اميرا لجسد وملك الاعضاء فجميع ٥٤ الجوارح تنقاد له وكل الحواس تطيعه وهو مدبرها وبارادته تنبعث ووزيره العقل وعاضده الفهم ورائده العينان وطليعته الاذنان وهما في باب النقل سيان لا يكتمانه شيأ ولا يطويان عنه سرا يعني العين والاذن وقيل لافلاطون ايهما أشد ضررا السمع أم البصر فقال هما للقلب كالجناحين للطائر لا ينهض الا بهما ولا يستقل الا بقوتهما وربما قص أحدهما فتحامل بالآخر على تعب ومشقة قيل فما بال الاعمى يحب وما رأى والاصم يحب وما سمع فقال له لذلك قلت ان الطائر قد ينهض باحدى جناحيه ولا يستقل طيرانا فاذا اجتمعا كان ذهابه امضى وطيرانه قوى وكان يقال الحب أوله السماع ثم النظر كما ان أول الحريق الدخان ثم الشرر

(حكى) عن أبي تمام انه سمع جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها فقال

ولم أفهم معانيها ولكن
شجت قلبي فلم احمل شجاها
فكنت كانني اعمى معنى
يحب الغانيات ولا يراها

قال ابن طاهر قلت لابي تمام أخذت هذا المعنى من أحد فقال نعم من قول بشار

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة
والاذن تعشق قبل العين احيانا

قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم
الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

قلت والظاهر ان بشارا أخذ قوله هذا من كلام الحكيم المتقدم ذكره وتبعه أبو يعقوب الخريمي فقال

قد قالت للقلب لا لبالك فاعترف * قضت لبانة ما قضيت فانصرف
قالت وتهزأ بي غداة لقيتها * يا للرجال لصبوة العميان
فأجبتها نفسي فداؤك انما * عيني واذني في الهوى سيان

زوجته بمن تحمل لتجيء بولد كان ابقى لنسبك واحفظ لبيتك ومالك وانهما عارضا على قيس ذلك فامتنع امتناعا يؤذن باستحالة ذلك وقال لا اسيبها قط وأقام يدافعهما عشر سنين الى ان اقسم ابوه او هي امه لا يكنه سقف او يطلق قيس لبنى فكان اذا اشتد الهجير يجيئه فيظله بردائه ويصطلي هو حتى يجيء الني فيدخل الى لبنى فيتعانقان ويتباكيان وهي تقول له لا تفعل فتهلك الى ان قدر ان طلقها فلما ازمعت الرحيل بعد العدة جاء وقد قوض فسطاطها فسأل الجارية عن امرهم فقالت سل لبنى فأتى اليها فمنعه اهلها وأخبروه انها غداة غد ترحل الى اهلها فسقط مغشيا عليه فلما افاق انشد

وانى لمن دمع عيني بالبكى * لحذار الذي قد كان او هو كائن
وقالوا غدا او بعد ذا بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو باين
وما كنت اخشى ان تكون منيتي * بكفيك الا ان ما حان حائن

وقال ايضا

يقولون لبنى فتنة كنت قبلها * بخير فلا تندم عليها وطلق
فطاوعت اعدائي وعاصيت ناصحي * واقررت عين الشامت المتملق
وددت وبيت الله اني عصيتهم * وحلت في رضوانها كل موثق
وكلفت خوض البحر والبحر زاخر * ابيت على انباج موج مغرق
كاني ارى الناس المحبين بعدها * عصارة ماء الحنظل المتفلق
فتنكر عيني بعدها كل منظر * ويكره سمعي بعدها كل منطق

وسقط غراب بحيث ينظره فنعق حين رحيلها فأنشد

لقد نادى الغراب بين لبنى * فطار القلب من حذر الغراب
وقال غدا تباعد دار لبنى * وتنأى بعد ود واقتراب
فقلت تعست ويحك من غراب * وكان الدهر سعيك في تباب

وتبعها حين ارتحلت ينظر اليها فلما غابت رجع فجعل يقبل اثر بعيرها فليم على ذلك فأنشد

وما أحببت أرضكم ولكن * اقبل اثر من وطئ الترابا
لقد لاقيت من كلف بلبنى * بلاء ما أسيغ له الشرابا
اذا نادى المنادي باسم لبنى * عييت فلا أطيق له جوابا

ولما أجنه الليل أوى الى مضجعه فلم يطق قرارا فجعل يتململ ويتمرغ في موضعه ويقول

بت والهم بالبنى ضجيعي * وجرت مذ نأيت عني دموعي
وتنفست اذ ذكرتك حتى * زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي
يا لبنى فدتك نفسي وأهلي * هل لدهر مضى لنا من رجوع

وقال أيضا

قد قلت للقلب لا لبالك فاعترف * قضت لبانة ما قضيت فانصرف
قد كنت أحلف جهدي لا أفارقها * أف لكثرة زيف القيل والحلف
حتى تكنفني الواشون فافتلتت * لا تأمنن أبدا من غمش مكتنف
هيهات هيهات قد أمست مجاورة * أهل العقيق وأمسينا على سرف
حي يمانون والبطحاء منزلها * هذا لعمرك شكل غير مؤتلف

وأرسلت اليه يوما أمه بنات بعين لبنى عنده ويلهينه بالتعرض الى وصلهن فأنشد

يقصر لعيني قربها ويزيدني * بها عجبا من كان عندي يعيبها
وكم قائل قد قال تب فعصيته * وتلك لعمري توبة لا أتوبها
فيا نفس صبرا الست والله فاعلمي * بأول نفس غاب عنها حبيبها

فلم ينصرفن ودمن على ما كن فيه فنادى يا لبنى فقلن ما لك قال خدرت رجلي وكان من المعلوم عند العرب انه اذا خدرت رجل الرجل وذكرها أحب الناس اليها سكنت ثم قال

اذا خدرت رجلي تذكرت من لها * فناديت لبنى باسمها ودعوت
دعوت التي لو ان نفسي تطيعني * لفارقتها في حبها فقضيت
برت نبلها للصيد لبنى عشية * ورشت باخرى مثلها وبريت
فلما رمتني أقصدتني بنبلها * وأخطأتها بالسهم حين رميت
وفارقت لبنى ضلة فكأنني * قرنت الى العيوق ثم هويت
فيا ليت اني مت قبل فراقها * وهل يرجعن قول المفرط ليت
فوطن لنفس منك هلكا فانني * كانك بي قد يا ذريح قضيت

ورأيت الابيات في كتاب لا أعرف جامعه وفيها يقول

فيا ليت اني مت قبل فراقها * وهل ينفعن بعد التفرق ليت
فان يك تيهاني بلبنى غواية * فقد يا ذريح بن الحباب غويت

فوطن البيت ولما اشتد شوقه وزاد غرامه افضى به الحال الى مرض الزمه الوساد واختلال العقل واشتغال البال فلام الناس اباه على سوء فعله فجزع وندم وجعل يتلطف به فأرسل له طبيبا وقينات يسألون عن حاله ويلهونه فلما أطالوا عليه انشد

عند قيس من حب لبنى ولبنى * داء قيس والحب صعب شديد
فاذا عادني العوائد يوما * قالت العين لا أرى من أريد
ايت لبنى تعودني ثم أقضي * انها لا تعود فمن يعود
وريح قيس لقد تضمن منها * داء خبل فالقلب منه عميد

فقال له الطبيب مذ كم هذه العلة بك ومذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت فقال

تعلق روحي روحها قبل خلقنا * ومن بعدما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا واصبح ناميا * وليس اذا متنا بمنقصم العقد
ولكنه باق على كل حادث * وزائرتي في ظلمة القبر واللحد

(وقال بشار أيضا) الحب انما يتولد بالقلب والفكر وانشد في ذلك يزهدني في حب عبدة فعشر * قالوا بهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب ٥٥ وما تبصر العينان في موضع الهوى *
ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وقال الحصري وقد صدق فيما نطق انما احست الحواس الخمس بواسطة توسطتها النفس (وقد قال الخليل بن أحمد)

ان كنت لست مي فالذكر منك معي
يرعاك قلبي وان غيبت عن بصري
العين تبصر من تهوى وتعشقه
وناظر القلب لا يخلو من النظر

وقال مظفر بن ابراهيم الاعمى في الاعتذار عن العشق مع العمى

قالوا عشقت وأنت أعمى
ظبيا كحيل الطرف ألمى
وحلاه ما عاينتها
فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنا
م فما اطاف ولا ألما
من اين ارسل للقوا
د وأنت لم تنظره سهما
ومتى رأيت جماله
حتى كما لك هواه سقما
وبأي جارحة وصلـ ـت
لوصفه نثرا ونظما
والعين داعية الهوى
وبه تنم اذا استقا
فأجبت أني موسوى
العشق انصانا وفهما
اهوى بجارحة السما
ع ولا أرى ذات المسمى

(وقال المدني)

ايا من لامني في حب
من لم يره طرفي
لقد أفرطت في وصفـ ـك
لي في الحب بالضعف

فقل هل تعرف الجنـ ـة يوما بسوى الوصف وما احسن قول المهذب ابن الشحنة من قصيدة مدح بها مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب مطلعها وانى امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وقالت لى الآمال ان كنت لاحقا * بأبناء أيوب فانت الموفق وقلت انا من قصيدة أمدح بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن وفيه زيادة حسنة ٥٦ مطلعها وحياة وجهك وهو بدر مشرق * قلبى عليك كما علمت واشفق

فقال انما يسليك عنها تذكرما فيها من المساوى والمعايب وما تعافه النفس فقال

اذا عيبتها شبهتها البدر طالعا * وحسبك من عيب لها شبه البدر
لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما * على ألف شهر فضلت ليلة القدر
اذا ما مشت شبرا من الارض ارجفت * من البهر حتى ما تزيد على شبر
لها كفل يرتج منها اذا مشت * ومتن كغصن البان منضم الخصر

وان اباه دخل وهو يخاطب الطبيب بذلك فجعل يؤنبه ويلومه فلما لم يفد ذلك عرض عليه التزويج فأنشد

لقد خفت ان لا تقنع النفس بعدها * بشئ من الدنيا وان كان مقنعا
وازجر عنها النفس ان حيل دونها * وتأبى اليها النفس الا تطلعا

فلما أيس منه استشار قومه فى دائه فاتفقت آراؤهم على ان يأمروه بتصفح احياء العرب فلعل ان تقع عينه على امرأة تستميل عقله فاقسموا عليه ان يفعل ففعل وانه اتفق ان نزل بحى من فزارة فرأى جارية قد حسرت عن وجهها بارقع خز وهى كالبدر حسنا وبهجة فسأل عن اسمها فقالت لبنى فسقط مغشيا عليه فارتاعت منه ونضحت وجهه بالماء وقالت ان لم تكن قيسا فمجنون فلما افاق استنسبته فاذا هو قيس فأقسمت عليه ان ينال من طعامها فتناول قليلا وركب فجاء اخوها على اثره فاعلمته القصة فركب حتى استردّه واقسم عليه ان يقيم عنده شهرا فقال لقد شققت علىّ واجاب فكان الفزارى يحبب به ويعرض عليه الصهارة حتى لامته العرب وقالوا نخشى ان يصرفه ذلك سنة فيقول دعونى ففى مثل هذا الفتى يرغب الكرام وقيس يقول له ان فيكم الكفاية ولكنى فى شغل لا ينتفع بى معه فألح عليه حتى عقد له على اخته ودخل بها فأقام معها اياما لا تهش نفسه اليها ولا يكلمها ثم استأذن فى الخروج الى اهله فأذنوا له فخرج الى المدينة وكان له بها صديق فأعلمه ان لبنى قد بلغها تزويجه فغمت لذلك وقالت انه لغدار وانى طالما خطبت فأبيت والآن أجيب هذا وان اباها لبنى قد اشتكى قيسا الى معاوية وانه يشيب بابنته فكتب الى مروان بهدر دمه وأمره ان يزوج ابنته بخالد بن خلدة الغطفانى وهو كندى حليف قريش فجعل النساء ليلة زفافها يغنينها

لبيني زوجها أصبحت لا حر يوازيه
له فضل على الناس * وقد باتت تناجيه
وقيس ميت حقا * صريع فى بواكيه
فلا يعده الله * وبعدا لنواعيه

ولما بلغ ذلك قيسا اشتد به الغرام فركب حتى اتى محلة قومها فقالت له النساء ما تصنع هنا وقد رحلت مع زوجها فلم يلتفت حتى أتى موضع خبائها فتمرغ به وأنشد

الى الله أشكو فقد لبنى كما شكا * الى الله بعد الوالدين يتيم

(ومنهم) من أخبرنى انه دخل الى حمام فرأى فيه شعرة طويلة يتيم

تلفت بشعرة وسمعت غيرى * يقول سلمت من تلفى بشعره (ومنهم) من يعشق جنية رآها فى نومه ووصفت نفسها له وجاءته غير مرة على زعمه كما حكى ابو الفرج الاموى ان جعفر بن أبى جعفر ٥٧ المنصور كان يتعشق امرأة من الجن حتى

يتيم جفاه الاقربون فجسمه * تحيل وعهد الوالدين قديم

(وأنشد حين بلغه هدر دمه)

فان يحجبوها او يحل دون وصلها * مقالة واش او وعيد أمير
فلن يمنعوا عينى من دائم البكا * ولن يذهبوا ما قد أجن ضميرى
الى الله أشكو ما ألاقى من الهوى * ومن كرب تعتادنى وزفير
ومن حرق للحب فى باطن الحشا * وليل طويل الحزن غير قصير
سأبكى على نفسى بعين غزيرة * بكاء حزين فى الوثاق أسير
وكنا جميعا قبل ان يظهر النوى * بأنعم حالى غبطة وسرور
فبارح الواشون حتى بدت لنا * بطون الهوى مقلوبة بظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا * ولكنما الدنيا متاع غرور

(وقال أيضا)

وان تك لبنى قد اتى دون قربها * حجاب منيع ما اليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا * ونبصر قرن الشمس حين تزول
وان واحنا بالليل فى الحين تلتقى * ونعلم أنا بالنهار نقيل
وتجمعنا الارض القرار وفوقنا * سماء نرى فيها النجوم تجول
الى ان يعود الدهر سلما وتنقضى * ترات يراها عندنا وذحول

وجئت لبنى فى تلك السنة فاتفق خروجه ايضا فتلاقيا فأبهت وارسلت اليه مع امرأة تستخبره عن حاله وتسلم عليه فأعاد السلام والسؤال وأنشد

اذا طلعت شمس النهار فسلمى * فانى يسلينى عليك طلوعها
بعشر تحيات اذا الشمس اشرقت * وعشرا اذا اصفرت وحان رجوعها
ولو أبلغتها اجارة قولى اسلمى * طوت حزنا وارفض منها دموعها

وحين انقضى الحج مرض مرضا انهكه فأكثر الناس من عيادته فجعل يتفكر لبنى وعدم رؤيته لها فأنشد

ألا بنى لقد جلت علىّ مصيبتى * غداة غد اذ حل ما أتوقع
تمنيتنى نيلا وتحلو فيتنى به * فنفسى شوقا كل يوم تقطع
الوصلك فى شانى وانت ملمة * لعمرى واجفى للعجب واقطع
وأخبرت انى قد ثملت بحسرة * فما فاض من عينيك للوجد مدمع
اذا أنت لم تبكى علىّ جنازة * لديك فلا تبكى غدا حين أرفع

فحين بلغها الابيات جزعت جزعا شديدا وخرجت اليه خفية على ميعاد فاعتذرت عن الانقطاع واعلمته انها انما تترك زيارته خوفا عليه ان يهلك والا فعندها ما عنده ولكنها جلدة (وفى منازل الاحباب) يرفعه الى ابن عباس قال مررت بربيع عفا رسمه واذا

(فصل فى ذكر ما يخرط فى سلك العشق على السماع والشهادة على الغائب)

كقول ديك الجن وقيل عبد المحسن الصورى بأبى فم شهد الضمير له * قبل المذاق بأنه عذب

(وما أحسن قول الآخر)

كشهادتى لله خالصة * قبل العيان بأنه رب
أهيم الى العذب من ريقه * كما هيم العاشقين العذيب
شهدت عليه وما ذقته * يقينا ولكن من الغيب غيب

(وقال بشار بن برد) يا طيب الناس ريقا غير محتبر * الا شهادة اطراف المساويك (وقال المتوكل اللبثى)
كأن مدامة صهباء صرفا * تفرق بين راوق ودن ٥٨ تعل به الثنايا من سليمى * فراسة مقلق وصحيح ظنى

(وقال امرؤ القيس)
وثغر لها طيب واضح
لذيذ المقبل والمبتسم
وماذقته غير ظنى به
وبالظن يقضى على ما اكتتم
(وقال ابن حديس الصقلى)
وماذقت فاها ولكننى
نقلت شهادة عود الاراك
(وقال البهازهير)
فتنت به حلوا مليحا خدثوا
باعجب شئ كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندى بطيبه
ولم أر عدلا هو سكران يطفح
(وقال ابن النقيب)
قالوا فلان يصوغ كذبا
يكسوه من لفظه طلاوه
حلو حديث فقلت من لى
لو أنه صادق الحلاوه

(قلت) وبقى هنا حكاية تتعلق بمن عشق على السماع من الحمق والمغفلين وهى ما حكاه الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته فى هيئة حسنة وفراش مليح فقام الى وأجلسنى معه ففاتحته فى القرآن فاذا هو فيها ماهر ففاتحته فى شئ من النحو فوجدته فيه ماهرا ثم فى اشعار العرب واللغة فاذا به كامل فى جميع ما يراد منه فقلت والله قوى عزمى على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل يوم اجالسه وازوره قال فأتيت فى بعض الايام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت عنه جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح اعزيه فان بشخص فسلت عليه فلم يرد فغضبت واذا هو ينادينى فرجعت فرد على السلام واعتذر ثم ذكر انه تعتريه غيبة العقل اطوارا هذا ودمعه يسفح كالغيث فقلت له من أنت قال قيس ابن ذريح وانشد

أمانيه لبنى ولم يقطع المدى * بوصل ولا هجر فيأس طامع
ابى الله ان يلقى الرشاد متيم * الا كل شئ حم لا شك واقع
هما بر حابى معولين كلاهما * فؤاد وعين ماقها الدهر دامع
اذا نحن أفنينا البكاء عشية * فموعدنا قرن من الشمس طالع

قال الحافظ مغلطاى واخبرت لبنى بمرضه فى حبها فقالت دفعا للوهم هم تمارض فبلغته القصة فأنشد

تكذبنى بالود لبنى وليتها * تكلف منى مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت انتى * لكم والهدايا المشعرات صديق
تتوق اليك النفس ثم أردها * حياء ومثلى بالحياء حقيق
اذود سوام النفس عنك وماله * على أحد الا عليك طريق
شهدت على نفسى بانك غادة * رداح وان الوجه منك عتيق
وانك لا تجزين منى صحابة * ولا أنا للهجران منك أطيق
وانك قسمت الفؤاد فنصفه * رهين ونصف فى الحبال وثيق
كأن الهوى بين الحيازيم والحشا * وبين التراقى واللهاة حريق
فان كنت لما تعلمى العلم فاسألى * وبعض لبعض فى الفعال يفوق
سلى هل قلانى من خليل صحبته * وهل ذم رحلى فى الرفاق رفيق
وهل يجتوى القوم الكرام صحابتى * اذا اغبر محشى الجناح عميق
واكتم اسرار الهوى فأميتها * اذا باح مزاح بهن يروق
هل الصبر الا ان أصد فلا أرى * بأرضك الا ان يكون طريق

وروى ان قيسا اتى ناقة من ابله وقصد المدينة ليبيعها فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه ثم قال له ائتنى غدا فى دار كثير بن الصلت اقبض الثمن بجفاء وطرق الباب فادخله وقدم له طعاما وقام لبعض حاجاته فقالت المرأة لخادمتها سليه ما بال وجهه متغيرا شاحبا فتنفس الصعداء ثم قال هكذا حال من فارق الاحبة فقالت استخبريه عن قصته فاستخبرته فشرع يبكى أمره فرفعت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حالك فبهت حين عرفها لا ينطق ساعة ثم خرج لوجهه فاعترضه الرجل وقال ما بالك عدلت بقبض مالك وان شئت زدناك فلم يكلمه ومضى فدخل الرجل فقالت له ماهذا الذى فعلت انه لقيس فحلف انه لا يعرفه وأنشد قيس معاتبا لنفسه

أتبكى على لبنى وأنت تركتها * وكنت عليها بالملا أنت أقدر

فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت * فللدهر والدنيا بطون وأظهر
كانى فى أرجوحة بين أحبل * اذا فكرة منها على القلب تخطر

وقيل انه حين جاء ليقبض ثمن المطية رأى لبنى فعاد مبهوتا فسأله الرجل فقال له لا تركب لى مطيتين فقال أنت قيس قال نعم قال ارجع لتخيرها فان اخترتك طلقتها وظن الرجل انها تبغض قيسا لخبرها فاختارت قيسا فطلقها لوقته (وحكى) ان سبب طلاقها ان قيسا قصد ابن ابى عتيق وكان أكثر أهل زمانه مروأة فى ذلك فجاء الى الحسن والحسين واعلمهما ان له حاجة عند زوج لبنى وطلب أن يجداه عليه فمضيا معه حتى اجتمعوا به وكلموه فى ذلك فقال سلوا ما شئتم فقال له ابن أبى عتيق أهلا كان أو ما لا قال نعم فقال أريد أن تطلق لبنى ولك ما شئت عندى فقال أشهدكم انها طالق ثلاثا فاستحيوا منه وعوضه الحسن مائة ألف درهم وقال له لو علمت الحاجة ما جئتك وروى ان لبنى عاتبت قيسا على تزويج الفزارية فحلف لها ان عينيه لم تكتحل برؤيتها ولم يكلمها لفظة واحدة وانه لو رآها لم يعرفها واخبرته لبنى انها كارهة زوجها واعلمته انها لم تتزوجه رغبة فيه بل شفقة على قيس حين أهدر دمه ليخلى عنها فطلقها حين علم ما بينهما وأرسل اخو الفزارية الى قيس حين ابطأ عنه يسأله الرجوع فأعاد الرسول بالخيار فى امر اخته فاختار الرجل عدم الفرقة وقصد قيس معاوية فسأله فرق له وكان ذلك قبل طلاق لبنى فقال له ان شئت كتبت الى زوجها بطلاقها فقال لا ولكن ائذن لى ان اكون بيلدها ففعل فنزل قيس حين زال هدر دمه بحيها وتظافرت مدائحه فيها حتى غنى بها معبد والغريض واضرابهما فرق الناس له هذا ولما طلقت نقلت الى العدة بأمر ابن ابى عتيق فمن ذاهب الى انها اكملت عدتها وتزوجها وأقاما الى الموت بدليل مدحه لابن ابى عتيق حيث قال

جزى الرحمن أفضل ما يجازى * على الاحسان خيرا من صديق
فقد جربت اخوانى جميعا * فما ألفيت كابن أبى عتيق
سعى فى جمع شملى بعد صدع * ورأى حدت فيه عن الطريق
واطفأ لوعة كانت بقلبى * اغصتنى حرارتها بريقى

ومن ذاهب وهم الاكثر الى انها ماتت فى العدة وان مدحه لابن ابى عتيق حين لم يشك فى عودها اليه وقد نعاه عن مدحه وقال له من سمع بهذا يعدنى قواد او القائلون بموت لبنى فى العدة اجمعوا ان قيسا خرج حين بلغه ذلك حتى وقف على قبرها وانشد

ماتت لبينى فوتم اموتى * هل ينفعن حسرة على الفوت
انى سأبكى بكاء مكتئب * قضى حياة وجدا على ميت

ثم بكى حتى أغمى عليه فحمل ومات بعد ثلاث ودفن الى جانبها وكان ذلك فى سنة وله اشعار كثيرة منها ما حكاه الشهاب فى منازل الاحباب عن أبى العباس على تردد فى أنه لابن الدمينة

هذا الذى توفى ابنك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذه أول المناحس ثم قلت سبحان الله النساء كثير وتجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكانى بك قد ظننت انى رأيتها فقلت فى نفسى هذه محنة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم انى كنت فى الطارمة واذا برجل عابر وهو يغنى ويقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة
ردى على فؤادى أينما كانا

فقلت فى نفسى لو ان أم عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما قيل فيها هذا الشعر فهو يتها فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو يغنى ويقول اذا ذهب الجمار بأم عمرو

فلا رجعت ولا رجع الجمار

فعلمت انها ماتت فحزنت وقعدت فى العزاء ثلاثة أيام بهذا اليوم قال الجاحظ فعادت عزيمتى وقويت همتى على ترك تقطيع الدفتر بحكاية أم عمرو

(الباب الرابع فى ذكر من نظر أول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أوقعه النظر فى الضرر المؤدى الى السهر اذ هو داعية الارق وزناد الحرق كم دعا الى الجماع المحرم بالاجماع فهو سهم مسموم وفعل مذموم وفى مبدئه يمكن استدراكه وأسيره يرجى فكاكه فاذا تكرر أدى الى ما صورته كيت وكيت أما ترى الحبيل بتكراره البيت كما قيل كل الحوادث مبدأها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها * فتك السهام بلا قوس ولا وتر والمرء مادام ذا عين يقلبها * فى أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحبا بسرور جاء بالضرر ٦٠ (قولى) وفى مبدئه يمكن استدراكه الى آخره وذلك ان الرجل تمر به

المرأة فيكون ظاهر هيئتها وشكلها وصورتها مثلا كالطبعة فتتحرك نفسه وتنبعث همته من أول نظرة فاذا تكررت نظره اليها ازداد حبه لها وان جلس حتى يراها صار الذى به أضعاف ما كان فان نظرت اليه نظرة افتتن بجمالها ووقع فى أسر حبالها ودخل فى عداد العاشقين وهذا مما يؤيد قول من ذهب الى ان العشق اختيارى لانه لم يصر عاشقا الا بعد وقوع هذه المقدمات وكان يمكنه حسم مادة ذلك بعد النظرة الاولى اللهم الا فيما ندر كما تقدم فى ذكر النسوة اللاتى رأين يوسف عليه السلام فتنّ من أول نظرة وكان يقال النظر من المحب موت عاجل ومن المحبوب سهم قاتل وكان يقال رب عشق غرس من لحظه وحرب جنى من لفظه وكان يقال من أطلق طرفه كثر أسفه وكان يقال من كثرت لحظاته دامت حسراته (وقال اعرابى) العشق نبت بذره النظر ومأؤه المزاورة ونماؤه الوصل وقتله الهجر وحصاده التجنى (وقال الصورى) غرست الهوى بالعظيم احتقرته واهملته مستأنسا منماحا ولم تدر حتى اينعت شجراته وهبت رياح الوجد فيه لواقحا فاصبحت تستدنى من الصبر عازبا عليك وتستدعى من النوم نازحا (وقال الاصمعى) كنت فى بعض مياه العرب فسمعت النساء يقولون قد جاءت فتحرك الناس فقمت معهم فاذا بجارية قد وردت الماء ما رأيت مثلها قط فى حسن وجهها وتمام خلقتها فلما رأت كثرة تشوف الناس اليها وكيف

وفى عروة العذرى ان مت أسوة * وعمرو بن عجلان الذى قتلت هند
وبى مثل ما قد نابه غير انى * الى أجل لم يأتنى وقته بعد
وفيض دموع العين بالليل كلما * بداعلم من أرضكم لم يكن يبدو

(ومنها)

لقد عنيتنى ياحب لبنى * فقع اما بموت أو حياة
فان الموت أيسر من حياة * منغصة لها طعم الشتات
وقال الآمرون تعز عنها * فقلت ولا اذا حانت وفاتى

(ومنها)

فما وجدت وجدى بها ام واحد * ولا وجد النهدى وجدى على هند
ولا وجد العذرى عروة فى الهوى * كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدى

(ومنها)

لو آن امرأ اخفى الهوى عن ضميره * لمت ولم يعلم بذاك ضمير
ولكن سألقى الله والنفس لم تبح * بسرك والمستخبرون كثير

(ومنها)

عفا سرف من أهله فشوارع * فجنبا أريك فالبلاد الدواقع
فنكة فالاخياف أخياف طيبة * بها من لبنى مخرف فمرابع
لعل لبنى ان يحم لقاؤها * ببعض بلادى ان ماحم واقع
بجذع من الوادى خلا عن أنيسه * عفا وتخطته العيون الجوازع
ولما بدا منها الفراق كما بدا * بظهر الصفا الصلد الشقوق الشوائع
تمنيت ان تلقى لبينا لك والمنى * تعاصيك احيانا وحينا تطاوع
وما من حبيب وامق لحبيبه * ولاذى هوى الا له الدهر فاجع
وطار غراب البين وانشقت العصا * لبين كما شق الاديم الصواقع
ألا ياغراب البين قد طرت بالذى * أحاذر من لبنى فهل أنت واقع
وانك لو أبلغتها قبلى اسلمى * طوت حزنا وارفض منها المدامع
أتبكى على لبنى وأنت تركتها * وكنت كذات غيه وهو طائع
فلا تبكين فى اثر شئ ندامة * اذا نزعته عن يديك النوازع
فليس لامر حاول الله جمعه * مشت ولا ما فرق الله جامع
كأنك لم تفنع اذا لم تلاقها * وان تلقها فالقلب راض وقانع
فيا قلب خبرنى اذا شطت النوى * بلبنى وصدت عنك ما أنت صانع
اتصبر للبين المشت مع الجوى * ام أنت امرؤ نامى الحياة فجازع
فما انا ان بانت سلمى بهاجع * اذا ما استقلت بالتيام المضاجع

أرسلت برقعها فكأنه غمامة غطت شمسا فقلت لم تمنعينا النظر الى وجهك هذا الحسن فأنشأت تقول
وكنت متى ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر ٦١ رأيت الذى لا كله انت قادر *

عليه ولا عن بعضه انت صابر
ثم نظر اليها اعرابى وقال أنا والله
ممن قل صبره وأنشد
أوحشية العينين أين لك الاهل
أبالحزن حلوا أم محلهم السهل
وأية أرض أخرجتك فانتى
أرالك من الفردوس ان فتش الاصل
فى خبرينا ما طعمت وما الذى
شربت ومن أين استقل بك الرحل
لان علامات الجنان مبينة
عليك وان الشكل يشبهه الشكل
(أقول) هذا والله هو السحر الحلال والعذب الزلال قد اشتمل على مذهب السحر الكلامى والبدر السامى فكأنى بها وقد ذكرت له الاهل ووصفت من حيها وخدها الحزن والسهل هنالك يأتيها سعيا على الرأس لا سعيا على القدم وتكون وجناتها أحب اليه من حمر النعم وينشد

أدينى مكان البدر ان افل البدر
وقومى مقام الشمس ان بعدا الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها
وليس لها منك التبسم والثغر
(حكى) انه دخل اصبهان مغن كان يتغنى بهذين البيتين
سمعا يا عباد الله فغنى
وكفوا عن ملاحظة الملاح
فان الحب آخره المنايا
وأوله شيء بالمزاح
قات وفى هذا دليل على ان العين

وكيف ينام المرء مستشعر الجوى * ضجيع الاسى فيه نكاس روادع
فلا خير فى الدنيا اذا لم تزورنا * لبينى ولم يجمع لنا الشمل جامع
ألست لبينى تحت سقف يكنها * واياى هذا ان نأت لى نافع
ويلبسنا الليل البهيم اذا دجا * ونبصر ضوء الصبح والفجر ساطع
تطاوعت رجليها بساطا وبعضه * اطأ برجلى ليس يطويه مانع
وافرح ان تمسى بخير وان يكن * بها الحدث العادى ترعى الروائع
كما انك بدع لم تر الناس قبلها * ولن يطلعنك الدهر فيمن يطالع
وقد كنت ابكى والنوى لا أظنه * بنا وبكم لم ندر ما البين صانع
واهجركم هجر البغيض وحبكم * على كبدى منه كلوم صوادع
فوا كبدى من شدة الشوق والاسى * ووا كبدى انى الى الله راجع
واجعل للا شفاق حتى يشفنى * مخافة شط الدار والشمل جامع
واعدل للارض التى من ورائكم * لترجعنى يوما اليك الرواجع
فيا قلب صبرا واعترافا لما ترى * ويا حبها قع بالذى أنت واقع
لعمرى لمن أمسى وأنت ضجيعه * من الناس ما اختيرت اليه المضاجع
ألا تلك لبنى قد تراخى مزارها * وللبين غم مايزال ينازع
اذا لم يكن الا الجوى فكفى به * جوى حرق قد ضمنتها الاضالع
أباثنة لبنى ولم تقطع المدى * بوصل ولا صرم فيبأس طامع
نهارى نهار الواله الين صبابة * وليلى قبو فيه عفى المضاجع
وقد كنت قبل اليوم خلوا وانما * تقسم بين الها لكين المصارع

وهذان البيتان فى غير رواية ابى على

ولو لا رجاء القلب ان يعطف النوى * لما حملته بينهن الاضالع
له وجبات اثر لبنى كأنها * شقائق برق فى السحاب لوامع
نهارى نهار الناس حتى اذا بدا * لى الليل هزتنى اليك المضاجع
اقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى بالليل والهم جامع
اذا نحن انقدنا البكاء عشية * فوعدنا قرن من الشمس طالع
وللحب آيات تبين للفتى * شحوب وتبرى من يديه الاشاجع
وما كل ما منيت نفسك خاليا * تلاقى ولا كل الذى أنت تابع
تداعت له الاحزان من كل وجهة * فحن كما حن الطيور السواجع
وجانب قرب الناس يخلو بهمه * وعاوده فيها هيام مراجع
أرالك اجتنبت الحى من غير بغضة * ولو شئت لم تجنح اليك الاصابع
كان بلاد الله ما لم تكن بها * وان كان فيها الناس قفر بلاقع

هى التى تجلب الحنين واذا كان ذلك كذلك فلنذكر هنا مناظرة وقعت بين القلب والعين ولوم كل منهما صاحبه والحكم بينهما وهى لما كانت العين رائده ومحببة القلب زائده وهذه لها لذة النظر وهذا له لذة الظفر كانا فى الهوى شريكى عنان

وفرسى رهان فلما وقعا فى السهاد والحرق وأضر بصاحبهما الارق قال القلب يقول الارجانى لطرفه الجانى

تمتعا يا مقلتى بنظرة * وأوردتما قلبى اشر الموارد ٦٢ أعينىّ كفا عن فؤادى فانه من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال أبو الطيب المتنبى

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه
فمن المطالب والقتيل القاتل

(وقول الآخر)

عوقب قلبى وجنى ناظرى
وربما عوقب من لا جنى

وقول الآخر

نظر العيون الى العيون هو الذى
جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا
مازالت اللحظات تغزو قلبه
حتى تشحط بينهن قتيلا

وقول الآخر

يا من يرى سقمى يزيد
وعلتى أعيت طبيبى
لا تعجبن فهكذا
تجنى العيون على القلوب

(وقال ابن مدرك)

جرحت بلحظى خد الحبيب
فما طالب المقلة القاتله
ولكنه اقتص من مهجتى
كذاك الديات على العاقله

فلما سمعت العين انشاده وفهمت مراده أشارت اليه وأخذت فى الانكار عليه فقالت يا للعجب من ظالم يتظلم وأخرس يتكلم أليس من الخبر الذى شاع وذاع انك أنت الملك ونحن الاتباع ترسلنى فيما تريد كالبريد وتعقب ذلك بالتهديد أما سمعت قول أبى هريرة رضى الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده فان طاب الملك طابت جنوده وان خبث الملك خبثت جنوده وقال سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله فبين ذنبى وذنبك اذ ذاك كما بين عماى وعماك وقال علام الغيوب فانها لا تعمى

ألا انما أبكى لما هو واقع * وهل جزع من وشك بينك نافع
احال على الدهر من كل جانب * ودامت ولم تقلع على الفجائع
فمن كان محروقا غداة الفراقنا * فذا الآن فابيك لما هو واقع

وقد انتهت اخباره كما وجدت وكأنى بغبى يعترض على نقلى له من مراتب من حظى بالتلاق الى مراتب من مات دونه من العشاق ولم يدر ان الحيثيات توجب بالتأمل الصائب والفهم الذكى الثاقب مالم يدركه الغافل الغبى أما تقدم هذه الاربعة فقد علم واما ذكرها هنا فقد قال فى النزهة والبدور السافرة وطوالع الازهار وغالب شراح ديوان الاستاذ ومن بحث عن احوال العشاق انه رأس أهل الهوى ولكن وقوعه فى فرقة المحبوب اوقعه فى هذه المرتبة وقال المتكلمون على الديوان المذكور ان سلطان العشاق واستاذ العارفين على الاطلاق قد أشار الى تفضيله على الكل حيث شبه غرامه بغرامه وحسن لبنى ببهجة الحضرة الممدوحة حيث قال

بفرط غرامى ذكر قيس بوجده * وبهجة لبنى أمت وأمت

لا يقال قد افرد غيره بالذكر أيضا الان اساليب قائلى كلامه وأفانين مطاوى نظامه تجل عن ان تنال الا بشق الانفس والله يؤتى فضله من يشاء فان قوله * فان كنت ليلى ان قلبى عامر * ونحوه ليس تمويها بعظم الشأن كما فى البيت السابق اه قلت وقد يقال لا تفضيل لقيس فى البيت على غيره فيجاب بأن قوله رضى الله عنه

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى أو كثير عزة

صريح فى جعله فى مقابلة المجموع حيث ذكرهم بالحرف الدال على الانتقال عن الارفع ومثل بالامثل وذلك يقتضى التفضيل على الجميع وحكمة ذلك والله أعلم كونه قد عرف لذة الوصل والتلاق ثم رمى بغصة البعد والفراق وذلك عند العقلاء أبلغ واعظم وأرفع فى مقاساة الغرام وأتم وفيه تلميح بما ذكر فى التفضيل بين البشر والملائكة

(أخبار المجنون وصاحبته ليلى)

قد اختلف فى اسمه هل هو عامر أو مهدى او الاقرع أو معاذ او قيس ابنه أو ابن الملوح أو البحترى بن الجعد والصحيح الاول لاشارة عارف الوقت فى البيت السابق وفى نسبه عامرى * او كلابى * أو جعدى * أو قشيرى * أو الجمانين متعددة او هما اثنان فى بنى عامر اولم يكن أحد وانما امرؤ تعشق واستكبر عن ان يصرح باسمه واسم محبوبته فعوقبه بالجنون وليلى والصحيح انه من بنى عامر وهو عامر بن ملوح بن مزاحم يتصل نسبه عند صاحب الاغانى الى كعب بن ربيعة بن صعصعة كان مديد القامة جعد الشعر أبيض اللون ولم ينله الهزال والجنون وتغير اللون الا من العشق * وصاحبته هى ليلى بنت مهدى بن سعد تتصل بنسبه فى كعب بن ربيعة وكنيتها أم مالك وهذا أخذ من قوله ذلك فى شعره كثيرا نحو قوله

تكاد

تبكى وأنت الذى حملتنى الوجعا
فقال طرفى له فيما يعاتبه
بل أنت حملتنى الآمال والطمعا
حتى اذا ما خلا كل بصاحبه
كلاهما بطويل السقم قد قنعا
نادمتهما كبدى لا تعتبا فلقد
قطعتمانى بما لا قيته قطعا

(وقال آخر)

عاتبت قلبى لما
رأيت جسمى نحيلا
فالزم القلب طرفى
وقال كنت الرسولا
فقال طرفى لقلبى
بل انت كنت الدليلا
فقلت كفا جميعا
تركتمانى قتيلا
قلت فكانا كما قول العامة قفا
بين صفاعين وما أحسن قول
الآخر

فوالله ما أدرى أنفسى ألومها
على الحب أم عينى القريحة أم قلبى
فان لمت قلبى قال لى العين ابصرت
وان لمت عينى قالت الذنب للقلب
فعينى وقلبى قد تشاركن فى دمى
فيارب كن عونا على العين والقلب
قلت والحاكم بينهما الذى يحكم
بين الروح والجسد اذا اختصما
كما ورد فى الخبر عن سيد البشر
لا تزال الخصومة يوم القيامة بين
الخلائق حتى تختصم الروح
والجسد فيقول الجسد للروح
انت التى حركتنى وأمرتنى
وصرفتنى والا فانا لم أكن اتحرك ولا افعل شيأ بدونك فتقول الروح له وانت الذى اكلت وشربت وتمتعت فانت الذى تستحق
العقوبة فيرسل الله سبحانه وتعالى ملكا يحكم بينهما فيقول مثلكما مثل مقعد بصير واعمى يمشى دخلا بستانا فقال المقعد للاعمى

تكاد بلادا لله يا أم مالك * بما رحبت يوما على تضيق

وهذا كما استدلا لهم بأن اسم أبيه ملوح بن مزاحم وانه مات قبل اختلاط عقله فعقر عليه ناقة بقوله

عقرت على قبر الملوح ناقتى * بذى السرح لما أن جفاه أقاربه
وقلت لها كونى عقيرا فانثنى * غداة غد ماش وبالامس راكبه
فلا بعدت الله يا ابن مزاحم * فكل امرئ للموت لا بد شاربه

وروى باسقاط هاء السكت وحذف البيت الآخير وذكروا ان سبب عشقه لليلى انه مر يوما على ناقة له وعليه حلتان من حلل الملوك بامرأة من قومه وعندها نسوة يتحدثن فاعجبهن فاستنزلنه للمنادمة فنزل وعقرلهن ناقته وأقام معهن بياض اليوم فاقبل فتى اسمه منازل يسوق غنما فانصرفن اليه وتركن المجنون فقام مغضبا وأنشد

أأعقر من جراء كراثم ناقتى * ووصلى مقرون بوصل منازل
اذا جاء قعقعن الحلى ولم أكن * اذا جئت اخفوا صوت تلك الخلاخل

فقوله من جراء كراثم يعنى من أجلها وكراثم اسم المرأة التى كن عندها وروى ووصلى مفضول أى دون وصل منازل وهو أليق بالمقام وفى النزهة

اذا جاء قعقعن الحلى ولم يكن * اذا جئت بل اخفين صوت الخلاخل

يقول قد أظهرن صوت الحلى حين جاء منازل وهذه كناية عن قيامهن له ولم يكن ذلك عند مجيئى وهذا هو اللائق ولم يؤخذ من البيت السابق وقيل تداعيا المناضلة أو الصراع فقال له المجنون قم الى حيث يرينك ولا تراهن فافعل ما تقول وانشد فى ذلك

اذا ما انتضلنا فى الخلاء فضلته * وان يرم رشقا عندها فهو ناضلى

فعلى هذا يكون ضمير عندها عائدا على النسوة وهذا دليل على شدة استحيائه فانه يقول له مادمت تنظر اليهن فانك تشجع فتغلبنى وهذا على حد قوله

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعى * فانت بمرأى من سعاد ومسمع

يقول جدى فى السجع فان سعادا تنظرك وتسمعك قلت هذا ما نقل فى الاصل عن ابن الكلبى ولا دليل فيه على تعلقه بليلى وانما الدليل فيما رواه صاحب نزهة المشتاق قال لما دعته النسوة الى النزول نزل وجعل يحادثهن ويقلب طرفه حتى وقعت عينه على ليلى فلم يصرف عنها طرفا وشاغلته فلم يشتغل ثم قال لها هل عندكن ما تأكل قالت لا فعمد الى الناقة فنحرها وقطعها وجاءته لقمة معه اللحم فجعل يحز بالمدية فى كفه وهو شاخص فيها حتى اعرق كفه فجذبتها من يده ولم يدر ثم قال لها ألا تأكلين الشواء قالت نعم فطرح من اللحم شيأ على الغضى واقبل يحادثها فقالت له انظر الى اللحم هل استوى أم لا فمد يده الى الجمر وجعل يقلب بها اللحم فاحترقت ولم يشعر فلما علمت ما داخله صرفته عن ذلك ثم شدت يده بهدب قناعها ثم ذهب وقد تحكم عشقها من قلبه وقيل انها بعد هذا المجلس استدعته

انا ارى ما فيه من الثمار ولكن لا استطيع القيام وقال الاعمى انا استطيع القيام ولكن لا ابصر شيأ فقال المقعد تعال فاحملني فانت تمشي وانا اتناول ٦٤ فعلى من تكون العقوبة فيقولان عليهما فيقول فكذلك انتما

(فصل في ذكر سحر الجفون ونبل العيون)

فمن ذلك قول بشار وهو اغزل بيت قالته الشعراء فيما حكاه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان انا والله اشتهي سحر عينيك واخشى مصارع العشاق

(ونقل) شيخنا الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام عن ابن حيوس انه قال من اغزل ما أعلم قول عبد المحسن الصوري بالذي الهم تعذيبي

ثنايا لك العذابا
ما الذي قالته عينا
لك لقلبي فاجابا

قلت وهما اغزل من قول جرير ان العيون التي في طرفها حور
يقتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن اضعف خلق الله انسانا

(وانشد) صاحب المرقص والمطرب لولم أمت باللحظ قال العذل
ما قيمة السيف الذي لا يقتل

(وقال ابن سهل الاشبيلي) في مطلع موشحه

الحاظها للقتل
في كرها او في نصيب
ترمي وكلي مقتل
وكلها سهم مصيب

(وقال الملك الناصر داود صاحب الكرك)

نابي اهيف اذا رمت منه * لثم ثغر يصدني عن مرامي فدمي خده بسور عذار * مقلتاه أضحت عليه مرامي وشكا

(فصل في وصف العيون الضيقة وغيرها) * قال ابن النبيه يصف بطرفه التركي عيني * صدقتم ان ضيق العين يخجل (وقال أيضا)

للعجادثة وقد داخلها الحب فقالت له هل لك في محادثة من لا يصرفه عنك صارف فقال ومن لي بذلك ثم نزل وعقر ناقته كامرأة وانها كانت مغرمة باحاديث الناس والاشعار وكان هو أروى الناس لذلك فكانت تستدعيه لتسمع منه وكان يجيبها الى ذلك فتداخلت بينهما المحبة وفي نديم المسامرة انهما انتشا صغيرين يرعيان الغنم بدليل قوله

تعلقت ليلى وهي ذات غمائم * ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

فتصابا وانها احبت عنه فداخله جنون وعلى كل الطرق لما عرف كل منهما ما عند الآخر وتمكنت المحبة منهما جعل يأتيها نهارا قبل الحجب ويذهب ليلا وفي ذلك يقول

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل هزتني اليك المضاجع
اقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والليل والهم جامع

قلت وقد تقدم ان البيتين لقيس بن ذريح وصرح في نزهة العشاق بذلك وقال ان المجنون كان يتمثل بهما وهذا هو الصحيح فانهما كانا متعاصرين حتى نقل في الاغاني ان قيسا مر بالمجنون وهو في مبادي مخالطة العقل والانفراد وكان كل منهما يشتهي لقاء صاحبه فلم يرد فعرفه بنفسه فقام اليه واعتنقه وتباكيا واشتكى كل الى الآخر ما عنده فقال المجنون لقيس ان حي ليلى قريب فهل لك ان تبلغها سلامي فمضى حتى وقف بها ونسب نفسه فتعارفا وبلغها فاخبرته ان وجدها به أعظم ولكن قالت أنا عاتبة عليه حيث يقول

أتت ليلة بالغيل يا أم مالك * لكم خير حب صادق ليس يكذب
الا انما أبقيت يا أم مالك * صدى ايغا تذهب به الريح يذهب

فأي ليلة كانت ومتى اختليت معه بالغيل أو غيره فقال لها الا تحملينه على ما تقول الناس فلم يرد سوأ وانصرف قيس ليخبره فلم يجده وكان المجنون عند أبيه أعظم منزلة من اخوته وكان أبوه ذا ثروة فدفع له خمسين بعيرا وراعيها في مهر ليلى فلم يقبل أبوها مع انه دونهم لما هو من ان العرب كانت تكره تزويج اثنين اتشرت أخبارهما بالمحبة فخيروها بينه وبين رجل اسمه ورد وهددوها على ان تختاره ففعلت كارهة وفي ذلك يقول المجنون

ألا ياليل ان ملكت فينا * خيارك فانظري لمن الخيار
ولا تستبدلي منا دنيا * ولا برما اذا حث القتار
يهرول في الصفير اذا رآه * وتعجزه ملمات كبار
فمثل تأيمه نكاح * ومثل تمول منه افتقار

وأبصر يوما في طريقه الى زيارتها جارية عسراء فتطير وأنشد

وكيف يرجى وصل ليلى وقد جرى * بجد القوى من ليل اعسر حاسر
صريع العصا جدب الزمان اذا انتحى * لوصل امرئ لم تقض منه الاواطر

وشكا ذلك اليها فقالت لا بأس عليك والله لا اجتمعت بغيرك الا كارهة وكانت قبل هذا القول قد امتحنته لتنظر ما عنده من المحبة لها فدعت شخصا بحضرته فسارته أو صرفت وجهها عنه الى غيره ثم نظرته قد تغير حتى كاد ان يتقطر فانشدت تقول

كلانا مظهر للناس بغضا * وكل عند صاحبه مكين

وفي رواية وكل مظهر في الناس وبعده

وأسرار الملاحظ ليس تخفى * وقد تغرى بذي اللحظ العيون

وبهذين البيتين تظافرت الروايات وجاء في رواية * وقد تغرى بذي اللحظ الظنون * وبعده

وكيف يقوت هذا الناس شيئ * وما في الناس تظهره العيون

فسر بذلك حتى كاد ان يذهب عقله فانصرف وهو يقول

اظن هواها تاركي بمضلة * من الارض لا مال لدي ولا أهل
ولا أحد افضي اليه وصيتي * ولا صاحب الا المطية والرحل
محاجبها حب الاولى كن قبلها * وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

وفي رواية ولا وارث الا المطية والاولى أصح وأنسب لان المطية لا ترث وتستصحب كما جاء في كلام العرب

ان الحمار مع الحمارة مطية * واذا خلوت به فبئس الصاحب

وأصل ذلك ان الصحبة في الاصل مجرد الاجتماع وأما شدة المخالطة والمداخلة فصداقة (وخرج يوما) في سفر مع قوم فافضت به الطريق الى مسلكين أحدهما يمر برهط ليلى ولكنه يزيد مرحلة فتقدم الى القوم وسألهم ان يسلكوها أو يمكنوه حتى يرجع فابوا عليه فقال أنشدكم الله لو ان شخصا محرم بكم فضل بعيره اكنتم تسعفونه قالوا نعم فقال ان ليلى لاعظم من ذلك وأنشد

أأترك ليلى ليس بيني وبينها * سوى ليلة اني اذن لصبور
هبوني امرأ منكم أضل بعيره * له ذمة ان الذمام كبير
وللصاحب المبرور أعظم حرمة * على صاحب من ان يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فانها * اذا وليت حكما علي تجور

(واستنشد شخصا) عن عروة بن حزام فاخبره بحاله وانه مات براحة فتعجب من كثرة ذكر الناس له مع حسن حاله في العشق وأنشد

عجبت لعروة العذري امسى * احاديثا لقوم بعد قوم
وعروة مات موتا مستريحا * وها انا اذا أموت كل يوم

ولما اشتهر امرهما في العرب وشاع شعره فيها منعه اهلها الزيارة وكان في حي ليلى امرأة من بني عامر قد تزوجها رجل من حريش ومات عنها وقد ترك لها صبية فكان يأتيها المجنون يتعرف منها اخبار ليلى فبلغ اهلها ذلك فزجروا المرأة وجاء المجنون فاخبرته فانشد

من بنى النزل اين العطف قاسي * قلب سهل انخداع صعب المرامي ضيق العين وهو من صفة البخل فان جاد كان ضد القياس

جذب القوس فاكنست وجنتاه * ثوب وردطرازه من آس ٦٥ ورمى عن قوسين سهمين هذا * في فؤادي ودائي القرطاس

(وقال ابن قرناص)

علقته تتريا
يشجي القلوب بينه
لا يرتجى الجود منه
بالوصل من ضيق عينه

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

جت العذول وقد رأى الحاظه
تركية تدع الحليم سفيها
فثنى الملام وقال دونك والاسى
هذي مضايق لست ادخل فيها

(وقال الشيخ صفي الدين الحلي)

لي منهم رشا اذا غازلته
كادت لواحظه بسحر تنطق
ان شاء يلقاني بخلق واسع
عند اللقاء نهاه طرف ضيق

(حكى) الخراتطي عن بعض العلويين قال بينما انا واقف على الحسن ابن هانئ وهو ينشد

ويلي على نجل العيو
ن النهد الضمر البطون
الناطقات على الضمي
ر لنا بألسنة الجفون

فوقف عليه أعرابي ومعه ابن له فقال أعد علي فاعاد عليه فقال يا ابن اخي اويلك انت وحدك من هذا ويلي انا وانت وويل ابني هذا وويل هذه الجماعة وويل جيراننا كلهم (وقال سبط التعاويذي)

بين السيوف وعينيه مشاركة
من اجلها قيل للاغماد اجفان

(وقال رشيد الدين الفارقي)

٩ تزل ان في عينك معنى * حدث الترجس عنه ليت لي من غضه سهما ففي قلبي منه

العفيف التلمساني) لحاظك اسياف ذكورفالها * يكاد زعموا مثل الارامل تغزل (وله أيضا) باعاشقين حاذروا *

مبتسما عن ثغره فطرفه الساحر مذ * شككتم فى أمره يريدان يخرجكم * من ارضكم بسحره

(وقال أيضا) قضاة الحسن ماصنعى بطرف ٦٦ * تمنى مثله الرشأ الربيب رمى فاصاب قلبى باجتهاد

صدقتم كل مجتهد مصيب

(وقلت أنا من قصيد)

حبيب نازل فى كل قلب
وسيف لحاظه يهوى النزالا
يرى قتل المحب بلا دليل
ولاسيما اذا ابدى الدلالا
اذا استقبلت سيف اللحظ منه
رأيت الموت من ماضيه حالا

(وقلت أيضا من قصيد)

تغار الشمس منها حين تبدو
كغصن البان فى خضر البرود
باطراف من الحناء حمر
والحاظ كبيض الهند سود

(وقلت أيضا من قصيد)

آلت لو احظه على اهل الهوى
ان لا ترى قتلا بغير مهند
يرنو اوصارم لحظه فى جفنه
ماضى الغرار ولم يمس بناغد
فاذا تجرد للعتب فلا تسل
عن سيف جفن كالحسام مجرد

(وقلت ايضا من قصيدة)

غزال غزانى باللحاظ لانه
اذا مابدا فى حومة الحرب ضيغم
تكلمنى الحاظه بسيوفها
ولم ترقبلى ميتا يتكلم

(وقلت من قصيدة)

تسل سيوفا من لواحظ طرفها
ولكن لها من عادة الجفن غامد
تجردها والدمع كالنيل سائح
فما ثنثنى الا وسيحان جامد

(وقلت أيضا من قصيد)

يرنو الى بعين نون حاجبها * كالقوس تحمى الرمايا وهى مرنان امير حسن من الاتراك حاجبه * وافردت

على المحب له فى مصر سلطان غزت لواحظه فى أهل مصر كما * غزا الانام بأرض الشام غازان واما الحور فقد اختلف

الناس فيه فقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين فى شدة سوادها وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحوراء الحسنة المحاجر صغرت العين ام كبرت وقال أبو عمرو الظبية الحوراء

وأفردت افراد الطريد وباعدت * بى النفس حاجات وهن قريب
لئن حال واش دون ليلى لربما * اتى اليأس دون الامر فهو عصيب
ومنيتنى حتى اذا ما رأيتنى * على شرف للناظرين يريب
صددت وأشمت العدو بصرمنا * اثابك بالبلى الجزاء مثيب

والبيتان الاولان لمحمد بن أمية هذا ما نقله والصحيح ان البيت الاول للمجنون ذكر ذلك فى النزهة واقره فى تسريح الناظر غير انه قال فى الثانى والثالث انهما ليسا للمجنون وفيه وفى رواية هنا * بيوم سرور فى الزمان تثوب * والمعنى واحد وبقى ابيات من هذه القصيدة اخرتها الان لها حكاية وحين بلغه نقلها الى الثقفى انشد

كان القلب ليلة قيل يغدى * بليلى العامرية أو يراح
قطاة غرها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح
فلا فى الليل نالت ما ترجى * ولا فى الصبح كان لها براح

وفى تسريح الناظر عن الامالى قال اجتمع الى المجنون عزوة من قومه ممن كان ينادمه حال صحته وقد ذهبوا به حين بنى الثقفى بليلى فعزموا على ان يسافروا به متنزهين فى احياء العرب ليذهب ما به فساروا وهو معهم تعاوده الصحة دورا والجنون دورا وهم يردون كل منتزه ويعرضون عليه من بنات العرب كل من اجمع على حسنها وانهم غفلوا عنه ليلة ثم افتقدوه فرأوه قد ذهب فركب ابن عم له فى طلبه فرآه عنده شرعة وبين يديه ظبية لاحراشبها وهو يمسح عنها التراب ويقبلها ويبكى هذا ما فى تسريح الناظر زاد فى نزهة المشتاق انه كان ينشد

اياشبه ليلى لاتخافين اننى * لك اليوم من وحشية لصديق

فقال له اذهب بنا فلم يجب فقال اذهب لنمر بليلى فقام معه فلما جاء الى اصحابه جلس متفكرا لايخاطبهم حتى جاء الليل فلما كان السحر هبت نسمة وابرق برق عما يلى حى ثقيف فأنشد

طربت وشاقتك الهمول الدوامع * غداة دعا بالبين اسفع نازع
شجاه نعيا بالفراق كأنه * حريب سليب نازح الدار جازع
فقلت الاقد بين الامر فانصرف * فقد راعنا بالبين قبلك رائع
سقيت سماما من غراب فاننى * تبينت ما أخبرت اذهو واقع
* الم تر أنى لا محب الومه * ولا يبدين بعدهم انا قانع
الم تر دار الحى فى رونق الضحى * بحيث انحنت للهضبتين الاجارع
وقد يتناهى الالف من بعد صحبة * ويصدع ما بين الخليلين صادع
وكم من هوى أوجيرة قد الفتهم * زمانا فلم يمنعهم البين مانع
كانى غداة البين بيت حوية * اخوظما سدت عليه المشارع
يخلص من أوصال ماء صبابة * فلا الشرب مبذول ولا هو ناقع

من اصفرار المحب واحمرار المحبوب سواد كل حالك وانا اوردهنا ما قالوه بنصه واصوغه كالخاتم بفصه واعقبه بذكر الوان الحسان بأحسن بيان واوضح تبيان هذا مع ما يجر فى ذيل ذلك من التفضيل بين السمر والبيض ووقوع محب السمان

السوداء العين التى ليس فى عينها بياض ولا يكون هذا فى الانس انما يكون فى الوحش واشتقاق حور يدل على صحة ما قاله يعقوب وابو عبيدة لانهم انما يوقعونه فى الغالب على البياض مثل الدقيق الحوارى للدرمك الشديد البياض وقلما يتفق بياض العين الامع شدة سوادها لان بياضها مع الزرقة ليس هنا لك فى النقاء وقد أكثر الشعراء فى وصف العين بالحور والسواد وقل فى شعرهم وصف العين الزرقاء على انه جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الزرقة فى العين يمن (وقال بعض العرب)

احبك ان قالوا بعينك زرقة
كذاك عتاق الطير زرق عيونها
ومن هنا أخذ العبدى قوله حين قال له معاوية انك احمر فقال والذهب احمر فقال انك لازرق فقال والبازى ازرق

* (الباب الخامس فى ذكر تغير الالوان عند العيان من صفرة وجل وحمرة خجل وما فى معنى ذلك من عقد اللسان وسحر البيان) *

اقول هذا باب عقدناه لذكر تغير لونى المحبين اذا وقعت العين فى العين وهرب الدم الى شبكة الدماغ فقال له الحاجر الى اين وقد نصت الاطباء على السبب فى ذلك وجلوا

من الشعور والارداف فى الطويل العريض واختم ذلك بفصل فى ذكر ما يعترى المحب من خفقان قلبه وطيران عقله ولبه

فأقول وبالله التوفيق (قال بعض الاطباء) ٦٨ سبب اصفرار وجه العاشق الفزع فان الدم لا يأوى مع الفزع وربما

نظر المعشوق الى العاشق فجأة فيضطرب قلبه وتشتعل الحرارة ثم تخمد فاذا خمدت برد التامور فاذا برد التامور برد الدم واستحال اللون الى السواد والخضرة ثم يستقر فيصفر واما احمرار وجه المعشوق فمن الخجل والخجل عرض من حركة تامور القلب فتحمل الدم وتلطفه فيظهر فى أرق مكان فى الوجه وذلك عند مداجلة الحرارة العرضية ومجاهدتها الدم لما يدفع فيطلب الخلاص حتى ينتهى الى تحت الرأس فيمنعه الحاجز من النفوذ فيهبط الى الوجه فيحمر الوجه قالوا والوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا خجل يحمر واذا فزع يصفر ومنه قولهم دياج الوجه يريدون تلونه من رقته قال الشاعر

حمرة خلط صفرة فى بياض
مثل ما حاك حائك ديباجا

وقالوا حمرة لون الانسان يولدها الفرح والصحة والنعمة وصفرة لونه يولدها الفزع والبؤس والغم والسقم واما احسن الالوان فانه الاحمر بدليل ان الدم صديق الروح والحمرة لونه وافضل الياقوت واخمره الاحمر واجود الذهب احمره وافضل العسل الذهبى والياقوتى وتمدح الارض بحمرة التربة واكرم الخيل اشقرها وهى دياجها واكرم الابل حمرها وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم وهو يعظم مقدار ذلك لوان لى حمر النعم ولوان لى طلاع الارض ذهبا

سماء واحسن الحلل المصبوغة المعصفرة واحسنها ما كان صبغة القرمز واحسن

ويبض تطلى بالعبير كانها * نعاج الفلا جيبت عليها البراقع
تحملن من وادى الاراك وأومضت * لهن باطراف العيون المراتع
فاجئن ربع الدار حتى تشابهت * هجائنها والجون منها الجوامع
وحتى حملن الجور من كل جانب * وخاضت صدور الرقم منها الاكارع
فلما استوت تحت الخدود وقد جرى * عبير ومسك بالعراتين وادع
اشرن بان حفوا الجمال فقد بدا * من الصيف يوم لاقح الظل مانع
فلما لحقنا بالحمول تباشرت * بنا مقصرات عاب عنها المطالع
يعرضن بالدل المليح وان يرد * خباهن مشغوف فهن موانع
فقلت لاصحابى ودمعى مسبل * وقد صدع الشمل المشتت صادع
البلى بابواب الخدور تعرضت * لعينى أم قرن من الشمس طالع

ومرض قبل الاختلاط فقلق قلقا شديدا ودخل عليه جماعة أو هو أبوه للعيادة فسمعوه ينتحب باشد تحرق وتوجع وينشد

الا أيها القلب الذى لج هائما * بليلى وليدا لم تقطع تمائمه
أفق قد أفاق العاشقون وقد آن * لما بك ان تلقى طبيبا تلائمه
فمالك مسلوب العزاء كانما * ترى نأى ليلى مغرما انت غارمه
اجدك لا ينسيك ليلى ملمة * تلم ولا ينسيك عهدا تقادمه

فاستتروا حتى أتم نشيده ودخلوا عليه فحادثوه فى السلو فزاد فى الهيام والماعو فى جعل يعاود موضعها ويقرع فى التراب ويبكى الى الليل وعزم على التوحش والخروج فراجع ابن عم له فى ذلك فكان يعزم عليه ان لا يفعل ويشاغله الى أن بلغه ان ليلى دخلت الى جارة لها فنضت ثوبها واغتسلت وتطرت الى نفسها وقالت ويح ابن الملوح لقد علق بى عظيما على غير استحقاق فانشدك الله اصادق هو فى وصفى أم كاذب فقالت بل صادق ثم خرجت من عندها وعادت لاخذ سوالك نسيته فلما صار فى يدها قالت سقى الله من اعطانيه فقالت لها جارتها ومن اعطاكيه قالت قيس فخرجها ثما وانشد

نبئت ليلى وقد كانت بخلتها * قالت سقى الله منه منزلا خربا
قالت لجارتها يوما سائلها * لما استحمت والقت عندها السلبا
يا حبذا را كبا كان مر له * يهدى لنا من أراك الموسم القضبا
ناشدتك الله الا قلت صادقة * اصادق وصفه المجنون أم كذبا

وقيل انما كان خروجه من نظره اليها يوم رحلها زوجها أو قومها حين بلغهم زيارته لها وكان حضوره يوم رحيلها على خفية رجاء ان يسكن ما به فزاغ واختشى قومه ان يفتضح فيقتل لما تقدم من انه كان قد هدر دمه ان دخل الحى وحذر فقال الموت أولى وخرج على وجهه * وعن الهذلى عن رجل من بنى عامر او هو رباح بن سعد بن ائالة قال خرجت اثر

الحمر الحمراء ولذلك وصفتها الشعراء بلون النار والعندم والمصفر والياقوت والعبقر واحسن الالوان المخلوقة النار ومن اجل ذلك اكتنى عبد العزى بن عبد المطلب ابا لهب وكان يكنى قبل ذلك ٦٩ اباعتيبة لانه كان من أحسن الناس وجها وكانوا

سماء ار بعنا بها وأحيت الارض بعد الجدب فبينا أنا بوادى القرى، أو الغمر اذ لاح لى شخص الى جانب حجر يبكى فقصدته وسلمت عليه واذا هو المجنون فقلت ما يبكيك فقال هذا السيل ثم تنفس الصعداء ثم أنشد الابيات التى وعدنا بها وهى تمام القصيدة التى أولها الا أيها البيت وقيل انه أنشد القصيدة كاملة فى هذا الوقت وفى النزهة ان خالد بن كلثوم ضم هذه الى تلك من عند نفسه والا فالمجنون لم ينشدها الا متفرقة وهى

جرى السيل فاستبكانى السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتى غروب
وما ذاك الا حين ايقنت انه * يكون بوادا أنت منه قريب
يكون أجاجا دونكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب
فيا ساكنى أكناف نخلة كلكم * الى القلب من أجل الحبيب حبيب
أظل بغربى الدار فى أرض عامر * الى كل مهجور هنالك غريب
وان الكئيب الفرد من أين الحمى * الى وان لم آته لحبيب
ولا خير فى الدنيا اذا أنت لم تزر * حبيبا ولم يطرق اليك حبيب

وقيل ان آخر مجلس للمجنون من ليلى انه لما اختلط عقله ومزق ما عليه ووحش جاءت أمه اليها فاخبرتها بذلك وسألتها ان تزوره فعساها ان تخفف ما به فقالت امانها را فتعذر خيفة أهلى وساتيه ليلا فلما أمكنتها الفرصة أتته وهو مطرق يهذى فسلمت عليه ثم قالت له

أخبرت انك من أجلى جننت وقد * فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق

فرفع رأسه اليها وأنشد

قالت جننت على رأسى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع الانسان فى الحين

زاد عليهما فى نديم المساهرة

لو تعلمين اذا ما غبت ما سقمى * وكيف تسهر عينى لم تلومينى

ثم فارقته فهام من ثم مع الوحش وقيل سئل عن سبب خروجه فقال لقيتها يوما فشكيت اليها ما نزل بى من حبها وقلت ان لم ترحمينى ذهب عقلى فقالت هو المطلوب فهمت لمرادها وقيل كان هيمانه مقاصة لقوله

قضاها الغيرى وابتلانى بحبها * فهلا بشىء غير ليلى ابتلانيا

ثم ان الاسانيد الصحيحة والآثار المتظافرة دلت على انها كانت من الغرام به والميل اليه أيضا بمنزلة عظيمة حكى رباح بن عامر وكان من الحريشيين قال دخلت من نجد أريد الشام فاصابنى مطر عظيم فقصدت خيمة رفعت لى فاذا بامرأة فسألتها التظليل فاشارت الى ناحية فدخلت وقد أقبل رعاة وابل وغنم كثيرة ثم قالت للعبيد ساوه من أين الرجل فقلت من نجد فتنفست الصعداء ثم قالت نزلت بمن فيها فقلت بينى الحريش وفى رواية بينى

وما تسلبت عن صفراء حالية * كالعاج صفرها الا كان والطيب (وقال آخر)

لونك لولا صفرة الجاوى يريد انها تتضمخ بالجاوى وهو الزعفران وصفرة البيضة لا تدرك صفرته وقالوا الجارية الحسناء

يشبهون احمرار وجهه بلهيب النار لانه كان مشرق الوجه متلهبه كما كنى النبى صلى الله عليه وسلم ابا اللهب اباصفرة لصفرة كانت فى وجهه ويقال فى المثل كأن وجهه النار وكأن فى وجنته الجمر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اهلك الرجال الاحمران وأهلك النساء الاحمرة والاحمران الخمر واللحم والاحمرة الذهب والزعفران والخمر واللحم قال الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت
مالى وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين وما طلى
بالزعفران فلا ازال مرقعا

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه الطائر الاحمر وقال وهب ابن عبد الله ما رأيت ذا لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال المتنبى

من الجآذر فى زى الاعاريب
حمر الحلى والمطايا والجلابيب

(وأما قول الشاعر)

هجان عليها حمرة فى بياضها
تروق بها العينين والحسن أحمر

فانه عنى به الحسن فى حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقال ابن عبد ربه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة لطول المكث فى المكن والتضمخ بالطيب (قال اعرابى)

كأن لون البيض فى الادحى *

تتلون تلون الشمس فهى بالضحى بيضاء والعشاء صفراء (قال الشاعر) بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالنهار
(وقال بشار بن برد) تجذى محاسن زينة ٧٠ * ومعصفرات هن أنخر فاذا بلغنا فادخلى * فى الحمران الحسن أحمر

وقال الحريرى فى درة الغواص اما قولهم الحسن احمر فمعناه انه لا يكتسب ما فيه الجمال الا بتحمل مشقة يحمار منها الوجه كما قالوا للسنة المجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر كما قيل

واذا رأت عيناك طرفا اسودا
فاعلم بأن هنالك موتا أحمرا

واحسن زينة النساء فى أجسادهن الخضاب ولذلك اطنبت فيه الشعراء وشبهوه بالعناب وغير ذلك (قال أبو نواس فيه)

يا قمرا أبصرت فى مأتم
يندب شجوا بين اتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس
ويلطم الورد بعناب

(وقال ابن عكاشة)

من كف جارية كأن بنانها
من فضة قد ماوقت عنابا

(وما أحسن قول الواوا الدمشقى)

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

(وقال) المرزبانى قال لى ابن دريد سهرت ليلة فلما كان آخر الليل اغمضت عينى فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل على وأخذ بعضادتى الباب وقال أتنشدنى أحسن ما قلت فى الخمر فقلت ما تركك أبو نواس لاحد شيأ فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت فقال انا ابن ناجية من أهل الشام (وانشدنى)

بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
جعدة فرنعت ستارة كانت بيننا واذا بامرأة كأنها القمر ثم قالت أتعرف رجلا فيهم يقال له قيس ويلقب بالمجنون قلت اى والله سرت مع أبيه حتى أوقفنى عليه وهو مع الوحش لا يعقل الا ان ذكرت له ليلى فبكت حتى أغمى عليها فقلت مم تبكين ولم اقل الا خيرا فقالت أنا والله ليلى المشؤمة عليه غير المساعدة له أو قالت غير المكافئة أو المواسية له ثم أنشدت

ألا ليت شعرى والخطوب كثيرة * متى رحل قيس مستقل فراجع
بنفسى من لا يستقل برحله * ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

ولما أيس من ليلى حين ارتحلت مع زوجها واشتد هيمانه اجمع قومه ان يتقدموا الى أبيه فى حمله الى مكة فلعل الله ان يخفف عنه ففعل وسار معه ابن عمه زياد بن كعب فمروا بحمامة على دوحة تنوح فوقف المجنون صاغيا اليها وتخلف معه ابن عمه فقال له سر بنا فقد ابعد الرفاق فتنفس الصعداء وانشد

أأن هتفت يوما بواد حمامة * بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر
دعت ساق حر بعد ما غلت الضحى * فهاج لك الاحزان ان ناح طائر
تغنى الضحى والصبح فى مرجحنة * كثاف الاعالى تحتها الماء حائر
كان لم يكن بالغيل او بطن ايكة * أو الجزع من قول الاشاة حاضر
يقول زياد اذ رأى الحى هجروا * ارى الحى قد سار وا فهل انت سائر
وانى وان غال التقدم حاجتى * لم على اوطان ليلى فناظر

ودخل مكة فنظر الى الناس وهم يدعون ربهم محرمين فانشد

دعا المحرمون الله يستغفرونه * بمكة وهنا ان تمحى ذنوبها
وناديت ان يارب اول سؤلتى * لنفسى ليلى ثم انت حسيبها
فان اعط ليلى فى حياتى لا تتب * الى الله خلق توبة لا اتوبها

فزجره ابوه عن ذلك وامره ان يدعو الله ان ينسيه ذكرها واخذه حتى امسكه استار الكعبة ثم قال له قل اللهم انسنى ذكرها وامح من قلبى حبها فقال اللهم اجمعنى بها وارزقنى حبها وزدنى بها كلفا وفيها تلفا وانشد مكملا للابيات السابقة

يقر لعينى قربها او يزيدنى * بها اعجبا من كان عندى يعيبها
فكم قائل قد قال تب فعصيته * وتلك لعمرى توبة لا أتوبها
فيا نفس صبرا الست والله فاعلمى * بأول نفس غاب عنها حبيبها

ولما اجتمع الناس بمنى سمع هاتفا يهتف بليلى فخر مغشيا عليه الى الصباح ثم افاق متغيرا حائل اللون وانشد

عرضت على نفسى العزاء فقيل لى * من الآن فايأس لا اعز لك من صبر
اذا بان من تهوى واصبح نائيا * فلا شئ اجدى من سلوك فى القبر

(وانشدنى) وجرا قبل المزج صفراء بعده * وداع حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت اسأت الترتيب فقال ولم قلت لانك قلت وجرا فقدمت الحمراء ثم قلت بين ثوبى نرجس وشقائق فاخرت الحمرة فهلا قدمتها على الاخرى فقال وما هذا الاستقصاء فى هذا الوقت يا بغيض ثم انصرف (وقال المتنبى)

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج احزان الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائرا كان فى صدرى
دعا باسم ليلى ضل الله سعيه * وليلى بارض عنه نازحة تفرى

ثم انساب منهم وكانت هذه سياحته الكاملة فجعل يقتات بعشب البر حتى طالت اظفاره وغطاه شعره فالفته الوحوش فكان يرد الماء معها ثم يهيم على وجهه حتى يقع بالشام فيرى اقواما واوضاعا ينكرها فيقول اين جبل نوباد من بنى عامر وهو جبل كان يرعى هو وليلى عنده الغنم فيقولون له اين انت من نوباد ويعرضون عليه الثياب والطعام فيأبى ويقول دلونى عليه فيرجونه ويقولون له اتبع نجم كذا يوصلك اليه فيمضى حتى يقع باليمن فيكون له مثل ذلك الى ان يظفر احيانا بالجبل فينشد حين ينظره

واجهشت للنوباد حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآنى
واذريت دمع العين لما عرفته * ونادى باعلى صوته فدعانى
فقلت له قد كان حولك جيرة * وعهدى بذاك الصرم منذ زمان
وقلت له اين الذين عهدتهم * بقربك فى حفظ وطيب امان
فقال مضوا واستودعونى ديارهم * ومن ذا الذى يبقى على الحدثان
وانى لابكى اليوم من حذرى غدا * فراقك والحيان موتلفان
سجالا وتهتانا ووبلا وديمة * وسحا وتسجالا وتنهملان

وعن فتى من قيس أو هو رباح بن مالك قال لما أخذ المجنون الى مكة للاستشفاء كما مر مررت يوما واذا أنا بجماعة قد تعلقوا بشخص متغير اللون ناحل البدن وقد هم أن يلقى نفسه من جبل فسألت عنه فاذا هو المجنون خرج ليتنسم صبا نجد فقلت علام تحبسونه قالوا نخاف ان يجنى على نفسه ولو تقدمت اليه فاخبرته انك من نجد لسكنت روعه ففعلت فجعل يسألنى عن موضع موضع ويبكى أحر بكاء ثم أنشد

ألا حبذا نجد وطيب ترابها * وارواحها ان كان نجد على العهد
ألا ليت شعرى عن عويرض قبا * اطول الليالى قد تغيرت بعدى
وعن جار تينا بالنخيل الى الحمى * على عهدنا أم لم يدوما على العهد
وعن عاويات الرياح اذا جرت * بريح الخزامى هل تهب على نجد
وعن الحوان الرمل ما هو صانع * اذا هو أرى ليلة بثرى جعد
وهل اسمعن الدهر اصوات هجمة * تطالع من وهد خصيب الى وهد
وهل انفضن الدهر افنان لمتى * على لاحق المتنين منذلق الوخد

ومر يوما على جبلى نعمان وهو موضع من نجد به جبلان ليسا بالعظيمين بينهما فاصل يسير فقال لرفقة معه هذا مكان يقرب من منزل كانت تنزل به ليلى قال فأى الرياح تهب منه ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع لونه فقيل له انا نراك مع كثرة دخولك على أمير المؤمنين وانسه بك تتغير اذا دخلت اليه فقال مثلى ومثلكم فى هذا مثل بازى وديك تناظرا فقال البازى للديك ما أعرف اقل وفاء منك لاصحابك فقال وكيف

قالت وقد رأت اصفرارى من به
وتنهدت فأجبتها المتنهد
(اخذه الآخر فقال)
قالت لتعرب معها منكرة
لو فقهى هذا الذى نراه من
قالت فتى يشكو الهوى متيم
قالت بمن قالت بمن قالت بمن
(وقال ابن النبيه)
وفى الكلة الحمراء بيضاء طفلة
برزق عيون السمر يحمى احورارها
(وقال) عماد الدين ابن دبوقا من ابيات
ارى العقد فى ثغره محكما
يرينا الصحاح من الجوهر
وتكمله الحسن ايضاحها
رويناه عن وجهك الازهر
ومنشور دمعى غدا احمرا
على آس عارضك الاخضر
وبعت رشادى بفتى الهوى
لاجلك يا طلعة المشترى
(وقلت انا من قصيد)
اعمرك لا زيد يكون ولا عمرو
ولا ثغر الا دون تقبيله ثغر
ولا بيض الا اسود حظى عندها
ولا سمر الا دون أعطافها السمر
(وقال بدر الدين بن المحدث)
يصفر لونى حين انظر وجنة
منها تعلم حسنه الورد الجنى
يفنى الزمان وليس يفنى حبه
وقد انحنيت وما اراه ينحنى
(حكى) عن ابى أيوب وزير المنصور انه كان اذا دعاه المنصور يصفر

قال فوخذ بيضة فيحضنك اهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك باكفهم حتى اذا كبرت صرت لايدنو منك أحد الاطرت من هنا الى هنا وصحت وان علوت حائط الجبال وقد كبرت فخاط عيناى واطعم الشئ اليسير واساهر فامنع من النوم واونس اليوم واليومين ثم اطلق على الصيد وحدى فاطير اليه وآخذه وأجئ به الى صاحبى فقال له الديك ذهبت عنك الحجة اما والله لو رأيت بازيين فى سفود ما عدت اليهم ابدا وانا فى كل يوم ارى السفافيد يملؤا ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكنتم اسوأ حالا منى عند طلبه لكم (قلت) والذى هرب منه وقع فيه على الصحيح الاشهر ولم يزل يصغر منه حتى اذا قه الموت الاحمر هذا بعد ان اخذ ماله وتركه فى اسوأ حالة (حكى) انه كان يدهن حاجبه بدهن يسحر فيه المنصور فلا يتمكن منه اذا رآه حتى ضرب به المثل فقيل أدهن من أبى أيوب وما افاده ذلك شيأ لانه فعل به ما فعل وقابله بما ليس له به قبل

(فصل فى التفضيل بين البيض والسود والسمر ذوات النهود)

وهذا النوع الاخير مما يميل اليه المصيرون فى الغالب وللناس فيما يعشقون مذاهب (فمما قيل فى تفضيل السمر)

لا عشق الابيض المنفوخ من سمن
لكننى اعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ أركب المهر المضمر فى
يوم الرهان ندعنى واركب الفيلا

(وقال على بن الجهم) وعائب للسمر من جهله * فياظبى قولوا له دعنا ما تسحى
من جعلك الكافور كالمسك * (قال أبو جعفر الشطرنجى)

قالوا الصبا خلف لا يبرح من مكانه حتى تهب فمضوا وتركوه ثم عادوا بعد ثلاث فاقاموا معه حتى هبت فانشد

ايا جبلى نعمان بالله خليا * سبيل الصبا يخلص الى نسيمها
اجد بردها او تشف منى حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها

قلت قال فى النزهة بعد ذكر هذه الابيات ان ابا الفرج بن الجوزى تزوج امرأة اسمها نسيم الصبا فاقام معها مدة ثم وقعت بينهما وحشة ففارقها فاشتد بها كلفه وزاد غرامه وراسلها فابت عليه وطال بينهما الامر وانها حضرت مجلس وعظه يوما فلاحت منه نظرة فرآها وقد استترت بجلبابين فتنفس الصعداء وانشد أيا جبلى نعمان الابيات فاستحيت ثم ذهبت وقد داخلتها الرقة له فحكت لبعض النساء ذلك فضحين فاخبرنه فراسلها فاجابت فتزوج بها ومر يوما بعد ما تمكن منه التوحش بليلى ظاعنة فلما رآها سقط مغشيا عليه فأخذه بعض قومها فمسح عنه التراب وسألوها ان تكلمه رقة عليه فاستعدرت من الخوف فارسلت امرأة تأمنها بالسلام والاستعطاف والاستعذار وانها لولا الخوف لاتته فلما بلغته المرأة ذلك ثاب اليه عقله وانشد

اقول لاصحابى هى الشمس ضوءها * قريب ولكن فى تناولها بعد
لقد عارضت ريح ليلى بنفحة * على كبدى من طيب اروحها برد
فمازات مغشيا علىّ وقد مضت * اناة ولا عندى جواب ولا رد
اقلب بالايدى واهلى تعولنى * يفدونى لو يستطيعون ان يفدوا
ولم يبق الا الجلد والعظم عاريا * ولا عظم لى ان دام مابى ولا جلد
أدنيای مالى فى انقطاعى وغربتى * اليك ثوابا منك دين ولا نقد
عدينى بنفسى انت وعد افربما * جلا كربة المكروب عن قلبه الوعد
وقد يبتلى قوم ولا كبليتى * ولا مثل وجدى فى الشقاء بكم وجد
غزتنى جنود الحب من كل جانب * اذا حان من جند فقول اتى جند

وسئل يوما وهو حاضر من الغمرة ما احسن ما رأيت قال ليلى فقيل له ذلك معلوم وانما نعنى غيرها فقال ما رأيت شيأ غيرها وذكرتها الاسقط من عينى الا ظبيا رأيته يوما فذكرت ليلى فزاد فى عينى حسنا فانطلقت اعدو خلفه حتى كلت رجلاى وغاب عن عينى فأخذت راحتى ثم انطلقت حتى وجدته وقد فتك به ذئب فاخذت سهما وضربت به الذئب فلم يخط قلبه فشقت بطنه واخرجت ما أكل فضممته الى ما بقى من الظبى ودفنته وانشد

ابى الله ان يبقى لحى بشاشة * فصبرا على ما شاء الله بى صبرا
رأيت غزالا يرتعى وسط روضة * فقلت ارى ليلى تراءت لناظرى

اشبه المسك وأشبهته * فائقة فى لونه فاعده لاشك اذ لونكما واحد * أنتما من طينة واحدة (وقال الشريف الرضى فى تفضيل السود) احبك بالون السواد فانى * رأيتك فى العينين والقلب توأما وما كان سهم العين لولا سوادها *

ليبلغ حبات القلوب اذا رمى
اذا كنت تهوى الظبى ألمى فلا تلم
جنونى على الظبى الذى كله لما
(وقال مسلمة)
لام العواذل فى سواد فاحمة
كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا
انى أهيم بشخص كله خال
(وقال ابن رشيق)
دعابك الحسن فاستجيبى
يامسك فى صبغة وطيب
تيهى على البيض واستطيلى
تيه شباب على مشيب
ولا برعك اسود اللون
كقلة الشادن الربيب
(وقال آخر)
وان سواد العين فى العين نورها *
وما البياض العين نور فيعلم
(وقد ذكرت) بقية ما قيل فى هذا النوع من المقاطيع الحسان فى السكردان عند ذكر الملك الكامل شعبان رحمه الله * وأما ما قيل فى تفضيل البيض على السود فاكثر من ان يذكر له شاهد او يمتد اليه ساعد المساعد قال الجاحظ والعرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن أصل ما يبنون عليه امرهم ذلك (قال كشاجم)
يامشبها فى فعله لونه
لم تعد ما أوجبت القسمه
خلقك من خلقك مستخرج *

فياظبى كل رغد اهنيئا ولا تخف * فانك لى جار ولا ترهب الدهرا
وعندى لكم حصن حصين وصارم * حسام اذا اعملته احسن العبرا
فداراعنى الاذؤيب قد انتحى * فاعلق فى احشائه الناب والظفرا
فبوأت سهمى فى كتوم غمزتها * فخالط سهمى مهجة الذئب والنحرا
فاذهب غيظى قتله وشفى جوى * بقلبى ان الحرقة يدرك الوطرا

واجتمع اليه النساء يوما فقلن له اما آن لك ان تصرف عنك هوى ليلى ايرد اليك عقلك فانها امرأة من النساء وفينا عنها كفاية فاختر احدانا فقال لو ملكت لفعلت ولكنى مغلوب فقلن ما أعجبك منها قال كل شئ رأيته وسمعته فقلن صفها فانشد

بيضاء خالصة البياض كانها * قمر توسط جنح ليل مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الجمال مظنة للحسد
وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء تعرب عن سواد الاثمد
خود اذا ذكر الكرام رأيتها * تحمى الحمى واذا تكلم تقصد

وقال له رجل من قومه انى قاصد حى ليلى فهل عندك شئ تقوله لها قال نعم انشدها اذا وقفت بحيث تسمعك هذه الابيات

الله يعلم ان النفس قد هلكت * باليأس منك ولكنى امنيها
منيتك النفس حتى قد اضر بها * وابصرت خلفا مما منيها
وساعة منك الهوها ولو قصرت * اشهى الى من الدنيا ومافيها

قال الرجل فمضيت حتى وقفت بفنائها فلما امكنتنى الفرصة انشدت بحيث تسمع الابيات فبكت حتى غشى عليها ثم قالت ابلغه عنى السلام وانشده

نفسى فداؤك لو نفسى ملكت اذا * ما كان غيرك يجزيها ويرضيها
صبرا على ما قضاه الله فيك على * مرارة فى اصطبارى عنك اخفيها

قال الرجل فلما بلغته ذلك بكى حتى غشى عليه ثم افاق وهو يقول بحبث لعروة العذرى البيتين السابقين فى صدر القصة ولما أيس اهله منه وخالط الوحوش اخذوا يحتالون على اصلاحه فقال ابوه يوما لشخص اريد ان تمر به فتذكر له ليلى وانك من عندها وانها تذكره كثيرا فاذا أعطاك سمعه وتمكنت منه فاذكر له انها تشتمه وتنقصه فعساه ان يداخله كرها قال الرجل فمضيت حتى اجتمعت به واعلمته بذلك حتى ذكرت انها تشتمه فانشد

تمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضى * ويصدع قلبى ان يهب هبوبها
اذا هبت الريح الشمال فانها * جوابى بما يهدى الى جنوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس حيث كان حبيبها
وحسب الليالى ان طرحنك مطرحا * بدار قلى نمسى وانت غريبها

١٠ تزل والظلم مشتق من الظلمة وأما القصيرة الغليظة من النساء فانها نوع مذموم * عند صاحب كل منثور ومنظوم (قال الشاعر) وأنت التى حببت كل قصيرة * الى ولم تشعر بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار النساء غير الخيرات والخيرات هن القصار الفلائط (وقال بعض السلف) جعل

الله البهاء والهوج مع الطوال والدهاء والدمامة مع القصار والخير فيما بين ذلك * وما اظرف قول
الشريف الناسخ
واحر باه من هوى قصيرة
في الارض منها الف الف قامه
اذا رنا الى الخفاف طرفها
قال القفايا كاتب السلامه
وبعض الناس يفضل السمان ويقول السمنة نصف الحسن وهو يستر كل عيب في المرأة ويبدي محاسنها قيل ولهذا قيل جميلة لان الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم وقد تقدم ذكره
(فصل في ذكر ما يعتري المحب من اصفرار لونه عند رؤية محبوبه وخفقان قلبه وطيران عقله وايبه)
(قال صاحب روضة المحبين) وقد اختلف في سبب هذه الروعة والفزع والاضطراب فقيل سببه ان للمحبوب سلطانا على قلب محبه اعظم من سلطان الرعمة فاذا رآه فجأة راعه ذلك كما يراع من يرى من يعظمه فجأة فان القلب معظم للمحبوب خاضع له والشخص اذا فجأه المعظم عنده راعه ذلك وقيل سببه انفراج القلب له ومبادرته الى تلقيه فيهرب الدم منه فيبرد ويرعد ويحدث الاضطراب والرعدة وربما مات وبالجملة فهذا امر ذوقي وجداني وان لم يعرف سببه ومن أحسن ما قيل في الاعتذار عن خفقان القلب عند رؤية المحبوب قول الوراق الخطيري
يقول لي حين وافى * قد نلت ما ترتجيه
فقلت وصلك عرس * والقلب يرقص فيه
(ومثله قول الآخر) فما القلب قد جا * * خفقه يعتريه
لا تنكروا خفقان قلبي والحبيب لدى حاضر

حلال للیلی شتمنا وانتقاصنا * هنیئا ومغفورا للیلی ذنوبها
هذا ما ذكر في الاصل وانكر في النزهة ذلك وقال ان ابا المجنون مات قبل اختلاط عقله كما سبق وفي تسريح الناظر أن الذي امر الرجل بذلك زياد بن كعب احد بني عم المجنون وهو الاوجه وقيل للمجنون يوما اتحب ليلى قال نعم حبا خالط الدم ومازج الاعضاء قيل فما يغني حبك لها وهي مريضة وانت لا تعودها فتنفس الصعداء وانشد
يقولون ليلى بالصفاح مريضة * فماذا اذا يغني وانت صديق
شفى الله مرضى بالصفاح فانني * على كل شال بالصفاح شفيق
وعن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن المسور بن مخرمة وكان واليا على الصدقات من قبل مروان او عبد الملك وله صحبة عند الذهبي قال قدمت على بني عامر لاخذ اموال الصدقة فرأيت شخصا عاريا يلعب بالتراب فأمرت له بثوب فقيل لي لو كان يلبس لكان في مال أبيه كفاية فانه سيد الحي ولكنه قد نوكع بحب امرأة فصيرته هكذا قال فقمت اليه وكلمته فلم يعقل فقيل لي ان أردت أن يفهم ما تقول فاذكر له ليلى فقلت أتحب ليلى قال نعم فقلت له أتريد أن أزوجك بها قال أو يمكن ذلك قلت نعم فقال يا له من جميل لو أن أهل الارض شكروا معي لم يفوا فعند ذلك قام فلبس ثيابه وأقام معه يوعد منه الى يوم مجتمع لهم فهم ليأخذه فأخبروه باهدار السلطان دمه فصرفه وقيل هموا بقتاله فصرفه انما كان خوف الفتنة فقال المجنون له والله انك لم تف بالوعد ثم مزق ما عليه وانصرف وفي الكتاب ما يشعر بان القصة مع محمد بن نوفل وليس كذلك لما ستعرفه من ان نوفلا لم يزل من ذلك اليوم متطلبا لاخبار المجنون جامعا لاشعاره وأنه قدم سنة من السنين يسأل عنه فقالوا لم نعرف له خبرا فركب في طلبه حتى لاح له وراء اراكة بين قطيع من الغزلان وقد غطاه شعره فصعد نوفل الشجرة مستخفيا وشربت الظباء وانصرفت فوقف المجنون يرعى هذا ما في الاصل وفي نزهة المشتاق انه انصرف معهم ولم يمكنه الاجتماع به فرجع متأسفا وشكا ما به الى شيخ كبير في بني سعد فقال له الشيخ ان للمجنون دراية بألفها وانها تحمل له الطعام والخبز احيانا فيأكل منها ولو صحبتها الامكن أن تظفر به ففعل فهرب المجنون منهما فرجع وأخبر الشيخ فقال له الشيخ قد قرأت في سالف الاخبار ان سلطانا قال لوزيره اخبرني عن أعظم راحة وأقوى لذة وأشد حافر على الارض وقد امهلتك ثلاثا فان لم تجب جللتك بالسيف فمضى مهموما وكان له ابنة قد اتخذت قصرا مفتوحا الى الاربع جهات على قارعة الطريق للنزهة فلما رأت ما بأبيها استعطفته حتى أخبرها فاستسهلت الامر وقالت له اذا عدت اليه من الغد فأخبره ان أقوى راحة راحة الخبز وأعظم الاشياء لذة الجماع وأشد حافر على الارض البغال فلما أعلمه قال له اخبرني من أين لك ذلك فصدقه الامر فاستحضر البنت وقال لها الآن لم تخبريني عن تعليل ذلك والا ضربت عنقك فانك بكر لم تعلمي أحوال النساء ولا لذة الجماع فقالت أيد الله الملك ان قصري منفتح للاهوية فلم أجد من لدن

قطفت

ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر (وما احسن قول ابن سنا الملك)
اهان علي ما ألقى بربعك * ملكت الخافقين فهمت عجباه وليس هما سوى قلبي وقربك ٧٥
قطفت به رائحة يتكيف بها الهواء أعظم من الخبز ولم يتحرك جدار القصر من شئ غير البغال وأما الجماع فانني أخذته من شدة ألم الوضع وما شاهدت من مقاساة النساء فيه فلو لم يكن الجماع أعظم لذة ما عدن اليه والرأي عندي ان تصنع خبزا وتجعله في طابق يضم بخاره وتقصه حيث يشمه فانه يقف لبعد عهده به فتذكره ليلى فيزداد أنسا قال الرجل فمضيت وعملت برأي الشيخ وطيبت الخبز بالافاويه حتى اذا أقبل ولحته من خلال الاراكة كشفت الخبز وصعدت لتشرب الظباء فشربن وسرن ووقف يشم الرائحة فانشدته من الشجرة
أتبكي على ليلى ونفسك باعدت * مزارك من ليلى وشعبا كما معا
فاندفع يقول
فما حسن أن يأتي الامر طائعا * وتجزع أن داعي الصبابة أجزعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها * على الجهل بعد الحلم اسبلتا معا
واذكر أيام الحمى ثم أنثني * على كبدي من خشية أن يصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * الي ولكن خل عينيك تدمعا
معي كل عرفد عصى عاذلاته * يوصل الغواني من لدن أن ترعرعا
اذا راح يمشي في الرداعين أسرعت * اليه العيون الناظرات التطلعا
ثم سقط مغشيا عليه فقتلت بقوله
يا دار ليلى بسقط الحي قد درست * الا التمام والا وقد النار
ابلى عظامك بعد اللحم ذكرها * كما يئضت قدح الشوحط البارى
ما تفتؤا الدهر من ليلى تموت كذا * في موقف وقفته أو على دارى
فرفع رأسه وقال من أنت حياك الله فقلت له نوفل أخبرني ما صنعت بعدي فانشد الاحبيت ليلى الابيات ثم أخذ يفاوضني في الكلام حتى سنح له قطيع ظباء فطفق يعدو حتى اختلط بها وفارقته فلم أره بعد قلت وفي النزهة انه تطلبه مرة أخرى غير هذه فوجده بين حجرين ميتا فأخذه ودفنه وسيجيء ذكر ما رأى له من الاشعار منقوشا في التراب أورده آخر القصة على النمط السابق في غيره ومر برجلين قد اصطادا ظبية وربطاها فعزم عليهما أن يطلقاها فأبيا عليه فأطلقها بشاة من غنمه وأنشد
شريت بكبش شبه ليلى ولو أبوا * لاعطيت مالي من طريف وتالد
فيا باغي شبها لليلى قتلتما * وجنبتما ما ناله كل عابد
فلو كنتما حرين ما بعتما فتى * شبيها لليلى بيعة المتزايد
واعتقتماها رغبة في ثوابها * ولم ترغبا في ناقص غير زائد
وقيل ان الرجلين أخوه وابن عمه وانه أنشدهما متعرضا لبخلهما
يا اخوي اللذين اليوم قد أخذا * شبها لليلى بحبل ثم غلاها
اما والله لولا خوف سخطك *
(وقال معين الدين)
لم انسه اذ قال اين تحاني
حذرا علي من الخيال الطارق
فأجبت في قلبي فقال تعجبا
ارأيت عمرك ساكنا في خافق
(وقال آخر)
وسكنت قلبا خافقا
يا ساكنا في غير ساكن
(وقال الطغرائي)
مرض النسيم وصح والداء الذي
اشكوه لا يرجى له افراق
هذا خفوق البرق والداء الذي
ضمت عليه جوانحي خفاق
(اورد) ابن الابار في تحفة القادم
قول ابن تقي من أبيات
حتى اذا مالت به سنة الكرى
زحزحته شيأ وكان معانقي
ابعدته عن اضلع تشتاقه
كي لا ينام على وساد خافق
ثم قال نسب بعض أهل عصرنا
ابن تقي الى الجفاء في قوله ابعدته
عن اضلع تشتاقه ولو قال
ابعدت عنه اضالعا تشتاقه
لكان أحسن ثم ذكر بعدها بيتا
فضلوه على قول ابن تقي المذكور
قول ابن الحكيم جعفر بن عثمان
ان كان لا بد من رقاد
فأضلعي هاتك عن وسادي
وثم على خفقانها هدوا
كالطفل في هزة المهاد
(وقال) ابن الاثير في المثل السائر
في ابيات ابن تقي المذكور وهذا
من الحسن والملاحة بالمكان
الاقصى واقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير هو الموصوف بالابداع وبه وبامثاله اقرت
الابصار بفضل الاسماع وقلت انا موافقا لاهل ذلك العصر في الرد على ابن تقي * اتاني زائرا فحكى الهلالا

وأتبعه صدودا واستطالا * فقلت له تعود فقال لا لا * دوام الوصل يورث الملالا * (الباب السادس فى ذكر الغيرة
ومافيها من الحيرة وقرع سن ديك الجن) * حتى من نفسه وابناء جنسه

والمحبون فيها نوعان والمضروبون بسوطها ضربان فالاول يحبه الله ورسوله ويثيب به العاشق سوله والثانى مذموم وصاحبه ملوم فالنوع المحبوب منها أن يغار عند قيام الريبة والنوع المذموم ان يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبة ولا تترك منها حبة لانها توقع العداوة بين المحب والمحبوب وربما حملته على الوقوع فيما اتهمه به ويترتب عليها مفاسد كثيرة مما يؤدى الى فساد الامور والحكايات فى هذا الباب مشهورة (وقد روى) عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الصحيح ان من الغيرة مايحب الله ومنها مايكره الله فالغيرة التى يحبها الله أن تكون فى ريبة والغيرة التى يكرهها الغيرة فى غير ريبة * وقال عبد الله بن شداد الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل أهله وغيرة تدخل النار * وقال صاحب روضة المحبين الذى يحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته واجلاله واذا خلا قلبه من الغيرة لله ورسوله فهو من المحبة اخلى وان زعم انه من المحبين فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمته ويسعى فى اذاه ومساخطه ويستخف بامره وهو لا يغار لذلك بل قلبه بارد فكيف يصح لعبد أن يدعى محبة الله وهو لا يغار لمحارمه اذا انتهكت ولا لحقوقه اذا ضيعت واقل الاحوال ان يغار له من نفسه بترك ارتكاب معاصيه والتفريط فى حقه واما الغيرة على المحبوب فانما تحمد حيث

انى أرى اليوم فى اعطاف شاتكما * مشابها أشبهت ليلى لخلاها
وانه عرض عليهما القتل حين أبيا افلاتهما لانه كان أجلد منهما وفى رواية فداها
بقلوص ولما ذهبت تعدو أنشد أياما شبه ليلى الاليات وزاد هنا

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك رقيق

وقد وردت هذه الرواية من طرق كثيرة وفى احداها ياصاحبى اللذان وهو أسلم من الزحاف هذا ما تلخص من صحيح أخباره وأما ماقيل من أنه مر بزوج ليلى وهو فى حى بنى عامر عند ابن عم له يصطلى فوقف على رأسه وأنشد

بربك هل ضممت اليك ليلى * قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل زفت عليك قرون ليلى * زفيف الاتحوانة فى نداها

فقال أما اذ حلفتنى فنعم فصرخ المجنون وقبض الجمر بكلتا يديه وسقط مغشيا عليه فأكل الجمر لحم راحتيه وقام زوج ليلى مغموما وماقيل ايضا من أن ابا المجنون طرقه ضيوف ليلا فارسله الى أبى ليلى ليقترض منه سمنا فامرها ابوها ان تخرج اليه بنحى فقلأ وعاء فجعلت تسكب فيه وينحدر ثان حتى غرقت ارجلهما وانه جاء ليلة اخرى يستقبسها نارا فخرجت اليه بقضيبة فكان يتحدث معها ويقطع من بردعليه يغلف به النار وكلما احترقت قطعة اخذ اخرى حتى صار عريانا فلم يصح اسناده عندنا كصحة غيره ومثل ذلك ماقيل من ان جنونه كان مجازاة لقوله قضاها لغيرى او لسماع هاتف أنشده

كلانا مغرم فى حب ليلى * بقى وفيك من ليلى التراب

فاختلط عقله واما حال موته فالصحيح ماقدمناه وقيل ان رجلا شاميا كان مغرما باشعاره واشعار قيس بن ذريح قدم للاجتماع به او الرجل من بنى جعدة أو مرة او هو الصباح بن عامر الكنانى أقوال فسأل أهله عنه فاخبروه انه متوحش من الانس الاصديقا له يذهب اليه فى كل يوم يكتب مايقول من الاشعار ودابة تذهب اليه بطعام فمضى اليهما يسألهما الحيلة فى الاجتماع عليه فقالا له قصده فى موضع كذا فستجده جالسا قد خط حوله التراب وهو يعبث باصابعه فيه فاذا رآك اخذ الاحجار وهم بضربك فاصرف بصرك عنه وأطل الجلوس ثم أنشد مايحضرك من شعر قيس فانه مغرم به فاذا فعلت بلغت ماتريد منه فمضى الرجل يقتفى أثره حتى وجده على ماوصف فلما أنس به قال رحم الله قيسا حيث يقول

نبيت ونضحى كل يوم وليلة * على منهج تبكى عليه القبائل
قتيل للبنى صدع الحب قلبه * وفى الحب شغل للمحبين شاغل

فقال انا والله اشعر منه حيث اقول

سابت عظامى لحمها فتركتها * معرقة تضحى اليه وتضجر
وأخلبتها من مخها وكأنها * قوارير فى اجوافها الريح تصفر

اذا سمعت ذكر الفراق تقطعت * علائقها مما تخاف وتحذر
خذى بيدى ثم انهضى بى تبينى * بى الضر الا انى انستتر

ثم انساب يعدو وفارقته فلما كان اليوم الثانى جئت على العادة وانشدت قول قيس

تنادر أم تروح غدا رواحا * ولن يستطيع مرتهن براحا
سقيم لا يصاب له دواء * اصاب الحب مقتله فباحا
وعذبه الهوى حتى براه * كما ألقيت بالسفن القداحا
فكاد يذيقه جرع المنايا * ولو أسقاه ذلك لاستراحا

فقال انا اشعر منه حيث اقول

فما وجد مغلوب بصنعاء موثق * لساقيه من ثقل الحديد كبول
قليل الموالى مستهام مروع * له بعد نومات العشاء عويل
يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل
بأعظم منى روعة يوم راعنى * فراق حبيب ما اليه سبيل

ثم فعل فعلته بالامس وعاودته فقلت أحسن والله قيس حيث يقول

ألا ياغراب البين ويحك أنبئ * بعلمك فى لبنى وانت خبير
فان أنت لم تخبر بشئ علمته * فلا طرت الا والجناح كسير
ودرت باعداء حبيبك بينهم * كما قد ترانى بالحبيب ادور

وفى رواية ابن الاعرابى

ألا ياغراب البين هل أنت مخبرى * بخير كما خبرت بالنأى والشر
وخبرت أن قد جد بين وقربوا * بما للبنى منقلات من العذر
وهبت فدى عين للبنى مريضة * اذا ذكرت فاضت مدامعها تجرى
وقلت لذاك الدهر مازال فاجعا * صدقت وهل شئ يباقى على الدهر

فقال له المجنون أحسن والله ولكنى اشعر منه حيث اقول * كان القلب البيتين فامهلته
حتى فرغ ثم قلت واحسن قيس ايضا حيث يقول * وانى لمن دمع عينى بالبكا * الابيات
السابقة فى قصة قيس قال فبكى حتى ظننت انه فاضت نفسه ثم قال احسن والله وانا
أشعر منه حيث أقول

وادنيتنى حتى اذا ماسبيتنى * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تنائيت عنى حين لا لى حيلة * وغادرت ماغادرت بين الجوانح

قال ولم أزل أعاوده اكتب مايقول الى ان تطلبته فوجدته بين احجار ميتا وفى رواية أن هذا الرجل لم يجتمع به واخرى رآه ميتا محمولا قد دلت عليه دابته وانه لم يكتب اشعارا الا من عند صديقه المقدم ذكره وبالجملة فعلى الاجماع أنه وجد ميتا فاحتمل وغسل ودفن وحضر جنازته جميع بنى جعدة وسعد والحريش وحضر أبو ليلى فاظهر جزعا شديدا

يحمد الاختصاص به ويذم الاشتراك فيه شرعا وعقلا كغيرة الانسان على زوجته وامته والشئ الذى هو يختص به
وهذه الغيرة تختص بالمخلوقين ولا تتصور فى حق الخالق لانه سبحانه ونعالى يجب على جميع المخلوقين

والنفس وهو شبيه مايحكى عن بعضهم انه قيل له الا تذكره فقال انزهه أن يجرى ذكره على لسانى وقد وقع بعضهم فى شئ أن يحبوه ويذكروه ويعبدوه ويحمدوه خلافا لبعض جهلة الصوفية ممن كان اذا رأى من يذكر الله او يحبه يغار منه وربما سكته ان أمكنه ويقول غيرة الحب تحملنى على هذا وانما ذلك حسد وبغى وعدوان ونوع معاداة لله ومزاحمة لطريق رسله أخرجوها فى قالب الغيرة وشبهوا محبته بمحبة الصورة وهذه الغيرة انما تحسن فى محبة من لا تحسن المشاركة فى محبته كغيرة الانسان على محبوبه من الآدميين كما تقدم ذكره * قال القشيرى قيل لبعضهم أتحب ان تراه قال لا قيل ولم قال انزه ذلك الجمال عن نظر مثلى قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وهذه ايضا غيرة فاسدة وغاية صاحبها أن يعفى عنه وأن يعد ذلك من شطحاته المذمومة واما ان يعد فى مناقبه وفضائله ان يقال له أتحب أن ترى حبيبك فيقول لا فلا ورؤيته أعلى نعيم الجنة وهو سبحانه وتعالى يحب من عبده أن يسأله النظر اليه وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان من دعائه اللهم انى أسئلك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وقول هذا القائل أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلى من خدع الشيطان

ولم يأنفوا مني انفت لهم مني وبعضهم من ترك الحج غيرة على بيته أن يزوره منله وقد مات شخص على ترك الصلاة فقال لي اني لا أرى نفسي أهلا ان ادخل بيته فانظر الى تلاعب الشيطان بهؤلاء واما الغيرة على المحبوب من الآدميين فللناس فيها ضروب وحسنات غالبها ذنوب فمنهم من يغار على المحبوب من النسيم اذا هب أو سماع انه في الدرب اغارا اذا آنست في الحي أنه حذارا وخوفا ان تكون لحبه

(وقال آخر)

تغار من الطيف الملم لحاتها
ويغضب من مر النسيم غيورها

(وقال ابن الاثير في المثل السائر) سافرت الى الشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة فدخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أربابها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو أغار اذا آنست في الحي البيت المتقدم فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول ابي الطيب المتنبي

لو قلت للدنف المشوق فديته
مما به لاغرته بفدائه

والمتنبي أخذه من قول العباس ابن الاحنف

لم القى ذا شجن يروح بحبه
الا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك واتقى بك واثق
ان لا ينال سواى منك نصيبا

ومنهم من يلحق في الغيرة يومه بأمسه ويغار على المحبوب من كلام نفسه كما قال البحتري

اني لاحسد ناظري عليكما
حتى اغض اذا نظرت اليكما
وارى تخطر في شمائلك التي
هي فتنتي فاغار منك عليكما
ولو استطعت منعت لفظك غيرة
فقال
كي لا أراه مقبلا شفتيكما خلص الهوى لك واصطفتك مودتي
حتى اغار عليك من ملكيكما

ومنهم من يغار عليه

من ازاره ولابس ازاره أرى الازار على ليلى فاحسده * ان الازار على ماض محسود
وهي ما حكي عن الحسن بن زيد امير المدينة انه قال يوما لابي السائب

قلت ولهذا البيت حكاية لطيفة وكان قد جمله وكساه فكان يركب معه في موكبه ويسلم على النساء اذا مر بهن فنهاه الامير عن ذلك فسار معه يوما وعليه قلنسوة ففعل كعادته فانشده الامير * أرى الازار على ليلى البيت فقال له ابو السائب بأبي انت وامي من الذي قال هذا البيت فقال قيس فتخلف ابو السائب عن مسايرته ثم لحق ولا قلنسوة عليه فقال له الامير أين القلنسوة قال تصدقت بها على الشيطان الذي ألقى هذا البيت على لسان قيس ومنهم من يغار عليه من ارتشاف السلاف كما قال كشاجم

وعذبني قضيب في كثيب
تشارك فيه لين واندماج
اغار اذا دنت من فيه كاس
على در يقابله زجاج
واشفق ان دنا المصباح منه
على بدر يقابله سراج

أخذه المتنبي فقال في ممدوحه

اغار من الزجاجة حين تجري
على شفة الامير ابي حسين

وقد عيب عليه ذلك لكونه خاطب ممدوحه بما تخاطب به المليحة ومنهم من ينزل نفسه منزلة الاجنبي فيغار على المحبوب من نفسه كما قال ابو تمام

بنفسي من اغار عليه مني
وأحسد مقلة نظرت اليه
ولو أني قدرت طمست عنه
عيون الناس من حذري عليه
حبيب بت في جسمي هواه
بلا روح وقلبي في يديه

(وقال أيضا) اغار عليك من قلبي * وان أعطيتني املي واشفق ان ارى خدي * لك انصب مواقع القبل

وامسك مهجتي رهنا لديه * فروحي عنده والجسم خال

فقال بلى والله سوف يمسها * عذاب وبلوى في الحياة تنالها
فقلت ولم املك سوابق عبرة * سريع الى جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها ذنبها واقالها * وان كان في الدنيا قليلا نوالها

ومنها

وأحبس عنك النفس والنفس صبة * بذكراك والممشى اليك قريب
مخافة ان يسعى الوشاة بظنة * واحرسكم ان يستريب مريب
لقد جعلت نفسي وانت اخترمتها * وكنت أعز الناس عنك تطيب
فلو شئت لم أغضب عليك ولم يزل * لك الدهر مني ما حييت نصيب
اما والذي يبلو السرائر كلها * وبعلم ما تبدي به وتغيب
لقد كنت ممن تصطفي النفس خلة * لها دون خلان الصفاء حجوب

ومنها

الا ليت ليلى اطفأت حر زفرة * اعالجها لا استطيع لها ردا
اذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا * وجدت لمسراها ومنسمها بردا
على كبد قد كاد يبدي بها الهوى * ندوبا وبعض القوم يحسبني جلدا
واني بماني الهوى منجد النوى * سبيلان الفى من خلافهما جهدا
سقى الله نجدا من ربيع وصيف * وما اترجى من ربيع سقى نجدا
بلى انه قد كان للعيش مدة * وللعيس والركبان منزلة حمدا
ابى القلب ان ينفك من ذكر نسوة * رقائق لم يخلقن شوها ولا نكدا
اذا رحن يسحبن الذيول عشية * ويقتلن بالالحاظ أنفسنا عمدا
مشاعيط لات رجع بخصورها * روادف وعثات تزد الخطا ردا
وتهتز ايلي العامرية اذ مشت * ولاثت بثوب القز فاغتر جعدا
اذا حركت المدرى ضفائرها العلا * مزجن بذي الريحان والعنبر الوردا

ومنها

ابى القلب الا حبها عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدي تندى اذا ما لمستها * وتنبت في أطرافها الورق الخضر

ومنها وقد ضعف فعاده الناس ولم تعده ليلى فانشد

الا ما لليلى لا ترى عند مضجعي * بليل ولا يجري بذلك طائر
بلى ان مجرم الطير تجري اذا جرت * بليلى ولكن ليس للطير زاجر
ازالت عن العهد الذي كان بيننا * بذي الايك أم قد غيرتها المقادر
فوالله ما في القرب لي منك راحة * ولا البعد يسليني ولا انا صابر
ووالله ما أدري بأية حيلة * وأي مرام او خطار اخاطر

(وقال الآخر) يامن اذا ذكر اسمه في مجلس * لذا الحديث به وطاب المجلس * اني لمن نظري اغار وانثني * بك عن سواي من الانام لانفس
ومنهم من يغار عليه من وصاله له مخافة ٨٠ أن يكون مفتاحا لغيره كما قال علي بن عبد الله الجعبري * ربما سرني صدود لعمداه
وطلابك وامتناعك عني
حذرا ان اكون مفتاح غيري
فاذا ما خلوت كنت الفتى

(وقال اخر)

ولما رمت باللحظ غيري حسبتها
كما آثرت بالعين تؤثر بالقلب
واني لارجو ان تدوم بعدها
ولكن سوء الظن من شدة الحب

(وقد بالغ ابن مطروح حيث يقول)

فلو اضحى علي تلفي مصرا
لقلت معذبي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني
اغار عليك منك فكيف مني

ومنهم من يمتنع من ذكر محبوبه مخافة تعريضه لحب غيره له كما قال علي بن عيسى الرافعي

ولست بواصف يوما حبيبا
اعرضه لأهواء الرجال
وما بالي اشوق قلب غيري
ودون وصاله ستر الجمال

وكثير من الجهال وصف امرأته ومحاسنها لغيره فكان ذلك سبب فراقها واتصالها بالموصوف له وذلك من قلة عقله وحمقه وقد رأيت جماعة بهذه الصفة ومنهم من بالغ في الغيرة حتى قتل محبوبه مخافة ان يموت هو فيتمتع بمحبوبه بعده غيره كما ذكر ذلك عن جماعة من جملتهم ديك الجن الحمصي وقد افردت لحكايته رسالة مستقلة وسميتها قرع سن ديك الجن وكتبت بها الى مولانا السلطان الملك الناصر حسن في سنة ستين وسبعمائة وهو في سرياقوس وكان قد تقدم ما يوجب ذلك فلذلك افتتحت الرسالة المذكورة بقولي يقبل الارض وينهي ان ديك الجن المذكور من جملة

ونالله ان الدهر في ذات بيننا * على انها في كل حال لجائر
فلو كنت اذ أزمعت هجري تركت لي * جميع القوى والعقل مني وافر
ولكن أياما بحقل عنيزة * وبالردم أيام حباها التجاور
وقد أصبح الود الذي كان بيننا * أمانيّ نفس والمؤمل حائر
لعمري لقد كدرت يا ام مالك * حياتي وساقتني اليك المقادر

ومنها

فواكبدي من حب من لا يحبني * ومن زفرات مالهن فناء
أريك ان لم أعطك الحب عن يد * ولم يك عندي اذ أبيت اباء
أتاركتي للموت أنت تميت * وما للنفوس الخائفات لقاء

ومنها

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من الم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو عقلوا قالوا به نظرة الانس

ومنها

وشغلت عن فهم الحديث سوى * ما كان فيك فأنتم شغلي
وأرى جليسي اذ يحدثني * أن قد فهمت وعندكم عقلي

ومنها

سرت في سواد القلب حتى اذا انتهى * بها السير وارتادت حمى القلب حلت
فللعين تهمال اذا القلب ملها * وللقلب وسواس اذا العين ملت
ووالله ما في القلب شيء من الهوى * لاخرى سواها اكثرت أم اقلت

ومنها

ذكرت عشية الصدفين ليلى * وكل الدهر ذكراها جديد
علي أليمة ان كنت أدري * أينقص حب ليلى أم يزيد

ومنها

يا ويح من أمسى تخلس عقله * فأصبح مذهوبا به كل مذهب
خليا من الخلان الا معذرا * يضاحكني من كان يهوى تجنبي
اذا ذكرت ليلى عقلت وأرجعت * روائع عقلي من هوى متشعب
وقالوا صحيح ما به طيف جنة * ولا الهم الا بافتراء التكذب
تجنبت ليلى اذ يلح بك الهوى * وهيهات كان الحب قبل التجنب
ألا انما غادرت يا أم مالك * صدى أينما يذهب به الريح يذهب
ولم أر ليلى بعد موقف ساعة * بخيف منى ترمي جمار المحصب
وتبدي الحصا منها اذا قذفت بها * من البرد أطراف البنان المخضب

فاصبحت

جنونه انه كان يهوى جارية وغلاما له فمن شدة حبه لهما وغيرته عليهما خشي ان يموت وان غيره يتمتع بهما بعده فعمد اليهما فذبحهما بسيفه واحرق جسديهما وصنع من رماد الجارية بريئة للخمر ومن رماد الغلام بريئة اخرى كذلك وكان يضعهما في مجلس انسه عن يمينه وشماله فكان اذا اشتاق الى الجارية قبل البريئة المجعولة من رمادها وملأ منها قدحه وانشد

ياطاعة طلع الحمام عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
روّيت من دمها التراب وطالما
روّى الهوى شفتيّ من شفتيها
واجلت سيفي في مجال خناقها
ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطئ الثرى
شيء اعز عليّ من نعليها
ما كان قتلتها لاني لم أكن
ابكي اذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على سواي بحسنها
وانفت من نظر العيون اليها

واذا اشتاق الى الغلام قبل البريئة المجعولة من رماده وملأ منها قدحه وبكى وانشد قوله فيه

أشفقت ان يرد الزمان بغدره
او أبتلى بعد الوصال بهجره
فرأنا استخرجته من دجنه
لبليتي وأثرته من خدره
فقتلته وله عليّ كرامة
قلي الحشا وله الفؤاد بأسره
عهدي به ميتا كأحسن نائم
والطرف يسفح دمعتي في نحره
لو كان يدري الميت ما ذا بعده
بالحي منه بكى له في قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه
ويكاد يخرج قلبه من صدره

(اقول) هذا الذي يقال له الجنون

فاصبحت من ليلى الغداة كناظر * مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

(ومنها)

واني لمجنون بليلى موكل * ولست عزوفا عن هواها ولا جلدا
اذا ذكرت ليلى بكيت صبابة * لتذكارها حتى يسيل البكا الخدا

(ومنها)

ألا يا حمام الأيك مالك باكيا * أفارقت الفا أم جفاك حبيب
دعاك الهوى والشوق لما ترنمت * هتوف الضحى بين الغصون طروب
تجاوب ورقا قد أذن لصوتها * فكل لكل مسعد ومجيب

(ومنها)

لقد غردت في جنح ليل حمامة * على الفها تبكي واني لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتني بالبكاء الحمائم

(ومنها)

اذا قربت داري كلفت وان تأت * اسفت فلا بالقرب اسلو ولا البعد
وان وعدت زاد الهوى لانتظارها * وان بخلت بالوعد مت على الوعد
ففي كل حب لا محالة فرحة * وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

ومنها وهو كما قال في النزهة من الاشعار التي قيلت على الاوهام قال لما حضروا به في مكة بات ليلة فجعل يحدث نفسه كالذي في النوم ويعاتب امرأة حاضرة فقيل له في ذلك فحلف ان ليلى كانت الى جانبه في هذا الوقت ثم انشد

طرقتك بين مسجد ومكبر * بحطيم مكة حيث كان الابطح
فحسبت مكة والمشاعر كلها * وجبالها باتت بمسك تنفح

(ومنها)

ان نزحت دار بليلى لربما * عنينا بخير والزمان جميع
وفي النفس من شوقي اليك حرارة * وفي القلب من وجدي عليك صدوع

وأما قصيدته الموسومة بالمؤنسة فهي اطول قصيدة انشدها واطنب عليها قيل انه كان يحفظها دون اشعاره وانه كان لا يخلو بنفسه الا وينشدها وهي من محاسن الاشعار وأرقها الفاظا واعذبها اسبكا وألطفها شجوا وأبلغها نسيبا وغزلا تهيج الشجون وتعين المحزون وللناس في الاقتصار على بعضها والاستصفاء منها اختلاف كثير احسنه

تذكرت ليلى والسنين الخوالي * وايام لا اعدي على الدهر عاديا
ويوم كظل الرمح قصرت ظله * بليلى فلهاني وما كنت لاهيا
فيا ليل كم من حاجة لي مهمة * اذا جئتكم بالليل لم ادر ماديا
خليلي الا تبكيا لي قبل ان * خليلا اذا أنزفت دمعي بكى ليا

١١ تز ل فنون فانا لله وانا اليه راجعون من فعل هذا المجنون على انه من ارق الناس شعرا واكثرهم للمحبوب ذكرا فمن شعره الفائق ونظمه الرائق قوله في الدعاء على المحبوب كيف الدعاء على من خان او ظلما * ومالكي ظالم في كل ما حكما

لا واخذ الله من اهوى بجفوته * عنى ولا اقتص لى منه ولا انتقما (اقول) صار الطالب مطلوب وهذا الفقه المقلوب ما كفاه
انه فعل بالاحباب ما لا تفعله الكلاب ٨٢ حتى يقول لا واخذ الله من اهوى بجفوته ويمزج رقة شعره بقسوته فهو فى الخفة
والطيش وقتل المحبوب لا فى ايش ولا على ايش فمن غلب
عليه هواه كما تراه ففعل بمحبوبه
ما فعل واقام ضربه بالسيف
مقام القبل
احبابه لم تفعلون بقلبه
ما ليس تفعله به اعداؤه
وقد اثبت هذه الرسالة بكمالها
فى الباب الاول من كتابى مرآة
العقول * ومما يخطر فى سلك هذه
الحكاية ما حكاه الشيخ أثير الدين
ابو حيان فى تفسيره عند قوله تعالى
يوسف أعرض عن هذا واستغفرى
لذنبك ونقل عن العزيز أنه كان
قليل الغيرة وتربة اقليم مصر اقتضت
هذا يعنى قلة الغيرة ثم قال واين
هذا مما جرى لبعض ملوك بلادنا
وهو أنه كان مع ندمائه المختصين به فى
مجلس انسه وجاريته تغنى من وراء
الستارة فاستعاد بعض جلسائه
بيتين من الجارية وكانت قد غنت
بهما فطالبت حتى أتى برأس
الجارية مقطوعا فى طشت وقال
له الملك استعد البيتين من هذا
الرأس فسقط ذلك الرجل
المستعيد ومرض مدة حياة ذلك
الملك (قلت) لو مات كان معذورا
فلا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم * ومثل هذا ايضا ما فعله
جعفر بن سليمان وذلك انه لما
اشترى جارية الزرقاء وكانت
جارية نفيسة غالية الثمن وهى
بثمانين الف درهم وكانت من القينات الحسان ذوات الالحان فقال لها يوما هل ظفر منك احد ممن كان يهواك خليلى
بخلوة او بقبلة فخشيت ان يبلغه شئ كانت فعلته بحضرة جماعة او يكون قد بلغه فقالت لا والله الا يزيد بن عون العبادى قبانى

فما أشرف الايفاع الا صبابة * ولا انشد الاشعار الا تداويا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن ان لا تلاقيا
لحى الله اقواما يقولون اننا * وجدنا طوال الدهر للحب شافيا
وعهدى بليلى وهى ذات مؤصد * ترد علينا بالعشى المواشيا
فشب بنو ليلى وشب بنوابنها * واعلاق ليلى فى فؤادى كما هيا
اذا ما جلسنا مجلسا نستلذه * تواشوا بنا حتى احل مكانيا
سقى الله جارات لليلى تباعدت * بهن النوى حيث احتللن المطاليا
بتمرين لاحت نار ليلى وصحبتى * بقرع العصا ترجى المطى الحوافيا
فقال بصير القوم لمحة كوكب * بدا فى سواد الليل من ذى يمانيا
فقلت لهم بل نار ليلى توقدت * بعليا تسامى ضوءها فوق نادليا
خليلى لا والله لا املك الذى * قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها * فهل لابتى غير ليلى ابتلانيا
وخبر تمانى ان تيماء منزل * لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنا قد انقضت * فما للنوى ترمى بليلى المراميا
فيا لوعان واش باليمامة داره * وداري باعلى حضرموت أتى نيا
وما ذا الهم لا احسن الله حالهم * من الحظ فى تصريم ليلى حبالها
وقد كنت اعلو حب ليلى فلم يزل * بى النقض والابرام حتى علانيا
فيا رب سوّ الحب بينى وبينها * يكون كفافا لا علىّ ولا ليا
فما طلع النجم الذى يهتدى به * ولا الصبح الا هيج ذكرها ليا
ولا سرت ميلا من دمشق ولا بدا * سهيل لاهل الشام الا بدا ليا
ولا سمعت عندى لها من سمية * من الناس الا بلّ دمعى ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لارضها * من الليل الا بتّ للريح جانيا
فان تمنعوا ليلى وتحموا بلادها * علىّ فان تحموا علىّ القوافيا
فاشهد عند الله انى احبها * فهذا لها عندى فما عندها ليا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا * وبالشوق منى والغرام قضى ليا
وان الذى املت يا أم مالك * اشاب فؤادى واستهان فؤاديا
اعدّ الليالى ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا اعدّ اللياليا
واخرج من بين البيوت لعلنى * احدث عنك النفس بالليل خاليا
ارانى اذا صليت يممت نحوها * بوجهى وان كان المصلى ورائيا
ومابى اشراك ولكن حبها * وعظم الجوى اعيى الطبيب المداويا
احب من الاسماء ما وافق اسمها * واشبهه او كان منه مدانيا

وقذف فى فمى لؤلؤة بعتها بثلاثين الف درهم فلم يزل جعفر يطلبه ويحتال له حتى وقع فى يده فضربه بالسياط حتى مات (قلت)
قد استراح والله من هذا الصداع كله * وانشد عبد المحسن الصورى ٨٣ حيث قال فى عدم الغيرة على محبوبه

خليلىّ ليلى اكبر الحاج والمنى * فمن لى بليلى او فمن ذا لها ليا
لعمرى لقد ابكيتنى يا حمامة العقيق وابكيت العيون البواكيا
خليلىّ ما ارجو من العيش بعدما * ارى حاجتى تشرى ولا اتشرى ليا
وتجرم ليلى ثم تزعم اننى * سلوت ولا يخفى على الناس ما ليا
فلم ار مثلنا خليلى صبابة * اشد على رغم الاعادى تصافيا
خليلان لا نرجو اللقاء ولا ترى * خليلين الا يرجوان تلاقيا
وانى لاستحييك أن تعرض المنى * بوصلك او ان تعرضى فى المنى ليا
يقول أناس عل مجنون عامر * يروم سلوا قلت أنى لما ليا
بى اليأس اوداء الهيام اصابنى * فابالك منى لا بكن بك ما ليا
اذا ما استطال الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشأنيا
اذا اكتحلت عينى بعينك لم تزل * بخير وجلت مخبرة عن فؤاديا
فانت التى ان شئت اشقيت عيشتى * وانت التى ان شئت انعمت باليا
وانت التى ما من صديق ولا عدى * يرى نضو ما أبقيت الا رثى ليا
أمضروبة ليلى علىّ أزورها * ومتخذ دين لها أن ترانيا
اذا سرت فى الارض الفضاء رايتنى * أصانع رحلى أن يميل حياليا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكن * شمالا ينازعنى الهوى عن شماليا
وانى لأستغشى وما بى نعسة * لعلّ خيالا منك يلقى خياليا
هى السحر الا أن للسحر رقية * وانى لا ألقى لها الدهر راقيا
اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا بذكراك هاديا
ذكت نار شوق فى فؤادى فأصبحت * لها وهج مستضرم فى فؤاديا
ألا أيها الركب اليمانون عرّجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
أسائلكم هل سال نعمان بعدنا * وحبّ الينا بطن نعمان واديا
ألا يا حمامى بطن نعمان هجتما * علىّ الهوى لما تغنيتما ليا
وأبكيتمانى وسط صحبى ولم اكن * أبالى دموع العين لو كنت خاليا
ويا أيها القمريتان تجاذبا * بلحنيكما ثم اسجعا علانيا
فان أنتما استطربتما أو أردتما * لحاقا بأطلال الغضى فاتعانيا
ألا ليت شعرى ما لليلى ومالنا * وما للصبا من بعد شيب علانيا
ألا أيها الواشى بليلى ألا ترى * الى من تشيها أو لمن انت واشيا
اتى ظعن الاحباب يا أم مالك * فما ظعن الحب الذى فى فؤاديا
فيا رب اذ صيرت ليلى هى المنى * فزنى بعينيها كما زنتها ليا
والا فبغضها الىّ واهلها * فانى بليلى قد لقيت الدواهيا

باح مجنون عامر بهواه * وكتمت الهوى فمت بوجدى فاذا كان فى القيامة نودى * من قتيل الهوى تقدمت وحدى
نعم من الناس من كتمه فأراه كتمانه عدمه ومنهم من افشاه فوقع فيما يخشاه ولكل من المذهبين شاهد وبحر دمع زائد

تعلقته سكران من خمرة الصبا
به غفلة عن لوعتى ونحيبى
وشاركنى فى حبه كل ماجد
يشاركنى فى مهجتى يتصيب
فلا تلمونى غيرة ما ألفتها
فان حبيبى من احب حبيبى
وقد بالغ الآخر فقال يتبجح بالقيادة
افود بحمد الله لا عن كراهة
وغيرى قواد على رغم انفه
وما احسن قول ابى الحسين الجزار
قلت لما سكب السا
قى على الارض الشرابا
غيرة منى عليه * ليتنى كنت ترابا
وقال نور الدين الاشعرى واحسن ما شاء
تميل الريح بالاغصان لطفا
كما مالت بشار بها العقار
وتجمع بينهم من بعد بعد
واوراق الغصون لها ازار
وتخفق غيرة عند التلاقى
فهل ابصرت قوادا يغار

* الباب السابع فى افشاء السر والكتمان عند عدم الامكان *

اقول هذا باب عقدناه لذكر افشاء السر وضده وهزل كل منهما وجده اذ للمحبين فيهما مذهبان مذهب منهم من اباح اباحته ورأى فى افشائه راحته ومنهم من رأى كتمانه من الديانة لجل من مراتب الحب فى اعز مكانه حيث قال

لا ينجو غريقه ولا تسلك طريقه فالعاشق منهما بين داءين كلاهما الأخطر وسيفين لابد من قتله باحدهما على الصحيح الأشهر كما قال شهاب الدين السهروردى ٨٤ المقتول بحلب وارحما للعاشقين تحملوا * سر المحبة والهوى فضاح

بالسر ان باحوا تباح دماؤهم
وكذا دماء العاشقين تباح

واذا هم كتموا تحدث عنهم
عند الوشاة المدمع السفاح

والذى أراه فى ذلك كله وتمييز وابله من طله ان الحب اذا علم من محبوبه الوفاء وعدم الجفاء فالواجب عليه افشاء السر الى الحبيب وابداء العلة الى الطبيب كما قيل

ويح بالسر أثر فى أهلها
وابالة فى غيرهم ان تبوحا

وقد ظرف ابو جعفر الشطرنجى حيث قال

قل لمن شئت انى بك مغرم
ثم دعه يروضها بليس

وقد قال بعض من مارس الحب وحلب اشطره افشاء المحب سره الى المحبوب وشكوى ما يقاسيه طرف من السحر (قلت) بل هو السحر كله ومعظمه وجله وقد عرف ذلك من جربه واذبه الحب وهذبه * وعلى هذا حكاية احمد بن واصل قال لما كلفت عباسة بنت المهدى بجعفر بعد أن زوجه بها الرشيد وشرط عليه أن لا يقربها واشتد وجدها به وعشقها له ولم يطاوعها على ما أحبت وخاف على نفسه من الرشيد أن يظهر أمرها فكتبت له

عزمت على قلبى بأن يكتم الهوى
فصاح ونادى انى غير فاعل

فان لم تصلنى بحت بالسر عنوة * وان عنفتنى فى هوالذ عواذلى
وان كان موت لا أموت بغصتى * وأقررت قبل الموت انك قاتلى

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه * وان كنت من ليلى على اليأس طاويا
خليلى ان ضنوا بليلى فقربا * لى النعش والاكفان واستغفرا ليا

(أخبار عروة بن حزام وصاحبته عفراء)

هو عروة بن حزام بن مالك بن حزام بن ضبة بن عبد بن عدرة شاعر لبيب حاذق متمكن فى العشق قيل انه أول عاشق مات بالهجر من المخضرمين أو من العذريين ولشدة مقاساته فى العشق ضرب به المثل بين العرب والمولدين قال المجنون عجبت لعروة العذرى البيت وقال أبو عيينة

فما وجد النهدى اذ مات حسرة * عشية بانت من حبائله هند
ولا عروة العذرى اذ طال وجده * بعفراء حتى شف مهجته الوجد
كوجدى غداة البين عند التفاتها * وقد طار عنها بين أترابها البرد

(وقال آخر)

وقبلك مات من وجد بهند * أخو نهد وصاحبه جميل
وعروة والمرقش هام دهرا * بأسماء فلم يغن العويل
قتيل الريح من قبل الغوانى * فلا قود ولا يودى قتيل

(وقال جرير)

هل أنت شافية قلبا يهيم بكم * لم يلق عروة من عفراء ما وجدا
ما فى فؤادى من داء يخامره * الا الذى لو رآها راهب سجدا
ان الشفاء وان ضنت بنائله * قرع البشام الذى تجلو به البردا

الى غير ذلك * وعفراء هى بنت هصر أخى حزام كلاهما ابنا مالك من بطن من العذريين يقال له نهد قال فى تسريح النواظر ان سبب عشقه لها أن أباه حزاما توفى ولعروة من العمر أربع سنين وكفله هصر أبو عفراء فانتشئا جميعا فكان يألفها وتألفه فلما بلغ الحلم سأل عروة عمه تزويجها فوعده ذلك ثم أخرجه الى الشام بعير له وجاء ابن أخ له يقال له اثالة بن سعيد بن مالك يريد الحاج فنزل بعمه هصر فبينما هو جالس يوما تجاه البيت اذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصميها تحمل اداوة من علها اذ رأخذ خضر فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة فخطبها من عمه فزوجه بها وان عروة أقبل مع العير وقد حمل أثالة عفراء على جمل أحمر فعرفها من البعد وأخبر أصحابه فلما التقيا وعرف الامر هجت لا يحيرجوابا حتى افترق القوم فأنشد

وانى لتعرونى لذكراك رعدة * لها بين جلدى والعظام دبيب
فما هو الا أن رآها فجاءة * فأبهت حتى ما يكاد يجيب
فقلت لعراف اليمامة داونى * فانك ان أبرأتنى لطبيب
فما بى من حمى ولا مس جنة * ولكن عمى الحيرى كذوب

عشية

فقالت منه ما أرادت وهل حصل لها ذلك الا بافشاء سرها وشكوى ضرها * وقال ابن شاذان الكاتب قالت لى عريب جارية المأمون كنت مع الواثق وهو يطوف على حجر جواريه عند نفر وجه الى الاتبار ٨٥ متنزها فدخل على فريدة جاريته

عشية لا عفراء منك بعيدة * فتسلو ولا عفراء منك قريب
بنا من جوى الاحزان والبعد لوعة * تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة مقول * على ما به عود هناك صليب
وما يحيى موت المحبين فى الهوى * ولكن بقاء العاشقين عجيب

وقيل انه لم ينشد فى ذلك الموقف سوى البيتين الاولين وأما قوله فقلت لعراف اليمامة الى قوله وما عفراء منك قريب فانه أنشده حين أتى به الى الطبيب وسبب ذلك أنه حين وصل الحى أخذته الهذيان والقلق وأقام أياما لا يتناول قوتا حتى شفت عظامه ولم يخبر بسره أحدا وانه حمل ليلا الى فضاء ليتنزه به فسمع رجلا يقول لولده على أى نافة حملت الشعب يعنى قرب الماء فقال على العفراء فأغمى عليه ساعة ثم قام مخبولا وكان باليمامة عراف يعنى كاهنا له قرين من الجن يعرفه الاخبار ودواء بعض الادواء وكان يقال له رياح بن راشد وكنيته أبو كلاء مولى لبنى يشكر فحملوه اليه فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرقى والصب عليه وأصل ذلك أن العرب كانت اذا تخيلت بشخص مصرا جعلت على رأسه طبقا فيه ماء ثم أذابت الرصاص وسكبته فى ذلك الماء ودفنته فى فضاء من الارض فيزول عن الشخص ما به وان الكاهن فعل بعروة ذلك مرارا فلما لم ينجع أخبرهم أن ما به ليس الا من العشق وقيل انه عرف ذلك من يوم قدومهم به فلما أحس باليأس أنشد فقلت لعراف اليمامة الابيات فحمل الى عراف آخر بنجد ففعل به مثل ذلك فأنشد الابيات الآتية فى نونيته وهى قوله جعلت لعراف اليمامة وأما قوله بنا من جوى الاحزان ويروى وبى من جوى الاحزان فعلى الاصح كما فى النزهة انه من هذا الشعر وقيل أنشده حين حمل الى ابن عباس ليدعو له بمكة وقد سلف أن صاحب القصة غيره وان صحح ابن عساكر خلافه ولما أيس من الشفاء تمرض بين اهله زمانا حتى شاع اقتحاله فى العرب مثلا وان ابن ابى عتيق مر به يوما فرأى أمه تلاطف غلاما كالخبال فسألها عن شأنه فقالت هو عروة فسألها نضو الغطاء عنه فلما شاهده قضى عجبا ثم استنشده فأنشد جعلت لعراف اليمامة حكمه الابيات ولما علم الضجر من اهله قال لهم احتملونى الى البلقاء فانى ارجو الشفاء فلما حمل بها وجعل يسارق عفراء النظر فى مظان مرورها عاودته الصحة فأقام كذلك الى أن لقيه شخص من عذرة فسلم عليه فلما أمسى دخل على زوج عفراء فقال له متى قدم هذا الكلب عليكم فقد فضحكم بكثرة ما يتشبب بكم فقال من قال عروة قال انت احق بما وصفته به والله ما علمت بقدومه وكان زوج عفراء موصوفا بالسيادة ومحاسن الاخلاق فى قومه فلما اصبح جعل يتصفح الامكنة حتى لقى عروة فعاتبه وأقسم بالمحرجات أنه لا ينزل الا عنده فوعده ذلك فذهب مطمئنا وان عروة عزم أن لا يبيت الليل وقد علم به فخرج فعاوده المرض فتوفى بوادى القرى دون منازل قومه وقيل وصلها الرواية ابن العاص قال استعملنى عمر رضى الله عنه فى جباية

اعلمهم ان ليس يعشق الاهو * ومنهم من يبوء باثمه ويرى التصريح باسمه فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى
فلا خير فى اللذات من دونها ستر (وقال) ابراهيم بن عبد الله رأيت على خد جارية * مكتوبا بالغالية

متزوجها وكان يحبها جدا وكان أيضا يهوى وصيفة لها ولم يكن يعلم ذلك غيرى فلما رأته عند مولاتهم ادخلت خزانتها وقامت على رأسها وعليها عصابة مكتوب عليها بالذهب هذان البيتان

عينى تبكى حذر البين
ما أسخن الفرقة للعين

لم أر فى الحب ولوعاته
أوجع من فرقة الفين

فقال لى الواثق فهمت يا عريب فقلت نعم يا سيدى فكتب على الارض بقضيب فى يده

ظهر الهوى وتهتكت استاره
والحب خير سبيله اظهاره

فاعص العواذل فى هوالك مجاهرا
فالذعيش المستهام جهاره

فحفظت الابيات وتضاحكا فقطنت فريدة فقالت يا سيدى علمت ما أنتما فيه فامنن على امتك بقبولها فقال الواثق قد فعلت خذيها اليك يا عريب فأخذت بيدها فملكت نفسه حتى انصرف من خلفى مسرعا فخلا بها وامر لى بألف دينار

* ومنهم من لا يجرى ذكر العشق على لسانه البته ويسكت حتى كان به السكته ولم أر فى ذلك مما يتنافس فيه المتنافس احسن من قول ابن قلاقس

كتمت الهوى عند العواذل ضنة
عليهم بمن أصبو اليه واهواه

ولو قلت انى عاشق فطنوا به
فألفوا بقلبى من تهوى ودعنى من الكنى

كل يوم أذوب من ألم الشو * ق وقلبى من الصدود قريح لم اجد خلوة اليك فاشكو * ما بقلبى لعله يستريح
ريح قلبى كانه لحد قبر * ضم اعضاء ميت فيه روح ٨٦ وفى البيت الثانى من هذه الابيات تنبيه على ان افشاء السر الى

صدقات العذريين فبينما أنا يوما بازاء بيت اذ نظرت امرأة عند كسر البيت والى جانبها شخص لم تبق الا رسومه فجلست أنظر اليه فتوجع ساعة ثم خفق خفقة فارق الحياة فقلت لها من الرجل قالت عروة فقلت كأنه قضى فقالت نعم ولما بلغ عفراء وفاته قالت لزوجها قد تعلم ما بينك وبينى وبين الرجل من الرحم وما عنده من الوجد وان ذلك على الحسن الجميل فهل تأذن لى أن اخرج الى قبره فأندبه فقد بلغنى انه قضى قال ذلك اليك فخرجت حتى اتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلا ثم انشدت

ألا أيها الركب المخنون ويحكم * بحق نعيتم عروة بن حزام
فان كان حقا ما تقولون فاعلموا * بأن قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لاقى الفتيان بعدك راحة * ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت انثى تماما بمثله * ولا فرحت من بعده بغلام
ولا لا بلغتم حيث وجهتم له * ونغصتم لذات كل طعام

وفى كتاب التزهة لابن داود ان ركبا شاهدوا موته فلما قدموا الحى أنشد رجل منهم عند بيت عروة

ألا أيها القصر المغفل أهله * بحق نعيناه عروة بن حزام

فجاوبته عفراء ألا أيها الركب هكذا بيتا فبيتا الى أربعة والباقى لعفراء وهذا غير صحيح لان القبر فى طريقها قبل منازلهم وفى هذه الرواية بدل قوله فلا لاقى الفتيان * فلا هنئ الفتيان بعدك عادة * والاول ألطف وبدل فلا وضعت أنثى فقل للحبالى لا يرجين غائبا وفيه اضافة غير مناسبة اذ لا مناسبة بين الحمل والغيبة الا بتأويل لا يليق بفصاحة العرب ولما فرغت من شعرها ألقت نفسها على القبر فحركت فوجدت ميتة وما قيل من انها منعت المجىء الى قبره ومن انه كان فى عهد عثمان أو معاوية وان الذى شهده الحاكى أحدهما ومن ان عمر قال لو أدركتهما لجمعت بينهما غير صحيح الرواية كما فى التزهة نعم حمل قول عمر على الرؤية وتمسك من قال ان عفراء لم تزر قبره بقولها

عدانى أن أزورك يا خليلى * معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهى * وعابونا وما فيهم رشيد
فاما اذ تويت اليوم لحدا * فدور الناس كلهم اللحود
فلا طابت لى الدنيا فراقا * لبعدك لا يطيب لى العديد

ولما قضت دفنت الى جانبه فنبت من القبرين شجرتان حتى اذا صارتا على حد قامة التفتا فكانت المارة تنظر اليهما ولا يعرفان من أى ضرب من النبات وكثيرا ما أنشدت فيهما الناس فمن ذلك قول الشهاب محمود

بالله يا سرحة الوادى اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الرند والغار
فعانقيهم عن الصب الكئيب فما * على معانقة الاغصان انكار

وقول صاحب الاصل

غصنان من دوحة طال ائتلافهما * فيها فجالت صروف الدهر فافترقا
فصار ذا فى يد تحويه ليس له * منها براح وهذا فى الفلاة لقا
حتى اذا ذو يا يوما وضمهما * بعد التفرق بطن الارض واتفقا
حنا على العهد فى ارجائها فحنا * كل على الفه فى الترب واعتنقا

قلت وبين هذين خلاف فى اللفظ والمعنى ويحتمل رجوعه الى خصوص وعموم مطلق فان الاول أرق وأعذب وألطف ولكنه قاصر عن المراد وغير دال على خصوص المقام وفيه التكرار الذى عدته البلاغة عيبا فان الرند والغار مترادفان وفيه عيب خفى الا على الناقد فانه لم يجعل المتعانقين المتصابين بل أمر السرحة يعنى الشجرة أن تعانق تلك المعاطف يعنى معاطف المعشوقة نيابة عن العاشق وعلل ذلك بالانكار على تعانق المتحابين وقد تظافرت كلمات المحبين باستسهال الذم فى قضاء الوطر وأما الثانى فقد تضمن حكاية الحال مع حسن الاستعارة المكنية ودل على المقام ولكنه غير رقيق ولا خال عن السماجة وتوفى عروة بن حزام على ما ذكر الذهبى فى تاريخه فى خلافة عثمان سنة ثلاثين من الهجرة ورأيت فى كتاب مجهول التأليف انه وفاته كانت لعشر بقين من شوال سنة ثمان وعشرين ومن محاسن شعره قصيدته التى على حرف النون فقد ضمنها حكاية حاله بالفاظ رقيقه ومعان أنيقه وهى هذه

خليلى من عليا هلال بن عامر * بصنعاء عوجا اليوم وانتظرانى
ولا تزهدا فى الاجر عندى واجملا * فانكما ابى اليوم مبتليان
ألم تعلما ان ليس بالمرج كله * أخ وصديق خالص فيذرانى
أفى كل يوم أنت رام بلادها * بعينين انسانا هما غرقان
وعيناى ما وافيت نشرا فتنظرا * بأنفيهما الا هما تكفان
الا فاحملانى بارك الله فيكما * الى حاضر البلقاء ثم دعانى
على جسرة الاصلاب ناجية السرى * تقطع عرض البيد بالوخدان
الما على عفراء انكما غدا * بشحط النوى والبين مفترقان
فيا واشيى عفراء ويحكما بمن * وما والى من جنتما تشيان
بمن لو أراه غائبا افديته * ومن لو رآنى غائبا افدانى
فيا واشيى عفرا دعانى ونظرة * تقر بها عيناى ثم زمانى
أغركما منى قميص لبسته * جديدا وبردا يمنة زهيانى
متى تكشفا عنى القميص تبينا * بى الضر من عفراء يا فتيان
اذا تريا لحما قليلا واعظما * بلين وقلبا دائم الرجفان
على كبدى من حب عفراء قرحة * وعينان من وجدى بها تكفان

كيف وانت تقول قالت وابثتها سرى فبحت به * قد كنت عندى تحب الستر فاستتر الست تبصر من حولى فقلت لها
غطى هواك وما القى على بصرى وقالت كل ما ترى حولى من الجوار احرار ان كان ٨٧ هذا الكلام خرج عن قلب سليم قط

(حكى) عن احمد بن ابى عثمان الكاتب انه كان صديقا لابى الفضل عبد الغفار الانصارى فعشق احد جاريته لام جعفر اسمها نعمى وهام بها فاطلعه على سره ووصفها له فعشقها عبد الغفار الانصارى فاعتل علة طويلة فاتصل خبره بام جعفر وظنت ان به علة فوجهت اليه طبيبا فانشد

ارسلت ام جعفر لى طبيبا
لشكائى فضل علم الطبيب
ودوائى واصل دائى لديها
فى يدى شادن غرير رديب
خبر وهابان نعمى دوائى
كى تداوى مريضها عن قريب

فسمعت ام جعفر الابيات وسألت عن قصته فلما وقفت عليها وهبته الجارية وهجرا حمد عبد الغفار وقال جعلتك موضع السرى فافسدت على والمفاسد المترتبة على افشاء السر الى الغير كثيرة ولهذا قال ابو العلاء المعرى

فظن بسائر الاخوان شرا
ولا تأمن على سر فؤادا

وقال الصاحب محيى الدين الجزرى من رسالة فوا عجبا كيف لا يتفطن من لا اسميه ولا ينشق لكثرة ما احوم حول القول فيه ولا اوفيه ان شرحت فاضت نفوس فضلا عن عيون وترامت الى مهاوى الاثم الظنون ولو ابديت بعضه اخاف ان يفطن الناس وان افضت فيه اخشى ان لا يحمله سمع ولا يسعه قرطاس (ومن احسن ما سمعته فى كتمان السر قول النابغة) وكان الامام على رضى الله عنه يتمثل به وهو

لا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا

صدقات العذريين فبينما أنا يوما بازاء بيت اذ نظرت امرأة عند كسر البيت والى جانبها شخص لم تبق الا رسومه فجلست أنظر اليه فتوجع ساعة ثم خفق خفقة فارق الحياة فقلت لها من الرجل قالت عروة فقلت كأنه قضى فقالت نعم ولما بلغ عفراء وفاته قالت لزوجها قد تعلم ما بينك وبينى وبين الرجل من الرحم وما عنده من الوجد وان ذلك على الحسن الجميل فهل تأذن لى أن اخرج الى قبره فأندبه فقد بلغنى انه قضى قال ذلك اليك فخرجت حتى اتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلا ثم انشدت

ألا أيها الركب المخنون ويحكم * بحق نعيتم عروة بن حزام
فان كان حقا ما تقولون فاعلموا * بأن قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لاقى الفتيان بعدك راحة * ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت انثى تماما بمثله * ولا فرحت من بعده بغلام
ولا لا بلغتم حيث وجهتم له * ونغصتم لذات كل طعام

وفى كتاب التزهة لابن داود ان ركبا شاهدوا موته فلما قدموا الحى أنشد رجل منهم عند بيت عروة

ألا أيها القصر المغفل أهله * بحق نعيناه عروة بن حزام

فجاوبته عفراء ألا أيها الركب هكذا بيتا فبيتا الى أربعة والباقى لعفراء وهذا غير صحيح لان القبر فى طريقها قبل منازلهم وفى هذه الرواية بدل قوله فلا لاقى الفتيان * فلا هنئ الفتيان بعدك عادة * والاول ألطف وبدل فلا وضعت أنثى فقل للحبالى لا يرجين غائبا وفيه اضافة غير مناسبة اذ لا مناسبة بين الحمل والغيبة الا بتأويل لا يليق بفصاحة العرب ولما فرغت من شعرها ألقت نفسها على القبر فحركت فوجدت ميتة وما قيل من انها منعت المجىء الى قبره ومن انه كان فى عهد عثمان أو معاوية وان الذى شهده الحاكى أحدهما ومن ان عمر قال لو أدركتهما لجمعت بينهما غير صحيح الرواية كما فى التزهة نعم حمل قول عمر على الرؤية وتمسك من قال ان عفراء لم تزر قبره بقولها

عدانى أن أزورك يا خليلى * معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهى * وعابونا وما فيهم رشيد
فاما اذ تويت اليوم لحدا * فدور الناس كلهم اللحود
فلا طابت لى الدنيا فراقا * لبعدك لا يطيب لى العديد

ولما قضت دفنت الى جانبه فنبت من القبرين شجرتان حتى اذا صارتا على حد قامة التفتا فكانت المارة تنظر اليهما ولا يعرفان من أى ضرب من النبات وكثيرا ما أنشدت فيهما الناس فمن ذلك قول الشهاب محمود

بالله يا سرحة الوادى اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الرند والغار
فعانقيهم عن الصب الكئيب فما * على معانقة الاغصان انكار

وقول صاحب الاصل

غصنان من دوحة طال ائتلافهما * فيها فجالت صروف الدهر فافترقا
فصار ذا فى يد تحويه ليس له * منها براح وهذا فى الفلاة لقا
حتى اذا ذو يا يوما وضمهما * بعد التفرق بطن الارض واتفقا
حنا على العهد فى ارجائها فحنا * كل على الفه فى الترب واعتنقا

قلت وبين هذين خلاف فى اللفظ والمعنى ويحتمل رجوعه الى خصوص وعموم مطلق فان الاول أرق وأعذب وألطف ولكنه قاصر عن المراد وغير دال على خصوص المقام وفيه التكرار الذى عدته البلاغة عيبا فان الرند والغار مترادفان وفيه عيب خفى الا على الناقد فانه لم يجعل المتعانقين المتصابين بل أمر السرحة يعنى الشجرة أن تعانق تلك المعاطف يعنى معاطف المعشوقة نيابة عن العاشق وعلل ذلك بالانكار على تعانق المتحابين وقد تظافرت كلمات المحبين باستسهال الذم فى قضاء الوطر وأما الثانى فقد تضمن حكاية الحال مع حسن الاستعارة المكنية ودل على المقام ولكنه غير رقيق ولا خال عن السماجة وتوفى عروة بن حزام على ما ذكر الذهبى فى تاريخه فى خلافة عثمان سنة ثلاثين من الهجرة ورأيت فى كتاب مجهول التأليف انه وفاته كانت لعشر بقين من شوال سنة ثمان وعشرين ومن محاسن شعره قصيدته التى على حرف النون فقد ضمنها حكاية حاله بالفاظ رقيقه ومعان أنيقه وهى هذه

خليلى من عليا هلال بن عامر * بصنعاء عوجا اليوم وانتظرانى
ولا تزهدا فى الاجر عندى واجملا * فانكما ابى اليوم مبتليان
ألم تعلما ان ليس بالمرج كله * أخ وصديق خالص فيذرانى
أفى كل يوم أنت رام بلادها * بعينين انسانا هما غرقان
وعيناى ما وافيت نشرا فتنظرا * بأنفيهما الا هما تكفان
الا فاحملانى بارك الله فيكما * الى حاضر البلقاء ثم دعانى
على جسرة الاصلاب ناجية السرى * تقطع عرض البيد بالوخدان
الما على عفراء انكما غدا * بشحط النوى والبين مفترقان
فيا واشيى عفراء ويحكما بمن * وما والى من جنتما تشيان
بمن لو أراه غائبا افديته * ومن لو رآنى غائبا افدانى
فيا واشيى عفرا دعانى ونظرة * تقر بها عيناى ثم زمانى
أغركما منى قميص لبسته * جديدا وبردا يمنة زهيانى
متى تكشفا عنى القميص تبينا * بى الضر من عفراء يا فتيان
اذا تريا لحما قليلا واعظما * بلين وقلبا دائم الرجفان
على كبدى من حب عفراء قرحة * وعينان من وجدى بها تكفان

كيف وانت تقول قالت وابثتها سرى فبحت به * قد كنت عندى تحب الستر فاستتر الست تبصر من حولى فقلت لها
غطى هواك وما القى على بصرى وقالت كل ما ترى حولى من الجوار احرار ان كان ٨٧ هذا الكلام خرج عن قلب سليم قط

(حكى) عن احمد بن ابى عثمان الكاتب انه كان صديقا لابى الفضل عبد الغفار الانصارى فعشق احد جاريته لام جعفر اسمها نعمى وهام بها فاطلعه على سره ووصفها له فعشقها عبد الغفار الانصارى فاعتل علة طويلة فاتصل خبره بام جعفر وظنت ان به علة فوجهت اليه طبيبا فانشد

ارسلت ام جعفر لى طبيبا
لشكائى فضل علم الطبيب
ودوائى واصل دائى لديها
فى يدى شادن غرير رديب
خبر وهابان نعمى دوائى
كى تداوى مريضها عن قريب

فسمعت ام جعفر الابيات وسألت عن قصته فلما وقفت عليها وهبته الجارية وهجرا حمد عبد الغفار وقال جعلتك موضع السرى فافسدت على والمفاسد المترتبة على افشاء السر الى الغير كثيرة ولهذا قال ابو العلاء المعرى

فظن بسائر الاخوان شرا
ولا تأمن على سر فؤادا

وقال الصاحب محيى الدين الجزرى من رسالة فوا عجبا كيف لا يتفطن من لا اسميه ولا ينشق لكثرة ما احوم حول القول فيه ولا اوفيه ان شرحت فاضت نفوس فضلا عن عيون وترامت الى مهاوى الاثم الظنون ولو ابديت بعضه اخاف ان يفطن الناس وان افضت فيه اخشى ان لا يحمله سمع ولا يسعه قرطاس (ومن احسن ما سمعته فى كتمان السر قول النابغة) وكان الامام على رضى الله عنه يتمثل به وهو

لا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا

فانى رأيت وشاة الرجا * ل لا يتركون اديما صحيحا
كتاب كتبه اليه فظهر وقال عمرو بن
صدر ابه حين استودعته اخذه
الشاعر فقال
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذى يستودع السر اضيق
(وقال آخر)
اذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها
فسرك عند الناس افشى واضيع
(وقال ابو جعفر الشطرنجى)
فلا تخبر بسرك بل امته
وصيره من حشاك له حجابا
فما اودعت مثل الغمض سرا
ولا اغلقت مثل الصدر بابا
(وحكى) الماوردى ان عبد الله بن
طاهر تذاكر الناس فى مجلسه
حفظ السر فقال
ومستودعى سرا تضمنت ستره
فأودعته من مستقر الحشى قبرا
فقال ابنه عبد الله وهو صبى
واحسن ماشاه
وما السر فى قلبى كتاب بحفرة
لانى ارى المدفون ينتظر الحشرا
ولكننى اخفيه حتى كأننى
من الدهر يوما ما احطت به خبرا
(وقال آخر)
ياذا الذى اودعنى سره
لاترج ان تسمعه منى
لم اجره بعدك فى خاطرى
كأنه ماصار فى اذنى
(وقال بشار)
لاخرجن من الدنيا وحبكم
بين الجوانح لم يعلم به احد
(وقال طلحة بن ابى بكر) لاتظهرن محبة لحبيب * فترى بعينك منه كل عجيب اظهرت يوما للحبيب مودتى ولا
فاخذت من هجرانه بنصيب

٨٨ العاص ما استودعت أحدا سرا فأفشاه فلته لانى كنت اضيق منه

فعفراء أرجى الناس عندى مودة * وعفراء عنى المعرض المتوانى
أحب ابنة العذرى حبا وان نأت * ودانيت فيها غير ما متدانى
اذا رام قلبى هجرها حال دونه * شفيعان من قلبى لها جدلان
اذا قلت قالا بلى ثم أصبحا * جميعا على الرأى الذى يريان
فيارب أنت المستعان على الذى * تحملت من عفراء منذ زمان
فيا ليت كل اثنين بينهما هوى * من الناس والانعام يلتقيان
فيقضى حبيب من حبيب لبانة * ويرعاهما ربى فلا يريان
فيا ليت محيانا جميعا وليتنا * اذا نحن متنا ضمنا كفنان
ويا ليت انا الدهر فى غير ريبة * خليان نرعى القصر مؤتلفان
هواى امامى ليس خلفى معرج * وشوق قلوصى فى الغدو يمانى
هواى عراقى وثنى زمامها * لبرق اذا لاح النجوم يمانى
متى تجمعى شوقى وشوقك تظلعى * ومالك بالعبء الثقيل يدان
يقول لى الاصحاب اذ يعذلونى * أشوق عراقى وأنت يمانى
تحملت من عفراء مالىس لى به * ولا للجبال الراسيات يدان
كأن قطاة علقت بجناحها * على كبدى من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفيان
فقالا نعم تشفى من الداء كله * وقاما مع العواد يبتدران
نعم وبلى قالا متى كنت هكذا * ليستخبرانى قلت منذ زمان
فما تركا من رقية يعلمانها * ولا سلوة الا وقد سقيانى
وما شفيا الداء الذى بى كله * ولا ادخرا نصحا ولا ألوانى
فقالا شفاك الله والله ما لنا * بما حملت منك الضلوع يدان
فرحت من العراف تسقط عمتى * عن الرأس ما ألتانها بيدان
معى صاحباها صدق اذا ملت ميلة * وكانا بجنبى سرعة عدلانى
فيا عم ياذا العذر لازلت مبتلى * حليفا لهم لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجية * فألزمت قلبى دائم الخفقان
وأورثتنى غما وكربا وحسرة * وأورثت عينى دائم الهملان
فلازلت ذا شوق الى من هويته * وقلبك مقسوما بكل مكان
وانى لاهوى الحشر اذ قيل انتى * وعفراء يوم الحشر ملتقيان
ألا ياغرابى دمنة الدار بيننا * أبالهجر من عفراء تنتحبان
فان كان حقا ما تقولان فاذهبا * بلحمى الى وكريكما فكلانى
كلانى أكلا لم ير الناس مثله * ولا تهضما جنبى وازدردانى

قبل أسر رجل الى رجل حديثا فلما فرغ قال أحفظته قال بل نسيته وقال ابن المعتز كلما كثرت خزان الاسرار زاد ضياعها ومن
كلام الحكماء احفظ ذهبك كما تكتم مذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه ٨٩ ومن كلام القاضى الفاضل وأمت الاسرار

ولا تعلمان الناس ما كان قصتى * ولا يأكلن الطير ما تذرانى
الا لعن الله الوشاة وقولهم * فلانة أضحت خلة لفلان
اذا ما جلسنا مجلسا نستلذه * تواشوا بنا حتى أمل مكانى
تكنفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانى
ولو كان واش باليمامة أرضه * آحاذره من شؤمه لاتانى
يكلفنى عمى ثمانين ناقة * ومالى والرحمن غير ثمان
فوالله ما حدثت سرا لصاحبى * أخالى ولا فاهت به الشفتان
سوى انى قد قلت يوما لصاحبى * ضحى وقلوصا نابئا تخدان
ضحينا ومستنا جنوب ضعيفة * نسيم لرياها بنا خفقان
تحملت زفرات الضحى فأطقتها * ومالى بزفرات العشى يدان
فياعم لا أسقيت من ذى قرابة * بلالا فقدرات بك القدمان
ومنيتنى عفراء حتى رجوتها * وشاع الذى منيت كل مكان
فوالله لولا حب عفراء ما التقى * على رواقا بيتك الخلقان
رواقان خفاقان لاخير فيهما * اذا هبت الارواح يصطفقان
ولم أتبع الاظعان فى رونق الضحى * ورحلى على نهاضة الخدبان
لعفراء اذ فى الدهر والناس غرة * اذا خلقان بالصبى يسرانى
لادنو من بيضاء خفاقة الحشى * بنية ذى قارورة شنآن
كان وشاحيها اذا ما ارتدتهما * وقامت عنا نامهرة سلسان
وليس بأبدان لها ملتقاهما * ومتناهما رخوان يضطربان
وتحتهما حقفان قد ضربتهما * قطار من الجوزاء ملتبدان
أعفراء كم من زفرة قد أذقتنى * وحزن آلح العين بالهملان
وعينان ما وافيت نشرا فتنظرا * بأقبحما الاهما تكفان
فهل حاديا عفراء ان خفت فوتها * على اذا ناديت مرعويان
ضروبان للتالى القطوف اذا ونى * بسيحان من يعصى به حذران
فما لكما من حادبين كسيقا * سرايل مغلاة من القطران
وما لكما من حادبين رميتما * بحمى وطاعون ألا تقفان
فويلى على عفراء ويلا كأنه * على الكبد والاحشاء حد سنان
ألا حبذا من حب عفراء ملتقى * نعم والا لا حيث يلتقيان
لوان أشد الناس وجدا ومثله * من الجن بعد الانس يلتقيان
ويشتكيان الوجد غير أشتكى * لاضعف وجدى فوق ما يجدان
فقد تركتنى ما أعى لحديث * حديثا وان ناجيته ونجانى

١٢ تز ل قم بنا يا نور عينى * نجعل الشك يقينا فالى كم يا حبيبى * يا تم القائل فينا (ومثله قول الآخر)
ما نس لا انس قولها بمنى * ويحك ان الوشاة قد علموا ونم تواش بنا فقلت لها * هل لك يا هند فى الذى زعموا

فى قلبك والحد موتاها فى
جنبك فقبيح بك ان يرى لك سر
الا عند ربك (ووصف اعرابى
قوما) فقال سيوفهم آفات
الاعمار وصدورهم قبور
الاسرار وما أحسن قول ابن
عمانى من أبيات
وضاق على السجن حتى كأننى
حللت به للضيق فى صدر محنق
فيا ليتنى كالدمع فى جفن عاشق
فأخرج او كالسر فى صدر أحمق
(وقال العباس بن الاحنف)
باح دمعى فليس يكتم سرا
ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طى
فاستدلوا عليه بالعنوان
*(الباب الثامن فى مغالطة
الحبيب واستعطافه وتلافى
غيظه وانحرافه)*
أقول هذا باب عقدناه لذكر
مغالطة الحبيب فى نفسه والحاق
يومه بأمسه وهو من أعظم
الابواب حشوه واكثرها رشوه
وأحسنها اختراعا وأكثرها
خداعا وأبلغها خطابه وأكثرها
اصابه وسنورد من ذلك ما يعذب
ايراده ويحسن عند اهل
الانشاء انشاده ليعلموا ان الاديب
على الحبيب يحتال ويجارى
برقة الفاظه الجريال فمن ذلك
وهو من أحسن ما سمعته فى
مغالطة الحبيب

قالت لماذا تری فقلت لها * کی لاتضیع الظنون والتهم (وقال العباس بن الاحنف) کان لم یکن بینی وبینکم هوی
ولم یک موصولا بحبلکم حبلی ٩٠ وانی لاستحیی لکم من محدث * یحدث عنکم بالملالة والملل (وقال آخر)
نسبت الی ذنب ولم أک مذنبا

وجلتنی فی الحب مالا أطیقه
وماطلبی للوصل حرصا علی البقا
ولکنه أجر البلی أسوقه
(قلت) مایرضی یروح سواه بسواه
حتی یسوق الیه الاجر ایضا
(ومما قلته أنا فی هذا المعنی)
لم أطلب الوصل من أجلی فدیتک یا
من زاد حظی سوادا منه شامات
لکن خشیت بأن تبلی بعشق رشا
یقتص لی منک والدنیا مکافات
(وقال آخر)
قد أکثر الناس أنواع الحدیث بنا
وفرق الناس فینا قولهم فرقا
فکاذب قد رمی بالظن غیرکم
وصادق لیس یدری أنه صدقا
(وقال آخر)
یاسیدی عندلی مظلمه
فاستفت فیها ابن ابی خیثمه
فانه یرویه عن جده
وجده یرویه عن عکرمه
عن ابن عباس عن المصطفی
نبینا المبعوث بالمرحمه
ان انقطاع الخل عن خله
فوق ثلاث ربنا حرمه
وأنت مذ شهر لنا هاجر
اما تخاف الله فینا فه
(وقال جمیل)
وماذا عسی الواشون ان یتحدثوا
سوی ان یقولوا انی لک عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبیبة
الی وان لم تصف منک الخلائق
(قلت) هکذا رأیته فی غالب ما وقفت علیه من نسخ الحماسة وسمعت من أفواه أهل الادب أعنی ان قافیة البیت الاول عاشق والصحیح انها وامق لان المعنی علی ذلک بیانه ان الوامق المحب لغیر ریبة والعاشق المحب لریبة واذا کان ذلک

وقد ترکت عفراء قلبی کأنه * جناح غراب دائم الخفقان
قوله خلیلی خطاب بالنداء محذوف الاداة لاثنین ولیس بشرط أن یکونا وجودیین فقد جرت عادة العرب بذلک حتی قیل انهم وان خاطبوا الواحد جعلوا الصیغة لاثنین اما لیجری مجری التأکید أو انهم یطلبون التعظیم أو انهما أقل الرفقة وقوله الی حاضر البلقاء یرید المکان الذی کانت به کما سبق فی الحکایة ویروی الی حاضر الرواء موضع بالبلقاء من طرف حوران وقوله حسرة الاصلاب صفة مشبهة کنایة عن العجلة التی لم تدعه یشد کورالنافة ویروی نواخسة السری وموارة أی عجلة تبلغ المأرب وقوله بمن لو أراه البیت کنایة عن الاتحاد وشدة المحبة حتی لم یقع تأثیر بینهما من نقل شئ وقوله متی تسکشفا روی بدله متی ترفعا والاول أبلغ لاخصیته ولزوم رؤیة البدن منه وقوله اذا تریا جواب متی وروی بدله تعرفا والاول ألطف وقوله کان قطاة البیت قد أخذه الجنون حیث قال * قطاة غرها شرک فباتت * البیت وهذا من السرقات العامة التی تتفاوت بحسن الاختلاس والتظرف ومعنی هذا انه شبه کبده فی شدة خفقانه من هیاج نار العشق بقطاة علقت بجناح واحد وجعلت ترفرف بالا نحو طلب الخلاص وأما المجنون فقد تظرف ثم بالغ لانه جعل القلب هو القطاة بعینها وجعل المعلق هو الشرک واعلم أن ابن الاثیر ألف کتابا سماه أعمدة المعانی للمنثور والمنظوم ذکر فیه من اقترح معنی ومن سرق منه وزاد علیه فقال فی هذا الموضع ان المجنون تظرف حیث أسند الخفقان الی القلب والتعلیق الی الشرک وأما أنا فأقول ان قول عروة أبلغ لان الکبد لیس من شأنه الحرکة ولا الخفقان کما هو دأب القلب فاسناد الخفقان الناشئ عن العشق الیه أبلغ ولان حرکته تستلزم حرکة القلب دون العکس ولا یساوی هذا المعنی کون القلب محل التعقل ومسکن المحبوب کما فی کلامهم اذ الملحوظ حینئذ الروح الحیوانی قوله عراف الیمامة قد سبقت قصته والعراف فی الاصل الکاهن واستعمله هنا علی الطبیب لاتحادهما لغة وما ألأتها یعنی ماردتها وهی کنایة عن شدة المرض وعمه المدعو علیه هو أبو عفراء وقد عرفت عذره وقوله فلو أن واش الخ استعاره المجنون حیث قال

ولو ان واش بالیمامة داره * وداری بأعلی حضرموت اتانیا
وهی سرقة شنیعة مذمومة وهو هنا أظرف وأبلغ من حیث الابهام لان قوله أحاذره من شؤمه یحتمل أن یکون ولو بأقصی فارس وهذا هو اللائق بالمبالغة وأما حضرموت والیمامة فکلاهما فی اقلیم واحد فلا یعظم مجیء الواشی

(أخبار عبد الله بن عجلان وصاحبته هند)

هو عبد الله بن عجلان بن عبد الاحب بن عامر بن کعب یتصل بقضاعة وهو نخذ من بنی الحریش وسعد افترقوا من قضاعة علی ماذکر فی الانساب أربعون نخذا وفی النزهة انه عذری ولیس کذلک ولکن بینه وبینهم حیث لاترمی العصا وذلک دون خمس جدود وقال

کذلک لم تصح المغالطة الا بقوله وماذا عسی یقول الواشون سوی انی لک واموق ای محب لغیر ریبة (وقال ابن رواحة الحموی)
ان کان یحلو لدیک قتلی * فزد من الهجر فی عذابی ٩١ عسی یطیل الوقوف بینی * وبینک الله فی الحساب (حکی) ان
بعضهم أنشد شابا کان یحبه
ماذا تقول اذا اجتمعنا فی غد
وأقول للرحمن هذا قاتلی
فقال له الشاب أقول هذا أرادان
یفیکنی فما مکنته (وقال ابن سنا
الملک) من رسالة وأنا والله فی
أمرک مغلوب والسبب انی أنا
المحب وأنت المحبوب ولا أتجالد
علیک فأغرک وأخون حبک ولا
أتصنع علیک فأغشک واغم قلبک
اعمل ماشئت فأنا الصابر واقتل
کیف شئت فأنا الشاکر وقل فلی
مع یعشق قولک والتفت ترآ مالی
ترفرف حولک فافعل فأنت
المعذور واستطل فما أنا المضرور
بل المسرور وارجع الی الود
الذی بیننا فکل ذنب لک مغفور
(وقال أیضا) وأنا أستعیذ بالله من
ذنب یوجب عتبک ویملأ عذبک
ویصرف قلبک ویغیرک علی الفک
لست علی هجرک بجلد القوی
ولا علی عتبک شاکی السلاح
(وقال ابن السوادی) الشاعر
المشهور
أشکو الیک ومن صدودک أشتکی
وأظن من شغفی بأنک منصفی
وأصد عنک مخافة من ان یری
منک الصدود فیشتفی من یشتفی
(وحکی القاضی) أبو عمر محمد بن
یوسف الازدی قال کنت أساير
أبا بکر محمد بن داود الاصفهانی
ببغداد واذا بجاریة تغنی من
شعره أشکو الیک فؤادا أنت متلفه * شکوی علیل الی الف یعلله سقم یزید علی الایام کثرته * وأنت فی عظم ما ألقی تقلله
الله حرم قتلی فی الهوی سفها * وأنت یا قاتلی ظلما تحلله فقال محمد بن داود کیف السبیل الی استرجاع هذا فقلت له هیهات

فی کتاب الانساب کانت العرب تعد الرجل منها مالم یفارقهم بخمس بطون فاذا بلغ ذلک قالوا قطع النسب ورمیت العصا وکان عبد الله هذا یکنی أبا عمرة وهو شاعر مقلق وناطق مزلق رقیق أدیب قال فی بلغة الاشفاق فی ذکر أیام العشاق وهو جزء لطیف لابن رشیق موضوعه ذکر مدة العشاق فی العشق ان عبد الله هذا أقل العشاق ایاما عاش مکابد المحبة وغصة العشق ثلاثین سنة وهو جاهلی ضرب به المثل کما ضرب بعروة فمما قیل فیه قول قیس

فما وجدت وجدی بها أم واحد * ولا وجد النهدی وجدی علی هند
ولا وجد العذری عروة فی الهوی * کوجدی ولا من کان قبلی ولا بعدی

فقوله النهدی اشارة الی ابن عجلان هذا وقد سماه عمرا فی أبیات سبقت فی قصته وقوله علی هند متعلق بوجدی فلیحذر من فهم صاحب النزهة وقول البحتری

هوی لاجمیل فی بثینة ناله * بمثلی ولا عبد بن عجلان فی هند

وهند هی بنت کعب بن عمرو بن لیث النهدی یتصل مع عبد الله فی النسب قال فی الظرائف ان سبب اعتلاقه بها انه خرج یوما الی شعب من نجد ینشد ضالة فشارف ماء یقال له نهر غسان وکانت بنات العرب تقصده فتخلع ثیابها وتغتسل فیه فلما علا ربوة تشرف علی النهر المذکور رآهن علی تلک الحالة فمکث ینظر الیهن مستخفیا فصعدن حتی بقیت هند وکانت طویلة الشعر فأخذت تمشطه وتسبله علی بدنها وهو یتأمل شقوف بیاض جسمها من خلال سواد الشعر ونهض لیرکب راحلته فعجز وأقعد ساعة وکان یقال عنه قبل ذلک ان العرب کانت تصف له ثلاث رواحل قائمة فیحلقها ویرکب الرابعة فعند ذلک داخله من الحب ما أعجزه وعطل حرکاته فأنشد فورا

لقد کنت ذا بأس شدید وهمة * اذا شئت لما للثریا لمستها
أتتنی سهام من لحاظ فأرشقت * بقلبی ولو أسطیع ردا رددتها

ثم قال هذه والله الضالة التی لاترد ثم عاد وقد تمکن الهوی منه فأخبر صدیقه فقال اکتم مابک واخطبها الی أبیها فانه یزوجک بها وان أشهرت عشقها حرمتها ففعل وخطبها فأجیب وتزوجها وأقاما علی أحسن حال وأنعم بال لایزداد فیها الا غراما فمضی علیهما ثمان سنین وانها أقامت علی ذلک لم تحمل وکان أبوه ذا ثروة لیس له غیره فاقسم علیه أن یتزوج غیرها لیولد له ولد لحفظ النسب والمال فعرض علیها ذلک فأبت أن تکون مع أخری فعاود أباه فأمره بطلاقها فأبی فألح علیه وهو لم یجب الی أن بلغه یوما ان عبد الله قد تمکن السکر منه فعدها فرصة وارسل الیه یدعوه وقد جلس مع أکابر الحی فمنعته هند وقالت والله لایدعوک لخیر وما أظنه الا عرف انک سکران فیرید أن یعرض علیک الطلاق ولئن فعلت لم وأظن انک فاعل قال فی النزهة وکان قد دخل علی هند قبل ذلک الیوم عجوز کاهنة تضرب الحصا وأخبرت هندا انها ستطلق فأبی عبد الله الا الخروج

سارت به الركبان (وقال أبو عبد الله) قلبي عليك أرق من خديكا * وقواي أوهى من قوى جفنيكا لم ألق لن تعذب قلبه ظلما ويعطفه هواه عليكا (وقال أبو العلاء المعري) ٩٢ لغيري زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

(وقال ابن سنا الملك)
وغانية لم تعد عشرين حجة
أقول لها قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا
فعمرك في العشرين وهي نصاب
(وقال ناصر الدين بن النقيب)
لقد وجبت عليك زكاة حسن
وفيه كمثل ما في المال حق
فلا تعدل به عني فاني
لمصرفه الفقير المستحق
(وقال القاضي) شمس الدين بن خلكان رحمه الله من قصيدة
لولم أكن في رتبة أرعى لها الـ
ـعهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذلي
خلع العذار ويلح فيك مؤنبي
لكن خشيت بأن تقول عواذلي
قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
(وقال آخر)
حجبي عليك اذا خلوت كثيرة
واذا حضرت فانني مخصوم
لا أستطيع اقول انت ظلمتني
الله يعلم انني مظلوم
(وقال المكرم)
الناس قد أتموا فينا بظنهم
وصدقوا بالذي أدرى وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق ظنهم
بأن نحقق ما فينا يقولونا
حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة
بالعفو أجمل من اثم الورى فينا
(وقال المتنبي)
زودينا من حسن وجهك ما دا
م فحسن الوجوه حال يحول وصلينا بوصلك الآن في الدنـ
ـيا فان المقام فيها قليل (أقول) هذا البيت الاخير حسن في بابه فيما يتعلق بمخاطبة الحبيب واستعطافه وأما الاول ففيه تنفير فليته أراح واستراح وترك التهكم بالوجوه

الجاذبته ويدها مخلقة بالزعفران فاثرت في ثوبه فلما جلس مع أبيه وقد عرف أكابر العرب حاله فأقبلوا يعنفونه ويتناوشونه من كل مكان حتى استحى فطلقها فلما سمعت بذلك احتجبت عنه فوجد وجدا كاد أن يقضي معه وأنشد

طلقت هندا طائعا * فندمت بعد فراقها
فالعين يذرف دمعها * كالدر من آماقها
متحلبا فوق الردا * فتجول في رقراقها
خود رداح طفلة * ما الفحش من أخلاقها
ولقد ألذ حديثها * وأسر عند عناقها
ان كنت ساقية بيز * ل الادم أو بحقاقها
فاسقي بخنـ ـداذا * شربوا خيار زقاقها
فالخيل تعلم كيف أل * ـحقها غداة لحاقها
بأسنة زرق منحـ ـن القوم حدر فاقها
حتى ترى قصد القنا * والبيض في أعناقها

ولم يزل شوقه ينمو ووجده يسمو حتى لزم الوساد ونوى على ما ذكر في النزهة قبل عام الفيل بأربعة أعوام وكان سبب وفاته على الاصح انه قصد هندا وقد تزوجت في نمير وهي قبيلة من عامر وكان بينهم وبين بني نهد ثارات ودماء كثيرة فحذره أبوه من ذلك ومناه الاجتماع بعكاظ في الاشهر الحرم حيث تكف الجاهلية عن الحرب فابى وخرج سرا حتى أتاها فرآها جالسة على حوض وزوجها يسقي ابلا له فلما تعارفا شد كل منهما على صاحبه ودنا منه حتى اعتنقا وسقطا الى الارض فجاء زوجها فوجدهما ميتين وقيل ان عجوزا دخلت عليه في مرضه فأخبرتهم انه عاشق وان يطبخوا له شاة ويرقعوا قلبها ويقدموها اليه ففعلوا فجعل يحاولها بضعة بضعة فقال أما لشاتكم قلب فقال له أخوه أعاشق أنت ولم تدر فتأوه ومات وقيل رأى زوج هند يطوف وعليه ثوب فيه كف بالخلوق كالذي في ثوبه حين جاذبته فمات وقيل انه ترنم بهذه الابيات يوما ومتى بها صوته فمات وهي

ألا ان هندا أصبحت منك محرما * وأصبحت من أدنى حموتها حما
فأصبحت كالمقمور جفن سلاحه * يقلب بالكفين قوسا وأسهما

وقيل ان هذه الابيات لمسافر بن عمرو أنشدها حين ولع بهند بنت عتبة وأراد زواجها فخرج الى النعمان بن المنذر بالحيرة ليطلب مهرها وقيل حملت منه فخرج هاربا وأصابه من عشقها مرض كبر معه فاستحضره النعمان أطباء العرب فاجمعوا على كيه فكوى وبرئ فقدم أبو سفيان أو هو غيره فسأله عن مكة فلما انتهى الى زواج هند شهق فمات وقيل خرج فمات في الطريق وقيل هي يعني الابيات للمغيرة في أسماء النهشلية والصحيح ان أبيات المغيرة هذه

تحدثنا

الملاح على ان التلعفري اقتدى به في التهكم بأحبابه (فقال دوبيت) يا تارك ربع الصبر مني مهدوم
ما ان يرى لغائب الوصل قدوم خفر بك في العشاق وارفق بهم * ٩٣ ولا تحسب ان دولة الحسن تدوم

تحدثنا أسماء ان سوف نلتقي * أحاديث طسم انما كنت حالما
ألا أصبحت أسماء جرا محرما * وأصبحت من أدنى حموتها حما

ولابن عجلان أشعار كثيرة من محاسنها قوله

قد طال شوقي وعادلي طربي * من ذكر خود كريمة الحسب
غراء مثل الهلال صورتها * أو مثل تمثال صورة الذهب

ومنها

ألا بلغا هند اسلامي وان نأت * فقلبي مذ شطت بها الدار مدنف
ولم أر هندا بعد موقف ساعة * بأنعم من أهل الديار تطوف
أنت بين أتراب تمايسن اذ مشت * دبيب الغطا أو هن منهن ألطف
يباكرن مرات خليا وداده * ذكيا وبالايدي مدال ومسوف
أشارت الينا في حياء وراعها * مراة الضحى مني على الحي موقف
وقال تباعد يا ابن عم فانني * منيت بذي صول يغار ويعنف

ومنها

خليلي زورا قبل شط النوى هندا * ولا تأمنا من دار ذي لطف بعدا
ولا تحملا لم يدر صاحب حاجة * أغنا بلا في التعجل أم رشدا
ومرا عليها يا رئ الله فيكما * وان لم تكن هند لوجهيكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجازنا * ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد داري من ديار كم بعدا

(أخبار ذي الرمة وصاحبته مي)

هو غيلان بن معدي بن عمرو الكناني القعطاني أو هو سعدي وقيل ابن عقبة بن يهوس ابن ربيعة يتصل من عبد مناف بالياس بن مضر وهو الاصح أديب شاعر رقيق النظام جزل الكلام وافر الحظ من الفصاحة والشعر ورقة المزاج خبير بأحوال العشق والرمة بالضم وتكسر قطعة حبل تجعل في عنق البعير ووهب طريف بن غطفان بعيرا الشخص بالحبل الذي في عنقه فقيل أعطاه برمته فضرب مثلا لمن يعطي الشيء جميعه وبالكسر بالعظام البالية وسمي بذلك لانه كان كثيرا ما يجعل في عنقه أو على عاتقه الحبل أو انه سمي بذلك لشدة ضلوعه في العشق ومي هي بنت طلابة بن قيس بن عاصم الغساني أحد ملوك العرب ووالده قيس نظير المنذر بن ماء السماء كان ذا حظ في الملك تميل اليه العرب ويعطى القياد حتى ضربت به الامثال قال طرفة بن العبد بعد اشتكاء سوء حظه

ولو شاء ربي كنت قيس بن عاصم * يعني في ارتفاع الجد وسعة الملك قال في النزهة وكان ذو الرمة لطيف المنظر حسن الهيئة طويلا الى رقة وبياض واسع الصدر عجل المشية وكانت مي جارية الى القصر ماهي سمراء مدينة الا ان في كلامها عذوبة وفي طرفها تغزل

(الباب التاسع في الرسل والرسائل والتلطف في الوسائل)

أقول هذا باب عقدناه لذكر مراسلة الاحباب وشكوى الجوى في الجواب وهو باب مطروق نافق السوق طالما عرض فيه المحب على الرسول سلعة الفضول لاسيما من عيل صبره واشتهر أمره فأصبح وهو في البيت طريح واستعمل في مراسلة الحبيب حتى الريح كما قيل

فيا نسيم الصبا أنت الرسول له
والله يعلم اني منك غير ان
بلغ سلامي الى من لا أكلمه
اني على ذلك الغضبان غضبان
لا يا رسولي لا تذكر له غضبي
فذا الذي تمويه وبهتان
وكيف أغضب لا والله لا غضب
اني لما رام من قتلي أفرحان
أكل يوم لنا رسل مرددة
وكل يوم لنا في العتب ألوان
أستخدم الريح في حمل السلام لكم
كأنما أنا في عصري سليمان
فهو من الهوى على خطر ومن
اقامة الهجر على سفر لا يقر له
قرار ولا يصطلي لوجنة محبوبه
بنار لاجرم انه يتعلل بالنسيم
العليل ويقول لاستنشاق
البير منه قليلك لا يقال له قليل
(ومن أحسن ما سمعته في هذا
الباب) قول الواوا الدمشقي
بالله ربكما عوجا علي سكني
وعاسباه على العتب يعطفه وحدثاه وقولا لي حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه فان تبسم قولا في ملاطفة
ماضر لو بوصال منك تسعفه وان بدا لكما في وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه (أخذه) من قول عمر بن ابي ربيعة

من أبيات يصف بها قوادة فأتتها طبية عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب تغلط القول اذا الانت لها

وتراخى عنه سورات الغضب ٩٤ قيل ان ابن ابي عتيق قال لعمر لما سمع قوله هذا ما أحوج المسلمين الى خليفة يدبر أمرهم

مثل قوادتك هذه (ومثل قول الواواقول الآخر)

ألا يانسيم الريح بلغ رسالتي
سلمى وعرض بي كأنك مازح

وان أعرضت عني فهو مغالطا
بغيري وقل ناحت عليه النوائح

(وقول الآخر وبيت)

باللطف اذا القيت من أهواه
عاتبه وقل له الذي ألقاه

ان أغضبه الوصال غالطه به
أو رق فقل عبدك لا تنساه

(وقال أبو فراس)

هبت لنا ريح شمالية
متت الى القلب بأسباب

ادت رسالات الهوى بيننا
عرفتها من بين أصحابي

(وكان) الصاحب بن عباد رحمه الله اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما وقد عقدت للنسيم بابا مستقلا في كتابي سلوك السنن في وصف السكن وذكرت فيه أشياء تليق بهذا الباب منها قول أمين الدين ابن عطايا

أنا أهوى غصن النقا وهو لاه
وفؤادي بحبه في التيه

يانسيم الصبا ترفق عليه
وتلطف به ولا تؤذيه

وتحمل رسالة ليس الا
لك أمينا في حملها ارتضيه

واذا لم يكن رسولي نسيما
نحو غصن النقا فمن يثنيه

(وقال ابن الخياط الدمشقي)

يانسيم الصبا الولوع بوجدي * حبذا أنت لو مررت بهند ولقد رابني شدائد بالله متى عهده باطلال نجد والوجه

(وقال مهيار الديلمي) حملوا ريح الصبا نشركم * قبل ان تحمل شيحا وخزامى وابعثوا لي في الدجى طيفكم

قال في الظرائف ان سبب اعتلاقه بها انه مر يوما بالحي وقد أدركه الاوام فنظر الى بيت قد شرع رواقه وارتفعت اطباقه وعلا عموده واطنابه ومدت اوتاده وأسبابه فقصده حتى وقف بازائه واذا هو بامرأة تمشط حاسرة الرأس قد أسبلت شعرها كأنه عثاكيل النخل ووجهها يشف من خلاله فناداها هل من اداوة تبرد الغليل فأبرزت اليه ماء قد شيب بلبن فشرب ثم ناشدته الراحة فنزل وقدمت اليه طعاما فأكل ولم تزل تنادمه وهو يعجب بها ويحترق لها قلبه الى أن انصرف بعد بياض النهار وقد علق من قلبه بحبها الاعج عجز عن اطفائه وغرام كل عن اخفائه فجعل يعاودها الزيارة فقيل له في تقليل ذلك وان بلادها بعيدة عن بلاده وان ذلك يوجب له نصبا ومشقة فانشد

وكنت اذا ما جئت مما أزورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودّ جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

وجلس قوم يتحادثون فأفضوا الى حديث ذي الرمة وفيهم عقبة بن مالك الفزاري وهو يومئذ شيخ قد جاوز المائة فقال مني خذوا خبره أتاني يوما فقال ان حي مية خلوف فهل تسعدني في الزيارة فركبنا حتى أتيناها فلما نظر النساء الى ذي الرمة عرفنه فجئن حتى جلسن عنده وتفاوضوا في الحديث فقالت ظريفة من النساء اسمعنا ياذا الرمة ما قلت فالتفت الي وقال لي قل فأنشدت قوله

وقفت على ربع لمية ناقتي * فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

فلما انتهيت الى قوله

نظرت الى اظعان مي كأنها * ذرا النخل أو أثل تميل ذوائبه
فاسبلت العينان والقلب كاتم * بمغرورق نمت عليه سواكبه
بكى وامق حال الفراق ولم تحل * حوائلها اسراره ومعاتبه
هو الالف قد حان الفراق ولم تحل * محاولها اسراره ومقانبه

قالت الظريفة لكن اليوم فلتحل ثم مضيت فلما انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية ما الذي * أحدثها الا الذي انا كاذبه
اذا فرمانى الله من حيث لا أرى * ولا زال في أرضي عدو أحاربه

قالت مي ويحك يا ذا الرمة خف عواقب الله عز وجل ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا سرحت من حب مي سوارح * على القلب أمته جميعا غواربه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مية ما اصحه وهنيأ له قال فتنفس ذو الرمة تنفيسة كاد حرها يذهب بطيبته ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا نازعتك القول مية أو بدا * لك الوجه منها او تضى الدرع سالبه
فبالك من خداب سلي ومنطق * ورخيم وصر حوق تعال شاربه

وفي رواية القالي اذا راجعتك بدل اذا نازعتك فقالت الظريفة هذا القول قد تنوزع

ان اذنتم لخفوني ان تناما (حكي) ان نور الدين علي بن سعيد المغربي صاحب المرقص والمطرب مر مع جماعة من الادباء المصريين وفيهم ابو الحسين الجزار فرأوا في طريقهم بمليح نائم تحت شجرة وقد ذهب الهوى ٩٥ فكشف ثيابه عنه فقال ابو الحسين الجزار

والوجه بدا فمن لنا بان ينضى الدرع سالبه فقالت مي ماذا تريدين وتضاحكا فقالت الظريفة ان لهذين لشأنا فقم بنا فقمت ومضيت وجلست بحيث أراهما فتعانقا طويلا ولم يبرح من مكانه ولم اسمع منهما غير ان قالت كذبت والله ولم أعلم علام كذبته ثم جاءني ومعه قارورة دهن قد اتحفته بها فقال لي شأنك وهي ثم قال وهذه قلائد قد اعطتنيها فوالله لاقلدتها بعيرا وعقدها في سيفه وانصرفنا فلما ظعن الحي جاءني فقال امض بنا نودع الآثار فجئنا حتى وقفنا على اطلال مية فانشد

ألا فاسقني يا دارمي على البلا * ولا زال منهلا بجرعائك القطر
وان لم تكوني غير شام بقفرة * تجرّ بها الاذيال صيفية كدر

وانفضحت عيناه بالعبرة فقلت مه فقال اني جلد وان كان مني ما ترى ثم انصرفنا فوالله ما رأيت اشد صبابة ولا أحسن صبرا منه وكان آخر العهد به وله اشعار كثيرة فمن الطفها القصيدة الحائية التي أولها

أمنزلتي مي سلام عليكما * على النأي والنأي يودي وينصح

ومنها

ذكرتك اذ هرت بنا ام شادن * أمام المطايا تشرئب وتنصح
من المؤلفات الرمل أدماء بجرة * شعاع الضحى في متنها يتوضح
رأينا كانا عامدون لصيدها * ضحى فهي تنبو تارة وتزحزح
هي الشبه اعطافا وجيدا ومقلة * ومية ابهى بعدها منها واملح

ومنها

على حين راهقت الثلاثين وارعوت * لداتي فكاد الحلم بالجهل يرجح
اذا خطرت من ذكر مية خطرة * على القلب كادت في فؤادي تجرح
تصرّف اهوى القلب مني ولا أرى * نصيبك من قلبي لغيرك يمنح
فبعض الهوى بالهجر يعمى فينمحي * وحبك عندي يستجد ويربح
ولما شكوت الحب كيما تثيبني * بوجدي قالت انما أنت تمزح
بعاد اوادلا لا على وقد رأت * ضمير الهوى قد كاد بالجسم يبرح
لئن كانت الدنيا على كما أرى * تباريح من ذكراك فالموت اروح

ومنها

خليلي عوجا من صدور الرواحل * بجهود حزوى فابكيا في المنازل
صف هجره الريح العقيم أترى يطيب لي الهوى * ويقال قد رق النسيم (وقلت أنا كاني حاضرا خاطبه)
بالله ان رق النسيم وأخذت * نارنوجها يد التبريح نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ودع العدول وقوله في الريح

قفوا لينظم كل منا في هذا شأنا قال فغالبت ان قال نور الدين المذكور

الريح اقود ما يكون لانها
تبدي خفايا الردف والاعكان

وتميل بالاغصان عند هبوبها
حتى تقبل اوجه الغدران

ولذلك العشاق يتخذونها
رسلا الى الاحباب والاوطان

وقال ابو الحسين الجزار ما بقي أحد منا يأتي بمثل هذا فسيروا بنا

(وقال علي الصغار)

اذا هب النسيم بطيب نشر
طربت وقلت ايه يا رسول

سوى اني أغار لان فيه
شذا لثوانه مثلي عليل

(وكان القاضي محيي الدين بن) عبد الظاهر يحب شابا مغنيا اسمه نسيم وله فيه عدة مقاطيع منها قوله

ان كانت العشاق من أشواقهم
جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا

فأنا الذي أتلو لهم يا ليتني
كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

(فقلت) أنا كاني حاضر اخاطبه مضمنا

ان كنت في عشق النسيم مميما
وزعمت ان هواه ليس بمتلف

فأنا أقول ان تحرش بالهوى
عرضت نفسك للبلا فاستهدف

وقال القاضي محيي الدين ايضا في محبوبه النسيم

يا من غدا لي من عوا

(وقال القاضي محيي الدين ايضا) شكر النسمة أرضكم * كم بلغت عني تحيه ولكم أطالت بل أطا * بت في رسائلها الذكيه
لاغروان - قظت أحا * ديث الهوى فهي الذكيه ٩٦ (أخذه) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي من اهل العصر فقال

يا طيب نشر هب لي من أرضكم
فأثار كامن لوعتي وتهتكي
اهدى تحيتكم وأشبه لطفكم
وروى شذاكم ان ذا ريح ذكي
فقلت أنا لما وقفت على قوله هذا
وقول القاضي محيي الدين المتقدم
عليه
ان ابن ايبك لم تزل سرقاته
تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه
جهلا فراح كلامه في الريح
وقد ذكرت في النسيم أشياء مليحة
في كتابي سلوك السنن المذكور
واقتصرت منها على هذا القدر
هنا خوف الاطالة ويجب أن
يكون الرسول من أهل الصيانه
وممن يرجع الى ديانه لئلا يطمع
فيصير خليلا بعد ان كان رسولا
كما اتفق لرسول ابن سناء الملك
الذي قال فيه
راح رسولا وجاء في عاشق
وعاقه عن رسالتي عائق
وعاد لا بالجواب بل بجوى
أخرسه والهوى به ناطق
(وقال آخر)
راح الرسول اليه وهو مفند
رجع الرسول الي وهو متيم
ولهذا قال ابن الاثير ليس على
الحسن أمانه وفي مثله تعذر
الخيانه (وقال المتنبي)
مالنا كلنا جوى يا رسول
أنا أهوى وقلبك المتبول
وكلما عاد من بعثت اليها * غار مني وخان فيما يقول أفسدت بيننا الامانات عينا * ها وخانت فلوبهن العقول يستريح

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد او يشفي وحق البلابل

ومنها

ولما تلاقينا جرت من عيونتا * دموع كففنا غربها بالاصابع
ونلنا سقاطا من حديث كانه * جنى النحل ممزوج بماء الوقائع

ومنها

اذا هبت الارياح من نحو جانب * به آل مي زادني هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس اين حل حبيبها

(أخبار مالك وصاحبته جنوب)

هو مالك بن الحرث بن الصمصامة بن أنس الجعدي من بني أخرش أخو ذي الرمة قال في الانساب هم أكبر فخذ من قحطان ولم يعقب أخو ذي الرمة غيره وغير مسعود وهمام وهم قبائل معروفة وكان مالك شجاعا جلدا ذا نجدة ولكنه مات بالعشق على نحو ثمان وعشرين من عمره (وجنوب) هي بنت قيس بن أصبغ بن محصن بن أنس الجعدي عاقها شابين وسبب ذلك أنه جاء يوما الى أخيها الاصبغ يسترفده الى حي من كنانة لحاجة عرضت لمالك عندهم لما بينهم من الصحبة والقرابة فرأى جنوب وقد ألقت ما عليها خلا سب أخضر شفاف فرآها على بغتة فوقعت من قلبه فعاد وقد تمكن حبها منه فافضى بذلك الى رجل من أصحابه فوشى به الى أخيها وكان معروفا بالشجاعة فخاف ليقتلنه ان تيقن ذلك فضمهما يوما مجلس وقد أقبلت جنوب فلم يستطع أن يكلمها واخذته رعدة فضمه شخص الى صدره وفطن الاصبغ فقام فجلا وبقي مالك مغشيا عليه فلما أفاق انشد

خليلي ان حانت وفاتي فادفنا * برابية بين المقابر فالنقر
لكيما تقول العبدلية كلما * رأت جدثي سقيت يا قبر من قبر

وفي النزهة فادفنا عظامي ما بين الربية فالنقر قال والربية طريق بين نجد وتهامة تسلكه العرب والنقر تربة مشهورة وهذه الرواية أصح وأنسب بالمعنى وفيها بدل سقيت حييت ثم ان العرب تجعل المجعة وسمة يعني مكانا ممطورا وأعشب سابقا فوقف مالك يتصفح الظعن متخفيا حتى مرت جنوب فأخذ يخطام بعيرها وأنشد

رأيتك ان ازمعت اليوم بينة * وغالك مصطاف الحي ومرابعه
أترعين ما استودعت ام أنت كالذي * اذا ما نأى هانت عليه ودائعه

فبكت ثم قالت أرعى والله ولا تهون عندي ودائعه فاطلقها ومضى في نشيده يقول

الا ان ورادونه قلة الحي * مني النفس لو كانت تنال شرائعه
وكيف ومن دون الورود عوائق * واصبح حامي ما أحب ومانعه
فلا أنا فيما صدني عنه طامع * ولا ارتجي وصل الذي هو قاطعه

ثم انصرف فبات ليلة قلقا فلما أصبح ركب وضرب الفضاء ليتنزه نفسه فبينما هو على ماء

قسما لقد رجع النسيم عليلا * لما سرى مني اليك رسولا ودري بحبك انه قد خانني * فغدا يجرّ من الحياء ذيولا
ومن احسن ما سمعته في الرسائل والتلطف في الوسائل ما حكي عن ٩٧ الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين

يستريح اذ سمع شخصا يشتكي الى شخص ثقل رأسه وقلة سمعه فقال له منذ كم أصابك قال من أمس فقال هذا من الهواء الذي كان بارحة أمس فانه جنوب وهواء الجنوب ضار فلما طرق الكلام رأسه قال اي والله ولا أضر من هواها أجد وسقط كالمصروع فجاؤا اليه واحتملوه بعد أن قارب الفراق ثم مضوا به الى الحي فقام ليلتين ثم قضى (وفي النزهة) انهم دعوا له بطبيب فلما أبصره انكر حاله فدعا بشراب وسقاه فلما تمكن منه انشد

خليلي ان العبدلية أزمعت * على الصد والهجران فاستدنيا عنسي
فلا صبر لي بعد الفراق على الجفا * ولا راحة الا التوسد في رمسي
فصبر محب عن حبيب يحبه * محال وهل جسم يعيش بلا نفس

ثم شهق شهقة خرجت نفسه قلت وهذه الابيات قد نقلتها من جزء لطيف سماه صاحبه جلاء الاذهان في منتخب شعر قتلى الحسان وفي النزهة نقله عن ذي الرمة ورواه بلفظ ان المنقرية يعني مية وفي لطائف الفوائد وطرائف الشوارد لابن عبد ربه أن مالكا هذا لما قضى اتصل نعيه بجنوب وقد قدم اليها البين فلما امتصته ووقع الكلام في اذنها اضطربت خفيفا ثم اضطجعت فاذا هي ميتة

(أخبار عبد الله بن علقمة وصاحبته حبيش)

هو عبد الله بن علقمة بن زرارة من قحطان (وصاحبته حبيش) بنت سعد بن أسلم من خزيمة قبيلة من اليمن ولم يذكره في النزهة ولكني رأيت في طرائف الاخبار ان سبب اعتلاقه بها انه اضاف أهلها فاجلسوه في متحدثهم فخرجت حبيش وعلى وجهها سب أخضر فوقعت تحلب ناقة وهو ينظر فضرب الهواء السب فكشف وجهها ويديها وكانت طويلة الى الزرقة واسعة الصدر كان وجهها البدر فلما عاينها غاب عن حسه ساعة ثم عاوده الشعور فسكت خيفة ان يظهروا على حاله ثم جاءت اليه باللبن ليشرب فلما تناوله ارتعد حتى سقط من يده فقطعت لمابه وكان شابا كانه القمر فدا خلها مادا خله ولم يكونا متقاربين في المنزل لانهما من نخذين فافترقا على مادا خلهما من الهوى وان الغلام ارسل امه بهدية اليها وتبعها واقاما عندها فلم يزل كذلك يذهب مع امه ويعود اليها أياما وكان في اوائل الهجرة فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى جذيمة وعليهم خالد بن الوليد فصادفوا العرب ظاعنين ورأوا عبد الله وراء القوم يسوق قلوصا له فأمسكوه وعرضوا عليه الاسلام فقال وما هو فقالوا كذا وكذا فقال أرأيتم ان أنا لم أسلم فما أنتم صانعون قالوا نضرب عنقك فقال هل لكم أن تتركوني امضي الى الظعن قالوا بلى ونحن في اثرك فمضى يتصفح الهوادج حتى وقف على هودج حبيش فناداها آسلمي حبيش فقد نفد العيش وفي رواية انقطع فقالت حبيش اواسلم عشرا أو تسعا وترا اوثمانا اوثلاثا تترا على الخلاف في السيرة والمستدرك والتهذيب ثم انشد

أريتك ان طالبتكم فوجدتكم * ببرزة او أدركتم بالخوانق

١٣ تزل تلالله * ياعيونات الغزاله رحم الله من قتلني واي فخر في قتل مثلي وهل انا الا شويعر مخارف مسخرة قد جعل رسائله وقصائده مصايده يستجلب ضراع الضراعه ويميط قناع القناعه ان جاع اكل من تقطيع الاعاريض وان عطش

ابو الحسين القلاع من ضرمى)

ويتراشفان كأس المحبه
ريقتطفان ثمر الوصال ويتسالمان
انواع الدلال ويتواصفان
لواعج الغرام ويتباسطان
مباسطة الحمام ولا يحضره ما
غير مزاح ومراح ولا يلثمهما
غير كأس راح
اثنان كالفرد من طول اعتناقهما

يا ليل جميد غير مذموم
يسفران عن نيرين ويبتسمان
عن درين ويتسارقان النظر
بلواحظ جؤذرين كأنهما
اقتسما فنون الحسن والاحسان
يكفى الميزان ان تنا قلا بعتاب
اوتراسلا بكتاب فدر منثور
وسحر غير محظور وان تسابقا
فى ميدان الهوى اوتراشقا
بسهام الجوى فالوا ترموتور
والساحر مسحور وهى رسالة
لطيفة ظريفة كلها من هذا
النوع اقتصرت منها على هذا
القدر خوف الاطالة وقد ذكرتها
بكمالها فى الجزء الثانى من حاطب
ليل وقلت انا مما كتبته الى بعض
الاصحاب

كتبت اليكم والسطور حروفها
بها أعين ترنو اليكم وترمق
ولى قلم امسى لرطب لسانه
سلام مشوق قد براه التشوق

(الباب العاشر فى الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه على اختلاف معانيه) اقول هذا باب عقدناه لذكر طيف الخيال الزائر وما قيل فى سيره من المثل السائر الحلوب اذ للشعراء فى اقتناصه تحيل وحسن تخيل طالما كثروا من ذكره واستخرجوه من وكره فقربوا عليه بعد المسافه

اما كان حقا أن يقول عاشق * تكلف ادلاج السرى والودائق
فانى لاسر لدى اضعته * ولا راق عينى بعدوجهك رائق
على ان ما ناب العشيرة شاغل * ولا ذكر الا أن يكون تواعق
فها أنا ماسور لديك مكبل * وما ان رآنى بعدها اليوم ناطق

فاجابته

أرى لك أسبابا أظنك مخرجا * بها النفس من جنبى والروح زاهق
فاجابها

فان يقتلونى ياحبيش فلم يدع * هوالك لهم منى سوى غلة الصدر
فانت التى قتلت جلدى على دمى * وعظمى واسبلت الدموع على النحر

فاجابته

ونحن بكينا من فراقك مرة * وأخرى وقاسينا لك العسر باليسر
فانت ولا تبعد فتنع اخو الندى * جميل المحيا فى المروأة والبشر

وفى رواية بعد قوله تكلف ادلاج السرى والودائق

فلا ذنب لى قد قلت انا هنا معا * اثيبى بود قبل أخذ الصفائق
اثيبى بود قبل ان يشحط النوى * وتنأى الليالى بالحبيب المفارق

ثم ضربه غلام فاطار يده وقدم فضربت عنقه وقيل اوثقوه اولا حين ادركوه وأنه رأى رجلا منهم فقال له أما تستطيع ان تعرضنى على النساء قبل أن تقتلونى فقال سهل ما طلبت وعلى كلا الاحوال أنهم قتلوه وانها نزلت حين رأت ذلك فقبلته وشهقت شهقة أو شهقتين فماتت ولما اخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال أما كان فيكم رجل رحيم وفى نديم المسامرة للمقدسى أن عبد الله هذا حين قسا امره مع حبيش قالوا لامه ان ولدك قد تولع بهذه وليست من حيكم فاعرضى عليه نساءكم لعله يشتغل بواحدة منهن عنها ففعلت فقيل له ماترى فيهن قال حسنا وجمالا فقيل أيما أحسن هن أم حبيش فتنفس الصعداء ثم قال ماء ولا كالسعدان تغضى مثلا فى العرب

(أخبار نصيب وصاحبته زينب)

هو ابن محجن نصيب بضم النون وفتح الصاد المهملة الشهير بالشاعر الزنجى مولى راشد ابن عبد العزى من كنانة وصاحبته أم بكر زينب بنت صفوان بن غاضرى كنانية فى الاصح وليست زنجية كما زعم وسبب الوصلة بينهما أن نصيبا كان يرعى ابلا لمولاه وكانت رعاة مولاه تخالط رعاة صفوان فى المبرك بوادى البوار وكانت زينب تأتى رعاة ابيها فتأخذ لبنا وان نصيبا تولع ببرى القسى واراشة السهام وجز الاوتار فبرع فى ذلك حتى اشتهر فى أحياء العرب وكان يجلس لفعل ذلك وتذهب الرعاة فتقوم عنه بالخدمة وتتخلف

ولم يعانوا الحماق زجره بالعيافه ومن المشهورين فيه بالاجادة أبو عباده وغيره كابن النقيب المتحيل على اصطياد خيال الحبيب

حيث قال واحسن فى المقال * نصبت جفونى للخيال حبائلا ٩٩ لعل خيالا فى الكرى منه يسنح

الحلوب من النوق فى المعاطن فتأتى زينب وهى جارية صغيرة فتأخذ اللبن فينظرها وكان حاذقا حسن التأمل فى دقائق المحاسن ولطائف الشمائل وهى من ذلك فى أرفع المراتب فنشأ عنده من حبها ما غير باله وأشغل حاله فنشب بها وفشا ذلك فأتت العرب مولاه فقالت ان عبدك هذا قد برع فى الشعر ونخشى ان يهجو أحدنا ويشبب بنسائنا وليس لنا فى أحد الخلتين سيرة فقال له مولاه انى بائعك فانظر لنفسك فأقبل حتى دخل على الامير وهو يومئذ عبد العزيز بن مروان فأنشد

لعبد العزيز على عترته * وغيرهم منن ظاهره
فبابك أسهل ابوابهم * ودارك مأهولة عامره
وكلبك أرأف بالزائرين * من الام بالابنة الزائره
وكفك حين ترى السائلين * لأثرى من الليلة الماطره
فنفسك العطاء ومنا الثناء * بكل مجبرة سائره

فأمر له بألف دينار فقال أصلحك الله انى عبد لا آخذ الجوائز ولكن أباع فقال لخادمه امض به الى باب الجامع فاذا انتهت الرغبات فيه فأخبرنى فمضى فلما نودى عليه بذل فيه شخص خمسين دينارا فقال نصيب قولوا يحسن كذا وجعل يعتد صنائعه وهو يوفى بها حتى انتهى الى ألف دينار فأخذه الامير فكان فى خدمته الى أن توفى فأوصى به سليمان بعد أن أعتقه على ما ذكر بعض المعتنين بذكر محاسن الحبش والزنج فكان من اكبر سماره وكان يلهج بالعشق وقال ابن فاتك فى محاسن العبيد ان سليمان استخفى ليلة فسمع نصيبا وقد استخلى بنفسه يبكى ويقول متمثلا بكلام المجنون قضاها لغيرى البيت فاستحضره فقال ما هذه التى قضاها لغيرك وابتلاك بحبها أو عاشق انت قال اى والله جعلت فداك من العشق فقال ولمن قال لجارية فى كنانة علقتها فمنعت منها القلة حسبى وحقارة نسبى عند العرب فكنت اجلس فى ممرها لأخالسها النظر وفى ذلك اقول

جلست لها كيما تمر لعلنى * أخالسها التسليم ان لم تسلم
فلما رأتنى والوشاة تحدرت * مدامعها خوفا ولم تتكلم
مساكين اهل العشق ما كنت اشترى * حياة جميع العاشقين بدرهم

فوعده سليمان بتزويجها (فى النزهة) ومحاسن العبيد لابن فاتك أنه زوجه بها واقام معها وانها توفيت عنده فى خلافة سليمان وقيل انه تزوج بها على يد اليزيد بن الوليد وماذكره هنا من أن يزيد استخبره هل عشقت فقال نعم عشقت جارية حمراء يعنى من البيض ومنعت منها مدة فلما توفى من كان يمنعها كتبت اليها

فان أك حالكا فالمسك لونى * وما السواد جلدى من دوائى
وبى كرم عن الفحشاء ناء * كبعد الارض عن جو السماء
ومثلى فى رجالكم قليل * ومثلى لا يرد عن النساء

وكيف اذا اغمضتهن اصيده

ومن عادة الاشراك للصيد تفتح
وما احسن قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة فى التورية
وموارع بفخاخ
يمددها وشباك
قالت لى العين ماذا
يصيد قلت كراك

(وقال أيضا)

واقسم لو جاد الخيال بزورة
لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

(وقال ابو محمد) عبد الله السروجى واحسن ما شاء
انعم بوصلك لى فهذا وقته
يكفى من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمرى فى هواك وليتنى
اعطى وصولا بالذى أنفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره
وسلوت كل الناس حين عشقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه
لكن عليه قصيرى فرقته
كم جال فى ميدان حبك فارس
بالصبر منى فى هواك سبقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة
فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم
عبدى وملك يدى وما اعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم
ادرى بذا وأنا الذى شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارنى
من فرحتى بلقاه ما حققته
غضى وفى قلبى عليه حسرة
لو كان يمكننى الرقاد لحقته

(وقال ابو تمام) زار الخيال لها لابل أزار له * فكرا اذا نام فكر الناس لم ينم
طلبى تقنصته لما نصبت له * من آخر الليل اشراكا من الحلم (وقال أيضا) يا لهف نفسى تنزهت الار * واح فيها سيرا من الاجسام

مجلس لم يكن لثا فيه عيب * غير انا فى دعوة الاحلام (وقال البحترى) وهو من المكثرين فى وصف الخيال المجيدين فيه
ولكثرة ولوعه به واشتهاره ضرب به المثل ١٠٠ فقيل خيال البحترى (ومن ذلك قوله) اذا ما الكرى أهدى الى خيالها

شفى قربه التبريح او نقع الصدى
اذا انتزعته من يدى انتباهة

ظننت حبيبا راح منى او غدا
فلم ار مثلينا ولا مثل شاتنا

نعذب ايقاظا ونتم هجدا
(وقوله)

ولم انس اسعاف الكرى بدنوها
وزورتها بعد الهدو وما تدرى

اذا الليل أعطانا من الوصل بلغة
ثنتنا تباشير الصباح الى الهجر
(وقوله أيضا)

بعثت طيفها الى ودونى
سير شهرين للمهارى العتاق

زار وهنا من الشآم فحيا
مسقما ما صبا بأرض العراق

فقضى ما قضى وعاد اليها
والدجى فى برود الاخلاق
(وقوله)

وليلة هوّمنا على العيس ارسلت
بطيف خيال يشبه الحق باطله

فلولا بياض الصبح طال تشبثى
بعطفى غزال بت وهنا اغاره

فكم من يد لليل عندى حميدة
وللصبح من خطب تذم غوائله
(وقال عبد الصمد بن المعذل)

واصل النوم بيننا بعد هجر
فاجمعنا ونحن مفترقان

غيران الارواح خافت رقيبا
فطوت سرها عن الابدان

منظر كان لذة القلب الا
انه منظر بغير عيان

قال المرتضى هذه الابيات تروى للحميدونى وهى كثيرة من مثله ودخل ابن القطان الشاعر البغدادى يوما على
الوزير الزينبى وعنده الحبيص بيص فقال قد عمت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لانى قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير

فان ترضى فردّى قول راض * وان تأبى فنحن على السواء

فقالت المال والعقل يغطيان غيرهما لو تزوجتنى يدل على أن ليس ليزيد فى تزويجها شئ
وقيل انه تزوجها على يد ابن ابى عتيق وفى تصريح النواظر أنه لم يتزوجها وانها
اعتذرت حين ارسل اليها بأن العرب تعيرها بزواج الزنجى والمتواتر خلاف ذلك أخبر
التنوخى والتوزى كلاهما عن ابن الجزار بسنده الى العتبى قال شهدت هوادج مزينة
حين نزلنا الى مكة فلما نزل الحجاج خرج من اعظمها هودجا امرأة وقد مهد لها مهاد
فجلست وأقبل زنجى حتى جلس الى جانبها فجر سائق ابل وهو يقول

بزينب ألمم قبل أن يدخل الركب * وقل ان تعلينا فحاملك القلب

فوثبت المرأة فضربت الذى الى جانبها وقالت قد فضحتنا فسألتا عنهما فقيل هى زينب
وهو نصيب ونحو هذا عن الزبير عن الخزامى وعن ابن خلف وابن الجوهرى فى أخبار
السودان وكل يصف المرأة بالبياض ماعدا الاول فانه قال انها زنجية وعن ابن خلف
من طريق آخر بينا نحن فى الركب اذا بزنجى يمشى والى جانبه امرأة كأنها البدر
والمسك يسطع منهما فقلت له من انت قال أنا الذى اقول

ألا ليت شعرى ما الذى هو حادث * غدا غربة النأى المفرق والبعد
لدى أم بكر حين يقذفها النوى * بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدى
أتصرمنى عند الذين هم العدا * فتشمتهم بى أم تدوم على العهد

فصاحت المرأة لا والله بل ندوم على العهد وتوفى نصيب سنة ثلاث عشرة ومائة وقيل
احدى عشر وفى كتاب ابن الجوهرى كانت وفاته تاسع شوال من السنة المذكورة
وقيل توفيت قبله وروى باكيا عليها وهو يقول

أيادهر ماهذا لنا منك مرة * عسرت فأقصيت الحبيب المحببا
وأبدلتنى من لا أحب دنوه * وأسقيتنى صابا من العذب مشربا

ومن لطائف شعره

كسيت ولم املك سوادا وتحته * قميص من الصوف بيض بشاشقه
وما ضرّ أثوابى سواد وانتى * لكالمسك لا يخلو عن المسك ناشقه
ولا خير فى ودّ امرئ متكاره * عليك ولا فى صاحب لا توافقه
اذا المرء لم يبذل من الود مثله * بعافية فاعلم بأنى مفارقه

ومنها

وما فى الارض أشقى من محبّ * وان وجد الهوى حلوا المذاق
تراه باكيا أبدا حزينا * مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكى ان نأوا شوقا اليهم * ويبكى ان دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائى * وتسخن عينه عند التلاقى

(أخبار المرقش وصاحبته أسماء)

هو عمرو أو عوف بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة بن ربيعة أحد قبائل طيئ ولد باليمن
قبل خروج ربيعة ثم انتقلوا الى العراق فنشأ بها وله أخوان أنس وحرملة رفعهم ابوهم
الى نصرانى ببغداد يتعلمون الكتابة وكان سعد والد المرقش يرى دين النصرانية ومات فقام
عمرو مقامه فى العرب فكان شجاعا مهابا فى العرب خرج يوما وقد قطع وادى نجران
بأسد وغر فلم يطق أحد أن يمرّ منهما فلما رأى عمرو الاسد وثب عليه فزاوغه ووثب فصار
على ظهره فامسك أذنيه مستقتبا ثم دق رأسه وسلخ جلده فلما أحس بالنمر التف فى جلد
الاسد ونام رافعا سيفه فوثب النمر لينزل عليه فتلقاه بالسيف ثم سلخه وأخذ جلده
عليه وأقبل على العرب فسموه المرقش وقيل سمى بذلك لقوله

الدار قفر والرسوم كما * رقش فى ظهر الاديم قلم

ومن ولد أخيه حرملة رجل دعته العرب بالمرقش الاصغر اشبيها له ذلك وأسماء هى بنت
عوف بن سعد بن مالك ايضا وكان عمرو قد ألفها من التربية صغيرين فخطبها الى عمه فأنعم
ومضى عمرو الى جار الفلاة فمدحه وحظى عنده فأمسكه مدة وان الغلاء وقع بالبادية
وطرقها جدب فقدم مرادى على عوف فخطب أسماء فزوجه بها على مائة ناقة واحتملها
الى قومه وعمدوا الى عظام كبش فذبحوه ودفنوا عظامه وصيروها قبرا فلما قدم عمرو
أخبروه أنها ماتت وأروه القبر فلزمه حتى ضنى وتغير حاله فبينما هو يوما منتحبا اذ سمع
ولدا قد اقتتل مع آخر على كعب يقول هذا أخذته من عظام الكبش الذى دفن وقيل
لعمرو انها أسماء فدعاه وساله الخبر فحين عرف ذلك دعا بزوج ابنته وسارا فى طلب
المرادى فقيل ان اخوته شعروا به فرقوه فمات وتظافرت الاخبار بأنه وصل الى واد
بقرب مراد وقد ثقل فى المرض فقال زوج ابنته لها اتركيه واذهبى بنا فقد أجهدنا فلما
سمع ذلك كتب على مؤخر الرحل

يا صاحبىّ تلبثا لا تعجلا * ان الرواح رهين أن لا تفعلا
فلعل لبثكما يقرّب بيننا * أو يسبق الاسراع سيبا مقبلا
يا ربّ كأ اما عرضت فبلغن * أنس بن سعدان لقيت وحرملا
لله درّ كما ودرّ أبيكما * لا يفلت العبدان حتى يقتلا
من مبلغ الاقوام أن مرقشا * أضحى على الاصحاب عيا مثقلا
وكأنما ترد السباع بشاوه * اذ غاب جمع بنى ضبيعة منهلا

فلما رأى اخوته الكتابة قتلا الرجل والمرأة وأما عمرو فحين ذهبا عنه بقى مطروحا فاوى
الى غار هناك وكان يألفه راع من مراد فبينما هو به اذا هو بغنم وراعيها فلما بصر به
الراعى قال له من انت قال له المرقش أنا رجل من مراد فراعى من انت فأعلمه باسم الذى
هو عنده فاذا هو زوج أسماء فقال له هل تكلم مولاتك قال لا ولكن تأتينى جارية من

وما هما فانشد زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فاشفانى منه الضم والقبل ما زارنى قط الا كى يوافقنى * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحبيص بيص ما تقول فى دعواه فقال ان اعادهما سمع لهما ثالثا ١٠١ فاعادهما فقال الحبيص بيص

وما درى ان نومى حيلة نصبت
لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل
(وقال آخر)

ألا رب طيف منك بات معانقى
الى أن دعا داعى الصباح فهيعلا
واقول من وصف الطيف عمرو بن قميئة فيما حكاه المرتضى فى كتاب
الطيف والخيال فقال

تأتك امامة الاسؤالا
والا خيالا يوافى خيالا

ولو قدرت لم تخيل نوالا
وأول من طرد الطيف طرفة بن
العبد حيث قال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب
اليها فانى واصل حبل من وصل
(وتبعه جرير فقال)

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعى بسلام

واعجب من جرير فى طرد الخيال
الراعى حيث هجاه فقال

طاف الخيال باصحابى فقلت لهم
أتلك ليلى اتت ليلا ام الغول

وقد رد على جرير مولانا قاضى
القضاة تاج الدين بن السبكى
واحسن ما شاء حيث قال

يا ليت شعرى هل أحب
جريرا ذا أبدى اعتذاره
ان كان يصدق حبه
فالقلب منه كالحجاره
لا بل اشد قساوة
فانظر له ابدى عواره
(وقال فى الرد عليه أيضا)

اذ قال قولا لم يقله * عاشق أو دو جساره طرقتك صائدة القلوب * وليس ذا وقت الزياره
هذا مقال يا جرير * لدىّ اشنع ما يقال هل ثم وقت ليس يصلح للزيارة والوصال

ام قيل قبلك فارجعي * ولذا الكذب لا يقال ام كان حبك كاذبا * فذامه ينفي الخيال ام كان قلبك من حديـ * ـد ليس تؤذيه النبال

(وقلت أنا) واخجلتا للت ياجريـ * ـر في المحافل والمشاهد ١٠٢ طرقتك صائدة الفؤا * د فكنت صيدا غير صائد

عندها الاخذ اللبن قال في النزهة وكانت أسماء قد مرضت ايضا شوقا اليه فلم تغتذ الا بقدح من لبن في اليوم فتزع عمرو خاتمه وقال للراعي ألقه في القدح فستصيب به خيرا فلما رأته دعت الجارية فأخبرتها أن لا علم لها فنادت زوجها وأخبرته القصة فاستحضر الراعي فلما عرفه ركب وأركب زوجته فأدركوا عمرا وبه رمق فاحتملوه عندهم فمات وقيل أنشد عند موته

سما نحوي خيال من سليمى * فأرقني وأصحابي هجود
فبت أدير أمري كل حال * وأذكر أهلها وهم بعيد
على أن قد سما طرفي لنار * يشب لها بذي الارطى وقود
حواليها مها بيض التراقي * وآرام وغزلان رقود
نواعم لا تعالج بؤس عيش * أوانس لا تروح ولا تزود
يرحن معا بطاء المشي رودا * عليهن المجاسد والبرود
سكن ببلدة وسكنت أخرى * فقطعت المواثق والعهود
فيا لي أفي ويخان عهدي * وما بالي أصاد ولا أصيد
ورب أسيلة الخدين بكر * منعمة لها فرع وجيد
وذي أشر شنيب النبت عذب * نقي اللون براق برود
لهوت بها زمانا في شبابي * وزين بها النجائب والقصيد
أتاس كلما أخلقت وصلا * عنا في منهم وصل جديد

(وله)

أغالبك القلب اللجوج صبابة * وشوق الى اسماء أم أنت غالبه
بهيم ولا يعنى باسماء قلبه * لدات الهوى امراره وعواقبه

وعلى قوله يارا كا البيتين أورد المصنف الحكاية المشهورة دليلا على ذكاء العرب وأسندها الى مجهول واصلها قال في روضة القلوب ان اسامة بن غسان بن حارث الكناني قتل ابوه صبرا في تميم فخرج يستجيش له نصرة وذلك قبل يوم أوارة بأعوام يسيرة فلما طال عليه المدى وقد صحب عبدين فخدمته وخفته علة فعزما على قتله فلما احس ذلك قال لهما هل أنتما مبلغا ابني هذين البيتين قالا وما هما قال تقولان

ألا يا بنات الحي ان ابا كما * لدى درك ما ودرايكما

فلما أتيا الحي أخبرا بموته فقالوا هل أوصى بشئ فقالا لا غير رعلينا فيما ذكره وذكرا لهم القول فقالت احدى بناته اقتلوا العبدين فقد قتلا أبي فقالوا ومن أين لك ذلك قالت ان هذا الكلام سفه وهدر وقد كان مصونا عن ذلك وانما كتم عنهما تكملة البيتين والاصل

ألا يا بنات الحي ان ابا كما * أضحى قتيلا في التراب مجندلا

فردت طيف خيالها * هذا خيال منك فاسد
الطيف أعشق منك اذ * وافى اليك وأنت راقد
لا عاد مثلك ما بقي * في الناس للعشاق عائد

(وقلت أيضا من قصيدة)

يا ابن الذي قلبي به * فكاك رهني
غريم وقلبي في تقاضيه مغرم * ولي منه في ليل الكرى ونهاره
خيال ملم او حبيب مسلم

(وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني)

يا حبذا طيفك من قادم * يا أحسن العالم في العالم
طيف تجلى نوره ساطعا * حتى رأته مقلة النائم
يا غائبا يحكم في مهجتي * على طالت غيبة الحاكم
عار على حسنك أن يشتكي * حظي منه انه ظالمي
وقد احسن التهامي في تفضيل الخيال على الحقيقة حيث قال

وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت * سيان ما اشبه الوجدان بالعدم
الطيف أحسن وصلا ان لذته * مخلو من الاثم والتنغيص والندم

وقد بلغ النهاية في اللطف كشاجم حيث اعتذر على لسان الحبيب عن تأخر الخيال فقال

لقد بخلت حتى بطيف مسلم * علي وقالت رحمة لمحبي
اخاف على طيفي اذا جاء طارقا * ابن عنين وكتب به من اليمن الى اخيه بدمشق

وساد لان يلقاه طيف رقيبي * سامحت كتبك في القطيعة عالما

وما أحسن ايضا اعتذار المغربي وقد ضمنه الله

وعذرت طيفك في الجفاء لانه * يسري فيصبح دونها بحراحل (وقال آخر) وزارني طيف من اهوى على حذر *
من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا * فكدت اوقظ من حولي به فرحا ١٠٣ وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا

لله در كما ودرايكما * لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستخبروهما فأقرا بالقصة قلت وفي البيت خزم بالحرف الاول وهو عيب مشهور سائغ الاستعمال في الصناعة وقوله بنات الحي ثم عدل الى التثنية في قوله ان ابا كما جريا على الغالب في خطاب العرب فانهم يستعملون التثنية في موضع الجمع والافراد قال ابن النحاس وأصل ذلك ان البدوي كان أكثر ما يكون مع راعيه ورفيقه او أنه نزل ابنيه منزلة الجمع تعظيما ثم عاد الى أصله وقد حكى في شرح العبدونية هذه القصة عن المهلهل وقال في صدر البيت الاول من مباخ الاقوام ان مهلهلا والباقي على حكمه

(اخبار عتبة بن الحباب وصاحبته ريا)

هو عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري وصاحبته هي ريا بنت الغطريف السلمي علقها بمسجد الاحزاب يوم منتزه وأصل ذلك ان عبد الله بن معمر القيسي حين دخل المدينة قال بينما قد زرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا وجلست اذا أنا بشخص ينشد بصوت شجي ولا أراه

اشجاك نوح حمائم السدر * فاهجن منك بلابل الصدر
يا ليلة طالت على دنف * يشكو الفراق وقلة الصبر
اسلمك من تهوى لحر جوى * متوقد كتوقد الجمر
ما كنت اعلم اني كلف * حتى تلفت وكنت لا أدري
فالبدر يشهد أني كلف * مغرى بحب شبيهة البدر

وفي رواية صاحب الاصل تقديم هذا وصدر الذي قبله ما كنت احسب اني شجن فتبعت الصوت فرأيت شابا حرقت الدموع خده فقال لي اجلس احدثك انا فلان كنت يوما بمسجد الاحزاب اذا بنسوة يتنزهن فيهن جارية تم أر مثلها وقفت علي وقالت ما تقول في وصل من يطلب وصلك ثم مضت فلم اعرف خبرها ثم غشي عليه ساعة فلما افاق أنشد

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة * تراكم ترونني في القلوب على البعد
فؤادي وطرفي يا سفان عليكم * وعندكم روحي وذكركم عندي
وانت ألذ العيش حتى اراكم * ولو كنت في الفردوس اوجنة الخلد

فشرعت في تسليته فقال هيهات أويؤب القارظان مثل مشهور أصله ان أخوين خرجا يجتنيان القرظ ثبت معروف فلم يعلم لهما خبر قال عبد الله فلما طلع الصبح قلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فانشد

يا للرجال ليوم الاربعاء اما * ينفك يحدث لي بعد النوى طربا
ما ان يزال غزال فيه يظلمني * يهوى الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخبر الناس ان الاجر هيمه * او أنه طالب للاجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما اتى ظهرا * مضمخا بفتيت المسك مختضبا

ولو ابصرت شرا في منامي * لقيت الشر من قبل الاذان (وما اظرف قول ابن المعتز)

ألم الخيال بلا جده * وايدا في الوصل من صده وكم نومة لي قوادة * اتت بالحبيب على بعده (ومثله قول الآخر)

ثم انتبهت وآمالي تخيبني * نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

(وقال ابن المعتز)

ابصرته في المنام معتذرا * الى مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به * وجدته عند الصبح لا كانا

(قيل) من نكد الدنيا ان الانسان يرى في منامه انه شم طيبا أو واصل حبيبا او نال عزا او وجد كنزا فاذا انتبه لم ير من ذلك شيأ وربما رأى انه قد أحدث فاذا انتبه رأى ذلك يقينا في ثيابه كما قيل فيه

أرى في منامي كل شئ يسرني * ورؤياي بعد النوم أدهى وأقبح
فان كان خيرا فهو اضغاث حالم * وان كان شرا جاءني قبل اصبح

(وقال المعري)

الى الله اشكو اتني كل ليلة * اذا غبت لم اعدم خواطر أوهام
فان كان شرا فهو لا شك واقع * وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

(وما احسن قول ابن التلميذ)

عاتبت اذ لم يزر خيالك في النوم * فشوقي اليك مسلوب
فزارني منعما وعاتبني * كما يقال المنام مقلوب

(وقال ابن الاحنف)

واحلم في المنام بكل خير * فأصبح لا اراه ولا يراني

تركت هجا ابليس ثم مدحته * وذا اللام عز عندى سلوكه يقرب من اهواه حينا فان ابى * حكاه خيالا فى الكرى فأنيكه

(وقال بعض مشايخ العصر) لوان طيفك فى المنام جليسى * مابت اشكو لوعتى ورسيسى قمر أدار على خمرة ريقه *

ولحاظه وحديثه المأنوس * ماعدتنى فى قربه وحضوره

ووفائه الاعلى ابليس

وما احسن قول القاضى الفاضل رحمه الله هذا على أن الطيف لا أعتده بمنة وان ركب المجاهل وقطع المراحل وتخطى الى اغصان القنا وخاض جداول الظبا ووطئ شوك النصال وعثر بحبال الخيال ودنا واعين الشهب حولى روان واطراف القسى دوان وكيف أعتد له بمنة والفكر مدنيه وانا يقظان ويمثل مالم يكن من قربه كما مثلت العيون منه ما كان (حكى) عن بعض المغفلين انه تعب فى تحصيل امرأة كان يهواها مدة طويلة فلما حصلت عنده فى البيت وضع رأسه ونام فقالت له لاى شئ فعلت هذا فقال من عشقى فيك انام لعلى ارى خيالك فى النوم (وحكى) عن بعض البخلاء انه قال لمحبوبته وضعت خدى على الارض لكى ترضى فقالت أعطانى دينارا حتى اخليك تضع خدك على خدى ولقد بلغ نهاية اللطف قول القائل

قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال خلقته لومات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

قالت صدقت الوفا فى الحب عادته * يابرد ذاك الذى قالت على كبدى (وقول الآخر)

فهلا منعتم اذ منعتم كلامها * خيالا يوافينا على البعد هاديا على

فضينا الى المسجد فحين صلينا الظهر أقبل النسوة ولم نر الجارية فيهن فقلن له ماظنك بطالبة وصالك فقال وأين هى قلن له مضى بها أبوها الى السماوة فأنشد

خليلى ربما قد اجتدبكورها * وسارت الى أرض السماوة عيرها

خليلى قد غشيت من كثرة البكى * فهل عند غير عبرة استعيرها

فقلت له قد وردت بمال جزيل اريد به الحج وقد عزمت على ان ابذله فى حاجتك فهل لك أن تسير معى الى قومها وأبيها فقال نعم فسافرنا الى أن وافينا اباها ففرش لنا الانطاع ونحر لنا النحائر فحلفنا الا نأكل له طعاما أو يقضى حاجتنا فقال اذكروها فأعلمناه بخطبة عتبة فقال من عتبة فقلنا من الانصار قال ذلك اليها فقلنا له اخبرها فدخل عليها وأعلمها فشكرت عتبة فقال قدمنى الى أمرك معه وأقسم لأزوجك به فقالت ان الانصار لا يردون رداقبيحا فان كان ولابد فاغلظ عليهم المهر فقال نعم ما أشرت به ثم خرج فقال قد اجبت ولكن على ألف دينار وخمسة آلاف درهم هجرية ومائة ثوب من الابراد والخز وخمسة أكراس من العنبر فضمنا له ذلك وقلنا له اذا أحضرناها اجبت قال اجبت فاحضرنا ذلك فأولم أربعين يوما ثم أخذناها ومضينا فحين قاربنا المدينة خرج علينا خيل كثيرة حسبناهم بامر أبيها فقاتلناهم زمانا فجاءت طعنة فى نحر عتبة فسقط ودمه يفور فجاءتنا النجدة فاذا هو ميت فحين علمت الجارية بموته جاءت حتى انكبت عليه وأنشدت

تصبرت لا انى صبرت واننا * اعلل نفسى انها بك لاحقه

ولو انصفت روحى لكانت الى الردى * أمامك من دون البرية سابقه

فما أحد بعدى وبعدك منصف * خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة فماتت فوارينا هما معا قال عبد الله فأقمت سبع سنين ثم رجعت الى زيارة النبى صلى الله عليه وسلم فقلت لا أبرح أو أزور عتبة فجئت فاذا انا بشجرة عليها ألوان من الورق قد نبتت على القبر فسألت عنها فقالوا شجرة العريسين

(اخبار الصمة وصاحبته ريا)

هو أبو مالك الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش القشيرى التغلبى من بنى ربيعة كان اديبا شجاعا عارفا بأيام العرب وقائعها ومواضعها وكثيرا ما يسند اليه ابن دريد والاصمعى قال ابن الفوار والوزير انه أدرك اوائل الاسلام (وريا) هى بنت مسعود بن رقاش ايضا كانت ذات ظرافة وفراسة ومعرفة وحسن نشأت مع الصمة صغيرين وكانا يتذاكران الادب وملح الاشعار فأعجب بها وتمكنت منه ولم يكن عندها منه مقدار ما عندمنها فلما شكا ما يجد منها الى بعض اصدقائه أرشده الى تزوجها فخطبها الى عمه فأنعم على مائة من الابل فمضى الصمة الى أبيه فأعطاه تسعا وتسعين فأبى مسعود الا التمام وعبد الله الاذلك وحلف كل على ما قال وأوقفوا الامر فحملت الصمة الانفة

على ان خرج عنهما الى العراق فقالت الرياما رأيت رجلا أضاعه ابوه وعمه يعيرا الا الصمة لما عندهما من العلم بحبه لها فلما طال عليه الامر وتنازعه الشوق والشهامة المانعة له من العود بلا طلب مرض حتى أضناه السقم وقيل آتى كاهنا بالعراق فسأله عما أضمر فأخبره انه لا يتزوج بها أبدا فضعف والصحيح كما حكاه صاحب قوت القلوب فى أخبار المحب والمحبوب أنه قدم رجل يقال له غاوى بن رشيد بن طلابة المذحجى على مسعود فخطب منه ريا وأمهرها ثلثمائة ناقة برعائها فزوجه بها فحملها الى مذحج فبلغ الصمة ذلك فلزم الوساد وطال أمره فدخل عليه رجل كان يألفه فعنفه وسلاه فأنشد

أمن ذكر دار بالرقاشين أعصفت * به بارحات الصيف بدأ ورجعا

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وسعيا كما معا

فما حسن ان يأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة اسمعا

كأنك لم تسمع وداع مفارق * ولم ترشعبى صاحبين تقطعا

بكت عينى اليمنى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

الرقاشين اسم واد بين نجد واليمن كانت تنزله بنو ربيعة والبارحات رياح معلومة صيفية تستبشر بها العرب والضمير يعود على الوادى * وفى قوت القلوب اعصفت بها السانحات الصيف يريد بالدار والسانحات أيضا رياح لكنها لا تخص الصيف فيشكل التعيين هنا وقوله وسعيا كما معطوف على قوله ونفسك باعدت يريد ان السعى والنفس اعداه عن المحبوبة وغلط فى قوت القلوب حيث اعرب وسعيكما نصبا بالياء على انه معمول باعدت عطفا على مزارك وقوله فما حسن أن يأتى الامر وبكت عينى اليمنى البيتين قد استعارهما المجنون وباقى الشعر واضح ويقال ان فى القصيدة طولا

ولما رأيت البشر أعرض دوننا * وجالت بنات الشوق تحتى نزعا

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * رجعت من الاصغاء الوى وأجزعا

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا

أما وجلال الله لو تذكرينى * كذكرانى ما كفكفت للعين مدمعا

فقالت بلى والله ذكرى لو أنه * تضمنه صم الصفا لتصدعا

ولما طالت علته دعاله صاحبه العراقى بطبيب حاذق فلما نأمله قال انما يشكو العشق لا غير وأرى أن يلزم النزهة والفرح نحو البساتين ليتشاغل عما هو فيه فاخرجه صاحبه مع بعض الخدم الى الثغور فبينما هو يوما على شاطئ نهر وقد جذبه الكرب اذ سمع امرأة تنادى ابنتها يا رباب فسقط مغشيا عليه فاحملوه الى بستان هناك وأضجعوه فلما أفاق أنشد

تعز بصبر لا وجدك لا ترى * سنام الحمى احدى الليالى الغوابر

كان لسانى من تذكرى الحمى * وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

قوله فيشكل التعيين المناسب فالاضافة للتعيين وقوله وسعيا كما معطوف الخ المناسب عطفه على مزارك كما نقله عن القوت ويؤيده رواية شعبا كما ولغة الزام المثنى الالف فصيحة اه

منازل لو مرت بهن جنازتى * لقال الصدى ياصاحبى انزلا بيا

(وقال توبة بن الحميرى)

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها * فلن تمنعوا منى البكا والقوافيا

فهلا منعتم اذ منعتم حديثها * خيالا يوافينا على البعد هاديا

(الباب الحادى عشر فى قصر الليل وطوله وخضاب شقفه ونصوله وما فى معنى ذلك)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من طال سهاده جفنه القصير فأمسى وماله الى اسفار الصباح سفير فهو ينشد من شدة الحرق وكثرة الارق

يا ليل طل او لا تطل * لابد لى ان اسهرك

لو بات عندى قمرى * ما بت أرعى قمرك

ولم تزل العشاق تشكو من الليل وطوله ويصفونه بسواد الوجه عند حلوله وعذرهم فى ذلك ظاهر وكيف لا وقد قال فيه الشاعر

ولم يزل يردد ها حتى قضى ولما وصل خبره الى الرياد اخلها من الوجد ما أمسكت معه عن الطعام والشراب وجعلت تبكي حتى ماتت ومن لطيف شعره قوله

ألا من لعين لا ترى قلل الحمى * ولا جبل الا استهلت
ألا قاتل الله الحمى من محلة * وقاتل دنيانا بها كيف ولت
غنينا زمانا باللوى ثم أصبحت * براق الهوى من أهلها قد تخلت
فما وجد اعرابية قذفت بها * صروف اللوى من حيث لم تك ضنت
تمنت أحالب الرغاء وخيمة * بنجد ولم يقدر لها ما تمنت
اذا ذكرت نجدا وطيب ترابها * وبرد الحصى من أرض نجد أرنت

(ومنه)

أرى الدهر بالتفريق والبين مولعا * وللجمع ما بين المحبين آبيا
فأف عليه من زمان كأنني * خلقت واياه نطيل التعاديا

(أخبار كعب وصاحبته ميلاء)

هو أبو خثعم كعب بن مالك أو عبد الله أو خثعم بن لابي بن رباح بن ضمرة طائي من عرب الحجاز يعرف بالمخبل وكان جوادا سخيا شجاعا مألوف الصورة (وميلاء) هي بنت لابي بن رباح اصغر اخواتها كانت أجمل نساء الحجاز وكان كعب قد خطب الى عمه أخت ميلاء وكانت تسمى أم عمرو فزوجه بها فشغف بها شديدا وألفها طويلا وانه دخل عليها يوما فوجدها قد نضت ما عليها وهي عريانة فسرته حين نظر اليها فقال أنشدك الله هل تعلمين امرأة أحسن منك فقالت نعم أختي ميلاء فقال ومن لي بأن أنظرها فأخبأته وأرسلت اليها فحضرت فلما رآها وقعت من قلبه موقعا أدى الى زوال عقله من العشق فانطلق في طلبها فاستعرضها وشكا اليها ما لقي من حبها فاعلمته أنها أعظم من ذلك في حبه وشعرت أختها فتبعتهما فرأتهما يتشاكيان المحبة فمضت الى اخوتها وكانوا سبعة فأخبرتهم بذلك وقالت اما ان تزوجوا كعبا من ميلاء أو تغيبوها عني فلما علم بمعرفة اخوتها به هرب الى الشام فمكث بها أياما وان شاميا خرج يريد الحج فضلت به الطريق فاسترشد امرأة وكانت بالتقدير المحتوم ميلاء والى جانبها أختها فأنشد الشامي متمثلا

أفي كل يوم أنت من بارح الهوى * الى الشيم من أعلام ميلاء ناظر
بعمشاء من طول البكاء كأنما * بها حرة نار طرفها متحادر
تمنى المنى حتى اذا قلت المنى * جرى واكف من دمعها متبادر
كما ارفض سلك بعد ما ضم ضمة * بخيط الفتيل اللؤلؤ المتناثر

قلت وهذا الشعر قاله كعب حين علق ميلاء قبل وقوعه الى الشام والمصنف تبع الشيرزي في انه قاله بالشام وأصل الحال غاط الشيرزي في قوله الشيم فانه قرأها الى الشام بدليل ان الشامي لما أنشد الشعر سألته ممن الرجل قال من الشام قالت أو تعرف صاحب

الشعر

الشعر قال هو اعرابي اسمه كعب مع انه يحتمل أن تكون معرفتها من ذكر اسمها ويكون ماذكر صحيحا ولما أخبرها باسم الاعرابي أقسما عليه ان لا يبرح حتى ينظره اخوتها فانهم يكرمونه ثم سألاه هل ترون له غير ذلك قال نعم وأنشد

خليلي قد رضت الامور وقستها * بنفسي وبالفتيان كل مكان
ولم أخف يوما للرفيق ولم أجد * خليلا ولا ذا البث يستويان
من الناس انسانان دين عليهما * مليان لولا الناس قد قفياني
منوعان ظلامان ما ينصفانني * بدلهما والحسن قد خلباني
يطيلان حتى يعلم الناس انني * قضيت ولا والله ما قضياني
خليلي اما ام عمرو فنهما * وأما عن الاخرى فلا تسلاني
* بلينا بهجران ولم يرمثلنا * من الناس انسانان يهتجران
أشد مصافاة وابعد عن قلى * واعصى لواش حين يكتنفاني
يبين طرفانا الذي في نفوسنا * اذا استنجمت بالمنطق الشفتان
فوالله ما ادري أكل ذوي هوى * على شكلنا أم نحن مبتليان
فلا تعجبا مما بي اليوم من هوى * فبي كل يوم مثل ما تريان
خليلي عن أي الذي كان بيننا * من الوصل أو ماضي الهوى تسلاني
وكاكريمي معشر حم بيننا * هوى فحفظناه بحسن صيان
تذود النفوس الحائمات عن الهوى * وهن باعناق اليه تواني
سلاه بام العمر يشفي فقد بدا * به السقم لا يخفى وطول هوان
فما زادنا بعد المدى نقص حده * ولا رجعنا عن علمنا ببيان
* خليلي لا والله مالي بالذي * تريدان من هجر الصديق يدان
ولا لي بالهجر اعتلاق اذا بدا * كما أنتما بالبين معتلقان
ولا لاهيا يوما الى الليل كله * ببيض لطيفات الخصور روان
يمينا حتى يرعن قلوبنا * ويخلطن مطلا ظاهرا بلياني
أعيني يا عيني حتام أنتما * بهجران أم العمر تحتلجان
* فما أنتما الا على طليعة * على قرب أعدائي كما تريان
فلو ان أم العمر أضحت مقيمة * بمصر ودوني الشهر شهر عمان
اذن لرجوت الله يجمع بيننا * وأنا على ما كان ملتقيان
من البيض نجلاء العيون كلاهما * مقيم وعيشي ضارب بجران
أفي كل يوم أنت رام بلادها * بعينين انسانا هما غرقان
اذا ذرفت عيناي قالت صحابتي * لقد ولعت عيناك بالهملان
الا فاحملاني بارك الله فيكما * الى حاضر الرواء ثم ذراني

فائدة فاستحيا والدي لكونه سئل عن شئ ليس عنده منه علم وآلى على نفسه ان لا يجلس في حلقة حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته ثم جلس وقال معنى البيت المسؤل عنه ان الشمس اذا كانت في آخر القوس كان الليل في غاية الطول لانه يكون آخر فصل الخريف واذا كانت في آخر الجوزاء كان الليل في غاية القصر لانه في آخر فصل الربيع فكأنه يقول اذا لم يزرني فالليل عندي في غاية الطول وان زارني كان الليل عندي في غاية القصر وقد أنصف القائل

لا أظلم الليل ولا أدعي
ان نجوم الليل ليست تسير
ليلي كما شاءت فان لم تزر
طال وان زارت فليلي قصير

(وما أحسن قول الارجاني)

وما ليلنا الا سواء وانما
تفاوته انا سهرنا ونمتم

(ومن أحسن ما قيل في قصر الليل)

قول أبي اسحق الصولي

وليلة من الليالي الزهر
قابلت فيها بدرها بدري
لم تك غير شفق وفجر
حتى تولت وهي بكر الدهر

(وقال الرضي)

مات الظلام بليل
أحييته حين عسعس
لو كان لليل صبح
يعيش كان تنفس

(وقال شرف الدين أحمد بن منقذ)

لما رأيت النجم ساه طرفه
والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافرا
أيقنت أن صباحهم قد ماتا

(وقال أيضا)

ولرب ليل تاه فيه نجمه
قطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فأجابني
لو كان في قيد الحياة تنفسا

قلت وقبل الشروع في ايراد مقاطيع هذا الباب نذكر هنا حكاية لطيفة تتعلق بطول الليل وقصره وهي ما حكاه أبو محمد اسمعيل بن منصور الجواليقي قال وقف علي والدي وهو جالس في حلقة يقرأ فيها عليه الطلبة شاب فقال يا سيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما فقال له قل فأنشد

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها
وهجره النار يصليني بها النارا
فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة
ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

قال فلما سمعهما والدي قال له يا ولدي هذا شئ من معرفة النجوم وتسييرها لا من صنعة أهل الأدب فانصرف الشاب من غير حصول

هذا ما نقله الجلّ واخرج هنا عن الاغانى ان من قوله ولا لاهبا يوما الى آخر القصيدة لم
ينشده الشامى قلت وقوله فنى كل يوم أنت رام وقوله ألا فاحملانى البيتان مسروقان من
كلام عروة بن حزام ثم نزل وجاء اخوتهما فاكرموه ودلوه على الطريق بعد ان استخبروا
منه عن كعب وموضعه ثم توجهوا فى طلبه وضعفت ميلاء على ما رواه فى نهاية الادب
بصداع اصابها فلما حضروا بكعب نزل ناحية وصادف وقت وفاتها فرأى الناس عند
البيت مجتمعين فاحس قلبه بالشر فقال لصبى بازاء البيت الذى هو فيه من أبوك قال كعب
وكان تركه صغيرا حين مضى الى الشام فقال له ما اجتماع الناس على طنب هذا البيت قال
على خالتى ميلاء ماتت الساعة فلما سمع ذلك وضع يده على قلبه واستند الى طنب البيت
وحرك فوجد ميتا فدفنوه الى جانبها رحمة الله عليهما

(القسم الثانى)

فيمن جهل اسمه أو اسم محبوبته أو شئ من سيرته أو ما آل حقيقته

ختمناه بصنف اطيف القوانين فى ذكر عقلاء المجانين ونحن وان كنا قد ذكرنا من هذا
النوع فيما سلف بعضا لكنهم انما نقصوا شيأ مما ذكرنا بالنسبة الى هذا الكتاب لقلة
خصه والافهم مشهورون كثيرا بخلاف من يأتى بعد وسنقف على كثير منهم كامل
النسب والاسباب أذكره ان شاء الله تعالى لكنه غير قوى الشهرة ولم اتبعه فى التنويع
بأن أقول نوع فيمن نزل به الحال ونحو ذلك اذ لا طائل فيما صنع ولا فائدة فيما نوع ووضع
وانما كان الاولى ان يذكر المشاهير ثم أهل الجاهلية وهكذا كما وقع ترتيبه هنا وهؤلاء
القوم كثيرون

(فمنهم سامة بن لؤى بن غالب القرشى مشهور)

قال فى النزهة نحر يوما لضيوف مائة من الابل فأكلوا قليلا وبقى الغالب فعاتبه أخوه
كعب فى ذلك وقال له لو أبقيت عليها الحاجة كان اولى فغضب منه ورحل مستخفيا فنزل على
أزدى فنظرت اليه زوجته فوقع من قلبها وهى من قلبه وزوجها يرصدهما فلم يستطيعا
ان يعرف كل منهما الآخر ما عنده فاستاك أسامة ورمى السواك فأخذته وامتصته فعلم
زوجها ذلك فعزم على قتله فسم له قدحا من لبن وقدمه اليه فعزته فأراقه ثم ركب وسار
فهوت ناقته فى الخيلة الى عرجفة لترعاها فلما جذبتها خرجت حية فضربت ساق سامة
فمات لوقته وبلغ الازدية فلم تزل تبكيه حتى ماتت ولولا ما فى هذه الحكاية من الاعتبار
بصادفة الاقدار لم أوردها اذ لا مناسبة لها بهذا المعيار

(ومنهم عمرو بن عوف وبيا)

هوى جارية اسمها بيا فشغف بها طويلا فخطبها الى أهلها فلم يجيبوه وزوجوها من غيره
فلما شهر زوجها بجمال عمرو معها رحل بها حتى نزل اليمن ببنى الحرث بن كعب وطال
الحال على عمرو فطاش عقله وطار لبه فأشار عليه أصدقاؤه ان يقصد مكة فيتعلق بأستار

الكعبة ويسأل الله اما جمعه عليها أو صرف قلبه عنها ففعل فبينما هو يطوف فى الموسم
اذ رآه شخص من بنى الحرث فوقعت بينهما ألفة فأخبره بالحال وغياب المرأة فاعلمه بمكانها
منهم فقال عمرو هل لك فى صنيعة يحسن شكرها قال نعم قل فقال عمرو ليتخلف كل منا عن
اصحابه بعد النفر ثم نسير الى مكان يقرب منها وتمضى انت فتعلمها بمكانى ففعلا ومضى به
الرجل حتى جعله فى بيته وذهب فاعلم بيا فكانت تأتيه فيتحادثان ويتشاكيان ما لقيا من
الوجد فانكر زوجها غشيانها المنزل من غير عادة وحسن حالها بعد ما كانت فيه من
الضجر فاظهر لها سفرا يغيب فيه عشرا ثم عاد بعد ليلتين وقد فرشت لعمرو بساطا امام
البيت وتحادثا فنام كل على طرف من البساط آمنا فنبه عمرا فثار عليه بالسيف فقال من
يحيينى منك يا عمرو وأنا لم أهرب هنا الا منك فقال يا ابن العم والله لم يكن بيننا أكثر من
الحديث وانما غلب على حبها من الصغر فقال زوجها حيث تحققت ان لا ريبة فلا بأس
عليك فأقاما جميعا حتى مات عمرو من العشق والعفة والوجد * وحكى انها عمرت بعده
فسئلت على أى شئ مات عمرو وجدا بل سمع انه لاحسن عندك فقالت ما كنت بالقبيحة
ولقد كنت أروى الشعر واحسن الادب

(ومنهم بشير الشهير بالاشتر وجيداء)

هوى جارية من قومه اسمها جيداء فاشتد بها كلفه وزاد فى حبها تلفه فمنعها أهلها عنه
فثار بينهم شر وخصومة عظيمة فلما طال شوقه واضمحل حاله جاء الى صديق له يقال له نمير فقال
له هل عندك صنيع تمن به على عسى ان تعود روحى الى قال اشر بما شئت فانى فاعل قال
تمضى الى حى جيداء فاذا صادفت جاريتها فأخبرها بحالى فعسى أن تأخذ لى موعدا قال
نمير فمضيت حتى لقيت الجارية فأخبرتها فمضت الى مولاتها فأخذت منها موعدا بأن تأتى
بعد العشاء عند شجيرات هناك فلما كان الليل اقبلت فقام اليها بشير وهممت بالانصراف
عنهما فقالا والله ما بيننا اكثر مما ترى فكانا يجلسنا حتى مضى شطر من الليل فعزمت
على الذهاب فكادت نفس بشير ان تزهق ثم سألها الاقامة معه بقية الليلة فقالت لا سبيل
الى ذلك الا ان يكون فى صاحبك هذا خير فقلت فيم شتمتم فرمت بثيابها الى وقالت اذهب
الى خدرى كانك انا فسيجيء زوجى ويطلب القدح للحلب فلا تعطه حتى تطيل فنكده ثم ارم
به اليه فانى افعل ذلك فاذا عاد باللبن فلا تأخذه حتى يضعه بنفسه او يطول وقوفه فانه بعد
ذلك لا يأتيك بقية الليلة قال نمير ففعلت ذلك غيرانى بعد ان طال وقوفه باللبن وأراد وضعه
واردت أخذه تخالفنا فكب القدح فقال هذا طماح ثم عمد الى سوط مفتول فضربنى
حتى زايلتنى نفسى وهممت أن اوجره بالسكين فخلصونى وردوا على الستر وجاءت
امها تعنفنى وتوصينى بأن لا اخالف زوجى ظنا انى ابنتها وتقول مالك وللاشتر ثم قامت
عنى على ان ترسل لى ابنتها الاخرى تؤنسنى فلما جاءت جعلت تبكى وتدعو على من ضربنى
واضطجعت الى جانبى فوضعت يدى على فمها ثم قلت ان أختك مع بشير فى موضع كذا وقد

يتنا على حال يسر الهوى
وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له
ان غبت عنا هجم الصبح
(وقال ياقوت)
كان الثريا راحة تشير الدجا
لتعلم طال الليل ام قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب
يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا
اخذه الشيخ صدر الدين بن
الوكيل فقال
بكف الثريا وهى جذما يقاس لى
شقاق الدجا مدت من الشرق
والغرب
ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت
فما تنقضى بالليل أو ينقضى نحبى
وقد أحسن الارجانى فى الاعتذار
عن طول الليل فقال
لا أدعى جور الزمان ولا أرى
ليلى يزيد على الليالى طولا
لكن مرآة الصباح تنفست
للهم أصدأ وجهها المصقولا
وقال مضر بن الفقعسى
وليل تقول الناس من ظلماته
سواء صحيحات العيون وعورها
كان لنا منه بيوتا حصينة
مسوح اعاليها وساج كسورها
(وقال آخر)
ولى سنة لم أدر ما سنة الكرى
كان جفونى مسمعى والكرى عذل
وقلت أنا

يالليله كاد من تقاصرها
يعثر فيها العشاء بالسحر
(وقال آخر)
سألت الليل لم ولى هزيما
وقد بات الحبيب على اقتراحى
فقال كوا كبى غارت وسارت
مخامرة على الى الصباح
(ومن أحسن ما قيل فى طول الليل
قول العباس بن الاحنف)
أيها الراقدون حولى اعينو
نى على الليل واتركوا الاعتذارا
حدثونى عن النهار حديثا
أو صفوه فقد نسيت النهارا
وقال آخر
عهدى بناوراء الليل مشتمل
والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلى مذ بانوا فديتهم
ليل الضرير فصبحى غير منتظر
(وقال ابن العتابية)
لقد ساهرتنى عيون الدجى
وقد نام عنى عيون الملاح
اذا ما شكا الليل هجر الصباح
شكوت الى الله هجر الصباح
(وقال ابن الزقاق)
لى مسكن شطت به غربة
جادت لها عيناى بالمزن
ما أحسن الفجر ولا رائنى
بياضه مذ بان فى الظعن
كانما الصبح لنا بعده
عين قد ابيضت من الحزن
(وما أحسن قول القاضى الفاضل)

مذ غبت عنى شمس الدين ما اكتحلت
عينى بغير ذرور السهد والسهر
كم بت أرعى نجوم الليل من أرق
يا أشبه الناس كل الناس بالقمر
وقال الشريشى فاما أكثر الشعراء فهم من الليل انزع والى النهار انزع لان الليل اجمع لاشتات الهموم والفكر واجلب لشوارد الاحزان والذكر (وقال امرؤ القيس)
وليل كموج البحر أرخى سدوله
على بانواع الهموم ليبتلى
(وقال قيس بن ذريح)
اقضى نهارى بالحديث وبالمنى
ويجمعنى والهم بالليل جامع
نهارى نهار الناس حتى اذا بدى
لى الليل هزتنى اليك المضاجع
(وقال ابن المعتز)
لاتلق الا بليل من تواصله
فالشمس نمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره
لاقى الاحبة والواشون رقاد
(وقال المتنبى)
كم زورة لك فى الاعراب خافية
ازهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لى
وانثنى وبياض الصبح يغرى بى
هذا البيت أمير شعر المتنبى على كثرة الجيد فيه وفيه مقابلة خمسة بخمسة وقد أخذه بعضهم فقال

جرى لى من جهتها ما علمت وأنت اولى باستر على اختك فارتعدت ساعة ثم انست فبت معها فى اطيب ليلة من اللطف والعفة حتى اذا جاء الصباح واقبلت اختها فانكرت من معى فقلت هى اختك وستخبرك بما كان ثم مضيت الى بشير فاعلمته بالخبر فلما رأى تأثير الصوت فى بدنى وخروج الدم قال لقد عظمت صنيعتك ووجب شكرك قال ابن طاهر فلم يقم بعدها بشير الا دون شهر وجاءه شخص فقصد مما جنته فقال له وهو يتناول عنبا اتتفكه وجيداء قد قضت الساعة فلم يسمع منه الا شهقة وحرك فاذا هو ميت فبلغ الخبر الجارية فهتكت سترها وجزت شعرها والقت نفسها فى بئر هناك فماتت

(ومنهم مسعدة بن واثلة الصارمى)

قال فى تسريح النواظر وكان غلاما حسن الوجه سخى الكف شجاعا وان اباه توفى فاختلف مع عمه على بكرات فرحل مغضبا حتى نزل على بنى باهلة فاقام عندهم برهة فورد الماء يوما فصادف جارية على بعير تشد عقاله وهمت بالنزول فلما رأته قالت هل لك فى ان تكفينى كلفة التعب قال وفيم تتعبين وماذا تطلبين قالت مل معى هذه السقاية ورمت بها الى فلما ملأتها وهممت ان تتناولها شمرت عن زندين كانما جبيت عظامهما بالبلور الصافى ثم تناولت القربة فانكشف البرقع عن وجه كانما تستعير منه الشمس الضياء فداخلنى ما خشيت معه زهاق نفسى قال ثم مضى متغير الحال فشكا الى صديق له ما جرى له وسأله عن اسم الجارية فقال هى رملة بنت اثيلة بن مصقع واعلمه بمكانها فكان يمضى فى كل يوم فيقف حتى يراها فيشكو اليها ما عنده من حبها قال الشيزرى فداخلها من العشق ما داخله فلما علم اهلها بذلك حجبوها وبلغه علمهم فخرج حياء وخوفا فرأى حمامات على اراكة بفحن فهاجت بلابله فأنشد

دعت فوق اغصان من الايك موهنا * مطوقة ورقاء فى اثر آلف
فهاجت عقابيل الهوى اذ ترنمت * وشبت ضرام الشوق بين الشراسف
ثم أدركه الليل قريبا من حى خشى ان يكونوا من قومها فنزل قريبا منهم فسمع قائلا يقول

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وكان يرى الطيرة فارتابت نفسه من ذلك وراجعه القلق ثم اخذته سنة فاذا هو بقائل ينشد

ولا شئ بعد اليوم الا تعلة * من الطيف أو تلقى بها منزلا قفرا

فزاد قلقه ثم عاودته السنة فسمع قائلا يقول

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار
لم يبق يوما عاشقان بحالة * الا وقد جاءتهم الاغيار
كل وان طال المدى متصرم * حكم الاله وسارت الاقدار

فقام فركب متفكرا وسار فلما برق الفجر اذا هو براع ينشد

كفى بالليالى مخلقات لجدة * وبالموت قطاعا لحبال القرائن

فعرف صوته فقال فلان قال نعم فقال له ما دهاك قال قد ضاجعت رملة الثرى فسقط مغشيا عليه فلم يفق حتى حيت الهاجرة وحمل الى بيته فأنشد

يا راعى الضأن قد ألقيت لى كمدا * يبقى ويقلقنى يا راعى الضان
نعيت نفسى الى روحى فكيف اذا * أبقى ونفسى فى اثناء كفانى
لو كنت تعلم ما أسررت فى كبدى * بكيت مما تراه اليوم أبكانى

فلم يزل يردده حتى مات

(ومنهم زرعة بن خالد العذرى)

كان غلاما حسن الوجه عذب المنطق سخى الكف راوية عارفا بأيام العرب واشعارها خرج يوما للصيد فلما ورد المشرعة وجد النساء يغترفن الماء ودونهن جارية قد انفردت تمشط شعرها على جانب الغدير وقد أسبلته كأنه الليل المظلم ووجهها من خلاله كأنه البدر فى تمه فحين ابصرها سقط مغشيا عليه فقامت اليه فرشت عليه الماء فلما أفاق وابصرها قال وهل مقتول يداويه قاتله قالت كفيت ما تشكو وحادثته فثابت نفسه اليه وقد داخلها ما داخله من الحب ثم رجع وهو يقول خرجنا لنصيد فاصطدنا ثم أنشد

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصا * من الريم صاد تنى سريعا حبائله
* فلما رمانى بالنبال مسارعا * رمانى وهل ميت يداويه قاتله
الا فى سبيل الحب صب قد انقضى * سريعا ولم يبلغ مرادا يحاوله

قال ابن الفرات ثم انه لزم الوساد أياما وان امه اقسمت عليه حين سمعته يكرر الابيات الا ما أخبرها بحاله فاظهرها على الامر فعرفت الجارية فاذا هى ظريفة بنت صفوان بن واثلة العذرى فمضت اليها وأعلمتها القصة وقبلت رجليها على ان تزورها بيتهم فعسى ان يشفى ولدها فقالت ان الوشاة كثيرون ولكن خذى هذا الشعر اليه فان أمسكه فانه يشفى ثم جزت لها شيأ من شعرها فلما ذهبت اليه جعل يتنشقه فتراجعت نفسه شيأ فشيأ حتى اشتهى ما يأكل فقدم اليه فتناوله وقام فكان يأتى قريبا من الابيات فيسارقها النظر وتخالسه هى أيضا الى ان فطن اهلها فاقالوا على قتله وبلغه فوقع الى اليمن وكان كلما اشتد شوقه قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح لذلك فلما كان يوم من الايام وقد خرج لبعض حاجاته سقط منه الشعر فلما أيس منه عزم على العود فعنف فقال دعونى فانى أرجو ان اظفر واموت فصحبه غلام قال أبو شراعة فرأيته فى الطريق وعليه بردان وهو يعلم الصبى الابيات ويقول له اذا حاذيت موضع كذا فأنشدها رافعا صوتك ولك احد هذين البردين فتبعتهما حتى بلغ الموضع فأنشد

مريض بأفناء البيوت مطرح * به ما به من لاعج الشوق يبرح
وقالوا الاجل اليأس عودى لعل ما * تشكا من آلام وجدك يسمح

أقلى النهار اذا أضاء صباحه
وأظل انتظر الظلام الدامسا
فالصبح يشمت بى فيقبل ضاحكا
والليل يرثى لى فيدبر عابسا
وقد أحسن فى أخذه فان فيه ايضا مقابلة خمسة بخمسة قال ابن يحيى فى قول المتنبى المذكور انه مأخوذ من قول ابن المعتز
(فالشمس نمامة والليل قواد)
قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس قال لى شيخنا تقى الدين بن دقيق العيد قل لهؤلاء علماء المعانى والبيان والبديع أتحسنون ان تقولوا مثل قول المتنبى أزورهم وسواد الليل يشفع لى فاذا قالوا لا قل فأى فائدة فيما تصنعونه يريد بذلك ان العمل غير العلم والمباشرة دون الوصف (ومثل قوله هذا) ما حكاه بعضهم عن بعض الوعاظ انه كان على منبره يتكلم فى المحبة وأمور العشق وأحواله ومد أطناب الاطناب فى ذلك فقام اليه بعض الجماعة فقال بعيشك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل زفت عليك فروع ليلى
زفاف الاقحوانة فى نداها
فقال الواعظ لا والله فقال له فافسر
(وقال المتنبى)
وكم لظلام الليل عندك من يد
تخبر ان المانوية تكذب

وقال تردى الاعداء تسرى اليهم
وزارته فيه ذو الدلال المحبب
المانوية قوم يعتقدون ان الخير
كله من النور والشر كله من
الظلام فكذبهم بأنه وجد الخير
فى الظلام حيث ستره عن اعدائه
ووقاه مشرهم وكان عونا له على
زيارة من يحبه (وقال ابن رشيق)
أيها الليل طر يغير جناح
ليس فى العين راحة فى الصباح
كيف لا أبغض الصباح وفيه
بان عنى أولو الوجوه الصباح
(حكى الاصمعى) قال حضرت مجلس
الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ
دخل أبو نواس فقال ما أحدثت
بعدنا يا أبا نواس فقال يا امير
المؤمنين ولو فى الخمر فقال قاتلك
الله ولو فى الخمر فانشده
ياشقيق الروح من حكم
نمت عن ليلى ولم أنم
الابيات حتى أتى على آخرها فقال
أحسنت والله يا غلام أعطه عشرة
آلاف درهم وعشر خلع فأخذها
وخرج (وحكى) عن المطرز الشاعر
انه مر وفى رجليه نعل له بالية وهى
تثير الغبار فرآه الشريف المرتضى
فأمر باحضاره وقال له أنشدنى
ابياتك التى تقول فيها
فان لم تبلغنى اليكم ركائبى
فلا وردت ماء ولا رعت العشبا
فأنشده اياها فلما انتهى الى هذا
البيت أشار الشريف الى نعله

وليس دواء الداء الا بحيلة * اضر بنا فيها غرام مبرح
اذا ما سألناها نوالا تنيله * فصم الصفا منها بذلك اسمح

فتبعت الصبى وهو لا يشعر بى فلما حاذاها رفع عقيرته بالابيات ينشدها فسمعت من بعض الابيات قائلا يقول

رعى الله من هام الفؤاد بحبه * ومن كدت من شوقى اليه اطير
لئن كثرت بالقلب أتراح لوعة * فان الوشاة الحاضرين كثير
فيمشون يستشرون غيظا وشرة * ومامنهم الا اب وغيور
فان لم ازر بالجسم رهبة مصدر * فللقلب آت نحوكم فيزور

وفى النزهة * فان لم أزر بالجسم خيفة معشره * وهو أحسن ثم رجع الصبى فأنشد أبياتها فأغشى عليه ساعة ثم أفاق وهو ينشد

اظن هوى الخود الغريرة قاتلى * فيالیت شعرى مابنو العم صنع
اراهم وللرحمن در ضنيعهم * تراكى دمى مدرا وخاب المضيع

ثم مضى متنكرا حتى دخل بيته ولزمه اياما الى ان زفت ظريفة الى رجل منهم يقال له ثعلب فلما بلغه الخبر اضطرب ساعة ثم اغمى عليه فخرك فاذا هو ميت وبلغها فلزمت البكاء اياما ولم تمكن الرجل من نفسها فلما كانت ذات ليلة خرجت من بعد انتصاف الليل فتبعها حتى انتهت الى نهر فألقت بنفسها فيه فأخرجها وليس بها حر الشم احتملها الى الخيمة فلما أصبح الصبح جاءت أمها فوجدت بها رمقا ولكنها لم تفقه كلاما فأشارت ان تسقى الماء فسقوها فقضت من وقتها وفى روضة القلوب انها غرقت ولم تخرج الا ميتة

(ومنهم شخص)

قال التوزى مسندا عن بعضهم انه رآه وقد تهيأ الى الحج فلما دخل بغداد رآه وقد أقبل تحت قصر ومعه تفاح فجعل يرشق به الى القصر وجوار تناوله بأيديها فقال له ويحك الم ترد الحج فأنشد

ولما رأيت الحج قد آن وقته * وابصرت بركا العيس بالركب يعسف
رحلت مع العشاق فى طلب الهوى * وعرفت من حيث المحبون عرفوا
وقد زعموا ان الجمار فريضة * وتاركه مغروض الجمار يعنف
* فهيهات تفساحا ثلاثا واربعا * فزعفرلى بعض وبعض مغاف
وقمت حيال القصر ثم رميته * فظلت له ايدى الملاح تلقف
وانى لارجو ان تقبل حجتى * وماضمنى للحج سعى وموقف

(ومنهم رجل من بنى كندة) فخذ من بنى عذرة اورده مجهولا وكذا ابن ابى الاصبع فى الطبقات فى ترجمة الحرث بن كلدة وفى النزهة قال لا نعلم اسمه وحكايته مشهورة وهى ان اخاه استخلفه على بيته وخرج لغرض فصادف يوما ان دخل وزوجة اخيه سافرة

فرآها

فرآها فلما علمت بذلك سترت وجهها بيديها فكان مالقيه من رؤية معصميها اضعاف مالقيه من وجهها فخرج وقد اشتعل الحب فى قلبه فأقام اياما يكابد العناء حتى لزم الوساد وجاء اخوه فأبصره وقد ذوت اعضاؤه وذهبت محاسنه وتغير جسمه فلم يترك عرافا ولا طبيبا حتى دعاه له فلم ينجح شيأ فوصف له الحرث بن كلدة وكان أحذق اهل زمنه فلما رآه قال ليس به الا العشق فقالوا وما السبيل الى معرفة ذلك قال تسقوه الخمر فعساه أن يصرح ففعلوا ثم غدا عليهم فقالوا له قد ذكر العشق ولكن لم يصرح باسم المحبوبة فقال زيدوه ففعلوا فصرح بريا زوجة اخيه فقال اخوه أشهدكم انها طالق ثلاثا لانى اعتاض عنها ولا اعتاض عن اخى فبشروه فقال هى على حرام أمى ان تزوجتها ومات بعد قليل وقيل خرج هائما ولم ير أين مات وان اخاه حين فقده مات اسفا ولما سقوه الخمر غنى ابياتا حذفتها هنا وفى مختصر الطبقات لسخافتها فاختلف فى أيهما اكرم * ونظير ذلك فى السماحة ماوقع للحكم بن المطلب المخزومى فانه هوى جارية فاشتراها بمال عظيم واراد الدخول بها فلبس أخر ثيابه ومضى ليعلم اباه وكان ابوه يحب اخاه عتبة اكثر منه فاقسم عليه ان يهب الجارية لاخيه ففعل فأبى اخوه فأعتقها حتى قيل انه مات بجبها وله عطايا مشهورة قيل ان رجلا حجازيا لزمه دين ثلاثة آلاف دينار فقصد خالد بن عبد الله القسرى بهدايا فصادف الحكم وكان جايا حينئذ فلما وقف على قصته وهب له أربعة آلاف دينار وقال له وفر عليك المشاق

(ومنهم غلام)

قال فى النزهة هذلى واسمه راشد بن صفوان الهذلى قال الجلال السيوطى فى شرح الشواهد عن ابن عساكر ان اسمه غاوى وكان له كلب اسمه راشد وكان له صنم يأتى اليه كل صبيحة فيسجد له ويذهب الى الصيد فجاء يوما فرأى الثعالب قد بالت على رأس الصنم فكسره وأنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم اقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص عليه الخبر فأسلم فقال له ما اسمك قال غاوى قال وكلبك قال راشد قال لا أنت راشد وكلبك غاوى ثم ذهب وكان يغدو على بنى عامر لالفة بينه وبين رجل منهم فلمح جارية منهم يقال لها هيفاء بنت عبد الله بن عامر وكانت من اجمل نساء العرب فغادره من حبها ما كاد أن يأتى على نفسه ثم ان الجارية تزوجت بشخص من جهينة فلما حملها الى حيه وطال على الغلام الشوق وانقطاع الاخبار ذهب عقله فكان يسيح عاريا فصادف صيادا قد اصطاد خشفا فوقف ينظر اليه ويبكى ثم انشد

وذكرنى من لا ابوح بذكره * محاجر ظبى فى حبالة قانص
فقلت ودمع العين يجرى بحرقة * ولحظى الى عينيه لحظة شاخص
ألا ايها القانص الظبى حله * وان كنت تأباه فعشرة لائص

البالية وقال اهذه كانت من
ركائبك فاطرق المطرز ساعة ثم قال
لما عادت هبات سيدنا الشريف
أيده الله تعالى الى مثل قوله
وخذ النوم من جفونى فانى
قد خلعت الكرى على العشاق
عادت ركائبى الى مثل ماترى لانك
خلعت مالا تملكه على من لا يقبل
فاستحيا الشريف منه وكان الشيخ
صدر الدين بن الوكيل رحمه الله
تعالى يقول والله قول المطرز عندى
احسن من قول الشريف * وقال
ابو البشر المظفر الاعمى دخلت
على الملك الكامل فقال لى أجز هذا
النصف قد بلغ العشق منتهاه
فقلت وما درى العاشقون ماهو
فقال وانما غرهم دخولى
فقلت فيه فهاموا به وتاهوا
فقال ولى حبيب يرى هوانى
فقلت وما تغيرت عن هواه
فقال رياضة النفس فى احتمالى
فقلت وروضة الحسن فى حلاه
فقال اسمر لدن القوام ألمى
فقلت يعشقه كل من يراه
فقال ريقته كلها مدام
فقلت ختامها المسك من لماه
فقال ليلته كلها ازدهار
فقلت وليلتى كلها انتباه

خف الله لا تحبسه ان شبيه * حبيبي فقدا رعدت فيه فرائصي

فقال له الصياد دونك فخله فتقدم اليه وقبله واطلقه وأتبعه نظره حتى غاب ثم قال للصياد ائتني غدا في موضع كذا وأقبل يسوق عشرا من الابل فأبى الصياد قبولها فأقسم عليه الا ما اخذها فقبلها وانصرف

(ومنهم قيس بن منقذ بن مالك الكناني المشهور بابن الحدادية)

كان يهوى نعمى الخزاعية وكانت كنانة وخزاعة يتقاربون في المنزل لان بينهم نسبا لترم فيه العصا فكان قيس يجلس الى نعمى فيتحادث معها فدخل بينهما الهوى وقيل انها رأته وقد ركب يوما في ملعب وزينة ففخر على اكثر من حضر بالشجاعة فدعته للمحادثة وقد نزلت مع أتراب لها على منتزه فنزل وتحادث معه ساعة فاقبل راع يسوق غنما فاشترى قيس منه عنزة وذبحها للنساء فلما اكلن وقمن تركن الفاضل منها على الارض ثم تمثل بهذا البيت ويقال انه لحاتم الطائي

اذا لم يكن للطير في زاد عزوة * نصيب فليسوا في الورى بكرام

وفي النزهة اذا لم يكن للوحش والمعنى قريب فانتشأ الوحيني ما ولم يزالا على ذلك برهة الى أن اجدبت سنونهم فارتحلوا منتجعين وافترقت القبيلتان فلما كان يوم من الايام تطرت كنانة الى موضع ديارها فوجدوا البروق ملية والسحب فضية فعلموا أن الغيث عمها فارتحلوا الى ان نزلوا بها فنظر قيس في مواضع خزاعة فتذكر اجتماعهم فتنفس الصعداء وانشد

اذا ما نأت نعمى فهل أنت جازع * قد اقتربت لو أن ذلك نافع
قد اقتربت لو أن في قرب دارها * نوالا ولكن كل ما صين مانع
فان تلق لي نعمى هديت فحيها * وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع
وظني بها حفظ الغيبي ورعية * لما استرعيت والظن بالغيب واسع
وقد يلتقي بعد الشتات أولو النوى * ويسترجع الحي السحاب اللوامع
وماذات جيد نازعت حبل حابل * لتنجو ثم استسلمت وهي طائع
بأحسن منها ذات يوم لقيتها * لها نظر نحوي كذي البث خاشع
كان فؤادي بين شقين من عصا * حذار وقوع البين والبين واقع
فقلت لها يا نعم خلي محلنا * فان الهوى والشمل يا نعم جامع
فقالت وعيناها يفيضان عبرة * بأهلي بيني لي متى أنت راجع
فقلت لها تالله يدري مسافر * اذا أضمرته الارض ما الله صانع
واني لعهد الود راع وانني * لوصلك مالم يطوني الموت طامع

ثم لم يزل متعللا بالاماني يعتوره الخيال اياما الى أن بلغه أن خزاعة بجيل بالشم من اليمن فارتحل حتى وقع بهم فقيل انه عند رؤيتها سقط ميتا وقال في النزهة اقام عندهم الى

ان

ثم ان مظفر الدين اكملها مدحا في السلطان الملك الكامل تغمده الله برحمته ومنه وكرمه

(الباب الثاني عشر في قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول)

اقول هذا باب عقدناه لذكر من اكثر القيل والقال من العذال واستحق بامساك لحيته عند عذله تنف السبال وكيف لا وهو لكثرة فضوله وقلة محصوله يدخل بين الروح والجسد والوالد والولد طالما اصبح بين المحبين قفا بين صفاعين لا يفتح له باب ولا يرد عليه جواب

وأتعب من ناداك من لا تجيبه
واغيظ من عاد الضمن لا تشاكل

وما اتيه خلقي في الهوى غير انني
بغيض الى الجاهل المتعاقل

فليته استراح واراح وصان عرضه المباح فقد اكثرت الشعراء في الرد عليه واعتذرت المحبون اليه كما قيل

يا عاذلي في هواه
اذا بدا كيف اسلو
جر بي كل وقت * وكلما جر يحلو

أن اغاروا عليهم بنو فزارة فقتل يومئذ

(ومنهم توبة بن حمير بن أسيد الخفاجي)

وكان شجاعا مبرزا في قومه سخيا فصيحا مشهورا بمكارم الاخلاق ومحاسنها وخفاجة على ما ذكر في النزهة نخذ من قحطان وكانت تنزل بين الاخيل كعب بن معاوية ويغزون معهم ويتحدثون في المسرح وكان رئيس بني الاخيل حذيفة بن شداد بن كعب وكان له ابنة قد شاع في العرب ذكرها بالحسن والفصاحة وحفظ أنساب العرب وايامها وأشعارها فغزوا يوما فلما رجعوا حانت من توبة التفاتة وقد برزت النساء للبشر والاسفار للقاء القادمين من الغزو فرأى ليلى فافتتن بها فجعل يعاودها فيتحادث معها الى أن اخذت قلبه وأطارت لبه فشكالها يوما ما نزل به منها فاعلمته ان بها منه اضعاف ذلك فاغاما على التزاور الى ان جهاز وجها فقلق توبة لذلك حتى خامره الجزع فكان يذهب بعقله أحيانا فأشاروا عليه بتعاطي الاسفار والخوض في المحادثات فعزم على الشام فزيجميل فانزله واحسن خدمته ثم تداعيا الصراع وكانا في موقف تشرف منه بثينة عليهما فصرعه جميل ثم نضله ثم قهره على ظهر الفرس ولم يكن له كفوا فقال له توبة كأنك تحسب ذلك منك ولم تدر أنه بريح هذه الجالسة واشار الى بثينة ثم دعاه الى واد يخفى عنها وتصارعا فيه فصرعه توبة ثم مضى في طريقه فمر سحرا بأشجار في وادي الغيل وعليها حمائم تغرد فعاودته الاشجان فانشد

نأتك بليلى دارها لا تزورها * وشطت نواها واستمر مريرها
وخفت نواها من جنوب عفيرة * كما خف من نيل المرامي جفيرها
يقول رجال لا يضرك نأيها * بلى كل ماشق النفوس يضيرها
أليس يضر العين أن تكثر البكى * لكل لقاء تلتقيه بشاشة
خليلي روحا راشدين فقد أبت * ضريبة من دون الحبيب وتيرها
يقر بعيني أن ارى العيس تعتلي * بنا نحو ليلى وهي تجري صقورها
وما لحقت حتى تقلقل عرضها * وساح من بعد المرام عسيرها
وأشرف بالارض اليفاع لعلني * أرى نار ليلى او يراني بصيرها
فنادت ليلى والحمول كأنها * مواقير نخل زعزعتها دبورها
فقالت ارى ان لا تفيد لصحبتي * لهيبة اعداء تلظى صدورها
فحدت لي الاسباب حتى بلغتها * برفقي وقد كاد ارتفاقي يضيرها
فلما دخلت الخدر أطت نسوعه * وأطراف عيدان شديد سيورها
فأرخت لنضاخ الذفارى منصة * وذي سيرة قد كان قد ما يسيرها
واني ليشفيني من الشوق أن ارى * على الشرف النائي المخوف ازورها

وكان يقال ليس من العدل سرعة العذل وكان يقال رب ملوم لا ذنب له وكان يقال

لعل لها عذرا وأنت تلوم
فكم عاذل زاد المحب بعذله لحاجة وجنونا كثر من الحاجة
لا بد لن هوى يلوم انه
كالريح يغرى الناس بالاحراق

(وقال الآخر)

وما عذولي ناهيا عن هواكم
لكنه بالصبر أمار
قال اسلهم ان لم تطق هجرهم
قلت له النار ولا العار

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

يا من اذا باعت الابصار اسودها
بحبة فوق خديه فقد ربحت
يزيدني العذل تبريحا ألذ به
فليت عذال قلبي فيك لا برحوا

(ومما احسن قول بلديا محمد بن العفيف التلمساني)

أسرفت في اللوم ولم تقتصر
وزدت في لومك ياذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها
وانما المولى كثير الفضول

(وقال والده واحسن ما شاء)

ولي على عاذلي حقوق هوى
شكرى عليه يعضها يجب
لام فلما رآه هام به
فكنت في عشقه انا السبب

(وقال الآخر)

قد اجتهد اللاحي وجاء بلومتي
وزخرف لي زور الكلام بمينه

وقال اسل عن هذا وعذ عن غرامه
فقلت له هذا الفضول بعينه
(وحكى) ابن وكيع انه كان يهوى
غلاما نصرانيا بتنيس فلامه بعض
اصحابه عليه ولم يكن رآه فاتفق ان
الغلام مر بهما فلما رآه صاحب ابن
وكيع استحسنه وقال لو عشقت
هذا ما ملتك ولم يعلم انه محبوبه الذى
لامه عليه فقال ابن وكيع فى الحال
ابصره عاذلى عليه
ولم يكن قبلها رآه
فقال لو عشقت هذا
ما لامك الناس فى هواه
قل لى الى من عدلت عنه
فليس اهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدرى
يأمر بالحب من نهاه
(وقال شيخ الشيوخ بحماة)
زعموا انى هويت سواكم
كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعى
فسلوه ان كان قلبى سلاكم
قال لى عذلى متى تبصر الرشد
وتسلو فقلت يوم عماكم
(وقال ايضا)
ان قوما يلحون فى حب سعدى
لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها
اخذوا طيبا وأعطوا خبيثا
(وقال ايضا)
من منصفى من عاذل جاهل
يخون بالاوم لمن لا يخون

وان أترك العيش الحسير بأرضها * يطيف بها عقبانها ونسورها
حمامة بطن الوادين ترنمى * سقاك من الغر الغوادى مطيرها
أيبنى لنا لازال ريشك ناعما * ولازلت فى خضراء دان بريرها
وقد تذهب الحاجات بسترها الفتى * فتخفى وتهوى النفس مالا يضيرها
وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت * فقد رابنى منها الغداة سفورها
وقد رابنى منها صدود رأيته * واعراضها عن حاجتى وقصورها
ارتك حياض الموت ليلى وراقنا * عيون نقيات الحواشى تديرها
ألا ياصفى النفس كيف يقولها * لو آن طريدا خائفا يستجيرها
تجير وان شطت بها غربة النوى * ستنعم ليلى أو يفادى أسيرها
وقالت ارالك اليوم اسود شاحبا * وأنى بياض الوجه بر جو رورها
وغيرنى أن كنت لما تغيرت * هواجر لا كتنها واسيرها
اذا كان يوم ذو سموم اسيره * وتقصر من دون السموم ستورها
وقد زعمت ليلى بأنى فاجر * لنفسى تقاها او عليها فجورها
فقل لعقيل ما حديث عصابة * تكنفها الاعداء نا نصيرها
فان لا تناهوا يركب اللهو نحوها * وخفت برحل أو جناح يطيرها
لعلك يا قيسا ترى فى مريرة * معذب ليلى ان رآنى أزورها
وادماء من حر الهجان كأنها * مهاة صوار غير ما مس كورها
من الناعبات المشى نعبا كأنما * يناط بجذع من أرالة جريرها
من العركانيات أحرف كأنها * مريرة ليف شد شدا مغيرها
قطعت بها موماة ارض مخوفة * تخوف رداها حين يستن مورها
ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم * دعاميص ماء نش عنها غديرها
وقد رة الليل التى بين نصفه * وبين العشا قد ريب منها اسيرها
ابت كثرة الاعداء أن يتجنبوا * كلابى حتى يستثار عقورها
وما يشتكى جهلى ولكن عزتى * تراها باعدائى لبيثا طرورها
أمختر مى ريب المنون ولم أزر * جوارى من همدان يضا نحورها
تنوء باعجاز ثقال واعوق * جدال وأقدام لطاف خصورها
اظن بها خيرا وأعلم انها * ستفلك يوما أو يفلك اسيرها
أرى اليوم يأتى دون ليلى كأنما * اتت حجة من دونها وشهورها
على دماء البدن ان كان بعلها * يرى لى ذنبا غير أنى ازورها
وانى اذا مازرتها قلت ياسلمى * ويابأبى قول اسلى مايضيرها

وهذه القصيدة قال صاحب النزهة انشدها كلها حين سمع مجمع الحمائم وقيل

انشدها

انشدها متقطعة بحسب الوقائع وانما جمعتها الشعراء وها انا اورد ذكر غريبها وما وقع
لبعض ابياتها من الحكايات قيل لما وقفت ليلى على قوله ولما دخلت الخدر غضبت
غضبا شديدا ثم امسكت عن كلامه برهة فتوسل اليها وعرض عليها انه يريد ان يسقى
نفسه السم ان لم تكلمه فجمعت ثلاثة من اهلها بحيث يخفون عليه واستحضرته فلما
آنسته قالت أى خدر دخلت معى حتى تقول ما تقول فقال هذا استرسال الشعراء ثم ذكر
لها امثال ذلك وتنصل ففرحت بسماع اهلها ذلك وقوله منصة يريد بها الستر وقوله حمامة
بطن الوادين ترنمى هو اول بيت تفوه به من القصيدة الى قوله وكنت اذا مازرت ليلى
ثم ضم الباقى واما قوله وكنت اذا مازرت ليلى فالحقه بعدا كمالها وسبب انشاده انه كان
يزورها على خيفة وخفية فلما اشتد التحريج عليه جعلت بينها وبينه أمارة فقالت اذا
مررت فوجدتنى مبرقعة فاجلس مطمئنا فلا حرج حينئذ فلما قوى حرصهم وتوعدهم
لها وأجمعوا ان يفتكوا به اذا رآها خرجت يوم ميعاد سافرة على كثيب بحيث يراها
على البعد فلما اقبل ورآها سافرة مضى فى طريقه متنكبا وهو يقول وكنت اذا مازرت
ليلى الابيات ثم دخل الشام فأقام بها يسيرا فلم يأخذه قرار وتاقت نفسه الى العرب
فكان يخرج الى الربوة ليلى نفسه فلم يكن له دأب الا البكاء فأقام اياما لا يلذ له حال ولا
ينعم له بال فخرج يريد البادية فخرجن قابل حيا بصغير يلعب فقال له هل أنت عارف
بليلى قال نعم قال امض اليها وانشد * وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت *
وعد الى فأحسن منقلبك فمضى الغلام فانشد البيت لليلى فعلمت ان توبة قد ورد الحى
فقالت للغلام قل له انها الآن مبرقعة فمضى الغلام اليه واعلمه بذلك فاعطاه دينارين
وأقبل فجدد زيارتها ثم قال لها مكنينى من تقبيل يدك وفى الروض النضير انه سألها
قبلة فانشدت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى ان نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

ففطن انها استرابت منه فحلف انه لم يرد سوأ وان نفسه قد حدثته بان يجربها فاستشاطت
شوقا ثم ودعها على استحياء ومضى فما استقر به المنزل حتى عزمت خفاجة على غزو
الهذليين فخرج فقتل فى الوقعة وما وقع به رمق ادركه ابن عمه فقال له هل لك حاجة
قال نعم تبلغ ليلى هذه الابيات وأنشد

ألا هل فؤادى من صبا اليوم طافح * وهل ما وأت ليلى به لك ناجح
وهل فى غد ان كان فى اليوم علة * سراح لما تلوى النفوس الشحائح
ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح
ولو أن ليلى فى السماء لا صعدت * بطرفى الى ليلى العيون الكوالح

ان قلت ما نصحك الا اذى
قال وما عشقك الا جنون
(وقال محمد بن شرف القيروانى)
قل للعذول لو اطلعت على الذى
عاينته لعذلك ما يعنينى
أتصدنى ام للغرام تردنى
وتلومنى فى الحب ام تغرينى
دعنى فلست معاقبا بجنايتى
اذ ليس دينك فى المحبة دينى
(وما احسن قول الآخر)
يقول لى العاذل فى لومه
وقوله زور وبهتان
ما وجه من احببته قبلة
قلت ولا قولك قرآن
(وقال آخر)
لقد راعنى بدر الدجى بصدوده
ووكل اجفانى برعى كواكبه
فيا عاذلى دعنى عساه يعود لى
ويا مهجتى صبرا على ما كوالبه
(وقال عرقلة)
قال العواذل ما الذى استحسنته
منه وما يسبيك قلت جميعه
(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة
رحمه الله
يا خيبة العاذل الذى قد
اطال فى العذل واستطالا
عذبنى ثم قال تسلو
عن حب ما ما فقلت لا لا
(وقال ايضا)
ايها العاذل الغبى تأمل
من غدا فى صفاته القلب ذائب

ولو أرسلت وحيا الى عرفته * مع الريح فى موارها المتناوح
أأغبط من ليلى بما لا اناله * الا كل ماقرّت به العين صالح
سقتنى بشرب المستضاف فصردت * كما صرد اللوح النطاف الصحاصح
وهل تبكين ليلى اذا مت قبلها * وقام على قبرى النساء النوائح
كما لو اصاب الموت ليلى بكيتها * وجاد لها جار من الدمع سافح
وفتيان صدق قد وصلت جناحهم * على ظهر مغبر المنوفة نازح
بمائرة الضبعين معقورة النسا * امين القرى مجترة غير جانح
وما ذكرتى ليلى على نأى دارها * بنجران الا الترهات الصحاصح

قوله ولو أن ليلى البيتين قد سبق الكلام عليهما فى قصة المجنون ورقى بالزاى وقوله وهل تبكين ليلى يعنى وهل هى باكية اذا مت فليلى فى البيت فاعل حذرا مما توهم هنا وفى النزهة وماذكرتنبيه على بعد دارها وقيل ان هذه القصيدة انشدها حين خرج قبل ورود الوقعة وانما أنشد عند موته قوله

عفا الله عنها هل ابيتن ليلة * من الدهر لا يسرى الى خيالها

وان ابن عمه حين جاء انشدها الابيات او هذا البيت فاجابته

وعنه عفا ربى وأحسن حاله * فعزت علينا حاجة لا ينالها

وقيل مات عشقا وكيف كان لما بلغ نعيه ليلى خلعت الزينة واقامت على الحزن حتى ماتت بعده لكن بعده بسنين كثيرة فقد قيل ان وفاة توبة كانت سنة سبعين وقيل احدى وسبعين ووفاة ليلى كانت احدى ومائة قيل مرت بقبر توبة فقال زوجها هذا قبر توبة الكذاب فقالت لم يكن والله كذابا فقال لها أليس يقول ولو أن ليلى الاخيلية البيتين سلى علينا لننظر فامتنعت فأقسم عليها أن تفعل فلما سلت خرج من طاقة القبر بومة فاجفلت الناقة فوقعت ليلى ميتة فدفنت الى جانبه وقيل طير كانت العرب تزعم انه يقيم فى هامة المقتول حتى يؤخذ بثاره وحكى انها هى التى قصدت ذلك وهذه القصة رواها فى النزهة عن متفرقين ووثقها وأما هنا فقد حكى ما قررناه الا السبب عن ليلى نفسها وانها حكت ذلك للحجاج حين قدمت عليه تجتديه من جدب الزمان فوهب لها مائة من الابل برعاتها وذلك فيما اخرجه المدائنى عن مولى عنبسة قال كنت مع استاذى عند الحجاج اذ قال له الحاجب ان بالباب امرأة فقال ادخلها فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه الى الارض واستجلسها ثم استنسبها فانتسبت فقال ماجاء بك قالت اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد فقال لها صفى لنا الفجاج فقالت الفجاج مغبرة والارض مقشعرة والبرك معقل وذو العيال مجتل والهالك المقل والناس مسنتون رجفة من الله يرجون واصابتنا سنون مجحفة مبطلة لم تدع لنا هبعاء

ولا

وتعجب لطرة وجبين
ان فى الليل والنهار عجائب
(وقال) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر
كم على عاذلى وكم لحبيبى
ذاك تكبيرة وذا تهليله
يا ثقافى وأين منى ثقافى
أين من يبتغى الى الوسيله
انا ميت فقبلوا نى اليه
لحيائى وحقه تقبيله
(وقال النور الاسعردى)
اقول لعاذلى لما نهانى
وقد وجد المقالة اذ جفانى
علمت بأنه مر التجنى
وفاتك انه حلو اللسان
(وقال ابو الفتح قادوس فى الاكتفاء)
من عاذرى فى عاذل
يلومنى فى حب رشا
اذا طلبت وصله
قال كفى بالدمع شا
(ومثله قول شيخ الشيوخ بجماة)
اغضب العشاق منه انتى
لم أبع فى حبه رشدى بغى
قلت قد أضنيت جسمى قال قد
قلت كى تذهب روحى قال كى
(وقال ايضا)
راموا فطامى عن هوى
غذيته طفلا وكهلا
فوضعت فى جيبى يدى
وقلت خلونى والا
(ومثله قول الوداعى)

ولا ربعه ولا عافطة ولا ناقطة اذهبت الاموال وفرقت الرجال واهلكت العيال فانظر الى هذه الفصاحة والبلاغة ولذلك انقادلها مع تجبره فقولها اخلاف النجوم تريد به الانواء فان العرب يعرفون بمساقط النجوم لانواء يستدلون بها على صحة السنة وخصبها وكثرة الامطار فكأنها تعد بذلك فاذا لم تأت بذلك فقد أخلفت وقلة الغيوم تريد به لازمها الغالب وهو المطر وفيه عطف الاخص على الاعم وكلب البرد شدته والعرب تطلق هذا الاسم على ايام مخصوصة من تاسع كانون أعنى كيهك الى ثامن عشر شباط أعنى امشير والفجاج هنا الارض وغبرتها كناية عن عدم نداوة الارض فان ذلك يثير الغبار واقشعرار الارض عدم نباتها والبرك الابل وعقلها كناية عن عدم ما تحمله والاجتال الميس والاملاق والهبعاء الحسنة والربعاء السيئة وعن الاصمعى الهبعاء مايزرع فى سوى الربيع والربعاء مايزرع فيه أو هما مطران أو الابل والغنم ضعيف وفى تهذيب الاصلاح للتبريزى هما كلمتان يراد بهما الاخبار عن نقاد ما فى اليد مثل ما عنده سبد ولا لبد والعافطة العنز والناقطة النجبة ويقال ايضا لا ثاغية ولا راغية أى لا غنم ولا ابل ثم مدحته حتى استعفى وقال لم يصب وصفى منذ دخلت العراق غيرها ثم قال لخازنه اقطع لسانها فاراد ذلك ويحك انما اراد بالعطاء فراجعه فغضب وامر بعودها ثم قال لجلسائه هذه ليلى التى مات توبة من حبها ثم قال لها انشدينا ما قال فيك فأنشدت حمامة بطن الواديين فقال وماقلت انت فيه فقالت كثيرا ايها الامير فقال هات فانشدت

نظرت ومن دونى عماية منكب * وبطن الركايا نظرته النواظر
اوانس ان لم يقصر الطرف دونهم * فلم تقصر الاخبار والطرف قاصر

وهى قصيدة ترثيه فيها بكلام حسن غير أن فيها طولا *(ومن محاسنها فى توبة)*

أتته المنايا بين زعف حصينة * واسمر خطى وجرداء ضامر
على كل جرداء السراة وسابح * دوان بشبا الحديد زوافر
عوابس تغشى التغلبية ضمرا * فهن سراح بالشكيم الشواجر
فلا يبعدنك الله يا توب انما * لقاك المنايا دارعا مثل حاسر
فان لم يكن بالقتل برّا فانكم * ستلقون يوما وردة غير صادر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى * لقدر عيالا دون جار مجاور
ولا تأخذ الابل المهارى رماحها * لتوبة من صرف السرى فى الصنابر
اذا ما رأته قائما بسلاحه * تقنه الخفاف بالثقال البهازر
اذا لم يجز منها برسل فقصره * ذرى المرهفات والقلاص التواجر
قرى سيفه منها مشاشا وضيفه * سنام المهارى السباط المشافر

يا لائمى فى هواها
افرطت فى اللوم جهلا
ما يعلم الشوق الا
ولا الصبابة الا
(ومما احسن) قول ابن سنا الملك فى هذا المعنى
اهوى الغزالة والغزال وربما
نهنهت نفسى عفة وتدينا
واقد كففت عنان عينى جاهدا
حتى اذا اعميت أطلقت العنا
(وقوله أيضا)
دنوت وقد ابدى الكرى منه ما ابدى
فقبلته فى الخد تسعين أو احدى
(وقوله ايضا)
وظبى حكى ريم الفلا فى نفاره
فما باله لم يحكه فى التلفت
يدافعنى عن وصله بتهجم
فيا ليته لو كان يدفع بالتى
(وقال شيخ الشيوخ بحماة)
اليكم هجرتى وقصدى
وفيكم الموت والحياة
امنت أن توحشوا فؤادى
فآنسوا مقلتى ولا تو
(وقال ابن المعتز)
زاحم بكى كه فالتويا
وافق قلبى قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكتويا
ياقرة العين ويا همى ويا
(وقال ابن مطروح)
والله لا خطر السلو بمهجتى
مادمت فى قيد الحياة ولا اذا

وتوبة احيى من فتاة حييـة * واجرأ من ليث بخفان خادر
ونعم الفتى ان كان توبة فاجرا * وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها * فتطلعه عنها ثنايا المصادر
كان فتى الفتيان توبة لم يخن * قلائص يفحص الحصى بالكراكر
ولم يثن ابرادا عتاقا لفتيـة * كرام ورحل قيل فى الهواجر
ولم ينجل الضيفان عنه وبطنه * خميص كطى السبت ليس بغادر
فتى كان للمولى سناه ورفعة * وللطارق الساري قرى غير فاتر

(ومنها)

فأقسمت ابكى بعد توبة هالكا * وأحفل من نالت صروف المقادر
على مثل همام وكابن مطرف * تبكى البواكى او كبشر بن عامر
غلامان كانا استوردا كل سورة * من المجد ثم استوثقا فى المصادر
ربيعى حيا كانا يفيض نداهما * على كل مغمور نداه وغامر
كان سنانا ريهما كل شتوة * سنا البرق يبدو للعيون النواظر

(ومن مراثيها فيه أيضا)

أياعين بكى توبة بن الحمير * بسح كفيض الجدول المتفجر
لتبكى عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤون العبرة المتحدر
سمعن بهيجا اضلعت فذكرنه * ومايبعث الاحزان مثل التذكر
كان فتى الفتيان توبة لم يسر * بنجد ولم يطلع مع المتغور
ولم يرد الماء السدام اذا بدى * سنا الصبح فى بادى الحواشى منور
ولم يغل بالجود الجياد يقودها * أسرته يوم المشان فاقسر
ولم يغلب الخصم الصحاح ويملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر
وصحراء موماة يحار بها القطا * قطعت على هول الجبان بمنسر
يقودون قبا كالسراحين لاحها * سراهم وسير الراكب المتهجر
فلما بدت اولى العدو سقيتها * بصياب مسكوب المزاد المقير
ولما اهابوا بالنهاب حويتهم * بخاطى البضيع كره غير أعسر
بمتركم الاندرى مشابر * اذا ماونينا مخصف الشد محضر
وألوت بأعناق طوال وراعها * صلاصل بيض سابغ ومسور
ألم تر أن العبد يقتل ربه * فيظهر جد العبد من غيره ظهر
فتلم فتى لايسقط الروع رمحه * اذا الخيل جالت فى القنا المتكسر
فيا توب للهيجا ويا توب للندى * ويا توب للمستنبح المتنور
ويارب مكروب اجبت ونائل * بذلت ومعروف لديك ومنكر

(رجع الكلام فى العذل)
(وقال الآخر دوبيت)
لما نظر العذال وجدى بهتوا
فى الحال وقالوا لوم هذا عنت
ما نحسب الا انا نعذله
يسمع من يعقل من يلتفت
(وقال الآخر)
قالوا اسله واطرح هواه
فقد بدا كذبه وافكه
فقلت بالله لا تطيلوا
والله والله ما افكه
(وما أحسن) قول شهاب الدين
ابن الخلجى رحمه الله
وعذول رابنى فى بعضه
كلما زدت ابازاد لجاجا
ماعذولى قط الا عاشق
ستر الغيرة بالعذل وداجى
(وقال آخر)
لو رأى وجه حبيبى عاذلى
لتفارقنا على وجه جميل
(انشدنى) الشيخ برهان الدين بن
القيراطى
ذهب العمر بلوم
وصدود من غزال
فى سبيل الحب عمر
ضاع فى قيل وقال
(وقال الشيخ ابراهيم بن المعمار)

وأنشدنه غير ذلك مما لا حاجة لنا الى ذكره اذ ليس على شرطنا فانهم عليها فوق ماسألت ثم قال لها هل بقى لك حاجة قالت نعم تدفع الى النابغة احكم فيه بما أرى وكان يتهاجى هو واياها فلما سمع بذلك هرب الى الشام فتبعته ثم استأذنت عبد الملك فيه فأذن لها وأظنه الذى سألها عن توبة أكان كما يقول الناس فقالت يا أمير المؤمنين كان والله سبط البنان حديد السنان عفيف المئزر جميل المنظر لا معاوية كما قيل هناك انهما لم تزل فى طلب النابغة حتى توفيت بقومس بلدة من اعمال بغداد على جانب الفرات وقيل بحلوان والمدى بينهما قريب وهذا يعارض ماسبق من موتها عند قبر توبة وظاهر تظافر الروايات صحة الاول

(ومنهم عامر بن سعيد بن راشد)

وينسب الى كعب بن الاميل الطائى كان يهوى ابنة عمه جميلة بنت واثلة بن راشد قال فى النزهة ان ولادتهما كانت فى ليلة واحدة ونشأ غير متفرقين حتى بلغا الحلم وقد اشتد كلف كل منهما بصاحبه وكان سعيد ذا ثروة وكان أخوه واثلة قد اتفق معه على تزويج ابنته من عامر فاتفق ان وقع بين تميم ومزينة فانتهبت مزينة فلم يترك لسعيد ثنية ولا ناب ووقع فيه جراح كثيرة فمات أثر الوقعة بأيام وقد أملق أهله فامتنع واثلة من تزويج عامر وحجبت جميلة عنه فاختبل واعتوره الجنون وقال الشيزرى لم يمنعه منها الا ملاقه وانما كان أبوه يمنعه عن أن يشيع عشقها فلما مات أشاعه فى العرب وشبب بها فامتنع عمه لما سبق لك بيانه من عادة العرب ولما اشتد به الحال أشار النساء على والدته ان تعرض عليه العذريات فكان كلما رأى واحدة ينكرها ثم ينفض الصعداء ويقول ماء ولا كصداء المثل السابق فلما كان بعد مدة قدم رجل من طيئ على واثلة فخطب جميلة منه وذكر النسب فزوجها منه فلما زفت اليه وقع عامر على الوساد فاعتزلت به أمه عن العرب لئلا يرى الزفاف قال الاخفش سعيد بن مسعدة خرجت فى طلب ضالة لى فوقفت على هذا البيت او قال نزلنا على ماء لطيئ فاذا أنا بخيمة منفردة فقصدتها واخرج الحكاية فى نديم المسامرة عن ابى عمرو بن العلاء عن تميمى فأسندها الى الاصمعى وأخرج الدقاق عن لاسدى ان المباشر للحكاية هو الاصمعى وعلى كلا التقديرين فحمل الاتفاق ان الرجل حين انتهى الى البيت رأى عجوزا عليها بقية الجمال ساهية متفكرة وفى كسر البيت شخص كالخيال مسجى عليه قطيفة قال فسألتها عنه فقالت هو ولدى وشأنه كذا وأعادت القصة ثم قالت هل لك ان تعظه فوعظته وزهدته حتى قلت له انها امرأة كغيرها ألا ترى كيف يقول كثير

هل وصل عزة الا وصل غانية * فى وصل غانية من وصلها خلف

فقال هو مائق يعنى أحمق وأنا وامق يعنى صادق الالفة فلست كهو انما أنا كاخى تميم يعنى جميل حيث يقول

ألا لا يضير الحب ما كان ظاهرا * ولكن ما أخفى الفؤاد يضير

لو رأى حسن وجهه
عاذلى فى التبسم
ذهبت روحه كما
قيل فى ورد رهم
(وقال أيضا)
لح العذول ولامنى
فيمن أحب وعنفا
فهممت الطم رأسه
مما ملكت تأسفا
لكنما زلقت يدى
وقعت على أصل القفا
وما أظرف قول النور الاسعردى
وقالوا دع المعشوق واهجره دائما
ألم تر بعد الملاحة ينتف
أينتف من أجلى ويتعب دائما
وأهجره تالله ما أنا منصف
(وقال آخر)
قل للعذول أطلت اللوم فى قمر
يزيدنى كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما فى حسنه عجب
قم فانظر الورد فى خديه منشورا
(وقال محيى الدين البغدادى)
ان لامنى من لا رآه فقد
جار على الغائب بالحكم
وان لحانى من رآه فقد
أضله الله على علم
(وقال البهاء زهير)
أنت الحبيب الاول
وملك الهوى المستقبل

ألا قاتل الله الهوى كيف قادنى * كما قيد مغلول اليدين أسير

ثم أنشد

ألا ما للملحة لا تعود * أبخل بالمليحة أم صدود
مرضت فعادنى عوادقومى * فما لك لم ترى فيمن يعود
فقدتك بينهم فبكيت شوقا * وفقد الالف يا أملى شديد
فلو كنت المريضة لا تكونى * لعدتكم ولو كثر الوعيد
ولا استبطأت غيرك فاعلميه * وحولى من ذوى رحمى عديد

ثم فاضت نفسه فجزعت فقالت العجوز لا تخف فقد استراح مما كان فيه ولكن ان أحببت كمال الصنيعة فانعه الى الابيات ففعلت فخرجت جارية عليها أثر العرس وهى أجمل من رأيت فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته وأنشأت

عدانى ان أزورك يا منايا * معاشر كلهم واش حسود
أذاعوا ما علمت من الدواهى * وعابونا وما فيهم رشيد
فأما اذ حللت ببطن أرض * وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لى الدنيا فواقا * ولا لهم ولا أثرى عديد

ثم خرجت ميتة فخرج شيخ وهو يقول لئن لم أجمع بينكما حيين لاجمعن بينكما ميتين ودفنهما فى قبر هذا ما اتفق عليه سوى الوعظ فلم يروعن الاخفش وبعض تغيير فى الابيات فان الاخفش لم يرو الثالث وروى التميمى لم تعدنى اى بدل لا تعود

* مرضت فعادنى أهلى جميعا * وفى النزهة فما استبطأت غيرك وهو الاقعد وفى قولها عن التميمى * عدانى أن أعودك يا حبيبى * معاشر فيهم وفيها انها قالت له حين نعى بقيك الحجر المصلت من تنعى قلت فلانا قالت أو قدمات قلت نعم وعن الاصمعى انه حين سأله عن حاله لم ينطق فقال له من حوله اذكره الشعر فانشد

سبق القضاء بأننى لك عاشق * حتى الممات وأين منك مذاهبى

فانشد

أخلو بذكرك لا أريد محدثا * وكفى بذلك نعمة وسرورا
أبكى فيطربنى البكاء وتارة * يأتى فيأتى من أحب أسيرا
فاذا أتى سمح بفرقة بيننا * أعقبت منه حسرة وزفيرا

وفيها قال انه عامر بن غالب وجميلة بنت أميل

(ومنهم ما حكى الاصمعى)

قال بينا أنا أسير اذ جننى الليل فأويت الى جبانة فتوسدت قبرا فاذا أنا بهاتف منه يقول

أنعم الله بالخيالين عينا * وبمسراك يا سعاد الينا
وحشة ما لقيت من خلل القبـ * ـر عسى ان نرالك وأن ترينا

فدخلت حين طلع الصبح الى الحى فاذا أنا بجنازة فتبعتها حتى جاؤا بها فدفنت الى جانب القبر الذى سمعت منه الصوت فخفت ثم بذلك فأخبرونى ان هذا الرجل منهم أحب ابنة عمه

عندى لك الود الذى
هو ما عهدت وأكثر
القلب فيك معذب
والدمع فيك مسلسل
يا من بهدد بالصدو
دنم تقول وتفعل
قد صح عذرك فى الهوى
لكننى أتعلل
قل للعذول لقد أطلـ
ـت لامن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوى
وعذلت من لا يقبل
غضب الحبيب وأسهل
(وقال أبو العتاهية) لقيت أبا نواس فى المسجد الجامع فعذلته وقلت له اما آن لك ان ترعوى وتزدجر فرفع رأسه الىّ وقال
أترانى يا عتاهى
تاركا تلك الملاهى
أترانى مفسدا بالـ
ـنسك عند القوم جاهى
فلما ألححت عليه فى العذل أنشأ يقول
لا ترجع الانفس عن غيها
ما لم يكن منها لها زاجر
فوددت انى قلت هذا البيت بكل شئ قلته وقال جويان القواس أصغى الى قول العذول بجملتى
مستفهما عنه بغير ملال

هذه فتزوج بها فلم تقم الا قليلا فلما حضرته الوفاة تعاهدا على أن لا تتزوج بعده فاشتد بها الوجد حتى ماتت الليلة قلت وهذا جائز ان يقع من النفوس المجردة اذا تصادق اعتلاقها فان اللذات بعد مفارقة الهيا كل الجسمانية أعظم

(ومنهم فتى أسدى)

أحب ابنة عمه وكان اسمها سعدى فمنعه أبوه أن يتزوج الا بأرفع منها وأبى الغلام الاهى فلما أيس أبوها زوجها من رجل فاشتد وجد الغلام وانه لقيها يوما فأنشد

لعمرى يا سعدى لطال تأيبى * ومعصيتى شيخى فيك كلاهما
وتركى للحين لم أبغ منهما * سوالك ولم يربع هواى عليهما

(فقالت الجارية)

حبيبى لا تجعل لتفهم حجتى * كفانى ما بى من بلاء ومن جهد
ومن عبرات تعتريني وزفرة * تكاد لها نفسى تسيل من الوجد
غلبت على نفسى جهارا ولم أطق * خلافا على أهلى بهزل ولا جد
وان يمنعونى ان أموت بزعمهم * غداة خوف هذا العار فى جدث وحدى
فلا تنس ان تأتى هنالك فتلتمس * مكانى فتشكو ما تحملت من جهد

فقد أوضحت له انها هالكة من الغد بعشقه فلما كان الموعد جاء فوجدها ميتة فاحتملها الى شعب بذرى جبل يقال له عرفات بفتح المهملة وضمها ملتزما لها فمات واختفى أمرهما حولا حتى مر شخص من العرب فسمعها تفاعل على الجبل يقول

انا الكريمان ذوا التصافى * الذاهبان بالوفاء الصافى
والله ما لاقيت فى نطوافى * أبعد من غدر ومن اخلاف
من مبتغين فى ذرى اعراف

فصعد الناس فوجدوهما على تلك الحالة فواروهما

(ومنهم عمرو بن كعب بن النعمان ابن المنذر بن ماء السماء ملك العرب المشهور)

قال ابن عساكر وكان من فرسان العرب وجماتها وكرمائها وشجعانها وان جده النعمان صاحب الخورنق هو الذى كفله حين مات أبوه وهو صغير فلما زهد النعمان فى الملك كما هو منهم ورضاع أمر الغلام قال فى الشامات فأخذه عمه أبو النجاد فلما بلغ عنده وكان له بنت تعرف بالعقيلة وهى من أجمل نساء العرب وأعلمهن بالادب وأحوال العرب أياما ووقائع فعلقت نفس عمرو بها واشتد ولوعه وزاد غرامه خطبها الى عمه فطلب منه مهرا يعجز عنه فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج الى ابرويز بن كسرى لما كان بين جدودهما من الوصلة فلما ذهب فى الطريق مر بعراف فبات عنده فاستعلم منه الامر فاخبره انه ساع فيما لا يدرك فعاد فوجد عمه قد زوج العقيلة لفزارى فهام على وجهه الى اليمامة فلما بغى بها الفزارى وكان عندها من العشق لعمرو اضعاف ما عنده لها فكانت تنشد

لتلقطى زهرات ورد حديثكم
من بين شوك ملامة العذال
قلت هذا هو العاشق والمحب الوامق الاتراه كيف صغى الى عذوله الفاعل الصانع وجنى من عذله جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع فهو فى هذا المقام من الانبات كما قال أبو الشيص من أبيات
أجد الملامة فى هواك لذيذة
حبا لذكرك فلتلمنى اللوم
(وقال ابن رشيق) وقد زاد على أبى الشيص فى قوله هذا ابن جابر الخزاعى حيث يقول
هددت بالسلطان فيك وانما
أخشى صدودك لا من السلطان
أهوى الملامة فيك حتى لو درى
أخذ الرشا منى الذى يلحانى
حسبى لقول الناس بعد منيتى
هذا قتيل فى وداد فلان
فلا تنفقن عليك عمرى كله
ولا عشقن عليك كل هوان
قلت والذى أقوله أنا فى هذا المقام ان صاحب هذا الكلام غريم الغرام وخديم كؤس المدام الاتراه كيف بالغ حتى جعل للعذول جعالة فأصبحت حالته كما قيل ضغث على أبالة فهو كما قال بعض السادات من أهل الولايات

الفزارى اذا جن الليل الى كسر البيت وتبيت فى الخدر فاذا أصبح الصبح تطلقه فيسمى
أن يخبر العرب بذلك فأقام على هذا الحال سبعين ليلة فلما كثر تبخ العرب له واختلاف
ظنونهم به خرج فلا يدرى أين ذهب وأقامت العقيلة بيت أبيها الا تتناول الا الاقل مما
يمسك الرمق ودأبها البكاء على عمرو وهو كذلك ولم يمكنهما الاجتماع قال الفريابى فى عجيب
الاتفاق فى تطابق أحوال العشاق فرض عمرو مرضا كاد ان يأتى على نفسه فكان لا يرى
الا شاخصا الى السماء متمسكا بسبب قد علقه بيديه من العشاء الى الصباح وهو ينشد

اذا جن ليلى فاضت العين أدمعا * على الخد كالغدران او كالسحائب
أو تطلوع الفجر والليل قاتل * لقد شدت الافلاك بعد الكواكب
فما أسفى الاعلى ذوب مهجتى * ولم أدر يوما كيف حال الحبائب

فلما كان بعد أيام دخل عليه صديقه فوجده غاصا بالضعف مستبشرا فسأله فقال

لقد حدثتنى النفس ان سوف نلتقى * ويبدل بعد بيننا بتدانى
فقد آن للدهر الخؤون بانه * لتأليف ما قد كان يلتئمان

ثم شهق شهقة فاضت نفسه فيها قال الفريابى فضبط اليوم الذى مات فيه فوجد موت
عقيلة فى ذلك اليوم أيضا وأخرج المصنف عن ابن دريد عن الفرزدق قال خرجت
فى طلب غلام آبق فلما صرت على ماء لبنى حنيفة جاءت السماء بالامطار فلجأت الى بيت من
جريد النخل فيه جارية سوداء فأنزلتنى فلم ألبث الا ريثما أخذت الراحة وقد دخلت لى
جارية كأنها القمر فحيت ثم قالت ممن الرجل قلت تميمى قالت من أيها قبيلة قلت من
نهشل بن غالب فقالت اذا أنتم الذين يقول فيكم الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول
بيتا زوارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

قلت نعم قالت قد هدمه جرير بقوله

أخزى الذى سمك السماء مجاشعا * وأحل بيتك بالحضيض الاوهد

قال فأعجبتنى فلما رأت ذلك فى عينى قالت أين تؤم قلت اليمامة فتنفست الصعداء
ثم قالت تذكرت اليمامة ان ذكرى * بها اهل المروأة والكرامه
الا فسقى المليك أجش جونا * تجود بصحة تلك اليمامه
أحى بالسلام أبا نجيد * فأهل للتحية والسلامه

قال فانست بها فقلت أذات خدر أم ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا * تؤرقه الهموم على الصباح
تقطع قلبه الذكرى وقلبى * فلا هو بالخلى ولا بصاح
سقى الله اليمامة دار قوم * بها عمرو يحن الى الرواح

فقلت لها من عمرو فأنشدت

لو تعلم العوام ما فى قلوبنا من
جلاوة العفو لتقربوا الينا
بالجنايات ومثل قوله هددت
بالسلطان قول الآخر
وان تذرت فيك العشية فتلتى
فلا موت عندى فى هوى السلام
ومن أعجب الاشياء خوفى فى الهوى
ولى كل يوم فى حمام الحمام
(وقلت أنا)
وعاذل بالغ فى عذله
وقال لما هاج بالى
بعارض المحبوب ما تنتهى
قلت ولا بالشيب والوالى
(وقلت أيضا)
عذلوا على من رام قتلى فى الهوى
فكلامهم ضرب من الهذيان
جهلوا وما علموا بان الطعن فى ال
محبوب غير الطعن فى الميدان
(وقلت أيضا)
كم خالف العذال قولى فى الذى
فى كل يوم حسنه يزداد
ان قلت أمسى فى الملاحة مفردا
قالوا اتقى عطفه المياد
(وقلت أيضا)
ياعاذلى لا تلحفى
فى حب هذا القبطى
واقطع بوصل بيننا
بالله رأس القط
(وقلت أيضا)

اذا رقد النيام فان عمرا * هو القمر المنير المستنير
ومالى فى التبعل من براح * وان ردا التبعل لى أسير

ثم سكتت كأنها تسمع كلاما ثم أنشأت تقول

يخبل لى أبا كعب بن عمرو * بأنك قد حملت على سرير
فان يك هكذا يا عمرو انى * مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت

(ومنهم ما حكاه الاصمعى)

وقد قال له الرشيد حدثنى بأعجب ما رأيت قال أخبرنى السميدع بن عمرو الكلابى وقد جاوز
المائة قال كنت كثير الاسفار فررت قاصدا اليمامة بيت يلوح وقد قرب الليل فأردت
المبيت عنده فقالت لى امرأة منه أضيف أنت قلت نعم فقالت على الرحب والسعة
ولكن تنح حتى يأتى رب المنزل فعدلت الى طوى هناك فسقيت ناقتى وجلست واذا
بسوداء تحمل جفنة ثريد معها تمر ورطب فقالت تعلل بهذا فقلت فى دونه كفاية فأكلت
وأخرجت دقيقا فأطعمت ناقتى وتوسدت ذراعها واذا بقيم قد حال بينى وبين البيت
ثم غفت عينى فلم أفق الا وشاب على أحسن ما يكون ومعه عبيد قد أقبلوا بحطب ونار
فأضرموها وجاؤا بكبش فذبح وكشط وطبخوا وثردوا وقدم الىّ فأكلت ثم قال لى كن هنا
حتى آتيك الصباح فلما أشرف الصبح جاء ففعل كما فعل ليلته فلما أكلت قال لم أقض حقك
فأقم عندى يوما فقلت سمعا وطاعة فركب ومكثت ساعة واذا الجارية تقول لى أجب
ابنة عمك فقلت كيف أكلمها وقيها غائب قالت من وراء حجاب فأقبلت فسلمت فقالت
يا ابن العم أتريد اليمامة قلت نعم قالت فاحفظ عنى هذه الرسالة وأعد الى جوابها وأنشدت

أعلى العهد مالك بن سنان * أم سقاه أفاق الغدر ساق
ان يكن خان اوتناءى فانى * لعلى العهد ما استتاع رماق
ما ألم الرقاد مذ بنت الا * بجفون قريحة الآماق
فعليك السلام مالألأ النو * ر ومادب فى الثرى عرق ساق

ثم قالت ليكن انشادك الابيات بالحضرمة فلما خرجت فى اليوم الثانى خرج الشاب فقال
يا ابن عمى هل أنت مبلغ عنى رسالة وعائدا الى بجوابها قلت نعم فقال قف بقزان بنى سحيم
وانشد أيا سمر حتى قزان بالله خبرا * عن البكرة العيساء كيف نزاعها
فلو ان فيها مطمعا لمتيم * نأت دارها عنه وخيف امتناعها
لهان عليه جوب كل تنوفة * يخاف عليه جورها وضياعها
تغربت عن نفسى وأيقنت انها * تريد وداعا يوم جد وداعها

فلما دخلت اليمامة وقفت حيث وصف وأنشدت الابيات واذا بجارية حاسرة كأنها مهرة
تنشد تحمل هداك الله منى تحية * اليه جديد كل يوم سماعها

مليح الترك لا سيما الخطابى
عليه الشيخ يعذر للتصابى
فدعنى من ملامك يا عذولى
فحبى للخطا عين الصواب
(وقلت فيمن اسمها حكم الهوى)
حكم الهوى صدقت فيت لاجل ذا
والهان من فرط الصبابة والجوى
ياعاذلى لا تلحنى فى حبها
نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى
(وقلت)
أقول لظبى قلبه يشتكى الاسى
هوا الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
نصحتك علما بالهوى والذى أرى
مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو
(وقلت من قصيدة)
وازنت صبلى للعذول وقده
فرأيت صبلى للقوام رجيحا
ياعاذلى لا صافحت يد النوى
حتى توسد فى التراب صفيحا
ولقد نصحت بنى الصبابة فى الهوى
لكنهم لا يقبلون نصيحا
(وقلت) من قصيدة مدحت بها
مولانا السلطان الملك الناصر
فيا من جاء يعذل مستهاما
على حلو الشمائل ما أمرك
(وقلت) أيضا من قصيدة أمدحه
بها خلد الله ملكه مطلعها
للك من حبيبك ما تحب وتشتهى
فاجعل مدامك من مقبله الشهى

وخبر عن العيساء ان قد توجت * عليها مراعيها وطال نزاعها
لقد قطع البين المشتت ألفة * عزيز علينا ان يحم انقطاعها

ثم شهق شهقة فمات فلما اردت الانصراف وقفت بالحضرمة وأنشدت أبيات المرأة فأجابني فتى لم يحل عن وفائه ابن سنان * لاولاغاله انتشاء الفراق

ان بين الحشا لهيب اشتياق * ليس يطفى جواه الا التلاق
انما أبقت الهموم خيالا * بالبا ممكا بماء الرماق

ثم شهق شهقة فمات فلما رجعت الى الحى أخبرت المرأة بجوابها فشهقت شهقة فارقت نفسها وعلت الاصوات فأقبل الشاب فقال لى ماشأنها فأعلته الخبر ثم أنشدته جواب أبيانه فقال فها أنا أيضا بيت ثم اضطجع فكانما كانت نفسه بيده وهذه الحكاية أخرجها فى نديم المسامرة والشهاب فى منازل الاحباب والحافظ مغلطاى فى الواضح وأمثال هذه عندهم يعرف بالعشق المسلسل ونظيره ماحكاه الشيرزى عن العتبى قال تذاكرنا العشق يوما وبيننا شيخ ساكت فقلنا له الا تحدثنا بما عندك فى هذا فقال جلسنا يوما للشرب ومعنا قينة فغنت

علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال شاب كان فى المجلس أحسنت والله يا سيدتى أتأذنى لى أن أموت فقالت مت راشدا ان كنت عاشقا وكان يهوى القينة فاضطجع فاذا هو ميت فتنغص مجلسنا ثم دخلت الى اهلى فأخبرتهم بالقصة وكان لى ابنة تهوى الشاب ونحن لا ندرى فلما سمعت الخبر قامت الى خلوة وأنكرت قيامها فدخلت اليها فاذا هى متوسدة كما وصفت لها الشاب ميتة فلما خرجنا بجنازتها وبالشاب وجدنا جنازة ثالثة واذا هى القينة ماتت حين بلغها موت ابنتى لانها كانت تهواها

(ومنهم ما أخرج الحافظ عن ابن دريد عن عبيد النعالى غلام أبى الهذيل)

قال رجعت من تشييع جنازة وقد اشتدت الهاجرة فملت الى ظل اتقيه به فسمعت صوتا مطربا فطرقت الباب أستسقى الماء فخرج شاب على أحسن صورة غير ان العلة لم تبق الا رسمه فادخلنى الى موضع أنيق بالفرش وجاءت جارية فغسلت رجلى ثم بعد يسير جاءت بالطست فقلت قد غسلت قالت نعم ولكن اغسل يديك للغداء ففعلت وجاؤا بطعام فأقبل يضاحكنى ويأكل متغصصا والعبرة تخنقه ثم جاء بشراب فسقانى وشرب ثم قال قم بنا الى نديم الى فدخلت معه الى بيت لطيف فيه قبر قد صب حوله الرمل فجلسنا فشرب وسقانى ثم أنشد يقول

اطأ التراب وأنت رهن حفيرة * هات يداى على صدا لترابها
انى لاغدر من مشى ان لم اطأ * جفون عينى ماحييت جنابها

الى

لو أن حشو جوانحى متلبس * بالنار اطفأ حرها واذابها

ثم أكب على القبر مغشيا عليه فجاء خادم فرش عليه الماء فأفاق فشرب وسقانى وانشد

اليوم ثاب لى السرور لانى * أيقنت انى عاجلا بك لاحق
فغدا أقاسمك البلا ويسوقنى * طوعا اليك من المنية سائق

ثم قال قد وجب علينا حقى فاحضر غدا جنازتى فدعوت له بطول البقاء وانصرفت ففاقتنى ان لم تقل

جاور خليلك مسعدا فى رمسه * كيما ينالك فى البلا ما ناله

فانصرفت عنه فلم أعرف نوما حتى أصبحت فأتيته فاذا هو قد مات فدفن الى جانبها قلت نقل فى عجيب الاتفاق وليس من شأنه هذا ان هذا الشاب كان يهوى ابنة عمه ومنع منها زمانا ثم مات أبوها فتزوج بها فأقام معها ثلاث ليال ثم حمت ساعة من نهار فجلس وأخذ رأسها على ركبته فطلبت الماء فشربت فشرقت فمات فدفنها فى بيته وأقام يبكى وقد هجر الطعام والشراب واللبس والنوم فكانت مدته الى أن لحق بها ثلاثة عشر يوما وأيضا من نظير المسلسل ماروى عن يونس النحوى قال نزلت بصديق لى ببادية يقال له مالك العذرى فاذا نحن بامرأة تقول قد تكلم فاستبشر النساء بذلك فسألت صديقى عن الخبر فقال رجل منا أحب ابنة عمه وتزوجها رجل وحملها الى الحجاز فصار ملقى على فراشه من نحو حول لا ينطق فقلت أحب ان أنظره فقمنا حتى وقفنا عليه فقالت أمه ياولدى هذا عمك مالك ففتح عينيه وانشد

ليبكنى اليوم أهل الود والشفق * لم يبق من مهجتى الا شفا رمق
اليوم آخر عهد بالحياة فقد * أطلقت من ربقة الاحزان والقلق

ثم تنفس فاذا هو ميت فقمنا عنه فلما رجعنا اذا نحن بشابة بيضاء ناعمة الشباب تبكى بحرقة وجزع فسألناها عن السبب فانشأت

اليوم أبكى لصب شف مهجته * طول السقام وأضنى جسمه الكمد
ياليت من خلف القلب المقيم به * عندى فأشكو اليه بعض ما أجد
انشر تريك اسرى لى النسيم به * أم أنت حيث يناط الصحر والكبد

ثم شهقت شهقة خرت ميتة فسألنا عنها فاذا هى تهوى الشاب قلت قال فى النزهة عن الرياشى عن يونس هذا قال اجتمعت بصديق بعد ذلك اليوم بمدة لا تزيد عن شهرين فقال لى أتعرف الشاب الذى مات يوم كذا قلت نعم قال قدم علينا الحجازى زوج ابنة عمه فاخبر ان المرأة من لدن حملها لم تنفك عن المرض حتى قضيت يوم كذا فاذا هو اليوم الذى مات فيه الشاب

(ومنهم ما حكاه الكاتب)

قال كان فى منتزه وقد أقبل ابن عائشة يسوس غلاما لا يستطيع ان يملك نفسه فسألناه

مورد الخد مليح الشنب
ياومنى العاذل فى حبه
ومادرى شعبان انى رجب

(وقلت أنا أيضا)

يسطو على من الدلال كأنه
غازان اذ يسطو على حرمانه
ان رد فى عنه قضيب قوامه
فأنا القتيل بلحظه وبيانه
انى وحقك فى هواه متيم
صب غدا رجبا على شعبانه

وقولهم سبق السيف العذل هو مثل من أمثال العرب يضرب فى الامر الذى لا يقدر على رده وأصله ان سعدا وسعيدا ابنى ضبة ابن أدخرجا فى طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان أبوه ضبة اذا رأى رجلا مقبلا قال أسعد أم سعيد ثم انه فى بعض مسيره أتى الى مكان ومعه الحرث بن كعب فى الشهر الحرام فقال له الحرث قتلت ههنا فتى هيئته كذا وكذا وأخذت منه هذا السيف فقتلوا له ضبة فعرفه فقال ان الحديث شجون ثم ضربه فعذله فقال سبق السيف العذل فتداولت الشعراء ذلك ونظموه

(ومن أحسن ماسمعته فيه قول السراج الوراق)

عن أمره فقال من العشق فتذاكرنا أخبار العشاق فقلت الا أحدثكم بأعجب من هذا قالوا هات قلت أخبرني بعض العرب قال مررنا بماء وعليه صبية يتغاطسون وقريب منهم شاب عليه أثر الجمال الا انه كالمتحمل من علة فسلمت عليه فقال ممن الراكب قلت من الحي فقال من كم عهد لك به قلت قريبا فتنفس الصعداء وانشد

سقى بلدا أمست سليمى تحله * من المزن ما يروى به ويشيم
وان لم أكن من قاطنيه فانه * يحل به شخص علي كريم
الا حبذا من ليس يعدل قربه * لدي وان شط المزار نعيم
ومن لامني فيه حبيب وصاحب * فرد بغيظ صاحب وحميم

ثم أغشي عليه فنضحنا عليه الماء فأفاق ثم أنشد

اذا الصب الغريب رأى خضوعي * وانقادي تزين بالخشوع
ولي عين أضربها التفاتي * الى الاجزاع مطلقة الدموع
الى الخلوات يأنس فيك قلبي * كما انس الغريب الى الجميع

فقلت له ان كان لك حاجة فيها شفاء نفسك فمرني بها فاني مطيع فقال أعلم انك محل ولكن لم تدرك مني الاصبابة لا تتلافى فقارقته فبلغني انه لم يبت تلك الليلة

(ومنهم ما حكاه في منازل الاحباب)

قال كان في بني عذرة فتى ظريف يهوى محادثة النساء فعلق جارية فأضنته حتى لزم الوساد وسئلت في أمره فامتنعت حتى اذا بلغ الموت جاءته فحين رآها أنشد

أريتك ان مرت عليك جنازتي * تمر على أيدي طوال وشرع
أما تتبعين النعش حتى تسلمي * على رمس ميت في الحفيرة مودع

فخلفت انها لم تعلم انه بلغ به الحب الى هذا الحال وأخذت تستعطفه فتمثل بقول بشر بن حضرم الكلاعي

أنت وحياض الموت بيني وبينها * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

ثم أغشي عليه وانكبت تقبله فاذا هو ميت فلم تمكث بعده الا قليلا

(ومنهم ما حكاه ابن الجوزي)

ان رجلا علق جارية نصرانية وأخذوها منه حتى أزال عقله فحمل الى البيمارستان فأقام به مدة وكان له صديق يتعاهده فقال له يوما وقد أشرف على التلف قد أيست من ملاقاة فلانة في الدنيا وأخاف أن لا ألقاها في الآخرة ان مت مسلما ثم تنصرت ومات فخرج من عنده فوجدها عليلة وهي تقول قد أيست من فلان في الدنيا فأنا أسلم لالقاه في الآخرة ثم أسلمت وماتت

(ومنهم الحرث المشهور بابن الفرند من خزاعة)

وقال في الشامل انه من قحطان نشأ وابنة عمه عفراء بنت الاحمر ممتزجين بالالفة الى أن بلغا فتزوج بها فأقاما مدة يغو الهوى بينهما الى أن عزمت يوما على أن تزور أباها فجهزها

اليه

اليه فاقامت مدة وكل منهما يأبى أن يجيء بنفسه وزادت الوحشة بينهما وحلف أبواهما على ان يأتي أحدهما الآخر مخافة ان تزوى العرب به فرض الحرث فكتب اليها

صبرت على كتمان حبك برهة * ولي منك في الاحشاء اصدق شاهد
هو الموت ان لم تأتني منك رقعة * تقوم لقلبي في مقام العوائد

(فأجابته)

كفيت الذي تخشى وصرت الى المنى * ونلت الذي تهوى برغم الحواسد
ووالله لولا ان يقال تظننا * بي السوء ما جاوبت فعل العوائد

فلما قرأ ما في الرقعة وانتشق ريحها وكانت اعطرز مانها غشي عليه فاذا هو ميت فقيل لها ما كان عليك لو أجبته بزورة قالت خشيت ان يقال صبت اليه ولكني قاتلة نفسي عن قريب فلم يشعر بها الا وهي ميتة

(ومنهم عياش الكناني)

قال هشام خرجنا في حاجة وهو معنا فمررنا ببني حنيفة فرأى جارية منهم فوقعت من قلبه موقعا عظيما فتخلف عنا وراسلها فأبت وكان لا يخطئ سهمه اذا رمى فصعب قوسا وأقبل في الليل وهي نائمة بين اخوتها فايقظها فلما شعرت به قالت لئن لم تذهب لاوقظنهم فيقتلونك فخاف ان أعطته يدها يضعها على فؤاده تسكينا لما به انصرف ففعلت فانصرف فلما كان من قابل أتى وفعل كفعلته فقالت له كالاول فخاف ان أمكنته من رشفة مضى ففعلت وشعر به الحي فتبعوه فخرج على جبل واعقب الوقت مهاء فرجع النساء وأخذ الجارية من الوجد أضعاف ما عنده فخرجت مع جارية من الحي وقد زهر القمر فرآها على بعد وقد اسبلت شعرها من الندى فحسبها بعض من يطلبه فرماها بسهم فلم يخط قلبها ونزل فوجدها متضمخة وقد أشفت على الهلاك فقتل نفسه

(ومنهم ما رواه اعرابي أو هو جبلة بن الاسود)

قال خرجت في طلب ضالة لي فوقعت على راع عنده غنم يرعاها وقد اتخذ بيتا في كهف هناك فسألته القرى فرحب بي وانزلني ثم جاء بشاة فذبحها وجعل يشوي ويقدم الي ويحادثني حتى اكتنفت فلما جن الليل اذا بفتاة كأحسن ما يكون من النساء قد أقبلت اليه فجلسا يتحادثان حتى طلع الفجر فقمت وسألته الذهاب فأبى وقال الضيافة ثلاث فأقمت فلما جاء الليل رأيته يقوم ويقعد متضجرا ثم أنشد

مالي بمية لا تأتي كعادتها * اعاجها طرب ام صدها شغل
لكن قلبي عنكم ليس يشغله * حتى الممات ومالي غيركم امل
لو تعلمين الذي بي من فراقكم * لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسي فداؤك قد احلت بي سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل
لو ان غادية منه على جبل * لما دوانه مد من أركانه الجبل

قلت اذ جرد لحظا
حده يدني الاجل
ياعذلي كف عني
سبق السيف العذل

وعلى ذكر العذل والملام ذكرت قول أبي نواس في المدام

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

قال المفضل الضبي دخلت على الرشيد يوما فقال دلني على بيت أوله أكثم بن صيفي في اصابة الرأي وجودة الموعظة وآخره ابقراط في معرفة الدواء فقلت ياأمير المؤمنين لقد هوّلت علي فقال هو قول أبي نواس

دع عنك لومي البيت قلت وبقي لهذا البيت حكاية لطيفة حكاها الحريري في درة الغواص عن حامد بن العباس انه سأل علي بن عيسى في ديوان الوزارة عن دواء الخمار وقد علق به فاعرض عن كلامه فقال ما أنا وهذه المسئلة فخجل حامد منه ثم التفت الى قاضي القضاة أبي عمر فسأله عن ذلك فتنحنح القاضي لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالحي أهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية وقد قال

وكأس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه ابو نواس فقال

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

فاستحسنه وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ما ضرك يا بارد أن تجيب ببعض ما أجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة بقول الله تعالى أولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا وبين الفتيا وأدى المعنى وتبرأ من العهدة فكان نخجل على ابن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من نخجل حامد منه لما ابتدأه بالمسئلة وقال الشيخ صدر الدين ابن الوكيل

ان الذي جعل الهموم عقاربا
جعل المدام حقيقة دريافها
لم يصلب الراووق الا عندما
قطع الطريق على المدام وعاقها

فسألته عن شأنه فقال هذه ابنة عمي وأنا أحبها فخطبتها من عمي فأبى علي لفقري وزوجها من رجل وقد حملها الى هذا الحي فخرجت عن مالي وعملت راعيا لهم فهي تأتيني على غفلة من زوجها فأنظر اليها وتحادث ليس غيره والآن قد قلقت الفوات ميعادها وفي الطريق اسد قد كسر وأخاف ان يكون أصابها فعلي رسلك حتى اعود وأخذ السيف ومضى قليلا ثم عاد يحملها وقد اصابها الاسد فطرحها ثم غاب ورجع يجر الاسد مقتولا فطرحه وانكب يقبلها ويبكي ثم قال لي اسألك بالذمة الا ما دفنتني واياها في هذا الثوب وكتبت على القبر هذا الشعر فاني لا بقاء لي بعدها ثم انكب عليها فاذا هو ميت وقيل انكب على السيف فخرج من ظهره وفي رواية وغنما الى الصباح فوجدته ميتا فلففتهما ودفنتهما وكتبت على القبر الشعر الذي اوصى به وهو

كناء على ظهرها والدهر في مهل * والعيش يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتصريف اعظمنا * فاليوم يجمعنا في بطنها الكفن

ثم فرقت الغنم ومضيت الى عمه فأخبرته بذلك فكاد ان يقضي اسفا على عدم الجمع بينهما

(ومنهم كامل بن الرضين)

وكان يحب ابنة عم له يقال لها اسماء فافتتن بها حتى انحله السقم ولزم الوساد فسأل أبوه اباها ان يزوجها منه فقال له احمله الي لازوجه بها ففعل فلما علم بذلك قال اوانا بموضع تسمعني به قالوا نعم فشهق شهقة فماتت فقالت قد كنت قادرة على زيارته فتركتها خوف الريبة فلا تبعته ثم مرضت فقالت لاخص نسائها صوري لي صورته ففعلت فلما اعتنقتها فارقت نفسها فدفنت الى جانبه وكتب على قبريهما

بنفسي من لم يتعاب واهما * على الدهر حتى غيبا في المقابر
اقاما على غير التزاور برهة * فلما اصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبرا يحبه * ويا زورة جاءت بريب المقادر

(ومنهم مرة الهدى)

وكان قد شغف بابنة عمه ليلى وكانت اوحد زمانها حسنا فكتم حبه لها حتى تزوجها فاقام مدة لا يزداد حالهما الا شغفا الى ان أمره الخليفة بالتجهيز الى غزو خراسان فشكا اليها عدم القدرة على فراقها فقالت اصنع ما شئت فحملها معه حتى اودعها عند صاحب له وتعجل الغزو فلما رجع كره ان يدخل ابتداء فجلس بازاء القصر فخرجت جارية فسألها ما صنعت المرأة التي خلفتها عندكم قالت ذاك القبر الجديد قبرها فتردد حتى خرجت اخرى فاخبرته مثل ذلك فمضى الى القبر فجعل يتمرغ ويبكي ثم انشد

أيا قبر ليلى لو شهدناك أعولت * عليها انسا من فصاح ومن عجم
ويا قبر ليلى ما تضمنت قبلها * شبيها لليلى في عفاف وفي كرم
ويا قبر ليلى اكرم محلها * يكن لك ما عشنا علينا بها نعم

ومعنقي في الخمر لو قد ذاقها
ما لامني لكنه ماذاقها
قال اطرح صفراء بطني خمرها
لهب القلوب اذا اشتكت احراقها
فاجبته ذقها وخذ من بعدها
في طرق لومك ان أردت فراقها
وقد انصف شيخ الشيوخ بجماعة حيث قال
اعاذلي ليس مثلي من تفنده
وليس مثلك مأمونا على عذلي
ما دمت خلوا فما تنفك متهما
اعشق وقولك مقبول علي ولي
(وقال الآخر)
لو تعلم الورق حنيني نحوكم
لمزقت من طرب اطواقها
ولو يذوق عاذلي صبابتي
صبا معي لكنه ماذاقها
(حكي) أن السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فله ضعيف امض اليه وتفقد احواله فلما دخل القاضي الى دار العماد الكاتب وجد اشياء أنكرها في نفسه مثل آثار مجالس الانس وطيب ورائحة خمر وآلات

ويا قبر ليلى ان ليلى غريبة * بر اذن لم يشهدك خال به وعم
ولم يزل كذلك حتى مات ودفن الى جانبها

(ومنهم رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف)

تزوج ابنة عمه فشغف بها حتى لم يستطع فراقها فنفد ما معه وضاق حاله ولم يكتسب شيأ يقتات به فقالت له يوما لو خرجت الى هشام بن عبد الملك فسألته شيأ لما منعك فجهز نفسه فلما صار قرب الرصافة اغمي عليه ساعة ثم افاق وأنشد

بينما نحن بالملا كث بالقا * ع سراعا والعيس تهوى هويا
خطرت خطرة على القلب من ذك * راك وهنا فما استطعت مضيا
قلت لبيك اذ دعاني لذاك الشو * ق وللحب دين ردا المطيا
فكرونا صدور عيس عتاق * مضمرات طوين بالسير طيا
ذاك مما لقين من دلج السي * ر وقول الحداة بالليل هيا

ثم قال للجمال ارجع قال يا سبحان الله قد وصلت الى الرصافة فاقسم لا يخطى الا راجعا فلما عاد صادفه رجل من بني عمه فأخبره ان زوجته قد ماتت فلم يسمع منه الا شهقة وفارقته نفسه

*(فصل فيمن اناخ به الحب ثقله * حتى اذهب عقله)*

وهؤلاء المعروفون عند اهل القوانين بعقلاء المجانين وقد افردوا كثيرا بالتأليف وجعلتهم من الجاهيل لاشتباههم بهم فيما قدمت من الشروط

(فمنهم ما اخرجه مغلطاي عن الاديب)

قال عشق فتى عندنا جارية فلم يزل يزداد ولعه بها حتى ذهب عقله فكان آونة يسكن الى الناس واخرى يسكن الخربات ويتوحش فمرت به يوما في خربة يثير التراب على وجهه فسألته عن حاله فانشد

تيمني حبها واضناني * وفي بحار الهموم القاني
كيف احتيالي وليس لي بجلد * في دفع مابي وكشف احزاني
يارب اعطف بقلبها نفسي * ترحم ضعفي وطول اشجاني

ففارقته ومضيت فلما كان بعد مدة اذا أنا به يتمرغ على الارض فلما ابصرني قال يا عم أنا الليلة ميت قد عوت له ومضيت فلما أصبحت غدوت عليه فاذا هو قد قبض

(ومنهم ماذكره ابن المرزبان في الذهول والتحول عن سعيد بن ميسرة)

قال صحبنا شاب فكان لا يلهج الا بهذه الابيات

الا انما التقوى ركائب ادلجت * وادركت السارى بليل فلم ينم
وفي صحبة التقوى غناء وثروة * وفي صحبة الاهواء ذل مع العدم
فلا تصحب الاهواء واهجر محبها * وكن للتقى الفاتكن في الهوى علم

طرب فأنشده

ما ناصحتك خبايا الود من رجل
ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتي فيك تأبى أن تسامحني
بأن أراك على شئ من الزلل

(الباب الثالث عشر في ذكر الاشارة الى الوصل والزيارة)

أقول هذا باب عقدناه لذكر الزائر والمزور وما قيل فيهما من منظوم ومنثور وغير ذلك من عيادة الحبيب وما يستدل به عليه من روائح الطيب كما قيل

ولو أن ركبا يمموك لقادهم
نسيمك حتى يستدل بك الركب
نعم طالما اهدى الحبيب بزيارته
سرورا واسى له الفضل
زائرا ومزورا كما قيل
ان زارني فبفضله او زرته
فلفضله فالفضل في الحالين له
فالزيارة من الحبيب لا تمل ولو
ألحق فيها الوابل بالطل ومن
أحسن ما قيل في زيارة الحبيب
وعوده من قريب قول العكوك
بأبي من زارني مكتتما
خائفا من كل شئ جزعا
زائرا ثم عليه حسنه

فسألنا ملن الابيات قال لاخ لى كنت احبه شديدا ولم ارامزح منه مع التقوى فسألته ألدنيا تلهيج بهذه ام لاخرى فقال لامر لا اخبرك به حتى ينفذ من يدى ودام على ذلك حتى لزم الفراش فكانت الاطباء تختلف اليه ولم تؤثر معه شيأ وكان يصرخ الليل كله فأجمعنا على ان ندعه وشأنه فكان يجلس نهاره على الباب وكلما مر به شخص يسأله الى اين يذهب فيقول الى موضع كذا فيقول لو مررت على من تريد لحملتك حاجة فقال له صاحب له انا مارّ حيث تريد فقال

تقرأ السلام على الحبيب تحية * وتبثه بتطاول الاسقام
وتفيده انّ التقى ذم الهوى * لماغدا مستغولا بزمام

قال نعم فما كان باسرع من ان رجع فقال بلغتهم رسالتك فقالوا

ائن كان تقوى الله ذمتك ان تتل * امورا نهى عنها ينهى حرام
فزرنا لنقضى من حديث لبانة * ونشفى نفوسا آذنت بسقام

قال فوثب قائما ثم انشد يقول

سأقبل من هذا وفيه لذى الهوى * شفاء وقد يسلو الفتى جد وامق
اذا اليأس حل القلب لم ينفع البكى * وهل ينفع المعشوق دمعة عاشق

قال ومضى فقمت خلفه وحدى حتى أتى منزل رجل من أهل الفضل والرأى والدين وكانت له ابنة من أجمل النساء فوقف على الباب وقال

فهاانا ذا قد جئت اشكو صبابتى * واخبركم عما لقيت من الحبّ
واظهر تسليما عليكم لتعلموا * بأنّ وصولى ثم ذا منكم حسبى

قال فلما فهمت القصة وخشيت ان يظهر أمره قلت له ما جلوسك على باب القوم ولم يأذنوا لك قال بلى قلت كيف وهم يقولون

بالله ربك لا تمر بيابنا * انا نخاف مقالة الحساد

فقال ياصاح اقد قالوا هذا قلت نعم فجعل يهذى ويقول

ان كان قد كرهوا زيارة عاشق * فلرب معشوق يزور العاشقا

ثم رجع فلزم الوساد حتى مات

(ومنهم ماحكاه الوراق عن الصوفىّ)

قال حدثنى صديق لى قال دخلت البيمارستان ببغداد فرأيت شابا نظيف الثياب قد شد الى سارية ووراءه وسادة وبيده مروحة فسلمت عليه وقلت له ماذا تريد فقال قرصين وفالوذج فأحضرتهم حالما فرغ قلت له هل تطلب غير هذا قال وما أظنك تقدر عليه قلت اذكره فلعل الله ان يساعدنى عليه فقال تمضى الى زقاق الغفلة فتقف بباب كذا وتقول مجنونكم من ذا الذى حله فضيت وفعلت ما قال فخرجت الىّ عجوز فقالت قل له عليكم من ذا الذى حله فرجعت اليه وأخبرته بذلك فشهق شهقة فمات فرجعت الى الباب فوجدت

كيف يخفى الليل بدرا طالعا
رصد الغفلة حتى امكنت
ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاهوال فى زورته
ثم ما سلم حتى ودعا

(وما احسن قول ابن المعتز)

زارنى والدجى أحم الحواشى
والثريا فى الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس
بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول
طوّل الله فيك غيظ الحسود

(وقال الآخر)

زارت على غفلة الرقيب
كظبية روّعت بذيب
وكان وقت الوصال منها
اقصر من جلسة الخطيب

(قال) الشيخ العلامة علاء الدين مغلطاى فى كتابه الواضح المبين أنشدنا عبد العزيز بن سرايا الحلى لنفسه زاعما انها اصدق كلمة قالها الاواخر

يقولون لى بالله ما أنت فاعل
اذا زارك المحبوب قلت أنيكه

(وقال يعقوب الشيبانى)

قلت اذ زارنى من أحب وجنح الليل
روض أبدى النجوم نهارا

الصراخ وقد مات الجارية

(ومنهم ماحكاه السامرىّ)

قال مررت أنا وصديق لى ببدير هرقل فقال هل لك ان تدخل فتنظر الى ما فيه من ملاح المجانين فدخلنا واذا بشاب نظيف الثياب حسن الهيئة جميل المنظر فحين بصر بنا قال مرحبا بالوفد قرب الله بكم يابى من اين اقبلتم فقلنا جعلنا فداءك ومتع الله بك اقبلنا من كذا ثم قلنا له ما اجلسك ههنا وأنت لغير هذا المكان اهل وهو لغيرك محل فتنفس الصعداء وهو مشدود الى الجدار فى سلسلة وصوّب طرفه الينا وأنشد

الله يعلم انى كمد * لا أستطيع ابث ما أجد
روحان لى روح تضمنها * بلد واخرى حازها بلد
اما المقيمة ليس ينفعها * صبر وليس يقرها جلد
واظن غائبتى كشاهدتى * بمكانها تجد الذى اجد

قلت وسيأتى منه انه ينسب هذا الشعر لخالد الكاتب ولا يمكن ان يقال ان هذا الحكى عنه هو لان خالدا لم يحبس وانما كان سائحا كما سيأتى فلم يبق الا استعارة أحدهما من الآخر قال الراوى ولما فرغ من شعره التفت الينا فقال هل أحسنت فقلنا نعم ثم ولينا فقال بأبى ما أسرع ذهابكما غير انى سمعكما فعدنا اليه فأنشد

لما انا خوا قبيل الصبح عيسهم * ورحلوها وسارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها * ترنو الىّ ودمع العين منهمل
فودعت بينان عقدها عنم * ناديت لا حملت رجلاك ياجمل
ويلى من البين ماذا حلّ بى وبها * يانازح الدار حلّ البين وارتحلوا
ياحادى العيس عرج كى اودعها * يا حادى العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم انقض مودتهم * فليت شعرى وطال العهد ما فعلوا

فقلنا له مجونا انتظر ما يفعل ماتوا فقال اقسمت عليكم ماتوا قلنا نعم فجذب نفسه فى السلسلة جذبة دلع منها لسانه وبرزت عيناه وانبعث الدم من شفتيه وشهق فاذا هو ميت فمانده منا على بقى أعظم منه وحكاها المبرد كما هى وزاد ان قال فوجدنا فى الدير مجانين ليس فيهم انظف من شاب عليه بقايا ثياب ناعمة فدنونا منه فقال انشدونى شيأ من الشعر أو أنا أنشدكم فقلنا له انشد فأنشد الشعرين فلما قال ما فعلوا قال رجل بغيض معنا ماتوا فقال وأنا ايضا أموت فقال له افعل ما شئت فتجذب حتى مات واخرج الزجاج فى امالية عن المبرد الحكاية أيضا لكنه قال فقال لنا انشدونى فقلت لرفيقى أنشده فانشد

قبلت فاها على خوف مخالسة * كقابس النار لم يشعر من الخجل
ماذا على رصدى الدار لو غفلوا * عنى فقبلتها عشرا على مهل
غضى جفونك عنى وانظرى أمما * فانما افتضح العشاق بالمقل

ملك الحب زاره ملك الحسن
فزادا على الوجود اقتدارا
فافرشوا الورد اطلسا حين يمشى
واجعلوا عسجد الكؤس ثارا
واصرفوا حاجب الهلال فقدم
بسرى الى العيون مرارا
واحجبوا ابيض الصباح وقولوا
لنحاشى الظلام كن بردا رارا

وعلى ذكر البردد ارما أحسن قول الآخر وبيت

ياليل بك الثناء والمدح يليق
اذ انت لاهل العشق خل وصديق
اذ انت جعلت بردد ارالهم
لا تعط عليهم قط للصبح طريق

(وقال ابن النبيه)

قلت لليل اذ حبانى حبيبا
وغنانى يسبى النهى وعقارا
أنت يا ليل حاجبى فامنع الصبح
وكن أنت يا دجى بردد ارا

(وما أحسن قول شمس الدين محمد ابن العفيف)

ومليح كالبدر زار بليل
فحلا حسنه الدجى اذ تجلى
ما درى منزلى ولكن قلبى
بلهيب الجوى هداه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكى
بعمل النزاع كيف استدلا

فقال انا وهذا القائل على طرفى نقيض فانه يرى محبوبه وانا مقصى فقلنا له أنت عاشق قال نعم قلنا لمن قال أنت سؤل قلت لحسن ان اخبرت قال عقد لى أبى على ابنة عم لى ثم توفى وترك مالا كثيرا فاستولى عمى على المال ونسبونى الى الجنون قال المبرد هذا كله والقيم يقول احذروه فانه يتغير ثم التفت الىّ فقال أنشدنى انت قائله من أهل الادب فلم يحضرنى الا قول الشاعر

قال سكينة والدموع زوارف * تجرى على الخدين والجلباب
ابت المغيرى بالذى لم أجزه * فيما أطال تبصرى وطلابى
كادت تردلنا المنى أيامه * اذ لا ألام على هوى وتصابى
خبرت ما قالت فقلت كلانما * ترمى الحشا بصوائب النشاب
اسكين ماء الفرات وطيبه * منى على ظمأ وحب شراب
بالذمنك وان نأيت وقلما * يرعى النساء امانة الغياب

(ومنهم ما حكاه الاسدى عن أبيه)

قال دخلت دير هرقل فوجدت شابا حسن الهيئة مكبلا بالحديد فقلت له من الذى أوجب لك هذه الحالة فأنشد

نظرت اليها فاستهلت بنظرة * دمى ودمى غال فارخصه الحب
وغالبت فى حبى لها ورأت دمى * رخيصا فمن هذين داخلها العجب

(ومنهم ما حكاه ابن غنيم)

قال مررت بخربة فرأيت مجنونا مصفدا بالحديد يتمرغ فى التراب ويقول

ألا ليت ان الحب يعشق مرة * فيعرف ماذا كان بالناس يصنع
يقولون فز بالصبر انك هالك * وللصبر منى ألف مرة أجزع

(ومنهم ما حكاه أبو الحسن المؤدب)

قال انحدرت من بالس أريد العراق فبينما أنا فى بعض أزقة الموصل اذ سمعت ضجة فسألت فقيل دار المجانين فدخلت فاذا أنا بشاب فى الحديد قد تضرج بالدم فلما بصر بى قال من أين قلت من بالس قال وأين تريد قلت العراق قال أتعرف بنى فلان قلت نعم قال هم الذين صيرونى الى ما ترى فى عشقهم وأنشد

زموا المطايا واستقلوا ضحى * ولم يبالوا قلب من تيموا
ماضرهم والله برعاهم * لو ودعوا بالطرف أو سلموا
مازلت أذرى الدمع فى اثرهم * حتى جرى من بعد دمعى دم
ما انصفونى يوم بانوا ضحى * ولم يفوا عهدى ولم يرحموا

(ومنهم الفويرك وهو من المشاهير فى عقلاء المجانين)

قال الأبلى رأيته والصبيان يرمونه بالحجارة فلما رآنى قال أما ترى ما يصنع هؤلاء بى مع

(وقال الآخر)

يا حبيبى وأنت ما * زلت بالوصل منعما
زرتنى بعض ليلة * بت فيها ممهوما
حين وليت غائبا * افل البدر فى السما
ليت شعرى من الذى * من أخيه تعلما

(وقال بشار بن برد)

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المسا ويك
قد زرتنا مرة فى الدهر واحدة * فحسب ولا تجعلنها بيضة الديك

قيل ان الديك يبيض فى السنة بيضة واحدة قال بشار ذلك وقال ابن الساعاتى فى تاريخه فى سنة ست وتسعين وستمائة باض ديك ببغداد وسألت جماعة عن ذلك فاخبرونى به (قلت) واخبرنى الآن بعض الصوفية المقيمين عندى بالصحراء انه باض عندهم ديك بيضة صغيرة وجعل يصيح مثل الدجاجة ثم أقام بعد ذلك سبعة ايام ومات (رجع الكلام وقلت انا)

ما أنا فيه من العشق والجنون فقلت له لست مجنونا قال بلى والله وبى عشق شديد قلت فما أنشدت فيه شيأ قال بلى وأنشد

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو * فهذا له حد وهذا له حد
هما استوطنا جسمى وقلبى كليهما * فلم يبق لى قلب صحيح ولا جلد
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا * على مهجتى ان لا يفارقها الجهد
فأى طبيب يستطيع بحيلة * يعالج من داءين ما منهما بد

وقال يوما وقد لقيته وفى عنقه حبل يقودونه يا أبا بكر بماذا يعذب الله عباده قلت بجهنم فقال صفها فقلت له ومن الذى يقدر أن يصف عذاب الله فقال أنا والله فى عذاب اعظم منه وكشف عن جسم نحيل وعظام بالية وأنشد

انظر الى ما صير الحب * لم يبق لى جسم ولا قلب
المحل جسمى حب من لم يزل * من شأنه الهجران والعتب
ما كان اغنانى عن حب من * من دونها الاستار والحجب

وقال له ابن الزيات متى حدث بك العشق قال من زمان طويل ولكن كنت أكتمه حتى غلب فقال أنشدنى ما قلت فيه فأنشد

كتمت جنونى وهو فى القلب كامن * فلما استوى والحب أعلنه الحب
وخلى والجسم الصحيح يذيبه * فلما اذاب الجسم ذل له القلب
فجسمى نحيل للجنون وللهوى * فهذا له نهب وهذا له نهب

(ومنهم خالد بن يزيد)

يكنى أبا القاسم ويعرف بالكاتب خراسانى الاصل بغدادى المنشا احد كتاب الجيش فى الدولة العباسية والمشهورين باللطف والرقة وحسن الشعر ثم اعتراه الجنون قيل من السوداء نقله فى النزهة وقال انها كانت تعتريه زمن الباذنجان فاذا جاء الشتاء حسن حاله وحكى فى امتزاج الارواح ورياض اللطائف انه خرج الى بعض الاعمال باذربيجان فشهد مجلسا وفيه قينة فأعجب بها وطلب ان يستصحبها فامتنعت فدا خله حبها حتى خامر عقله فكان يصوحيانا ويغمر احيانا فتركه العمل مدة ثم استعمله محمد بن عبد الملك فى كتابة بعض الاعمال فربما جنة تغفى

من كان ذا شجن بالشام يطلبه * ففى سوى الشام امسى الاهل والشجن

فسقط مغشيا عليه حين سمع ذلك وتذكر به حال الماجنة وانها اخبرته أنها تطلب الشام ثم افاق ورجع ورمى العمل وكان يركب قصبة ويطوف ببغداد وأهلها يطلبونه خصوصا ارباب الدواوين ليسمعوا شعره قيل قال له ابن الجهم يوما هب لى قولك

ليت ما أصبح من رقة حديك بقلبك

فقال من الذى يهب ولده ورآه يوما والصبيان يضربونه فادخله بيته ثم قال له بعد ما أخذ

لى حبيب له حبيب موافٍ * كل يوم يأتى اليه مرارا
قلت زرنى فقال حبى عندى * شغل الحلى أهله أن يعارا

(وقلت ايضا من قصيدة)

زار الحبيب ووجه الورد نجلان * فاصفر حين تثنى قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا * وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
ماضر نى ضيق عيشى حين واصلنى * سهم الخياط مع الاحباب ميدان

(فصل فى ذم الطيب على الحبيب)

ما احلى قول ابن سكرة

أهلا وسهلا بمن زارت بلاعدة * تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت * وناب اشراقها البلاعن القبس
ولو طواها الدجى عنا لاظهرها * برق الثنات وعطر النحر والنفس

(أخذه المعتمد بن عبادة فقال وأحسن ما شاء)

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما * تحوى معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلى تنزعه ما حيلة العرق

الراحة ماذا تريد قال هريسة ورطبا فأحضرهما فلما أكل قال له اسمعني شيأ من شعرك فأنشد

تناسيت ما أودعت سمعك ياسمعي * كأنك بعد الضر خال من النفع
فان كنت مجبولا على الصد والجفا * فمن أين لي صبر فاجعله طبعي
هل الحب تجنيه على التفاته * فافرح بعد اليأس مني ومن نفعي
علام الجفا يامن كلفت بحبه * اتتلفني بالهجر منك وبالقطع
لئن كان اضحى فوق خديك روضة * فان على خدي غديرا من الدمع

فقال له احسنت والله ووجد لذلك وجدا عظيما ثم قال له اسمعني شيأ غير هذا قال حسبك لن ينالك بهريستك ورطبك أكثر مما سمعت وخرج من عنده (وله ايضا)

ياتارك الجسم بلا قلب * ان كنت أهوالك فاذنبي
يامفردا بالحسن افردتني * منك بطول الهجر والحب
ان تك عيني أبصرت قيمتة * فهل على قلبي من عتب
حسبك الله لما بي كما * انك في فعلك بي حسبي

(ودخل) على ابن عباد فرفع مجلسه فقال ابن الاعرابي من هذا فقال أوما تعرفه قال لا قال هو خالد الكاتب فقال له ابن الاعرابي اسمعنا من شعرك فأنشد

لو كان من بشر لم يفتن البشرا * ولم يفق في الضياء الشمس والقمرا
نور تجسم منحلا ومنعقدا * سلك تضمن في تنظيمه درر

(فقال) له ابن الاعرابي كفرت هذه صفة الخالق لا المخلوق أنشدنا غير هذا فقال

أراك لما لججت في غضبك * تتركُ ردّ السلام في كتبك

حتى أتى على قوله

أقول للسقم عد الى بدني * حبا لشيء يكون من سببك

فقال له انك لفوق ما وصفت به ووقف عليه ابراهيم بن المهدي عشية وقد تلفع برداء اسود فقال له أنت القائل

قد بكى العاذل لي من رحمة * فبكائي لبكاء العاذل

قال نعم قال ياغلام ادفع له مامعك فقال خالد وماذاك قال ثلثمائة دينار قال لا اقبلها او تعرفني من أنت قال أنا ابن المهدي فأخذها وانصرف ابراهيم فلما بويع له بالخلافة طلبه فقال له انشدني من شعرك فأنشد

عش بغيبك سربعا قاتلي * والضنى ان لم تصلني واصلي
قد طغى الشوق بقلب دنف * فيك والسقم بجسم ناحل
نهما بين اكتئاب وضنى * تركاني كالقضيب الماثل

(وحكى) عن حمزة الشاعر نحو ماسبق عن ابن الجهم من رؤيته مع الصبيان وادخاله

واطعامه

(وقال)
يوم يقول الرسول قد أذنت
فأت على غير رقبة ولج
أقبلت اهوى الى رحالهم
أهدى اليها بريحها الأرج

(قيل) ويستدل بالطيب على السلوك في المواطن التي يكون الناس فيها غير معروفين مثل الحمام ومعركة الحرب وموسم الحج وما زالت الشعراء تصف مواطن الحبيب بالطيب كما قال فيه ابن النبيه

ان جاء من يبغي لهم منزلا
فقل له يمشي ويستنشق

وقال محمد بن عبد الله النميري في زينب اخت الحجاج من قصيدة

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت
به زينب في نسوة خفرات
له أرج من مجر الهند ساطع
تطلع رياه من الكفرات
يخمرن أطراف البنان من التقى
ويطلعن نصف الليل معتجرات

واطعامه لكنه قال فاطعمته رطبا فقط واستشدته فأنشد

قد حاز قلبي فصار يملكه * فكيف أسلو وكيف أتركه
رطيب جسم كلما نحسبه * يخطر في القلب منك مسلكه
يكاد يجري من القميص من النعمة لولا القميص يمسكه

(فصل في ذكر من جرع كأس الضنى وصبر على مكابدة العنا واتصف بذلك كله من النسا وثبت بعد فراق محبوبه على النوى أو كان منها داعية الاعتدا)

(حكى) صاحب النزهة قال نشأ بين حران شاب لبعض التجار يدعى واصفا وكان كامل الحسن والظرف واللطافة والعفة وكان له ابنة عم تسمى لطيفة وكانت على أرفع ما يكون من مراتب الجمال ومحاسن الاخلاق والخصال فتوفي أبوها وتركها صغيرة فكفلها عمها حتى بلغت فكانت تنظر الى ابن عمها فيعجبها الى ان تمكن حبه منها فرضت وهي تكتم أمرها وكانت امرأة عمها فطنة مجربة للامور فامتحنتها فوجدتها تغيب عن حسها احيانا فاذا دخل الغلام صحت والتمست ما تأكل فأخبرت اباه فقال يالها نعمة ثم زوجه منها فأوقع الله حبها في قلبه فأقاما على احسن حال مدة وهو يأمرها ان تكون دائما متزينة متطيبة ويقول لها الا احب أن أراك الا كذا فلم يزالا على ذلك فضعف الشاب فمات فوجدت عليه وجدا وطار عقلها فكانت تتزين بأنواع زينتها كما كانت وتمضي فتمكث على قبره باكية الى الغروب قال الاصمعي مررت أنا وصاحب لي بالجبانة فرأيتها على تلك الحالة فقلنا لها اعلام ذا الحزن الطويل فأنشأت

فان تسألاني فيم حزني فانني * رهينة هذا القبر يافتيان
واني لاسقيه والترب بيننا * كما كنت أسقيه حين يراني

فعجبنا منها ثم انحزنا فجلسنا بحيث لا ترانا لننظر ما تصنع فأنشأت

ياصاحب القبر يامن كان يؤنسني * وكان يكثر في الدنيا موالاتي
قد زرت قبرك في حلي وفي حلل * كأنني است من أهل المصيبات
لزمت ما كنت تهوى ان تراه وما * قد كنت تألفه من كل هيآتي
فمن رآني رأى عبرى مولهة * مشهورة الزي تبكي بين أموات

ثم انصرفت فتبعناها حتى عرفنا مكانها فلما جئنا الى الرشيد قال حدثني بأعجب ما رأيت فأخبرته بأمر الجارية فكتب الى عامله على البصرة أن يمهرها عشرة آلاف درهم ففعل ووجه بها اليه وقد أنهكها السقم فتوفيت بالمدائن قال الاصمعي فلم يذكرها الرشيد مرة الا ذرفت عيناه (وحكى) بعض اهل المدينة قال دعاني صاحب لي لسماع جارية تغني فدخلنا عليها فاذا هي منخرطة الوجه متغيرة تكثر من السهو والاطراق كأنها مشغولة فعزمت عليها ان تخبرني بما بها فقالت برح الذكر ودوام الفكر وخلو النهار وتشوقي الى من سار والذي ترى مما رصفت لك فان كنت ذا أرب صرفت العتب عن

(ومنها)
ولما رأت ركب النميري أعرضت
بكره لان يلقينه حذرات
ولهذا البيت حكاية لطيفة اتفقت لقائله مع الحجاج وهي مشهورة بين اهل الادب اضربت عن اثباتها هنا خوف الاطالة وقال الطغرائي

فسربنا في ظلام الليل معتنقا
فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

(وقال آخر)
وليس نسيم المسك ما تجدونه
ولكنه ذاك الثناء المخلف

(وقال آخر)
لو كان يوجد ريح مسك فائح
لوجدته منهم على أصيال

(وقال ابن الرومي)
اعقبته من طيب ذكرك نفحة
كادت تكون شمائل المسموعا

(وقال المتنبي)
وتفوح من طيب الثناء روائح
لهم بكل مكانة تستنشق

(فصل) ومن أحسن ما سمعته في العيادة قول الطغرائي

ذى الكرب واجتهدت فى الطلب لدوائه من أشرف على العطب وأخذت العود فغنت تقول

سيوردنى التذكار خوض المهالك * فلست لتذكار الحبيب بتارك
أبى الله الا ان أموت صبابة * ولست لما يقضى الاله بمالك
كأن بقلبى حين شط به النوى * وخلفنى فردا صدور النوازك
تقطعت الاخبار بينى وبينه * لبعد النوى واستدبل المسالك

فوالله لقد خفت ان تسلب عقلى بغنائها فقلت جعلنى الله فداءك وهذا الذى صيرك الى ما أرى يستحق ذلك مع ان الناس كثير فلو تسليت بغيره فلعل ما بك يسكن او يخف فقد قال الاول

صبرت على اللذات لما تولت * وألزمت نفسى صبرها فاستقرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أطمعت تاقت وان تولت

فقالت قد رمت ذلك فكنت كما قال قيس وما أبى الاجماحا البيتين فاسكتنى عجبها عن المحاورة وما رأيت كمنطقها وحسنها وأدبها (وحكى) الزبير بن بكار قال دخلت على الامير بن طاهر حين قدم من الحجاز فتبسم فى وجهى ثم قال

لئن باعدت بيننا الانساب * فقد قربت بيننا الآداب

وان أمير المؤمنين اختارك لتأديب ولده فأمر لك بعشرة آلاف درهم وعشر بخوت وبغال تحمل عليها متاعك فشكرت فضله فلما عزمت على الانصراف قال زودنا أيها الشيخ حديثا تذكرك به فقلت احدثك بما رأيت أو بما سمعت قال بما رأيت قلت بينا انا بين المسجدين أو قال على اثاوة الاعريج اذا أنا برجل صاد ظبيا وهم ليذبحه فتشب الظبى بقرنيه فى الرجل فدخلا فى جوفه فسقط وسقط الظبى ميتين أو قال رأيت حبالة منصوبة وظبيا مذبوحا وجلا ميتا فجاءت امرأة حاسرة وهى تقول

ياحسن يابطال لكنه أجل * على الاساءة ما أودى بك البطل
ياحسن قلقل احشائى وازعجها * وذاك ياحسن عندى كله جلل
أمست فتاة بنى نهد علانية * وبعلها فى أكف القوم يبتذل
قد كنت راغبة فيه أضن به * فمات من دون ضن الرغبة الاجل

ثم شهقت فماتت فلم أر أعجب من الثلاثة وفى رواية وبعلها فوق ايدى القوم يحتمل فوهب له عشرة آلاف درهم ثم قال اتدرون ما استفدنا من الشيخ قالوا لا قال قوله علانية يعنى ظاهرة وهذا حرف لم أسمعه من العرب (وحكى) ان امرأة أحبت رجلا وكان ممتنعا عنها زمانا فراسلته ان يتزوج بها ففعل وكانت بينهما الفة شديدة فحكما على ذلك مدة فمرض فمات فجعلت المرأة تتردد الى قبره ولزمته يوما تبكى وتنشد

كفى حزنا انى أروح بحسرة * واغدو على قبر ومن فيه لا يدرى

فيا نفس شقى جيب عمرك عنده * ولا تجزعى بالله يا نفس بالعمر
فما كان يأبى ان يجود بنفسه * لينقذنى لو كنت صاحبة القبر

ثم زادت فى النحيب وانكبت على القبر فاذا هى ميتة (وحكى) الربيع قال مررت بجارية على قبر تقول

بنفسى فتى اوفى البرية كلها * واقواهم فى الموت صبرا على الحب

قال فقلت لها بم صار كذلك قالت كان اذا عنف فى حبى يصبر واذا الحى عليه يسكت واذا زاد به الغرام ينشد هذين البيتين

يقولون ان جاهرت قد عضك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما للذى يهوى ويكتم حبه * من الامر الا ان يموت فيقبرا

ولم يزل يكررهما حتى مات فها أنا مقيمة على حفظ عهده لا أبرح حتى يتصل القبران ثم صرخت وسقطت فاجتمع النساء فحركنها فاذا هى ميتة فدفنت الى جانبه (وحكى) رجل من تميم قال ضلت لى ابل فخرجت فى طلبها فاذا انا بجارية كأنها قرعشى بصر من ينظر اليها فلما رأتنى قالت ما لك قلت ضلت لى ابل فلم اعرف خبرها فقالت هل ادلك على من عنده علمهن قلت بلى قالت ان الذى اعطاكهن هو الذى أخذهن وهو أحق بردهن فسله من طريق اليقين لا من طريق الاختبار فأعجبنى كلامها ووقفت انظر اليها ثم راودتها عن نفسها فقالت هبلك ليس لك مانع من أدب أما لك زاجر من الحياء فقلت لن يرانا الا الكواكب فقالت أين مكوكبها فقلت ألله بعلى قالت قد كان ولكن دعى الى ما خلق له فصار الى ما خلق منه ثم انشأت

الى وان عرضت اشياء تضحكنى * لموجع القلب مطوى على الحزن
اذا دجا الليل أحيانى تذكره * وزادنى الصبح اشجانا على شجنى
وكيف ترقد عين صار مونسها * بين التراب وبين القبر والكفن
ابلى الثرى وتراب الارض جدته * كأن صورته الحسنا لم تكن
ابكى عليه حنينا حين اذكره * حنين والهة حنت الى وطن
ابكى على من حنت ظهرى مصيبته * وطير النوم عن عينى وأرقنى
والله لا أنس حبى الدهر ما سجعت * حمامة أو بكى طير على فنن

فقلت لها عند ما رأيت من جمالها وفصاحتها هل لك فى زوج لا تذم خلائقه وتؤمن بوائقه فأطرقت مليا ثم انشأت تقول

كنا كغصنين فى أصل غذاؤهما * ماء الجداول فى روضات جنات
فاجتث خيرهما من جنب صاحبه * دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهد نى ان خانتى زمنى * ان لا يضاجع انثى بعد مثواتى
وكنت عاهدته أيضا فعاجله * ريب المنون قريبا من سنبات

انظر الى بعين مولى لم يزل
بولى الندى وتلاف قبل تلافى
انا كالذى احتاج ما يحتاجه
فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال أنت الذى وهذه صلتك وأما العائد قلت وقد استخدم ابن عنين الصلة والموصول واجاد وعامله الملك المعظم فى السبق الى فهم مقصوده معاملة الجواد ولو وقع هذا من مثل سيبويه لكان ادل دليل على فضله وسداد نبله فما الشان بوقوعه من هذا الملك المعظم شأنه العظيم سلطانه فكم أقر لابن عنين عينا ووفى عنه دينا فقال به السول وطرب من الصلة والعائد بره الموصول لا جرم انه ملأ بمدائحه ديوانه وقال فيه من قصائده الطنانه

كريم الثناء ارمن العار باسل
جميل المحيا كامل الحسن والحسنى
لعمرك ما آيات عيسى خفية
هى الشمس للاقصى سناها وللادنى
(ولى انا من قصيدة) فى هذا الوزن امدح بها مولانا السلطان الملك الناصر مخلصها

فاصرف عنانك عن ليس يردعه * عن الوفاء خلاف فى التصبات

(وحكى) ابراهيم الموصلى قال كان كثيرا ما يصغى لى زلزل جارية عنده فلما مات مولاها وسمعت عرضها للبيع ركبت حتى دخلت عليها فاذا هى جارية كاد الغزال ان يكونها لولا ما تم منها ونقص منه فسألتها أن تغنى فأخذت العود وغنت

اقفر من اوتاره العود * فالعود للاقفار معمود
واوحش المزمار من صوته * فماله بعدك تغريد
من للمزامير ولذاتها * وعازف اللذات مفقود
فالخمر تبكى فى أباريقها * والقينة الخمصانة الرود

فركبت الى أمير المؤمنين فاعلمته بها فاستحضرها فلما وقعت من قلبه قال لها هل لك ان اشتريك فقالت أما اذا اشتريتنى فلا خير لك فى فرجها واعتقها واجرى عليها مؤنة

(ومن وفاء النساء) ان كسرى ابرويز ترك جارية كانت حظية فطلب ولده أخذها فعالجت ناوس كسرى ففقصته ودخلت فمصت خاتما مسموما كان فى اصبعه فماتت

(القسم الثالث فيمن خالسته عيون الاماء فاسلمته الى الفناء وكادت أن تقضى عليه لولا المدارك بالوفاء)

ومما ينبغى ايراده هنا مصدر الحكاية المشهورة عن حبابة وهى جارية فى الاصل للاحوص وقيل لرجل مدنى وانها كانت تسمى العالية وانه دخل بها على يزيد بن عبد الملك فى خلافة أخيه وعليها ازاره ذبان ويده هادف فغنته

ما أحسن الجيد من مليكة والـ ـلبات اذ زانها ترائبها
يا ليتنى ليلة اذا هجع النـ ـاس ونام النيام صاحبها
فى ليلة لا يرى بها أحـ ـد * يسعى علينا الا كواكبها

فاشتراها بأربعة آلاف دينار فبلغ أخاه فعزم على ان يحجر عليه فردها فاشتراها رجل من افريقية وقد تواعت بها نفس يزيد وكان قد تزوج سعدى بنت عبد الله بن عثمان وزينبية بنت عبد الله بن جعفر وامهر كلا منهما عشرين الف دينار فخاف من سليمان الحجر فلم يزل كاتما وجده الى ان افضت اليه الخلافة فارسلت سعدى مولى لها فى طلب حبابة فبلغه انها فى المدينة فمضى اليها فقبل بعصر فمضى اليها فقبل بافريقية فمضى حتى اجتمع بمولاها فاشتراها منه بمائة ألف درهم بعد امتناعه من بيعها ولولا أنى اخبرته بأن الخليفة سيأخذها منه قهرا ولما ارتحل بها مولى سعدى انشد الافريقى وقد تبعتها نفسه

ابلغ حبابة اسقى ربعها المطـ ـر * ما للفؤاد سوى ذكراكم وطـر
ان سار صحبى لم أملك تذكركم * او عرسوا استهم النفس والفكر

ولما مر بها على مكة شيعها الناس وقيل من المدينة وكانوا ما تتى رجل الى ذى خشب وسألوها ان تزودهم صوتا فانشدت

سلكوا بطن مخيض * ثم ولوا راجعينا
اورثونى حين ولوا * طول حزن وانينا

ثم كتبت اسماءهم حتى عرضتهم على يزيد فوهب كلا ألف درهم ولما وصل بها الى سعدى البستها حللا ووهبتها جواهر وطيبا كثيرا ثم قالت للخليفة قد وهبك الله الملك فهل بقى حتى تسلم فى نفسه فقال لا فقالت بل انا أعلم فاخبرنى عسى ان اوصلك اليه فقال العالية يعنى حبابة فقالت اوتعرفها اذا رأيتها قال نعم فأخذت بيده حتى ادخلته عليها فسر وعظمت منزلته عند سعدى عند ذلك وكانت عاهدت حبابة ان لا تدع لها حاجة عند الخليفة الا قضتها وان يجعل الخلافة لولدها ففعلت وكانت ربيحة قد اشترت سلامة وهى أيضا جارية كانت لمدنى وكان قد رآها يزيد فوقعت من نفسه موقعا عظيما فلما اجتمعتا عنده قال أنا الآن كما قيل

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وأول ما عظمت به عنده ان دخل يوما فسمعها تغنى من وراء الستر ولا علم لها به

كان لى يا زينب حبك حينا * كاد يقضى على حين التفينا

فكشف الستر فوجدها مستقبلة الجدار فعلم انها لم تشعر به فالقى نفسه عليها وارتفعت منزلتها عنده وكان أصل الشعر كان لى باسقين فغيرته وكانت حبابة أجمل نساء زمانها قد حوت اللطافة والمعرفة بالادب والآلات والغناء وأخذته عن أهله مثل معبد وجميلة وأم عوف وغيرهم وكان يزيد قبل خلافته يختلف الى أم عوف ويقترح عليها ان تغنى

متى أجر خائفا قد سرح مطيته * وان أخف آمنا تقر به الدار
سيروا الى وأرخوا من أعنتكم * انى لكل امرئ من وتره جار

فسأل حبابة ان تغنيه ولم يمكنها الطعن على أم عوف فبكت يزيد بحبه لها بأن غنت اثر الصوت

أبى القلب الا أم عوف وحبها * مجوزا ومن يحبب مجوزا يفندا

فضحك وقال لمن هذا فقالت لمالك فكان كثيرا ما يسألها ان تغنيه وغنت يوما

لعمرك انى لاحب سلعا * لرؤيتها ومن يجنوب سلع
تقر بقربها عينى وانى * لاخشى ان تكون تريد فجعى
حلفت برب مكة والهدايا * وأيدى السابحات غدا تجمع
لانت على التنائى فاعلمنه * أحب الى من بصرى وسمعى

ولما أنشدته البيت الاول تنفست الصعداء فقال يزيد مالك ولله والله لو أردته حجرا لجئت به اليك فقالت ما أصنع به انما أريد صاحبه أوساكنه واقترح عليها وعلى سلامة يوما ان يغنى كل منهما ما فى نفسه ومن أصابت فلها ما تطلب فغنت سلامة فلم تصب وغنت حبابة

(وقوله أيضا)

مرضت لله قوما
ما فيهم من جفانى
عادوا وعادوا وعادوا

على اختلاف المعانى

ولهذا البيت اشباه ونظائر ذكرتها فى كتابى الطارئ على السكردان منها ما حكى عن القاضى ابو بكر ابن العربى وقد وقف على حلقته وهو مشتغل بالعلم شاب مليح وبيده رمح فقال له بعض الفقهاء اذهب بهذا الرمح فهز الرمح وقال الساعة اضربك به فانشأ القاضى أبو بكر فى الحال لنفسه

يهددنى بالرمح ظبى مهفهف
لعوب بالباب البرية عابث
فلو كان رمحا واحدا لاتقيته
ولكنه رمح وثان وثالث

وقد سألت جماعة من أهل العلم والادب عن استخراج الثالث من هذا البيت فلم يجب أحد منهم بطائل (وقال ابن النقيب)

سمعت بما تشكو وما انت واجد
فظلت دموع العين فى الخد تسفح
وارسلت خطى فى العيادة نائبا
وما كل خط للعيادة يصلح

(وقال المعتمد بن عبادة)

(ومن ظريف ما اتفق) لابن عنين هذا مع الملك المعظم انه حضر فى وقت بين يديه مع جماعة من الشعراء فقال لهم السلطان لابد ان تهجونى فى وجهى فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لابد من ذلك والح عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ماذكرنا الامرئ
قط الا واشتهى ان لا يرانا

فقال له السلطان صدقت فقال (شعرنا مثل الخراذقت الخرا)

فقال السلطان لا والله قبحك الله فقال (صقع الله به أصل لحانا)

رجع الكلام الى العيادة ما أحسن قول السراج الوراق

قال صديقى ولم يعدنى
وعارض السقم فى أثر
لقد تغيرت يا صديقى
ويعلم الله من تغير

خلف من بنى كنانة حولى * بفلسطين يسرعون الركوبا

فأصابت به ما فى نفسه فقال احتكمى فقالت تهب لى سلامة ومالها فأبى وقال اطلبى غيرها فأبت الاهى فقال أنت أولى بها وبمالها فغمت سلامة لانها كانت أرفع منها زمن التعليم عند معبد حتى كان يأمرها ان تدرب حبابة فذكرتها ذلك فقالت لاترين الاخبر انم طلب يزيد شراءها فأعتقتها وزوجتها منه واختلفنا يوما فى صوت لحنه معبد من شعر لجرير وهو قوله

ألاحىّ الديار بسعدانى * أحبّ لحبّ فاطمة الديارا

أراد الظاعنون ليحزنونى * فهاجوا صدع قلبى فاستطارا

فاستحضره يزيد ليقضى بينهما وقد أخبرانه الى حبابة أميل فقضى لها فقالت سلامة انما قضيت للمنزلة ولكن ائذن لى يا أمير المؤمنين فى صلته لمالة على من الحق فأذن لها فمضى معبد فوجد سلامة قد سبقت حبابة بالصلة ولم تزل تفتقده حتى رجع وهذان البيتان غنتهما قينة للفرزدق عند الاحوص فقال الفرزدق ما أرق اشعاركم يا أهل الحجاز فقال الاحوص انما هو بجرير يهجوك به فقال ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعرى وأحوجنى مع شهواتى الى رقة شعره وقيل ان معبدا حين حضر عند الخليفة غنى قول كثير

ألم يأن لى يا قلب أن أترك الهوى * وان يحدث الشيب المليّ العقلا

على حين صار الرأس منى كما علت * فوقه ندافة العطب أغزلا

فيا عزان واش وشى بى عندكم * فلا تكرميه ان تقولى له أهلا

كما لو وشى واش بودك عندنا * لقلنا تزحزح لا قريبا ولا سهلا

فأهلا وسهلا بالذى شدّ وصلنا * ولا مرحبا بالقائل اصرم لنا حبلا

فطرب يزيد حتى جعل الوسادة على رأسه ودار فى الدار وهو يقول السمك الطرىّ أربعة ارطال عندى بطارخيان فلما رجع الى مجلسه ذكر اختلافهما السابق لمعبد فقضى لحبابة كما سبق فقالت له سلامة يا ابن الفاعلة تعلم ان الحق معى ولكن قضيت للمنزلة فضحك يزيد واحسن صلته وكان البيدق من المهرة فى الغناء وكان يختلف الى حبابة فلما علت عند يزيد قصدها ليستعطيها وسمعت به فأدخلته وقد جلست مع الخليفة فقالت له ان هذا أبى وشكرت من صوته وأشارت اليه ان اقرأ فقرأ حتى بكى يزيد ثم أومأت أن غنّ ففى شعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بتلحين بن شريح

من لقلب مصفد * هائم القلب مكمد

أنت زوّدته جوى * بئس زاد المزوّد

ثاويا تحت تربة * وهى رمس بفدفد

غير انى اعلل النـ * ـفس باليوم أو غد

فطرب

فطرب يزيد فضربه بمدهن من ذهب مفصص بالياقوت فاشارت اليه ان خذه فجعله فى كمه فقال يزيد لحبابة انظرى الى ابيك كيف أخذ مدهنا فقالت ما احوجه اليه ثم خرج فأمر له بثمانين دينارا وغنته يوما الشعر السابق أول القصة بتلحين ابن شريح فطرب وقال هل رأيت اطرب منى فقالت نعم معاوية بن عبد الله بن جعفر فغضب واحضره فأرسلت حبابة فأعلمته ان لا يطرب الا عند ما تغنى الصوت المذكور فلما غنته رقص وطرب وجعل يقول الدخن بالنوى فأمر له يزيد بصلات اجتمعت ثمانية آلاف دينار وقال لها مرة أخرى من أطرب منى فقالت مولاى الذى باعنى فاستحضره معبدا فلما دخل عليه وقد أرسلت من عرفه القصة ايضا غنت فالقى نفسه على الشمعة حتى حرقت لحيته وهو يقول الحريق يا أولاد الزنا فضحك الخليفة ووصله بألف دينار ثم لم يزل منعكفا على الاقامة معها والمحافظة على اللهو والطرب والشرب قيل انه جعل فسقية من الخمر فى مجلسه وكان اذا طرب سقط فيها ومزق حلة قيمتها ألف دينار قيل ذكر أخوه سليمان بحضرة الرشيد فقال الاصمعى كان رجلاه ما اذا قدم اليه السماط لا يصبر حتى يبرد بل يتناول اللحم بكمه وأما أخوه يزيد فكان يسقط فى الخمر بثيابه فقال الرشيد للاصمعى ما أعلمك بالناس والله ان ثيابهما عندى وان الدهن فى اكمام سليمان وأثر الخمر فى ثياب يزيد ولما استمر على حاله وكان قد ولى الخلافة اثر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وقد اعتاد الناس العدل والاصلاح ثقل عليهم حاله وتعطلت الحاجات فضجوا فدخل عليه مسلمة أخوه فعنفه ولامه ووعظه وذكره عدل عمر وقيل انه قال من نفسه والله ما عمر بأحوج الى الله منى فهجر الجوارى والشراب أياما وقال لمسلمة أرجوان لا تعتبنى بعد اليوم ثم جلس للناس فثقل ذلك على حبابة فأرسلت الى الاحوص فعمل شعرا واستحضرت معبدا فلقنته ثم احتالت على اسماعه الخليفة قبل عارضته وهو خارج الى الصلاة وقيل رشت خادما مقربا منه فأوقفها بحيث يسمع وأنشدته فطرب وقال مروا مسلمة أو قال صاحب الشرط فليصل بالناس ولعن من يلومه فى ذلك وعاد فاعتكف على ما كان عليه وقيل ان الذى أمره بالكف عن ذلك مولى خراسانى كان ذا رتبة عنده وأنه قال له سأحضرك لتمعهن وأقول انك عمى فان عنفتنى رجعت وفعل فشعرن به وقمن يضربنه فوقام يزيد ثم قال له ادوم على ذلك ام لا فقال دم فاستمر والشعر الذى انشده الاحوص هو هذا

ألا لا تلمـ ـه اليوم ان يتبلدا * فقد غلب المحزون أن يتجلدا

بكيت الصبا جهدى فمن شاء لامنى * ومن شاء آسى فى البكاء واسعدا

وانى وان فندت فى طلب الصبا * لاعلم انى است فى الحب أوحدا

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

فما العشق الا ما تلذ وتشتهى * وان لام فيه ذو الشنان وفندا

(وقال ابن النقيب)

وما بى سوى عين نظرت لحسنها
وذاك الجهلى بالعيون وغرتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة
لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتى

(والاصل فى هذا كله)

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى
وصبوا عليه الماء من الم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة
ولو صدقوا قالوا به اعين الانس

(وما احسن قول بلديّنا محمد بن العفيف التلمسانى فى مليح يعمل الكوافى)

اسم حبيبى وما بعانى
قد شغلا خاطرى ولبى
قالوا اعملى كوافى فقلت قدرا
قالوا كوافى فقلت قلبى

(وقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل)

وبى من قد اقلبا ولان معاطفا
اذا قلت ادنانى يضاعف تبعدى
أقر برقى اذ أقول أناله
وكم قالها ايضا ولكن لتهدى

(وقال السراج الورّاق)

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحى
لهموم نفس ليت لا حملتها
قد كان عندك يا فلان صريمة

مرضت فامسكت الزيارة عامدا
وما عن قلى امسكتها لا ولا هجر
ولكننى اشفقت من أن ازوركم
فابصر آثار الكسوف على البدر

(وقال الشهاب محمود) فى القول بالموجب

رأتنى وقد نال منى النحول
وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينىّ هذا السقام
فقلت صدقت وبالخصر أيضا

وأورد فى كتابه حسن التوسل قول الارجانى

غالطنى اذ كنت جسمى الضنى
كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى
مثل عينى صدقت لكن سقاما

(وقلت) انا حين وقفت على قول الارجانى هذا بديها

شكوت الى الحبيبة سوء حظى
وما قاسيت من الم البعاد
فقالت ان حظك مثل عينى
فقلت نعم ولكن فى السواد

(وما احسن قول محاسن الشواء)

ولما تانى العاذلون عدمتهم
وما فيهم الا للعمى قارض
وقد بهتوا لما رأونى شاحبا
وقالوا به عين فقلت وعارض

وعهدى بها صفراء رود كأنما * نضى عرقا منها على اللون عسجدا
مهفهفة الاعلى واسفل خلقها * جرى لحمه من دون أن يتخددا
من المدمجات اللحم خدا كأنها * عنان صناع مدمج الفتل عضدا
كأن ذكى المسك منها وقد بدت * وريح الخزامى عرفه ينفح الندا
وانى لأهواها واهوى لقاءها * كما يشتهى الصادى الشراب المبردا
فقلت الا ليت أسماء أصقبت * وهل قول ليت جامع ما تبددا
علاقة حب كان فى زمن الصبا * فأبلى وما يزداد الا تجددا
نظرت رحاب الموقرات فكم أرى * أكاريس يحتلون خاخا فشدا
فأوفيت فى نشز من الارض يافع * وقد يسعف الايفاع من كان مقصدا
كريم قريش حين ينسب والذى * اقرت له بالملك كهلا وامردا
وليس عطاء من كان منه بمانع * وان جل عن أضعاف أضعافه غدا
اهان تلاد المال فى الحمد انه * امام هدى يجرى على ما تعودا
تردى بمجد من أبيه وجده * وقد أورثا بنيان مجد مشيدا
ولو كان بذل المال والجود مخلدا * من الناس انسانا لكنت المخلدا
فأقسم لا انفك ما عشت شاكرا * لنعماك ما طار الحمام وغردا

هكذا وجدت القصيدة وان بترها المصنف الا أن فى بعض أبياتها تغييرا فى نسخة بدل اذا لم تكن تعشق * اذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا * يعنى بالعزهاة بالمهملة قال الزاى محب اللهو والطرب وبدل قوله وانى وان فندت وانى وان أغرقت وبدل قوله لكنت المخلدا لكان ولما سمعه قال لحبابة من يقول هذا قالت الاحوص فاستحضره وأحسن صلته وتراسلت فيه يوما هى وسلامة فغنيتا الى ان قالت حبابة كريم قريش فقال يزيد من يعنى قالت أنت فقالت سلامة اسمع باقيه واكملته فاجزل صلة الاحوص وكانت اذا غنته حبابة الشعر يطرب حتى يقول احسنت ياحبيبتى اتأمرينى ان اطير فتقول له الى من تكل الامة فيقول اليك واشتد طربه بها يوما فقال لها قد استخلفتك واستعملت فلانا عنك فقالت قد عزلته فقال أوليه ونعزليته وقام مغضبا فلم تكترث به وارتفع النهار فدعا خادما لها فقال له ما تصنع حبابة قال قد ازرت بازار خلوق وهى تلعب بلعبها فقال هل تقدر أن تمر بها على ولك حكمك ففعل فلاعبها ساعة واستلت لعبة وفرقا نطلقت فى طلبه تخطر حتى مرت عليه فوثب واعتنقها وهو يقول وليته وهى تقول عزلته واصطلحا واقاما على ذلك الى ان قال يزيد يوما قد بلغنى ان السرور لم يصف لشخص يوما كاملا وانى مجرب ذلك ودعا بحجابه فأوصاهم ان لا يدخلوا عليه أحدا واحتجب معها بستان له بقرية من الغوطة تسمى بيت رأس على زعم المؤرخون ان يزيد بن معاوية وضع رأس الحسين بها حين قدموا به فلم يزل معها على عادتها حتى انتصف النهار وانه ضاحكها ثم

فأجبتهم بعت الجمار وبعتها
(الباب الرابع عشر فى الرقيب التمام والواشى الكثير الكلام)
أقول هذا باب عقدناه لذكر كل
رقيب غائر العين كثير المين يرى
المحب بعين المقت فى كل وقت
ويرميه فى الحضرة والمغيب بكل
سهم مصيب فكم ترك المحب مضنى
وافقره فمن أحب وما استغنى
فهو كالصبح قاطع اللذات تعيس
الحركات قبيح المنظر سيئ المخبر كثير
اللجاج حرفى دكان زجاج فهو
والنمام فى الاذى فرسا رهان
رضيعا لبان ومن ابلغ ما سمعته
فى الرقيب
انا والحب ما خلونا ولا طر
فة عين الا علينا رقيب
ما خلونا بحيث ان يمكن الده
ربانى أقول أنت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت أنت ا
ح فرانى فقلت كيم الطبيب
(وقول بن المعتز)
وابلانى فى محضر ومغيب
من حبيب منى بعيد قريب
لم تردما وجهه العين الا
شرقت قبل شربها بالرقيب
(وقال ايضا)
قد دنت الشمس للمغيب
وحان سوقى الى الحبيب
طوبى لمن عاش عشر يوم
له حبيب بلا رقيب

رشفها بعنبة أو حبة رمان وقيل هى ابتاعتها فشرقت بها فمات واشتد غم يزيد وحزنه واقام ثلاثا يرشفها ويضمها ولم يمكن أحدا من دفنها حتى تغيرت فلامه الناس وعذلوه فاذن فى تجهيزها ثم لم يستطع النهوض الى الصلاة عليها فقيل حمل على رقاب الناس وقيل قال له مسلمة أنا أكفيك مع انه لم يحضر ثم ضم اليه جويرية كانت تخدم حبابة فانس بها فقال لها يوما ههنا كنا نجلس قالت نعم فانشد

كفى حزنا للها ثم الصب ان يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

وخرج الى قبرها فبكى طويلا ثم تمثل بقول كثير

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى * فبالأمس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارنى فهو قائل * من أجلك هذا ميت اليوم او غد

ثم مكث خمسة عشر يوما وعاوده القلق فأمر بنبشها فقيل منعه اخوه وقال له يظن الناس انك أتيت فى عقلك فيخلعونك فرجع وقيل استخرجها وجعل يقبلها فقيل له قد تغيرت فقال اراها أحسن منها اليوم وانه مات حينئذ وقيل اقام أربعين يوما ثم مات ودفن الى جانبها قالوا ولم يعلم خليفة مات عشقا سواه وأما سلامة فأقامت بعدهما حتى توفيت على ما قيل فى عهد المنصور (وحكى) عن رجل انه قال دخل على غلامى ومعه كتاب ففتحته واذا فيه

تجنبك البلاء ونلت خيرا * ونجاك المليك من الغموم
فعندك لو منحت شفاء نفس * واعضاء فنين من الكلوم

فعلمت انه عاشق وامرت بادخاله فلم يجدوه فعرضت الكتاب على جوارى وقلت من عرفت منكن أمر صاحب هذا فهى له ومائة دينار فخلقن انهن لم يعرفن ذلك وبقى الكتاب والدراهم سنة فى جانب البيت فبينا أنا يوما جالس اذ دخل على غلامى بكتاب مثل الاول وفيه

ماذا أردت الى روح معلقة * عند التراقى وحادى الموت يحدوها
حبست حاديها ظلما لجذبها * فى السير حتى تخات فى تراقيها
والله لو قيل لى تأتى بفاحشة * وان عقابك دينانا وما فيها
لقلت لا والذى أخشى عقوبته * ولا باضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياة لبعنا بالذى كتمت * بنت الفؤاد وابدينا امانيها

فطلبته فلم أجده ايضا فغمنى أيضا أمره وقلت للخادم لا يأتين أحد بكتاب الا قبضت عليه حتى أراه وكان قد قرب الحاج فلما وقفت بعرفة اذا بشاب على ناقة الى جانبى وقد أخذ منه التعول والسقم الا ان عليه آثار الجمال والادب فسلم على وقال هل تعرفنى قلت ردنى قال أنا صاحب الكتابين قلت قد وهبت لك الجارية ومائة دينار فامض واعرفها وتسلمها فقد تعبت من أمرك قال لم أطلب شيأ مما تقول قلت فعرفنى اسمها لاكرمها

قيل لبعض العرب ما امتع لذات الدنيا فقال ممازجة الحبيب وغيبة الرقيب قال الصاحب ابن عباد
قال لى ان رقيبى * سيئ الخلق فداره
قلت دعه وجهنم * الجنة حفت بالمكاره
(وقال آخر)
لهم الحب جرح فى فؤادى
وذاك الجرح من عين الرقيب
يوكل ناظريه بنا ويحكى
مكان الكاتبين من الذنوب
فلو سقط الرقيب من الثريا
لصب على محب أو حبيب
(وقال آخر)
يسقيك من كفه مداما
ألذ من غفلة الرقيب
كأنما اذ صفقت ورقت
شكوى محب الى حبيب
(وقال ابو نواس)
لاحظته فتبسما
وخلا المكان فسلما
وبدا الرقيب فقلت لا
سلم الرقيب من العمى
(وقال الصفى الحلى)

من أجلك قال ما كنت بالذى يبوح بشئ وانصرف بعد أن أنشد

لعمرك ما استودعت سرى وسرها * سواها حذارا أن تضيع السرائر
أصون الهوى خوفا عليك من العدا * مخافة أن يغرى بذكرك ذاكر

(ومنهم) أبو عبد الله الخبشانى عشق جارية سوداء يقال لها صفراء ومرض من حبها حتى لزم الوساد فقيل لمولاها لو أرسلت بها اليه فعساه أن يجد الشفاء فلما دخلت عليه قالت كيف أصبحت قال بخير ما رأيتك قالت ما تشتهى قال قربك قالت فما تشتكى قال هجرك قالت فبم توصى قال بك ان سمع لى قالت انى أريد الانصراف قال لا تعجلى ثواب الصلاة على فلما رآها ولت شهق شهقة فمات

(ومنهم) شاب بصرى قال فى النزهة اسمه ظريف بن نعيم الفقارى كان بأعظم حالة من الجمال وأمكن رتبة من المال وانه اقترح على ابيه وكان من اكابر تجار البصرة ان يرسله بمتجر الى بغداد فمانعه زمانا وكان يقول له نحن غير محتاجين الى اكتساب بالاسفار فلا تفجعنى فيك فأبى الا السفر فجهز له حملا وسار حتى دخل بغداد فأقام بها مدة يتنزه ويسرح فى ملاذها ناظره ويشرح بمنازهها خاطره الى ان اشار عليه بعض ندمائه بحضور الدكة يعنى المكان الذى تباع به الجوارى فحضره مع خواص التجار وجىء بجارية بهرت الحاضرين واشغلت الناظرين فكانت كلما اراد أحد تقليبها لم تمكنه من النظر الى اكثر من عضو واحد وكانت كلما اراد احد شراءها عاتبه حتى وقعت عينها على البصرى فأحبته واطمعته بنفسها فساومه مولاها حتى اخذها بمائة ألف درهم ثم انطلق بها الى منزله فلما كان الليل اذا بطارق فخرج فاذا هو صاحب شرطة الخليج فاخذوه حتى دخلوا به عليه فقال له على بالجارية التى اشتريتها فقال اصلح الله الامير انها روحى فلا تكن سبب هلاكى فأمر بالقبض عليه وأرسل من جاء بالجارية فلما رآها علم انها لم تبق له ان عرف الخليفة ذلك فوجه بها الى الشام من ليلته الى عبد الملك وحبس الشاب فلما زال عقله اطلقه وأخذ ماله وتوجه الشاب الى دمشق فأقام بها مدة متنغص الحياة فأراد أن يحتال على الاجتماع بالجارية فلم يمكن فوقع فى قصة ان راى أمير المؤمنين ان يأمر جاريته نعمى ان تغنى لى ثلاثة اصوات اقترحها ثم يفعل ماشاء فليفعل فلما رأى القصة اشتد غضبه ثم عاوده الحلم فلما انصرف الناس أحضر الشاب والجارية وقال مرها بما شئت فقال لها غنى لى قول قيس بن ذريح لقد كنت حسب النفس الى أربعة أبيات فغنت فمزق ثوابه ثم قال لها غنى قول جميل * الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * الى ستة أبيات فغنت فغشى عليه ثم افاق فقال غنى قول المجنون * وفى الحيرة الغادون من بطن وجرة * الى اربعة أبيات فلما غنت قام فألقى نفسه من شاهق فمات فقال عبد الملك لقد عجل على نفسه ايظن انى أخرجت جارية واعود بها خذها يا غلام فاعطها لورثته او فتصدق بها عليه فلما نزلوا بها نظرت الى حفيرة معدة للسيل فجذبت يدها من الغلام وهى تقول

من

من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير فى عشق بلا موت

والقت نفسها فى الحفيرة فماتت وسأل القوم عن الغلام فقيل انه قدم من كذا وكذا يوما ورؤى فى الاسواق وهو يقول

غدا يكثر البا كون منا ومنكم * وتزداد دارى من ديارك بعدا

وقيل ان القصة وقعت بين يدى سليمان بن عبد الملك وانه اقترح فى الصوت الاول قول امرئ القيس * افاطم مهلا بعض هذا التدلل * الى ثلاثة أبيات وفى الثانى * غدا يكثر البا كون منا ومنكم * البيتين (وفى الثالث)

تالق البرق نجديا فقلت له * يا أيها البرق انى عنك مشغول
يكفيك منى عدو ثائر حنق * يكفه حباب الماء مصقول

وانه كان يطلب كل مرة النبيذ فيسقى

(ومنهم) الشريف البياضى عشق جارية لبنت فخر الملك فوجدبها وجدا عظيما وتطاول أمره حتى شاع فى الناس ذكره ولم يزل حتى مرضت فمرض ايضا هو فلما توفيت طاش عقله وبقى شهرا مغمورا دون ثم لحق بها وله فيها اشعار كثيرة (منها)

خليلى مرا بالعراق فنادبا * الا من رأى قلبا من الوجد باليا
وان انقما أعيتهما فى ابتغائه * ولم تجداه فابغيانى ناعيا

(ومنها)

دع الوقوف على الاطلال والدمن * فليس ينفع مسكون بلا سكن
أما ترانى لا انثنى على طلل * بعد الفراق ولا آوى الى وطن
وكيف يأنس قلبى بالديار وقد * أصاب فيها الردى من كان يؤنسنى
ان الذين اذا قونى فراقهم * افنيت بعدهم دمعى من الحزن
لله من لعبت ايدى المنون به * ضنا بما فيه ان يبقى على الزمن
جعلت روحى له من روحه عوضا * مقيمة معه فى ذلك الكفن
فصار كالحى اذ روحى تحل به * وصرت كالميت اذ لا روح فى بدنى
وكيف تعجب روحى بعده جسدى * وكان ان غاب تأبى ان تصاحبنى

(ومنهم) ما أخرجه ابن الجوزى فى تنوير الغبش عن التنوخى والثورى يرفعانه الى اسمعيل بن جامع قال وقع بينى وبين أبى وحشة فذهبت الى خالى باليمن فكنت عنده فى غرفة تشرف على نهر فنظرت يوما الى سوداء قد أقبلت تملأ قربة فوضعتها واستراحت ثم أنشدت

الى الله أشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبذل علقما
فداوى مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركيه هائم القلب مغرما

ثم ملأت القربة ومضت فنزلت اعدو حتى لحقتها استعيد الصوت فابت وقالت انى لفى

قال لا بد أن تدب عليه
قلت ابغى رشا وآخذ ذيا
قال فابد أبناء واثن عليه
قلت كلا لقد رأيت عجيبا
فوثبنا على الغزال ركوبا
ودببنا على الرقيب دبيبا
هل رأيتم أو هل سمعتم بصب
نال محبوبه ونال الرقيبا

(قال ابن بسام) لقد تظرف ابن الابار وأبرز وأحسن ماشاء وقدر وأظنه لو قدر على ابليس الذى تولى هذا المذهب لدب عليه ولم يخلص من يديه وابن المعتز كنى ولم يصرح حيث قال

فكان ما كان مما الست أذكره
فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

(وقال أبو نواس)

اذا هجع النيام نخل تعنى
وعمن كان يصلح للمديب
الذا النيل ما كان اغتصابا
بمنع الحب أو خوف الرقيب

(وقال ابو الوليد محمد بن حسان الحنفى)

تشر النسيم بعرفكم يتعرف
واخو الغرام بحبكم يتشرف

وملبح له رقيب قبيح
يتعنى وغيره يتهنى
ليس فيه معنى يقال ولكن
هو عند النحاة جاء لمعنى

(وقال آخر)

قالت صفا الوقت ولكن
الرقيب كالقذى
قلت اذا غاب الرقيب
ارضنى قالت اذا

(وقال آخر)

احب العذول لتكراره
حديث الحبيب على مسمعى
وأهوى الرقيب لانى
بكون اذا كان حبى معى

(وقال ابو جعفر احمد بن الابار)

زارنى خيفة الرقيب مريبا
يتشكى القضيب منه الكثيبا
قال لى ماترى الرقيب مطلا
قلت ذره أتى الجناب الرحيبا
عاطها كؤس المدام دراكا
وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينيك صرفا
واجعل الكأس منك ثغرا شنيبا
ثم لما ان نام من تتقيه
وتلقى الكرى سميعا مجيبا

شغل عن ذلك قلت بماذا قالت على درهمان فأعطيتها اياهما واستعدت الصوت حتى حفظته فلما أصبحت فاذا هو قد ذهب مني وأقبلت السوداء على عادتها فاستعدته منها فقالت كانك تستكثره بأربعة دراهم كاني بك وقد أخذت عليه اربعة آلاف دينار فلما كنا عند الرشيد اوقال عند المأمون وبين يديه أربعة اكياس كل واحد الف دينار قال من اطرب فله الف دينار فغنيته البيتين فرماني بكيس واستعاد الصوت فرماني بالآخر حتى اعطاني الاربعة فحدثته القصة فقال لم تكذب السوداء (ومنهم) ما اخرجه ابن اسحق قال انحدرت مع محمد بن ابراهيم من سر من رأى ودجلة في طغيانها فاحضر الشراب فاندفعت جارية تغني

وارحمة للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا
كم يشتهون ويضربو * ن ويهجرون فيصبرونا

فقالت لها مغنية اخرى فيصنعون ماذا قالت هكذا ورمت بنفسها في الماء وكان على رأس محمد غلام اشتراه بالف دينار فحين راى فعل الجارية القى بنفسه وهو يقول

أنت التي عزفتني * كيف الهوى لو تعلمينا
لا خير بعدك في البقا * والموت زين العاشقينا

فدفع من طليهما فقيل وجدا متعانقين وقيل استخرجا وردفنا وفي رواية الحافظ ان القصة وقعت في بيت محمد المذكور وكان على الدجلة وان الغلام هو الذي القى نفسه قبل حين سمع الجارية فتبعته وانها غنت هذا الصوت

يا قصر قصر متى تطلع * أشقى وغيري بك يستمتع
ان كان ربي قد قضى كل ذا * منك على راسي فما أصنع

(ومنهم) شخص كان يهوى مغنية عند عبد الله بن جعفر فشغف بها حتى كان يأتي الباب لسماع صوتها فلما فطن به زينها ونزل بها اليه فوجده نائما فنهبه وقال له دونكها فامض بها الى منزلك فلما رآها خمص برجله وحرك فاذا هو ميت وكانت هذه الجارية قد طلبها يزيد فأبى عبد الله أن يدفعها اليه فقيل انها ماتت بعد ذلك بيسير وان موتها كان عشقا

(القسم الرابع)
في ذكر من حظي بالتلاق بعد تجرع كاس الفراق

وهذا القسم هو الذي ترجمه بمن ساعده الزمان بعطوبه حتى ظفر بمحبوبه وذلك اما لشفاعة اوجاه أو حيلة او عناية ازلية وهم ايضا بالنسبة الى النساء اما متعلق بالاحرار أو مرمى بالعشق من جهة الجوار (فمن الصنف الاول) عبد الله بن ابي بكر الصديق عشق عاتكة فكلف بها حتى كاد أن يطير عقله فلما تزوج بها أقام سنة لا يشتغل بسواها ثم قدم عليه تجارة من الشام فخرج ليتعاطى أمرها فخيل له حين خرج انه لم يعد ينظر الى عاتكة فعاد في الاثر فجلس معها وترك التجارة فلما كان يوم جمعة وهو معها اذ فاتته الصلاة وهو

شرف المتيم في هواكم انه
طورا يبوح وتارة يتلهف
صب اذا كتم الغرام ولم يبح
نمت عليه به الدموع الذرف
لطفت معانيه فهب مع الصبا
ورقيبه بجنوبه لا يعرف
لم يدر زورته الرقيب لانه
أخفى عليه من النسيم وألطف
وكانما يقد النسيم ديارهم
وله على تلك الديار توقف

(قال عروة بن عبد الله) كان عروة ابن أذينة الليثي نازلا في دار ابي العقيق فسمعته يشد لنفسه ان التي زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فاذا وجدت لها وساوس سلوة
شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها
بلياقة فأدقها وأجلها
لما عرضت مسلما لى حاجة
أخشى صعوبتها وأرجو حلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي
ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا وقال لعلها معذورة
في بعض رقبتها فقلت لعلها

لا يدري وجاء أبوه فوجده عندها فقال له أجعت فقال وهل صلى الناس فقال قد ألهتك عاتكة عن التجارة فلم ترتب في ذلك ولم تقل شيأ وقد ألهتك عن الصلاة طلقها فطلقها طلقة واعتزلت ناحية فلما كان الليل قلق قلقا شديدا فانشد

اعاتك لا انساك ما ذر شارق * وما ناح قمري الحمام المطوق
لها منطق جزل ورأي ومنصب * وخلق سوي في حياء ومصدق
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها * ولا مثلها في غير شيء يطلق

وكان أبو بكر على سطح يصلي فسمعه فرق له فقال راجعها فقال قد راجعتها ثم أشرف على غلام له فقال له انت حر واشهد اني راجعت عاتكة ثم ضمها اليه واعطاها حديقة على أن لا تتزوج بعده فلما قتل بالطائف رثته بابيات منها

وآليت لا تنفك عيني حزينة * عليك ولا ينفك جلدي اغبرا
فلله عينا من رأى مثله فتى * اكر وأحمى في الهياج واصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى الموت حتى يترك الجون اشقرا

وتزوجها عمر بعد ان استفتى عليا في ذلك فأفتى بأنها ترد الحديقة الى أهله وتتزوج ففعلت فذكرها على بقولها وآليت لا تنفك البيت ثم قال كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ثم تزوجت بعده بالزبير وبعده بالحسين بن علي حتى قال ابن عمر من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة وخطبها علي فقالت اني لا ضمن بك عن القتل وخطبها مروان بعد الحسين فقالت ما كنت متخذة حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ومنهم ما حكاه معبد المغني) قال بينا أنا جالس اذ طرق بابي فقلت للغلام اخرج فانظر من بالباب فخرج وعاد مستأذنا فأذنت فدخل غلام فوضع بين يدي ثلثمائة دينار وقال عمن لي

بالله يا طرفي الجاني على كبدي * لنطفئن بدمعي لوعة الحزن
لا لا أبوح حتى يحجبوا سكني * فلا أراه ولو أدرجت في الكفن

فعملت لها لحنا ثم غنيته به فأغمي عليه فنضحت عليه الماء فلما أفاق جعل يقبل يدي ورجلي على أن اعيد الصوت فقلت أخشى ان تموت فقال من لي بذلك فغنيته الصوت فخر مغشيا عليه فلم أزل أنضحه بالورد والطيب حتى افاق فجعلت الدنانير بين يديه وقلت خذها وامض عني فقال لك مثلها ان اعدته فشرهت عيني فقلت له ان اقت عندي واكلت طعامي حتى تقوى نفسك واخبرني بقصتك اعدته ففعل وحدثني انه خرج غب سماء وقد سال العقيق مع قنية الى منتزه فاذا هم بنسوة بينهن فتاة قد فضحت الشمس بعينين لا يرتدان الا باقتناص النفس فأوقعت به وعاد مسلوب العقل فأقام لم يعرف لها خبرا حتى كاد أن يقضي فقالت له قرابته لا بأس عليك اذا أربع الوقت خرجنا بك اوان الفرج فلا تعود الا يخبرها قال فلما جاء الابان خرجنا الى المنتزه فاذا نحن والنسوة كفرسي رهان فقلت لبعض قرابتي قولوا لهذه الجارية لقد أحسن من قال

فاتاني أبو السائب المخزومي
فقلت له بعد الترحيب والبشر
ألك حاجة قال نعم أبيات لعروة بلغني
انك سمعته ينشدها فأنشدنه
الابيات فلما بلغت الى قوله فدنا
وقال لعلها معذورة طرب وصاح
وقال هذا والله الدائم الصبابة
الصادق لا كالذي يقول
ان كان أهلك يمنعونك رغبة
عني فاهلي بي أضن وأرغب
لقد عدا الاعرابي طوره واتى
لا ارجو أن يغفر الله لصاحب هذه
الابيات لحسن ظنه بها وطلب
العذر لها قال فعرضت عليه
الطعام فقال لا والله ما كنت
لاخلط بهذه الابيات طعاما حتى
الليل وانصرف (وقال ابن رشيق)
تأذى بلحظي من أحب وقال لي
أخاف من الجلاس أن يفطنوا بنا
وقال اذا كررت لحظك دونهم
علي فهما يخفى دليل مريبنا
فقلت بلينا بالرقيب فقال ما
بلينا ولكن الرقيب بلى بنا

رمتنى بسهم أصمد القلب وانتنت * وقد غادرت برحايه وندوبا

فقالت الجارية قد احسن من اجاب

يثامل مانشكو فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفى السقام قريبا

فامسكت عن الجواب واتبعتها حتى عرفت المنزل فكان المجتمع وتحادث الى ان علم اهلها فحجبوها وخطبتها فامتنعوا محتجين بالشهرة فهاانا على ماترى قال معبد فغنيته الصوت ومضى فلما حضرت مع جعفر غنيته اياه فطرب وسأل عنه فأخبرته القصة فأمرنى باحضاره فأحضرته اليه فطيب قلبه وركب الى الخليفة فحدثه بالحديث فاستحضرنا جميعا وطلب ان أغنيه الصوت فغنيته فطرب وكتب الى عامله على الحجاز باحضار الرجل واهله فلما حضروا امهرها الخليفة وزوجها منه

(ومنهم رجل عذرى) دخل على معاوية فى جمع فلما اخذ كل مجلسه قام فانشد

معاوى ياذا الحلم والفضل والعقل * وذا البر والاحسان والجود والبذل

اتيتك لما ضاق فى الارض مسلكى * وانكرت مما قد اصيب به عقلى

ففرج كلاك الله عنى فانى * لقيت الذى لم يلقه أحد قبلى

وخذلى هدالله حتى من الذى * رمانى بسهم كان اهونه قتلى

وكنت أرجى عدله اذ أتيته * فاكثر ترددى مع الحبس والكبل

فطلقتها من جهد ما قد أصابنى * فهذا أمير المؤمنين من العدل

فاستدناه وقال له ماشأنك قال تزوجت ابنة عمى وكانت من المبرزات فى الجمال والحياء فانفسقت عليها الى ان املقت فرفع أبوها القصة الى ابن ام الحكم فضيق على السجن والقيود حتى طلقت كارها فأعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوج بها فاتيتك مستغيثا بعدلك فكتب معاوية اليه يغلظ عليه ويأمره بالتخلى عنها ويقول فى آخر الكتاب

ركبت ذنبا عظيما لست أعرفه * فاستغفر الله من جور امرئ زانى

قد كنت تشبه صوفيا له كتب * من الفرائض أو آيات فرقان

حتى آتانى الفتى العذرى منتحبا * يشكو الى بحق غير بهتان

أعطى الاله عهودا لا أخيس بها * أولا فبرئت من دينى وايمانى

ان أنت راجعتنى فيما كتبت به * لاجعلنك لما بين عقبان

طلق سعادا وفارقها بمجتمع * واشهد على ذاك نصرا وابن ظبيان

فما سمعت كما بلغت من عجب * ولا فعالك حقا فعل انسان

فلما وقف عليه قال وددت لو خلى بينى وبينها سنة ثم عرضنى على السيف ثم طلقها فأخبر بها فلما وصلت الى معاوية وقد تعجب الناس من حسنها وقالوا هذه لا تصلح لاعرابى انما تكون لامير المؤمنين فعجب منها ثم استنطقها فاذا هى فتنة فقال له هل لك عوض عنها قال نعم اذا بان رأسى عن بدنى ثم أنشد

لاتجعلنى والامثال تضرب بى * كالمستجير من الرمضاء بالنار

اردد سعادا على حران مكتئب * يمسى ويصبح فى هم وتذكار

قد شفه قلق ما مثله قلق * وأشعر القلب منه اى اشعار

والله والله لا أنسى محبتها * حتى اغيب فى رمس واحجار

كيف السلو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية من ذلك وخيرها بينه وبين ابن أم الحكم وبين ابن عمها فانشدت

هذا وان أصبح فى اطمار * وكان فى نقص من اليسار

أكبر عندى من أبى وجارى * وصاحب الدرهم والدينار

اخشى اذا غدرت حر النار * خل سبيلى مابه من عار

لعلنا نرجع للديار * وان عسى تظفر بالاوطار

فقال خذها لابارك الله لك فيها وامر ان تقيم الى تمام العدة فلما انقضت دفعها اليه مع ناقة وعشرة آلاف دينار

(ومنهم) ماحكاه فى منازل الاحباب عن بعض الحدونية قال صحبت المتوكل الى الشام وكنت مغرما بالفراديس لظرفها فحين بلغناها قال المتوكل هل لك فى ان تتصفح الكنائس والرياض فتتنزه فيها فقلت نعم فاخذ بيدى وجعلنا نستقرى الاماكن ونشاهد ما فيها من العجائب وحسن ثياب النصارى حتى خلوت براهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر حتى اقبلت جارية لم ير مثل أحسن منها وبيدها مجمرة تبخر فسأله عنها فقال هى ابنتى قال ما اسمها قال شعانين فقال لها المتوكل ياشعانين اسقينى ماء فقالت ياسيدى ليس هنا الا ماء الغدران وانا لا استنظفه لك ولو كانت حياتى ترويك لبادرت بها واسرعت بكوز فضة فأومأ الى ان اشرب منه فشربته ثم قال لها ان هويتك نساعدينى فقالت أنا الآن أمتك واما اذا صدق الحب فى المحبة فما اخوفنى من الطغيان أما سمعت قول الشاعر

كنت لى فى أوائل الامر حبا * ثم لما ملكت صرت عدوا

أين ذاك السرور عند التلاقى * صار منى تجنبا وتنوا

فطرب حتى كاد أن يشق ثوبه ثم قال لها هيبى نفسك اليوم فصعدت به الى غرفة مشرفة على الكنائس وجاء الراهب بخمر لم ير مثله وعاف المتوكل طعامهم فاستحضر أطعمة من عنده فلما اخذ منه الشراب أحضرت آلة وغنت

ياخاطبا منى المودة مرحبا * روحى فداؤك لا عدمتك خاطبا

أنا عبدة لهوى فاشرب واسقنى * واعدل بكأسك عن جليسك اذ ابى

قد والذى رفع السماء ملكتنى * وتركت قلبى فى هواك معذبا

فأرغبها حينئذ فأسلمت وتزوجها فكانت من أحظى النساء عنده (ويقرب) من ذلك ماحكى عن الوليد بن يزيد انه عشق نصرانية وراسلها فأبت عليه فكاد ان يطيش عقله لانه ولا يخلى الناس يتامون فأذاه اذا ورد من بعيد أقرب من حبل الوريد والعاشق بينه وبين العذول مايلفظ من قول الا لديه

رقيب عتيد فهو ان قعد قامت * القيامه وان راح لا كتب الله عليه سلامه

(فصل فى النمام والواشى وما اظرف ما سمعت فى ذلك)

قال لى عودى غداة رأونى * ما الذى تشتهيه واجتهدوا بى

قلت مقلى به لسان وشاة * قطعوه فيه بصنع عجيب

وأضافوا اليه كبد حسود * فقلت فوقها عيون رقيب

وهذا مأخوذ من كلام بعض العشاق وقد قيل له ما الذى تشتهيه فقال أعين الرقباء وألسن الوشاة واكباد الحساد (وقال الآخر) لى عندكم يوم التواصل دعوة

يامعشر الجلساء والندماء * أشوى قلوب الحاسدين بها وآلى

سنة الوشاة وأعين الرقباء

وقال صلى الله عليه وسلم أبغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار على مابهم من الاذى منهم رجل يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة (وقال وضاح اليمنى)

فاعص الوشاة فانما * قول الوشاة هو الفتن

ان الوشاة اذا أتو

لا تنصحوا ونهولك عن

(حكى) انه غنى معن بحضرة السلطان عماد الدين زنكى صاحب الشام بقول الشاعر

ويلى من المعرض الغضبان اذ نقل الـ ـوانى اليه حديثا كله زور
سلمت فأزور يثنى قوس حاجبه كأننى كأس خمر وهو مخمور

فاستحسنهما السلطان وقال لمن هما فقيل لابن منير فأمر باحضاره ليتخذه نديما ويحله من حضرته مقاما عظيما (وقال السرى)

والقالك بالبشر الجميل مداهنا فلى منك خل ما علمت مداهن
انم بما استودعته من زجاجة يرى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

(وقال شهاب الدين بن الاثير)

انى بحبك مستهام مغرم وسوى هواك على القلوب محرم
لا تسمعى قول الوشاة فانهم زادوا الكلام ونقصوه وغموا

فمنى ان ترضى ولو بمنيتى اى والطلاق ثلاثة لى يلزم

(وقال آخر)

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستبيح دم الحجاج فى الحرم
خصاله لست احصيها لكثرتها لكنها جمعت فى نون والقلم

يشير الى قوله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم وجاء فى التفسير ان الهماز الذى يهمز الناس اى يذكرهم بالمكروه ويأكل لحومهم بالطعن والغيبة

فتسكر يوم عيد للنصارى وبابيع صاحب بستان تتنزه فيه بنات النصارى فأدخلنه فلما رأته قالت للبواب من هذا قال لها مصاب فجعلت تمازحه حتى اشتغل بالنظر اليها فقبل أندرين من هذا قالت لا قالوا لها هو الخليفة فأجابت حينئذ وتزوج بها وفيها يقول

أضحى فؤادك يا وليد عميدا * صبا قديما للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة * برزت لنا تحوى الكنيسة عيدا
مازلت أرمقها بعينى وامق * حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسى من رأى * منكم صليبا مثله معبودا
فسألت ربى أن أكون مكانه * وأكون فى لهب الجحيم وقودا

وفى ذلك يقول ايضا لما اشتهر أمره بها

ألا حبذا سعدى وان قيل انها * كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون علينا أن نظل نهارنا * الى الليل لا أولى نصلى ولا عصرا

وكان يقال لم يبلغ مدرك هذا المبلغ لانه لم يطلب الا أن يكون صليبا فى الزنار (ومثل) ذلك ما حكى عن ابن العباس بن الفضل انه عشق نصرانية بدير سرماجيس فكان لا يفارق البيع شغفا بها فوجدها يوما فى بستان فجلست معه أسبوعا فقال فى ذلك

رب صهباء من شراب المجوس * قهوة بابلية خندريس
قد تجليتها بنداى وعود * قبل ضرب الشماس بالناقوس
وغزال مكحل ذى دلال * ساحر الطرف ساحرى عروس
قد خلونا بنطية فتجلته * يوم سبت الى صباح الخميس
بين وردو بين آس جنى * وسط بستان دير سرماجيس
يتثنى فى حسن جيد غزال * فى صليب مقضض ابنوس
كم لثمت الصليب فى الجيد منها * كهلال مكلل بشموس

(ويقرب) من ذلك ما حكاه الصلاح الصفدى فى تاريخه قال رأيت بحماة رجلا وافر الحظ من الخط وقد أوثقه المؤيد ليكتب عنده فكان لا يمكنه من الخروج فحكى انه عاشق نصرانية بشيزر فكان يكتب الى المغرب بحماة ثم يذهب اليها فيجلس معها الى الصباح ويأتى وأقام على ذلك طويلا وأنها قالت له يوما ان احببتنى فاكو على رأسك صليبا ففعل وأنا رأيته

(ومنهم الشحمى) وهو رجل من فزارة أوهو من زبالة عشق ابنة عمه وكلف بها والى عمه أن يزوجه بها فتسور عليها الليلة فاحس به فقبض عليه وأتى به الى خالد القسرى فأقام جماعة فشهدوا أنه سارق وسأله فاقر ليسترها فأمر بقطع يده فرفع أخوه الى خالد رقعة يقول فيها

أخالد قد وطئت والله عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاتق

ولولا

ولولا الذى قد خفت من قطع كفه * لالفيت فى امر له غير ناطق
اذا مدت الكعبان فى السبق للعلا * فأنت ابن عبد الله اول سابق

فتعجب خالد على الامر فلما استعجمه أحضر أباها وامره أن يزوجها من الغلام فأبى فاجبره وساق المهر من عنده

(ومنهم محمد بن صالح العلوى)

قال لما خرجنا على المتوكل اخذت انا واصحابى قافلة الحاج فجمعنا مالا ومتاعا لا يحصى وكنت قد جلست على كرسى واصحابى يجتمعون الى المال اذ أتانا امرأة قد رفعت سجاف هودج فأضاء منها الموضع ولا اضاءته بالشمس فقالت ابن الشريف صاحب السرية فلى اليه حاجة قلت انه يسمع كلامك ففالت أنا حدونية بنت عيسى ابن موسى تعلم مكاننا عند الخليفة وأنا اسالك أن تأخذ منى ثلاثين الف دينار مع انى اعطيتك ما فى يدك ولكن اسالك بفضلك أن لا يكشف لى احد وجها ففاديت اصحابى فلما اجتمعوا قلت من اخذ منكم من هذه القافلة عقالا آذنته بحرب فردوا حتى الاطعمة وخفرتهم الى المأمن فلما ظفر بى الخليفة وحبسنى بسر من رأى دخل على السجان يوما فقال ان بالباب امرأتين من اهلك يريدان الدخول عليك ولولا أن دفعتا الى دملج ذهب ما اذنت لهما فقد منع الخليفة أن يدخل عليك احد فخرجت فاذا أنا بها مع امرأة وجارية تحمل شيأ فلما بصرت بى قالت اى والله هو وبكت لما أنا فيه ثم قبلت قدمى وقالت لو استطعت أن اقيك بنفسى افعلت ولكنى لا أقصر فى خلاصك ودونك هذه النفقة ورسولى يأتيك فى كل يوم بما تريد حتى يفرج الله عنك ودفعت الى خمسمائة دينار وثيابا وطيبا وطعاما وانصرفت وقد اضرمت بقلبى نارا قدحتها النظرة الاولى فأنشدت

طرب الفؤاد وعاودت احزانه * وتشعبت بشعابه اشجانه
وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو لحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنعا اركانه
فبدا لينظر أين لاح فلم يطق * نظرا اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به اجفانه
يا قلب لا يذهب بحلمك باخل * بالنيل باذل تافه منانه
واقنع بما قسم الاله فأمره * ما لا يزال على الفتى اتيانه
والبؤس ماض لا يدوم كما مضى * عصر النعيم وزال عنك اوانه

ولم يزل رسولها يعاودنى بالاحسان وملاطفة السجان الى أن خرجت وعظم امرى عند الخليفة فخطبتها فامتنع أبوها فكان سجن هواها اعظم على من السجن فلم ار الا أن اتيت ابراهيم بن المقتدر فاخبرته بذلك وكان أبوها صنيعته فركب اليه فلم يفارقه حتى

وعن الحسن هو الذى يلوى شدقيه فى اقفية الناس وقيل الهمزة المؤاخذ بالمواجهة واللمزة بظهر الغيب وقيل بالعكس وقيل الهمزة جهرا واللمزة سرا بالحاجب والعين والنمام ناقل الكلام السيء وقد أكثرت الشعراء من ذمه وخافهم ابن رشيق فقال

لم كره النمام اخوانا
أساء اخوانى وما أحسنوا
ان كان نما فعكوسه
من غير تكذيب لهم مأمن

(وقال آخر)

اسمع نصيحة عارف
جمع النصيحة والمقه
اياك واحذر ان تكو
ن من الثقاة على ثقه

(وقال آخر)

ومجالس راق من وا ش يكدره
ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقى وليس به
بين الندامى سوى الريحان نمام

(وقال آخر)

لا تقاضانى فى عوارضه
سيب والناس لوام
كيف يخفى ما اكابده
والذى اهواه غمام

(وقال الشيخ صدر الدين بن الوكيل)

زوجنى بها ولابن صالح فيها وفى ابراهيم مدائح كثيرة تركتها

(ومنهم جعد بن مهجع العذرى)

قال عمرو بن أبى ربيعة انه كان فتى مغرما بمحادثة النساء وحفظ طرف الاخبار ومع الاشعار مع انه غير عاهر الخلوة ولا سريع السلوة وكان يحضر الموسم فتقصده الناس لتسمع منه فانقطع سنة فسألت عنه العذريين فقال لى رجل تريد ابا المسهر قلت نعم اياه اعنى فتنفس الصعداء ثم قال قد اصبح والله كما قال

لعمرك ما حبى لاسماء تاركى * صحيحا ولا قاضى به فأموت

قلت ومابه قال مثل مابك من تهيكم فى الضلال قلت فمن انت قال اخوه قلت كانك واياه على طرفى نقيض ثم انطلقت اقول

ارائحة حجاج عذرة روحة * ولمايرح فى القوم جعد بن مهجع

خليلان نشكو ما نلاقى من الهوى * متى ما اقل يسمع وان قال اسمع

فلا يبعدنك الله خلا فانى * سألفى كما لاقيت فى الحب مصرعى

فلما كان الموسم من قابل وانا بعرفة رأيت شابا لم تبق الاروسمه فعرفته بثاقته فصلت عليه وسألته عن حاله فشكا الى مابه فقلت له ان هذا يوم دعاء فادع الله ان يزيل عابك فلم يزل يدعو حتى حان الغروب فسمعته يقول

يارب كل غدوة وروحه * من محرم يشكو الضنى ولوحه

انت حسيب الخصم يوم الدوحه

فقلت له وما الدوحة قال اذا انصرفنا حدثتك فلما انصرفنا حدثنى ان له اخوا لامن كلب وانه حول ماله اليهم خشية التلف فأقام معهم وانه خرج يوما على فرس وقد صحب شرابا فاشتد الحر ورفعت له دوحة فقصدها ونزل تحتها فما استقر حتى بان له شخص عليه درع اصفر وعمامة سوداء يطرد مظله وأتانا فقتلهما وقصد الدوحة ونزل بها فحادثته فخلب عقلى لفظه فدعوته الى الشراب فشرب وقام ليصلح من شأن فرسه فتزحزح الدرع عن ثدى كثى العاج فقلت امرأة انت قالت نعم ولكن شديدة العفاف حسنة الاخلاق والمفاكهة فتحادثنا ساعة واخذها النوم فوالله لقد هممت بهجرا لعفة لما داخلنى ثم راجعت المروأة فلما انتبهت وعزمت على الذهاب سألتها عن الزيارة فذكرت ان لها اخوة شرسة وأب كذلك ثم مضيت وها أنا كما ترى فقلت ثبت نفسك فانى موصلك الى مطلوبك ثم قمت فشددت على ناقتى وصحبت الفدين وارومطرف خز وقبعة خضراء من ادم ومضينا حتى نزلنا بالشيخ فأحسن ملقانا فقلت له قد اتيتك خاطبا فقال فوق الكفاءة أنت والمرغوب فى مثله فقلت لم اخطب الا لاصاحبى هذا وهو ابن اختكم فقال الحسيب الكريم ولكن اخبرها بنيكما قلت ما أنصفتنى فأومأ صاحبى الى ان دعه فقلت افعل فخيرها ففوضت الامر الى فحمدت الله فزوجتها من صاحبى وامهرتها الفا وكسوت

اخفيت حبك عن جميع جوارحى
فوشت عيونى والوشاة عيون
ووددت ان جوانحى وجوارحى
مقل ثرائى ومالهن عيون
باليت قيسا فى زمان صبابتى
حتى أريه العشق كيف يكون

(الباب الخامس عشر فى العتاب عند اجتماع الاحباب وما فى معنى ذلك من الرضى والعفو عن ما مضى) اقول هذا باب عقدناه لذكر معاتبة الزمن الامانى وبث هوى ارق من النسيم المتوانى نعم فى العتاب فوائد جمه وازالة كرب فلا يكن امركم عليكم غمه وهو على اقسام عتاب هو فى تاكيد المودة بحصل الحاصل وعتاب لتكذيب الناقل وعتاب لتمييز الملق من الباطل ومن المعلوم ان للعتاب بين الاحباب اصلا وفضلا وقطعا ووصلا لابد منه ولاغنا عنه الهم الا عند من لا يراه البته ولا يعاتب الحبيب الا فاته كالصترى حيث يقول أعاتب الحب فيما جاء واحدة
ثم السلام عليه لا اعاتبه
وفى امثال العرب أسوأ الآداب كثرة العتاب

الشيخ المطرف وسألته ان يبنى بها من ليلته ففعل وجئته من الغد فقلت كيف كانت ليلتك وكيف وجدت صاحبتك قال ابدت لى كثيرا مما اخفته عنى قديما وسألتها عن ذلك فأنشدت

كتمت الهوى انى رأيتك جازعا * فقلت فتى بعد الصديق يريد
فان تطرحنى او تقول فتية * يضيرها برح الهوى فتعود
فوريت عما بى وفى الكبد والحشا * من الوجد برح فاعلمن شديد

فباركت له وانصرفت

(ومنهم ماحكاه اسدى وهى من العجائب المستطرفة)

قال ضلت لى ابل فطلبتها فى قضاعة حتى اذا دهمنى الليل امسيت فى بيت تفرست انه كنف للضيف فناديت اهله فلبتنى امرأة كالشمس جمالا وقالت انزل على الرحب واجلس فى عند نار فاصطليت وأتتنى بعشاء كثير فاكلت وهى تحادثنى واذا ابل كثيرة قد اقبلت الى البيت وقد اقبل شخص فبادرت اليه ومعها ولد تلاعبه فتناوله وجعل يلثمه وانا اظنه عبدا لقباحته حتى جلس الى جانبها فقال لها من الضيف قالت اسدى فعلمت انه زوجها فجعلت أتأمل ما بينهما من المباينة فقطن لذلك فقال كانك تعجب منا قلت اى والله وأى العجب قال احدثك بوصولها الى قلت ما اشوقنى الى ذلك قال اعلم انى كنت سابع سبعة اخوة اذا رأيتنى ظننتنى عبدهم وكانوا يطرحوننى للرعى ونحوه فضل لنا بعير فقالوا امض فى طلبه فقلت ما انصفتمونى فقال ابى اذهب يا لكع والا جعلته آخر ايامك وتهددنى بالضرب فمضيت وانا على اسوا حالة من البرد والجوع فدفعنى المساء الى عجوز على ابها سمة الخير والشرف والى جانبها هذه العزبة فجعلت تسخر بى وتقول هل لك اذا نام الناس ان تدخل على فاتحدث معك فانى لم ار احسن منك فقلت دعينى من هذا واقبل ابوها واخوتها سبعة فناموا بازاء الخيمة فاغرانى الشبع والدف فدخلت الستر فلما شعرت بى قالت من تكون قلت الضيف قالت اخرج لاحيالك الله ولاصيحك فخرجت فزعا فتلقانى كلبهم يريد أن يأكلنى وأنا اريده بعصاى حتى علق بجبة صوف على فتجاذبنا حتى سقطت أنا واياه فى حفرة لا ماء فيها وكانت الصبية شعرت بذلك فأقبلت حتى اذا بصرت بى قالت وددت والله ان اجعلها قبرك لولا خشية الضرر ثم ادلت لى حبلا وقالت ارق فخين فارتبت فم الحفرة انهارت من تحت اقدامها فسقطنا جميعا فلما كان الصباح وافتقدوها فلم يجدوها وكان ابوها عارفا بالقيافة فاقبلوا بالسيوف والاحجار على قتلنا فقال ابوها انى لاعرف من ابنتى ما لا ريبة فيه فامسكوا واخرجونا فأقبل على ابوها فقال افيك خير لازوجك بها اتقاء الشهرة فقلت حين شممت الحياة وهل عندى الا الخير فزوجنى بها على خمسين بكرة وامة وعبدا فرجعت الى ابى فأخبرته بذلك فأحضرها واقبلت بها اليهم فأخذوها وبنيت بها وهاهى تسمع ما اقول *(ومن الصنف الثانى)* ما حكى عن على رضى

(وقال الاحنف) العتاب مفتاح التقالى والعتاب خير من الحقد
(وقد قال بشار فى تقليل العتاب)
اذا كنت فى كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
(وقال سعيد بن حميد الكاتب)
اقل عتابك فالبقاء قليل
والدهر يعدل مرة ويميل
ولعل ايام الحياة قصيرة
فعلام يكثر عتبنا ويطول
(وقال آخر)
وبعض العتاب اذا ما رقعت
بياعده هجرا ويدنى وصالا
فعاتب اخاك ولا تجفه
فان لكل مقام مقالا

(ومن اظرف ما سمعته فى من جفى من الاحباب ثم بادر بالعتاب قول بعضهم)

عتبت على ولا ذنب لى
بما الذنب فيه ولا شك لك
وحاذرت لومى فبادرتنى
الى اللوم من قبل ان ابدرك
فكنا كما قيل فيما مضى
خذ اللص من قبل ان يأخذك

(ومنهم) من يكره العتاب جملة ويقول هو مفتاح الهجر ووسيلة الصدود

الله عنه انه كان له مؤذن شاب وكان عنده جارية وكان اذا رآها المؤذن يقول لها انى احبك فأخبرت عليا بذلك فقال لها قولى له وانا ايضا احبك فاذا تريد فقالت له ذلك فقال اذا نصبر حتى يوفينا اجورنا من يوفى الصابرين اجرهم فمضت واخبرت عليا فدعا به وزوجه منها *(وحكى)* عن عبد الله بن جعفر انه كان يحب جارية له فبلغه انها تهوى عبدا من عبيده فقال لها فى ذلك فقالت اعيذك بالله من هذا فأقسم عليها ان تصدقه فاطرقت ساكتة فزوجها منه ثم دخل من حينها ما كاد أن يذهب عقله فدعا الغلام فقال له هل تنزل عنها بعشرة آلاف درهم فقال ولا مائة الف فقال بارك الله لك فيها فلم يكن الا قليل ومات العبد فأعادها ابن جعفر وقيل انه حين دخل بها انشد

رضيت بحكم الله فى كل امره * وسلمت امر الله فيه كما مضى
بلانى وابلانى بحب دنية * وصبرنى حتى انمحى الحب فانقضى
لعمرى ما حبى بحب ملالة * ولا كان حبى زائلا فتنقضا
ولكن حبى معه دل يزينه * ويعرض احيانا اذا الحب اعرضا

(حكى) الرياشى قال اشترى بصرى جارية على ارفع ما يكون من الجمال والفصاحة فكلف بها وكان مثريا فانفق عليها ما فى يده حتى اذا املق ولم يبق معه شئ اشارت عليه ببيعها شفقة عليه فلما حضر بها السوق أخذت الى ابن معمر وكان عاملا على البصرة فاشتراها بمائة الف درهم فلما قبض المال وهم بالانصراف انشدت

هنيئا لك المال الذى قد حويته * ولم يبق فى كفى غير التذكر
اقول لنفسى وهى فى غشى كربة * أقلى فقد بان الحبيب او اكثرى
اذا لم يكن للامر عندى حيلة * ولم تجدى شيأ سوى الصبر فاصبرى

فاشتد بكاء مولاها وانشد

فلولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاصبرى
اروح بهم فى الفؤاد مبرح * اتاجى به قلبا طويل التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت خذها ولك المال فانصرف راشدين فوالله لا كنت سببا لفرقة محبين *(وحكى)* عن ابن دأب انه مرض مرضا شديدا وطال به الامر فدعوا له اطباء الروم فعالجوه بضروب من العلاج فلم يؤثر فيه شئ فأمروا أهله ان يوكلوا به امرأة تسقيه من الخمر دون السكر لعله يبوح بما عنده فارسل اليه عمه بجارية فلما سقته وغنت عنده انشد يخاطب الجارية المغنية وحاضنة كانت له يقول

دعونى لما بى وانهضوا فى كلاءة * من الله قد ايقنت ان لست باقيا
واذ قد دنا موتى وحانت منيتى * وقد جلبت عينى الدواهيا
اموت بشوق فى فؤاد مبرح * فيا ويح نفسى من به مثل ما بيا

فاعلموا

والفطيعه كما قيل
لا تقرعن سماع من
تهوى بتعداد الذنوب
ما ناقش الاحباب الا
من يعيش بلا حبيب
ومنهم من يراه ولا يأباه كما قيل
تصالح عاشقان على عتاب
فما افترقا الى يوم الحساب
فلا عيش كوصل بعد هجر
ولا شئ الذ من العتاب
فلا هذا اجل حديث هذا
ولا هذا اجل من الجواب

(وقال آخر)

واحسن ايام الهوى يومك الذى
تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا
فاين حلاوات الرسائل والكتب

(كتب) الحسن الى غلام كابا يستعطفه فوقع الغلام فى كتابه يزاد هجرا الى يوم القيامة فقال الحسن

كتبت الى الحبيب بيت شعر
اعاتبه فأغضبه جوابى
اجبنى يا ملول على كتابى
فان النفس تسكن بالجواب

فوقع فى الكتاب يزاد هجرا وابعادا الى يوم الحساب

فأعلموا عمه بذلك فرحمه وبعث اليه بجارية ظريفة كثيرة الادب فاستخرجت ما عنده بلطف فاخبرها انه رأى جارية أخته فى نومه فعشقها واصابه هذا الحال فاعلمت اخته فوهبت له الجارية فبرئ من علته *(وحكى رجل)* قال عشق عبد اسود لصديق لى بالمدينة جارية لرجل أيضا وكان يواصلها سرا فلما علم مولاها جاء الى مولى العبد فاخبره بذلك فضرب العبد وسجنه فتوله وطار عقله فدخلت عليه يوما فقلت له ما هذا الحال قد فضحتنا بهذه السوداء فهل عندها ما عندك فبكى وانشد

كلانا سواء فى الهوى غير أنها * تجلد احيانا وما بى تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وانما * جننونى عليها حين انهى واوعد

فخرجت واعلمت مولاه فحلف لا يبيتن حتى يجمع بينهما فاشتراها باثنى عشر دينارا وزوجها منه (وحكى) عن ابن جعفر ايضا انه وجد بجارية عنده اسمها عمارة وجدا شديدا فكان لا يستطيع فراقها سفرا ولا حضرا فقدم على معاوية سنة من السنين لاخذ حقه فزاره يزيد فغنت الجارية بحضرته فأخذت بمجامع قلبه وتمكن حبها من نفسه وكان ذا دهاء فكتم امرها فلما افضت اليه الخلافة استشار اهل سره فى امرها وانه لا يهنأه قرار دونها فقالوا له ان ابن جعفر عند الناس بمنزلة وتعرف ما كان عليه مع ابيك ولا تأمن عليك فى ذلك فالزم المهلة واجتهد فى الحيلة فاخذ فى تدبير ذلك حتى ظهر له فاحضر رجلا عراقيا معروفا بالدهاء والحيل واطلعه على أمره فقال له مكنى مما اريد ولك على ان آتيك بها فقال لك ذلك وسترى منى ما يسرك ثم اعطاه مالا وثيابا وجواهر وخرج العراقى كبعض التجار حتى نزل بساحة عبد الله بن جعفر وبلغه فاحسن ملتقاه واخذ العراقى فى التودد اليه فارسل اليه بقماش وجواهر وهدايا تزيد على ألف دينار وساله قبولها فقبلها ونقله الى خواصه فزاد فى الهدايا الى ان صار من ندمائه فاحضر الجارية فلما غنت اعجب بها العراقى حتى قال ما ظننت ان فى الدنيا مثل هذه فقال له كم تساوى عندك قال الخلافة قال عبد الله تقول ذلك لتزين لى شأنها وتطلب بذلك سرورى قال يا سيدى انا تاجر اجمع الدرهم الى الدرهم ولو بعتنيها بعشرة آلاف دينار لاخذتها قال قد بعتك قال اشتريت وقام العراقى فرحا بما ظفر به وبات ابن جعفر متفكرا فلما أصبح الا وقد جاء العراقى بالمال فقال له ابن جعفر انا كنت مازحا فقال له يا سيدى انت تعلم ان المزح فى البيع جد وهذا لا يليق بمثلك وانت معروف بالكرم والصلات فكيف ترضى ان يشيع عنك مثل هذا وطال بينهما الكلام الى ان خدعه فأخرجها له وهو كالمجنون لا يملك نفسه فرحل بها من يومه واقام ابن جعفر حزينا باكيا لا يقر له قرار فلما دخل العراقى الشام وجد يزيد قد مات فاجتمع بولده معاوية فقص عليه الخبر وكان صالحا فقال له اخرج عنى بها فلا ترنى وجهك فخرج العراقى وكان قد قال للجارية انا لست من رجالك وانما أخذتك للخليفة فاستترت فلم يرها وجها فلما قال له معاوية ما قال جاء اليها وقال قد

(وذكرت هنا قول ابن رشيق)

وظبى من بنى الكتاب يسبى
قلوب العاشقين بمقلتيه
رفعت اليه استقضى رضاه
واسأله خلاصا من يديه
فوقع قد رددت فؤاد هذا
مسامحة فلا يعدى عليه

(وقال الشيخ العلامة ابو الثناء شهاب الدين محمود مضمنا)

وبتنا على حكم الصبابة مطمعى
زفيرى واحشائى وشربى المدامع
وحبى يعاطينى كؤس ملامة
ويغشدنى والهم للقلب صادع
اتطمع من ليلى بوصل وانما
تقطع اعناق الرجال المطامع
فبت كانى ساور تنى ضئيلة
من الرقش فى انيابها السم ناقع
قلت هذا التضمين فيه نظر وعبرة
لمن اعتبر وكيف لا وقد مزج قائله السم بالرضاب والحق الحبيب بالحباب فاصبح وقد ضاقت عليه الحيلة وشبه ثغر محبوبه بانياب ضئيلة فقابل صفو عتابه بالكدر فيا قلبه القاسى أحديد انت أم حجر وما أظنه ملا كؤس هذا الملام الا من ملام ابى تمام حيث تجاوز الحد فى الاستعارة وخرج وعلى كتفه من الملام

صرت لى ولكن استرى فانى معيدك الى مولاك ثم رحل بها حتى دخل على ابن جعفر
فلما تلاقيا اخبره بالقصة وانه لم يكن تاجرا ولكن كان مطلوبا بالجارية ليزيد وانه حين رآه
قد هلك لم يرنفسه اهلا لها فاعادها اليه ولم يرلها وجها ثم أخذها وسلمها اليه فلما تلاقيا
وتعانقا خرا مغشيين ساعة ثم ادخلها ورفع منزلة العراقى حتى صار اعظم الناس عنده
ووهب له المال وانصرف واقاما على ما كانا عليه (وحكى) فى الاغانى عن ابن أبى مليكة
عن جده قال كان فى المدينة رجل ناسك كثيرا العبادة فمر يوما بجارية تغنى شعرا عشى
بنى قيس وهو

باتت سعاد فامسى حبلها انقطعا * واحتلت العود فالحدين فالقرعا
وانكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

فهام حتى كاد ان يخرج عقله وذهب اليه عطاء وطاوس يلومانه فى ذلك فانشد

يلومنى فيك اقوام أجالسهم * فما أبالى اطار اللوم ام وقعا

وسمع ابن جعفر بذلك فاشترى الجارية بار بعين الف درهم ثم احضر الناسك وكان
الصوت الذى سمعه من الجارية بتلحين عزة الميلاء فاحضرها وقال له تحب ان تسمع
الصوت من صاحبته قال نعم فامرها فغنت فسقط مغشيا عليه فقال ابن جعفر قد أثمنا
فيه الماء الماء فأتى بالماء فجعل ينضحه حتى افاق فقال له اسمعه من الجارية قال قد رأيت
ما وقع له منه مع من لا احبها فكيف منها فقال أتعرفها قال وهل اعرف غيرها فأخرجها
له وسلمها اليه وقال هى لك والله ما رأيتها فقبل يديه ورجليه وقال قد اعدت عقلى
واحييت نفسى ودعا له فقال يا غلام احمل معه مثل ثمنها مالا وثيابا وطيبا بتطيب به فاخذ
ذلك وانصرف (وحكى) انه كان ببغداد رجل من ذوى النعم نعشق قينة على اوفر ما يكون
من الجمال والمعرفة بالغناء والضرب فانفق عليها ما معه حتى ضاق حاله فاشار عليه بعض
اصدقائه ان يأذن لها فى الغناء عند الناس فانها مطلوبة و يحصل له بذلك الثروة فعلم لذلك
واخبره ان الموت عنده أسهل من ذلك وقالت له الرأى ان تبيعنى فتحصل من ثمنى على غناك
او اكون انا فى ثروة فانه لا يشترى مثلى الا غنى فحضر بها السوق فاشتراها هاشمى من
اهل البصرة بالف وخمسمائة دينار فلما قبض المال وتفارقا صار كل منهما على اقبح حال
من البكاء واجتهد فى الاقالة فقال لخرجت لا أدرى الى اين اذهب اذ لا يمكننى الدخول
الى البيت وقد اوحش منها فدخلت مسجدا فجعلت الكيس تحت رأسى ونمت فانتبهت
الا وشاب قد أخذ الكيس فقمت لاعدو خلفه فاذا رجلى مشدودة فما تخلصت الا وقد
ذهب فاشتد مابى فجئت فلقفت وجهى والقيت نفسى فى دجلة طمعا بالغرق
فاستنقذنى الحاضرون ظانين انى وقعت غلطا فلما أخبرتهم بقصتى فمنهم من عنف ومنهم
من رحم فخلا بى شيخ منهم فوعظنى وقال لست اول من افتقر بعد غنى اما كفاك ذهاب
مالك حتى تذهب نفسك وتصير فى النار فسكن مابى قليلا ثم عاودنى القلق فاخبرت صديقا

كاره فقال
لا تسقنى ماء الملام فانى
صب قد استعذبت ماء بكائى
فهلا تنزه عن الانخراط فى هذا السلك واقتدى بقول ابن سنا الملك
واملى عتابا يستطاب فليتنى
اطلت ذنوبى كى يطول عتابه
وفى غزلى ذكر العذيب وبارق
وماهو الا ثغره ورضابه
او تخلق بأخلاق الناس وتأسى بقول أبى فراس
اساء فزادته الاساءة حظوة
حبيب على ما كان منه حبيب
يعد على الواشيات ذنوبه
ومن أين للوجه المليح ذنوب
على انه رحمه الله يجوز ان يكون قصد معنى جليل القدر فحينئذ يكون كلامى حديث خرافة يا ام عمرو
وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم
(وقال الآخر)
واذا الحبيب اتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بالف شفيع
(واحسن منه) قول عتيق بن محمد الوراق
كلما اذنب ابدى وجهه
حيلة فهو ملى بالحجج
كيف لا يفرط فى اجرامه
من اذا شاء من الذنب خرج

لى فاعطانى خمسين دوهما واشار على ان اخرج من بغداد فعسى ان اجد من اكتب
عنده من الاكابر فحسن خطى فعزمت على واسط لان لى بها صديقا من الكتاب فجئت
فرأيت زلالا مهيبا فطلبت النزول معهم فقالوا نحملك بدرهمين ولكن الزلال لها شمى
لا يريد معه غريبا فتزيا بزيهم كأنه بعض الملاحين فوقع بقلبى ان الزلال الذى اشترى
جارية فأسلى حينئذ بصوتها الى واسط فاشتريت الجبة والبستها كالملاحين فما وقفت
الا وجارية قد اقبلت ومولاها فضربت لها ستارة فلما انحدروا وجاء العشاء واكلوا
وشربوا قال للجارية الى كم هذا الحزن والمدامعة عن الغناء أأنت أول من فارقت
مولاها وأخوها عليها فاخذت العود وغنت

بان الخليط بمن عمك فادلجوا * عمدا لقتلك ثم لم يتحرجوا
وغدت كأن على ترائب نحرها * بعر الفضى فى ساعة يتأجج

ثم غلب عليها البكاء ونهضت فانتفضت وصرعت فنضحوا على الماء واذنوا فى ادنى
فافاقت ولم يزالوا يتلطفون بها حتى عادت فغنت

فوقفت انشد بالذين احبهم * وكان قلبى بالشفار يقطع
فدخلت دارهم أسائل عنهم * والدار خالية المنازل بلقع

فشهقت فكادت تتلف وصرعت فقالوا كيف حلتم مجنونا اطرحوه فلحقنى امر عظيم
فتصببت فلما شارف القوم المنزل فى بعض الطريق اوقفوا الزلال وصعدوا يتنزهون
وخلا الزلال فعمدت على غفلة الى العود فاصلحته على طريقة معروفة بينى وبينها فلما
رجعوا وكان الوقت مقمرا تلطفوا بها وقالوا ترين ما نحن عليه فى هذا الوقت فبالله
عليك الا ما انشرحت معنا فاخذت العود فشهقت شهقة منكرة ثم قالت هذا العود
على طريقة كان يحبها مولاى ويضرب معى وانه لمعنا فقالوا لها والله لو كان معنا
ما امتنعنا عن عشرته ليخف مابك فقالت هو معنا لا محالة فقالوا للملاحين هل حلتم احدا
واشفقت ان ينقطع السؤال فقلت انا ياسيدى فاحضرنى وقال انى والله ما وطئتها وانا
رجل قد وسع الله على مما اخذتها الا لسماع غنائها فكن معنا الى منزلنا فأعتقها وازوجك
بها ولا أريد منك الا ان تحضرها كل ليلة وراء ستارة فنسمع غناءها وتنصرف فقلت
كيف امنع ذلك عنك وانت سبب حياتى فقال للجارية اوضيت بذلك قالت نعم وشكرته
وزاد سرورها فجعلت تغنى وانا اقترح عليها الاصوات فتضاعف سرور الرجل ودمنا
على ذلك حتى بلغنا نهر معقل ليلا ونحن ثملون فصعدت حتى ربطت الزلال لقضاء الحاجة
فاخذنى النوم ولم يدر وابى حتى سافر فأفقت بحر الشمس فلم اجدهم وعدت الى المحنة
فجاز بى سفارية فنزلت معهم الى البصرة فدخلتها لم أعرف بها موضعا ولا احدا ولم اكن
سألت الرجل عن اسمه ولا موضعه فرأيت رجلا من بغداد مارا فقمت لاشكو اليه حالى
فاتبعته حتى عرفت موضعه وجئت الى بقال فاخذت منه ورقة لاكتب حالى الى

(وقال الحكم بن قنبر المازنى)
كأنما الشمس من اعطافه لمعت
حسنا والبدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذى يهوى وان كثرت
منه الاساءة معذورا بما صنعا
فى وجهه شافع يمحو اساءته
من القلوب وجيه حيثما شفعا
وهذا ماخوذ من قول ابى نواس فى سياقه
وجهى اذا اقبلت يشفع لى
ويلا طرفك حسن ما خلقى
وفيه زيادة بذكر ما خلقها ولكن بيت الحكم احكم بناء واعذب
ثناء (وقال ابو فراس)
قل لاحبابنا الجناة علينا
درجونا على احتمال الملال
أحسنوا فى فعالكم او اسيئوا
لا عدمنا كم على كل حال
(وقال أيضا)
الا أيها الجانى ونسأله الرضا
ويا أيها المخطى ونحن نتوب
لعل الله ممن يرعاك فى القرب وحده
ومن لا يرد الغيب حين تغيب
(وقال الآخر)
اذا مرضنا أتينا كم نعودكم
وتذنبون فنأتيكم فنعتذر
(وقال الآخر)
واذا ما غضبت يوما عليه

الرجل فاستحسن البقال خطى واستراث حالى وسألنى عنه فلم أشرح له اكثر من انه لم يبق فى يدى شئ فقال هل لك ان تكتب عندى فى كل يوم بنصف درهم وما تحتاج اليه فتضبط مالى فأجبته فرأى بعد شهر الزيادة بضبطى وحفظى ما كان يسرق له فزاد فى اكرامى فزوجنى بعد حول بابنته واشركنى فى ماله غير انى فى خلال ذلك منكسر النفس حزين القلب فلما كان ذات يوم رأيت الناس مجتازين بانواع الزينة فسألت عن ذلك فقيل عيد الشعانين للنصارى والناس تخرج للفرجة فوقع فى نفسى ان اخرج معهم وان عسى ان اظفر بأصحابى فاستأذنت الرجل فاصلح لى ما احتاج اليه وخرجت فما وصلت الا والزلال بعينه فى اوساط الناس فلم املك ان طرت اليهم فحين رأونى فرحوا بى وقالوا نحن منذ فقدناك ماشككنا انك غرقت فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها فلما وصلنا البصرة خبرناها فيما تريد فاختارت لبس السواد وتمثيل قبر تجلس عنده تبكى ثم اخذونى وادخلونى عليها وهى على تلك الحالة فلما رأتنى شهقت شهقة ماشككت فى موتها فلما أفاقت قال مولاها قد وهبتها لك قلت لا ولكن افعل ما تقدم من العتق والتزويج ففعل بالشروط السابقة واعطانى ثيابا وخمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما كنت اجريه عليك الى اليوم وهو مستقر لك فجئت الى البقال فاعلمته بذلك وطلقت ابنته واقمت مع الجارية فى احسن حال (وحكى) ان جعفر بن يحيى حين قدم البصرة مع الرشيد قال لاسحق بن ابراهيم قد بلغنى ان هنا جارية لم ير مثلها لكن لا يريها مولاها الا فى بيته فاخرج بنا ننظر اليها فخرجنا والنخاس مستخفين حتى طرقنا الباب فخرج شاب متغير اللون فى ثوب خشن فادخلنا دارا خربة ففرش لنا حصيرا واجلسنا ورحل فخرجت جارية بذلك الثوب الا انها تفوق الشمس حسنا وجمالا فاخذت العود وغنت

ان عس حبلك بعد طول تواصل * خلقا وبيتك موحشا مهجورا
فلقد اراني والجديد الى البلا * دهرا بوصلك راضيا مسرورا
كنت المنى واعز من وطئ الحصى * عندى وكنت بذا الثمن جديرا

ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء فنهضت الى البيت تعثر فى القميص فسمعنا لهما بكاء وشهيقا ثم خفيت اصواتهما حتى ظننا انهما قبضا ثم خرج الشاب بالثوب بعينه وقال اشهدكم انها حرة واريد أن تزوجونى بها ففعلوا وغرم جعفر لفواتها وقال له ما حملك على هذا قال حديثى طويل ان شئت حدثتك به قال قل فقال انا ابن فلان وقد كان من ذوى النعم وهذا يعرف ذلك واشار الى النخاس ثم قال وكانت هذه الجارية لابى فنشأت انا واياها فادخلنا المكتب فبرعنا فى الادب واخرجت هى لتعليم الغناء فلم اطق فراقها فصرت معها فلما برعت فيه طلبت امى بيعها فايقنت بالموت فصدقتها الخبر فوهبتها لى وجهز وهالى ودخلت بها بعد ان امتنعت من تزويج بنات الاكابر واظهرت الزهد

والعفة كل ذلك لقصور رشهوتى عليها والناس يظنونه عفة فأقمت فى أرغد عيش الى ان مات ابى فلم احفظ النعمة فانفقت الاموال واكثرت من الهبة واسرفت حتى لم يبق عندى الا هذا الثوب أتنا وبه اناواياها فاشتقت عليها فقلت لها حين دخل الخليفة الرأى انى ابيعك وأعلم أنى هالك اثر ذلك ولكنى اختار أن تعيشى بخير فلما عرضت عليكم ودخلت الى قالت لو كان عندك منى ما عندى منك ماذكرت بيعا فقلت أتحبين ان أعتقك وأتزوج بك وتقيمى معى على هذا الحال فقالت ان كنت صادقا فى الحب فافعل فخرجت وفعلت ذلك فعذره جعفر فقال اصدق فلما ركبنا قلت له انت تبذل الاموال وتغنى المحاويج افلا ترق لهذا قال بلى ولكن قد غبت لغوث الجارية ثم التفت الى النخاس وقال كم صحبت من المال قال ثلثمائة الف دينار قال ادفعها اليه وأمره ان يأتينى غدا فلما اعطاه النخاس المال واخبره ان الذى كان عنده جعفر وانه يدعوك اليه كاد ان يطير فرحا وأقبل اليه من الغد وقد تزين فأخبر به الخليفة فأجرى عليه رزقا وجعله من الكتاب لما رأى عنده من الظرف والادب وأمر كلا من العسكر أن يهاديه ففعلوا واقام فى النعم (واغرب من ذلك) ما حكى أن أندلسيا كان مغرما بجارية يحبها حبا شديدا وأنه أراد بيعها لوحشة فلما حقت الصفقة كاد أن يطير عقله فحكم المشترى فى ماله فأبى فتشفع عنده بأكابر بلدته فلم يجب فمضى الى الملك وأخبره بحاله فأحضر المشترى وشفع عنده وبذل له مالا كثيرا فامتنع وادعى محبتها فلما رأى الاندلسى اليأس منها ألقى نفسه من شاهق فلما بهت الملك وامر أن يتلقى فقد رانه لم يصب بشئ ورجع به الى الملك فقال الله أكبر قد ظهر الحكم فى ذلك ثم قال للمشترى قد رأيت ما فعل هذا من حبها فان كنت تحبها كما تقول فافعل كفعله فان عشت فأنت أحق بها فقال أفعل ثم هم بذلك ورجع فأمر أن يلقى غصبا فلما حقق ذلك قال اعطيته اياها فأخذت منه وأعيدت الى مالكها (وحكى) ان المأمون افتتن بجارية من جوارى أبيه الرشيد وكان يكتم امره وكانت من خواص الخدمة فبيناهى يوما تصب على يديه وقد التفت اذ أشارا لها المأمون بقبلة فغمزته مشيرة بحاجبها الى أنها خائفة فقرت فى صب الماء فقطن الرشيد فحلف ان لم تخبره ليفتكن بها فأعلمته فنظر الى المأمون وقد كاد أن يقضى من الخوف فضمه وسكن ما به ثم قال له اتحبها قال نعم قال قم فاختل بها فى هذه الخلوة ففعل فلما خرج قال له أنشدنى هذه فأنشد

ظبى كنيت بطرفى * عن الضمير اليه
قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه
وردّ أخبث ردّ * بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكانى * حتى قدرت عليه

(وحكى) أن ابراهيم بن المهدى زمن اختفائه من المأمون مكث عند عمته علية بنت المنصور وكان عندها جارية قد أحسنت تأديبها وتعليمها حتى صارت من ألطف اهل

وهبه ارعوى بعد العتاب الم تكن
مودته طبعا فصارت تكلفا
وكائنى بمولانا وقد وقف على
عتبة العتاب وقال من دق
الباب سمع الجواب فأجابهم
فان كنتم تلقون فى ذاك كلفة
دعونى امت وجدا ولا تشكلفوا

(فصل فى العفو والرضا والصفح عما مضى)

جاء عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل انه الرضا بغير عتاب وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم وقال صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من معتذر صادقا او كاذبا لم يرد على الحوض

(وقال الشاعر)

ذنبى اليك عظيم
وانت اعظم منه
فخذ بحقك أولا
فاصفح بفضلك عنه
ان لم اكن فى فعالى
من الكرام فكنه

(وقال آخر)

ما احسن العفو من القادر

زمنها فوكلتها بخدمة ابراهيم فعلقها وزاد به الوجد وهو يكتمه حياء حتى سكر يوما فغنى

ياغزالا لى اليه * شافع من مقلتيه
والذى أجلت خديه * فقبلت يديه
بأبى وجهك ما اكـ * ـثر حسادى عليه
انا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففطنت للطفها بما اراد فاخبرت مولاتها فوهبتها له فلما رآها مقبلة اعاد الصوت فقبلت رأسه فنهاها فاخبرته أنها له فقرت عينه (وحكى) أن رجلا مكيا كان عنده جارية وكانت على أحسن صورة والطف هيئة قد كملت فوق حسنها بالبراعة بالغناء والضرب حتى ان الناس كانوا يقصدون الحج لينظروا اليها لانه كان لا يخرجها الا زمن الموسم يطلب فيها الزيادة وأنه كان بمكة فتى ناسك قد عرف عند الناس بالعبادة فوقع عنده من حب الجارية ما غير حاله وهيج بلباله وأنحل بدنه وأهاج شجنه فكان يقنع فى كل سنة بالنظر اليها زمن الموسم ثم يمكث باقى السنة عليلا فى بيته فدخل عليه صديق له فعاين من حاله ما حير قلبه واطار لبه فتلطف به حتى عرف أمره وما هو عليه من أمر الجارية ورغب اليه أن لا يفشى سره فخرج حتى اجتمع بمولاها فحدثه القصة فزينها واخرج بها يوم الموسم فلما اجتمع الناس قال أشهدكم أنى وهبت هذه الجارية لهذا الفتى فقيل له كيف تفعل هذا وقد بذل لك فيها الاموال قال دعونى انى احييت كل من على الارض لان الله يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وحكى) عن الحرث بن سليمان قال كنا بمجلس سليمان بن عبد الملك فأتاه سعيد بن خالد فقال له اناشدك الله من ظلمنى وانتقص حرمتى قال من قال موسى شهوات قال على به فأحضر فقال له أنت شتمت هذا قال لا وأيد الله أمير المؤمنين انما مدحت ابن عمه فاغتاظ فقال سليمان وعلام مدحته قال موسى يا أمير المؤمنين عشقت جارية حتى كادت نفسى تتلف فى حبها ولم أكن أقدر على ثمنها فشكوت حالى الى اصدقائى فلم يجبنى احد فشكوت اليه فاستهلنى ثلاثا وأتيته وهو جالس فقال لغلام عنده أخرج الوديعة فاذا بالجارية فقال هذه طلبتك قلت نعم فقال تسلمها ثم قال للغلام أخرج ما عندى من النفقة فأخرجها فاذا هى مائة دينار فصرتها مع طيب فى ملحفة ودفع الكل الى فقال سليمان وما قلت فيه فأنشد

اباخالد أعنى سعيد بن خالد * انا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكننى أعنى أبن عائشة الذى * أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
دعوه دعوه انكم قد رقدتم * وما هو عن احسانكم برقود

فأحضره سليمان وقال أحق ما يقول عنك موسى قال قد كان ذلك فقال كم عليك من الديون قال ثلاثون الفا قال هى لك ومثلها وثلث مثلها قال موسى فلقيته صبيحة اليوم

فقلت

فقلت كم عندك من المال قال والله لم يبق منه شئ قلت ففيم انفقته قال فى تفريج عن صديق واعطاء محتاج وصلة رحم (وحكى) عن الربيع قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول اشتريت جارية وكنت أحبها فأقول لها

ومن السعادة ان تحب وأن يحبك من تحبه
ومن الشقاوة أن تحب ولا يحبك من تحبه

(فتقول)

ويصد عنك بوجهه * وتلح انت فلا تغبه

(وحكى) عن ابراهيم بن ميمون قال حججت فاذا انا بسوداء قائمة ساهية فأنكرت حالها فمكثت ساعة ثم انشدت

اعمر وعلام تجنبتنى * أخذت فؤادى وعذبتنى
فلو كنت يا عمر وأخبرتنى * أخذت حذارى فعاملتنى

فقلت لها ومن عمرو قالت زوجى أوهمنى انه يحبنى حتى تزوجته وعندى من الحب له ما عندى فتركنى ومضى الى جدة فقلت هل لك أن أجمع بينكما قالت ومن لى بذلك فمضيت حتى وقفت بالساحل فصرت أنادى من يخرج من المركب يا عمرو وكانت قد وصفته لى بأنه احسن ما أرى فاذا أنا بفتى على ما وصفت فأنشدته الشعر فقال قد رأيتها قلت فما يمنعك منها قال والله عندى أضعاف ما عندها وانما منعنى الاكتساب قلت فكم يكفيك فى كل سنة قال ثلثمائة درهم فأعطيته ثلاثة آلاف درهم وقلت هذه بعشرين سنين فاذا فنيت أو قاربت فاتنى او جه اليك بمثلها ثم جمعت بينهما فكان أعظم عندى من الحج (وحكى) ان بعض التجار قدم لاصدقائه طعاما وفيه ديك بركة وقال ابن الجوزى بكباج وأبى ان يأكل معهم فامتنعوا لاجله فقال كلوا فلولا اذى يلحقنى منها لاكلت ثم عاود نفسه وقال أتحمل وآكل فلما فرغوا وجىء بالفسول غسل يده أربعين فقالوا له ابك وسواس قال لا ولكن هذا الاذى الذى قلت لكم وله حديث عجيب قالوا وما هو قال اوصانى ابى وكان من ذوى النعم ولا وارث له غيرى أن أحسن الانفاق والتكسب وأن اسبق الى السوق وأتجر فيه فحفظت ما قال فبينا انا يوما فى السوق سحرا وقد عرفنى الناس بذلك فكان ربما يأتى ذو حاجة فى وقت لا يجد غيرى فأقضيها فاكتسبت بذلك مالا وجاها فبينا أنا يوما جالس اذا بامرأة على حمار وخادم يمسكه فنزلت عندى فرحبت بها فرأيت نعمة وشكلا بهرنى فقلت ماذا تريدين قالت ثيابا صفتها كذا فقلت اجلسى حتى يتكامل الناس وقد أذهبت عقلى واطارت لبى فجمعت لها ثيابا بخمسة آلاف درهم فأخذتها وانصرفت ولم تعطنى شيأ ولم أطق من دهشتى ان أقول لها فى ذلك ووقع عندى أنها محتالة فقلت أبيع ما عندى واعطى الناس وألزم بيتى فمضى على ذلك اسبوع فبينا أنا جالس اذ أقبلت على العادة فقمت واجلستها ونسيت ما كان عندى فقالت قد بطأنا

عليك وبساط النبيذ يطوى معه
أخذه الشاعر فقال
انما مجلس الشراب بساط
فاذا ما انقضى طوينا بساطه
(وقال ابن سنا الملك) وأما ذلك الحبيب فأنه حضر متفضلا وجاء متذللا لامتدلل واستجار بحرم الحرمه وخفض جناح الذل من الرحمة واعتذر بأن الادلال دلاه بغرور واوقعه فى أمور واخرجه من الظلمات الى النور فقبل عذره وقبل ثغره وامتثل أمره وثنى عنان القلب اليه حسن تثنيه وأذهبت حلاوة جنى ريقه مرارة تجنيه
واذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بألف شفيع
(وقال الآخر)
وزعمت أنى ظالم فهجرتنى
ورميت فى قلبى بسهم نافذ
فتهم ظلمتك فاعذرى وتجاوزى
هذا مقام المستجير العائذ
(وقال ابن زيدون)
يا قمرا مطلعه المغرب
قد ضاق بى فى حبك المذهب

علمك فقلت رفع الله قدرك عن هذا فأخرجت المال جميعه فأعطيته لاربابه مع ما ربحت
فى ذلك ثم طلبت ثيابا بألف دينار فأخذتها ومضت فعاودنى فى ماضى فأبطأت فقلت والله
هذه حيلة أوقعت خمسة آلاف درهم واخذت الف دينار ثم طالت غيبتها شهرا وطالبنى
الناس فعزمت على بيع عقارى ومالى اوقال بعت وأوفيت واذا هى قد أتت على العادة
ونزلت عندى فأنسيت ذلك فأخرجت المال جميعه وطلبت غيره فشاغلتها باحضار التجار
فقالت هل لك زوجة قلت لا والله وطمعت فيها فأخذت خادمها على خلوة وأرغبته فى أن
يكلمها ففعل وقال هى والله أعشق منك لها فرجعت وكلمتها فى ذلك فضحكت وقالت
الخادم يأتيك برسالتى ومضت ولم تأخذ شيأ اذلم يكن بها حاجة من الاصل الا العشق
فما كان بعد أيام حتى جاء الخادم فأكرمته وشرح لى أنها مملوكة لام المقتدر وقد رغبت فى
جعلها قهرمانة فلما تألفت بك مضت فشكت اليها حبك ورغبت اليها أن تزوجها بك
فأبت دون أن تراك وقد أخذوا فى حيلة يدخلونك بها اليها فان تمت تم أمرك وهى ان
تجلس الليلة بمسجد كذا فمضيت اليه فلما كان السحر اقبل خدام معهم صناديق
فوضعوها واذا أنا بالخادم والجارية فأدخلونى فى صندوق منها وجعلوا فى الباقى ثيابا
وحملوها الى الدار فكلما جاز وا بطبقة من البوابين يريدون ان يفتشوا ذلك فتمنعهم
حتى عارض خادم وقال لابد من تفتيش هذا الصندوق فأدركنى من الخوف ما انساب
معه البول منى فصاحت افسدت المتاع وكسرت عليه أوانى ماء الورد فقال اذهبى فمضوا
حتى أخرجونى فى خلوة وجعلت تطعمنى وتسقينى حتى اتتنى يوما فعرضتنى على السيدة
فرضيتنى لها فاحتالت فى خروجى وأمرتنى بأن اتزين فى احسن زينة الى باب الخلافة
ففعلت فأخذونى واجلسونى فى بيت وجعلوا يدخلون ويخرجون ويذكرون ان هذا
وقت زفاف فلانة على البزازو يذكرون صاحبتى ففرحت فرحا أطار عقلى غير أنى جعت
جوعا احرق احشائى واستطعمت الخدام فلم يطعمونى لانهم لم يعرفونى حتى جاء خادم
يعرفنى فشكوت اليه الجوع فقدم لى ديكا بركة فاكلت وغسلت يدى غسلا ظننت معه
النقاء فلما خلوت بها رفستنى وقالت بحبت كيف تفلح وأنت عامى سفلة وهمت بالخروج
فتعلقت بها واخبرتها القصة ثم قلت يلزمنى صوم الابد والحج ماشيا والطلاق والعتاق
وصدقة مالى أن لا آكلها بعد اليوم الا واغسل يدى اربعين مرة فضحكت ودعت بطعام
وشراب فأكلنا وشربنا ولما مضى اسبوع أعطتنى مالا وأمرتنى أن اشترى به دارا
فاشتريت وتحولنا وقد صحبت نعمة عظيمة فأقمنا على احسن حال (وحكى) التنوخى فى
المستجاد ونقله فى نديم المسامرة قال حمل الى المأمون من البصرة عشرة قدور وابا الزندقة
فلما اجتمعوا للنزول فى السفينة جاء طفيلى فنزل معهم وقال ما أظن هؤلاء اجتمعوا الا
لوليمة فلما قيدوا وندم وعلم أن لا خلاص له فجعل يضرب أعناقهم وكان المأمون يعرفهم
سأل عنه فقالوا لم نعرفه فسأله فقال زوجتى طالق ان كنت اعرفهم او أحوالهم وانما

ألزمتنى الذنب الذى جئته
صدقت فاصفح انتى المذنب
فان من أغرب ما مر بى
أن عذابى فيك مستعذب
(وقال آخر)
وما قابلت عفوك باعتذار
ولكنى أقول كما تقول
سأطرق باب عفوك باعتذار
ويحكم بيننا الخلق الجميل
(الباب السادس عشر فى اغاثة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين)
أقول هذا باب عقدناه لذكر اكثر الناس فتوة واغزرهم مروة وأرقهم قلبا واحسنهم مربى ممن أصبح بين الحبين قديم هجر وهجرة وامسى له بكؤس المحبة ألف سكرة لاجرم انه اعان ذوى المحبة ووازرهم بنفسه من فى قلبه من الغرام منقال حبة فسعى فى اصلاح حاله وساواه بنفسه

رأيتهم مجتمعين فظننت أنها وليمة فقال المأمون يبلغ التطفل باصحابه الى هذا عزروه لئلا
يعود الى مثلها فقال ابن المهدى هبه لى يا أمير المؤمنين وأحدثك عن التطفل بحديث
عجيب قال وهبته لك فحدثنى قال يا امير المؤمنين ركبت يوما حتى مررت بموضع فشممت
رائحة طعام وأباز يرما شممت مثلها قط ورأيت معصما من الشبالك اخذ بقلبى ايضا
فاشتهيت أن آكل منه وأخذت فى الحيلة اذلم أكن اعرف أحدا من أهل المكان فجئت
الى خياط قريب من المنزل فسألته عن اسم صاحب المكان فقال لى عن اسمه وانه تاجر
يجب عشرة مثله فقلت أيشرب الخمر قال نعم وأظن عنده اليوم جماعة من أصحابه فمكثت
ساعة فاذا هم مقبلون فقال لى هؤلاء اصحابه فحركت دابتى حتى لحقت بهم فقلت قد
ابطأتم وفلان ينتظركم ثم دخلنا وهم يظنون أنى من جماعة صاحب المنزل وهو يظن أنى
معهم فأكرمنى كل منهم وقدم الطعام فاكلنا فقلت فى نفسى هذا الطعام قد قضيت منه
شهوتى وبقى الكف والمعصم ثم رفع الطعام ووضع الشراب وجاءت جارية ومعها عود
فغنت

توهمها طرفى فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحها كفى فلم كفها * فمن ضم كفى فى أناملها عقر

فهيجت بلابلى وطربت لحسن شعرها ثم غنت ايضا

أشرت اليها هل عرفت مودتى * فردت بطرف العين انى على العهد
فحدت عن الاظهار عمدا لسرها * وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت وطربت وطرب القوم حتى لم يملك نفوسنا ثم غنت ايضا

اليس عجيبا أن بيتا يضمنى * واياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تبدى سرائر انفس * وتطبيع أنفاس على النار تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وكف تسلم

فحدتها على الحذق والاصابة غير أنى قلت بقى عليك شئ فرمت العود وقالت متى كنتم
تحضرون فى مجالسكم البغضاء فتألموا منى فقلت قد فاتنى ما املت ان لم أتلاف فلو بهم
فقلت هل عندكم عود فالوا نعم واحضروه فأحكمت اصلاحه وغنيت

ما للمنازل لا تجيب حزينا * أصمن أم قدم البلا قبلينا
لا بل بلين فهجن داءا كامنا * لما بهن من الهوى دفينا
واحوا العشية روحة مذكورة * ان متن متنا او حيين حيينا

فقبلت عند ذلك يدى وقالت معذورة اليك وزاد القوم فى اكرامى فلما رأيت منزلتهم
عندهم غنيت ايضا فغنيت

أفى العدل أن غصن لاتذكرينى * وقد حجبت عيناى من ذكرك الدما
الى الله اشكو بخلها وسماحتى * لها عسلا منى وتبذل علقما

وماله ولله القائل فى هذا المعنى
الطائل
قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا
او معينا او عاذرا أو عذولا
فان كنت خاليا من ذلك كله
أعنى باطماع كذوب على النوى
اذا لم تقاتل يا جبان فشجيع
قلت أولا أقل من ذلك يا ابنة
مالك ولله القائل فى ذلك
لو تعلم الناس من شوقى ومن كلفى
ما بت اعمله استسقوا بعادى
واستشفعوا الى النى بأجمعهم
وجاء عائدهم فى زى قواد
(ومن اعجب) ما سمعته فى اغاثة
العاشق والاخذ بثاره ما حكاه
الجاحظ قال بلغنى ان عاشقا مات
بالهند عشقا فبعث ملك الهند الى
المعشوق فقتله وقال الخراطى
كان رجل نخاس عنده جارية
لم يكن له مال غيرها وكان يعرضها
فى المواسم فتغالى الناس فيها
حتى بلغت مبلغا كثيرا من المال

فردّى مصاب القلب أنت سليته * ولا تتركيه ذا هل العقل مغرما
الى الله اشكو انها أجنبية * وانى لها ما عشت بالود محرما

فرأيت من طرب القوم ما فارقوا به عقولهم فأمسكت عنهم خشية ان يتلفوا ساعتئذ ثم غنيت

هذا محبك مطوى على كمده * وجدا مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده
يا من رأى كلفا فى حبه دنفا * كانت منيته فى عينه ويده

فقالت الجارية هذا والله الغناء لا ما نحن فيه وسكر القوم حتى غابوا الا صاحب المنزل لجودة شربه فأمر بحملهم الى منازلهم وخلانى فسألنى من أنا فأخذت اورى فأقسم على الا ما عرفته نفسى وقال قد ذهب اكثر عمرى هدرا اذ لم أعرف مثلك فلما عرفته نفسى وثب قائما وقال لا اقضى باقى ليلتى فى خدمتك الا قائما فأقسمت عليه أن اجلس فجلس واخذ يستخبرنى عن سبب مجيئى فأخبرته بالقصة حتى انتهيت الى أنه لم يبق على الا المعصم فقال تنالانه ان شاء الله تعالى وعرض على جواريه فلم أر الغرض فقال ياسيدى لم يبق عندى الا أمى واختى فقلت ابدأ بأختك فأتى بها فاذا هى الغرض فقلت هاهى فقال قد والله أقررت عينى ثم دعا بالشهود من ليلته فعقد لى عليها وأدخلنى بها فلما اصبحنا حوّل معها متاعا لا يوجد مثله الا عندك يا امير المؤمنين وهذا ولدى فلان منها

(القسم الخامس فى ذكر من وسموا بالفساق من العشاق)

وهؤلاء هم الذين وقعوا فى المعاصى أو هموا بها فسموا الفساق لجلالة العشق وعظمته عند أهله فانهم يرون تصوّر السلو معصية بل تصوّر خطور غير المحبوب فى الذهن كذلك ولا نعلم أحدا حقق هذا المناط للسالكين وبينه حق البيان للمتمسكين أجلّ من العارف الجامع لحقائق المعارف سيدى عمر بن الفارض اعاد الله علينا من مدده حيث يقول

ولو خطرت لى فى سوالف ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردتى

فان الخطور مجرّد جواز الميل على القوى من غير أن يتمسك منه بشئ وهذا عند العقلاء قسرىّ لعدم احتياجه الى مقدمات والارادة مجرّد الميل والخاطر باب الحدس والسهو استيلاء الطبيعة الثانية على المزاج البشرىّ وهو صفة للخطور قسرية ايضا ومن ثم لم يحكم الشرع مع غاية شرفه واحتياطه فى الاصلاح على الخارج به بشئ رحمة وتخفيفا فقد بان أن الاستاذ يقول ان شرح المحبة مبنىّ على المراقبة المخالطة للقوى العقلية مخالطة تزل السهو فيها منزلة العمد فكان المحبوب هو قوى المحب التى بها يعقل كما أشار اليه ايضا فى الدلالة على غاية المرتبة بقوله

فلم تهو نفسى ما لم تكن فىّ فانيا * ولم تفن ما لم تجتلى فيك صورتى

وهذا

وهو يطلب الزيادة فعاقها رجل فقير فكاد عقله أن يذهب فلما بلغه ذلك وهبها له فعوتب فى ذلك فقال انى سمعت الله يقول ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا افلا أحيى الناس جميعا

(وحكى) الخليع انه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام اليها يوما

ولقد رأيتك فى المنام كأنما * خاطبتنى من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى وكأننا * بتنا جميعا فى فراش واحد
فطفقت نومى كله متواقدا * لا زال ذاك فى نومى ولست براقد

(فأجابته الجارية)

خيرا رأيت وكل ما ابصرته * ستناله منى برغم الحاسد
انى لارجو أن تكون معانقى * فتبيت منى فوق ثدى ناهد
وأراك بين خلاخلى ودمالجى * وأراك فوق ترائبى ومجاسدى

وهذا القسم هو الباب السادس من الكتاب وهو اصناف

(الصنف الاول فى ذكر من حمله هواه على اذية من يهواه وهؤلاء اما نساء اورجال وكل من القسمين اما بالغ مناه اومكفوف اذاه)

(فمن الاول ما حكى) عن مرثد انه شغف بصحبة عمرو بن قتة حتى صار يأكل معه ومع زوجته فعلقته المرأة فأرسلت اليه على حين غفلة من مرثد تقول ان عمك يدعوك فجاء فلم يجده فقامت اليه فراودته عن نفسه فابى فقالت لئن لم تفعل ما آمرك لأوذينك فقال ان الاذى أن افعل ما تحبين وخرج فأمرت بجفنة فوضعت على موضع قدمه وكان ملتصق الاصابع فلما جاء مرثدا خبرته ان رجلا من اقرب ما يكون اليك ساومنى نفسى فامتنعت فجهد فى ان تخبره فأبت وقالت انا لا اصرح باسمه ولكن هذا قدمه فعرفه وهجره فأنشد فى ذلك

لعمرك ما نفسى بجد رشيدة * تؤامرنى شر الاصرم مرثدا
عظيم رماد القدر لا متعبس * ولا مؤيس منها اذا هو اخمدا
فقد ظهرت منه بوائق جمة * وأفرع من لومى مرارا واصعدا
على غير ذنب أن أكون جنيته * سوى قول باغ جاهد فتجهدا

وقيل انه حلف ليضربنه بالسيف فهرب الى الحيرة وأرسل بهذين البيتين

رمتنى بنات الدهر من حيث لا أدرى * فما بال من يرمى وليس برامى
فلو أنها نبل اذا لاتقيتها * ولكنما أرمى بغير سهام

انتهى ما ذكره وفى النزهة ان مرثدا اتى يوما من سفره فى الليل وكان الظلام شديدا فسمع زوجته وهى لاشعر به تقول

لعمرك ان القلب شط به النوى * ولم تسعف الايام للمدنف الصبّ
بليت بمن لم يدر حالى بحبه * ألا ان عمرا فى الهوى قاسى القلب

فعلم انها مولعة به وان ذلك كان كيدا منها فقتلها وأرسل اليه فاصلح امره معه فعلى هذا تكون هذه الحكاية من الرابع

(ومن الثانى) قصة سوسن المشهورة وللناس فيها كلام كثير غير ان المصنف رحمه الله لشدة معرفته باختلاف الالسن واللغات نقلها من نص الله عز وجل عليها فى التوراة فذكر أن فى سفر دانيال عليه السلام من هذه القصة ما ترجمته لما كان فى السنة الثالثة من ملك يواكيم ملك يهوذا قدم بختنصر ملك بابل الى اورشليم يعنى بيت المقدس بالعربية واسلمها الرب فى يده ثم نزل ببيت صنمه بشنغار وهو موضع مشهور ببيت المقدس ولما استقرت آراؤهم على الشريعة الناموسية الموسوية حكم شخصين قاضيين عرفا بالعبادة والزهد فى بنى اسرائيل فكانا يحكمان فى الشعب ويأويان الى بيت يواكيم وكان له زوجة يقال لها سوسن وكانت فى ارفع رتبة من الجمال والحسن وبهجة المنظر والصلاح لان

فبلغ الخليفة خبرهما فأكرمهما وأحسن اليهما على شدة غيرته

(وقال) أبو الفرج بن الجوزى سمع المهلب فتى يتغنى فى جارية له فقال المهلب

لعمرى انى للمحبين راحم
وانى ببر العاشقين حقيق
سأجمع منكم شمل وقد مبدد
وانى بما قد ترجوان خليق

ثم وهبها له ومعها خمسة آلاف

(وروى) عن عثمان بن دينار ان عثمان رضى الله عنه انه جاءته جارية تستعدى على رجل من الانصار فقال لها عثمان ما قصتك فقالت يا أمير المؤمنين أحب ابن أخيه فما أنفك اراعيه فقال له عثمان اما ان تهبها الابن اخيك او أعطيك ثمنها من مالى فقال أنشدك يا أمير المؤمنين أنها لابن أخى * وأتى على بن ابى طالب كرم الله وجهه بغلام من العرب وجد فى دار قوم بالليل فقال له ما قصتك فقال له لست بسارق ولكنى أصدقك

والديها كانا صديقين فى بنى اسرائيل وكانت فى كل يوم تنزل الى بستانها تمشى للنزهة
ورآها القاضيان فوقعت منهما واشتغلا بها عن النظر فى الحكومات وكتم كل عن
الآخر حتى اذا كان منتصف النهار من يوم شديد الحر قال كل منهما لصاحبه قد اشتد
الحر فليذهب كل منا فيستريح وخرجا مضمرين العود رجاء الظفر بالجارية فلما التقيا
فحص كل عن عود الآخر فأظهرا ما عندهما من حبها واتفقا عليها وانهما دخلت مع
جاريتين البستان فعزمت على الصوم وقد استخفيا فأرسلت الجاريتين ليأتياها بزيت
وغسول فظهرا وأغلقا الابواب وقالا لها التى لم تجيبينا والا قلنا انا وجدنا معك شابا ومن
اجل ذلك ارسلت الجاريتين وأنت تعلمين مكاننا من بنى اسرائيل قالت سوسن والله
لا أغضب الرب ابدا وصرخت فصرخ القاضيان ومضى احدهما ففتح الباب وجاء
العبيد فاخبراهم بالقصة فبقوا مبهوتين لانهم لا يعلمون عليها سوأ ثم اتى بواكيم فاعلموه
بالامر وأنهما لم يقدرا على ملك الشاب لجمع الشعب وتقدم الشيخان فكشفا عن
سوسن وقالا نشهد على هذه أنها دخلت البستان ومعها جاريتان فأرسلتهما واغلقت
الابواب فجاء حدث من وراء شجرة فضاجعها ففين رأينا المعصية صحنا فانفلت الشاب
فبكت سوسن ورفعت طرفها الى السماء وقالت يا الله يا ثم يا عالم الخفيات أنت تعلم أنهما
كذبا على ثم أقاما لها للقتل وكان دانيال عليه السلام شابا يومئذ ثلاث عشرة سنة فجاء
وصاح عليهم ان قفوا فانها بريئة مما رميت به ثم أمر بالتفريق بينهما فقال لاحدهما
من تحت اى شجرة جاءا الحدث فقال من تحت شجرة بطم فقال كذبت وهذا ملاك الله
شاهد عليك بالكذب ثم اخره وقدم الآخر وقال له من تحت اى شجرة جاءا الحدث فقال
من تحت شجرة زيت فقال كذبت وأقامهما فشهرا ونزلت نار فأحرقتهما وحفظ الله
الدم الزكى وعظم أمر دانيال عليه السلام

(ومن الرابع ما حكى) فى نديم المسامرة انه كان بالبصرة رجل اسمه عباد وكان يدعى
بالمخنث لما كان يظهر من التزين بزى النساء فاجتمع ليلة مع قوم وتذاكروا الشجاعة
فقالوا له هازئين به هل تقدر أن تذهب فتدق هذا الوتد بالضريح الفلانى وكان معروفا
بالوحشة بعيدا عن العمارة فمضى حتى صار فيه فجين شرع يدق الوتد سمع صريرا سلسلة
تدنو كلما دق حتى صار عنده فاذا هو قرد قد ذهب من صاحبه فأخذه وهم ليخرج اذ سمع
امرأة تخاطب رجلا فتقول ما الذى صنعت حتى تقتلنى فيقول اقتلك وأموت خير من
ان تصيرى الى زوجك وأموت نحن فخرج عباد حينئذ عليهما وصرخ على القرد فتعلق
بالرجل نظنهما جنا فرمى السلاح فأخذه عباد وفك المرأة واستخبرها فأخبرته بأبيها فعرفه
وأن هذا ابن عمها كان يهواها فخطبها الى أبيها فأبى وهم بتزويجها من غيره وأنهما
خرجتا فتخرج فكبسهما هذا مع جماعة فتفرق النساء اللواتى كن معها واخذها هو
فصيرها الى هذه الحالة فاخذها عباد الى اهلها وأخبر أصحابه بالقصة فكذبوه فاراهم

تعلقت فى دار الرياحى خودة
يذل لها من حسنها الشمس والبدر
اذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر
فلما طرقت الدار من حر مهجة
اتيت وفيها من توقدها جمر
تبادر أهل الدار بى ثم صيحوا
هو اللص محتوما له القتل والاسر
فلما سمع على شعره رق له وقال
للمهلب اسمح له بها ونعوضك
عنها فقال يا امير المؤمنين اسأله
لنعرف نسبه فقال النهاش بن
عتبة العجلى فقال خذها فهى لك
(وحكى) التميمى فى كتابه امتزاج
النفوس ان معاوية بن أبى سفيان
اشترى جارية من البحرين
فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها
يوما تنشد أبياتا منها
وفارقته كالغصن يهتز فى الثرى
طريرا وسيما بعد ما طر شاربه
فسألها فقالت له هو ابن عم لى
فردها اليه وفى قلبه منها شرر
النيران * وذكر الخرائطى أن
المهدى خرج الى الحج حتى

ذلك فصار يعد من الشجعان

(ومن الثالث) ما حكى عن حبوبة بن حباب الطائى انه حين قتل ابوه رجلا من كلب من
نخذوبرة ووجبت عليه الدية رهنه صغيرا مع امه وخرج ليجمعها فمات فأقاما عندهم
وانه كان شابا حسنا جميلا فولع به النساء حتى شاع أمره فطردوه فوقع بعد ما قتل اخا
امرأة اشتهر بها الى بلقين فأجاروه ففعل عندهم ما فعل فى كلب واشتدوا عليه فجاء الى
أمه ليلا فاخفته واخبرت ظئرا لها فقالت ادفعيه الى فأخذته فجعلته فى متاع لها خارج
البيت ومر عدى رئيس بنى كلب فقال ما هذا قالت متاعى وأنا على سفر وأريد ان تجيره
فقال قد أجرته وحمله الى بيته وقد انكره ففتش فرآه فقال لا حيالك الله وخرج فأقام عنده
زمانا فعلق ابنته وطال بينهما الامر فأنشد فيها

ما زلت أطوى الحى اسمع حسهم * حتى وقفت على ربيبة هودج
فوضعت كفى عند مقطع خصرها * فتنفست صعدا ولما تنهج
وتناولت رأسى لتعلم مسه * بمخضب الاطراف غير مشنج
قالت وعيش ابى وحرمة والدى * لانبهنّ الحى ان لم تخرج
فخرجت خيفة اهلها فتبسمت * فعلمت انّ بمينها لم تحرج

وبلغ عدى بن اوس ذلك فقتله

(ومن الثالث) قصة وضاح اليمن المشهورة واسمه اسمعيل او عبد الله او عبد الرحمن
ابن كلال وكان من أمره أنه كان يبرقع وجهه خوف الفتنة بحسنه وانه نشأ
مع ام البنين بنت عبد العزيز صغيرين فكان لا يصبر احدهما عن الآخر فلما بلغت حجبت
فازداد شوقهما فخفين افضت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك وقيل ليزيد والصحيح الاول
لما سيق فى قصة حبابة وذكر زوجات يزيد بحبها فازداد بوضاح الامر حتى تحمل
تخرج الى الشام فكان يطوف بالقصر الى ان ظفر بجارية لام البنين فأخبرها بمكانه
وانه ابن عم مولاتها فأخبرتها فأدخلته فى صندوق فكانت اذا أمنت تمكث
معه واذا خافت أدخلته الصندوق وجىء للوليد بجوهر نفيس فأمر خصيا بحمله
اليها فجين دخل الخصى وجدوضاحا فأدخلته الصندوق واستوهبها الخادم اولوة
فأبت فمضى وأخبر الوليد فدخل عليها فمازحها واستوهب الصندوق فأبت فراجعها
فوهبته اياه واحتمله الى مجلسه فلما جاء الليل امر غلمانه فحفروا الى الماء ثم قال مشافها
للصندوق خفية قد بلغنا عنك امر فان كان صحيحا فقد كفأناك والا فانما علينا فى دفن
الخشب وروماه ورمى الخصى حيا وقيل ضرب عنقه حين اخبره وأهال التراب ولم يبين
لها غيظا وقيل فارقها وانها كانت تأتى المكان فتبكى فوجدت ميتة فيه وقيل انه
لم يقتله بذلك وانما شبب بها حين رآها فى طريق الحاج فبلغه تشبيبه بها فاستشار فيما
يفعل به فقيل له اكرمه كما فعل معاوية بأبى دهبل حين شبب بأخته فأبى الا قتله

اذا كان بزبالة وجلس يتغدى
اذا بشاب بدوى دخل عليه وبكى
وقال يا أمير المؤمنين انى عاشق
ورفع صوته فقال للحاجب ويحك
ما هذا قال انسان يصيح انى عاشق
قال أدخلوه فأدخلوه فقال من
عشيقتك قال ابنة عمى قال ألها
اب قال نعم قال فما له لا يزوجك
بها قال ههنا شئ يا أمير المؤمنين
قال ما هو قال انى هجين والهجين
الذى امه امة ليست بعربية
قال له المهدى فما يكون قال انه
عندنا عيب فارسل فى طلب أبيها
فأتى به فقال هذا ابن أخيك
قال نعم قال فلم لا تزوجه كريمتك
فقال له مثل مقالة ابن اخيه
وكان من أولاد العباس عنده
جماعة فقال هؤلاء كلهم بنو
العباس وهم هجن فما الذى
يضرهم من ذلك قال هو عندنا
عيب فقال له المهدى زوجه اياها
على عشرين ألف درهم عشرة
آلاف للعيب وعشرة آلاف
مهرها قال نعم فحمد الله واثنى
عليه وزوجه اياها واتى بيدرتين
فدفعهما اليه فانشأ الشاب

(ومنه أيضا) سحيم وهو حبشي نشأ في بني الحسحاس وكان اعجميا غليظا ثم تخرج في الشعر وشاع ذكره حتى اشترى اعثمان فقال لا حاجة لي بمن اذا شبع شبب بالنساء واذا جاع هجا فرده فاشتراه رجل منهم اسمه ابو معبد فعلق ابنته وانهم خرجوا الى سفر فتشوق أبو معبد الى ابنته فكان يتمثل بهذا البيت

عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فأكمل العبد القصيدة بما يزيد على مائة بيت فنهاه التشبيب بابنة مولاه

وبتنا وسادانا الى علجانة * وحقف تهاداه الرياح تهاديا
توسدني كفا وتثني بمعصم * علي وتحوي رجلها من ورائيا
وهبت شمال آخر الليل قرة * ولا ثوب الا دوعها وردائيا
فما زال ثوبي طيبا من نسيمها * الى الحول حتى انهج الثوب باليا

فذهب جندل به ليبيعه فأنشد

وما كنت أخشى جندلا ان يبيعني * بشيء ولو أمست أناملة صفرا
أخوكم ومولى مالكم وربيبكم * ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا
اشوقا ولما يمض لي غير ليلة * فكيف اذا سار المطي بنا عشرا

فرق له فرده ولامه قومه وأرادوا قتل العبد فضن به ثم رفعه الى الحاكم فعزره ثمانين وانصرف به فأنشد

أبا معبد بئس العزاضة للفتى * ثمانون لم تترك لحلقكم جلدا
كسوني غداة البين سمرا كأنها * شياطين لم تترك قرارا ولا عهدا
فما السجن الاظل بيت دخلته * وما السوط الا جلدة خالطت جلدا
ابا معبد والله ما حل حبها * ثمانون سوطا بل يزيد بها وجدا
فان يقتلوني يقتلوا ابن وليدة * وان يتركوني يتركوا اسدا وردا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد داري من ديارهم بعدا

فلما علم مولاه اصراره احرقه

(ومن الاول) المتجردة وهي امرأة المنذر بن ماء السماء وكانت من أعظم نساء العرب جمالا فلما مات عنها أخذها ولده النعمان فكان يجلسها مع نديمه النابغة والمخبل فشغفت بالمخبل وامتزجا فأمر النعمان يوما النابغة ان يصفها فقال

واذا طعنت طعنت في مستهدف * رابي المجسة بالعبير مقرمد
واذا نزعت نزعت عن مستحصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

فقال المخبل هذا وصف معاين وحرض النعمان على قتله فهرب وكان عقيما فلما خرج النعمان الى الصيد رجع بغتة فوجد المتجردة مع المخبل قد البسته احد خلخاليها وشدت رجله الى رجلها فقتله وله فيها

ان كنت عاذلتي فسيري * نحو العراق ولا تحوري
ولقد دخلت على الفتا * ة الخدر في اليوم المطير
والكاعب الحسناء تر * فل في الدمقس وفي الحرير
فدفعتها فتدافعت * مشي القطاة الى الغدير
ولثمتها فتنفست * كتنفس الظبي البهير
فرثت وقالت هل يجب * ملك يا مخبل من فتور
ماشف جسمي غير حبك فاهتدي عني وسيري
وأحبها وتحبني * ويحب ناقتها بعيري
ولقد شربت من المدا * مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني * رب الشويهة والبعير
ياهند هل من ناهل * ياهند للعاني الاسير

(ومن الرابع) ما يحكى عن سليمان بن عبد الملك وكان شديد الغيرة انه خرج لغرض ومعه سنان وكان فارسا معروفا بالشجاعة والمحبة لسليمان وكان حسن الغناء وكان يتركه كثيرا لمعرفته بغيرة سليمان فزاره ضيوف فأكرمهم فقالوا يا سنان لم تكرمنا مالم تسمعنا الغناء وكان قد أخذت منه الخمر فأنشد

محجوبة سمعت صوتي فأرقها * في آخر الليل لما يهدأ السمر
تثني على فخذها مشفى معصفرة * والحلي منها على لباتها حصر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر
في ليلة النصف ما يدري مضاجعها * اوجهها عنده ابهى ام القمر
لو خليت لمشت نحوي على قدم * يكاد من رقة للمشي ينفطر

فلما سمع سليمان الصوت خرج فزعا يفهمه وكانت عنده جارية اسمها عوان وكان يحبها حبا شديدا وهي مشهورة بالجمال فجاء اليها فرآها على صفة الايات وكانت يقظانة فلما فطنت به قالت يا أمير المؤمنين قاتل الله الشاعر حيث قال

الا رب صوت جاءني من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
قصير نجاد السيف جعد بنانه * الى امة يدعى معا والى عبد

فسكن ما به وقال قد راعك صوته قالت صادف مني يا أمير المؤمنين مخلف ليقتلنه فأرسلت عبدا يحذره وقالت ان لحقته قبل فلك دينه وأنت حر فسبقت رسل سليمان فجاؤا به فنظر اليه مليا ثم قال أنت المجنون ويلك فقال أنا فارسك فاستبقني فقال لا أقتلك ولكن أزيل تفعلك وأمر به فخصي وألقي في دير الخصيان قالوا وفي ذلك الوقت بلغ سليمان كثرة المخنثين المغنين بالمدينة فكتب الى عامله ان احصهم يعني اضبطهم لتنظر في امرهم

قوله فأحضر أولياء الجارية فقال زوجوا يزيد فتاتكم فقالوا اما وقد ظهر عليه ما ظهر فلا فقال ان لم تزوجوه طائعين لتزوجونه كارهين فزوجوه ونقد خالد المهر من عنده (وذكر) احمد بن الفضل الكاتب ان غلاما وجارية كانا في كتاب فهويها الغلام فلم يزل يتلطف بمعلمه حتى صيره قريبا منه فلما كان في بعض ايامه في غفلة من الغلمان كتب في لوح الجارية

ماذا تقول لفيمن شفه سقم
من طول حبك حتى صار حيرانا

فلما قرأته الجارية اغرورقت عيناها بالدموع رحمة له وكتبت تحته

اذا رأينا محبا قد اضر به
طول الصبابة أوليناه احسانا

فجاء المعلم فسمع ذلك منهما فأخذ اللوح وكتب هذين البيتين

صلي العريف ولا تخشين من احد
امسى العريف صغير السن ولهانا

اما الفقيه فلا يسطو عليه أذى
فانه قد بلي بالعشق الوانا

فسبقت نقطة على الحاء فأمر العامل بخصيهم فقال كل عند خصيه كلمة سارت مثلا
فقال طويس ماهذا الاختان أعيد علينا وقال دلال بل هو الختان الاكبر وقال نسيم
السحر بالحصى صرت مختنا حقا وقال نومة الضحى بل صرنا نساء حقا وقال برد
الفؤاد استرحنا من حمل ميزاب البول معنا وقال ظل الشجر ما نصنع بسلاح
لايستعمل ويروى ان الذى سمعه سليمان لم يكن سنانا الكلبى بل كان سميرا الايلى وفى
الرواية بدل محجوبة وعادة سمعت وبدل قوله فى ليلة النصف فى ليلة البدر وهو اليق فى
هذا المقام لان القمر وان لم ينقص ليلة النصف فهو فى ليلة البدر ابهج ولم يلهج الشعراء
الا به وان سليمان قال حين رجع فى خصيه ان الفرس يصهل فتستودق الحجرة
والفحل يخطر فتضبع الناقة والتيس يثب فتستحرم العنز والرجل يغنى فتشبق المرأة
* (ومن الثانى) * ماحكى انه كان فى بنى اسرائيل رجل صالح يعمل بالمسحاة افقره وكان
عنده امرأة مفرطة فى الجمال وكان اذا قدم قامت لخدمته من فرش وتقديم طعام
ونحوه وان عجوزا دخلت عليها فتأملت حسنها وذهبت فوصفتها للملك فعشقها ووعد
العجوز بمال كثير على ان تخلصها له فقالت لها كيف تذهبين هذا الجمال مع رجل يعمل
بالمسحاة ولو طاوعتنى لزوجتك بالملك وأمرتها ان تعصيه وترجع عن خدمته فجاء فلم تقم
اليه على العادة ولم تقدم له شيأ فقال ماهذا ياهناه قالت هو ماترى فقال أطلقك قالت نعم
ففعل وتزوج بها الملك فحين نظر اليها كف ومد يده فشلت فرفع الامر الى نبى ذلك الزمان
فجاءه الوحى ان يعينى ما فعل بصاحب المسحاة وقد ساق هذه الحكاية فى النزهة فى باب من
عشق بالسماع وذكر ان المرأة ايضا فلجت وأنها ماتت بعد سبعة ايام

(ومنه) الزرقاء جارية ابن رامين كانت من المشاهير بالجمال والحسن والغناء وافتتن بها
غالب أهل زمانها وكان الناس يقصدونها لسماع صوتها ويبذلون لها مالا خطيرا فاشتد
ولوع يزيد بن عون الصيرفى بها فدخل عليها ومعه لؤلؤتان فقال لها قد بذل لى فيهما
اربعون ألف درهم فقالت هبهما لى فقال افعل ان شئت قالت شئت فخلف لا يعطيهما لها
الا من فمه الى فمها فغمزت الخادم فخرج وكان يزيد واقفا منكسرا بين يديها يعنى كاتفا
يديه فجلس مقعيا يعنى على رؤس أصابعه وتقدم اليها فأقبلت لتقبلا ولهما فجعل يزوغ
بفمه ليستكثر من مقابلتها فانقضت عليه فأخذتهما وقالت المغلوب فى استه عود فقال
اما أنا والله لا يزال طيب هذه الرائحة فى انفى وفى ماحييت أبدا وانها أفضت الى جعفر
ابن سليمان وأبوه عامل المنصور فدخل على ابنه يعتبه على شرائها واشتغاله بها فى هذه
الايام وقد خرج عليهم خارجى فغمز جعفر الخادم فأخرجها اليه فقبلت رأسه واجتلبته
فرضى ولم يعتب بعدها وان جعفرا قال للزرقاء يوما هل تمكن أحدا من محبيك يوما منك
بشئ تخشين أن تكفه ماعساه ان يكون بلغه فأخبرته بموافقة الصيرفى فاحتال عليه
حتى حصل عنده فضربه حتى مات

وذكر الخرائطى عن أبى عساف
قال أمر ابو بكر رضى الله عنه
بجارية وهى تقول
وهو يتهم من قبل قطع تمائمى
متماشيا مثل القضيب الناعم
فسألها أحرة أنت ام مملوكة فقالت
مملوكة فقال من هوالك فتلكأت
فاقسم عليها فانشدت
وانا التى لعب الغرام بقلبها
قتلت بحب محمد بن القاسم
فاشتراها من مولاها وبعث بها
الى محمد بن القاسم بن جعفر بن
أبى طالب وقال هؤلاء فتن الرجال
فيكم والله قدمات بهن كريم
وعطب بهن سليم ودخلت عزة
على ام البنين اخت عمر بن عبد
العزيز وكانت من العابدات
فقالت لها ما معنى قول كثير
قضى كل ذى دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها
ما كان هذا الدين قالت وعدته
قبلة ومطلته ثم خرجت منها
فقالت انجزها وعلى اثمها (حدث)
محمد بن عبد الله بن ابى مليكة عن
أبيه عن جده قال دخل عبد الرحمن

(ومن

ومن الثانى) ماحكى انه كان فى بنى اسرائيل رجل اسمه عبود كف بابنة عمه حتى كان
لايصبر عنها ساعة فتزوج بها واقام مدة فماتت فاشتد وجده وطار عقله فمضى الى المسيح
عليه السلام وسأله ان يحييها له فقال لا تيسر الا ان تهبها من عمرك شيأ فقال قد وهبتها
نصف عمرى فأحياها له ومضيا وقد لحق عبود تعب شديد فجلسا يستريحان فوضع
رأسه على ركبتها فنام فرملك الناحية فرآها فعلقت بقلبه وهويضا بقلبها فأعرض عليها
ان تكون معه فأجابته فحملها فى قبة وانتبه عبود فلم يجد احدا فقام مرعوبا فوجد
قوما من المارة ينعتون حسنها فسألهم فاخبروه بأنهم امع الملك فلحقها وجعل يذكرها
بما صنع وهى ساكتة فقال لها قد كنت مت وسألت المسيح فى احيائك ووهبتك نصف
عمرى على ان تكونى معى فحيث لم ترضى فردى على ماوهبتك فقالت قد رددته فاخرجت
الكلمة حتى ماتت

(ومن الثالث) ماحكى عن لقمان بن عاد الذى كان يضبط عمره بأن يمسك النسر من حين
خروجه من البيضة الى ان يموت فيؤتى بالآخر كذلك حتى عاش عمر سبعة كل واحد
على ماقيل مائة عام انه كان مغرما بالنساء ومع طول عمره وكثرة تزوجه كان شديد
الاحتراس وهن يخنه فتزوج جارية صغيرة وجعلها فى بيت نقره فى جبل لا يصعد عليه
الا بالسلاسل وان عملية نظرها فوقعت من قلبه فأمر قومه فشدوه فى سيوف حزمة
واستودعوها لقمان مدة فوضعها فى بيته فلما خرج تحرك العملية لخلته الجارية فكان
يكون معها الى ان يأتى لقمان فتجعله فى السيوف حتى انقضت المدة وطلبوا سيوفهم
فدفعها ثم جلس فنظر الى نخامة فى سقف بيته فسألها عن فعلها قالت انا فأمرها تفعل
فقصرت لان النساء لا يقدرن على رفع النخامة الى الاعلى لضعف مزاجهن فقال
ياويلتاه والسيوف دهتنى ثم رمى بالمرأة من اعلى الجبل ونزل فلقيته ابنته فكلمته
فضربها بالحجر فكسر رأسها فضربت العرب أمرها مثلا لمن يؤخذ بلاذنب فكان
يقول المظلوم منهم ما اذنبت الا ذنب صخر يعنى ابنة لقمان

(ومن الثانى) ماحكى ان رجلا عشق ابنة عمه حتى فنى فى حبها فتزوج بها فكان لا يصبر
عنها ساعة وكان يجالس الناس فلم يصبر الى انقضاء غرض المجالس حتى يدخل فينظرها ثم
يرجع وان ابن عمها غيره اكترى دارا الى جانبها وراسلها فوقع حبها كل عند الآخر
فنزلت اليه ودخل زوجها فلم يجدها وسأل امها فقالت تقضين حاجة فطلبها مكان
الحاجة فلم يجدها واذا هى قد أتت من الدار فعزم عليها ان تصدقه اين كانت فقالت
اما اذ عزمت على فانى أصدقك وحدثته القصة فرمى عنقها وعنق امها وهرب فكان
كثيرا ما يتمثل عند ذكر ذلك بشعر ديك الجن الآتى

* (الصنف الثانى فى ذكر من اشتدت به الغيرة الى ان خامرته الحيرة
فبرته الى تهمة محبوبه فآثر قتله على نيل مطلوبه) *

ابن أبى عمار وهو يومئذ فقيه
الحجاز على تخاص يعرض جوارى
فعشق منهن واحدة واشتهر
بذلك حتى مشى اليه عطاء
وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان
جوابه
يلومنى فيك اقوام أجالسهم
فما ابالى اطار اللوم ام وقعا
فانتهى خبره الى عبد الله بن
جعفر فلم يكن همه غيره فبعث الى
سيد الجارية فاشتراها منه
بأربعين الف درهم وأمر قيمة
جواريه ان تطيبها ففعلت ودخل
الناس عليه فقال مالى لا أرى
ابن ابى عمار فاخبر انه منقطع فى
منزله لفرط ما به فأتاه ابن جعفر فلما
رآه أراد أن ينهض فاستجلسه
وقال له ما فعل حبك فلانة قال
هو فى اللحم والدم والعصب
والعظام قال اتعرفها ان رأيتها
قال اوا عرف غيرها قال فأنا قد
ضممنا اليها واحدة والله ما نظرت
اليها وامرها فخرجت فى الحلى

(حكى) ان عبد الله بن رغبان الكلبي وقيل عبد السلام المشهور بديك الجن الحمصي كان أديبا حاذقا شاعرا لبيبا كانما تنطق قريحته بالرقة واللطافة والغزل والظرافة الا انه كان من اعظم الفساق بين العشاق واجمعهم للقساوة والاشتياق وأنه عشق جارية وغلاما واشتبههما كلفه وتيم الله في حبهما حتى حان تلفه فاشتراهما وكان يجعل الجارية عن يمينه والغلام عن شماله ويجلس للشرب فيلثمها ويشرب من يدها تارة والغلام اخرى ولم يزل كذلك الى ان قام في نفسه من شدة الحب انه سيموت ويصيران الى غيره فذبحهما وحرقهما وعمل من رمادهما برنيتين فكان يشرب فيهما ويقبلهما عند الاشتياق واشعاره في ذلك متظافرة ومن احسن ما كان ينشده عند تقبيل برنية الجارية قوله

ياطلعة طلع الحمام عليها * فجنى لها قمر الردى بيديها
حكمت سيفي في مجال خناقها * ومدامعي تجري على خديها
روّيت من دمها الثرى ولطالما * روّى الهوى شفتي من شفتيها
فوحق نعليها لما وطئ الحصى * شيء أعز علي من نعليها
ما كان قتليها لاني لم اكن * ابكي اذا اسقط الذباب عليها
لكن بخلت على العيون بلحظها * وأنفت من نظر العيون اليها

(ومن لطيف شعره ايضا)

جاءت تزور فراشي بعد ما قبرت * فظلت الثم نحرا زانه الجيد
وقلت قرة عيني قد بعثت لنا * فكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظامي فيه مودعة * تعيث فيها بنات الارض والدود
وهذه الروح قد جاءتك زائرة * هذي زيارة من في القبر ملحود

(وعند تقبيل برنية الغلام)

أشفقت ان يرد الزمان بغدره * اوابتلى بعد الوصال بهجره
فرقد استخرجته من دجنه * لبليتي وأثرته من خدره
فقتلته وله علي كرامة * فلي الحشا وله الفؤاد باسره
عهدي به ميتا كأحسن نائم * والطرف يسفح دمعتي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده * بالحي منه بكى له في قبره
غصص يكاد تفيض منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صدره

(ومن لطيف شعره في الدعاء على المحبوب)

كيف الدعاء على من جار او ظلما * ومالكي ظالم في كل ما حكما
لا آخذ الله من اهوى بجفوته * عني ولا اقتص لي منه ولا ظلما

(ومما ارخه الفرس) عن اردشير ملك الطوائف انه لما حضر ثرثار وهي قلعة في برّ سنجار

من

والحال فقال هي هذه قال نعم بأبي انت وامي قال نخذ بيدها فقد جعلتها لك أرضيت قال اي والله وفوق الرضا فقال له ابن جعفر لكن والله لا أرضى ان اعطيكها هكذا اجل اليه بغلام مائة الف درهم

(الباب السابع عشر في ذكر دواء علة الجوى)

أقول هذا باب عقدناه لذكر دواء الحب الذي اعجز أهل الطب فهم فيه حيارى سكارى وماهم بسكارى على ان الذي اجمعوا عليه واشاروا اليه انه لا شفاء من هذا الداء العضال الا بطيب الوصال مثل غمز النهدين وقرع الشفتين والتصاق البدنين

رأيت الحب ليس له دواء
سوى وضع الصدور على الصدور
ولا سيما ممن بدت نهوده وتوردت خدوده وعذب مذاقه وطاب عناقه

من مدن الشرق استعصم بها ملكها المعروف بالساطرون وطال الامر فصعدت ابنته يوما على القلعة فرأت اردشير فعلقته فرمت اليه بكتاب في نشابة فيه ان أنت شرطت لي ان تتزوجني عرفتك كيف تأخذ القلعة فراجعها اني شرطت لك ذلك فدلته فلما أخذ القلعة وتزوج بها وأقاما مدة ضجرت ذات ليلة من شيء يؤلمها في الفرش فكشفوا فاذا هي باقة نرجس فتفكر في رقة جلدها فقال لها ما كان يطعمك ابوك قالت الشهد ومخ العظم والزبد فقال اذا كنت غدرت بمن هو عليك بهذه الصفة من الشفقة والدلال فكيف بي واشتد عنده التخيل والغيرة والحساب فقتلها (وحكى) صاحب محاسن البلدان ونزهة الازمان ان لكل اقليم اختصاصا بصفة وتمييزا بحالة تغلب عليه من قبل ما تتغير به الكائنات الفاسدة من العلويات وغيرها ان مصر وضعت في طالع الجوزاء وهي تعرف عندهم بالتوأمين والعذراء والمؤنسة ومقتضاها الرقة وسرعة التأليف واللطف وعدم الانضباط على حالة وقلة الغيرة وكثرة الغفلة وقد ظهر أثر ذلك في أفعالهم قال الا ترى الى لطف العزيز وتغافله وقد رأى زوجته متهيئة للخلوة من غلق الباب ونحوه ولم يكن عالما بعصمة يوسف عليه السلام ليقال انه استند الى ذلك ومع هذا قال للرجل أعرض عن هذا وقال للمرأة استغفري لذنبك وعكس ذلك الاقليم الخامس فقد وضع في طالع المريخ ومقتضاه الغلظة والبأس والقسوة وسفك الدم الا ترى ان ملكا من ملوك الاندلس كان شديد الكلف بجارية عنده حتى انه كان لا يستطيع عنها صبرا فجلس مع ندمائه يوما وغنت الجارية فاستعاد منها بعض خواصه صوتا فلما انقضى المجلس جيء بطست فوضع بين يدي مستعيد الصوت وقال له الملك اكشفه فاذا فيه رأس مقطوع فقال له استعد الصوت منها فقام مريضا وقد نقل الحكاية أبو حيان في تفسيره ملخصا

(الصنف الثالث في ذكر من عانده الزمان في مطلوبه حتى شورك في محبوبه فصنع من الحيل ما افضى الى قتله وقتل من شاركه في فعله)

(حكى) لي رجل بحلب سنة ثلاث وستين وتسعمائة ان رجلا موصليا علق امرأة فزادها وجده فكان لا يصبر عنها ساعة وتلطف بها حتى فارقت زوجها وتزوج بها وأقاما مدة وجاء يوما فوجدها تأكل في طعام لم يكن جاء به هو فسألها عنه فقالت من بعض اهلي فداخله من ذلك شيء وقوي عنده وتجسس عن أمرها فلم يقع على شيء فمضى وركب دوابه سريعا ثم جاء به اليها فقال احتفظي بهذا فانه باهي فقالت كل منه فأكل ورفعت الباقي ومضى فعالج نفسه من السم وعاودها بعد يوم متمرضا فوجدها والرجل ميتين فخرج وقد اتفق عليه الغم وباقي السم فمات من ليلته

(ورأيت) في الشهنامة الفارسية ما ترجمته أن ابرويز أحد ملوك الفرس تزوج امرأة اعانقه والنفس بعد مشوقة
اليه وهل بعد العناق تداني
والثم فاه كي تزول حرارتي
فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله
سوى ان ترى الروحان يمتزجان

(وقال الآخر)

شفاء الحب تقبيل وشم
ووضع للبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه
وأخذ بالمناكب والقرون

(وقال آخر)

اسقم قلبي ثم لم يبره
عاقد زنار على خصره
لا تاتقى روحي مع جسمه
حتى أرى صدري على بطنه

(وقال أبو جعفر العدوي)

فسكر الهوى أدوى لعظمي ومفصلي
اذا سكر الندمان من لذة الخمر
واحسن من قرع المثاني ونقرها
تراجع صوت الثغر يقرع للثغر

صغيرة بديعة فى الحسن وقد بلغ ثمانين سنة فوجد بها وازداد عشقه لها وهى تظهر حبه وتخفى بغضه وعلقت ولده واشتد ميلها اليه وان الملك دخل فرآهما على الحالة المنكرة فكادت نفسه ان تزهق وعلم انه ان اظهر أنه رآهما امرت المرأة ولده بقتله فرجع وأخذ فى تدبير الحيلة فأخذ كتابا وسم ورقه وجلده بالذهب ورصعه بالجواهر واودعه صندوقا وجاء به الى المرأة فقال لها قد علمت ما حوت يدى من الذخائر والنفائس غير أنه لم يكن يعدل نفسى الا هذا الصندوق فاحتفظى به وعلم انها ستطلع عليه ولده فلما خلت به اخبرته القصة فقال على بالصندوق فأحضرته ففضه فلم يجد الا الكتاب مطبوقا فحاول فتحه فوجد ورقه معتلقا بعضه ببعض فجعل يدل اصبعه من ريقه ويتصفح الاوراق فلعب السم فيه وعلم بالحيلة فأخذ السيف وخرج فضرب اباه فقطعه ميتين (ووقفت) فى سنة خمس وستين وتسعمائة بمحروسة دمشق على كتاب لم اعرف مؤلفه سماه درر الافكار فى التحريض على تزويج الابكار ذكر فيه ما ملخصه ان قدماء الفرس كانوا يمنعون التزوج بالثيب لان حكماءهم يقولون ان المرأة لا تاتى مقاليد طاعتها ولا تصدق لطائف نهوتها ولا تمحض حسن مودتها الا لمن يفض ختام بكارتها لانه القاطف لزهر محاسنها والمجتلى على اول مطالع بدورها فان وقع منها الغيرة ودفنا دلا يعتد به ونزر لا يدنى التمسك بسببه ولم تزل هذه الوصايا عندهم محفوظة وبعين الكمال ملحوظة وان ملكا جاوز الستين ولم يرزق ولدا وكان ذا ملك عظيم ومال ورزق جسيم فكان يتأسف على خروج ذلك منه وانتقاله عنه فجمع أهل التنجيم والخطوط وأمرهم بالنظر فى ذلك فراوا انه ان تزوج من الحبشة رزق ولدا يكون له الملك فارسل فجى له ببنت فاختاروا له طالعا يبنى بها فيه ووافقها فحملت وجاءت بذكر صحيح سوى حسن الخلقة فأولم الملك أربعين صباحا ونشأ الولد فحفظ الادب والحكمة وان اباه طلب تزويجه ونادى بعرض البنات عليه فوقع اختياره على واحدة ليست بالشريفة المناسبة للملك فاراد والتحويل عنها فابى فزوجه بها على غضاضة فى نفسه ودخل فوجدها ثيبا فكتم أباه ذلك لشدة عشقه وشغفه بها وان امه ودهاة النساء من خدمتها جعلن ينظرن فى حب كل منهما لصاحبه فيجدنه أعظم حبا لها منها له فكن يخبرن الملك فيقول ان صدق الحدس فانها ثيب ولا يستطيع أحد أن يكلمه فى أمرها فلما أفضى الملك اليه بعد والده دخل يوما فوجدها كالتى فرغت من الجماع وكان له مدة لم يتغشاها وكان اذا جامعها تدوم حمرة وجهها مصفرة يوما وهذه والتى تغلب حال الفعل تسمى الربوخ فسألها عن العلة فاجابت انها تشكو صداعا وكان عارفا بالطب فلم يرض بذلك ولكن كره ان يغضبها فامسك وتسكر رمنه رؤيتها كذلك وكان قد برع فى الدهاء فصنع قارورة طيب نفيسة وأتى بها الى بيتها فوضعها فى صندوق محرز فى خزانة سره وأخذ مفتاحها وجعل كلما جامعها أخرج من الطيب ودهن مذاكيره وسرته وأمرها فتدهن فرجها وأخبرها

(وقال أبو دهقان)
حدثنا عن بعض اشياخه
أبو هلال شيخنا عن شريك
لا يشتفى العاشق مما به
بالشم والتقبيل حتى يفيك
وقال فى الاغانى قال أبو العيناء
أنشدت ابا العبر قول المأمون
ما الحب الا قبل
وغمز كف او عضد
من لم يكن ذا حبه
فانما يغنى الولد
ما الحب الا هكذا
ان نكح الحب فسد
فقال كذب المأمون وأكل من
خراى رطلين وربعا بالميزان وأخطأ
واساء الادب هلا قال كما قلت انا

ان ذلك ذخيرة لم يظفر بها سواه وانه يقوى الاعضاء ويعين على الفعل ويحفظ الصحة والصبا والقوة وخرج عنها فجاء صاحبها فكانت تطيبه من الطيب الى ان علم ثبوت ذلك عندها فجاءه بسم قاتل لوقته فاوهمها الاخذ من الدهن ووضع ذلك فيه وأعلمها انه خارج فى شغل يقيم فيه سبعة أيام وخرج بعسكره من البلد ثم عاد من الغد على غفلة مستخفيا فدخل عليها فوجدها والرجل فيهما رمق الحياة فرمى عنقهما وسال عن الرجل فاذا هو جارها نشأ معها صغيرا فعلم انه الذى أزال بكارتها ثم أقام مدة فكان يعاودها من حبها وهو على سرير ملكه ما يذهب عقله فيقوم الى الخلوة ويذكر عشقها اللوقته عليه وايثارها الارذال فيسكن ما به ويعود فلم يزل أياما على ذلك حتى غلب الحب على التاسى فمات

(الصنف الرابع فى ذكر من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق)

قد خلط المصنف هؤلاء بالعشاق وعقد لكل باب عقوبة الفساق وأهل العشق الصحيح بريؤن من الاثم خارجون عن التسمية بهذا الاسم *فمن أهل هذا الصنف ما حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه أتى ان لا يهدر دم مسلم فأتى يوما بشاب أمرد مقتول فعرف المكان الذى وجد فيه واستكتم من جاء به أمره وقال ارجو ان لا يفوتنى قبل كان بعد حول رأى طفلا ملقى موضع الشاب فقال قد ادركت ما أطلب واخذه فسلمه الى من ترضعه وأجرى عليها ما تحتاج اليه وقال لها اذا رأيت امرأة تقبله وتضمه فاعلمينى بها فجاءت جارية يوما الى المرأة فقالت ان سيدتى تطلب الغلام ساعة فحملت به اليها فرشقته وضمته ثم دفعته الى المرأة فجاءت الى عمر فاعلمته بذلك فأخذ سيفه ومضى الى الباب فاذا أبو هاشيخ من الانصار قد كبر فقال اين ابنتك فقال بالبيت فقال كيف سبرتها فقال على أحسن حال من طاعة الله ورسوله والقيام بحق فقال مكانك حتى ادخل عليها وأعظها فقال افعل فاستأذن عليها فلما صار عندها قال اصدقينى ما فعلت والا رميت عنقك فقالت يا أمير المؤمنين انى والله محدثتك بما كان لا أكذبك شيأ اعلم ان بعولا كانت تدخل علىّ من الصغر وتخدمنى الى ان صرت كما ترى وانا اظنها صالحة فقالت لى يوما قد عزمت على مكة وعندى ابنتى ولا آمن ان اتركها فى البيت فأريد ان اجعلها عندك حتى اعود فقلت كرامة فجئت واحضرت شخصا موزرا مبرقعا فلما كان الليل ونمت آمنة وثب على صدرى فنال منى فعمدت الى شفرة بالقرب منى ففجرت بها بطنه وجعلناه حيث رأيت فبعد مدة رأيت انى حامل فلما وضعت جعلته مكانه قد عالها وجزاها خيرا واوصى اباها بها

(ومنهم أعرابى من اسد)

خرج لحاجة فنزل على باهلة عند امرأة فقدمت له ما يحتاج اليه فلما لم ير عندها احدا سامها نفسها فقالت على رسلك لا صلح من شأنى وغابت ثم جاءت وقد اخفت مدية فوثب ليعانقها فضربته بها فى نحره فخر ميتا وسقطت حين رأت الدم وجاء بعض اهلها وهى على تلك الحالة فأجلسها حتى سكن ما بها وحدثته القصة فشاعت حتى قال فيها شاعرهم قيل جعفر بن ابى

وباض الحب فى قلبى
فواويلا اذا افترخ
وما يتفعنى الحب
اذا لم أكسر البيخ
وان لم يطرح الاصلع
فزجيه عن المطبخ
ثم قال لى كيف رايت قلت عجبا
من العجب قال كنت ظننت انك
تقول غير هذا فقبل يدى فارفعها
قلت قول المأمون ان نكح الحب
فسد هذا على قول من يرى ذلك
كما ذكر المرزبانى ان اعرابيا قال
علقت امرأة كنت آتيها
فأخذتها وما جرت بينناريبة قط
الا أنى رأيت بياض كفها فى ليلة
ظلماء فوضعت يدى على يديها
فقالت مه لا تفسد ما صلح فانه
ما نكح الحب الا فسده وحكى عن
بعض الادباء انه كان يعشق جارية
فقالت أنت صحيح الحب كامل
الوفاء فقال نعم قالت فامض بنا
حيث شئت فلما حصل فى منزله لم
يكن همه الا ان رفع ساقيها
وجعل يجامعها بجميع
جوارحه فقالت له وهى فى
القالب

علية وقيل صيفى بن سعيد الباهلى وقيل غيرهما هذه الابيات

لعمرى لقد اخفت معاداة ضيفها * وسوت عليه مهده ثم برت
فلما بغاها نفسها غضبت لها * عروق ثمت وسط الثرى فاستقرت
وشدت على ذى مدية الكف معصما * وضينا وعزت نفسها فاستقرت
* فأمت بها فى نحره وهو يتقى * السنكاح ومرت فى حشاه وجرت
فخر كان الفيل فى جوف صدره * وادركها ضعف النساء فخرت

ويقرب منه ما حكى أن رجلا اضاف بنى هذيل فخين خرج عن البيوت رأى جارية منهم فراودها عن نفسها فتعاسفا فاخذت حجرا فضربته به فقضت كبده وبلغ عمر فقال هو قتيل لايودى * وغزا رجل فخرج جاره فرأى فى بيته مصباحا وانصت فسمع قائلا يقول

واشعث غره الاسلام منى * خلوت بعرسه ليل التمام
ابيت على ترائبها ويضحى * على جرداء لاحقة الحزام
كان مواضع الربلات منها * فئام ينتمين الى فئام

فدخل فقتله وكان فى عهد عمر أيضا فلما اصبح اعلمه فنشد عمر عن سيرة الرجل فلم يقل الا خيرا فقال له اقتله فقال قد فعلت فجزاه خيرا واقتدى به فى عدم ايداء الفاسق عبد الملك بن مروان وقد جاء اليه رجل راود امرأة عن نفسها فاغلقت بينها وبينه فأدخل رأسه فشدخته وقال لايودى واما مصعب بن الزبير فأخذ بيد رجل وجده مع زوجته فقتله

(ومنهم ما حكى عن عبد الله بن سبرة)

ان امرأة مغيبة يعنى غاب عنها زوجها ارسلت اليه فلما جاء اخبرته ان رجلا يسومها نفسها فقال ابعثى اليه واختفى فلما جاء قام فقتله وامر الجارية فحفرت حفرة والقاه فيها وقتل الجارية وجعلها معه وأعطى المرأة سبعين دينارا وقال اشترى بها خادما وقال
* وكل حديث جاوز اثنين شائع * وكان عبد الله هذا من اعظم الناس مروأة حتى قيل ان شاميا اسمه فيروز خرج الى العرب يبيع العطر فوضع يده على جميزة امرأة فقالت يا عبد الله بن سبرة وبلغه فخرج من أذربيجان فى طاب العطار الى الشام حتى قتله

(ومنهم ما حكى عن جويرية بن اسماء عن عمه)

قال خرجنا نريد الحاج فبتنا ليلة وبالقرب منا امرأة فلما اصبحنا اذا حية قد التفت على عنقها فخفنا من ذلك فلم تزل الى ان دخلنا الحرم فانسابت فلما قضينا المناسك سمعنا الغريض يقول للمرأة أى شقية اين حيتك فقالت فى النار فقال ستعلمين من فى النار فلما أردنا الخروج عزمت على صديق لى وبينه وبين الغريض صداقة ان يمضى بنا اليه لنسمع من غنائه فلما سرنا عنده اكرمنا وساله صاحبى الغناء فغنى

مرضت فلم تحفل على جنوب * وأدنيت والمشى الى قريب

اسرفت فى نيكاو النيك مصلحة
فارفق بفضلك ان الرفق محمود
فأجابها وهو فى عمله لا يفتر
ولم أنك نيك من تبقى مودته
لكن نيكى هذا نيك مجهود
ففترت من تحته وقالت يا فاسق أراك على خلاف ما قلت كأنك تجعل جماعى سببا لذهاب حبك والله لا جمعنى وايالك سقف بعد هذا أبدا وعلى هذا القول جماعة أعنى ان الحب اذا نكح فسد ومنهم من قال لا يستحكم الحب الا بعد ايقاع الوطء وانه اذا وقع الوطء ازدادت المحبة ويسمونه مسمار المحبة كما قيل
لم يصف حب لمعشوقين لم يذقا
وصلا يجل على كل اللذاذات

(وقال هدبة بن الخشرم)

والله ما يشفى الفؤاد الهائما
نفث الرقى وعقدك التمائما
ولا الحديث دون ان تلازما
وتعانق القوائم القوائما

(وقال آخر)

قولا لعاتكة التى
فى نظرة قضت الوطر
انى أريدك للنكا
ح ولا أريدك للنظر
لو كنت مقتنعا بذا
لك كان هذا اللقمر

فلا يبعد الله الشباب وقولنا * اذا ما صبونا صبوة ستتوب

واستعدناه الصوت فغنى قول المجنون عفا الله عن ليلى الابيات السابقة فخيلنا ان الجبال ترقص طربا ثم استزدناه عند الوداع فغنى أبيات ابى الاسود الدؤلى التى أوصى بها ابنته عند الزفاف

خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين اغضب
فانى رأيت الحب فى الصدر والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فلما رجعنا اذا بالمرأة وقد جاءت الحية حيث انسابت فانطوت عليها وصفرت واذا بالوادى كله حيات فاقبلن ينهشنها حتى ماتت فسألت جاريتها فقالت بغت ثلاث مرات كل مرة تلد ولدا فحرقه

(القسم السادس فى ذكر من حل عقد المحبة وخالف سنن الاحبة)

وهو بالنسبة الى من استدرك الغلط واستقال مافرط والى من تمادى على نقض العهد واخلاف الوعد ينحصر فى صنفين اردفهما بثالث من هذا الكتاب اذ لم يكن مناسبا للباب * قد سبق لك فى الخطبة ان المؤلف رحمه الله قد أكثر فى كتابه من التخليط فى تبويبه وذكر غير المناسب للمطلوب ولكن لعمرى لم يقع له بهذه الاوصاف أكثر من الباب السابع حيث ترجمه بمن استخفه الملل والضجر لطول الزمان فغدر المحبوب وهجر فان الواقف على هذه الترجمة يفهم منها انه يذكر متحابين نكث أحدهما عهد الآخر ثم اما عاد واما دام ولم يذكر من ذلك الا قصة كثير التى ترجم لها فى الباب بمن تاب عن عقوقه ورجع الى معشوقه فمات فى نادى الهوى وسوقه وها أنا اذكر ما وقع لى من ذلك على الشرط المتقدم ان شاء الله تعالى

(الصنف الاول فى ذكر من تاب عن الخلاف ورجع الى حسن الائتلاف وكان محبوبه فى الوجود فتراضيا على ضم شمل العهود)

حكى المسعودى فى جزء لطيف سماه اقتداح زناد الاشواق واسترجاع شوارد العشاق ان المجنون أخبر بعد توحشه بزواج ليلى فجاء وليس انوابه وأقام مدة يظهر انحلال العشق وانه لم يبق له فيها ارب لما كان قد عاهدها انهما ندوم معه على المحبة ولا تنقض عهد الصحبة فبينما هو ليلة نائم اذ رآها باكية فدنا منها فولت وجهها وقالت أى غادر لو ملكت من أمرى ما تملكه أنت من أمرك ما فعلت وايم الله انى لم أكن معه الا كفرش النار فى الهواجر أو متوسد السعدان عاريا فانتبه مرعوبا باكيا ثم نزع ما عليه وعاد الى التوحش * وفيه أيضا ان قيس بن ذريح حين تزوجت ابنى خرج متصفحا أحياء العرب حتى ظفر بامرأة اسمها لبنى فتزوج بها وقال عشق بعشق وامرأة بامرأة وأقام معها والصحيح ان ذلك لم يكن باختياره وانما وقع بحيلة ولم يقم معها وقد بسطت الخبر فى قصته * وفيه ونقله المصنف هنا ان عزة أرادت ان تعلم مالها عند كثير فتنكرت له ومرت به

كان زهير بن مسكين يهوى جارية واستهام بها فلما أمكنته من نفسها لم ترعنده ما يرضيها فذهبت ولم ترجع اليه بعد فقال فيها اشعارا كثيرة منها

تقول وقد قبلتها ألف قبلة
كفاك أما شئ لديك سوى القبل
فقلت لها حب على القلب حفظه
وطول سهاد تستفيض له المقل
فقالت وأيم الله ما لذة الفتى
من الحب فى قلب يخالفه العمل
وأما نكاح الطيف فاختلفوا فيه
فذهب أبو تمام الطائى الى انه
لا يفسد الحب بخلاف نكاح
الحقيقة وخالفه فى ذلك جماعة
ومنهم من اذا افضى الى معشوقه
اقتصر على الرشف والشم
والعناق دون تعرض لنكاح
والمانع له من ذلك أمران احدهما
التورع وعفة النفس وخوف
الوقوع فى الكبيرة اذا كان
محبوبه ممن لا يجوز له نكاحه
كما قيل
ولرب لذة ليلة قد نلتها
وحرامها بحلالها مدفوع

(وقال آخر)

متعرضة فقام اليها وكلمها فقالت أين حبك عزة قال جعلت فداءك لو انها أمة لى لوهبتها لك قالت لا تفعل فقد بلغنى انها لك مخلصة وفى المحبة صادقة فقال دعينى منها فهل لك فى الخلالة قالت وكيف تصنع بما قلت فيها قال أديره فيك ثم أنشد يقول

ما وصل عزة الا وصل غانية * فى وصل غانية عن وصلها خلف

فكشفت عن وجهها فبهت فقالت الى هنا يا فاسق فهلا كنت مثل جميل حيث يقول

لحا الله من لا ينفع الوعد عنده * ومن حبله ان مد غير متين

ومن هو ذو وجهين ليس بدائم * على العهد خلاف بكل يمين

ثم لم يزل يعتذر ويتنصل الى ان قبلته ولا مناقضة بين هذا وبين ما تقدم من انه أثبت من جميل لقوله هنيئا مريئا البيت وقول جميل رمى الله فى عينى بثينة الايبات لان تلك أدل على الاشفق وهذه على الاعشق وأما قصة ذى الرمة حيث عابت عليه المرأة تشبيهه محبوبته بالعنز فى الايبات التى منها

أياظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا أأنت ام أم سالم

فتنصل واعترف حتى وهبها الراحلة فاعادتها وصفحت فليس من هذه القبيل اذ ليس بنقض عهد وانما هو غفلة عن مقام الحبيب المحبوب فاداليه التوغل فى التشبيب ونظيرها ما سبق فى قصة كثير من اعتراض المجوز عليه فى قوله فى روضة بالحزن البيتين وأما من رجع نادما على الهفوات فوجد الحبيب قد فات فجرعته الغصص من ذلك كأس الممات فقليل

(ومنهم ما حكاه فى النزهة ونقله هنا مجهولا)

ان كعب بن مسعدة الغفارى قال خرجت أنا ومالك بن غفيلة العذرى نمشى فى القمر اذا بنسوة تقول احداهن اى والله وثم قرين منا فقالت احداهن قل لصاحبك

ليست ليالينا فى حاج بعائدة * كما عهدت ولا أيام ذى سلم

فقلت قد سمعت فأجب قال قد انقطعت فأجب أنت فقلت ولم يحضرنى غيره

فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وانصرفنا فما استقرت والا وجارية تقول أجب المرأة التى كلمتك فلما صرت اليها قالت أنت المجيب قلت نعم قالت فما أقصى جوابك قلت لم يحضرنى غيره فقالت لم يخلق الله احب الى من الذى كان معك فقلت على ان أحضره اليك ففالت هيهات فضمنته فى الليلة القابلة ورجعت فرأيته فى منزلى فاخبرنى بالقصة كالمكاشف فقلت له قد ضمنت لها حضورك الليلة القابلة فلما كان الوقت مضينا فاذا بالمجلس قد طيب وفرش فجلسنا فتعاتبا فأنشدته أبيات أميمة امرأة ابن الدمينة

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى * وأشمت بى من كان فيك يلوم

وأبرزتنى للناس ثم تركتنى * لها غرضا أرمى وأنت سليم

فلو

فلو كان قول يكلم الجسم قد بدا * بجسمى من قول الوشاة كلوم

(فأجابها)

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن * وفى بعض هذا للمحب عزاء

جزيتك ضعف الود ثم صرمتنى * فحبك فى قلبى الى اذاء

فالتفتت الى وقالت الا تسمع فغمزته فكف ثم أنشدت

تجاهلت وصلى حين لاحت عمايتى * فهلا صرمت الحبل اذ أنا أبصر

ولى من قوى الحبل الذى قد قطعته * نصيب ولى رأى وعقل موفر

ولكنما آذنت بالصرم بغتة * ولست على مثل الذى جئت أقدر

(فأجابها)

لقد جعلت نفسى وأنت اخترمتها * وكنت أعز الناس عنك نطيب

وفى روضة القلوب بدل هذا البيت

لقد كنت انهى النفس عنك لعلها * اذا وعدت بالنأى عنك تطيب

وفيها انه قبلها وأنشد

دمعى عليك من الجفون سكوب * والقلب منك مروع مكروب

لاشئ فى الدنيا ألذ من الهوى * ان لم يخن عهد الحبيب حبيب

(فأجابته)

خلوتم بأنواع السرور هناكم * وافردتمونى للصبابة والحزن

وعذبتمونى بالصدود وانتنى * لراض بما ترضونه لى من الغبن

والمشهور انهما لم يأتلفا بعد بل حين انشد لقد كنت انهى النفس البيت قالت له أو كنت تفعل ما فيك خير بعدها وافترقا فقالت لكعب ما قلت لك انك لا تفى بضمانك ولكن اذا كان السحر فأتنى قال كعب فجئت فاذا أنا بالصباح فسألت جارية فقالت حين خرجتما جعلت فى عنقها الشوطة وخنقت نفسها فلحقناها فخلصناها فجلست ساعة تحادثنا وتفتكره فتقول انه لقاسى القلب ثم شهقت فماتت وبلغ الشاب فلزم قبرها فجاءته فى النوم فقالت هلا كان هذا قبل فمات من وقته * قال فى النزهة وأصل هذه الحكاية ان هذه المرأة كانت من عذرة واسمها سعدى وكانت وهذا الفتى على أعظم رتبة من شدة تعلق كل منهما بصاحبه وكان فى الحى رجل يحبها وهى لا تحبه فغار منهما فوشى به الى أهلها فحبسوها منه فتراسلا بالمحبة وبلغه فأرسل زوجته عن لسانها الى مالك يشتم وقطيعة ولم يعرف أنها زوجة ذلك الرجل ولم تدر الزوجة تفصيل الامر وكانت عند مالك أنفة فخرج الى مكة ناقضا للعهد فلما بلغ زوجة ذلك الرجل وجه الحيلة وما أخفاه روجها أخبرت سعدى بما تم فخرجت على وجهها الى مكة حتى اجتمعت به وتم بينهما ما سمعته

وزعم بعضهم ان من جملة ما يتداوى به من لم يفز بالظفر السفر كما قال بعضهم

اذا ما شئت ان تسلو حبيبا
فاكثر دونه عدد الليالى

(وقال الآخر)

وقد زعموا ان الحب اذ دنا
يمل وان النأى يشفى من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على ان قرب الدار خير من البعد

على ان قرب الدار ليس بنافع
اذا كان من تهواه ليس بذى ود

(وقال الآخر)

وقالوا دواء الحب حب يزيله
لآخر اوطول التمادى على الهجر

(وقال آخر)

تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وذكر الحافظ أبو عبد الله البخارى فى تاريخه باسناده ان محمد بن داود صنع خاتما ونقش عليه سطرين الاول وما وجدنا لاكثرهم من عهد الثانى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان اذا رأى رجلا يلح بالنظر الى الاحداث قال له اقرأ

(الصنف الثانى فى ذكر من تمادى على نقض العهد ومات على اخلاف الوعد)

أخرج فى اقتداح زناد الاشواق عن الاصمعى قال نزلت على رجل من بنى هذيل فأكرمنى وأطرفنى بلطائف الاخبار فكان يوم أقصر ما يكون بالسرور فلما كان الليل فرش لى موضع الطيف اموطئا ونمت وجلس فقلت هل بقى لك ارب فى السهر قال لا وعافاك الله ثم ودعنى لما بى فحدثت ان له شأنا فأوهمته النوم فقام وفتح مخدعا فاخرج منه كلبة عليها الحرير وأطواق الذهب فقدم لها طعاما وشرابا فلما اكتفت غسلها بماء الورد وبخرها بالعود ثم مكث ساعة ونزع ما كان عليها ورشها بالرماد والزيت وعاقبها طويلا وهو مع الفعلتين يبكى بشهيق اخال فيه ان نفسه زهقت ثم أعاد عليها ما كان عليها وادخلها المخدع وجلس يبكى وينشد

* أأحبابنا لو تعلمون بحالنا * لما كانت اللذات تشغلكم عنا
تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * وابديتم الهجران ما هكذا كنا
وآليتم ان لا تخونوا عهودنا * فقد وحياة الحب خنتم وما خنا
غدرتم ولم نغدر وخنتم ولم نخن * وحلتم عن العهد القديم وما حلنا
وقلتم ولم توفوا بصدق حديثكم * ونحن على صدق الحديث الذى قلنا

ودام كذلك حتى طلع الفجر فجاء ليوقظنى فرآنى منتبها فلما ودعته تفرس ان فى وجهى كلاما فقال انشدك الله هل رأيت من حالتى شيأ أنكرته قلت اللهم نعم قال أوتحب ان اطرفك به قلت اى والله فتنفس الصعداء وكفكف دمعه فلم يملك ذلك وخنقته العبرة فأرسلها وانشد

اكفكف جفن العين والدمع سافح * كشبه غدير فوق خدى جاريا
فيالیت شعرى دا البكاء الى متى * وحتى متى ذا الحزن والجسم بالیا

ثم غيض دمعه وقال يا أخا العرب كانت لى ابنة عم لا املك الصبر عنها فتزوجت بها فكانت بى أبر من أمى وأعز من ولدى فى الانفاق عليها فتعاهدنا على عدم التفرق والاستبدال فلما أملقت انفت منى فأخذت فى التحامل والتجنب فقلت لها ماذا تريدين قالت اوفاعل انت ما اقول قلت نعم قالت تطلقنى فخامرنى حبها فقلت قد فعلت فاعتزلتنى وعاودنى القلق فتألمت طويلا وجئت فشكوت اليها ذلك وذكرتها العهود والمواثيق فطيبت نفسى وحلفت انها لا تتزوج ولا تتزين لغيرى فقمت وجئتها يوما فوجدتها على احسن ما يكون من انواع الزينة فكلمتها فلم يجب فسألت فقيل لى تزوجت فحلفت لها ان لا آخذ بدلها للبسها وزينتها التى عندى الا كلبة وفعلت فانا الآن امثلها بتزيين هذه الكلبة واذكر غدرها فاسلبها واعاقبها كما رأيت قلت فهل وقع بينكما بعد ذلك مراسلات قط قال نعم قد كلفها الذى تزوج بها شططا وسلمها نقصا فقدمت فراسلتنى فلم اجب مع انه لم يكن على البسيطة اعز على منها ولكن الغيرة تمنعنى قال الاصمعى فلم ار أغرب منها

واخرج

ما على الخاتم فلعله ينتهى عن ذلك والله أعلم * وقال شمس الدين ابن الاكفانى فى كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ما نصه اذا شرب العاشق طبيخ الحرمل سلا العشق وكذلك النيلج الهندى اذا شرب العاشق منه اربع شعيرات بالماء قبل ان يتمكن منه العشق سلا وكذلك الحجر الموجود بعض الاوقات فى اجواف الدجاج اذا رمى فى ماء وشربه العاشق سلا وكذلك ان علق عليه ايضا وكذلك حجر السلوان ومحكه باللبن ومن علق عليه حجر اللقلق وهو عاشق سلا وان كان حزينا زال حزنه ومن كان عاشقا الذكر وتمرغ فى مناخ بغلة زال عشقه انتهى * تنبيه * التداوى بالجماع لا يبيحه الشرع بوجه ما اذا كان المحبوب ممن لا يجوز نكاحه واما التداوى بالضم والقبلة فان تحقق الشفاء به كان نظير التداوى بالخمر عند من يبيحه بل هذا اسهل من ذاك فان شربه من الكبائر وهذا الفعل من الصغائر * (شربة) * يستعمل البوس والعناق والشفاء الرقاق فى قاعة وايوان وبركة

*واخرج فى النزهة عن الرياشى قال اتجر صديق لنا فحمل الصندل الى شهرزور وقد بلغه أنه نافق بها فلما حل بها اصاد كسادا فمكث مغموما فبينما هو كذلك اذ مرت به عجوز فسلمت عليه بلطف وسألته عن حاله فشكى اليها ما يجد من الغربة والوحدة وكساد متجره فقالت اما الكساد فسيزول ولم تزل الناس على هذا واما وحدتك وغربتك فلا أرى لهما دواء الا ان تتزوج بمن تحفظك اذا غبت وتؤانسك اذا حضرت وتفرج عنك اذا حزنت قلت ومن أين لى بما ذكرت قالت انا الضامنة لك ما تطلب ابتغاء لوجه الله تعالى فشكرت صنيعها وامرتها ان تفعل فما مضت عنى الا وقد جاءت الدلالون فاشتروا البضاعة بأحسن ربح الى اجل فتوسمت فيها الخير وجاءت فقالت قد هيأت لك ما تطلب فقم لتنظرها فمضينا الى دار لطيفة وقد فرش لى قطيفة برزة فجلست وجاءت امرأة تسر القلب وتملأ العين الا ان عليها آثار الحزن وشعار الفرقة فسلمت بحشمة وجلست فقالت العجوز هاهى فتراضينا ودخلت بها ودمت اسبوعا فى انعم حال غير انى اجدها تقوم من الصباح فتجلس فى موضع يشرف على الاشجار وتبكى حتى ترتفع الشمس فلم اسألها عن ذلك فلما كان يوم وقد اخذها النوم حتى طلعت الشمس انتبهت مرعوبة ترتعد ثم ذهبت الى المشرف وعادت فزقزقت اثوابها وجلست تبكى فلم تلهج يومها كله الا بهذه الابيات

اياعين نوحى بالدموع السواجم * على طامس بالشرق خافى المعالم
وسحى دما ان سح دمعك واسعفى * حليف الهوى من قبل حمل التمائم
اذا ناحت الورقا على فقد الفها * ولم تك ذا عقل فما حال عالم
حرام على النوم اذ فاتنى به * زمان البكا والنوح قبل الحمائم

فضاق صدرى لحالها وراجعت نفسى فى سؤالها ثم غلب على عدم التصبر بعد أيام وهى تجاسرنى كالمشغولة وتقوم بما احتاجه حتى اذا نمت مكثت جالسة حتى يسفر الفجر فتروح الى المكان الذى يشرف على الشجر كعادتها فقلت يا سيدتى قد ضاق صدرى لحالك وأنا اعزم عليك الا ما أخبرتنى بما انت فيه فقالت أولا بد قلت اى والله قالت قد كان أبى ذا ثروة وعز وكان لى ابن عم قد كفله أبى صغيرا فنشأت واياه ليس عندا حدنا اعز من الآخر فزوجنى منه فأقمنا لا نستطيع صبرا وكان فى هذا البستان زوج حمام يبيت فيه ويصبح فيغرد بأنواع التغريد فاذا اختفت واحدة فى شجرة دارت الاخرى عليها حتى تكاد ان تموت فاذا التقيا تعانقا وغردا فلما كان يوم مر بهما حمام فطارت احداهما اليه ومضت فلم ترجع فأقامت الاخرى تغرد كل صباح الى ارتفاع الشمس ثم تلقى نفسها كالميتة حتى ذهبت نضارتها وذوى ريشها فقلت له يوما لئن فارقتنى لا كونن كهذه فقال أنا لا أفارقك أو أموت فقلت له قد تجد احسن منى قال معاذ الله ان يكون فى الدنيا مثلك فأردت ان اعرف صدقه وكانت لى صديقة قد احتوت على ارفع رتبة من الجمال فاستحضرتها وأريته اياها من خلال السجف فوقعت بقلبه فراسلها فأجابته فتزوج بها

وشاذروان وطعام سبعة الوان وبنفسج ونرجس وآس ومنثور وورد وريحان ودنان خندريس وألف دينار فى كيس وجارية من بنى الاتراك بساق سمين وطرف كحيل تستعمل هذه الحوائج على نطع احمر ذى نقش اخضر وبعد هذا يدخل الحمام فانه مجرب والسلام * (شربة اخرى) * يؤخذ ثلاث مثاقيل من صافى وصال الحبيب ومثقال من عيدان الجفاء وخوف الرقيب وثلاث مثاقيل من نوى الاجتماع منقاة من غلث الهجر والانقطاع واوقية من خالص الود والكتمان منزوعة من عيدان الصد والهجران ويؤخذ عطر التحور ولثم الثغور وضم الخصور من كل واحد مثقالان ويؤخذ مائة بوسة رمانيه محكوكة مرضوضة منها خمسون صغارا سكريه وثلاثون زق الحمام وعشرون عصافيريه ويؤخذ غنج حابى وشيخير عزاقى من كل واحد مثقالان ويؤخذ أوقيتان من مص اللسان ولثم الفم مع الشفتين ويدق الجميع ويخلط ويذر على

فلم توافقه فرجع يطلب منى ما كنت عليه فابت نفسى ان تطيع كما كانت وتشفع فلم يفد فقال أطلقك مرة قلت نعم ففعل وخرج فلم أعرف خبره وانما اخذتك لانك غريب تفارق فى فان رضيت هذا الحال والا فشانك قلت فلاى شئ هجرك النوم قالت كفارة لنومى عن مناوحة الحمامة وسبقها الى

(الصنف الثالث فى ذكر من اشبه العشاق فى محبته وشاكلهم فى مودته فتعاهد اشدة كلفه بالمحبوب على عدم الفراق فنكث احدهما عهد الآخر بعد التلاق)

وهذا هو الذى عقد له المصنف الباب ووعدنا بزيادته لان الترجمة له خلاف الصواب وقصة عاتكة مع عبد الله وان كان لها بهذا الباب اعتلاق الا انها بما مضى الصق

(فنهم صخر بن عمرو)

وكان من اشجع العرب واكرمهم وأجلهم وكانت تحبه سلمى بنت عوف بن ربيعة بن حارث الرياحى وصخر هذا هو اخو الخنساء المشهورة فيه بالشعر وكان عاهد سلمى على ان لا تتزوج بعده وهو كذلك عاهدها وكان يقول اذا نظر اليها الا اكره الموت الا انه يفرق بينى وبين هذه فلما كان اليوم المشهور يوم الكلاب وهو الذى تحارب فيه بنو عوف وبنو الحرث التقى صخر مع ربيعة بن نور العوفى الاسدى بعد ما غلبت بنو الحرث على بنى اسد ونهبتهم فطعن ربيعة صخرا وكان رمح صخر قصيرا فاصابه ربيعة فأدخل فى بطنه حلقا من الدرع فرض صخر سنة بالطعنة فكانت امه تلاطفه وقصرت سلمى فى خدمته فسمع يوما امرأة تقول لامه كيف حال صخر فقالت نحن بخير ما دمنا نرى وجهه وسألت امرأة اخرى فقالت لاحى فيرجى ولا ميت فينهى فعلم لذلك وانشد

فاى امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا فى شقى وهوان

(وحكى) فى النزهة انه جلس يوما يستريح وقد رفع له سجف البيت فرأى سلمى واقفة تحادث رجلا من بنى عمها وقد وضع يده على جبينها فسمعه يقول لها اياعهد الكفل فقالت عن قريب فقال صخر لامه على بسيفى لانظر هل صدئ ام لا فاتته به فجرده وهم بقتل سلمى فلما دخلت رفع السيف فلم يستطع حمله فبكى وانشد

أهم بامر الحزم لو استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

وهذا مثل يضرب للعجز والبيت والذى قبله من قصيدة لصخر وأولها

ارى ام صخر لا تمل عيادتى * وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت اخشى ان اكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
آهم بامر الحزم لو استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما * واسمعت من كانت له أذنان
فلومت خيرا من حياة كأنها * محلة يعسوب برأس سنان

وزن ثلاثة دراهم غلية مصرية ويضاف اليها حسن الاعكان المطوبه ويغلى الجميع بماء المحبة على شراب الانس وحطب الطرب فى مرجل العجلة ويصفى الجميع على مقعد دمشقى سلطانى ويحل فيه اوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق ثلاثة ايام ويكون الغذاء مزورة من بقطين الاشتياق ويضاف اليها قاب لوز العناق وماء ليمون الاتفاق ويتناول بعد ذلك ثلاثة ارطال من المدام وتتبع برطلين من شمايل الساقين ويدخل الحمام فانه نافع والسلام * سيف قاطع وبرق لامع ساطع فيما يتعلق بدواء علة الجوى وهو ما حكاه ارباب الرياضى فى الاعداد المتحابة وذلك ان فى الاعداد اربعة وثمانين ومائتين وتسمى العدد المحب وصورته بالقلم الطبيعى هذه ٢٨٤ ٢٢٠ وحروف نطقه دفروفى الاعداد عدد يقال له المحبوب وهو مائتان وعشرون وصورته بالقلم الطبيعى هذه ٢٢٠

فأى امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا فى شقى وهوان

ولما اشتد غمه وطال مرضه نتأت قطعة موضع الطعنة فقيل له اقطعها فحمى له حديدة فادخلوها فيها فقيل كيف صبرك فانشد

فان تسألينى هل صبرت فانى * صبور على ريب الزمان اريب

ثم مات فتزوجت سلمى بعده وقيل سبب موته انه سكر مع بلعاء بن ربيعة وكان الآخر جبلا عند يهودى فحسدهما على الحسن فسقاهما فى الشراب سما والصحيح الاول

(ومن لطيف شعر الخنساء فى صخر قولها)

قذى بعينك ام بالعين اعوار * ام اقفرت اذ خلت من أهلها الدار
كان عينى لذكراه اذا خطرت * فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكى لصخر هى العبرا وقد ثكلت * ودونه من جديد الترب استار
تبكى خناس على صخر وحق لها * اذ رابها الدهر ان الدهر ضرار
وما يحول على بؤ تحن له * لها حنينان اعلان واسرار
ترتع ما غفلت حتى اذا ذكرت * فانما هى اقبال وادبار
يوما باوجع منى حين فارقنى * صخر وللدهر احلاء وامرار
لا بد من ميتة فى صرفها غير * والدهر فى صرفه حول واطوار
ياصخر وراد ماء قد تبادره * أهل الموارد ما فى وردة عار
يمشى السبنتى الى هيجا معضلة * له سلاحان انياب واظفار
وان صخرا لمولانا وسيدنا * وان صخرا اذا يشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار
* لم تره جارة يمشى بساحتها * لريبة حين يخلى بيته الجار
ولا تراه ومافى البيت يأكله * لكنه بارز بالصخر مهمار
طلق اليدين بفعل الخير ذو خفر * ضخم الدسيعة بالخيرات امار

(وقالت أيضا)

الا يا صخر ان ابكيت عينى * فقد اضحكتنى زمنا طويلا
بكيتك فى نساء معولات * وكنت أحق من ابدى العويلا
رفعت بك الخطوب وانت حى * فمن ذا يرفع الخطب الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وادركت الخنساء الاسلام وحسن اسلامها فقالت لها عائشة يوما اتبكين صخرا وهو فى النار فقالت هو أشد لجزعى عليه وادعى للبكاء فعد من الاجوبة المسكتة

(ومنهم هدبة بن الخشرم) وكان معروفا بالشجاعة والنجدة والجلادة والصبر والمروأة وله اخ اسمه حوط وأخت اسمها سلمى تزوج بها زياد بن اليزيد الذبيانى وهو رئيس قومه

وحروف نطقه كرفعدد عشرين ومائتين يحبه ابدا عدد أربعة وثمانين ومائتين فاذا كان عند انسان خاتم أو لوح فضة او ما امكن من المعادن يكون وزنه ٢٢٠ وعند انسان خاتم ثان أو لوح زنته زنة الثانى من العددين فان الذى عنده اربعة وثمانون ومائتان يحب الذى عنده عدد عشرين ومائتين فان اردت الاستعطاف وجذب القلوب واخذ النفوس فاكتب فى رقعة صورة الاعداد الاربعة وثمانين ومائتين بالقلم الطبيعى المتقدم صفته واكتب فى رقعة اخرى صورة الاعداد المائتين وعشرين وأمسك الرقعتين بين اللذين قد تباغضا فانهما يتحابان وما يكون بينهما شر مادامت الرقعتان معهما فان لم يمكن ذلك فالق الرقعتين فى حق تظيف واكتب اسم كل واحد منهما أو لقبه المشهور وضع الحق فى موضع يمر ان عليه فانهما يتحابان وان كتبت الاعداد المتحابة بماء وسكر وسقيت كلا منهما فانهما يتحابان واعجب من ذلك انك تطعم انسانا قد ابغض آخر اربعة وثمانين

فراهنه اخوهـ هدبة يوما على اطلاق جابن يوما وليلة فى القيظ وحملوا الماء فاخذت اخت هدبة ماء زوجها الى اخيها فقصرت لذلك ابل زيادة فسبها فغضب حوط فثار بينهما شر وعلم هدبة فبيت زيادة فقتله ورفع الامر الى سعيد بن العاص عامل معاوية على المدينة وقد هرب هدبة فحبس عمه فجاء وسلم نفسه ومضى أخو زيادة فشكا الى معاوية فارسل الى سعيد ان يقود هدبة ان قامت البينة فكره سعيد الحكم وأرسلهم الى معاوية فسأل هدبة عن الخبر فقال تريده نثرا أو نظما فقال نظما فانشد

الا يالقومى للنوائب والدهـــر * وللمرء يردى نفسه وهو لا يدرى
وللارض كم من صالح قد تراكمت * عليه فوارته بلاءـــة قفر

الى ان ذكر القصة التى ذكرناها وانه قتله فقال معاوية قد اقررت فهل للمقتول ولد قالوا نعم قال ردوه حتى يبلغ فحبس ثلاث سنين فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها ارسل الى زوجته وكانت من اجمل النساء وكان بها مغرما فحضرت اليه فى طيب وثياب فاخرة فحادثها ليلة وراودها عن نفسها فأجابت فحين تمكن وسمعت الحديد اضطربت فتنحى عنها وأنشد

أأدنيتنى حتى اذا ما جعلتنى * لدى الخصر أو أدنى استقلال راجف
رأت ساعدى غول وتحت ثيابه * جآجئ يدمى حزها والحراقف

وحين أخرج للقتل مر على زوجة مالك بن عوف فقالت فى سبيل الله شبابك وصبرك وشعرك فانشد ارتجالا

تعجب حبى من أسير مكبل * صليب العصا باق على الرسفان
فلا تعجبى منى حليلة مالك * كذلك يأتى الدهر بالحدثان

ونظر الى زوجته فجزع وأنشد

اقلى علـــى اللوم يا ام بوزعا * ولا تجزعى مما اصاب فاوجعا
ولا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * اغم القفا والوجه ليس بانزعا
كليلا سوى ما كان من حد ضرسه * لدى الزاد مبطان العشيات اروعا
ضروبا بالهيبه على عظم زوره * اذا الناس هشوا للفعال مقنعا
وحلى بذى اكرومة وحميـة * وصبرا اذا ما الدهر عض فاسرعا
وكونى حبيبا اولا روع جاهـد * اذا ضن أعشاش الرجال تبرعا

وجعل الناس يستخبرون خبره وهو يجيب كلا عن سؤاله وينشد الاشعار وهم يتعجبون فقال له عبد الرحمن بن حسان اتزوج هذه بعدك يريد زوجته فقال ان كنت بالشروط التى ذكرتها لها وأنشد اقلى على اللوم الابيات ثم نظر الى زوجة مالك وقد قالت له كيف تصبر عن هذه فانشد

وجدت بها ما لم تجد ام واحد * ولا وجد حبى بابن ام كلاب

رأته طويل الساعدين شمردلا * كما اشترطت من قوة وشباب

فمالت الى شفرة جزار فجدعت بها انفها وشفتيها قال ابن عساكر واذنيها وأقبلت عليه تقاتله اهذا حال من تتزوج قال لا الآن طاب الموت ثم التفت الى أبويه فرآهما فى اسوا حال قد تهيآ للحزن فانشدهما

ابليانى اليوم صبرا منكما * ان حزنا ان بدا بادى شر
لا ارانى اليوم الا ميتا * ان بعد الموت دار المستقر
اصبرا اليوم فانى صابر * كل حى لقضاء وقدر

وأراد سعيد ان يفديه بمائة ناقة حمراء سليمة فقال أخو زيادة لو ملأت لى قبتك هذه مالا ما فديته لقوله

لنجدعن بايدينا انوفكم * ويذهب القتل فيما بيننا هدرا

فسلمه اليه فلما أراد قتله ارسل الى عائشة لتستغفر له ثم صلى ركعتين واقبل على الناس وقال لولا ان يقال جزع لاطلتهما قال السيوطى فى شرح الشواهد ثم قال للقاتل احد سيفك وثبت جنانك وباعد بين قدميك واجد الضربة ثم قال بلغنى ان القتيل يعقل فان كان كذلك فانى قابض رجلى وباسطهما ثلاثا فلما رمى عنقه فعل ذلك وفى شرح الشواهد انه أول قتيل فى الاسلام قودا وخطبت بعد ذلك زوجته على ما بها من التشويه فتزوجت وتزينت ورؤيت ولها ولدان قد قاربا التزعرع

(ومنهم حمزة بن عبد الله بن الزبير) تزوج بفاطمة بنت القاسم بن جعفر بن أبى طالب وكانت ذات جمال ففتن بها فلما حضرته الوفاة اظهر انه لم يكن جازعا على شئ غير تزويجها بعده بطلحة بن عمر وخلفت له بصدقة ماله وعتق رقيقها ان تزوجت فلما مات خطبها طلحة فاخبرته فقال ان حننت وفيت عنك بضعف ما علىك فتزوجته فوفى لها فولدت له ابراهيم وكان أوجه الناس ورمله فزوجها بمائة الف دينار فقيل له انت اتجر الناس تزوجت فاطمة باربعين الف دينار وكفرت عنها بعشرين فربحت ابراهيم وأربعين ألفا

(ومنهم الحسن بن الحسن) خيره عمه الحسين بين احدى بنتيه سكينة وفاطمة فاستحيا وكان يحب فاطمة لانها كانت منقطعة القرين فى الجمال فقال الحسين رضى الله عنه قد اخترت لك فاطمة لانها اشبه الناس بامى فزوجه بها فلما حضرته الوفاة جزع جزعا شديدا فقيل علام هذا وانما تقدم على جدك وأباك فقال هو كذلك ولكنى اجد كربا غير الموت ثم قال لبعض اصحابه كانى بعبد الله بن عمرو بن عثمان وقد جاء فى كبكبة يظهر جزعا على وما هو الا ليخطب فاطمة فلما سمعت حلفت ان لا تتزوجه فان فعلت لزمها عتق ما تملك فما كان الا ان مات فاقبل عبد الله كما قال فرأى فاطمة تضرب وجهها فأرسل اليها ان ابقى عليك فان لنا فيك رأيا فلما خطبها ضمن لها التكفير بضعف ما عليها وقيل ان امها التى الجأتها الى

ان شاء سكنها وان شاء تركها وهذا من اضعف الاقوال لان القرآن والسنة والعرف والقياس يرده قال الله تعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف فاذا كان الجماع حق الزوج عليها فهو حق لها على الزوج بنص القرآن وقال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف ومن ضد المعروف ان يكون عنده شابة شهوتها تعدل شهوته أو تزيد عليها باضعاف مضاعفة ولا يذيقها لذة الوطء مرة واحدة ومن زعم ان هذا من المعروف كفاه طبعه فى الرد عليه وقالت طائفة يجب عليه أن يطأها فى كل اربعة أشهر وتخير المرأة بعد ذلك ان شاءت تقيم معه وان شاءت تفارقه فلو كان لها حق فى الوطء أكثر من ذلك لم يجعل للزوج تركه فى تلك المدة وهو امثل القولين مع ما فيه وقالت طائفة يجب عليه ان يطأها بالمعروف كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشروها بالمعروف قالوا وعليه ان يشبعها وطأ اذا أمكنه كما عليه أن يشبعها قوتا وكان ابن تيمية يرجح هذا القول ويختاره قال تلميذه ابن قيم الجوزية وقد حض النبى

تزوجه بان وقفت فى الشمس وحلفت لاتدخل حتى تجيب

(ومنهم غسان بن جهضم) وكان مفتونا بابنة عمه ام عقبة لانها كانت من أجمل النساء وأحياهن وافضلهن خصالا حضرته الوفاة فجعل ينظر اليها ويبكى ثم قال لها انى منشدك ابياتا اسالك فيهن عما تصنعين بعدى وأعزم عليك ان تصدقينى فقالت قل فوالله لاأكذبك فانشد

اخبرى بالذى تريدين بعدى * ما الذى تضمرين يا ام عقبه
تحفظينى من بعد موتى لماقد * كان منى من حسن خلق وصحبه
ام تريدين ذا جمال ومال * وانا فى التراب فى مجلس غربه

(فاجابته)

قد سمعنا الذى تقول وماقد * خفته يا خليل من ام عقبة
أنا من أحفظ النساء وارعا * هن ماقد أوليت من حسن صحبه
سوف ابكيك ماحييت بشجو * ومراث اقولها وبندبه

(فقال)

انا والله واثق بك لكن * ربما خفت منك غدر النساء
بعد موت الازواج باخير من عو * شر فارعى حقى بحسن وفاء
انى قد رجوت ان تحفظى العهـ * ـد فكونى ان مت عند رجائى

فلما مات خطبت من كل جانب فقالت

ساحفظ غسانا على بعد داره * وارعاه حتى نلتقى يوم نحشر
وانى لئى شغل عن الناس كلهم * فكفوا فما مثلى من الناس يغدر
سابكى عليه ماحييت بعبرة * تجول على الخدين منى فتكثر

فلما طالت الايام قالت من مات فقد فات واجابت الخاطب فلما كانت الليلة التى زفت فيها جاءها فى النوم فانشد

غدرت ولم ترعى لبعلك حرمة * ولم تعرفى حقا ولم تحفظى عهدا
ولم تصبرى حولا لحفاظ الصاحب * حلفت له يوما ولم تجزى وعدا
غدرت به لما ثوى فى ضريحه * كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرعوبة كانما كان معها فقالت النساء لها ما دهاك فقالت ماترك غسان فى الحياة ارباولا فى السرور رغبة اتانى فى المنام فانشدنى هذه الابيات ثم جعلت ترددها وتبكى فشاغلتها بالحديث فلما غفلن عنها اخذت شفرة فذبحت نفسها فتجبن منها وقد نقل هذا فى مجلس هشام حين تذاكروا غدر النساء فقضى منه عجبا

(ومثل هذا ماحكى عن موسى الهادى) انه كان مفتونا بجارية من جواريه اسمها غادر فرؤى يوما يبكى فقيل علام تبكى يا امير المؤمنين فقال كانى بى وقد مت وأخذ اخى هرون

الخلافة فتزوج بغادر فقيل له حاشاك من هذا الخاطر فزاد فى البكاء وبلغ هرون فحضر وحلف له بالطلاق انه لايتزوج بها وحلفت هى أيضا فلم يمض شهر حتى مات وافضت الخلافة الى الرشيد فكفر عنه وعنها وتزوجها فلما كان ذات ليلة انتبهت من منامها مرعوبة وذكرت انه اتاها فاعتابها وانشدها

اخلفت عهدى بعدما * جاورت سكان المقابر
ونكحت غادرة اخى * صدق الذى سماك غادر
لايهنك الالف الجديـ * ـد ولاتدر عنك الدوائر
ولحقت بى قبل الصبا * ح وصرت حيث غدون صائر

فقال لها الرشيد لابأس عليك انما هو

اضغاث احلام وجعل يغمزها
وهى تضطرب فى يده
حتى ماتت

{تم طبع الجزء الاول ويليه الجزء الثانى وأوله}
{* الباب الثالث فى ذكر عشاق الغلمان الخ}

سبب آخر طبيعى وهو أن الليل وقت تبرد فيه الحواس وتطلب حظها من السكون والنهار محل انتشار الحركات فذلك قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وكان محمد بن المنكدر يدعو فى صلاته ويقول اللهم قوم لى ذكرى فان فيه صلاح الاهلى وقال عبد الله بن صالح كان الليث بن سعد اذا غشى أهله يقول اللهم شغلى اصله وارفع لى صدره وسهل على مدخله ومخرجه وارزقنى لذته وهب لى ذرية صالحة تقاتل فى سبيلك قال وكان جهوريا فكان يسمع ذلك منه وقال على بن عاصم حدثنا خالد الحذاء قال لما خلق الله آدم وخلق حواء قال يا آدم اسكن الى زوجك فقالت حواء يا آدم ما اطيب هذا زدنا منه انتهى

الجزء الثانى من تزيين الاسواق بتفصيل أشواق
العشاق تأليف العالم العلامة الشيخ
داود الانطاكى المعروف بالاكمه
مؤلف التذكرة الطبية
طيب الله ثراه
آمين

وبهامشه بقية ديوان الصبابة للاديب الفاضل شهاب الدين
أحمد بن أبى حجلة المغربى رحمة الله تعالى عليه

(الباب الثامن عشر فى تعنت المعشوق على الصب المشوق وغير ذلك من أقسام الهجر وصبر القابض فيه على الجمر)

أقول هذا باب عقدناه لذكر التجنى وقول المحبوب البك عنى فهو باب لمن مر به حلو المذاق عطر الخلاق بالاتفاق لا يعرف طعمه الا من ذاقه وعرف وصل الحبيب وفراقه ولم تزل العشاق تستحلى تجنى الحبيب وتقول ضرب الحبيب زبيب

شرط المحبة عند أرباب الهوى

ان المليح على التجنى يعشق
لا يصدهم صد ولا يقفون من
سموف اللحاظ عند حد فكم
رأوا جور الحبيب عدلا وقالوا
لحبه اذا أقبل أهلا وسهلا
لا يأخذهم فيه لومة لائم ولا
يعدون جورا بارد الظلم من
المظالم
من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه
حلوا فقد جهل المحبة وادعى
والعلم المشهور فى هذا الباب قول
علية بنت المهدى
جبل الحب على الجور فلو
أنصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن فى شرع الهوى
عاشق يحسن تاليف الحجج

كانها ذهبت فى البيت الاول الى قول العباس بن الاحنف

وأحسن أيام الهوى يوم ذلك الذى
ترقوع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا
واحتى فى مقالة العذال * وشفائى فى قولهم لا تغال لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب لصب الا بخمس خصال

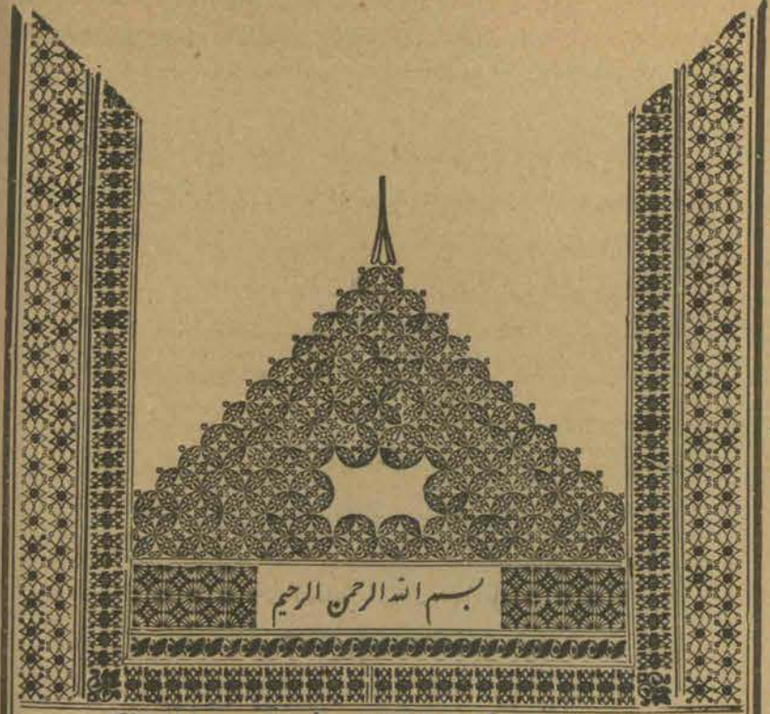

(الباب الثالث فى ذكر عشاق الغلمان وأحوال من عدل الى الذكور عن النسوان وتفصيل ما جرى عليهم من تصاريف الزمان)

اعلم أن أصل هذا قد نشأ فى قوم لوط زينه لهم الشيطان فأخرجهم به الى العدوان (وحكى) بعضهم ان أصل ذلك من ياجوج ومأجوج ونقله بعض المفسرين فى قوله عزوجل ان ياجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فيجب على كل ذى نفس شريفه وهمة منيفه الزجر والردع عن هذه الفعلة الخبيثه التى ضجت الملائكة الى الله منها وحسم المادة الموصلة الى ذلك كالنظر فلذلك حرمه النووى رحمه الله تعالى مطلقا وقد ورد انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد وفيهم أمرد فأجلسه وراء ظهره ونهى ان يحد الرجل النظر الى وجه الامرد وعن ابن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى وجه الامرد فاتهموه وأخرج الخطيب عن أنس موقوفا لا تجالسوا أولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم مالا تشتاق الى الجوارى العواتق وعرض التضحى والثورى على عدم مجالستهم * وعن الخدرى قال رأيت ابليس فى النوم فقلت له تعال فقال لا حاجة لى بمن رمى الدنيا وان لى فيكم لطيفة فقلت وما هى قال مجالسة الاحداث فأخذت العصا لاضربه قال انا لا تخوفنى العصا وانما يخوفنى نور القلب وعن الموصلى قال نهانى ثلاثون من الابدال عن صحبة الاحداث وعن بعضهم قال نظرت الى شاب جميل فقلت أيعذب الله هذه الصورة فقال لى أستاذى أو رأيته سوف ترى غبها فأنسيت القرآن بعد عشرين

فأين حلاوات الرسائل والكتب وقد زاد النميرى على هذا فقال

بسماع الاذى وعذل نصيح * وعتاب وكاشح ومطال وقال جميل بن معمر لا خير فى الحب وقفا لا تحركه *
عوارض اليأس اويراتحه الطمع لو كان لى صبرها اوعندها جزعى * ٣ لكنت أملك ما آتى وما أدع ومن أبلغ ما قيل فى عنت الاحباب قول بعض الاعراب فى محبوبته

شكوت فقالت كل هذا تبرما
بحبى أراح الله قلبك من حبى
فلما كتمت الوجد قالت تعنتا
صبرت وما هذا بفعل شجى القلب
ودنوت فتقصينى فأبعد طالبا
رضاها فتعتد التباعد من ذنبى
فشكواى توذيها وصبرى يسوءها
وتجزع من بعدى وتنفر من قربى
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها
أشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربى

وقد قسموا الهجر على أربعة أقسام فقالوا الهجر دلال وهجر ملال وهجر مكافأة على الذنب وهجر يوجبه البغض المتمكن فى الصدور فأما هجر الدلال فهو ألذ من كثير من الوصال وعليه عقدت هذا الباب قال كثاجم

لولا اطراد الصد لم تك لذة
فتطاردى لى بالوصال قليلا
هذا الشراب أخو الحياة ومالة
من لذة حتى تصيب غليلا

وقال المتنبى

وأحلى الهوى ما شك فى الوصل ربه
وفى الهجر فهو الدهر يخشى ويتقى

وقال أيضا

زيدى أذى مهجتى ازدد لذ هوى
فأجهل الناس عاشق حاقد

وقال آخر

لئن ساءنى ان نلتنى بمساءة
لقد سرتنى انى خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال وأخذ بقلوب النساء والرجال أن يكون كثير التذلل قليل التبذل فقد قال ابن وكيع

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه لو جاد هان وقلت الجود عادته

عشرين سنة والآثار فى هذا المعنى كثيرة ولله در من قال فى المتصفين بهذا الشان من هذا الزمان

فان لم تكونوا قوم لوط حقيقة * فما قوم لوط منكم ببعيد
وانهم فى الخسف ينتظرونكم * على مورد من جهلكم وصديد
يقولون لا أهلا ولا مرحبا بكم * ألم يتقدم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم * صراط الغى فى الفسق غير حميد
أتينا به الذكران من عشقنا بهم * فأوردنا ذا العشق شر ورود
فأنتم بتضعيف العذاب أحق من * يتابعكم فى ذاك غير رشيد
فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم * بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا * نذوق عذاب الهون غير مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم * ويجمعنا فى النار غير بعيد

وقد انتظم شمل هذا الباب بما يتبعه من الاحكام منقسما فى ثلاثة أقسام

(القسم الاول)

فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى أسلمه رمسه

وهو نوعان الاول فيمن عرف اسمه واشتهر فى العشاق رسمه

(أخبار محمد بن داود وصاحبه محمد الصيدلانى)

هو أبو بكر محمد بن داود بن على المعروف بالفقيه الاصفهانى كان لبيبا حاذقا وفقيها شاعرا وله فى فقه الظاهرية والاحاديث والتواريخ اليد الطولى قال الخطيب انه كان ملازما للهوى ومتعلقاته منذ دخل المكتب وانه شرع فى كتاب جمع فيه ظرائف العشاق ولطائفهم وسماه كتاب الزهره وسايره عمره وصاحبه هذا هو محمد بن جامع الصيدلانى كان يبيع العطر ببغداد وكان من أجل أهل زمنه فعلقه محمد بن داود فكان له ألوفا وعليه عطوفا وبه رؤفا واشتهر أمرهما فلم ينكراه واتضح فلم يخفياه وقيل انه لم يعمل الكتاب المذكور الا بسبب عشق هذا وان اليه الاشارة فى أول الكتاب المذكور بقوله وتنكر من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه ومن جفاء الاخوان وأنت المقدم فيه ومن عجب ما يأتى الزمان ظالم يتظلم وغالب يتندم ومطاع يستظهر وغالب يستنصر ومن أدلة عطفه عليه انه خرج من الحمام يوما فنظر فى المرآة فأعجبه وجهه فبرقعه وأتى ابن داود فلما رآه غشى عليه فقال له لا بأس عليك انى لم أبرقع وجهى لسوء أصابه ولكن رأيته غب حمام فأعجبنى فأحببت أن لا أمتع به أحدا قبلك فغداه وسر بذلك قالوا ولم يعلم فيما سلف معشوق يتفق على عاشق سوى ابن جامع ومن لطف ابن داود ورقته انه كان يدخل الجامع من باب الوراقين فهجره أياما فسئل فى ذلك فقال دخلت يوما فرأيت متحابين يتحادثان فتقرقا مذ رأيانى فآليت أن لا أدخل مكانا فرقت فيه بين محبين

وانما عز لما عز مطلبه فاذا تبذل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون لان النفس الحره لا تنفك عن غيره وقد قال العباس ابن الاحنف يا قوم لم أهجركم لملالة ٤ مني ولا لمقال واش حاسد لكنني جرّبتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد

وأما هجر الملال فيثبطه مرور الايام والليال اما بقائي الدار أو بطول الاختبار * حكي ان متيم الهاشمية لما اشتراها على ابن هشام حظيت عنده وأحبها حبا شديدا فاتفق انها غضبت عليه في وقت من الاوقات وتمادت في غضبها فترضاها فلم ترض فكتب اليها الادلال يدعو الى الملال ويرب هجر دعا الى الصبر وانما سمي القلب قلبا لتقلبه وقد صدق عندي قول العباس بن الاحنف

ما أراني الا سأهجر من ليـ ـس يراني أقوى على الهجران
ملني واتقي بحسن اخاء ما أضر الاخاء بالانسان

فلما قرأت الرقعة خرجت اليه من وقتها ورضيت وأما الهجر الذي يتولد عن الذنب فالتوبة تزيله من القلب عند الاعتراف بالذنب ولاسيما اذا كان المحبوب ملكه ملك رحمة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء يتقي الله في الحب وقد أفـ ـلح من كان همه الاتقاء

وأما الهجر الذي يوجبه البغض الطبيعي فهو الذي لا دواء له قال الحصري وهذا لا يصح بين ذوي الاخلاص وذوي الاختصاص اذ حقيقة المشاكلة تمنعه وصحة المناسبة تدفعه والذي أقوله أنا أيضا ان هذا القسم مرضه مما لا يمكن علاجه ولا يعذب أجاجه فالمحبوب فيه لا يلام ومحبته كمن يرقص في الظلام ويسلم على من لا يرد عليه السلام (أحبابكم يفعلون بقلبه * ما ليس يفعله به أعداؤه) أخذه الارجاني فقال

وكان يجتمع مع ابن شريح الشافعي في مجلس الوزير بن عيسى فسبقه ابن داود يوما فسأله حدث من الشافعية عن العود الموجب للكفارة في الظهار فقال هو اعادة القول ثانيا فطالبه بالدليل ودخل ابن شريح فحين وقف على القصة قال لابي بكر قول من هذا من المسلمين غيركم فقال له وقد استشاط غضبه غاية أمرنا ان نعد قول من خالفنا خلافا فغضب ابن شريح وقال له أنت أعزك الله بكتاب الزهرة أمس من غيره فقال أبكتاب الزهرة تعيرني والله لا تصلح للنظر فيه ألم أقل فيه

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وأمنع نفسي أن تنال المحرما
وأجمل من ثقل الهوى ما لو أنه * على جامد الصلد الاصم تهدما
ويظهر سري عن مترجم خاطري * فلولا اختلاس الطرف عنه تكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * وما ان أرى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن شريح بم تفتخر علي ولو شئت لقلت

ومسامر بالشهد من نغماته * قد بت أمنعه لذيذ سناته
صبابه وبحسنه وحديثه * وأنزه اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عوده * ولي بخاتم ربه وبراته

فقال ابن داود ليحفظ مولانا الوزير قوله حتى يقسم بينة بالبراءة فقال يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك أنزه في روض المحاسن فقال الوزير لقد حويتما ظرفا وعلما وقيل كانت المناظرة في مسئلة في الايلاء وان ابن شريح قال أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أحذق ومن لطف ابن داود أنه سئل يوما

يا ابن داود يا فقيه العراق * أفتنا في فواتك الاحداق
هل عليها القصاص في القتل يوما * أم مباح لها دم العشاق

فأجاب

عندي جواب مسائل العشاق * فاسمعه من قلق الحشى مشتاق
لما سألت عن الهوى أهل الهوى * أجريت دمعا لم يكن بالراقي
اخطأت في نفس السؤال وان تصب * بك في الهوى شفقاس الاشفاق
لو أن معشوقا يعذب عاشقا * كان المعذب أنعم العشاق

وقيل له وهو في مرض موته ماذا تشكو فقال حب من تعلم صيرني الى ما ترى فقيل له ما منعك وقد كنت قادرا على ذلك فقال التمتع اما نظر مباح وقد أخذت منه بحظ واما تلذذ بالمحرم فمنعني منه قوله عليه الصلاة والسلام من عشق الحديث السابق في المقدمة وأنشد

ما لهم أنكروا سوادا بخدّيـ ـه ولا ينكرون ورد الغصون
ان يكن عيب خده بذر الشعـ ـر فعيب العيون شعر الجفون

أحبابنا لم تجرحون بهجركم * فؤادا يبيت الدهر بالهم مكمدا
اذا رمتموا قتلي وأنتم أحبتي * فلا فرق ما بين الاحبة والعدا

وقال آخر

يطالبني قلبي بكم كل ساعة * اذا أفلس المديون لج المطالب
ويشتاقكم شوق الذي مسه الظما * وقد منعت ظلما عليه المشارب
اذا رمتموقتلي وأنتم أحبتي
اذا فالاعادي واحد والحبائب

(الباب التاسع عشر في الدعاء على المحبوب وما فيه من الفقه المقلوب)

قيل له أسكرت القياس في الفقه وأثبته في الشعر فقال غلب الحب وتوفي نهار الاثنين تاسع رمضان أو لايام يقين منه أو سابع شوّال سنة سبع وتسعين ومائتين ومن لطيف أشعاره في محبوبه قوله

يا يوسف الحسن تمثيلا وتشبيها * يا طلعة ليس الا البدر يحكيها
من شك في الحور فلينظر اليك فما * صيغت معانيك الا من معانيها
ما للبدور وللتحريف يا أملي * نور البدور عن التحريف يغنيها
ان الدنانير لا تجلى وان عتقت * ولا تزاد على النقش الذي فيها

ومنها

أشكو عليل فؤاد أنت متلفه * شكوى عليل الى الف يعلله
سقمي تزيد مع الايام كثرته * وأنت في عظم ما ألقى تقلله
الله حرّم قتلي في الهوى سفها * وأنت يا قاتلي ظلما تحلله

ومنها

حملت جبال الحب فيك وانني * لاعجز عن حمل القميص وأضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شئ به النفس تكلف

ومنها

سقى الله أياما لنا ولياليا * لهن بأكناف الشباب ملاعب
اذ العيش غض والزمان بغرة * وشاهد آفات المحبين غائب

ومنها

انظر الى السحر يجري في لواحظه * وانظر الى دعج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه * كأنهن نمل دب في عاج

(أخبار القاضي شمس الدين بن خلكان وصاحبه المظفري)

هو قاضي القضاة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن خلكان وصاحبه المظفري أحمد بن مسعود بن الملك المظفر صاحب حماة وله معه حكايات غريبة وهو ما اشتهر به ان أباه دعاه ليلة فجلسا يتحادثان وخرج الغلام وعليه ثوب أسود وقد شد وسطه بمنديل مطرز بالذهب وفي يده شمعة ومعه دينار فجلس ليتناول من أبيه سكرجة كانت معه فسقط الدينار فأقام الشمعة لينظره فانطفأت الشمعة فنظر الى وجهه فرأى الدينار تجاهه في الارض فالتهبت نار عشقه في قلبه وخرج فكتم ذلك أياما فمرض واشتد به الحال فبينا هو كذلك اذ أرسل المظفر ولده يعوده فجاء ورآه وثب قائما كان لم يكن به مرض وكان الغلام حاذقا فعرف ذلك منه فأخبر أباه بذلك فجيء به فقال من رأى القاضي بعد ذلك انه كان يبيت الليالي الى الصباح لا يعرف النوم وهو يقول

أنا والله هالك * آيس من سلامتي

وخلد دولة الاعطاف فينا * وان جارت على القلب الطعين وقوله أيضا أدام الله أيام الوصال * وخلد عمرها تيك الليالي
واسبغ ظل أغصان التداني * وزاد قدودها حسن اعتدال * ولازالت ثمار الانس فيها * تزيد لطافة في كل حال

ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتي خشف الغزال وقال علاء الدين علي بن المظفر الكندي ادام الله أيام العذار
وبارك في ليالية القصار ٦ وأغنى الله روضة كل خد * اذا استحيت عن الديم الغزار ولا زالت مباسم كل ثغر

لثاثم برقها ذات افتقار
ولا برحت على العشاق تضفو
ثياب العار في خلع العذار

وقال ابن ابي الحديد

لا عانقتك من البرية كلها
الا بيدي اليمنى وبندقيا كا
كلا ولا رشفت رضابك بعدما
قد ذقته من فيك الا فاكا

وقال آخر

يارب ان قدرته لمقبل
غيري فللسوالك أو للاكوس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث
يارب فلتك شمعة في المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب
يارب فليك من عيون النرجس
ومر أحسن ما قيل في الدعاء على المحبوب قول شهاب الدين بن غانم

والله ما أدعو على هاجري
الا بأن يمحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى
منه وما قد تم في حقي

وقال الآخر

ياذا الذي كل يوم
يزيد عقلي خبالا
ولهتني فيه حتى
أعاد رشدي ضلالا
أدعو عليك وقلبي
يقول يارب لا لا

وقال الآخر وأحسن ما شاء

قد قلت لامت حتى
أرا لذ في العشق مثلي
وقلت في السر مني * يارب لا تستجب لي

وقال الآخر أيها المعرض صفحا * عن خطابي وجوابي الضياع
لا أزال الله عمري * أويريني بك مابي رب فاجعله دعاء * خائبا غير مجاب رق قلبي ان يرى قلبك في مثل عذابي

أو أرى القامة التي * قد أقامت قيامتي

وقيل مات وهو ينشدهما وحكي انه كان بعد حجبه لا يركب الا يوم الموكب وان القاضي كان يقصده مستخفيا فينظر اليه فبلغ أباه فمنعه الموكب فكتب اليه ابن خلكان

يا سادتي انى قنعت وحقكم * في حبكم منكم بأيسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا * ورأيتم هجري وفرط تجنبي
لا تمنعوا عيني القريحة ان ترى * يوم الخميس جمالكم في الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي * ألقاه من كمد اذا لم تركب
لرحمتني ورثيت لي من حالة * لولاك لم يك حملها من مذهبي
قسما بوجهك وهو بدر طالع * وبليل طرتك التي كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من * أخطارها في الحب أصعب مركب
لو لم أكن في رتبة أرعى لها * العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سري في هواك ولذ لي * خلع العذار ولو ألح مؤنبي
لكن خشيت بأن يقول عواذلي * قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت * كشف القناع بحق دياك النبي
لا تفضحن بحبك الصب الذي * جرعته في الحب أكدر مشرب

(أخبار أحمد بن كليب وصاحبه أسلم)

هو أحمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان اندلسيا شاعرا نحويا متفقها قرأ على محمد بن خطاب النحوي واجتمع بالمزني وبأبي عبد الله محمد بن الحسن وغيرهما وأسلم هذا هو ابن سعيد بن خلف كان جده وزير السلطان المظفر المعروف بالناصر ولي أسلم القضاء بالاندلس بعد ما كان حاجبا وله يد في الادب وديوان شعر معروف ترجمه في الاحاطة بتاريخ غرناطة معروف بالرياسة والفضل والعرافة فعشقه من مجلس ابن خطاب واشتد به كلفه فنظم فيه الاشعار الكثيرة وهو يكتم ذلك فلما غلب عليه حبه فشا أمره واشتهر فيه على الالسنة شعره وقيل ان أول ما اشتهر من ذلك وسمع زامر السلطان يغني به قوله

أيسلمني في هوا * ه أسلم هذا الرشا
غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشي بيننا حاسد * سيسئل عما وشى
ولو شاء ان يرتشي * على الوصل روحي ارتشى

فحين بلغ أسلم هذا الامر انقطع في داره عن جميع الاشياء فصار يجلس على بابه احيانا فجعل أحمد لا يمر الا على بابه فانقطع وصار يجلس ليلا عند العشاء فمضى أحمد وأخذ دجاجا وبيضا وتزيا بزي بعض فلاحي أسلم وأقبل فقبل يده وتسلم الهدية وجعل يسأله على

وقال الآخر يارب ان لم يكن في وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته * فاشف السقام الذي في طرف مقلته
واسترح ملاحة خديه بلحيته وقال الآخر كم جفاني فرمت أدعو عليه ٧ فتوقفت ثم ناديت ذا هل

الضياع فاستلغاه فحين عرفه قال أما يكفيك قطعي عن الطلب والخروج حتى تبعتني الى هنا ثم حلف لا يخرج من بيته ومضى أحمد حزينا فكان يعالجن فيقال له ذهب دجاجك وبيضك فيقول أوذلو قبلت يده قبلة وأذهبت كل ليلة مثل هذا ولما طال عليه الامر انقطع قال ابن خطاب فعدته فوجدته مشرفا على التلف فقال لو سعيت في أن تجمع بيني وبينه لأثابك الله على ذلك ثوابا عظيما فضيت اليه فقلت له تعلم حرمتي عليك وحرمة ماضمك مع ابن كليب من الطلب فقال نعم ولكن قد رأيت ما فشا من أمرنا قلت ما عليك ان تزوره فتنقذه من التلف فامتنع فلم أزل به حتى أجاب أن يمضي من الغد فلما جاء الميعاد ذهبنا حتى صرنا بازاء بيته فتغير وقال في هذه الساعة أموت ورجع بعد ما جاذبته الرداء وقطع منه في يدي قطعة ودخلت على أحمد وقد بشره غلامه بقدومه فلم يجده معي تغير واختلط عقله فقمت عنه فأبت نفسه اليه فقال لي اسمع وانشد

أسلم يا راحة العليل * رفقا على الهائم النحيل
وصلك أشهى الى فؤادي * من رحمة الخالق الجليل

فقلت له استعذ من ذلك فقال قد كان فلم أخرج عنه الا وقد قام الصراخ عليه ومن شعره فيه وقد أهدى له فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعا * كما وهبتك روحي

ومنه وقد كتب الى ابن خطاب شعرا في أسلم يعرضه عليه فقال انه ملحون فراجعه ابن خطاب فكتب

ألحق لي التنوين في مطمع * فانني أنسيت الحاقه
لا سيما اذ كان في وصل من * كدرني في الحب أخلاقه

(أخبار مدرك وصاحبه عمرو)

هو مدرك بن علي الشيباني نسبة الى بني شيبان عرب بيادية البصرة دخل بغداد صغيرا ونشأ بها فتفقه وأحسن العربية والادب والخط وعمر وهذا هو ابن يوحنا النصراني البغدادي كان بدير الروم من الجانب الشرقي وكان لمدرك مجلس علم لا يحضره فيه الا الاحداث وكان اذا دخله شيخ يخرجه وكان عمرو يحضره فعشقه وزاد فيه وجده فالقى اليه يوما رقعة فيها

بمجالس العلم التي * بك تم حسن جموعها
الا رثيت لمقلة * غرقت بما دموعها
بيني وبينك حرمة * الله في تضييعها

فاطلع الحاضرون عليها فاستحيا عمرو من ذلك وانقطع عن المجلس فكان مدرك يلزم دار الروم ويتبع عمرا وزاد به الوسواس حتى اختلط عقله ولزم الفراش ودخل الناس

فاشف السقام الذي في طرف مقلته
فتوقفت ثم ناديت ذا هل
لاشفى الله طرفه من سقام
وأراني عذاره وهو سائل
وقال ابن سنا الملك
أسر لطول اسري في يديه
فيغضب اذ أسر لطول أسري
سألت الله ان يبلى بعشق
فيصبح عاشقا لكن لهجري
وقال ابن وكيع
ان كنت تعلم ما بي
وأنت بي لا تبالي
فصار قلبك قلبي
وصرت في مثل حالي
بل عشت في طيب عيش
تفديك نفسي ومالي
دعوت اذ ضاق صدري
عليك ثم بدا لي
وقوله أيضا
فهم غالط مني فهما
جاءني يسأل عما علما
مقسما ما بلغته علتي
كاذب والله فيما زعما
رزق المظلوم منا رجة
ثم لا أدعو على من ظلما
وقال ابن منقذ
ياظلما يعرض عني اذا
دعوت غضبان على ظالمي
أظنه أنت والا فلم
تخشى دعائي دون ذا العالم
يارب لا تسمعه فيه وان
كان دعاء المغرم الهائم
وقال الآخر
قلت لمحبوبي وقد صد بي

محبوبه كالقمر السادي * هذا الذي يأخذ لي طرفه * من طرفك الوسنان بالثار وقال الآخر ولما بدا لي انه غير زائري
وان هواه ليس عني بمنجلي * تمنيت ان يهوى سواي لعله * يقاسي مرارات الهوى فيرق لي

(الباب العشرون فى الخضوع وانسكاب الدموع) أقول هذا باب عقدناه لذكر من أصبح دمعه مسكوبا على مسكوب قبلت وهو من جريانه كالرمح ٨ كما قيل انبوب على انبوب ولاسيما اذا غادى الهجر أو كان عليه بعض حجر هنالك يرى من انسكاب عبرته العبر وينشد

اذا عزم الخليط على السفر
ومفارق سكن القلو
ب فلا خلت منه الربوع
بعث الرسول وقال لى
وأنا السميع له المطيع
بالله قل لى ما جرى
بعدى فقلت له الدموع
وقال الآخر
قال لى من أحببت والبين قد جدّ
وفى مهجتى لهيب الحريق
ما الذى فى الطريق تصنع بعدى
قلت ابكى عليك طول الطريق

وما أحسن قول القاضى الفاضل رحمه الله

قد استخدمت بالافكار سرى
وما أطلقت لى بالوصل اجره
ولم أرلى على الايام الا
عقدت مودة وحللت صبره
ولا استمطرت سحب العين الا
وصرت بادمعى فى الشمس عصره

وقوله أيضا وهو من نثره الذى أصبح بين النجوم نثره فيصير حتى تنجلى هذه الغمره وتقلع سحائب هذه السكره وتجف مناديل الجفون فانها صارت بالدموع عصره فقاتل الله البين ما أكثر فضوله بدخوله بين المحبين وفى هذا المعنى الباهر يقول ابن عبد الظاهر

لا تسألى عن أول العشق انى
اناقيه قديم هجر وهجره
من دموعى ومن جبينك ارخصت
غرامى بمستهل وغره

ومن معانى المتنبى الغريبة قوله أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة فى المآقى وقوله أيضا لا تعذل المشتاق فى اشواقه * حتى يكون حشاك فى احشائه

عليه يعودونه فقال أما بينكم وبينى حرمة وعشرة أما فيكم من يرحمنى بالنظر الى عمرو فضوا اليه فلما أعلموه بحاله وما صار اليه من أجله مضى معهم فحين سلم عليه أغمى عليه ثم أفاق وأخذ يبده وأنشد

انا فى عافية الا من الشوق اليك
أيها العائد ما بى * منك لا يخفى عليك
لا تعد جسما وعد قلبا رهينا فى يديك
كيف لا يهلك مرشو * ق بسهمى مقلتيك

ثم شهق شهقة فمات ومن أشعاره المشهورة قصيدته المعروفة بالمزدوجة وللطغرا بتخميس الحلى لها أوردناه معها غير ان المصنف أبدل أبياتا يسيرة من التخميس وزاد أخر زعم ان الحلى لم يقف عليها وهذه القصيدة بالشرط المذكور غير انى أقول فى أبيات المصنف له وهى هذه

من عاشق ناه هواه دان * ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان * معذب بالصد والهجران
طليق دمع قلبه فى اسر
من غير ذنب كسبت يداه * غير هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من أشقاه * كانما عافاه من أضناه
اذ كان أصل نفعه والضر
يا ويحه من عاشق ما يلقى * من أدمع منهلة ماترقا
(له) ناطقة وما أجادت نطقا * تخبر عن حب له استرقا
اخبار من يعلم أخفى السر
لم يبق منه غير طرف يبكى * بأدمع مثل نظام السلك
تطفيه نيران الهوى وتذكى * كانما قطر السماء يحكى
هيهات هل قيس دم بقطر
الى غزال من بنى النصارى (له) عذار خده يسبى العذارى
وغادر الاسد به حيارى * فى ربقة الحب به أسارى
تنشد قول مدوك فى عمرو
(له) ريم بدار الروم رام قتلى * بمقلة كلاه لا عن كحل
وطرة بها استتار عقلى * وحسن وجه وقبيح فعل
وعظم ردف وتحيل خصر
ريم به أى هزبر لم يصد * يقتل باللحظ ولم يخش القود
متى يقل ها قالت الالحاظ قد * كانه ناسوته حين اتحد

افديه من ريم ومن هزبر
ما أبصر الناس جميعا بدرا * ولا رأوا شمسا وغصنا نضرا
أحسن من عمرو وقد بت عمرا * ظبى بعينيه سقانى خمرا
فما أفقت ساعة من سكرى
ها انا ذا بقده مقدود * والدمع فى خدى له آخدود
ماضر من فقرى به موجود * لو لم يقج فعله الصدود
فديته لقد أطال هجرى
ان كان ذنبى عنده الاسلام * فقد سعت فى نقصه الاثام
واختلت الصلاة والصيام * وجاز فى الدين له الحرام
ياخيبتى ان لم أفز بقفر
يا ليتنى كنت له صليبا * أكون معه أبدا قريبا
أبصر حسنا وأشم طيبا * لا واشيا أخشى ولا رقيبا
ولا أخاف أبدا من غدر
يا ليتنى كنت له قربانا * الثم منه الثغر والبنانا
او جائليقا كنت او مطرانا * كما يرى الطاعة لى ايمانا
فلا يزال الدهر طوع امرى
يا ليتنى كنت لعمر ومصحفا * يقرأ منى كل يوم أحرفا
او قلما يكتب بى ما ألفا * من ادب مستحسن قد صنفا
ويجعل الزيق بديل الحبر
يا ليتنى كنت لعمرو عوده * او حلة يلبسها مقدودة
او بركة باسمه محدوده * او بيعة فى داره مشهودة
يدلج فى أرجائها ويسرى
يا ليتنى كنت له زنارا * يديرنى فى الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا * صرت له حينئذ ازارا
أضمه الى طلوع الفجر
قد والذى يبقيه لى أفنانى * وابتز عقلى والضنى كسانى
ظبى على البعاد والتدانى * حل محل الروح من جثمانى
فليس لى عن قربه من صبر
واكبدى من خده المضرج * واكبدى من ثغره المفلج
لا شئ مثل الطرف منه الادعج * اذهب للنسك وللتحرج
الا جمال ثغره بالدر

ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه (وقوله أيضا) وهبت السلو لمن لامنى * وبت من الشوق فى شاغل
كان الجفون على مقلتى * ثياب شققن على ثاكل (وقول الآخر) ٩ شقت عليه يد الاسى * ثوب الدموع الى الذيول
وقال الآخر فى الخضوع وانسكاب الدموع

ولم انس لا انس ذاك الخضوع
وفيض الدموع وغمز اليد
وخدى مضاف الى خدها
فيا ما الى الصبح لم نرقد

(وقال ابراهيم بن المعمار)

وبى نمضبان لا يرضيه الا
دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل
وفى عينى بعد الهجر قطره

(وقال الآخر)

وقائلة ما بال عينك مذرأت
محاسن هذا الشخص ادمعها هطل
فقلت زنت عينى بنظرة طلعة
فحق لها من فيض ادمعها غسل

(وقال السرى الرفاء)

بروحى من ردّ التحية ضاحكا
فجد بعد اليأس فى الوصل مطمعى
وحالت دموع العين بينى وبينه
كان دموع العين تعشقه معى

(وقال ابن وكيع)

وصحاب اذا هممى الماء فيه
ألهب الرعد فى حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر الا
طل يذكى على القلوب الحريقا

(وقلت من قصيدة حجازية)

خليلى روض الرقتين طرازه
اذا لمع البرق الحجازى مذهب
فلا تعجبا من سحب دمعى اذا هتت
فما كل برق لاح للعين خلب

(وقلت من أخرى حجازية)

٢ تزنى جفنى القريح على الخدين قدوكفا * فحسبه ماجرى من ادمعى وكفا ان عز نظم دموعى حين اثره *
فالدر ما عز حتى جاوز الصدفا لا تعجبوا من وفاء دمعى غداة جرى * من عينه ماجرى فالبحر فيه وفا

مازلت أبكي على وادي العقيق الى * ان قيل هذا الثمن عينيه قد رعفا (وقلت ايضا من قصيدة)
بكيت على ارض بها كنت ماشيا ١٠ * فاشبهت في دمعي على صخرها الخنسا تجرأت يا دمعي فلم تجر داثما
فيا دمع ما اجرى ويا قلب ما اقسى
(وقلت أيضا من قصيدة)
ان عيني على العقيق اذا لم
يحك دمعي بلونه حمراء
صنداصبى بلين دمعي نضارا
صح عندي العيني الكمياء
لا تسل ما جرى من الدمع لما
صار من عاذلي على اجتراء
اطلع الليل ادمعي فوق خدي
مثل ما تطلع النجوم السماء
(وقلت من قصيدة)
لئن فترت عيني بجر دموعها
فثغر الذي اهوى كما قيل بارد
وان حل طرفي بالدموع وكافه
فنهد الذي حلت بطرفي عاقد
(وقلت من قصيد)
سقيت بحر الدمع يا رد ارضها
وارسلته فيها على حين فترة
فيا طرف ان لم تسعف الصب بالبكى
قطعت حبال الدمع من حيث رقت
(وقلت من قصيدة)
خالفت فيك معنفا ونصيحا
واطعت جفنا بالدموع قريحا
فاعل لقتلي محضر اقدامعي
كتبت لقلبي بالدما مشروحا
صب على سفح المقطم دمعه
تجرى العيون به دما مسفوحا
لو شاهدت عيناك احمر دمعه
زكيت شاهد قلبه المجروحا
(وقلت أيضا)
الطرف من فقد الكرى
يشكو الامي اليه والخد من فرط البكى * يا ما جرى عليه (وقلت أيضا) ومن
ارحم دموعي * وابعث خيالا في الكرى ودمع عيني لا تسل * عن حاله يا ما جرى (كان) المسعودي شارح

اليك أشكو يا غزال الانس * ما بي من الوحشة بعد الانس
يا من هلالي وجهه وشمسي * لا تقتل النفس بغير النفس
وجد بوصل اقام يبرى
جدلي كما جدت بحسن الود * وارع كما أرعى قديم العهد
واصدد كصدي عن طويل العهد * فليس وجد بك مثل وجدي
وليس ذكر لك مثل ذكري
ها انا في بحر الهوى غريق * سكران من حبك لا أفيق
محترق ما مسني حريق * يرثي لي العدو والصديق
من حر صدري وعظيم ضري
فليت شعري فيك هل ترثي لي * من سقم لي وضني طويل
ام هل الى وصلك من سبيل * لعاشق ذي جسد نحيل
المحمل حبك طول الدهر
في كل عضو منه سقم والم * ومقلة تبكي بدمع وبدم
شوقا الى بدر ورشمس وصنم * منه اليه المشتكى اذا ظلم
افديه من شمس ضحى وبدر
اقول اذ قام بقلبي وقعد * يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد
اقسم بالله يمين المجتهد * ان امرأ واصلته لمسعد
وكان من اشقيته في سر
يا عمرو ناشدتك بالمسيح * الا سمعت القول من فصيح
يخبر عن قلب له جريح * باح بما يلقى من التبريح
كسير قلب ماله من جبر
يا عمرو يا لحق من اللاهوت * والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنعوت * عوض بالنطق من السكوت
وأنشر الميت ببطن القبر
بحق ناسوت ببطن مريم * حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قنوم الاقدم * فكلم الناس وما يفطم
مصرحا عن أمه بالعذر
بحق من بعد الممات قصا * ثوبا على مقداره ماقصا
وكان لله تقيا مخلصا * يشفي ويبرى أكمها وأبرصا
بما لديه من خفي السر
بحق محيي صورة الطيور * وباعث الموتى من القبور

المقامات رحمه الله تعالى كثيرا ما ينشد قالت عهدتك تبكي * دما حذار التنائي فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء
فقلت ماذا الذي * اسلوة وعزاء ١١ لكن دموعي شابت * من طول عمر بكائي (وقال الآخر)
ومن اليه مرجع الامور * يعلم ما في البر والبحور
وما به صرف القضاء يجري
بحق من في شامخ الصوامع * من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع * خوفا من الله بدمع هامع
ويهجر اللذات طول العمر
بحق قوم حلقوا الرؤسا * وعالجوا طول الحياة بؤسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا * مشمعلين يعبدون عيسى
قد أخلصوا في سرهم والجهر
بحق مار ي مريم وبولس * بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس * بحق حزقيل وبيت المقدس
وكل اواب رحيب الصدر
ونينوى اذ قام يدعو ربه * مطهرا من كل سوء قلبه
ومستقيلا فأقيل ذنبه * ونال عند الله ما أحبه
اذ رام من مولاه شد الازر
بحق ما في قلة المبرون * من نافع الادواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون * من بركات الخوص والزيتون
خصب البلاد في السنين الغبر
بحق أعياد الصليب الزهر * وعيد أشموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر * وعيد مرماري الرفيع الذكر
مواسم تمنع حل الاصر
وعيد شعياء وبالهياكل * والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفي بها من خبل كل خابل * ومن دخيل السقم في المفاصل
لكونها من كل داء تبرى
بحق سبعين من العباد * قاموا بدين الله في البلاد
وأرشدوا الناس الى الرشاد * حتى اهتدى من لم يكن بهادي
وحقق الحق بكشف الستر
بحق ثنتي عشرة من الامم * ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا صبح الدجى جلا الظلم * ساروا الى الله ففازوا بالنعم
ثم استداموها بفرط الشكر
بحق ما في محكم الانجيل * من محكم التحريم والتحليل
وخبر ذي نبا جليل * يرويه جبل قد مضى عن جيل

قومهم ويترعون براح راحتها كؤسهم فمنهم من فاز بالامنية قبل حلول المنية ومنهم من مات باعظم غصة وما وقع له
الحبيب على قصة من نال من دنياه امنية * اسقطت الايام منها الالف وهذا النوع الاخير كثير والسقيم به من المحبين

(الباب الحادي والعشرون في الوعد والامانى وما فيهما من راحة المعاني)

اقول هذا باب عقدناه لذكر الامانى التي لا بد منها ولا غنى عنها فلا اقل منها
اعلل بالمنى قلبي لعلي
ارقح بالامانى الهم عني
واعلم ان وصلك لا يرجى
ولكن لا اقل من المنى
ولم يزل المحبون يعللون بالامانى

جم غفير من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الاماني لم يزل مهزولا نعم منهم من بات من وعد الحبيب مسلوب الرقاد
بعيدا من لقاء الردى على ميعاد ١٢ يصدق قول الحبيب ويكذبه ويمتحنه ويجربه ويقول
مازلت منتظرا الوعد لك سيدى
فى البيت ملتفتا لقرع الباب
يا كاذبا فى وعده بلسانه
من لى بعض لسانك الكذاب
طالما أيس من وعد المحبوب
وتملك من رؤية ساقه بمواعيد
عرقوب كما قيل
وما بلوغ الاماني فى مواعدها
الا كاشعب يرجو وعد عرقوب
(تنبيه) قولهم فى المثل مواعيد
عرقوب يقال لمن وعد وعدا
واخلف وأصل المثل المذكور
ان عرقوبا كان له اخ فسأله شيأ
فقال له عرقوب اذا اطلع نخلى
فلما اطلع قال اذا ابلح فلما ابلح
قال اذا ازهى فلما ازهى قال اذا
ارطب فلما ارطب قال اذا صار
تمرا فلما صار تمرا أخذه من الليل
ولم يعط أخاه شيأ فضرب به المثل
فى خلف الوعد فقيل مواعيد
عرقوب (قال الشماخ)
وواعدتنى مالا أحاول نفعه
مواعيد عرقوب اخاه بيثرب
(وقال ابن حجاج)
فديت من لقينى مثل ما
لقيته والحق لا يصعب
فقلت يا عرقوب اطمعتنى
فقال لم نفسك يا شعب
(وقلت انا من قصيدة حجازية)
يهددنى بالهجر فى كل ليلة
اصدق فيها وصله واكذب
ولما وردنا ماء مدين قال لى
وحق شعيب انت فى الحب اشعب
كريه فيريح بها النفس ويتعلق من ضيائها بحبال الشمس ومنهم من يقول ليس الترجى مما يخجى فيرى الاماني من الخداع

بسند زيد علمه عن عمرو
بحق مرعى العهد الشفيق الناصح * بحق لوقاذى الفعال الصالح
بحق تمليخا الحكيم الراجح * والشهداء بالفلا الصحاصح
الراغبين فى عظيم الاجر
بحق معمودية الارواح * والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابسى الاسماح * وعابد بالك ومن نواح
ينثر عقدا من دموع حر
بحق تقريبك فى الاجساد * وشربك القهوة كالفرصاد
بما بعينيك من السواد * وطول تقطيعك للاكباد
وسلبك العشاق حسن الصبر
بحق ماقدس شعيا فيه * بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور ومايرويه * عن كل ناموس له فقيه
متبع فى نهيه والامر
شيخان كانا من شيوخ العلم * وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير فهم * موتهما كان حياة الخصم
وعنهم أخبر كل حبر
بحرمة الاسقف والمطران * والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى * والبترك الاكبر والرهبان
والمغربانى ذى الخصال الزهر
بحرمة المحبوس فى أعلى الجبل * ومار قولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول * وبالسليح المرتضى بما فعل
وما اتاه من فعال البر
بحرمة الاسقوفيا والبيرم * وماحوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم * وحق كل بركة ومحرم
من شرف سام عظيم الفخر
بحق يوم الذبح ذى الاشراق * وليلة الميلاد والتلاقى
والمذهب المذهب للنفاق * والفصح يا مهذب الاخلاق
وكل ميقات جليل القدر
بكل قداس على قداس * قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسى * وقدموا الكاس لكل حاسى
توقد فى راحته كالجمر

والناس فى الاماني على قولين فمنهم من يرى فيها راحة قلبه وتنفيس الارغبت

والوقوع فى النزاع ولكل من القولين حجه ومذهب مسلوك المحجه ومن أحسن ماسمعته فى القول الاول قول بعض بنى
الحرث أمانى من سعدى حسان كانما * سقتنا بها سعدى على ظمإ بردا ١٣ منى ان تكن حقا تكن احسن المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا
(وقول الآخر)
ولما حللنا منزلا طله الندى
انيقا وبستانا من النور خاليا
اجدلنا طيب المكان وحسنه
منى فتمنينا فكنت الامانيا
(وقال افلاطون) الاماني حلم
المستيقظ وسلوة المحزون * وقال
غيره الاماني رفيق مؤنس ان لم
ينفعك فقد الهالك * وقيل لاعرابى
ما أمتع لذات الدنيا فقال ممازحة
الحبيب ومحادثة الصديق وأماني
تقطع بها اباملك * وقال القاضى
الفاضل وأحسن ماشاء وجدت
ريح كتبه وروح قربه فرجعنا
الى العادة وعادت أيامنا وصرنا
الى الحسنى ورق كلامنا
وعاودتنا المنى وما كانت تخطر
وان خطرت فانها كلا منا
أتمنى تلك الليالى المنيرا
ت وجهد المحب ان يتمنى
(وقال ياقوت الرومى)
لله أيام تقضت بكم
ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها
شئ سوى ان نتمناها
(وقال) الشيخ فتح الدين بن سيد
الناس
اصبو الى البان بانت عنه هاجرتى
تعللا بليالى وصلها فيه
عصر مضى وجلابيب الصبا قشب *
لولا مواعيد آمال أعيش بها *
(وقال ابن خفاجة)

الارغبت فى رضا اديب * باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق الى المذيب * أعلى مناه أيسر التقريب
من بسط أخلاق وحسن بشر
فانظر اميرى فى صلاح أمرى * محتسبا فى عظيم الاجر
مكتسبا فى جميل الشكر * فى نثر ألفاظ ونظم شعر
فقيك نظمى أبدا ونثرى
قلت قد أودعت هذه القصيدة غالب مصطلحات دين النصرانية لكن باعتبار مطلق الملة النصرانية لم يسلك فيها مصطلح الفرقة التى عمرو منها وظاهر انه كان رومياً ولكن مدركه لم يكن خبيرا بتفاصيل فرقهم وأقل منه معرفة بذلك من خمس حيث تسلقوا على مناسبة الشعر دون زيادة الاحكام ولولا وجود هذا الباب فى الاصل والتزامى ذكر مافيه لحذفته أصلا لعدم الرغبة اليه لكن ساذكر لك البعض المناسب فى فصل المناسبة (قوله عن حبه استرقا) بتشديد القاف اى جعل الناس رقا والفاعل الحب (قوله فى ربقة) بكسر الراء والموحدة التحتية فى الاصل حبل يجعل فيه حلق صغار يدخل فيه رقاب صغار الضأن فاستعاره تخييلا كان ربقة العشق جعلت المحبين فى سنن الاستقامة كالمنتظمين فى هذه الربقة وقوله ريم يعنى غزلا والروم الفرقة الاصلية من النصارى التى تلقت عن المسيح عليه السلام ورئيسهم شمعون عليه السلام وفى البيت من البديع التجنيس فى ريم وروام والروم ويسمى الاشتقاق والهزبر الاسد يقول ان أشجع الوحش الاسد فلو كان العاشق أسد الصاد هذا الغزال مع انه خلاف القياس والناسوت واللاهوت ألفاظ وقعت فى الانجيل فتأولها الوقا وهو البترك الاكبر الناقل عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليه السلام وهو اول من قسم الفرق وتاول الرسائل والانجيل وذكر الاب والابن وروح القدس وقسم المثلثات فقال ان عيسى تدرع الناسوت يعنى الحصة البشرية وأخذ اللاهوت يعنى الحصة الالهية فى ناسوته كالمصباح فى الزجاجة وهذا جيد لولا انه قال فيستحيل تارة الى اللاهوت لان حصة العذراء يعنى مريم تفنى وفى هذا كلام طويل ذكرناه فى الفرق والصليب شئ ذو خطوط أربع تخرج على استقامة يجمع أصلها المحور وأصل تبرك النصارى به انهم اعنهم الله اعتقدوا ان الذى أخذته اليهود بصقلية وصلبته هو المسيح وكان صلبه على شئ هذه صفته وانهم سقوه الخمر فى حنك الخنزير فلما قام بعد ثلاث حلل الخمرة ولحم الخنزير وحرض على حمل الصليب وقد كذبوا فى ذلك كله خصوصا ومدلول هذا ان الخمر حرام فى الانجيل وقد ذكر نسطوريون فى كتاب سماه تقسيم الصنائع وهو مرجع المتفقهة فى الملة النصرانية وقد طالعته ان الخمر حلال فى الاصل والقربان رغيف مستدير عليه صلبان كثيرة يخبز فى كل بيت كل يوم أحد من الصوم الكبير ويحمل الى الكنيسة فاذا فرغت الصلاة أخذ

لم يبق من طيبه الا تمنيه * لمت يا أهل هذا الحى من زمن (وقال العفيف) اسحق كاتب الانشاء للناصر داود
وانما طرف آمالى به مرح * يجرى بوعد الاماني مطلق الرسن لولا مواعيد آمال أعيش بها *

وليل اذا ماقلت قد بان وانقضى * تكشف عن وعد من الظن كاذب ولا انس الا ان اضاحك ساعة *
ثغور الامانى فى وجوه المطالب ١٤ حسبت الدياجى فيه سود ذوائب * لها عنق الآمال بيض الترائب

(وقال آخر)
فى المنى راحة وان علتنا
من هواها يعوض مالا يكون
(وقلت انا)
رقى لصب غدا مما يكابده
من دمعه الصب يجرى فى مجاريه
لم يبق فيه سوى روح يردده
لولا المنى مات يا اقصى أمانيه
(وقلت أيضا)
ياطيب ريح سرى من نحوهم سحرا
لولا تلافيه قلبى فى الهوى تلفا
كم ذا أعلل قلبى بالنسيم وما
ارى لداء غرامى فى هواه شفا
(وقال ابن زيدون)
لاسرحن نواظرى
فى ذلك الروض النضير
ولآكلنك بالمنى
ولاشرينك بالضمير
(وقال آخر)
عللينى بموعد
وامطلى ماحييت به
ودعينى أفوز منك
بنجوى تطلبه
نفسى يعثر الزما
ن بحظى فينتبه
(وقال آخر)
وشادن قلت له
هل لك فى المنادمه
فقال كم من عاشق
سفكت فى المنى دمه

(وقال أبو بكر الحاتمى) لى حبيب لو قيل لى ماتمنى * ماتعديته ولو بالمنون
اشتهى ان أحل فى كل طرف * لاراه بلحظ كل العيون (وقال أيضا) امانى قلبى فانت جميعه * يا بقتى اصبحت بعض امانك

بزيادة

القسيس بعضه وفرق بعضه فتنصرف به النصارى فيفطرون عليه كل يوم الى الجمعة وهكذا والجاثليق الرئيس بالنسبة الى السلطنة الظاهرة وأما المطران فهو الفقيه الورع المستصحب للبس الصوف الاسود وأصل هذا الترتيب عندهم ان القارئ للانجيل من أول وهلة شماس فان تأوله واتقن حفظه صار قسيسا ويدوم كذلك مادام عنده زوجة وان بلغ فى العلم مابلغ فان ماتت زوجته فان تزوج خرج عن مراتب العلم ويسمى سالخ القسوسية والاصار مطرانا فان تنزه عن الذفر ومايخرج من الارواح صار بترك فى مذهب الارمن وأما الروم واليعاقبة والنسطورية فيرون انه لايجوز ان يكون بترك الامن تنزه عن النساء وأكل الارواح ومايخرج منها من أول عمره الا العسل والسمك لانه خليفة المسيح وطاعة هؤلاء فرض على النصارى وأما الاسقف والمبرون والراهب فاسماء للمتعبدين خاصة فالماكث فى القلية مبرون وكنيسه السياحة اسقف وتارك النساء فقط راهب وشرط الروم ملازمته لبس المسوح وخدمة الدير وان لايصلى خارج كنيسة ولوخص قوله * كمايرى الطاعة لى ايمانا * بقوله * يكشف الرأس اذا ويجرى * لكان أليق لمافيه من ذكر الحكم الدينى الواجب فعله مع المذكورين والمعنف المراد به المعنى اللغوى والبيعة معبد صغير غير مرتفع والدير المعبد الكبير الكثير المرافق والمحاريب والكنيسة ماانشقت على عواميد الاناجيل ولم ترتفع بناؤها طبقات والصومعة مكان رفيع رقيق الاسفل والقلة مثلها الا انها لاتسع أكثر من واحد والزنار منطقة تشد فى الخصر وقت الصلاة مشتملة على صليب اذا شدت كانت على السرة ومن هنا الى آخر ماشرح مؤخر والمغربانى الخادم الملازم للبترك وباقى البيت تقدم استطرادا والمحبوس فى رأس الجبل هو الراهب نقولا وكان بانطاكية فى بيعة البرتز فارسله لوقا نذيرا لاهل السدخبسه شعياء اليهودى فى جبل الغمام وضربه على ان يرجع عن النصرانية فابى ومات جوعا عند الارمن واليعاقبة تقول ان المسيح أخذه واصطفاه وتوقفت فيه الروم ومرقولا اول بترك بعد لوقا وهو الذى قسم الكنائس بين الارمن والروم والسليح بالمهملة رجل اقامه مرقولا فى خدمة الكنيسة الرومية ولو أحسن المخمس لقال (ووضعه البحور فوق البحر) لانها وطيفته والاسقف فيها هو الاسقف وقد تجوز فيها مدرك كما زاد الالف فى مرقولا والبيرم الفراش فى الدير وأشار بمغفر رأس مريم الى بولس الذى تحزعن مريم يوم صورت فى القيامة ألف رأس وفرض خمسة عشر يوما صوما مبدؤها خامس عشر ايلول وهو تاسع عشر توت والصوم الكبير هو الصوم الذى تستفتح به السنة اليونانية وأوله من اول اذار يعنى برمهات وقد يتقدم او يتأخر بخمسة عشر يوما وأصله فى الانجيل ثلاثون يوما ثم زاده لوقا عشرة أيام لاجل خلاص النصارى من ولاية اليهود باقرنجة ثم زاده الوزير بولس عشرة للسلامة ابتنه وكانت زمنة فاصبحت صحيحة وزعمت ان المسيح مسح عليها وكان ذلك ليلة العيد فامر

بزيادة عشرة ففرضها على النصارى فكمل خمسين الى الآن والبركة محل ماء الغطاس والحرم تكميل ولو أحسن المخمس لقال (وبلسان عندها وعطر) لان بركة الغطاس لابد ان يحضر عندها القسيس ومعه شئ من دهن البلسان وأنواع الطيب لانهم يقولون ان مريم كانت تصنع ذلك فى تغسيل عيسى ويوم الذبح يريدون به يوم فراغ بختنصر من اليهود وذبحهم على دم يحيى بن زكريا وهو يفور حتى سكن وليلة الميلاد هى ليلة ميلاد المسيح وهى سابع كانون الاصم أعنى ثالث عشر طوبة والقصح بالمهملة وبعدها معجمة العيد الاكبر وهو ختام الصوم الكبير المعروف فى مصر بالخماسين والقداس هو المولود بأخذه القسيس حين يولد فيقدسه فى المعمودية يعنى يحطه فى الماء ومن هنا الى عند ماتقدم مقدم والاقنوم لفظة رومية ويرادبها المعنى وعندهم الاقانيم ثلاثة الله والمسيح ومريم ويعنون بها الآلهة وهو اصطلاح كاز ردشت عند المجوس وتاخان عند اليهود وأزدان عند الثنوية وآل شلع عند الصابئة الى غير ذلك مما استقصيناه فى الفرق والذى نص بعد الموت المسيح كما سبق والذين حلقوا الرؤس وتشمعلوا يعنى اتبعوا شمعون وهم لوقا ويوحنا واميلخا وجرجس ورويل وبنيامين وبولس ولهم قصة طويلة ذكرناها فى الفرق وحاصلها انهم تعاهدوا على مدارسة الانجيل والانفراد فى رؤس الجبال بالعبادة ولقد رأيت بعض بيعهم بالدير الكبير فى الجبل البحرى بالقرب من انطاكية وللنصارى فيهم أقوال عجيبة لايساعدها هذا المحل وما بعد ذلك أسماء أنبياء من بنى اسرائيل والدواء الذى فى قلة الميرون هو دهن البلسان وغسالة أرجل البتاركة فى القمامة ليلة الغطاس يجمعها البترك ويجعلها فى الزجاجات عند أهل القلل فيبرئ به المصروع والمبرسم وصاحب المالينخوليا فان صح ذلك فلما فيها من دهن البلسان وكذلك عدم تغيره مدة الدهر ولقد قلت للبترك يوما انا أغسل رجلى بالماء وارفعه فلا يتغير أبدا فتبطل من يتكم ثم ذكرت له العلة فاعترف والمأثور عن شمعون من الخوص والزيتون هو ان شمعون دخل الكنيسة يوم أحد خامس يوم من الصوم الاكبر ومعه غصن من شجرة الزيتون وشئ من خوص النخل فلما فرغ من الصلاة وعنده جماعة منكرون فى الباطن رفع اليهم من ذلك شيأ وأمرهم باد خاره فبقى رطبا الى القابل فدانوا للملة العيسوية فاتخذ ذلك سنة فيهم يأتون به الآن فى اليوم المذكور ويطرح فى الكنائس فاذا فرغت الصلاة توزعوه فيكون عندهم الى القابل ولو عرف المخمس لقال (وخالص الكندر والمقر) يعنى الميعة بلسانهم فانهم يأخذون من الكندر والميعة وورق الزيتون ويجعلون الكل بخورا للكنائس وغيرها ويداوون به أمراضا كثيرة كالحيات نعم يأخذون ورق الزيتون ليلة عيد الصليب فيدفنونه فى الارض اسبوعا ثم يخرجونه فان وجد أخضر حكموا ان السنة مخصبة وان كان غير هذا فبالعكس وله أحكام طويلة ذكرناها فى كتاب الفلاحة وعيد الصليب معروف وعيد شمونا عاشر نيسان وعيد

يدنى مزارك حين شط به النوى * وهم أكاد به اقبل فاك (وقال الحسين بن الضحاك)
وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت انى وما أراك أراكا ١٥ واذا ماتنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللنى فيك
باشراق ذاو بهجة ذاكا
(ومما احتج به ارباب القول الثانى)
وأكثر أفعال الغوانى اساءة
وأكثر مانلقى الامانى الكواذبا
(وقال الخالدى)
ولاتسكن عبد المنى فالمنى
رؤس أموال المفاليس
(وقال ابن شرف القيروانى)
غلب تمنوا فى البيوت امانيا
وجميع أعمار اللئام امانى
(وقال ابن المعتز)
لاتاسفن من الدنيا على أمل
فليس باقية الا مثل ماضيه
(وقال) على بن أبى طالب كرم الله وجهه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ماخولتم وتصغر المواهب التى رزقتم * وقال رجل لابن سيرين رأيت كانى أسبح فى غير ماء وأطير بغير جناح فقال أنت رجل تكثر الامانى (وحكى) ان الحجاج مرذات ليلة بدكان لبان وهو عنده بستوقة فيها اللبن وهو يقول متمنيا أنا أبيع هذا اللبن بكذا وكذا واشترى كذا ثم ابيعه فاكسب فيه كذا وكذا فاكثر مالى ويحسن حالى وأخطب بنت الحجاج وأتزوجها فتلد لى ابنا وادخل اليها يوما فتخاصمنى فاضربها برجلى هكذا ورفس برجله فكسر البستوقة وتبدد اللبن فقرع الحجاج الباب ففتح له

فضربه خمسين سوطا وقال أليس لو رفست ابنتى هكذا لجعتنى فيها * وقال على بن عبيدة الامانى مخايل الجهل * وقال غيره الامانى تخدعك وعند الحقائق تدعك * اتفق ان الزكى عبد الرحمن القوصى حضر عند الملك المظفر قبل ان يلى حماة وانشده

متى أراك ومن تهوى وأنت كما * تهوى على رغمهم روحين فى بدن هنالك انشد والآمال حاضرة*

هنيت بالملك والاحباب والوطن ١٦ فوعده الملك المظفر اذا تملك حماة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشده

مولاى هذا الملك قد نلته

برغم مخلوق من الخالق

والدهر منقاد لما شئته

فذا أوان الموعد الصادق

فوقع له بألف دينار وأقام معه ولزمته اسفارا فأنفق فيها المال الذى أعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال

ذاك الذى أعطوه لى جملة

قد استردوه قليلا قليل

فليت لم يعطوا ولم يأخذوا

وحسبنا الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك المظفر فاخرجه من دار كان قد أنزله بها فقال

أتخرجنى من كسر بيت مهدم

ولى فيك من حسن الثناء بيوت

فان عشت لم أعدم مكانا يضمنى

وان مت تدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ماذنبى اليك قال قولك حسبى الله ونعم الوكيل فأمر بخنقه فلما أحس بذلك قال

أعطيتنى الالاف تعظيما وتكرمة

يا ليت شعرى أم أعطيتنى دينى

قلت وقد عيب على السلطان حقده عليه لاجل قوله حسبى الله ونعم الوكيل حتى قتله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فكان حاله معه كما قيل

فكنت كالمتمنى ان يرى فاقا

من الصباح فلما ان رآه عمى

(ولله القائل)

ربما يرجو الفتى نفع فتى*

خوفه اولى به من أمله رب من ترجو به دفع أذى * سوف يأتيك الاذى من قبله (ذكرت هنا قول الآخر) وقالوا

لمبادا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم وقلت هذا عارض ممطر * فجاءنى فيه العذاب الاليم

الشعانين هو الذى يأتى فى الصوم الكبير ويعقبه عيد الفطر بلا فصل باعياد وعيد مرماري هو الذى يأتى بعد صوم بولس وقد سبق وعيد شعياء يكون فى صوم الميلادة بشباط يعنى أمشير والارمن تسمى عيد الشعانين عيد شعياء والبعاقبة تسمى يوم الزيتون أيضا كذلك والعمدة على كلام الروم والهيا كل الاماكن التى فيها قبور مثل البتاركة والمطارنة والدخن المراد بها حصى اللبان الذكر والسبعين من العباد هم المختارون من القوم الذين أكلوا المائدة والاثنا عشر من الامم المراد بهم السبعة السابقة وشمعون وسمعان وبطرس ودانيال ويحيى وهؤلاء حواريون واتباع افترقوا للدعوة لما اختصوا به وعملوه واسباب خروجهم أحكام ليس هذا محلها وبسطناها فى الفرق ومر عيد عابد كان بدير سمعان وشعياء ونسطورون شيخا التفسير أول من حل الانجيل ولهما كتاب ذكر فيه الصحف المنزلة على الانبياء وعددها مائة وثمانية عشر وجمعا بين أحكامها واحكام الانجيل والزبور والتوراة ومواعظ وجعلاه قسمين وهو كتاب عزيز الوجود وقفت عليه وطالعته الى هنا انتهى الغرض منه

*(النوع الثانى فى ذكر من جهل حاله وكان الى

الموت فى الحب مآله وقد رأينا ان نبدأ منهم

بعشاق النصارى تبعا للقصة المشهورة)*

(فمنهم) سعيد الوراق وكان بالزها يبيع الورق ويجلس اليه الشعراء وأهل الادب فيتحدثون عنده فى الشعر كالصنوبرى والمعرى وغيرهما فلازمهم غلام نصرانى اسمه عيسى يكتب ما عندهم من الادب فعلقه سعيد وزاد به وجده فانشد يوما

اجعل فؤادى دواة والمداد دمى * وهاك فابرى عظامى موضع القلم

وصير اللوح وجهى وامحه بيدى * فان ذلك لى برء من السقم

ترى المعلم لا يدرى بمن كلفنى * وانت أشهر فى الصبيان من علم

ثم اشتهر أمرهما فلما شب الغلام طلب الترهب فاجابه أهله بعد جهد فخرج الى دير زنكى واقام به وكان سعيد يأتيه فيجلس معه فكره الرهبان ذلك وتوعدوا الغلام بالخروج من الدير فمنعه اى صارت الرهبان تغلق باب الدير فى وجه سعيد اذا أتى فلما أيس مضى فاحرق داره وثيابه وخرج عاريا ينشد الاشعار ويطوف بالدير ويبيت فى ظله وان الصنوبرى أتاه يوما وقد طال شعره وتشوهت خلقته فعنفه فقال يا ابا بكر ألا ترى الى هذا الطائر الذى على شرافة الدير قلت نعم قال لى اسأله حمل رسالتى الى عيسى فابى ثم قال هل عندك لوح قلت نعم فدفعته اليه فكتب

بدينك يا حمامة دير زنكى * وبالانجيل عندك والصليب

قفى وتحملى منى سلاما * الى قرع على غصن رطيب

حمامة جماعة الرهبان عنى * فقلبى مايقر من الوجيب

وقال ابن سنا الملك من رسالة الى المحبوب وانت الذى تقضى من يده ورفضى من باله وانت الذى فصلنى قبل أن يستكمل

الوصل مدة حمله وفصاله ١٧ وانت الذى اخلفتنى ماوعدتنى واشمت بى من كان فيك يلوم

وقالوا ارتنا المام سعد * ولا والله ما أنا بالمريب

وقولى سعدك المسكين يشكو * لهيب جوى أحر من اللهيب

فصله بنظرة لك من بعيد * اذا ما كنت تمنع من قريب

وان ألممت فاكتب حول قبرى * محب مات من هجر الحبيب

رقيب واحد تنغيص عيش * فكيف بمن له الفا رقيب

ولم يزل كذلك حتى وجد عند الدير ميتا فاراد العامل يومئذ وهو العباس بن وكيع البطش بالرهبان وحرق الغلام فافتدوا منه بمائة الف درهم وصار الغلام اذا دخل المدينة لزيارة اهله تضربه الصبيان بالاحجار ويقولون له يا قاتل سعيد فانتقل الى دير سمعان (ومنهم شرف العلاء) علق غلاما نصرانيا فلبس المسوح لاجله وتبعه الى الكنائس والبيع وهام به فبلغ ذلك الظاهر بن ايوب فاستحضره فلما دخل عليه تلقاه بقدح من خمر فشربه وانشد

جمعت بالكاس شملى * الله يجمع شملك

بحق رأسك دعنى * حتى اقبل نعلك

وصار على ذلك هائما حتى مات

(ومنهم) ما أخرجه ابن الجوزى عن سعيد قال كنت بخان التجار بالبصرة اذا بغلام يصيح وفى يده مدية فاجتمع الناس اليه فانشد

يوم الفراق من القيامة أطول * والموت من الم التفرق أجل

قالوا الرحيل فقلت لست براحل * لكن مهجتى التى تترحل

ثم بقر بطنه بمديته فسألت عنه فقيل عشق غلاما لبعض الملوك فحجب عنه يوما واحدا ففعل هذا (ومنهم) ماحكاه النورى فى روضة القلوب قال كان بحمص مؤدب يقال له ابن الدورى عشق غلاما وكلف به فلما علم أبوه بذلك نقله الى مؤدب آخر عدو له فضعف واشتد غمه فكتب الى أبى الغلام يستعطفه فاجابه بانه ان لم يرجع رفع أمره الى الحاكم فتغير من وقته وتقاضى الدم وحمل الى بيته وجاءه الطبيب فاخبر ان كبده تقطرت قطعات فى الرابع (ومنهم) ماحكاه فى ديوان الصبابة وهو نظير العشق المسلسل السابق فى الباب الثانى قال عشق شاب بدمشق غلاما فلما اشتد به وجده قتله فحمل الى الحاكم فانكر فهدد بالضرب فجاء شاب كان يعشقه فقال ان هذا لم يقتل الغلام وانما انا قتلته فكتبوا عليه بذلك وخرجوا ليقتلوه فحدث الحاكم بباطن القصة وكان متأدبا فامسك عن قتله وحبسه لينظر فعزل بعد أيام وكان أول ماحكم الحاكم الجديد أن شنق الشاب المذكور وقال شهاب الدين الحاجبى كان شابا لطيفا جيد القريحة ذا نثر ونظم من العجائب الدالة على ان له اليد الطولى فى الادب وكان من أولاد الجند عشق شابا من اولاد الحسينية وافرط فى حبه حتى كان لا يصبر عنه ساعة فمرض الشاب وانقطع فمرض الحاجبى لمرضه فدخل

(الباب الثانى والعشرون فى الرضا من المحبوب بأيسر مطلوب)

اقول هذا باب عقدناه لذكر المحب المطبوع والعاشق القنوع ممن يقنع من الحبيب بالنظر اذا حضر ويرضى منه بالسلام ولو مرة فى العام فهو فى الرضا منه بالنزر اليسير كما قيل

(قليلك لا يقال له قليل)

لعل عينا اصابتنا فلا نظرت

أو واشيا قال فيما بيننا كذبا

لعل عتبك محمود عواقبه

وربما صحت الاجسام بالعلل

لعل الرضا منكم وكيف منالة

يسر فؤادا ساءه منكم الهجر

لعل صدى فى النفس يروى أوامه

وجمر جوى فى القلب تخمد ناره

لعل عاطفة تدنى الى أمل

قلبا تحير بين اليأس والطمع

لعل عين الرضا منكم كافت به

يوما تبهرج ما قالته حسادى

لعل زمانا قد تولى سينثنى

الينا وقلبا قد قسا سيلين

لعل ذيول العفو والعفو واسع

يجرها الجانى على مفرق الذنب

لعل سلو الفؤاد يعوده

وذا غلط حاشى فؤادى أن يسلو

لعل ومانفنى لعل وانها

علالة صب واستراحة هائم

ولا اقل من التعلل بلعل وما أقل غناها واكثر عناها

٣ تر نى أنا راض منكم بأيسر شئ * يرتضيه من عاشق معشوق بسلام على الطريق اذا ما

جمعتنا الاتفاق الطريق (وقال المعرى) لا قال فى العام الذى ولى ولم * يسألك الا قبلة فى القابل

ان البخيل اذا تذكر له المدى * في الجود هان عليه بذل الباذل (وقال جميل) أقلب طرفي في السماء لعله * يوافق طرفي طرفه حين ينظر

(وقال ايضا)

وانى لأرضى من بثينة بالذى * لو استيقن الواشى لقرت بلابله

بلا وبأن لا استطيع وبالمنى

وبالامل المرجو قد خاب آمله

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى

أواخره لا تلتقى وأوائله

(قلت) انظر الى هذا الشاعر الظريف والعاشق العفيف قد قنع من مناهل أحبابه بالوشل واكتفى باللمح من خلل الاستار والكل ومن هذا المعنى المبتز قول ابن المعتز

ألست ارى النجم الذى هو طالع

عليها فهذا للمحبين نافع

عسى يلتقى فى الافق لحظى ولحظها

فيجمعنا اذ ليس فى الارض جامع

(والعلم) المشهور فى هذا الباب قول بعض الاعراب

أليس الليل يجمع أم عمرو

وايانا فذاك بنا تدانى

نعم وأرى الهلال كما تراه

ويعلوها النهار كما علانى

كان الشيخ أثير الدين أبو حيان يقول عن صاحب هذين البيتين هذا العاشق القنوع وقال الآخر الى الطائر النسر انظرى كل ليلة

فانى اليه بالعشية ناظر

عسى يلتقى طرفى وطرفك عنده

فنشكو جميعا ما تجن الضمائر

(وقال بعض الاعراب)

وما نلت منها وصلها غير انى

اذا هى بالت بلت حيث تبول

ذكرت هنا ما حكى عن بعضهم انه رأى امرأة حسناء فى طاقة فأحبها ولازم المقام على بابها والمرور تحت الطاقة الى أن اعيا وقل صبره وحصل على اليأس منها فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحفة وقال دعى سيدتك تبول فى هذه فبالت له فى الصحفة وقالت للجارية

أصحابه عليه ليعودوه فقال اريد من يوصل هذه الدراهم الى فلان يعنى صاحبه فقيل له قد مات فتغير من وقته واختلط عقله وجعل يقول قدمات ثم قال احملونى من هنا والح عليهم فاخذوه من حارة بهاء الدين الى قناطر السباع فمات بها من يومه واتفقت جنازته وجنازة محبوبه فصلى عليهما معا ومن شعره

ملأت فؤادى من محبة شادن * أميل اليه وهو كالظبى راتع

وقلت لقلبى قم لنعشق شادنا * سواه فقال القلب ما انا صانع

(ومنها)

ان السيوف كلها * قاطعة اذا انجلت

الا سيوف لحظه * اذا تصدت قتلت

(ومنها)

وصفت خصره الذى * أخفاه ردف راجح

قالوا وصف جبينه * فقلت ذاك واضح

(ومنها)

له عين لها غزل وغزو * مكحلة ولى عين تباكت

وحاكت فى فعائلها المواضى * فبالك مقلة غزلت وحاكت

(ومنها)

عودا لصب بكى عليكم * ياجيرة ودعوا وساروا

فدمع عينيه صار بحرا * وقلبه ماله قرار

(ومنها)

لا تبعثوا غير الصبا بتحية * ما طاب فى سمعى حديث سواها

حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فيالله ما أذكاها

(ومنها)

لم أنس ليلة بتنا * والحب قد غاب عنا

وقد روى عنه لفظ * حتى حسبناه معنا

(وقال)

لم انس أيام الصبا والهوى * لله أيام النجا والنجاح

ذاك زمان مر حلو الجنى * ظفرت منه بحبيب وراح

ومنها وهى من قصيدة طويلة ذكر ابن حجة فى شرح بديعيته أنه مدح بها صاحب حماة

ثانى المعاطف كنت أول عاشق * فى حبه ولكل ثان أول

يدنو فيحلو للمتيم لحظه * اذ ذاك لحظ بالنعاس معلل

وتعبس

اتبعيه وانظرى ما يصنع بذلك فلم تزل تتبعه الى أن دخل بعض الخربات فوضع ايره فى ذلك البول وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق (وحكى ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء) ان الهدهد قال لسليمان عليه الصلاة والسلام اريد أن تكون فى ضيافتى فقال له سليمان آنا وحدى فقال له بل والعسكر فى جزيرة كذا فى يوم كذا فمضى سليمان وجنوده الى هناك فصعد الهدهد الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها فى البحر وقال يا نبى الله كلوا منى فانه اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا أخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثل

ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

(الباب الثالث والعشرون فى اختلاط الاشباح اختلاط الماء بالراح)

أقول هذا باب عقدناه لذكر

من افرط فى العناق اذا

التفت الساق بالساق فأصبح

هو محبوبه كالشئ الواحد فى رأى العين حتى عند الاصول الذى يرى الشئ شيئين وذلك لفرط المحبة التى لا يشتفى قلب صاحبها بالوصال ولا تنقطع حبال دموعه بالاتصال كما قيل وكدت وهو ضجيعى ان اقول له

من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

(وقال ابن الرومى)

اعانقه والنفس بعد مشوقة

اليه وهل بعد العناق تدانى

وألثم فاه كى تزول حرارتى

فيشتد ما ألقى من الهيمان

ولم يك مقدار الذى بى من الجوى

ليشفيه رشفا ما سوى الشفتان

كأن فؤادى ليس يشفى غليله * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

(وقال آخر)

سريت اليه والظلام كأنه * صريع كرى والنجم فى الافق شاهد

فلو أن روحى ما رجت ثم روحه * لقلت ادن منى ايها المتباعد

وتمس

وتمشى منه شمائل لم ادر من * مشمولة او حركتها شمأل

متلون الاوصاف سيف لحاظه * ماض ولكن هجره مستقبل

(القسم الثانى فيمن اشتهر فى العشق حاله ولم يدر ما آله)

(فمنهم) ما حكاه من له اعتناء بظرائف الاخبار قال نزلت دارا فوجدت مكتوبا على حائط

دعوا مقلتى تبكى لفقد حبيبها * ليطفئ برد الدمع حر كروبها

فنى حيل خيط الدمع للقلب راحة * فطوبى لنفس متعت بحبيبها

بمن لو رأته القاطعات أكفها * لما رضيت الا بقطع قلوبها

فسألت فقيل كان بها تاجر يهوى غلاما وانه أنفق عليه ثلاثين الف دينار حتى نفد ما معه فلم يدر ما تم من أمرهما (ومنهم) ما حكاه بعضهم قال دخلت درب الزعفرانى ببغداد فرأيت غلاما قد طرح شيخا على التراب وهو يعضه ويضربه فقلت لا تفعل ذلك بأبيك وأنا اظن انه ابوه فقال حتى افرغ واكلمك فلما فرغ أقبل على وقال هذا الشيخ يزعم انه يهوانى وله ثلاث مار آنى (ومنهم) ما حكاه الاصمعى عن أبى نواس قال رأى غلاما بمكة فعلقه وقال لاقبلنه عند الحجر قلت اتق الله فى ذلك قال لا بد منه فدنا وقبله حين أراد أن يلثم الحجر وأنا انظره فلما عنفته قال ان الله رحيم وانشد

وعاشقان التف خداهما * عند استلام الحجر الاسود

فاشتقيا من غير ان يأثما * كأنما كانا على موعد

(ومنهم) رجل بافريقية كان يهوى غلاما وازدادت محبته له حتى استغرقه الحال وانه انفرد ليلة يشرب فذكر تجنى الغلام عليه وهجره له فأخذ قبسا فأحرق بابه ورآه بعض جيرانه فحين أصبحوا رفعوه الى القاضى وكان لطيفا فقال لاى شئ فعلت هذا فأنشد

لما تمادى على بعادى * واضرم النار فى فؤادى

ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد

حمات نفسى على وقوفى * ببابه حملة الجواد

فطار من بعض نار قلبى * أكبر فى الوصف من زناد

فأحرق الباب دون علمى * ولم يكن ذاك من مرادى

فاهتم ظرفه القاضى وحمل عنه ما أفسده

(القسم الثالث فى ذكر من ساعده الزمان فى المراد حتى بلغه ما اراد)

فمنهم ما حكى انه كان ببغداد رجل صوفى معروف بالزهد والعبادة فهوى غلاما جنديا حتى امتزج حبه بلحمه ودمه واشتهر امره عند غالب غلمان الغلام لان الصوفى كان يتقصده فى الطرق والمواكب لينظره فبينما الصوفى ليلة يصلى على سطحه اذ سمع صوت الغلام مارا فسقط من على السطح فرآه الغلمان فضحكوا فقال مولاهم مالكم فقالوا لا شئ فاقسم عليهم فتقدم اليه بعضهم وأسر الخبر اليه واعلمه أنه يهواه فقال منذ كم قالوا من

(وقال ابو الحسين التونسى) كشكلتين اختلطا فى كتاب فلو ترانا فى قميص الدجى

حسبتنا فى جسد واحد

(وقال نفطويه النحوى)

ولما التقينا بعد بعد بمجلس
تغازل فيه اعين الترجس الغض
جعلت اعتمادى ضمه وعناقه
فلم يفترق حتى توهمته بعضى

(وما احسن قول ابى بكر الاربلى)

هم الرقيب ليسعى فى تفرقنا
ليلا وقدبات من اهواه معتنقى
عانقته فاتحدنا والرقيب أتى
فدرأى واحدا ولى على حنق

(وقال سيف الدين المشد)

ولما زار من اهواه ليلا
وخفنا ان يلم بنا مراقب
تعانقنا لاخفيه فصرنا
كأنا واحد فى عقد كاتب

(وقال آخر)

توهم واشينا بليل مزاره
فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا
فلما أتانا مارأى غير واحد

قال قاضى القضاة كمال الدين بن العديم لما سمع هذين البيتين امسك امساك أعمى (وقال ابو الفضل)

سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا
ونحن نحكى عناقا شكل تنوين
فصرت اذ علقت كفى حبائلكم
بسهم هجرك ترمى ثم تنوينى

ومثل هذا القول فى عدم السلامة وتوجيه الملامة (قول بن سنا الملك)

وليلة بتنا بعد سكرى وسكره
وبيننا بجسم واحد من عناقنا
زمان طويل فقال بئس المرء الذى لا يعرف من احبه ثم نزل فاقعده ونفض عنه التراب فنقطت الشمعة على وجه الشيخ ففتح عينيه فرأى صاحبه فانشد

يا محرقا بالنار وجه محبه * رفقا فان مدامعى تطفيه
حرق بها جسدى وكل جورحى * واشفق على قلبى فانك فيه

فحمله الى بيته ولم يفارقه بعدها وساق الحجازى فى روض الآداب الحكاية عن الخياط الدمشقى (ومنهم) البحترى المشهور وكان يهوى غلاما اسمه نسيم فاشتراه حين اشتد به بلاؤه فلما اشتهر حاله مازحه أبو الفضل يوما وقال هل تبيعه قال لا قال خذ فيه الف دينار فأبى وكان لا يساوى اكثر من مائة فقال خذ الفين فقال احضرهما فاحضرهما واشتراه ومضى به فلم يلبث البحترى اكثر من يوم حتى ذهب عقله واكثر التردد الى أبى الفضل فلم يجبه وزاد به الوجد فكتب اليه

ابا الفضل فى تسع وتسعين نجمة * غنى لك عن طلبى بساحتنا فرد
اتأخذه منى وقد اخذ الهوى * فؤادى له فيما أسر وما ابدى
وتغدو عليه صبوتى وصبابتى * ولم يعده وجدى ولم يأله جهدى
وقلت أسل عنه فالمنية دونه * وكيف بسلوان الظمان عن الورد

فقال ابيعكه بجميع ماتملك فى سائر البلاد فقال افعل فباعه بذلك فلما اصبح أقاله وقال اياك وهبر الاحرار فان لهم مكائد (ومنهم) ماحكى عن الصاحب بدر الدين وزير اليمن انه كان له اخ جميل فاختار له معلما ذا هيبة ووقار وأدب فكان يعلمه فى بيته فامتحن الشيخ بحب الغلام وزاد به الحال فشكا يوما الى الغلام امره فقال ما أصنع واخى لا يفارقنى ليلا ولا نهارا فقال الشيخ ان دارى ملاصقة لحائطكم فاذا كان الليل أتنا ولك فتجالس معى لحظة لطيفة ثم تعود فاجاب فلما كان الليل اظهر الشاب انه نائم فنام اخوه ففتح الباب النافذ الى الحائط فوجد الشيخ واقفا فاخذه ومضى فرآه قد هيأ مجلسا الطف ما بين فرش وبساط ومشروب ومشموم فجلسا يتعاطيان الكأس وكانت ليلة البدر وأفاق الوزير فلم ير أخاه ورأى الباب مفتوحا فاطلع فرآهما على تلك الحالة والكاس فى يد الشيخ وهو ينشد

سقانى شربة من خمر فيه * وحيا بالعذار وما يليه
وبات معانقى خد الخد * مليح فى الانام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا * سلوه لا يمن على أخيه

فكان من لطفه ان قال والله لا نم عليكما وانصرف * وذكر الحجازى بذكر هذا الاتفاق مناسبة لطيفة وذلك ان شخصا كان يهوى غلاما فبات مجلس يبكيه فطلع البدر فنظر اليه فلم يقدر ان يملأ عينه منه فانشد

شفيقك غيب فى لحده * وتطلع يا بدر من بعده

فهلا

لو قال كخرف فى النظام ماوقع فى الملام لان الحرف المشدد فى اللفظ معدود عند العروضيين بحرفين وأما فى الخط فلا فعلى هذا لا يتم له ما أراد ولو جعل ساعده للمحبوب كالوساد ٢١ ولا عذر له لان الوزن ساعده وأعانه على تحصيل هذه الفائدة وقال

فهلا خسفت وكان الخسوف * لبأس الحداد على فقده

فخسف من وقته (ومنهم) الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسى وكان أديبا ظريفا عارفا بالشعر والادب وكان شيعيا وكان السيد المرتضى الموسوى نقيب الاشراف بالعراق والشام وعالب الممالك وكان بينه وبين مهذب الدين مودة قال ابن سعد فى الطبقات لان السيد كان رئيس أهل هذا المذهب وغيرهم وكان مهذب الدين من اجلاء طرابلس فبعث الى الشريف بخف مع عبد اسود فأرسل الشريف يعتبه فى ذلك وكان معروفا بالشهامة فما قال له اما رأيت شرا من السواد حتى ترسله الينا وحكى قاضى القضاة ابن البراج ان مهذب الدين لم يرسل الى الشريف الا العبد فقط فكتب اليه اما بعد فلو علمت عددا اقل من الواحد أو لونا اشر من السواد لبعثت به الينا والسلام وكان مهذب الدين يهوى مملوكا اسمه تتر وكان لا يفارقه فى نوم ولا يقظة وكان اذا اشتد غمه أو رمى بمحنة نظر اليه فزال مابه فخلف لابن الشريف الهدايا الامع اعز الناس عنده فجهزها مع مملوكه واخذ يقاسى مشاق فرقته فلما وصل المملوك الى الشريف توهم أنه من جملة الهدايا تعويضا من ذنب العبد فأمسكه وطال الامر فلم ير ما ينكى به الشريف ويبعثه على ارسال المملوك الا اظهار التورع عن التشيع والدخول فى مذهب اهل السنة وان دليل ذلك امر عظيم اخرجه عن العقل حتى فارق مذهبه فأرسل اليه بهذه القصيدة يذكر فيها وجده بالمملوك وخروجه من المذهب وتلبسه بالتستر وهى

عذبت طرفى بالسهر * وأذبت قلبى بالفكر
ومزجت صفو موقتى * من بعد بعدك بالكدر
ومنعت جسمانى الضنى * وكلت جفنى بالسهر
وجفوت صبا ماله * عن حسن وجهك من مصطبر
يا قلب ويحك كم تخا * دع بالغرور وكم تغر
والام تكلف بالاغن * من الظباء وبالاغر
* ريم يفوق ان رما * لبسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها * من بأسهن على خطر
ورمت فاصمت عن قسى * لا يناط بها وتر *
جرحتك جرحا لا يخيـ * ـط بالخيوط ولا الابر *
تلهو وتلعب بالعقو * ل عيون أبناء الخفر
وكأنهن صوابح * وكأنهن لها أكر
تخفى الهوى وتسره * وخفى سرك قد ظهر
أفهل لوجدك من مدى * يفضى اليه فينتظر
نفسى الفداء الشادن * أنا من هواه على خطر

ذكرت بقولى فى أول الباب الاحول الذى يرى الشئ شيئين قول بعض المغاربة فى مليح له رقيب أحول

بأبى رشا يحوى مع الاحسان * ملكية موضوعها انسانى أحوى الجفون له رقيب أحول * الشئ فى ادراكه سيان

بعض شعراء الذخيرة

بتنا وراء الحجاب يلحفنا
برد وقار والشمل مشتمل
اثنان من شدة التعانق قد
صارا كفردا لروح يتصل
لو ان غيث السماء أمطرنا
لم يصب الارض تحتنا بلل

قال محمد بن عروس اجتمعت أنا وعلى بن الجهم فى سفينة ونحن غير متعارفين فتذاكرنا ووجدته حلو المذاكرة فكان فى بعض ماقاله أنا أشعر الناس فقلت له بماذا قال بقولى

الا رب ليل ضمنا بعد هجعة
وادنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا والوشاق زجاجة
من الخمر فيما بيننا تتسرب
فقلت له والله لقد أحسنت ولكنى
أشعر منك قال بأى شئ قلت
بقولى

لا والمنازل من نجد وليلتنا
بغيد اذ جسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه
يوما فقلنا انفك لا خد ولا عضد

والاصل فى هذا قول بشار بن برد وهو من الشعر الملوكى

ومرنجة الارداف مهضومة الحشا
تمور بسحر عينها وتدور
اذا نظرت صبت عليك صبابة
وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لا يخلص الماء بيننا
الى الصبح دونى حاجب وستور

يالينه ترك الذى أنا مبصر * من قال رأيت مثله بالعين ما يبصر
يقولون لى لم ذا كلفت بأحول * رأت كل عين حسن أوصاف أختها
(الباب الرابع والعشرون فى عود الحب كالخلال وطيف الخيال وما فى معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب)
أقول هذا باب عقدناه لذكر * من أدى به التحول الى الذبول
م نحسبه بين أطنابها * فحبوبه فى الجفاء واحد كالالف
خلف
ولما رأتنى كعود الخلال * وجسمى كما ينسج العنكبوت
فقالت تموت الى كم تنيك * فقلت أنيك الى أن أموت
والعلم المشهور فى هذا الباب قول المتنبى
أبلى الهوى أسقامه يوم النوى بدنى * وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد فى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمى نحولا انى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى
(وقال أيضا)
ولو قلم القيت فى شق رأسه * من السقم ما غيرت من خط كاتب
(وقال أيضا) الام طماعية العاذل * ولا رأى فى الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

(وقال ابن اسرائيل من دويت قد بالغ فى حديثه بالمين
وهو المخبر فى الغزال الثانى من حيث يرى الواحد كالاثنين
وقول صدر الدين بن الوكيل

عذل العدول وما رأ * ى فخين عاينه عذر
قمر يزين ضوء صبـ * ـح جبينه ليل الشعر
ترمى اللواحظ خده * فيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثما * والبدر حسنا ان سفر
ويلاه ما أحلاه فى * قلبى الشقى وما أمر
نومى المحرم بعده * وربيع لذاتى صفر
بالمشعرين وبالصفا * والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا * ف به ولبى واعتمر
لثم الشريف الموسوى ابن الشريف أبى مضر
أبدى الجحود ولم يرد الى مملوكى نتر
والبيت آل أمية الـ * ـطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر العصا * بة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيـ * ـم ثم صاحبه عمر
ماسل قط ظبى على * آل النبى ولا شهر
كلا ولا صدت البتو * ل عن التراث ولا زجر
وأتيها الحسنى ولا * شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيـ * ـد بكا نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراقه * صحفه براءة والزمر
ورثيت طلحة والزبيـ * ـر بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز * جر من لحانى أو عذر
* وأقول أم المؤمنيـ * ـن عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصـ * ـلح من بنيها فى زمر
وأتت لتصلح بين جيـ * ـش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسل حسامه وسطى وكر
وأذاق اخوته الردى * وبعير أمهم عقر
ماضره لو كان كف وعف عنهم اذ قدر
وأقول ان كان كف * وعف عنهم اذ قدر
وأقول ان أخطا معا * وية فما أخطا القدر
هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمر ومكر

بطل
وانى لاعشق من عشقكم * نحولى وكل فتى ناحل

ولو زلتم ثم لم أبككم * بكيت على حبى الزائل
فى العشق جسمى بنذر العشاقا * فكأنه ألف بخط مذهب

(وقال المعمار)

بطل بسوء نه يقا * تل لابصار مه الذكر
وجنيت من رطب النوا * صب ما تمروا ختمر
وأقول ذئب الخمار جيـ * ـش على على مغتفر
لا تأثر يقتالهـ * ـم فى الهروان ولا أثر
والاشعرى بمايؤ * ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا لى منبرا * فأنا البرىء من الخطر
فعلا وقال خلعتكما * حبكم وأوجز واختصر
وأقول ان يزيدما * شرب الخمور ولا بخمر
ولجيشه بالكف عن * أبناء فاطمة أمر
والشعر ما قتل الحسيـ * ـن ولا ابن سعد ما غدر
وحلقت فى عشر المحرـ * ـم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو * ب للملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا * ح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطر * يق أقص شارب من عبر
وأكلت جرجير البقو * ل بلحم جونى الجفر
وجعلتها خير الما * كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلى كله * ومسحت خفى فى السفر
وأمين أجهر فى الصلا * ة كمن بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو * ر لكل قبر محتفر
واذا جرى ذكر الغديـ * ـر أقول ماصح الخبر
ولبست فيه من الملا * بس ما اضمحل وما اندثر
وسكنت جلق واقتديـ * ـت بهم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم * يا لفاشر يا قد فشر
مصطبتى مكسورة * وفطيرتى فيها قصر
بقصر ترى برئيسهم * طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل * وصواب قولهم هدر
وطباعهم كجبالهم * خبثت وقدت من حجر
مايدرك التشبيب تغـ * ـريد البلابل فى السحر
وأقول فى يوم نحا * ه له البصيرة والبصر

ولولا سناها لم يرونى من الضنى * ولا أصبحوا من أجلها خصمائى ولكن تجلت مثل شمس منيرة * فلحت خلال الضوء مثل هباء
(وقال آخر) قد كان لى فيما مضى خاتم * فدق جسمى فتمطقت به

ترك اصفرارى والنحول كلاهما *
جعل الدبى أرقى له أوراقا
وقلت أنا من قصيدة
كأن ضباب الافق نذ سرت به * نسيم الصبا من نحو أرض الاحبة
كأن الصدا بين الجبال متيم * ولم يبق منه غير صوت وأنة
(وقال المتنقل)
ان جفانى الكرى وواصل قوما * قله العذر فى التخلف عنى
لم يخلى الهوى بجسمى شخصا * فاذا جاءنى الكرى لم يجدنى
(وقال ابن لؤلؤ)
وأرقنى خيال من حبيب * تناءت داره لما دآنى
فمن سهرى يلم فما أراه * ومن سقمى يطوف فما يرانى
وقال محيى الدين بن عبد الظاهر
أيها الصائد باللحظ ومن * هو من دون الورى مقتضى
لا تسم طائر قلبى هربا * انه من أضلعى فى قفصى
(وقال مضر المغربى)
أذابه الحب حتى لو توهمه * بالوهم خلق لاعياهم توهمه
لولا الانين ولوعات تحركه * لم يدره بعيان من يكلمه
وقال محاسن الشواء
ضنيت وضن من أهوى بوصلى * وعادانى الخيال وكان عائد
فاشبهت الذى للسقم نقصا * وان خالفته صلة وعائد
وقال الارجانى
انه من أضلعى فى قفصى

وزاد بى السقم فلوزج بن * فى مقلة الناظم لم يتبه

(وقال بن عبدربه)

ولما ان رأى أهلى سقامى
تجاوز حده حد السقيم
سددت منافس النسمات عنى
مخافة ان أطير مع النسيم

(وقال آخر)

واذا عائدنا الكلامى
لعبت بى انفاسه فى الفراش

(وقال آخر)

عبثت به أيدى الضنى فكأنه
سر خفى فى ضمير كتوم

وقال ظافر الحداد

أنحلنى حبك يا ممتلئى
وزادنى الشوق فلم أعرف
وذبت حتى لو رمى بى الهوى
فى ناظر الناظر لم يطرف

وقال ناصر الدين الفقعسى

يقول جسمى لنحولى وقد
أفرط بى فرط ضنى واكتئاب
فعلت بى يا سقم مالم يكن
يلبس والله عليه الثياب

ومما يخرط فى هذا السلك ماوصفت به الشعراء الخصر من النحول وقد بالغ ابن اسرائيل فيه حيث قال وأحسن فى المقال

واها على الخصر الرقيق وانما
قطع الطريق حديثه الموثوق
خصر أدير عليه معصم قبلة
فكأن تقبيلى له تعنيق

وقال الشيخ صفى الدين الحلى

مليح بغار الغصن عند اهتزازه
ويخجل بدر التم عند شروقه
فمافيه معنى ناقص غير خصره
ومافيه شئ بارد غير ريقه

قلت أخذه من قول بلدينا محمد بن العفيف التلمسانى وأراد قصره على الحسن فقصر وجرى خلفه ليعثر على المعنى فاعثر عليه بل تعثر والفرق بينهما كما بين الاجاج والكوثر والخصر والخنصر الاترى قول ابن العفيف

وقال ابو العتاهيه لم يبق الا القليل فى وماء أحسبها اترك الذى بقيا

(وقال آخر)

رأيت العاشقين لهم جسوم * براها الشوق لو نفخوا الطاروا

والصحف بشرطيها * والنار ترمى بالشرر
هذا الشريف أضلنى * بعد الهداية والنظر
مالى مضل فى الورى * الا الشريف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشريف فستقر كما ستقر
لواحة تسطو فما * تبقى عليه ولا تذر
والله يغفر للمسى * ء اذا تصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعلك واحتذر كل الحذر
واليكها يدوية * وقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها * قس الفصاحة لافتخر
ودرى وأيقن أننى * بحر وألفاظى درر
حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر
وبديعة كبديعة * عذراء ترفل فى الحبر
والى الشريف بعثتها * لما قراها وانبهر
رد الغلام وما استقر * على الخدود ولا أصر
وأثابنى وجزيته * شكرا وقال لقد صبر

فلما وصلت القصيدة الى الشريف ضحك وقال قد أبطأ نا عليه فهو معذور وجهز المملوك مع هذا يا حسنة فمدحه مهذب الدين فقال

* الى المرتضى حث المطى فانه * امام على كل البرية قد سما
ترى الناس أرضا فى الفضائل عنده * ونجل الزكى الهاشمى هو السما

وذكر ابن حجة ان مهذب الدين حين هادى الشريف كان ببغداد (قوله) وأقول مثل مقالهم يفسره مابعده من الكلمات المهملة التى تستعملها أهل دمشق فى الخلاعة والمصطبحة خشبة فى الاصل تجعل تحت دودا القز وأهل دمشق يسمون الصوبلجان المنقوش مصطبحة ويكون معهم فى المواسم وقد تطرف فى المبالغة فى المجون والخلاعة حيث قلب اللفظ فنسب القصر الى القطيرة والكسر الى المصطبحة والمستعمل العكس فانهم يضعون الصوابلج قائمة فى لعبة فمن جاء صوبلجانه قصير اخرج من اللعبة فيقول مصطبحتى قصيرة وكذا فى لعب القطير يرد من قطيرته مكسورة وقوله والى الشريف بعثتها الى آخر القصيدة قد يتوهم أنه ملحق بعد رد المملوك وليس كذلك وانما قاله تفاؤلا وحسن ظن بالشريف واعتمادا على شهامته وهذا من مكر مهذب الدين لعلمه بسجايا الشريف

* (القسم الرابع) *

فى ذكر من منعه الزهد والعباده ان يقضى من محبوبه مراده

وحلاوة منطقه الظريف * فكم يتجافى خصره وهو ناحل
بفترة للعاشقين تواعد * وكم يتمالى ريقه وهو بارد

(وقال ايضا) شكوت الى ذاك الجمال صبابة * وكم يدعى صونا وهذى جفونه
تكلف جفنى انه قط لا يغفو * فلانت لى الاعطاف والخصر رق لى
ولكن تجافى الشعر واثاقل الردف

(وقال ايضا)

تلاعب الشعر على ردفه
أوقع قلبى فى العريض الطويل
يارد فه جرت على خصره
رفقا به ما أنت الا ثقيل

وعلى ذكر الردف ما أحسن قول الآخر

للبدر من وجنته نكتة
وفترة فى الظبى من طرفه
اذا مشى جاذبه ردفه
كأنه يمشى الى خلفه

وقال الشيخ صفى الدين الحلى فى مليح راقص

جاء وفى قده اعتدال
مهفهف ماله عديل
قد خفقت عطفه شمال
وثقلت جفنه شمول
ثم انثنى راقصا بقد
تثنى الى نحوه العقول
يجول ماينثنا بوجه
فيه مياه الحيا تجول
ورنح الرقص منه عطفا
خف به اللطف والدخول
فعطفه داخل خفيف
وردفه خارج ثقيل

(وقال ابن رشيق)

أجل أثقالى على ردفه
وامسك الخصر لئلا يضيع

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباته)

سألت النقا والبان يحكى لناظرى * تكلف جفنى انه قط لا يغفو
فقال البان ما أنا قدها * ولكن تجافى الشعر واثاقل الردف

قدرأينا ان نجعل هذا القسم كالاستغفار بعد الذنوب والكفارة لمن عزم ان يتوب لاشتماله على ذكر اقوام عصمهم الله من الوقوع فى الخطا وأسبل عليهم الغطا وهو نوعان (الاول فيمن سلم من القضاء الجارى) فعصم عن الجوارى) فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون اذ أصابهم مطر فأووا الى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه والله يا هؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه فقال واحد منهم اللهم ان كنت تعلم انه كان لى أجير عمل لى على فرق من أرز فذهب وتركه وانى عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره انى اشتريت منه بقرا ورعيها وانه أتانى يطلب أجره فقلت اعمد الى تلك البقر فسقها فقال لى انما لى عندك فرق من أرز فقلت له اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لى فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلى وعيالى يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى فكرهت ان أوقظهما وكرهت ان أدعهما فيستكثا الشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كانت لى ابنة عم من أحب الناس الى وانى راودتها عن نفسها فابت الا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت عليها فأتيتها بها فدفعتها اليها فأمكنتنى من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا (وحكى) ان رجلا افتتن براهبة فتسور اليها وراودها فلم تمكنه الا بعد جهد فلما قدر عليها جعلت يدها فى مجمرة فاحترقت فقال لاى شئ فعلت هذا قالت خفت ان أشاركك فى اللذة فأشاركك فى المعصية فخلف لا يعصى الله بعدها وتاب (وحكى) ان رجلا عشق جارية فزاد حبه لها ولم يتمكن منها وان اهلها ارسلوها لحاجة فتبعها وراودها فقالت انى احب لك منك لى ولكنى اخاف الله فقال اتخافينه ولا اخافه ورجع فناله عطش كاد ان يأتى عليه فلقيه رسول لبعض الانبياء فشكا ذلك اليه فقال له هلم ندعو الله ان تظلنا سحابة حتى نصل القرية قال ليس لى عمل فقال الرسول انا ادعو وانت أمن وفعلا فأظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فدعاه الرسول الى بيته فتبعتهما السحابة فقال له تقول مالى عمل وقد تبعتك اخبرنى ما فعلت فأخبره فقال ان التائب عند الله احسن من العابد (وحكى) ان عمر بن عبد العزيز عشق جارية لزوجته فاطمة بنت عبد الملك وزاد فيها غرامه فطلبها منها فأبت عليه فلما افضت اليه الخلافة زينتها بانواع الزينة ثم قالت يا أمير المؤمنين قد كنت امسكت هذه عنك والآن فقد وهبتها لك فسر بها سرورا بالغا ثم قال لها اخلعى ثيابك فخيرهمت اجلسها ثم قال لها من اين جيء بك فى الاصل قالت اغتصب الحجاج مال

روادف أو أعطاف من طال صدها * فقال كثيب الرمل ما أنا حملها

الفراق)* كقوله شكى الم الفراق الناس قبلى * وروع بالنوى حى وميت وأما مثل ماشمت ضلوعى *
فانى ماسمعت ولا رأيت أقول هذا باب ٢٦ عقدناه لذكر ما يقاسيه المحب من ركوب الاخطار فى طلب الاوطار فهو

لايزال مشغولا بحاله متقلبا بحث أحماله يقاسى فى طلب الحبيب من الاهوال ماهو اثقل من الجبال ويسمح فى مقابلة اللمعة اليسيرة منه بالنفس والمال (قال الطغرائى)

ومن طلب الاحبة كان اسخى
يبذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من
نضى من دون مطلبه حسامه
(وقال ايضا)

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت
برشقة من نبال الاعين النجل
ولا اهاب الصفاح البيض تسعدنى
باللمح من خال الاستار والكلل

وقال الامام محمد بن داود الظاهرى

حملت جبال الحب فيك واننى
لاعجز عن حمل القميص واضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة
ولكنه شئ به الروح تكلف

وهذا البيت الاخير مثل قول الآخر

وكم فى الناس من حسن ولكن
عليك لشقوتى وقع اختيارى

وقد أنصف هذا العاشق لاعترافه بان ثم من هو أحسن من محبوبه ولكن غلبة الهوى وميل النفس اوقعاه فى هواه ومن أحسن ما سمعته فى طلب الاوطار وركوب الاخطار قول ابن خفاجة

لقد جبت دون الحى كل تنوفة
يحوم بها نسر السماء على وكر
وجئت ديارا الحى والليل معارق * منمنم ثوب الافق بالانجم الزهر
وخضت ظلام الليل يسود فحمة * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
اشيم بها برق الحديد وربما * عثرت باطراف المثقفة السمر

عامل فاصطفانى منه وارسلنى لعبد الملك فوهبنى لابنته فقال احق هو قالت لا قال هل له ورثة قالت ولد فاحضره وامره ان يذكرما اغرم الحجاج اباه واعطاه عمر رضى الله عنه ذلك مع الجارية وقال له احذر ان يكون ابوك نالها فقال هى لك يا امير المؤمنين فأبى فقال اتبيعها فأبى فقالت الجارية اين وجدك بى قال قد زاد ولكنى انهى النفس عن الهوى (وحكى) ان امرأة كانت فى بنى اسرائيل قد حازت ثلث الحسن وكانت لاتمكن من نفسها الا بمائة دينار فأعجبت شخصا فمضى فجمع مائة دينار وجاء اليها فقالت ادفعها الى الجهبذ يعنى الناقد ففعل فلما نقدها تهيأت وجلست على سرير من ذهب فحين تمكن منها أخذته الرعدة فقالت خل عنك ولك المائة فقال أجبتك فجمعت المال وجاءت به وقالت لئن صدقت فليس لى زوج غيرك فخرج فباعت متاعها وجاءته فحين رآها شهق شهقة فمات فقالت أما هذا فقد فات فهل له أحد قالوا له أخ فتزوجت به اكراما له قال ابن عباس فجاء منها سبعة أنبياء * وأما قصة بشر وهند فقد آتت بها الشهرة الى ان افردت بالتاليف وحاصلها ان بشرا رجل من اسد ذكره الحافظ ابن حجر فى القسم الاول من الاصابة وهند جهنية قيل ذكرت فى حديث ساقط وكانت بالمدينة فى عمر بشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلقته وتعرضت اليه بمراسلات بأشعار اظنها موضوعة لاهما لها فلذلك حذفتها فلما رأى بشر الحاحها هجر المعمر وصار يأتى من غيره فلزمت الوساد وهم زوجها ان يدعو لها الاطباء فنهته وقالت أنا أعرف علتى فلما علمت الطريق التى يمر منها بشر اخبرت زوجها انها رأت فى نومها انها متى سكنت فى موضع كذا شفيت فنقلها من وقتها فكانت تنظر اليه فيرث وأطلعت عجوزا على أمرها فوعدتها أن تجمعها به ثم وقفت له فسألته ان يقرأ لها كتابا أو يكتبه ففعل وهند تسمع ثم قالت له العجوز أرأيت مسحورا وما قلت لك الا عن يقين ثم وعدته ان يأتيها يوما للتنظر له فيما يصلح له وقالت لهند قد سمعت فهيئى فلما خرج زوجها الى بعض القرى وقد وعدت العجوز بشرا فجاء فحين جلس ادخلت هندا عليه واغلقت الباب فجاء زوجها فحين رآه طلقها ثم مضى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سل هذا لم دخل بيتى فقال بشر والذى بعثك بالحق ما كفرت منذ اسلمت ولا زنيت مذ عرفتك ولكن القصة كذا وكذا فاذب العجوز وقال أنت أصل البلية وانصرفوا فلم يمكث بشر حتى ابتلى بحب هند وراسلها فامتنعت فلم يزل حتى مات فجاءت فحين رأته سقطت ميتة ودفنا معا فجاءت العجوز الى النبى صلى الله عليه وسلم معتذرة فاخلصت توبتها (وفى امتزاج النفوس) عن رجل من أصحاب الحديث قال دخلت ديرا كنت أعرف فيه راهبا معروفا بالاخبار فوجدته مسلما وجميع من فى الدير فسألته عن السبب فقال عشقت جارية منا غلاما مسلما عابدا وافتتنت به ودعته اليها فأبى فلما زادها الوجد أعطت مصورا مالا فنقش لها صورته فكانت تقبلها وتبكى كل يوم الى الغروب وتنصرف فبلغها موت الغلام فعملت مأتمه ثم التزمت لثم الصورة فلما أصبحنا وجدناها

ثم التى الاصعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد اظل على خمر ولاشمت الاغرة فوق اشقر * فقلت جباب يستدير على خمر
فسرت وقلب البرق يخفق غيرة * هنالك وعين النجم تنظر عن شزر (قلت) ٢٧ انظر الى هذه الابيات التى أفرغت فى قالب

ميتة الى جانبها وعلى يدها مكتوب

ياموت دونك روحى بعد سيدها * خذها اليك فقد اودت بمافيها
أسلمت وجهى للرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها فى جنان الخلد يجمعها * يوم الحساب ويوم البعث باريها
مات الحبيب ومات بعده كمدا * محبـــــة لم تزل تشقى محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فأخذوها ودفنوها الى جانبه فرأيتها فى النوم فقلت مافعل الله بك فأنشدت

أصبحت فى راحة مما جنته يدى * وبت جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبى كلها وغدا * قلبى خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة * وقلت انك لم تولد ولم تلـــد
أثابنى رحمة منه واسكننى * مع من هو بت جنانا آخر الابد

فعلمت ان الاسلام حق فاسلمت وأسلم أهل الدير بسببها (وحكى الشيزرى فى روضة العشاق) عن راهب أسلم وكان اسمه عبد المسيح قال سئل عن سبب اسلامه فحكى انه كان عندهم جارية نصرانية تبيع الخبز فهويها شاب مسلم واشتد حاله فى حبها فسلطت عليه الصغار فضربوه فلما علمت صدقه عرضت عليه نفسها فى الحرام فأبى فعرضت عليه التنصر فأبى فأمرت الصغار بضربه حتى مات وهو يقول اللهم اجمع بيننا فى الجنة فرأته فى النوم وقد انطلق بها الى الجنة فشفعت لاجل الاسلام فاسلمت ودخل بها فأراها قصرا من اللؤلؤ وقال هذا الى ولك وستأتى بعد خمس ليال فاستيقظت فاسلمت ولزمت قبره حتى ماتت بعد خمس ليال فاسلمت لذلك (وحكى ابن عاصم) قال قال لى بعض أصحابى بالكوفة هل لك أن تنظر الى عاشق فقلت نعم فانى أسمع الناس يذكرون العشق فمضى بى الى دار فرأيت شابا مطرقا ساكتا لا يكلمه الناس ولا ينطق وعلى يده وردة حمراء فقال صاحبى كأن فلانة ارسلتها اليك فحين سمع ذكرها رفع رأسه وأنشد

جعلت من وردتها * تميمة فى عضدى
اشمها من حبها * اذا علانى كمدى
فمن رأى مثلى فتى * يا لحزن أضحى مرتدى
اسقمه الحب وقد * صار حليف الاود
وصار سهوا دهره * مقارنا للكمد

فمضينا فما بلغنا الباب حتى مات فرجعنا التشهده فحين دفناه اقبلت جارية مسفرة ما رأيت أحسن منها فما تركت ترابا على القبر حتى جعلته على رأسها فجاء قوم فحفروها فقلت ارفقوا بها فقالت دعهم يبلغوا همتهم فوالله لا ينتفعون بى فما انقضى اليوم حتى ماتت فسألت عن القصة فقالوا انه كان يعشقها فبذل فى شرائها ملكه فأبوا عليه حسدا ان

بجيب وأسلوب غريب فبينا
صاحبها يصف أدهم الليل اذ
مالت عليه الخيل كل الميل
وبيناهو يكافح الاسود اذ به
يتهدد على النهود وبيناهو يقيم
قدود الملاح مقام الرماح اذا
به يقول لخدودها
من صد عن نيرانها
فانا ابن قيس لا براح
قد أحسن فيها الاستعارة وساير
بنظمها العالى وعددها السبعة
السيارة فنظمه فى النجوم
ودمع المتلبس بحالته كالرجوم
ومن شعره فى هذا النمط ودره
الداخل فى هذا السفط قوله أيضا
وليل طرقت المالكية تحته
أجد على حكم الشباب مزارا
تخالطت أطراف الاسنة انجما
ودست بها الات البد وردبارا
(وقال أيضا)
يعللنى منه بموعد رشفة
خيال له يغرى بعطل وليان
شققت عليه لجة من صوارم
عليها حباب من أسنة مران
(وقال ابن بسام)
لقد صبرت على المكروه اسمعه
من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا اخلاق لهم
لولاك ما كنت أدرى انهم خلقوا
(وقال الآخر)
تهون علينا فى المعالى نفوسنا
ومن يطلب العلياء لم يعيه المهر
تروم المجد ثم تنام ليلا
ولا بد دون الشهد من ابر النحل
(وقال آخر) يغوص البحر من طلب اللآلى * ومن طلب العلا سهر الليالى
لقد أطمعت نفسك بالمحال (وقال المتنبى) تريدين ادراك المعالى رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

(الباب السادس والعشرون فى طيب ذكر الحبيب) (أقول) هذا باب عقدناه لذكر من صال وجال وذكر محبوبه

حين تكسرت النصال فى كل موقف ٢٨ الوقوف فيه هزيمة والموت غنيمة ولاسيما اذا اقيمت القسى مقام الحواجب

والتبست الخدود بنهود الكواعب واشتبهت الرماح بالقدود والبيض بحمرة الخدود هنالك يجعل حبيبه المشار اليه نصب عينيه لايلهيه عنه ضرب الحسام ولا جعله غرضا للسهام وعلى هذا حكاية الطغرائى التى ارتبى فيها على عنترة العبسى وزاد بها فى الوفاء بشرط المحبة على كل جنى وانسى وهى ما حكاه غير واحد من أرباب التاريخ ممن خبر وخبر وتصدى وتصدر وذلك ان مؤيد الدين نخر الكتاب أبا اسمعيل الحسين الاصبهانى المنشئ المعروف بالطغرائى كاتب الانشاء للملك مسعود لما كانت الوقعة بين الملك مسعود وبين أخيه السلطان محمود بالقرب من همذان والرى وانهزم الملك مسعود كان أول من أخذ الطغرائى فلما عزم السلطان أخو مخدومه على قتله بعدان قيل له عنه أشياء من جملتها انه ملحد وانه يحب المملوك الفلانى من مماليك السلطان ممن كان السلطان يحبه ويميل اليه فاغروه عليه الى ان أمر بقتله وان يشد الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة ليرموه بالسهام ففعل ذلك وأوقف انسانا خلف الشجرة من غير ان يشعر به الطغرائى وأمره ان يسمع مايقول وقال لارباب السهام لاترموه الا اذا اشرت اليكم فوقفوا والسهام فى أيديهم مفوقة لرميه (واخبرنى) بعض من حكى لى هذه الحكاية من أهل الادب ان أول من فوق اليه السهم المملوك المتيم هو بحبه فأنشد الطغرائى فى تلك الحالة يقول

يكون عنده مثلها فأرسلت اليه تقول مرنى بما شئت فأرسل اليها ان الزمى طاعة ربك ومولاك وأقبل على الزهد وهو مع ذلك لاينفر عن ذكرها حتى بلغ الى مارأيت

(النوع الثانى فى ذكر من بلغه زهده الامان فعصمه من الغلمان)

وهؤلاء قوم جرت عليهم خصال البشر حتى افتتنوا باستحسان بعض الصور ثم عند ارادة النزوع ومقاربة الوقوع كشفت لهم حقائق الاحوال عن قبيح عواقب الافعال فرجعوا الى انفسهم فذكروها خشية الله فزجر كل نفسه حتى غلب على هواه قال بعضهم مررت بعدائن قوم لوط فأخذت منها حجرا لحاجة فحين نزلت فى دارى جعلته فى طبقة فجاء رجل ومعه غلام ولم يشعر بى فقضى منه وطر افسقط الحجر عليه فمات فتعجبت من ذلك * فمن المذكورين صوفى يسمى المهرجان كان مجوسيا ثم حسن اسلامه قال من شهده رأيته ببيت المقدس ومعه غلام جميل ينام الى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلى ماشاء وينام يفعل ذلك مرارا كل ليلة فاذا طلع الفجر قال اللهم أنت تعلم ان الليل قد مضى على سليما لم اقارف فيه فاحشة ولا كتبت الحفظة على فيه معصية وان الذى اضمره فى قلبى لو حملته الجبال لتصدعت اوكان بالارض لتدكدكت ثم يالليل اشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عز وجل عن طلب الحرام والتعرض للآثام ثم يقول سيدى انت جمعت بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع الاحباب فقلت له قد سمعتك تقول كذا وكذا فما الذى يدعوك الى عشرة من تخاف على نفسك منه فبكى وذكر ان مقصوده بذلك امتحان نفسه * وعالج بعضهم نفسه فى صحبة الاحداث بالهجر قال أبو حمزة رأيت صوفيا يصحب غلاما دهرا طويلا ثم هجره فسألته عن ذلك فقال وجدت نفسى عند الخلوة به تحدثنى بما يسقطنى من عين الله ففارقته ليثيبنى الله ثواب الصابرين عن محارمه و يجمع بيننا فى دار الكرامة قال ورأيت ايضا رجلا ومعه غلام يصحبه فمات الرجل فلم يبرح الفتى محزونا فقلت له مالك تسلو عن صاحبك فقال كيف اسلو عن شخص أحسن تأديبى وعصمنى من الفسق * وحكى أبو حمزة الصوفى قال نظر رجل صوفى الى غلام جميل فافتتن به فأقعد فكأنا تأتيه وتسأله عن حاله فلا يخبره و يلح الغلام حاله فعاده فهش له وضحك فاكثر من زيارته فقام وذهب مرضه فعزمه الفتى يوما فابى ان يذهب معه فقلت له لاى شئ امتنعت فقال لست معصوما وأخاف ان تحدثنى نفسى عند الخلوة بما يحجبنى عن الله * وحكى ايضا قال صحب محمد بن قطن الصوفى غلاما زمنا طويلا فلما مات الغلام نحل حتى بدا عظمه فرأيته يوما وقد وقف على قبره يبكى والسماء تمطر فما برح حتى جئت من الغد فوجدته ميتا فدفنته الى جانبه * وصحب أبو الحسن غلاما كأنما خلق الحسن على صورته أو خلق من نفس من ينظر اليه فكان يأتى به الى بيته فتحدث الناس فيهما فمنع الغلام أهله من صحبة أبى الحسن فنحل حتى شارف الموت فانشد

يامن بدائع حسن صورته * تشفى اليه اعنة الحدق

لى منك ما للناس كلهم * نظر وتسليم على الطرق

لكنهم سعدوا بامنهم * وشقيت حين أراك بالفرق

ولم يزل حتى مات وغالب هذا الباب من رواية أبى حمزة عنهم والكل متقارب مكرر انتهى ماأردنا تحريره من احوال العشاق على اختلاف انواعهم

(خاتمة فى ذكر ماعولج به العشق من الدوا وقصديه السلو عن الهوى) وهو الباب الرابع من الكتاب قد سبق فى صدر الكتاب انه لاعلاج للعشق على الاصح الادوام الوصال مالم يتمكن أو يوقع فى الخبال فمن العلاج ماذكر عن عمر رضى الله عنه انه عالج بالتغريب وتشويه الخلقة وذلك انه مر ليلة فى المدينة فسمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها * أو من سبيل الى نصر بن حجاج

الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج

تمته اعراق صدق حين تنسبه * أخى حفاظ عن المكروب فراج

فقالت لها امرأته معها من نصر قالت رجل أو دلو كان معى طول ليلة ليس معنا أحد فدعا بها عمر فحققها بالدرة ودعا بنصر فحلق شعره فعاد أحسن ما كان فقال له لاتساكنى فى بلدة يتمنالك النساء بها وأخرجه الى البصرة وخافت المرأة فكتبت الى عمر تستعطفه

قل للامام الذى تخشى بوادره * مالى وللخمر أو نصر بن حجاج

انى غنيت أباحفص بغيرهما * شرب الحليب وطرف غيره ساجى

ان الهوى ذمه التقوى فقيده * حتى اقر بالجام واسراج

أمنية لم أطر فيها بطائرة * والناس من هالك فيها ومن ناجى

لاتجعل الظن حقا أو تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجى

وكان عمر قد سأل عنها فوصفت له بالعفاف فارسل اليها قد بلغنى عنك خير فقرى ومضى على نصر مدة بالبصرة فأرار عاملها ارسال بريد الى المدينة فدس نصر بن حجاج كتابا يستعطف فيه عمر ويسأله العود وفيه يقول

لعمرى ان سيرتنى أو حرمتنى * وماتلت من شقى على حرام

ان غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض امانى النساء غرام

ظننت بى الظن الذى ليس بعده * بقاء فمالى فى الندى كلام

فاصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لى فى المكتين مقام

ويمنعنى مما تظن تكرمى * وآباء صدق سالفون كرام

ويمنعها مما تظن صلاتها * وحال لها فى قومها وصيام

فهذان حالانا فهل أنت راجعى * فقد جب منى كاهل وسنام

فقال عمر أما ولى سلطان فلا وبعث اليه فاقطعه بالبصرة مايعيش به وقيل نزل نصر على

واقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوى واطراف المنية شرع والموت فى لحظات احور طرفه * دونى وقلبى دونه يتقطع

بالله فتش عن فؤادى هل ترى * فيه لغير هوى الاحبة موضع ٢٩ أهون به لو لم يكن فى طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فامر السلطان باطلاقه وحل وثاقه لما رآه من ثبات جنانه وسحر بيانه وقد زاد هذا العاشق على من تقدمه من المتصفين بهذا الوصف كابن عطاء السندى حيث يقول

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت منى المثقفة السمر

فوالله ما أدرى وانى لصادق * اداء عرانى من خيالك ام سحر

(وقال عنترة)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(وما ارق قول الطغرائى أيضا)

انى لاذكركم وقد بلغ الظما * منى فاشرق بالزلال البارد

وأقول ليت احبتى عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال آخر)

ذكرت سليمى وحر الوغا * كقلبى ساعة فارقتها

فشبهت سمر القنا قدها * وقد مان نحوى نعانقتها

(وقال ابن تميم)

ألا من يبلغ المحبوب أنى * وقفت وللظى حولى صئيل

وانى جلت فى جيش الاعادى * برمحى وهو فى فكرى يجول

(وقال أيضا)

ولقد ذكرتك والصوارم لمع * من حولنا والسمهرية شرع * وعلى مكالحة العدو فتى الحشا * شوق اليك تضيق عنه الاضلع

ومن الصبا وهم جراشيمتى * حفظ الود فكيف عنه ارجع (وقال الشريف البياضى) ولقد ذكرتك والطبيب معرس

والجرح منعمش به المسبار وادیم وجهی قد فراه حدیده * وعیینه حذرا علیّ یسار فشغلتنی عما لقیت وانه

لتضیق منه برحبها الاقطار (وقال ابن رشیق) ٣٠ ولقد ذکرتک فی السفینة والردی * متلاطم متوقع الامواج

والجو یطل والریاح عواصف

واللیل مسود الذوائب داجی

وعلی السواحل للاعادی عسکر

یتوقعون لغارة وهیاج

وعلت لاصحاب السفینة ضجة

واناوذ کرتک فی الاتناجی

(وقال أبو الثناء محمود)

ولقد ذکرتک والسیوف لوامع

والموت یرقب تحت حصن المرقب

والحصن فی شفق الدروع تخاله

حسناء تزفل فی رداء مذهب

والموت یلعب بالنفوس وخاطری

یلهو بطیب ذکرک المستعذب

(وقال صفی الدین الحلی)

ولقد ذکرتک والمجاج کانه

مطل الغنی وسوء عیش المعسر

والسوس بین مجندل فی جندل

منا وبین معفر فی معفر

فظننت انی فی صباح مسفر

بضیاء وجهک او مساء مقمر

وتعطرت أرض الکفاح کانما

فتقت لنا أرض الجلاد بعنبر

(وقال أیضا)

ولقد ذکرتک والجماجم وقع

تحت السنابک والاکف تطیر

والهام فی أفق الجحاجة حوم

فکانها فوق النسور نسور

فاعتادنی من طیب ذکرک نشوة

وبدت علی بشاشة وسرور

فظننت انی فی مجالس لذتی

والراح تجلی والکؤس تدور

(وقال آخر) وله حکایة مثل حکایة الطغرائی المتقدمة مذکورة فی منازل الاحباب ولقد ذکرتک والرماح تنوشنی * عند الامام وساعدی مغلول الخفاش

ولقد ذکرتک والذی أنا عبده * والسیف فوق ذؤابتی مسلول (وقال أبو طالب الرفاء) ولقد ذکرتک والظلام کانه

مجاشع بن مسعود السلمی من بنی عمه فاکرمه ورفع محله وسمی نصر بها الملقبی وکان تحت مجاشع شمیلة بنت أبی حیا بن أبی بهر وکانت من اجمل النساء فتولعت بنصر وتولع بها وزاد حبهما فاختفیا وکان مجاشع آمنا فکتب لها نصر یومافی الارض أحبک حبا لو کان فوقک لاظلک او تحتک لاقلک فکتبت هی وأنا وقیل قالت ذلک بلفظ خفی فقال مجاشع ما قال قالت یقول ما أحسن دارکم فقلت وأنا قال ماهذا الهذا وجعل علی الکتابة صحفة فخین أصبح دعا غلاما فقرأها فقال هی طالق ألفا یا ابن أخی فقال نصر وهی طالق ان تزوجت بها وقیل ضغف نصر من حبها فارسلها مجاشع الیه بطعام فضت به فضمت نصرا الی صدرها واطعمته بیدها فشفی من وقته فقال بعض الحاضرین قاتل الله الاعشی حیث یقول

لو أسندت میتا الی صدرها * عاش ولم ینقل الی قابر

وقیل لما عادت عنه مات وعاشت شمیلة طویلا وقتل مجاشع یوم الجمل وقیل اسمها خضراء وانها من بجیلة وانها أول من لبست الشفوف وقیل ان مجاشعا حین طلقها أخبر أبا موسی بالقصة وکان عاملا علی البصرة فقال لنصر ما آخرجک أمیر المؤمنین من خیر اخرج عثمانا فی فارس فعلقته دهقانة فبلغ عثمان بن أبی العاص فقیل اخرجه الی الشام وقیل انه حین عزم علی اخراجه قال ان أخرجونی لحقت بالشرک فکاتبوا عمر فأمر بجز شعره وتشهیر ثیابه والزامه المسجد والمتنبیة هی فریعة بنت همام کانت اذذاک تحت المغیرة بن شعبة ثم تزوج بها یوسف الثقفی فأولدها الحجاج وبها کان یضرب المثل فتقول العرب اصبأ من المتنبیة وادنف منها * ومن السلو عن الهوی استعمال الحساب والخوض فی المشاجرات ونحو ذلک مما سبق ومنه رقوات وکابات قیل وجد علی قبر الملوک حجر أو صحفة ذهب مکتوب علیها

ما أحسنت سلمی الیک صنیعها * ترکت فؤادک بالفراق مروعا

قیل استخبرت کاهنة عن البیت قالت کانوا یکتبونه مقلوبا ویسقونه العاشق فیسلو ومن الشائع بین العرب ان تراب قبر العاشق اذا شرب منه فی خشب الطرفاء یوم الاربعاء قبل طلوع الشمس احدث السلو (وأخبرنی) من اثق به بدمشق سنة خمس وستین وتسعمائة بالجامع الاموی قال عشق صدیق لنا امرأة وازداد ولوعه بها حتی أنفد مامعه وهی تکثر التجنی علیه ومرض من حبها حتی أیس من حیاته وعزم علی ان یشرب السم لیموت فشکا ذلک الی صاحب له فکتب له فی کفه یوم الثلاثاء عشر صادات وأربع عینات وثلاث باآت وخمس ها آت وعشرین کافا وأمره ان یلحس ذلک وکرر الفعل ثلاثا فکان الله لم یخلق حبها عنده (ورأیت فی کتاب للبونی) سماه خزائن الاسرار فی علم الحروف والاصفار انه من کتب سورة یس فی نحاس ومحاها بماء المطر وشرب البعض واغتسل بالبعض سلا وقیل ان عین البوم الیسار واظفار

یوم النوی وفؤاد من لم یعشق وللناس فی هذا البیت کلام وقال الشیخ أثیر الدین أبو حیان

واقدذ کرتک والبحر الخضم طغت * أمواجه والوری منه علی سفر ٣١ فی لیلة اسدلت جلباب ظلمتها

الخفاش اذا جعلت فی جلد حمار وحش وحملت علی العضد الایسر احدثت السلو ویقال ان حجر الجزع اذا علق فعل ذلک ولکن قد جرب ان حمله یورث الهم

* (الباب الرابع فی ذکر ماسوی البشر ومالقوا من العسیر) *

وهو نوعان (الاول) فی الجنة ومالقوا من المحنة اسند المصنف عن الحافظ ابن حجر العسقلانی برفعه الی البیهقی انه قال تزوج سعد بن أبی وقاص امرأة فرأی عندها علی الفراش ثعبانا فهم بقتله فقالت هذا کان یتبعنی وأنا فی بنی عذرة عند أهلی فقال له سعد هذه امرأتی تزوجتها علی کتاب الله وسنة نبیه فاذا تریدمنها فانساب حتی دخل مسجد النبی صلی الله علیه وسلم وصعد فی السقف فلم یر بعدها (ویحکی) عن الربیع بنت معوذ ابن عفراء من طرق مختلفة کثیرة حکایة حاصلها ان جنیا أتاها فی هیئة ثعبان اسود فعالجها فأتی بکتاب أو قال رق أو نحاس فیه بسم الله الرحمن الرحیم من رب الکبیر الی الکبیر أو قال من رب کعب الی کعب لیس لک علی بنات الصالحین أو قال علی امتی بنت عبدی الصالح سبیل فقرصها قرصة بقیت الی الموت أو قالت جعل یده فی حلقی فاسود وأخبرت بذلک عائشة (وحکی) عن رجل انه سافر فجاءه جنی الی زوجته فی زیه فلما جاء قال له لک لیلة ولی لیلة والا قتلتک فانی أحبها فاتفقا علی ذلک فجاء الجنی لیلة فقال انا نستوفی السمع بالنوبة وهذه لیلتی فهل لک ان تکون معی قال نعم قال فخافنی حتی لصق بالسماء فسمع قائلا یقول ماشاء الله لاحول ولاقوة الا بالله العلی العظیم فوقع وراء ق فصرت أقولها اذا جاء فیذهب الی ان مضی ولم أره وعندی فی هذه بعد لانه کان راکبه فکیف جاء الی أهله حین سقط الجنی فی الخراب (واما حکایة الدیک) فقد أورد المصنف بعضها وأصل ذلک ان رجلا خرج لحاجة له فرأی شخصا یمشی فتحادثا الی ان قربا من القریة فقال الشخص للرجل انا جنی وقد صار بیننا صحبة ولی الیک حاجة فهل تقضیها لی قال نعم فقال امض الی بیت فلان فان عندهم دیکا أبیض معشرا فاشتره بما عساه ان یکون واذبحه فقال له کرامة ولکن أنا أیضا لی الیک حاجة فقال وما هی قال تخبرنی اذا البستم الانس ما الذی یخرجکم فقال له الجنی انی مقیدلک ذلک بشرط ان تکتمه فلما وافقه قال له خذ عنی من أخذ من بین عینی حمار وحش قطعة کالسعیر فجعلها فی عضده الشمال ولبس من حافره خاتما لم یقربه جنی قضی الانسی فاشتری الدیک وکان عندهم جاریة لم یر أحسن منها فحین ذبح الدیک صرعت فجاؤا الیه وتعلقوا به فقال علی برؤها فمضی وصنع لها الخاتم والسعیر فحین دنا بهما منها صاح الجنی وقال له اوعلی نفسی علمتک والله ان فارقتها مت فلم یلتفت الیه والبسها ذلک فذهب عنها * (النوع الثانی) * فی ذکر من کلف وهو غیر مکلف وأوهن العشق قواه حتی تلف او کاد ان یتلف قد اسلفت لک فی صدر الکتاب کیفیة ارتباط العالمین فی التکالیف وتداخل اللطیف فی الکثیف واختلاف القوابل والفواعل وقد

وعار کوکبها عن أعین البشر

والفلک فی وسط الامواه محسبها

عینا وقد أطبقت شفرا علی شفر

والروح من حزن راحت وقد وردت

صدری فیالک من ورد بلا صدر

هذا وشخصک لا ینفک فی خلدی

وفی فؤادی وفی سمعی وفی بصری

وقلت أنا فی رمل طریق مصر الی الشام من مقامة

واقدذ کرتکم برمل روعه

فی قلب کل مشرف ومغرب

وبنو بیاضة کالدبی من حولنا

بسوادهم سدوا فسیح السبسب

والقضب تبری هام کل مدجج

من کف اشوس بالحروب مهذب

واسنة الارماح تلمع فی الدجا

کومیض برق فی الدجا متلهب

وعلی العوالی کل نسر واقع

یفری ادیم اللیث منه بمخلب

والرعد للارماح رعد قاصف

والبحر یهدر کالهزبر الاغلب

والبر بحر بالدماء البحر بر

بالفریج وکل کلب أجرب

وعلی السواحل غارة شعواء ما

فیها لمن یرجو النجا من مهرب

وانا باوتار القسی کأننی

فیه اغنی بالرباب وزینب

وأقول لیت أحبتی یدرون ما

أنا فیه من لهو وعیش طیب

وقال مجنون لیلی

ذکرتک والحجیج له ضجیج

بمکة والقلوب لها وجیب

أتوب الیک یارحمن مما * جنیت فقد تکاثرت الذنوب

فقلت ونحن فی بلد حرام * به لله أخلصت القلوب

فاما عن هوی لیلی وترکی * زیارتها فانی لا أتوب

وللناس علی هذا البیت الاخیر کلام (وحکی) عن لیلی الاخیلیة انها

مرت مع زوجها بقبر توبة بن الحمير فقال لها هذا قبر الكذاب الذى قال ولوان ليلى الاخيلية سلمت
على ودونى جندل وصفاتح ٣٢ لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح فقالت دعه

فقال أقسمت عليك الا مادنوت
منه فسلمت عليه فأبت فكرر عليها
ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت
السلام عليك يا توبة طار من
جانب القبر طائر كان هناك وزقا
وتقرمنه جمل ليلى فوقعت من
اعلاه فاندقت عنقها وماتت من
وقتها ودفنت الى جانب توبة وهذا
من العجائب لانه وفى لها بما التزمه
بعد الموت وقد بالغ الآخر حيث
قال

لوحز بالسيف رأسى فى مودتها
لم يهو سرا بعادا نحوها راسى
ولو بلى تحت أطباق الثرى جسدى
لكنت أبلى وما قلبى لكم ناسى
لو يقبض الله روحى صار ذكركم
روحا أعيش به مادمت فى الناس
(وقال آخر)
واقد ذكرتك والظلام معبس
وأنا قعيد فى البيوت وحيدتى
والجو يصفر من قعودى فى الهوا
ما فيه من خل يكون عنيدتى
والبق والناموس حولى عسكر
يتقاتلون على شريب دمعتى
والفار يلعب فى الزوايا دائما
وينط كالقعقاع فوق كويرتى
والعنكبوت يحوك حلة خيمة
يصطاد ذبانا تجوز كويتى
والاكل خبز مثل راسى يابس
والشرب هر من دخين بليدتى
وسماع نغمات طنين بعوضة
وصرير صرصرة وصفر بويمة
فوددت تعنيق الغويرة كلما * باصابع للشيب فيها فى الرقة
نعت لانك مثلها فى الخفة وحسدت أيدى العنكبوت لشبهها الهم
وطربت من صوت الصرا صر نغمة * اذ أشبهت نغمات صوت حبيبتى

رؤى استعداد كل لصاعدا ونازل وان العشق سر يودعه الله فى الارواح عند صفائها
وسهولة انقيادها ثم يختلف باختلاف البواعث والدواعى وميل النفوس بحسب
مرادها فعلى هذا لايخص نوعا دون نوع من أحد الاجناس كما ترشد اليه ادلة التجربة
والقياس غير انه مختلف الرتب كما لايخفى على ذوى الادب وقد صح كما سبق ان
الانسان أفضل الموجودات لعلمه باحكام الاحوال المختلفات فلذلك كان واسطة
نظام هذا الشأن ثم ما يليه الاقرب فالاقرب من أنواع الحيوان حتى ينتهى القول الى
الاجرام العنصرية وما بينهما وبين الطبقات السماوية وحيث انهينا الكلام فى هذا
المقام على ما يتعلق بالانسان فلنبين كيفية دخول العشق فى باقى أنواع الاجسام
فنقول هذا النوع فى خمسة أصناف * (الصنف الاول فى الطيور) * هى الطف الحيوان
مزاجا لاعتدال كثيفها بخرق الهوا وذهاب فضلاتها فى نحو الريش فلذلك داخلها
التألم بالنوى حكى الحافظ عن بعض الثقات انه تفرد فى معبد منقطع فوجد فيه
حمامتين بيضتان فاذا برق الفجر ذهبتا فلا يأتيان الى الليل قال وكنت أشهد احداهما
تتخلف فتأتيها الاخرى بقوتها وداما على ذلك مدة فلما كان يوم من الايام خرجتا فاذا
بباشق انقض فأخذ الواحدة فرأيت الاخرى تتبعه حتى غاب وأيست فعادت الى المبيت
وفيه ريش فلقد رأيتها تميز ريش المخطوفة حتى جعته وجعلت تضرب بجناحها الارض
وتتمرغ على الريش وتضرب نفسها حتى تنفت ما أمكنها من ريش نفسها فقدمت لها
أكلا وماء فلم تلتفت لشئ فلما طلع الصبح رأيتها ميتة والريش فى فمها (ورأيت فى كتاب)
لاأعلم مؤلفه سماه لطائف الاسرار وكيفية جريان الاقدار طالعته سنة تسع وخمسين
ولم يكن لى اذ ذاك اعتناء بهذه الاشياء ان غرابا كان يأوى الى حائط فيقيم به فجاء يوما
فوجد حية قد استولت على محله فذهب فجاء بحجر صغير فرماه عليها فماتت فقال من
رآه انه رمى به وأخذ الحجر فتبعته فمضى حتى ألقاه فى عش خطاف ثم صار يأخذ الماء
والاكل فيمضى بهما الى أفراخ الخطاف مدة طويلة ولم أشعر يوما الا وقد أقبل ومعه
اثنان من الخطاطيف فباتا معه ودام على ذلك أياما فبينا انا يوما اذا بالواحد منهما ساقط
فنزل الغراب فحمله فسقط فحمله عشر مرات فلم يستقر ساعة حتى رأيت الغراب يمزق
نفسه حتى مات فقمت الى العش فرأيت الخطاف ميتا والآخر الى جانبه يضطرب فمات
وأنا أنظره قلت ولم ازل اتفكر فى هذا الحجر حتى وقفت على خواص الاحجار فرأيت ان
داخل الصين اغوارا يسيل الماء فيها فينعقد حجرا اذا ترك مدة وغزل خيوطا كالحرير
تنسج منه أهل تلك البقعة ثيابا اذا اتسخت القيت فى النار فيذهب ما فيها وانه قبل ان
ينغزل اذا أخذ نفع من اليرقان والحصى وسائر السموم وانه يقتل الحيات بمجرد الرؤية
وحذاق الحكماء تعمد الى اعشاش الخطاطيف فتدهن فراخها بالزعفران فتظن أمهاتها
ان اليرقان اعتراها فتمضى الى اماكن هذه الاحجار فتأتى بها فتأخذها الحكماء سبحان من

ألهم كل شئ رشده (وفى الكتاب المذكور) ان رجلا اشترى زوج بط فلما ذبح الواحد
جعل الآخر يضطرب تحت المكبة حتى رفعت عنه فجاء الى الدم فلم يزل يتمرغ فيه حتى
مات * وقالوا ان اوفى الطيور فى المحبة القمرى والشفنى أعنى الفاختة وانه اذا مات
أحد الزوجين تعذب الآخر فلم يأنس حتى يموت وكثيرا ما سمعنا عن نحو البلبل
والشحرور والحنين الى الغناء واللاهى والاصوات الحسنة وان بعض الطيور نزل على
يد بعض الوعاظ حتى مات (وحكى عن سفيان) ان ببلا كان لولده وانه أقام يرعى ويأتى
البيت حتى قيل انه مضى مع الناس يوم موته الى القبر ورجع فاضطرب حتى مات * وأما
قصة الزاغ فمشهورة جدا وهى ان السعدى قال وجه الى يحيى بن اكثم بالمثلثة فدخلت
واذا عن يمينه قطر جلد يعنى قفصا فقال اكشفه فكشفته فخرج شخص نصفه الاعلى
انسان والاسفل زاغ فقال لى كلمه فاستعيته فانشد

أنا الزاغ أبو عجوه * أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا * ن والنشوة والقهوه
فلا عدوان لى يخشى * ولا يحذر لى سطوه
ولى أشياء تنتظر * ف يوم العرس والدعوه
فمنها ساعة فى الظهـ * ـر لا تستره الفروه
وأما الساعة الاخرى * فلو كانت لها ءروه
لما شكت جميع النا * س فيها انها ركوه

ثم قال يا كهيل انشدنى غزلا فقال يحيى قد استنشدك فأنشده فأنشدته

اغرك ان اذنبت ثم تتابعت * ذنوب فلم اهجرك ثم ذنوب
واكثرت حتى قلت ليس بصارمى * وقد يصرم الانسان وهو حبيب

فجعل يقول زاغ زاغ ونزل القطر فقلت ليحيى أصلحك الله اوعاشق ايضا ثم سألته عنه
فقال لا أعرف منه الا ما رأيت وقد وجه به صاحب اليمن الى أمير المؤمنين ولم يره بعد ومعه
كتاب لم افضه اظن فيه أمره ورويت هذه القصة عن سوى السعدى وانه كان عند
احمد بن أبى دواد وان الابيات التى أنشدها للزاغ هى

وليل فى جوانبه فضول * من الاظلام اطلس غيهبان
كان نجومه دمع حبيس * ترقرق بين اجفان الغوانى

(الصنف الثانى فى ذكر بعض ما وقع للحيوان من أمور العشق فى اختلاف الازمان)
حكى الشيخ قدس الله سره ان اعظم الحيوان ادراكا من ذوات الاربع الخيل وانها اقرب
من غيرها الى مزاج الانسان وقد بسطنا أحوال الحيوانات وما بينها من الاختلاف
والاتفاق والقرب والبعد فى كتب الزردقة والخيل أحسن الحيوانات مزاجا وادراكا
حتى انها لا تنزو على محرم أبدا قال الشيخ جئ لحصان باخته مبرقعة فلما نزل عنها انكشف

فبكيت شوقا حيث لا أنت معى * تتنعمين تنعمى فى غرفتى *(الباب السابع والعشرون فى طرف يسير من المقاطع ٣٣
الرائقة والاغزال الفائقة مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك) * أقول هذا باب عقدنا له ذكر طرف

يسير من الغزل والنسيب ومحاسن التشبيب مما يطرب سماعه ويؤخذ لطالع الحسن ارتفاعه كقول بلدينا الشاعر الظريف محمد بن العفيف

أيسعدنى يا طلعة البدر طالع
ومن شقوتى خط بخديك نازل
نعم قد تناهى فى الجفاء تطاولا
وعند التناهى يقصر المتطاول
وما كنت مجنون الهوى قبل ان
يرى
لقلبى من صد غيك فى الاسر عاقل
ولو لا سنان من لحاظك قاتل
لما كنت أدرى ان طرفك ذابل
ولم لا يصح الوجد فيك وناظرى
لنسخة حسن من سنالك يقابل
ولو أن قيسا واصفا منك وجنة
لاعجزه نبت بها وهو باقل
نعم هذا الباب من أوسع هذه
الابواب مجالا وأجراها جريا لا
وأحسنها خطابا وأعذبها انصابا
فيه يتميز سمين الشعر من غثه
وجديده من رثه ولا يكاد يجود
فيه الا ذاك ولا يدركه الا كثير
الدراية وما أدراك وقد تقدم
ان أغزل بيت قالته العرب قول
بشار

أنا والله أشهى سحر عينيك لك
وأخشى مصارع العشاق
(وقال محمد بن العفيف) وأحسن ما شاء

وعيون أمرضن جسمى
وأضرمن قلبى لواعج البلبال
نعم هذا الباب من أوسع هذه
الابواب مجالا وأجراها جريا لا
وأحسنها خطابا وأعذبها انصابا
فيه يتميز سمين الشعر من غثه
وجديده من رثه ولا يكاد يجود
فيه الا ذاك ولا يدركه الا كثير
الدراية وما أدراك وقد تقدم
ان أغزل بيت قالته العرب قول
بشار

أنا والله أشهى سحر عينيك لك
وأخشى مصارع العشاق
(وقال محمد بن العفيف) وأحسن ما شاء

وعيون أمرضن جسمى
وأضرمن قلبى لواعج البلبال

٥ تزنى وخدود مثل الرياض زواه * ما الايام وردها من زوال * لم أكن من جناتها اعلم
الله وانى بجمرها اليوم صالى (وقال أيضا) يحكى الغزال نظرة ولفتة * من ذرا مقبلا ولا افتتن * أحسن خلق الله لفظا وفيا

ان لم يكن أحق بالحسن فمن * في ثغره وخده وشكله * الماء والخضرة والوجه الحسن ولهذه الابيات حكاية اتفقت لابن تقي المقتول بالقاهرة (وقال أيضا) ٣٤ اذا مارمت حل البند قالت * معاطفه هنا لا يحل وان حلت بوجنته مدام

يرى لعذاره دور ونزل

(وقال أيضا)

بدا وجهه من فوق أسمر قده
وقد لاح من سود الذوائب في جنح
فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى
وقد طلعت شمس النهار على ربح

(وقال أيضا)

أحلى من الشهد من هويت وكم
فقت به في الهوى مرارات
وكيف لا تستطاب ريقته
وثغره سكر سنينات

(وقال آخر)

ومليح قال صفني
أنت في القول فصيح
قلت قولا باختصار
كل ما فيك مليح

(وقال ابراهيم المعمار)

ومليح قال صف حسني
أزداد سرورا
كم حوى جفني معنى
قلت القاف وكسورا

(وقال أيضا)

حاكمت في شرع الهوى قاتلي
ولي دم طل على خده
فاتهم الحاكم لحظاته
يحقق الفتنة من عنده
ومال للحق فلما رأى
قد غريمي مال مع قده

(وقال خطيب سمهود)

قال لي من هويت شبه قوامي
وقد اهتز بالجمال دلالا
قلت غصن على كثيب مهيل
صاحت به يد النسيم فمالا

(وقال ابراهيم المعمار) قال قول الوشاة عندي ريح * قلت اخشى يا غصن ان يستميلك (وقال آخر) قال لي أهيف المعاطف صف لي الثوب فعرفها الجعل يجري حتى ألقى نفسه من جبل شاهق فتقطع * وفي لطائف الاسرار ان رجلا من اصفهان ولدت عنده فرس حصانا وأخرى أنثى فائتلفا فكان اذا فرق بين واحدة وأخرى لا تتمنى كل منهما ولا تأكل ولا تشرب وتصيح حتى تجتمعا قال وربما كان يطرح الاكل للواحدة قبل الاخرى فلم تذقه حتى يطرح للاخرى قال وشاهدت احداهما تدفع بيدها حشيشا الى الاخرى وان احداهما مغلت فقصدها البيطار فلما رأت الاخرى الدم قطعت الرباط وجاءت فمرغت نفسها فيه حتى سقطت ميتة فلما رأتها المقصودة طرحت نفسها عليها فاذا هي ميتة (وحكى) فيه أيضا ان ملك الهند بعث الى صاحب بخارى بفيل فاحسن خدمته فلما كان يوم حرب بينه وبين قندهار وهم يركبون الافيال يقاتلون على ظهورها خرج به فحين اصطفوا نظر الفيل الى فيل آخر في ذلك العسكر فعلم حتى طرح ما عليه واخترق الصفوف حتى جاءه فانطرحا الى الارض وجعل كل منهما فنطيسته على الآخر وجاء الناس ليفرقوا بينهما فاذا هما ميتان * وفي اللطائف أيضا ان غزالا كان يأوي الى محل في جبل وان صيادا يتردد الى ذلك المحل فتبعه فرأى وعلا في غار وبيده ألم لا يمكنه المشي ورأى مع الغزال قطفا من عنب وهو يلقيه في فم الوعل فانصرف عنهما (وحكى فيه أيضا) عن شخص بغدادي خرج في بعض اسفاره فبينما هو جالس في القيلولة وقد بسط سفرة ليأكل اذا بكلب أقبل فأخذ رغيفا فقام وتبعه حتى انتهى الى غار فاذا فيه كلبة قد عطلت عن الحركة فجعل يكسر الرغيف ويضع في فمها ويترضاها فتعجب التاجر وانصرف (وحكى) الجاحظ ان ملكا من اقيال اليمن اعتنى بكلب فكان يلبسه الحرير ويطوقه الذهب ويجعله معه حيث كان فألفه الكلب حتى كان اذا غاب عنه لا يستقر فاعتراه يوما ضعف فخرج الملك الى الصيد وتركه في المطبخ وكان قد أوصى أن يطبخ له ارز بلبن فجعل الطباخ اللبن في القدر وخرج ليأتي بالارز فخرجت حية من السقف فسقطت في اللبن والكلب ينظر وجاء الطباخ فرمى الارز ولم يشعر حتى تهرت وخشي الطباخ سطوة الملك وقد فاجأه بطلب الارز فنزل وطلب أن يأكل في المطبخ فحين شرع في وضع الطعام جعل الكلب يصرخ ويضطرب فقال الملك ماله فقالوا لا نعلم فقدم له طعاما فامتنع وجيء بالارز الى الملك فصاح الكلب واشتد وجده حتى قطع السلسلة وعاجل الملك قبل أن يأكل فوضع فمه في الطعام وأكل فتقزز جلده لوقته ومات فضرب الملك الطباخين واستهزهم فأقروا فعلم ان الكلب فداه بنفسه لمحبته فكفنه في حرير وبنى عليه قبة قال الجاحظ وهي الآن باليمن تسمى قبة الكلب (وحكى) عن ابي العيرانه كان عنده حمار فمات فرآه في النوم ينشده شعرا يقول فيه انه مات عاشقا فسأله المتوكل ما الذي كان من شأنه قال يا أمير المؤمنين كان أعقل من القضاة ليس له هفوة ولا زلة فاعتل على حين غفلة فمات فرأيته في النوم فقلت له ألم أنقل لك الشعير وابرد لك الماء فما سبب موتك فقال أتذكر اذ وقفت بي على الصيدلاني يعني العطار قلت نعم قال مررت

اذ ذاك الآتان فافتتنت بها وامت فقلت وهل قلت في ذلك شيأ قال نعم وانشد

هام قلبي باتان * عند باب الصيدلاني
تتمنى يوم رحنا * بثنايا ها الحسان
ويخدي دلال * مثل خد الشيقران
فبهامت ولوعشـ * ـت اذا طال هواني

فقلت لها يا معاذ وما الشيقران فقال أنا مشغول بما أنا فيه وهذا كلام تعرفه الحمير فاذا رأيتم حمارا ومن كان أولا حمارا فاسألوه فضحك المتوكل حتى سقط وأمر له بعشرة آلاف درهم وتنسب القصة فيما حكاه صاحب نديم المسامرة الى بشار فهذا ما أردنا تلخيصه من امور الحيوانات

(الصنف الثاني في ذكر ما جرى من القوة العاشقية والمعشوقية بين الانفس النباتية)

نقل في لطائف الاسرار وبه جزمت الحكماء ان أصح النبات وأعدله وأكمله خلقا جمع امورا تسعة الورق والعود والثمر والنوى والصمغ والدهن واللبف والقشر والاصول وقد كمل في النخل ذلك فهذا أعدل النبات وفي الاخبار انه من طينة آدم وورد أكرموا عماتكم النخل وفي الصحيحين أتعرفون شجرة هي كالرجل المسلم الحديث وفي الفلاحة النبطية ان النخلة تخاف وتفرح وتعشق نخلة أخرى فقد صح ان النخلة اذا لم تحمل ضرب في أصلها بفاس ويقول شخص آخر لاي شئ هذا فيقول الضارب دعني أقطعها فانها لم تحمل فيقول دعها في ضماني العام فان لم تحمل فاقطعها فانها تحمل وقد جرب ذلك (وحكى) في النفائس قال زرع شخص أربع نخلات متقابلات فحسن ثمرهن سنين ثم أصيبت واحدة فيبست فلم تحمل التي في مقابلتها (وحكى) أيضا ان شخصا كان له نخل وكانت واحدة منهن تزهر وتسقط قبل الانعقاد وربما تثمر ويسقط قبل البلوغ فشكا ذلك الى حاذق فجاء حتى نظرها فقال انها عاشقة ثم دعا برصاص فصنع شريطا وربطه منها الى نخلة أخرى هنالك فحسن ثمرها في تلك السنة ودامت كذلك وان صاحب البستان قطع الشريط لينظر فأسقطت الزهر فأعاده فصلحت (وحكى) بعض ذلك في الخريدة وأما ما بين الفلفل والكافور والتين والنفط والزنجبيل والازدارخت فأشهر من أن يحكى وغاية الامر أن يدعى فيه الخواص فيقال ان شدة الائتلاف بين العاشق والمعشوق من قبيل الخواص

(الصنف الرابع فيما يثبت من الاسرار بين أصناف الاحجار)

اعتلاق المغناطيس والحديد مما لم يشك في وجوده وهذا الكثرة وجود المغناطيس والافلسائر المنطرقات أحجار من الجمادات تجذبها المشاكلة بينها في الزئبقية والكبريتية وهذا ظاهر التعليل * وأغرب منه ما حكي في اختصار الكائنات للمعلم ان بالبصرة بابا

هي في قلت يا رشيق القوام * لك قد لو لاجوارح لحظيه لك لغنت عليه ورق الحمام (وقال النور الاسعردي)
قد قنعنا بالخمر والماء والخضـ * ـرة والاهيف الرشيق القوام وتركنا مناصب الناس زهدا ٣٥ * فلماذا يؤذوننا بالكلام

(وقال ابن خفاجة)

ومهفهف طاوي الحشى
كالغصن يخطر ان خطر
فاذا رنا واذا شدا
واذا سقى واذا سفر
فضح الغزالة والحما
مة والغمامة والقمر

(وقال كثير عزة)

الله أعلم لو أردت زيادة
في حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم
يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها
خروا لعزة ركعا وسجودا

(وقال أيضا) من أبيات وهو أحسن ما قيل في حسن الحديث ولها حكاية حكاها المبرد في الكامل

من الخفرات البيض ودّ جليسها
اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

(وقال ابن الرومي)

وحديثها السحر الحلال لو انه
لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هي أوجزت
ودّ المحدث انها لم توجز

(وقال ابن حمديس)

لا يمل الحديث منها معادا
كانتشاق الهواء ليس يمل

(وقال ابن أبي الحديد)

بالله ضع قدميك فوق محاجري
فلقد قنعت من الوصال بذا كما
وأطل محادثتي فان مسامعي
تهوى حديثك مثل ما أهواكا

(وقال آخر) ومليح قلت ما الاسـ * ـم حبيبي قال مالك قلت صف لي وجهك الزا * هي وصف ابن اعتدالك قال كالبدر وكالغصـ * ـن وما أشبه ذلك (وقال العطوي) ذات خدين ناعمين ضنينيـ * ـن بما فيهما من التفاح

وثنايا وريقة كغدير * من عقار وروضة من اقاح (وقال امرؤ القيس) خليلي مرا بي على أم جندب
نقضي لبانات الفؤاد المعذب ٣٦ ألم تريانى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب وقال النميري وأحسن في الوصف

وبيضاء مكسال كعوب خريدة
لذيذ لذى ليل التمام التزامها
كان وميض البرق بيني وبينها
اذا حان من بعض البيوت ابتسامها
(وقال ابن أبي ربيعة)
طفلة باردة الصف اذا ما
معمعان القيظ أضحى ينقد
بضة المشتى لحاف للفتى
تحت ليل حين يغشاه الصرد
(وقال المتنبي)
ارخت ثلاث ذوائب من شعرها
في ليلة فأرت لياليا أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتني القمرين في وقت معا
(وقال ابن المستوفي الاربلي)
رأت قمر السماء فاذكرتني
ليالي وصلها بالرقتين
كلانا ناظر قمرا ولكن
رأيت بعينها ورأت بعيني
(قلت) وللناس عليه كلام ولهم على فهمه زحام حتى ان بعضهم وضع فيه كتابا (وقال آخر)
بروحي وجسمي ذلك العارض الذي
غدا مسكه فوق السوالف سائلا
دوى خده أني أجن من الهوى
فاظهر لي قبل الجنون سلاسلا
(وقال سعد الدين محمد بن عربي)
لما تبدى عارضاه في نمط
قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل نمل فوق عاج قد سقط
وقال قوم انها اللام نقط
(وقال آخر)
رأيت الهلال على وجهه من
رأيت الهلال على وجهه (وقال آخر) برزت تقابل ناظري من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل
أبكي فأنظر أدمعي في خدها * تجري فأحسب انها تبكي لي (وقال ابن قلاقس) فوق خديك دليل * ان تهد يك نمار وصلاحه

كالارنب يتولد في رأسها حجر اذا أخذ وأشير به الى اللحم أو الحيوان انجذب حتى يلصق بالحجر وفيه أيضا ان شخصا نزل بأرض اللؤلؤ مما يلي جزيرة رامهرام فوجد الشمس اذا أشرقت على أرضها ترتفع منها أشعة ثم تتراقص أحجارها وتضطرب حتى تجتمع فاذا غربت لشمس افترقت الاحجار

(الصنف الخامس فيما بث من الاسرار الملكية بين الاجسام والاجرام الفلكية وهذا منتهى الكائنات وسر الموجودات ومن حيث بدئ الشئ عاد عند مفارقة الفساد)

اعلم ان الايام والاجرام والبروج والكواكب والاجسام والدوائر متطابقة التأليف متوافقة التكييف قد تربعت جهة وربحا واقطابا وطبعا وتشعبت قوى وجوانب ونقصا وزيادة الى غير ذلك فثم الهاني الانسان اثنا عشر مخرجا عينان وأذنان وفم ومنخران وسرة وثديان وسبيلان قد قيست بالبروج ونفس بالشمس اذ لا تزيد ولا تنقص وعقل بالقمر في قبول الحالتين والحس الحواس بالخمس البواقي وهكذا الى درج في العروق ومفاصل بالجوزهرات والكل خدمة بلسان الشرع ملائكة واسان الحكمة نفوس وعقول مجردة وفرع أهل الرياضة والروحانيات والارصاد على ذلك الاستخدام واستنزال الكواكب وتكليمها والطيران اليها وتحريك الجادات الى غير ذلك مما بسطناه في كتبنا الحكمية وجارينا فيه أهل كل فن على مقتضى قواعدهم مما لا يليق بهذا المحل وهل ذلك الا قوة عاشقية فليعتبر أولوا الابصار وليتذكر أولوا الالباب فسبحان من أوجد ذلك واستغنى عنه واترفيه ومنه لا تغيره الازمان ولا تفنيه الاوقات ولا يعجزه اختلاف الاكوان

(الباب الخامس في تمات يفتقر اليها الناظر في هذا الكتاب ويحسن موقعها عند أولي الالباب)

فذلك هو المشرع الجامع لما ذكر في المصارع وينحصر في فصول مختلفة وان كانت في الجنس مؤتلفه

(فصل في تحقيق معنى الحسن والجمال وما استطف في ذلك من الاقوال)

الاصل في المحاسن والمطلوب عند العقلاء في كل المواطن انما هو اصلاح السرائر وتهذيب البواطن لا الظواهر وانما عرض اصلاح الظاهر الى ما ذكر طلبا لتحصيل الكمال ودلالة في الاغلب على الاعتدال ويتم الاول بتحسين المقاصد واصلاح العقائد وقصر القلب على عتبات الحق في تلك المواقف مستمدا بالمراصد مستعدا للاوامر الالهية وتلقي ما في تلك الصحائف وذلك كما قال محقق المقول ومهذب الفروع والاصول وجامع المراتب الباطنة والظاهرة وقطب دائرة الكائنات في الدنيا والآخرة ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب

ما اختفى الرمان الا * وتبدى الجلنار (وقال الخبازرزي) رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما * هلال الدجى من هلال البشر فلولا التورد في الوجنتين * ٣٧ وما راعني من سواد الشعر

وصلاحه استعداده لقبول ما يجب فعله وترك ما يجب تركه وذلك متعذر الا بعد الاخذ بالحظ الاوفر من أمهات الاخلاق وهي الحكمة والشجاعة والمروءة والعدالة فانها لهذا المورد كالاخلاط للمزاج افراطا واعتدالا وخير الامور سلوك الاعتدال للسلامة من الافراط والتفريط اللاحقين لكل من هذه كالتهور والجبن ولازم مما ذكرنا التخلق بالعفاف والزهد والصدق والورع والتسليم الى غير ذلك وعد قوم العفة أصلا بدل المروءة لانها تتدرج في العدالة وبعض المتصوفة جعل التسليم أصلا أيضا وبالجملة فهذه الخصال الداعية الى حفظ ما به النظام من النفس والعقل والعرض والمال فان التخلق بها محال أن يقع منه قتل أو أخذ ما يزيل عقله أو زنا أو تناول غير ما هو له فهذه أصول السياسة ونظام المدينة وموضع بسطها الحكمة بل ملازمة الشريعة المطهرة فقد أغنت عنها فهذه الاخلاق التي لا أجدر من وصف المتخلق بها بالحسن والجمال وأما المحاسن الظاهرة اللائق ذكرها بهذا المحل واليها اشارة المترسمين وفيها غالب النثر والنظم فالعبارات عنها كثيرة والالفاظ فيها غزيرة قال بعضهم الحسن الصريح ما استنطق بالتسبيح او هو تناسب الخلقة واعتدال البشرة وصفاء المادة او مركب من الوضاءة والتناسب والصباحة وقيل الحسن بياض اللون وسواد الشعر وكل منهما شطره والصباحة كالملاحة والبياض والجمال ما أخذ بالبصر أو هو السمن اشتقاقا من اسم الشحم والصحيح انه معنى لا يدرك ويختلف باختلاف الاشخاص ودقة الانظار وصحة التأدي الى الافكار وهذا معنى قوله الحسن ما زين الزينة واستحسن دونها والى ذلك كله أشرت بقولي

جميلة أوصاف لطيفة منظر * مليحة عطف طاب منها المغارس
يدق عن الالباب ادراك حسنها * وجلت فزلت عن علاها المقاييس
منعمة لم تلبس الوشي زينة * ولكن أحبت أن تزان الملابس
غرست بلحظي الورد في وجناتها * ومن دمي المسفوك تسقى الغرائس
وجئت لاجني ما غرست فصدني * من الجفن أسياف هناك وحارس

فلو لم يكن الحسن في نفس الامر كذلك ولكل ذي نظر دقيق ما لك ما اختلفت فيه العبارات ولا كثرت فيه الاستعارات ولا بالغ كل في تحصيله بجده واعتقد التقصير عن حده والخلاف انما هو بالالفاظ والمعنى المطلوب واحد كما هو رأي أهل التحقيق من سائر الموارد ومن ثم قال بعضهم

عبارات تناشتي وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير

ولله در أستاذ عطر الوجود فيض وجوده واستمدت الكائنات من بحر فضله وجوده حيث حقق هذا المعنى وسبكه في أحسن مبنى بقوله

فكم بين حذاق الجدال تنازع * وما بين عشاق الجمال تنازع

لكنت أظن الهلال الحبيب
وكنت أظن الحبيب القمر
(وقال محمد السلامي)
بدائع الحسن فيه مفترقه
وأعين الناس فيه متفقه
سهام ألحاظه مفوقة
فكل من رام لحظه رشقه
قد كتب الحسن فوق وجنته
هذا مليح وحق من خلقه
(وقال ابن رشيق)
معتدل القامة والقد
مورد الوجنة والخد
قل للذي يعجب من حسنه
اقرأ عليه سورة الحمد
(وقال أيضا)
شكوت بالحب الى ظالمي
فقال لي مستهزئا ما هو
قلت غرام ثابت قال لي
اقرأ عليه قل هو الله
(وقال شيخ الشيوخ بحماة)
سألته من ريقه شربة
أشفي بها من كبدي حره
فقال اخشى يا شديد الظما
ان تتبع الشربة بالجره
(وقال يحيى الخباز)
طلبت منه قبلة قال لي
اياك ان تطمع في القرب
البوس شاليش وقد اخشى
ان تتبع الشاليش بالقلب
(وقال ابن أسد)
أريقا من رضابك أم رحيقا
رشفت فلست من سكري صفيقا
وللصهباء أسماء ولكن * جهلت بان في الاسماء ريقا (وقال السراج الوراق) قال من شبه ريقي * بالزلال العذب زلا
انما ريقي شهد * قلت ذا من فيك أحلى (وقال آخر) ظبي ترى وجهك في وجهه * وتشرب الحمرة من فيه (وقال آخر)

ما أنصفوا اذ لقبوه شاربا * من بعدما أمسى لقلبي آكلا (وقلت انا) ياصاح سكرى من هوى أغيده * قوامه كالغصن ان ماسا
ساق متى مالاح لى كاسه * ٣٨ ذكرنى شاربه الآسا (وقلت أيضا) فتاة حين زارتنى عشاء * ورأيت الشمس ليلا وسط دارى

هذا هو الحسن العام وقد خصوا كل عضو بصفة فقالوا الحلاوة فى العين والملاحة فى الفم والجمال فى الانف والظرف فى اللسان وقالوا اذا حسنت العين فتمامها الدعج والفم فتمامه الفلج يعنى فى الثغر وطلاوة الجبين البلج وبريق الوجنة الضرج وأحسن ما تكون المرأة اذا طال منها الاطراف والعنق والشعر والقامة وقصر منها العين واللسان واليد والرجل والمراد بالقصر القصر المعنوى كعدم الطموح بالعين وأخذ شئ فوق الحاجة والخروج من بيتها وابيض منها اللون والفرق والثغر وبياض العين والمراد بالثغر الاسنان نفسها اما اللثة فقد مدحت العرب سوادها والى ذلك أشار طرفة بقوله

سقته أيات الشمس الا لثاته * أسف ولم تكدم عليه باثمد

واسود منها الهدب والعين والحاجب والشعر واحمر منها اللسان والشفة مع اللعس يعنى يسير السواد والخد وتشريب البياض بيسيرها ودق منها الحاجب والانف والسنان والخصر وغلظ منها المعصم والعجيزة والفرج والساق واتسع منها الجبين والجبهة والعين والصدر وضاق منها المنخر والاذن والفم والفرج فهذه أوصاف بها اجماع الحسن اذ كل ماخرج عن ذلك لجعودة الشعر واستدارة الوجه ونعومة البدن راجع اليها وانما العبارات الكثيرة تتفنن فى الاوصاف وأهل الفراسة تجعل الجمال الظاهر دليلا على اعتدال المزاج وقال بعض الحكماء من نعم الله على العبد تحسين خلقه وخلقه واسمه قيل وصوته حكى بعض المفسرين فى قوله تعالى يزيد فى الخلق مايشاء يعنى حسن الصوت وقال سقراط اذا حسن الله وجهك فلا تضف اليه قبيح المعاصى او قبحه فلا تجمع بين قبيحين وقال عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال وكان يختار لحاجته صبيح الوجه حسن الاسم طلبا لاجتلاب القلوب ومن ثم كانت الانبياء عليهم السلام أكمل الناس لان غاية بعثتهم الاتباع وعدم النفور فيجب انتقاء موجبهما فيهم وأوتى يوسف شطر الحسن وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فكل جمال بالنسبة الى بحره بلالة والى نوره ذبالة فقد اتفق له صلى الله عليه وسلم محاسن الاخلاق والشيم وهذا هو المطلب الذى تكل عنه البصائر ويقصر عنه كل ذى حد جائر واذا لم يتفق للعبد حسن السيرة والخلقة فالاولى الاول فانه من مطالب الحكمة التى غايتها السعادة وهى من الاعراض اللازمة والثانى من مطالب الشهوة وقد توقع فى المحنة ولابد وأن تفارق *(تنبيه)* قد وقع لهم تشبيه بعض الاعضاء بالحروف كالحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالصاد والميم والثنايا بالسين والطرة بالشين والقامة بالالف وربما شبهوا العين بالصاد أيضا وبالفواكه كالخدود بالتفاح والشفة بالعناب والثدى بالرمان وبالمشمومات كالوجنة بالورد والعين بالنرجس والعذار بالآس وبالمعادن كالشفة بالعقيق والاسنان باللؤلؤ وقد وقع تشبيه الشفة بالمرجان أيضا وبأشياء مختلفة كالوجه

لما نغار يصون الدر مجا * يبيت عليه من خفر خنير وفرق بين ضوء الصبح لما * يلوح وبينه فرق كبير

بالبدر والفرق بالصبح والشعر بالليل ومرسله بالحية والصدغ بالعقرب والوجنة بالماء والنار والريق بالخمر والثدى والسرة بحق العاج الى غير ذلك وللشعراء فى ذلك على اختلاف مراداتهم وتخيلهم المقدمات الشعرية كلام كثير نحن أبدع مارأيت فى التشبيه بالحروف وبعض الاشياء كلام الاديب الحاذق علاء الدين الشاهينى من قصيدة طويلة كلها محاسن أولها

ثم العذار بعارضيه وسلسلا * وتضمنت تلك المراشف سلسلا

ومنها وقد حذف أداة التشبيه قصد المبالغة وهو من أساليبهم المشهورة قوله

صبحا مع الجوزاء لاح لناظرى * متبلجا فأزاح ليلا أليلا
من لى بفصن نقا تبدى فوقه * قمر تغشى جنح ليل فانجلى

ومنها

كتب الجمال على صحيفة خده * بيراع معناه البهيج ومثلا
فبدا بنونى حاجبيه معرفا * من فوق صادى مقلتيه واقفلا
ثم استقد غدا أسفل صدغه * ألفا ألفت به العذاب الاطولا
فاعجب له اذهم بنقط نقطة * من فوق حاجبه فجاءت أسفلا
فتحققت فى حاجرة خده * خالا فهم هواه قلبى المبتلى
قسما بفاء فتور جيم جفونه * لأخالفن على هواه العذلا

(والشواهد) من الاسلوب المذكور وقد جمع الحيوان والحروف بقوله

ارسل فرعا ولوى هاجرى * صدغا أعيا بهما واصفه
نخلت ذا من خلفه حية * تسعى وهذا عقربا واقفه
ذى ألف ليست بوصل وذى * واو ولكن ليست العاطفه

وقال آخر

لاتقولى لا فمكتوب على * وجهك المشرق بالنور نعم
بحروف خلقت من قدرة * ما جرى قط عليها من قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان ثم الميم فم

(نكتة)

اعلم أن الاساليب فى هذا الباب دائرة بين التشبيه المجرد وبين جعل الحروف ونحوها من المشبه به فى العادة مشبها ومقابله فى المحبوب مشبها به وفى كل ذلك اما أن تبقى الاداة أو تحذف وفى كل اما أن يرشح المعنى بأوصاف تزيده حسنا أولا وارفع الكل جعل الممدوح مشبها به محذوف الاداة مرشحا بلطائف الاوصاف وقل سالكه وعكسه معلوم ولى من القن الثانى

بروحى أفى من خلتها حين أقبلت * على اثر حزن تنثر الدمع فى الخد

(الباب الثامن والعشرون) فى ذكر طرف يسير من أخبار المطربين المجيدين من الرجال وذوات الجمال ومافى معنى ذلك من ذكر موالاتهم ووصف آلاتهم (أقول) هذا باب عقدناه لذكر من استراح من العناء ٣٩ بسماع الغناء من كل محب يثيب بالشباب ويغنى بالرباب فهو يضرب بالعود ويجمع من المذكر والمؤنث بين الشئ ونقيضه لا يلهيه غير ملاهيه ولاسيما اذا كان فى الغناء ممن يعرف الصواب ويقيم الاعراب ويشبع الالحان ويعدل الاوزان ويصيب أجناس الايقاع ويعطى النغم حقه من الاشباع ويختلس مواضع النبرات ويستوفى ماشاكلها من النقرات ويحسن الاختلاس ويملأ الانفاس وغير ذلك مما هو معروف عند أرباب هذا الشان من القيان ممن جمع فى ذلك بين الحسن والاحسان كما قيل

ماتغنت الا تفرج هم * عن فؤادى وأقلعت أحزان

يفضل المسمعين طيبا وحسنا * مثل مايفضل السماع العيان

والناس فى الغناء كلهم عيد معبد واسحق الموصلى اللذين هما أطبع المتقدمين فى الغناء فيما حكاه غير واحد من ارباب التاريخ وفى معبد يقول حبيب

محاسن أوصاف المغنين جمة * وماقصبات السبق الا لمعبد

وقال البحترى يصف صهيل فرس

هزج الصهيل كأن فى نغماته * نبرات معبد فى الصهيل الاول

ومعبد هذا كان منقطعا الى البرامكة ومات فى أيام الرشيد وأخباره أشهر من ان تذكر وقد ذكرها صاحب الاغانى وغيره وأما اسحق الموصلى فانه كان من أهل العلم والادب والرواية والتقدم فى الشعر وسائر المحاسن أشهر من أن يوصف وهو الذى صحح أجناس الغناء وميز طرائقها تمييزا لم يقدر عليه أحد قبله ولا بعده من تدقيق المجارى وتمييز

الاصناف التي جعلوها صنفا واحدا وهي في نفسها كذلك ولكنها تفترق عند متيقظ مثله ومن كلامه حدود الغناء أربعة النغم والتأليف والايقاع والقسمة ٤٠ وكان قد سأل المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والادب لا مع المغنين فاذا اراده للغناء دعاه فأجابه الى ذلك وقال الواثق ماغنائي اسحق قط الا ظننت انه زيد في ملكي وان اسحق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ أحد بمثلها ولوان العمر والنشاط مما يشترى لاشريته له بشطر ملكي وجلس عند ابراهيم ابن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحق فلم يأخذه منه فقال له ابراهيم الا تشرب فقال أصبح نديمك أقداحا تسلسلها

من الشمول واتبعها بأقداح
من كف ريم مليح الدل رقته
بعد الهجوع لمسك أو كتفاح
لا تشرب الراح الا من يدي رشا
تقبيل راحته أشهى من الراح
فدعا بوصيفة تامة الحسن في زي غلام عليها أقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم أمر بتوجيهها اليه بكل مامعها في داره (ومما) لحنه اسحق وله حكاية طريفة

قل لمن صد عاتباه ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي أردت
وان كنت لاعبا
واعترفنا بما ادعيت
وان كنت كاذبا

وقد تركت حكاية هذه الابيات خوف الاطالة وهذا القدر كاف في أخبار اسحق في هذا الموضع (وحكى) أبو الفرج انه أهديت للرشيد جارية في غاية الجمال فخلا معها في قصره يوما واصطبح فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة مايزيد عن ألفي جارية في أحسن زي من احرار الثياب والجواهر فوصل الخبر الى أم جعفر فعظم ذلك عليها وأرسلت الى علية أخت الرشيد تشكو اليها فأرسلت اليها علية

قضيبا من الكافور يعطر لؤلؤا * من النرجس الوضاح في فرش الورد

ومنه وقد زدته على مايلزمه التحسين الرد على أهل الاسلوب الاول

شمس الضحى بجبينك الوضاح * أف لمن جعلوه كالمصباح
ياقدها ما الغصن لولا الميل مع * داعي الهوى كالغصن بالارياح
أنا فيك سكران الفؤاد معذب * أبدا وان أظهرت فعل الصاحي
فدع الملام وعذل من لم يستمع * قول النصيح وخلني ياصاح

ومما لم يعرج فيه على ذكر تشبيه بل أشعر فيه باحتياج المشبه به في العادة الى المشبه ماقلت

يهنالك ياقلب من زارتك في السحر * ولم تخف ثم من واش ولا ضرر
حسناء لو لم تعاين نور طلعتها * شمس الضحى مابدت يوما على بشر
ووجهها لو رآه البدر واحتجبت * عنه ذكالم تخف نقصا على القمر

(فصل في خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين)

اعلم أن مدار تلون البدن اما على صفاء الخلط أو شدة الحرارة أو ماتركب منهما والاول يلزم حالة واحدة اما البياض في البلغم أو الحمرة في الدم أو الصفرة في الصفراء أو السواد في السوداء وماتركب بحسبه مع مراعاة الطوارئ كقرب الشمس أو جبل أو سد جهة وهذا المبحث هو المعروف عند الاطباء بالالوان وعند العامة بالسحنة وموضع تحقيقه الطب والثاني يلزم السمرة وان غلب البلغم وأما الثالث فهو الذي تناط به أمثال هذه الاحكام وحاصل القول فيه ان الجلد شفاف يحكي ماتحته وان الباعث اليه الاخلاط هو الحرارة فهي كالنار ان اشتدت صعدت مالاقته وموضعها القلب ومحركاتها مختلفة مابين غضب وحياء وقهر وغيرها اما الى داخل دفعة أو تدريجا أو الى خارج كذلك أو اليهما وموضع بسطه الحكمة والذي يخصنا من ذلك هنا ان نقول ان استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم استيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطاني حتى قال بعض الحكماء لكل مرتبة من مراتب المحبة حد الا المحبة العشق فلا حد لها وقال بعضهم ان تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة الا انه لا يطفئها كل هواء اذا تقرر هذا وجمع الى ماقررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه لان الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة الى خارج لتؤثر الحمرة وصفاء اللون يعارضه لشدة الشفقة الخوف من نحو واش وسرعة تفريق واليأس الموجب لاخماد الحرارة أو جذبها الى داخل المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة ومن ثم اذا أمن من ذلك لم يقع تغير كما قيل

فلا تحسبن كل اجتماع مغيرا * فان اجتماعي بالامان أماني

وأما حمرة المعشوق فهي اما حياء واما تخجل وكل منهما باعث للحرارة الى خارج ونتيجته

احمرار الالوان وصفاؤها فأفضل الالوان الاحمر الصافي المشرق مطلقا حتى في الثياب كالحلل والمشروب والمشموم كالورد والشقيق والحيوان كالخيل والمعادن كالذهب والياقوت الى غير ذلك ومنه أهلك الرجال الاحمران يعني الخمر واللحم والنساء والاحمر الذهب والزعفران والخمر واللحم ولبعض الشعراء

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت * مالي وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين كذا الطلا * بالزعفران فلا أزال مرزعا

وقال المتنبي

من للجآذر في زي الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وأحب مايكون اليهم منه ما كان في الوجنات والشفاه قال أبو نواس

يا قمرا أبصرت في مأتم * تندب شجوا بين اتراب
تبكي فتذري الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

وأما وصفهم الموت بالاحمر والدمع الناشئ عن شدة الحرقة بالحمرة فليس طعنا فيهما بل مدح لانهم أرادوا انهما من المطالب التي لا تنال الا بالمشاق والصعوبة ومن ألطف ماوصف به الدمع قول عماد الدين

أرى العقد في نغره محكما * يريبنا الصحاح من الجوهر
وتكمله الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر
ومنثور دمعي غدا أحمرا * على آس عارضك الاخضر
ويعتب رشادي بغي الهوى * لاجلك ياطلعة المشتري

(ومن ألطف مايحبني) في وصف المعشوق بالاحمرار والعاشق بالاصفرار قول ابن أبي الحديد من قصيدته التي أولها

الصبر الاعن فراقك يجمل * والصعب الامن ملالك يسهل
يصفر وجهي حين أنظر حسنه * خوفا ويدركه الحياء فيخجل
فكأنما يخدوده من حمرة * ظلت اليها من دمي تتنقل

(وقال بعض المتأدبين) لم يقع في هذا المعنى ألطف من البيتين المنسوبين الى ابليس وهما

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين قوبي نرجس وشقائق
حكمت وجنة المعشوق صرفا فلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقيل انشدهما الابن دريد في النوم فاعترضه بأنهما من اللف والنشر المشوش فقال له وما هذه المشاحة في هذا الوقت يابغيض *(تنبيه)* قد توسع الناس في هذا المبحث فخرجوا منه الى التفضيل بين السمر والبيض وخاضوا بسبب ذلك في كلام عريض فمن قائل بتفضيل السمر مطلقا وقوم البيض وآخرون فصلوا فقالوا ان كلا يميل الى عكس لونه وهذا تحكم وحكم على الطبائع والامزجة بلا دليل والصحيح ان الميل انما بدا عمية

لا يغيظك هذا فوالله لاردنه اليك وقد عزمت ان أصنع شعرا وأصوغ عليه لحنا واطرحه الى جواري فابعثي الى كل جارية عندك والبسيهن أنواع الثياب والجواهر حتى القي عليهن الصوت مع جواري ٤١ ففعلت أم جعفر ما أمرتها به علية فلما صلى الرشيد العصر لم يشعر الا وعلية قد خرجت عليه من قصرها ومعها مايفيف عن الفي جارية عليهن غرائب اللباس وكلهن في نغمة واحدة يغنين بهذين البيتين منفصل عني وما

قلبي عنه منفصل
يا قاطعي قل لي لمن
نويت بعدي ان تصل

قال فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أم جعفر ومعه علية وهو في غاية السرور وقال لم أر كاليوم سرورا قط وقال لمسرور الخادم لا تترك في الخزانة مالا الا نثرته فكان مبلغ مانثره في ذلك اليوم ستة آلاف ألف درهم وما سمع بمثل ذلك قط (وحكى) عن القاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى انه خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بالقرب من مقبرة فعزم عليه في الميل اليه فنزل وأحضر له طعاما ففتحت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح
وزها بحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه
نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحناديس استبلت ظلماءها
فضياء وجهك في الدجا مصباح

فكتبها القاضي طربا بها على ظهر يده ثم خرج قال راويه فلقد رأيته يكبر على الجنازة وهذه الابيات

٦ تزني على ظهر يده (وما أحسن قول ابن تميم في عواده) وفتاة قد راضت العود حتى * راح بعد الجماح وهو ذليل
خاف من عرك اذنه اذ عصاها * فلهذا كما تقول يقول (وقال آخر) سقى الله أرضا أنبتت عودك الذي *

زكت منه أغصان وطابت مغارس ففي عليه الطير والعود أخضر * وغنى عليه الغيد والعود يابس (وقال ابن قاضي ميلة)
جاءت بعود يناغيها ويعدها * فانظر بدائع ما خصت به الشجر ٤٢ غنت على عوده الاطيار مفصحة * غضا فلما ذوى غنى به البشر

فلا يزال عليه أو به طرب

يهيجه الاعجمان الطير والوتر

(وقال ابن حجاج)

هذا ومحسنة بالعود عاشقها

بذلك الطيب في الاحسان مسرور

اذا أنثنت وتغنمت خلت قامتها

غصنا عليه قبيل الصبح شمرور

(وقال آخر)

وجارية اذا غنتك صوتا

فما لك من فراق الحلم بد

كأن يسارها في العود برق

ويمناها اذا ضربته رعد

(وقال آخر)

اشارت باطراف لطاف كأنها

أنامل درقعت بعقيق

ودارت على الاوتار جسا كأنها

بنان طبيب في مجس عروق

(وقال النور الاسعردي في جنكية)

لينت شعبان جنك حين تنطقه

يغدو باصناف الحان الورى هازي

لاغروان صاد ألباب الرجال لها

اما تراه بحا كي مخلب البازي

(وقال) الصلاح الاربلي وأحسن ماشاء

الجنك مركب عقل في تشكله

والرق قلع له الاوتار اطناب

يجري بريح اشتياق في بحار هوى

يؤم ساحل وصل فيه أحباب

(وقال ابن دانيال في دفية)

ذات القوام الذي يهتز غصن نقا

لومر يوما عليه طائر صدحا

تبدى على الدف كالجمار معصمها

لنفره بنان يشبه البلحا

والله لو أنصف الاقوام أنفسهم * أعطوك ما ادخروا فيها وما ادخروا

الشهوة أو النفع ولا ضبط للاول لاختلافه باختلاف الاشخاص وأما الثاني فالقول فيه اما بحسب معتدل المزاج فالروميات حينئذ في نحو الجاز انفع كما ان الحبشيات في نحو الروم اجود لان حرارة الابدان تختفي في الاغوار زمن البرد وبالعكس واما بحسب المرضى فالسود للمبرودين اجود والبيض للمحرورين كذلك وعندي ان عكس هذا اجود لما سمعت من التعليل والصحيح ان الحبشة الطف مما عداهم مزاجا وارق بشرة واعدل حرارة فلذلك هن أوفق مطلقا ولكنهن في معرض التغيير وموضع تحقيق ذلك في الطبيعيات واما الحكم على المصريين بانهم الى السمرة اميل فمن قبيل ما قررناه من التحكم ومن الطف الاشعار المقولة في التفضيل قول علي بن الجهم

وعاتب للسمر من جهله * مفضل للبيض ذي محك

قولوا له عني اما تشتهي * من جعلك الكافور كالمسك

وقال أبو جعفر الشطرنجي

اشبهك المسك واشبهته * فاتمة في لونه قاعده

لاشك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحده

وقلت في ذلك

ارى السمر اشهى منظرا عند عارف * واشرف مطلوبا سماه في المطالب

فقل للذي قد فضل البيض جاهلا * رويدك لا ترغب لغير مناسب

فكم بين قيراط من المسك قيمة * وقنطار ثلج بارد من مراتب

وقلت في عكس ذلك

بيضا تجلوا لهم عن ناظري * بعين حق لا بعين انتقاص

فقل لمن يرغب في اسمر * ما الفضة البيضاء مثل الرصاص

واذا احكمت ما قررناه من علة اصفرار الالوان علمت ان خفقان القلب عند الاجتماع أو الرؤية من لازم ذلك الشان وقد لهج الشعراء بالاعتذار عن ذلك وأكثروا فيه من التشعب والمسالك فمن الطف ما قيل فيه قول الوراق

يقول لي حين وافى * قد نلت ما ترتجيه

فما القلب قد جا * بخفقة تعتريه

فقلت وصلك عرس * فالقلب يرقص فيه

وألطف منه قول البهاء زهير

لا تنكروا خفقان قلبي والحبيب لدى حاضر

ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر

وتظرف ابن عنين بزيادة ظرافة على الاعتذار عن الخفقان حيث قال

ان كان لابد من رقادي * فاضاعني هالك كالوساد

(وقلت أنا) وغانية مكملة المعاني * بلطف ما عليه من مزيد اذا ما أطربتنا بالمثاني * تثنت بين زمان النهود
تغار السمر منها حين تبدو * كغصن البان في خضر البرود باطراف من الحناء حمر * ٤٣ والحاظ كبيض الهند سود

سوالفها من الريحان أطرى

يوا خيها الشقيق من الخدود

(وقال آخر)

يا بي اغاني مطرب

ابدا وترضاه النفوس

يشدو فنرنو بالكؤ

س له ونرقص بالرؤس

(وقال آخر)

وزامر بيعت في زمره

الى قلوب الناس أفراحا

كان اسرافيل في نايه

ينفخ في الاموات ارواحا

(وقال آخر في مشبب)

ومطرب قد رايتا في انامله

شبابة لسرور النفس اهلها

كأنه عاشق وافت حبيبته

فضمها بيديه ثم قبلها

(وقال بن قرناص في مليح مشبب)

مشبب بجفاه راح يقتلنا

فان تدار كنا بالنقع احيانا

هويت تشبيبه من قبل رؤيته

والاذن تعشق قبل العين احيانا

(وقلت انا)

رعى الله ارباب اليراع فانهم

ازاحوا اعتذاري عنهم بالهوى العذري

مواصيلهم من نفخهم كل ساعة

جلبنا الهوى من حيث ادري ولا ادري

(وقلت ايضا ملغزا في شبابة)

وما خرساء ان نطقت رايتا

تناقض فعلها امرا عجيبا

فنم على خفقها هدوا * كنومة الطفل في المهاد

وكثيرا ما تتبعت كلامهم فلم ار من جمع بين الاعتذار عن تغير اللون والخفقان فقلت في ذلك

قالت أراك اذا عاينتني وجلا * عديم لون بهيج كنت تملكه

والقلب منك خفوق لا يسكنه * شيء فما ليت شعري ما يحركه

فقلت ما تدران الشمس ان جمعت * بالبدر بعد تمام النور تنهكه

والطير ان الف الغصن الرطيب وقد * مادت به الريح هل يخفى تحركه

وفي الابيات مع ما ذكر وصفها بالشمس فتكون هي المفيدة للمحاسن والآخذة لها كما بين الشمس والبدر ثم جعلها غصنا يميل مع الهواء والقلب طائرا عليه وكل ذلك زيادة على المطلوب وأما وصف خفقان القلب من غير نظر الى اعتذار عنه فكثير قال ابن سناء الملك

أما والله لولا خوف سخطك * لهان علي ما القى برهطك

ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبي وقرطك

وقال معين الدين

لم انسه اذ قال أين تحلني * حذرا علي من الخيال الطارق

فأجبت في قلبي فقال تعجبا * أرأيت عمرك ساكنا في خافق

وقد نسب ابن نقي الى الجفوة في قوله

ومهفهف مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقي

أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

فقيل انه لو قال باعدت عنه أضلعا لكان أولى بالمقام

(فصل في مراتب الغيرة وما توقعه بالمحب من الحيرة)

وهي باعثة نفسية مادتها المروءة والمحبة ثم تزيد وتختلف بحسب الدواعي والاشخاص والمحمود منها ما كان واقعا عند مشاهدة نقص في ناموس الهي وحكم ديني وخط شرعي فتبعث المتانة في الدين والمروءة على اصلاح ما نقص باليد ان أمكن ثم اللسان ثم القلب وهذا هو الذي ترجمه الشارع بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم توسع الناس فيها فأضافوا اليها سوء الظن فوقعوا بذلك في مفاسد كثيرة كنهي بعض جهلة المتصوفة عن ذكر الله غيرة عليه والحج والصلاة وغير ذلك مدعيا انه ليس بأهل لها وقتل بعض العشاق من يتوهم منه ميلا الى محبوبه بل نفسه بل معشوقه ولهم فيها كلام كثير في قوالب شتى فبعضهم يغار من السوالف والشربة والثوب وأمثال ذلك غيرانى لم ار من غاص على لطائف هذا المعنى وتظرف في هذا المبنى الطف من بهاء الدين زهير حيث غار من اللفظ بالحروف التي في اسم محبوبه فلله دره من غائص على نفائس الجواهر الفكرية ومستخرج لها من بحور الاذهان الى بحور الالفاظ الرسمية

وذلك قوله

منقبة وليس لها ازار * توافينا ولم تخش الرقيبا فتاة ان خلوت بها وصحبي * رايت لهم معي فيها نصيبا ينازعني هواها كل صب *
وان لم تشبه الرشأ الربيبا فكم من عاشق فضحته فينا * وكم جمعت بمجلسها حبيبا تجدد لي اذا انطقت سرورا * يعيد زماني البالي قشيبا

فنم

(وقال ابن عديم في مغنية)

ارق من النسيم الرطب صوتا * واسرع فى الورى منه هبوبا تغازل دائما بعيونها من * يطارحها التغزل والنسيبا
فدع لومى اذا ماهمت فيها * وأنشدنى من الشعر الغريبا ٤٤ وشب لى بها أبدا وقل لى * ضروب الناس عشاق ضروبا

فاعذرهم محب ذو ملال
وأعذرهم أشبهم حبيبا
(وقال) المصيص الخياط يهجو عوادا
واذا تربع لاتربع بعدها
وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكان جرذان المدينة كلها
فى عوده يقرضن خبز يابسا
(وقال آخر)
غنى أبو الفضل فقلنا له
سبحان مخليه من الفضل
غناؤه حد على شربه
فاشرب فأنت اليوم فى حل
(وأبلغ) ماقيل فى ذم المغنى قول كشاجم
ومغن بارد النغمة محتل اليدين
مارآه أحد فى * دار قوم مرتين
(وقال آخر)
ومغن بارد * اذهب اللذات عنا
فسألناه سكوتا * فابى يسكت عنا
فشتمناه فغنى * فاشتفى القوم منا
(وقال آخر)
مغنية سوء الفاظها
يميت السرور ويحيى الكرب
مقبحة الوجه مفلوجة
فلا للنكاح ولا للطرب
(وقال آخر)
ولرب زامرة تهيج زمرها
ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت انملها على ضرباتها
وقبيح مبسمها الشنيع الابخر
بخناقس قصدت كنيفا واغتدت
تسعى اليه على خيار الشنبر

هذا مثل قولهم فى المثل أبصر الحامل والمحمول وداراً لو كالة (وقال آخر)

كانها فى حالة العيان * خناقس دبت على ثعبان

(وما أحسن) قول الوجيه الدرى فيمن يغنى بالرباب ويجمع بين الاحباب

وأنزه اسمك ان تمر ر حروفه * من غير فى بمسامع الجلاس
فاقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وأنت كل الناس

الا أن فيه بحسب مايظهر مناقشة فان ظاهر كلامه انه يجوز التلفظ باسمها من فم نفسه بمسامع الجلاس وذلك غير جيد وادق منه واسلم وان كان هذا أصح قول يزيد بن معاوية

الا فاملى لى كاسات خمر وغنى لى * بذكر سلمى والرباب وتنعم
واياك ذكر العامرية انى * اغار عليها من فم المتكلم
اغار على اعطافها من ثيابها * اذا لبستها فوق جسم منعم
واحسد كاسات تقبل ثغرها * اذا وضعتها موضع اللثم فى الفم

ومن لطيف كلام ابن ابى الحديد فى هذا المعنى

فيارب بغضها الى كل صاحب * سواى وقبحها الى كل ناظر
وبغض اليها الناس غيرى كما أرى * قبيحا سواها كل باد وحاضر
فياجنة فيها العذاب ولم أخف * حلول عذاب فى الجنان النواضر

ومما ينسب الى قيس

أرى الازار على ليلى فاحسده * ان الازار على ماضم محسود

وقال أبو تمام

بنفسى من اغار عليه منى * وبحسد مقلتى تطرى اليه
ولو أنى قدرت طمست عنه * عيون الناس من حذرى عليه
حبيب بث فى قلبى هواه * وأمسك مهجتى رهنا لديه
فروحى عنده والجسم خال * بلا روح وقلبى فى يديه

ومما سنح لى فى ذلك قولى

نظرت اليها والسوالك قد ارتوى * بريق عليه الطرف منى باكى
ترقده من فوق درمنضد * سناه لانوار البروق يحاكى
فقلت وقلبى قد تقطر غيرة * ايا ليتنى قد كنت عود اراكك
فقالت أما ترضى السوالك اجبتها * وحقك مالى حاجة بسواكك

(فصل فى أحكام اسرار المحبة ومافيها من اختلاف آراء الاحبة)

قد اختلفت آراء الحذاق وتشعبت مرادات العشاق فمن ذاهب الى ان الافضل خزن الاسرار وان ذلك من فعل الاحرار ومن قائل ان افشاءها بسر القلب وبسرى الكرب ومن قائل بالتفصيل وان الاذاعة الى المحبوب مطلوبة اذ هو الطبيب وكتم العلة عنه تعذيب وأما الاباحة لغيره فغير جائزة فى مذهب المحبين وفاعلها ممقوت ومن اكبر المذنبين وهذا الطريق قد ادمى فى ديوان الصبابة انه الكاشف عن وجهه نقابه ولا والله مالهفيه مذرة ولم يكن ارتضع من هذا اللقح درة وأنا أنبه على من استنتج هذه

الآراء المحررة ودون هذه المذاهب المحبرة فأقول اعلم ان الطرق الثلاث موجودة فى كلام صاحب النفحات القدسية والالطاف الربانية المعطرة بنفثات فيه الاقطار القائم بأعباء المحبة والاسرار قطب دائرة الوجود على رغم كل معارض سيدى عمر بن الفارض افاض الله علينا من امداداته وشملنا بالطافه عنايا ته فمن كلامه فى المذهب الاول وهو الحقيق بالنصرة وعليه المعول

وللحب أقوام كرام نفوسهم * منزهة عما سوى الحب ياخلى
اذا أودعوا سرا رأيت صدورهم * قبور الاسرار تنزه عن نقل

ومن قوله فى المذهب الثانى وهو صريح فى استيفاء الشروط المذكورة

وابثثتها مابى ولم يك حاضرى * رقيب بغى سرى بخلوة جلوتى

ومن قوله فى المذهب الثالث بل هو أعم من هذا المشرب وقابل لكل مطلب

ويحسن اظهار التجلد للعدا * ويقبح غير العجز عند الاحبة

ثم لهج الناس بهذه الطرق فمن قول بعضهم فى المذهب الاول

باح مجنون عامر بهواه * وكتمت الهوى فمت بوجدى
فاذا كان فى القيامة نودى * من قتيل الهوى تقدمت وحدى

وأما كلام السهروردى فكأنه وقف عن كلا الطرائق وتردد وحيرة للعاشق وهو

وارحمة للعاشقين تحملوا * سر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السفاح

وللوائق فى المذهب الثانى

ظهر الهوى وتهتكت أستاره * والحب خير سبيله اظهاره
فاعص العواذل فى هوالك مجاهرا * فالذعيش المستهام جهاره

ولبعضهم فيه

فيح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

ولبعضهم فى المذهب الثالث

ياموقد النار الهابا على كبدى * اليك اشكو الذى بى لا الى أحد
اليك اشكو الذى بى من هوالك فقد * طلبت غيرك للشكوى فلم أجد

ومن طريف قول بعضهم

وقائلة مابال جسمك لايرى * سقيما وأجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبى بحبك لم يح * بجسمى فجسمى بالهوى ليس يعلم

وللمعرى فى نصرة الاول

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا

اعرابى عن ذلك فقال هو مص الريقة والثم الثغر والاخذ من أطايب الحديث بنصيب فكيف هو عندكم أيها الحضرى فقال العض الشديد والجمع بين الركبة والوريد وهز يوقظ النيام ويوجب الاثم فقال تالله مايفعل هذا العدو فكيف الحبيب

لاتبعثوا بسوى المعذب جعفر * فالشيخ فى كل الامور معذب طورا يغنى بالرباب وتارة * يأتى على يده الرباب وزينت

(الباب التاسع والعشرون فى ذكر من ابتلى من أهل الزمان بحب النساء والغلمان) ٤٥

أقول هذا باب عقدناه لذكر عشاق زماننا هذا وهم ماهم تعرفهم بسيماهم فمنهم من اتصف بالانصاف وسلك طريقة السلف فى العفاف وهذا النوع فيما يظهر اعز من الكبريت الاحمر لم أره ولا رأيت من رآه وان وجدت اسمه فاين مسماه

فاشهد بصدق مقالتى
أولا فكذبنى بواحد
هيهات بل قصارى أهل هذا العصر ان يعشق أحدهم بكرة ويواصل الظهر ويسلو العصر وعلى هذا حكاية بعض العلماء من أهل المدينة فيما حكاه عمرو بن شيبة قال كان الرجل يحب الفتاة فيدور بدارها حولا يفرح ان رأى من رآها فاذا ظفر بها فى مجلس تشاكيا وأنشدا الاشعار واليوم يشير اليها وتشير اليه فيعدها وتعده فاذا القيام يشكوا حبا ولم ينشد شعرا وقام اليها كأنه على نكاحها أمين الامناء كما قيل

لم يخط من داخل الدهليز منصرفا
الا وخلخالها قد قارب الشفقا

وقال الاصمعى قلت لاعرابية ماتعدون العشق فيكم قالت العناق والضمة والغمزة والمحادثة ثم قالت ياحضرى فكيف هو عندكم قلت يقعد مابين رجلى عشيقته ثم يجهدها قلت يابن أخى ماهذا عاشق هذا طالب ولد (وسئل)

قلت وقد تقدم ان الملوك ليسوا كغيرهم فى العشق وان الملك العظيم قد يعشق ولا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وهناك

طبقة اخرى دون الملوك اذا عشقوا لم يتفرغوا الاشتغالهم باصنافهم وطبقة أخرى يبخلون بادبانهم وعقولهم عن شغل

قلوبهم بما لا يحل لهم ويحرم عليهم وماسوى هؤلاء فان عشقهم عرض من الاعراض بل مرض من الامراض اذا وصلوا اليه أسرعوا بانصلوا فهم عنه وربما صار هجرانا بل عداوة الى آخر العمر وهذا هو الغالب على أهل زماننا هذا وهو أفسد أنواع الحب اذ يوجد عند الفراغ ويذهب عنه الشغل ويحدث عند غلبة الشهوة ويتلاشى بتلاشيها فهو اضعفها لامحالة وأمر صاحبه سهل اذ هو يسلو بالحفاء ويحب بقليل الوفاء ومن كانت هذه حاله سهل امره وانطفأ بالبولة جمره فمن أهل هذا العصر من اقتصر على دمية القصر فهام بالحسناء من النساء ومنهم من خلع فى الامرد العذار وقال للساق عن وجنته الحمراء النار ولا العار ومنهم من قرن بين الفريقين وجمع من المذكر والمؤنث بين الضدين فتراه يأتى على ما حضر ولا يتوقف عند صورة من الصور كما قيل

انا الرجل البصير بكل أمر
دخلت من التصابى كل باب
فيهوى المرد والشبان قلبى
ولا يأبى مواصلة الكعاب

(وقد زاد ديك الجن على هذا حيث قال)

أعشق المراد والذكاريش
والشيب
وعندى مثل البنين البنات حدما يشتهى ويعشق عندى * حيوان نحل فيه الحياة (وقال أيضا) ومنه
أنا من قولى مليح * أو قبيح مستريح كل من يمشى على وجه الثرى عندى مليح حدما ينكح عندى * حيوان فيه روح

والطف منه قول ابى جعفر الشطرنجى

فلا تخبر بسرك بل أمته * وصير من حشاك له حجابا
فما أودعت مثل النفس سرا * ولا أغلقت مثل الصدر بابا

واقد أحسن بعضهم وتلطف وأبدى ما هو أدق والطف حيث قال

ومستودعى سرا تقصيت سره * فاودعته من مستقر الحشا قبرا
وما السر فى قلبى كبيت بحفرة * لانى أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكننى أخفيه حتى كأنه * من الدهر يوما ما احطت به خبرا

ولبعضهم

ياذا الذى أودعنى سره * لاتربح أن تسمعه منى
لم أجره بعدك فى خاطرى * كأنه ماء جرى فى ذهنى

فهذا وأمثاله من أكبر الدوال على ان المذهب الاول هو الصحيح المعتبر وما اتهم به بعض الشراح عارف الزمان ولسان الحضرة الالهية وموضع الاسرار الربانية سيدى عمر ابن الفارض من انه نصر المذهب الثانى بقوله

وليسوا بقومى ما استعابوا تهتكى * فابدوا قلى واستحسنوا فيك جفونى
وأهلى فى دين الهوى أهله وقد * رضوا فيك عارى واستباحوا فضيحتى

فممنوع لان التهتك الذى اراده هو الاشتهار بالعشق لا اذاعة الاسرار بدليل قوله رضوا فيك عارى يعنى ان أهل الهوى عندهم هم الراضون بعشقه العاذرون عاره فى ذلك خصلة حميدة فاين هذا مما نحن فيه وقد أسلفت فى المقدمة ان دقائق هذا الاستاذ ليس فى طوق البشر من حيث هو بشر الاحاطة بها فاذا استدل بشئ منه فهو استئناس لاهل الترسم فى مشربهم وفيما ذكرت من قصة المنام كفاية للمتأمل وبالجملة فافشاء السر بلاء عظيم ومذلة لا يرتضيها عاقل وأغرب بعضهم ففسر قول بعضهم (وكل حديث جاوز اثنين شائع) بأن المراد بالاثنين الشفتان وقلت من الاول

لقد أودعتنى سرها فكتمته * ولا والهوى ما غير البعد خاطرى
ولكن جوى الكتمان صعد مهجتى * وقطرها دمعا جرى من محاجرى
فشف لطول السقم جسمى من الذى * كتمت فأبدته هناك سرائرى
فمم به الواشون بينى وبينها * فصدقت وقالت لا وفاء لغادر
فقلت وقد ضاقت هنالك مذاهبى * ومن كان قدما عاذلى صار عاذرى
فمن شافعى يوما اليها وما لكى * هواها وعن سرى يحدث ظاهرى

ومن الثالث

يامعشر العشاق أوصيكم * بكتم أسرار الهوى والغرام
الامع المحبوب فى خلوة * فتم كتم السر عندى حرام

ومنه أيضا

بوصلك والود الذى كان بيننا * حلفت ولا والله ما أنا غادر
لانت أعز الناس عندى وسرك * بقلبى باق يوم تبلى السرائر
فان لم يجدلى الدهر منك بخلوة * ففى الحشر تشكوه اليك الضمائر

(فصل فى ذكر المغالطة والاستعطاف واستدرار ما صدر عن المحبوب من الانحراف)

وهو عبارة عن احتيال بلطافة على المحبوب يبلغ من احكمه غاية المطلوب وموضوعه عود الالفة بعد النفور وماديته اقيسة شعرية غالبها الزور وغايته الوصول الى المطلوب واستمالة قلب المحبوب وما الطف ما قيل فيه لابن الاحنف

كان لم يكن بينى وبينكم هوى * ولم يك موصولا بحبلكم حبلى
وانى لاستحيى لكم من محدث * يحدث عنكم بالملالة والملل

وقال آخر

أتنسب لى ذنبا ولم أك مذنبا * وحملتنى فى الحب مالى اطيقه
وما طلبى للوصل حرص على البقا * ولكنه اجرا اليك اسوقه

وقال ابن ابى حجلة

لم اطلب الوصل من اجلى فديتك يا * من زاد قلبى سوادا منه شامات
لكن خشيت بان تبلى بحب رشا * يقتص لى منك والدنيا مكافاة

وقال جميل

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا * سوى ان يقولوا انى لك عاشق
نعم صدق الواشون انت حبيبة * الى وان لم تصف منك الخلائق

وقال ابن سنا الملك

وغانية لم تعد عشرين حجة * اقول لها قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا * لانك فى العشرين وهى نصاب

وقال بعضهم

قم بنا يا نور عينى * نجعل الشك يقينا
فالى كم ياحبيبى * يأتم القائل فينا

وقلت

تملكت اوصاف المحاسن والبها * وزينت ارباب اللطافة والعقل
فهذا يجز الحاسدى تقوله * ومولك باوصاف القطيعة والبخل
فلا تثبتى بالهجر زور كلامهم * ولكن صلينى وأبطلى الزور بالنقل
ولا تعطلى بالوعد قلبا معذبا * وان صح ان الشئ يعذب بالمطل

(وقال ابن تميم مضمنا) ومعشر عدلوا ما ركبت على * أحوى محاسنه قبحن فعلهم دع بعدلوا ما استطاعوا انى رجل *
لو استطعت ركبت الناس كلهم (وقال بعض مشايخ العصر) ٤٧ وعارض قد لام فى عارض * وطاعن بطعن فى سنه

وقال لى قد طلعت ذقنه
فقلت لا افكر فى ذقنه

(وقال ايضا)

شب وجدى بشائب
من سنا البدر اوجه
كلما شاب ينحنى
بيض الله وجهه

(وقال ايضا بعض مشايخ العصر)

وقد عنفونى فى هواه بقولهم
ستطلع منه الذقن فاصبر على الحزن
فقلت لهم كفوا فانى واقع
وحفكم بالوجد فيه الى الذقن

(وقال ايضا بعض مشايخ العصر)

وكامل العارض قبلته
فصدنى وازور من قبلتى
وقال كم انهاك عن فعل ذا
وانت ما تفكر فى لحيتى

(وكتبت انا الى بعضهم)

ليهن مولانا حبيب لم يزل
بوصله فى كل حين محسنا
كم زينته لحية فى وجهه
انبتها الله نباتا حسنا

(فكتب الى الجواب عن ذلك)

يا مادحا للحية سلوانا
عن روضها المازها ان يحسنا
مذ انبتت فيه نباتا حسنا
قبلتها منه قبولا حسنا

(فكان كما قيل)

حاشى لمثلى عن هواه يتوب
هو دون كل العالمين حبيب
اهواه طفلا فى القماط وامردا
وبلحية واذا علاه مشيب

(وقال ايضا) بعض مشايخ العصر وقد عشق شيخا كلفت به شيخا كان مشيبه * على وجنتيه يا سمين على ورد
اخو العقل يدرى ما يراد من الفتى * امنت عليه من رقيب ومن ضد وقالوا الورى قسمان فى شرعة الهوى *

لسود اللحى ناس وناس الى المرد فقلت لهم لو كنت اصبو الامرد * صبوت الى هيفاء مياسة القد وسود اللحى ابصرت فيهم مشاركا
فاثرت ان ابقى بياضهم وحدى (وقال آخر وقد عشق عجوزا) ٤٨ كلفت بها شمطا شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

(وقال ياقوت الحموى) وقد ظلم اهل الموصل من خصهم بالنسبة الى اللواط حتى ضرب بهم المثل (وقال فيهم الشاعر)

كتب العذار على صحيفة خده
سطرا يلوح لناظر المتامل

بالغت فى استخراجه فوجدته لاراى الاراى اهل الموصل ولقد جبت البلاد مابين جيحون والنيل فمن رايته لايخرج عن هذا المذهب فلا ادرى لم يخص به اهل الموصل قيل وليس الامر كذلك كما ادعى ياقوت من كل وجه لان مجرد الميل الى الذكر لاتخلو منه بقعة انما اهل الموصل يزيدون على ذلك بانهم يميلون الى اصحاب الذقون وربما مالوا الى من فى عذاره شيب ويقولون هنا شعرة وشعرة اى شعرة سوداء وشعرة بيضاء وبعضهم يسميه زرزور ياوهذا قل ان يوجد فى غير بلدهم وقد رموا بهذا من بين اهل البلاد واهل الاسكندرية لانهم يقولون مانعطى فليستنا الان ينفقها على عائلته وولداته مانعطيها لمن يأكل بها حلاوة قال الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية فى كتابه روضة المحبين بعد ذكر قصة عاد وما افضى اليه بهم الهوى من الهلاك الفظيع والعقوبة المستمرة ثم قصة قوم صالح كذلك ثم قصة العشاق ائمة الفساق تاركى الذكران وتاركى النسوان وكيف اخذهم وهم فى خوضهم يلعبون وقطع دابرهم وهم فى سكرة عشقهم يعمهون وكيف جمع عليهم من العقوبات مالم يجمعه على أمة من الامم اجمعين وجعلهم سلفا لاخوانهم اللوطية

(فصل فى ذكر الرسل والرسائل وتلطف الاحباب بالوسائل)

وهو باب قد لهج به لسان كل عاشق وترجمه كل رائق وموضوعه الاستعطاف بالانصاف ومادته زخرفة القول وغايته طلب الائتلاف ومن الطف ماوقع فيه كلام الواوى الدمشقى

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا فى حديثكما * مابال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا فى ملاطفة * ماشر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا الكما فى وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال آخر

الا يانسيم الريح بلغ رسالتى * سليمى وعرض بى كانك مازح
فان اعرضت عنى فقوم مغالطا * بغيرى وقل ناحت بذات النوائح

وقال القاضى مجد الدين

شكر النسمة ارضكم * كم بلغت عنى تحيه
كم قد اطالت بل اطا * بت فى رسائلها الذكيه
لاغرو أن حفظت احا * ديث الهوى فهى الذكيه

وهو مأخوذ من كلام الصلاح الصفدى

ياطيب نشر هب لى من ارضكم * فانا ركامن لوعتى وتهتكى
اهدى تحيتكم واشبه لطفكم * وروى شذاكم ان ذا ريح ذكى

ويجب اختيار الرسول وان يكون ذا عفة وصيانة ومروأة وديانة لئلا ينقلب عند مشاهدة المحبوب عاشقا ويخلص من سلطان المحبة والمطلوب ان يكون باللجنة ناطقا وللعشاق فى هذا المساق كلام لاتحصره الاوراق قال ابن سنا الملك

راح رسولا فجاء فى عاشقا * وعاقه عن رسالتى عائق
وعاد لا بالجواب بل بجوى * اخرسه والهوى به ناطق

وقال ايضا

راح الرسول اليه وهو مقتد * رجع الرسول الى وهو متيم

وما الطف قول الارجانى فى هذا المعنى

قسما لقد رجع النسيم عليلا * لما سرى منى اليك رسولا
ودرى بحبك انه قد خاننى * فغدا يجر من الحياء ذيولا

ومن ألطف ماوقع فى الرسائل من النكت العجيبة والطرف الغريبة الناشئة عن فرط الذكاء الذى يغلب نوره على ابن ذكاه ان ابن السلطان صلاح الدين افتتن بقينة حتى تملك حبها قلبه فعلم أبوه أمره فمنعه عنها فازداد غمه فارسلت اليه كرت عنبر فلما كسرها وجد فيها زرا من ذهب فلم يدر ما اراد بذلك فأطلع على سره القاضى الفاضل فقال

اهدت لك العنبر فى وسطه * زر من التبر قليل اللحام
فالزر والعنبر معناهما * زر هكذا مختفيا فى الظلام

ومثله ان رجلا دعا محبوبته الى النزهة فأرسل اليها بمروحة وباقة نرجس وسكرتبات وشرابة وعود فارسلت اليه بخيط أحمر وصبارة وثلاث كونات سودوغاسول وزر وفى ذلك من لطيف الاشارة مايدق عن الافهام فانه أراد بالمروحة نروح وبالنرجس الى الزهر وبالسكر النبات نبيت ليلة وبالشراب نشرب وبالعود الغناء واردات بالخيط الاحمر انها حائض وبالصبارة ان تصبر وبالثلاث كونات ثلاث ليال وبالغاسول الاغتسال وبالزر الزيارة بعد ذلك وقلت ولم اسبق الى هذا المعنى فيما أظن

رسولى تلطف واجر ذكرى لهما فان * رأيت الرضا فى وجهها فابسط الشكوى
وان اعرضت فاطو الذى قد نشرته * ودعنى بنيران الهوى فى الهوى أكوى
فقد صرت أرضى كل ماترتضى به * واستعذب التعذيب فى السر والنجوى
فعاد رسولى بعد عقل وحكمة * باضعاف ماعندى من العشق والبلوى
* ولم أرض ارسال النسيم لانه * يرى البث فى التدبير من سائر الادوا
فخفت عليه عشقها ان يعله * فأحمل وزر الست فى حمله أقوى

ويمكن تنزيل كلام عارف الوقت فى هذا المنوال وسبكه فى قالب هذا المثال حيث يقول

وتلطف واجر ذكرى عندهم * علهم ان ينظروا عطفا الىّ

فان فى قوله تلطف غاية الخضوع المستجلب لرضا المحبوب بعد تفوز القلوب وما أحسن قوله واجر ذكرى فانه الطف من واذكرنى لهم لانه طلب مطلق اجراء الذكر وهو يحتمل معانى كثيرة وكذا قوله عندهم أى ولو على سبيل الهذيان أو محادثة غيرهم فانى لست اهلا لمشافهتهم بذكرى ولهذا لم يقل واجر ذكرى لهم الى غير ذلك مما لو أخذنا فى بيان دقائقه لم تسعه دفاتر ولم تقم بحمله خواطر ومامن مشرب للعشاق باطن أوظاهر الاويوجد فى مطاوى كلامه ولكن بلسان أهله

(فصل فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال)

وهو أمر مهم عند أهل الغرام يتوصل اليه بالمنام وانما تدعو الحاجة اليه عند طول الهجر وشدة الضجر ومقاساة نار الملل والسهر ولم أر فيه ألطف من كلام استاذ الوجود وقطب مراتب أهل الشهود سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله بمدده بل أظنه السابق الى هذا المنوال والفاتح فيه باب الاحتيال حيث قال

نصبت على عينى لتحصيل غمضها * لزورة زور الطيف حيلة محتال
فما اسعفت بالغمض لكن تعسفت * على بدمع دائم الصب هطال

ففى البيتين مع ماطلبه من التحسين البديعى مالا يخفى

(وقال ابن النقيب فى المعنى)

من المتقدمين والمتاخرين قال لما تجرؤا على هذه المعصية وتمردوا وتم جبروا الاخوانهم طريقا وقاموا بها وقعدوا نبحث
الملائكة الى الله من ذلك ضجيجا وعجت الارض ٤٩ الى ربها من هذا الامر عجيجا وهربت

الملائكة الى أقطار السموات وشكتهم الى جميع المخلوقات وهو سبحانه قد حكم أنه لا يأخذ الظالمين الا بعد اقامة الحجة عليهم والتقدم بالوعد والوعيد اليهم فلما خالفوا الرسول المرسل اليهم ووقعت الحجة عليهم فعل الله تعالى بهم ما أخبر به فى كتابه العزيز فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهى من الظالمين ببعيد فهذه عاقبة اللوطية عشاق الصور وهم السلف واخوانهم بعدهم على الاثر

فان لم يكونوا قوم لوط بعينهم
فما قوم لوط منهم ببعيد
وانهم فى الخسف ينتظرونهم
على مورد من مهلة وصديد
يقولون لا أهلا ولا مرحبا بكم
الم يتعدكم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم
صراطا لنا فى العشق غير حميد
اتينا به الذكران من عشقنا لهم
فاوردنا ذا العشق شر ورود
فانتم بتضعيف العذاب أحق من
متابعكم فى ذلك غير رشيد
فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم
بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا
نذوق عذاب الهون ذوق مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم

٧ تز نى ومجمعنا فى النار غير بعيد (حكى) قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان عن
الاصمعى انه قال دخلت يوما أنا وابو عبيدة المسجد فاذا على الاسطوانة التى يجلس اليها أبو عبيدة مكتوب على نحو سبعة أذرع

صلى الاله على لوط وشيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا
قال لى يا أصمعى احج هذا فركبت ظهره ٥٠
له بقيت الطاء فقال هى شر حروف هذا البيت وقيل انه لما ركب على ظهره وأثقله قال له تحمل فقال قد بقى لوط نقال من هذا يهرب وكان الذى كتب ذلك أبو نواس (قلت) وقد جاء فى تفسير قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض ان فسادهم كان اللواط

(فصل فى النظر الى وجه الامرد)

ذكر الحافظ محمد بن ناصر من حديث مجالد عن الشعبى قال قدم عبد القيس على النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال كانت خطيئة من مضى النظر (وفى الكامل) عن أبى هريرة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحدث الرجل النظر الى الغلام الامرد وكان سعيد بن المسيب يقول اذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى غلام أمرد فاتهموه وصرح الشيخ محيى الدين النووى فى المنهاج بتحريم النظر الى وجه الامرد بشهوة او بغير شهوة وذكر الخطيب من حديث عبد الرحمن ابن وافد عن عمرو بن أزهر عن أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا أولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم ما لا تشتاق الى الجوارى العواتق * وكان ابراهيم النخعى وسفيان الثورى وغيرهم من السلف ينهون عن مجالسة الامرد وقال النخعى مجالستهم فتنة وانما هم بمنزلة النساء (حكى) عن أبى سعيد الجزار وكان من المشايخ المعروفين بالزهد والعبادة انه قال رأيت ابليس فى منامى

فأنت عندى بلا شك بقيتهم * منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا
ومحوته بعد ان أثقلته فقال أثقلتنى وقطعت ظهرى انزل فقلت

نصبت جفونى للخيال حبائلا * لعل خيالا فى الكرى منه يسنح
وكيف اذا أغمضتهن اصيده * ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

(وتلطف ابن نباتة فى أخذه فقال)

واقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

(وتلطف ابن السروجى بقوله)

انم بوصلك لى فهذا وقته * يكفى من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمرى فى هوالك وليتنى * أعطى وصالا بالذى انفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
انت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن كثرت تصبرى فرقته
قال العواذل يدعى بك نسبة * فسردت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم * عبدى ومملوكى وما اعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم * ادرى بذا وأنا الذى شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارنى * من فرحتى بلقائه ما حققته
نمضى وفى قلبى عليه حسرة * لو كان يمكننى الرقاد لحقته

(وابن السروجى) هذا ذكره فى منازل الاحباب فى عشاق الغلمان وفى ثمرات الاوراق حماه تقى الدين ونقل عنه بعض هذا الشعر ولم يسم معشوقه والشاهد من شعره هنا البيتان الاخيران واتخاذ كرناه كله لحسنه ومن المكثرين من ذكر الخيال حتى ضربت به الامثال البحترى ومن قوله فيه

ولم انس اسعاف الكرى بدنوها * وزورتها بعد الهدو ولم تدرى
اذا الليل اعطانا من الوصل بلغة * تثنينا تباشير الصباح من الفجر

(وقوله)

وليلة هوّمنا على العيس اقبلت * بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثى * بعطفى غزال بت وهنا أغازله
فكم من يد لليل عندى حميدة * وللصبح من خطب تذم هوائله

(وقال عبد الصمد)

واصل النوم بيننا بعد هجر * فاجتمعنا ونحن مفترقان
غير ان الارواح خافت رقيبا * فطوت سرها عن الابدان
منظر كان لذة القلب الا * انه منظر بغير عيان

(وقال ابن القطان)

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفانى منه الضم والقبل
ما زارنى قط الا كى يوافقنى * على الرقاد فينقيه ويرتحل

وهو يمر عنى ناحية فقلت تعال فقال اى شئ اعمل بكم أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخدع به الناس قلت وما هو قال الدينار ثم قال غيران لى فيكم لطيفة قلت وما هى قال صحبة الاحداث ٥١

وقد انشدهما يوما عند الوزير الزينى وادعى انه لا يمكن تمثيلهما فانشد الحيص بيص بديهة

وما دوى ان نومى حيلة نصبت * لطرفه حين اعيا اليقظة الحيل

(وقال ابن العفيف)

يا حبذا طيفك من قادم * يا أحسن العالم فى العالم
طيف تجلى نوره ساطعا * حتى رأته مقلة النائم
يا غائبا يحكم فى مهجتى * على طابت غيبة الحاكم
عار على حسنك ان يشتكى * حظى منه انه ظالمى

(واحسن كشاجم حيث قال)

لقد بخلت حتى بطيف خيالها * على وقالت رحمة لنحيبى
اخاف على طيفى اذا جاء طارقا * وسادك ان يلقاه طيف رقيب

(وقال آخر)

وزارنى طيف من اهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تجنبنى * نيل المنى فاستحالت غبطتى اسفا

(وقال ابن المعتز)

ابصرته فى المنام معتذرا * الحق مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به * أتبهت عند الصباح لا كانا

(وقلت)

مليكة الحسن ما شئ يقال له * نوم فان جفونى ليس تعرفه
هل تسمحين بشئ منه يطرقنى * فيه خيال لك ان القلب يألفه
يجيبه مبت عشق لاعج النبه * اطول هجرك كاد الشوق يتلفه

ثم تشعبت آراءهم فى التفنن فى الخيال (فمنهم) من رده مللا وضجرا ويشبه هذا ما سبق من حمله الضجر على ترك من هجر (فمنهم) طرفة ويقال انه أول من ذكر الخيال وفى ديوان الصبابة ان أول من ذكره عمر بن قئة وان طرفة اول من طرده فقال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * الينا فانى واصل حبل من وصل

(وتلاه جرير فقال)

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

وسيأتى لهذا البيت حكاية فى الخاتمة تذكر هناك (ومنهم) من اعتذر عن عدم بعث الخيال بقوله

سامحت كتبك فى القطيعة عالما * ان الصحيفة اعوزت من حامل
وعذرت طيفك فى الجفاء لانه * يسرى فيصبح دونها بمراحل

على ان عشق النسوان أيضا والنظر الى من لا يجوز النظر اليها فيه ما فيه مما لا يدرك تلافيه وقد ثبت فى الصحيحين من حديث اسامة بن زيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما تركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء (قلت) ولا سيما نساء هذا الزمان

وقد

من كل شمس خدر تطلع من قوادها بين قرنى شيطان وغيرها ممن اشتغلت بالسحاق والخروج بعذرتها من الباب أو الطاق
كما قيل فى معنى ذلك ٥٢ شغل المرد بالمرد الدال واضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق

كل جنس بجنسه قد تكفى
فعزاء يا معشر العشاق

(وحكى) عن بعضهم انه قال لجارية تساحق ارجعى الى الحق فقالت الحق بعض مرادى تريدان السحق بعض حروفه الحق وهذا من الاجوبة اللطيفة فما احقها أن يقال فى حقها

مغرمة بالسحاق اضحت
تبكى عليه بكل عين
فما اكتفت فى الهتوك الا
تضيف اسحاق فى حنين

(حكى) ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما فى السحاق تجذب التى هى من فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الى حبال ورجال * وقال شيخنا زين الدين ابن الوردى فى نساء أهل العصر هذا الشعر

قولوا لمن تهوى السحاق الذى
حرمه الله ومافيه خير
أخطأت يا كاملة الحسن اذ
أفقت اسحق مقام الزبير

(وقال آخر)

قل لمن تدعى السحا
ق الى كم تساحقى
ليس يشفى غليلك
من جميع الخلائق
غير ذى الاصلع الفقيه
سر الخليق الجوالق

(وقال ابن سناء الملك)

يا هذه لا تستحى * منى فقد انكشف المغطى
(وقال بعض مشايخ العصر)

(ومنهم) من ذم النوم فى قالب الاعتذار عن طيف الخيال كأنه يقول ان المنغصات فى الدنيا لا تنفك عن الانسان حتى فى النوم ألا ترى أن من يحلم بمحبوبه أو شئ من مطلوبه ينتبه فلا يرى الا الاسف والقلق وزيادة الحرق وان حلم أنه احدث أو ضرب رأى ذلك فى الصباح ولما كان خيال المحبوب من اللذات لم يأت النوم به جريا على عوائد الزمان فى الاتيان بغير الملائم للانسان وما احسن قول المتنبى فى هذا المعنى

واحسب أنى اذ هويت فراقكم * افارقكم والدهر اخبث صاحب
فياليت مابينى وبين احبتى * من البعد مابينى وبين المصائب

ومن ذم المنام والرؤية فيه قول بعضهم

ارى فى منامى كل شئ يسوءنى * ورؤياى بعد الصبح ادهى وأقبح
فان كان خيرا فهو اضغاث حالم * وان كان شرا جاءنى قبل أصبح

(وقال المعرى)

الى الله اشكو أننى كل ليلة * ادانت لى اعدم خواطر أوهام
فان كان شرا فهو لاشك واقع * وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

(وقال الاحنف العكبرى)

واحلم فى المنام بكل خير * فأصبح لا أراه ولا يرانى
ولو ابصرت شرا فى منامى * لوافى الشر من قبل الاذان

(وقلت)

لك الحمد انى لم أبت قط ليلة * من الدهر خلوا من أليم النوائب
وفى النوم ان احلم بشئ يسوءنى * من الصبح يأتينى بسوء العواقب
وان كان خيرا لا ارى منه ذرة * لسوء مزاج او قران كواكب

(ومنهم) من تظرف فوصف النوم وابليس بالقيادة قال ابن المعتز

الم الخيال بلا حمده * وابدانى الوصل من صده
وكم نومة لى قوادة * أتت بالحبيب على بعده

(وقال آخر)

تركت هجا ابليس ثم مدحته * وذا لامر عز عندى سلوكه
يقرب من أهواه حينا فان أبى * حكاه خيالا فى الكرى فانيكه

ومما يصلح ايراده هنا للمناسبة ان بعض المغفلين احب امرأة واجهد نفسه حتى اجتمع بها فنام فقالت له لم لم تفعل ذلك قال من شوقى اليك لعلى أرالك فى النوم فقالت انا عندك بنفسى فقم فانظرنى

* (فصل فى احكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولهما عند الهجر والنفار وتمنى طول زمن الوصل والرضا

(وسألنى) بعض الاصحاب أن انظم له مثل هذا فقلت واستغفر الله وأتوب اليه
أيرى هذا عصبى * يدخل معك فى الدم ٥٣

وقصر الهجر وقطعه اسرع من القضا ومانشعب فى ذلك بين العشاق وذهبوا كل مذهب على اختلاف الاذواق) *

فما قال متيمهم بعد الجهد والغلبة ومرارة الصبر بعد فراق الاحبة

ياليل طل اولا تطل * لابتلى أن اسهرك
لو بات عندى قرى * مابت ارعى قمرك

ومما الطف قول بعضهم فى طول الليل وهجر المحب

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

(وقال آخر)

مات الظلام بليل * احييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

(وقال ابن مفقذ)

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه ثباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافرا * ايقنت ان صباحهم قد ماتا

(وقال بعضهم)

وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها * وهجره النار يصلينا بها النارا
فالشمس بالقوس أمست وهى نازلة * ان لم يزرنى وبالجوزاء ان زارا

(حكى) ان محدثا سئل عن معنى هذين البيتين فقال هذا راجع الى النجوم وقام مستعيا وآلى على نفسه ان لا يجالس فى حلقة حتى ينظر فى النجوم (وقال بعضهم) فى قصر ليل الوصال

ياليلة كاد من تقاصرها * يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال بعضهم وقد جمع وصف الزمانين

عهدى بنا ورداء الليل مشتمل * والليل اطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلى مذ بانوا فديتهم * ليل الضرير فصبحى غير منتظر

وقال الشريف ابن الهبارية

لقد ساهرتنى عيون الدجى * وقد نام عنى عيون الملاح
اذا ما اشتكى الليل هجر الصباح * شكوت الى الله هجر الصباح

(وقال الفاضل فى زمن الوصل)

بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بوأنا الليل وقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

وقال الارجانى معتذرا عن طول ليل الهجر

لا ادعى جور الزمان ولا ارى * ليلى يزيد على الليالى طولا
لكن مرآة الصباح تنفسى * للهم اصدأ وجهها المصقولا

تأخرت لحيضها * قلت لها تقدمى
(وقال بعض مشايخ العصر)

وكنت اذا رأيت ولو عجوزا
يبادر بالقيام على الحراره
فأصبح لا يقوم لبدر تم
كأن البدر قد ولى الوزاره

(وقلت أنا)

يا أيران مر الحبيب مسلما
وأشار نحوك دون كل الناس
فانهض لخدمته ولا تك أحمقا
مافى وقوفك ساعة من باس

(وقلت) ايضا واستغفر الله العظيم من كل ذنب

لما وفى فى الصيام الحب أنشدنى
أيرى وقال اشترط ماشئت واحتكم
فالامر أمرك ماعندى مخالفة
ان صمت صمنا وان أفطرت لم نصم

(وحكى) قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان بعد ان رد قول بعضهم ولقد قال لى صديقى لما

ان رآنى اضرنى الافلاس
قم تسكع بذا العمود فهذا الـ
ايريرجى بمثله ويراس
قلت قد كان ذا ولكن دهرى
اهله كلهم لئام خساس

أين من كان عندهم يرفع الابـ
ـرعلى الراحتين ثم يباس
اين من كان عالما بعقاديـ
ـر الايور البكار مات الناس

فقال قيل ان الامير فخر الدين ابن الشيخ رأى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين ابن قيم الشام فكتب تحتها من خلف مثلك ماتات (وقال آخر)

زهوا أننى خسرت عليها * ليت شعرى من أين تلك الخساره
حضرتنى فقام ابرى اذنا * لى يحاكى بنطينة أو خياره

من مغل من ضيعتى من ماشى * من بقايا أموال تلك التجاره
(وقال آخر)

ويحك يا ريّ أما تشفي * تخبلني ما بين جلاسي تطلع من طوق كذا عامدا * تنكس العمة عن راسي
(وقال ابن مطروح) ٥٤ سألت من أمرضني * في قبله تشفي الالم فقال لا لا أبدا * قلت له نعم نعم

(وقال امرؤ القيس)

وليل كموج البحر ارخى سدوله * على بانواع الهموم ليبتلي

(وقال المتنبي)

كم زورة لك في الاعراب خافية * ازهى وقد رقدوا من زورة الذيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لي * وأتقي وبياض الصبح يغري بي

في هذا البيت من الانواع حسن المقابلة وفيه مقابلة خمسة بخمسة ولكن نقد عليه في مقابلة الصبح بالليل لان الجزء لا يقابل بالكل فلو قال النهار كان اولى وللمتنبي دقائق لطيفة الاترى الى قوله

وكم لظلام الليل عندي من يد * تخبر أن المانوية تكذب

فان المانوية فرقة تقول ان الآلهة اثنان اله الظلمة واله النور والاول لا يفعل الا الشر والثاني لا يفعل الا الخير فنقول ان زيارة المحب اعظم خير فعلته الظلمة وقد كذبوا في قولهم

(وقال ابن رشيق)

أيها الليل طل بغير جناح * ليس للعين راحة في الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عني نور الوجوه الملاح

وانما اكثر وا من ذكر الليل دون غيره لانه محل سكون الحواس وهدو الانفاس وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعبات عنها فتنجلب الافكار الخفيات فيما مضى وما هو آت واما النهار فالافكار فيه منتشرة والشواغل مستكثرة فهو محل الاستغراق وقلة الاعتلاق ومحل التسلية عن الاشواق اللهم الا شخصا قد ملك الحب قياده فلا يلهيه شيء ولا يثنيه مراده (وقلت جامعا لغالب هذه المعاني)

بذكرك يا من في هواها ضنى حالي * شغلت فما منه أرى ابدا خالي
فتبت عن الاغيار فيك صبابة * فغيرك لم يخطر مدى الدهر في بالي
ولو زارني طيف الخيال لقال لي * الا انعم صباحا ايها الطلل البالي
سوى قصر أعوام الوصال وصدها * دقيقة هجران تقطع أوصالي
فيا من لها بالحسن يوسف قد سبا * ووالده بالحزن في الدهر أوصى لي
متى تنعمي والشمس بالقوس ليلة * وفي ضده يوما على رغم عذالي

(وقلت ايضا مخترعا فيما اظن)

ألوم جميع العاشقين لذنبهم * ضيا الصبح في تفريق شمل الحبائب
وما الصبح بل ما الشمس لولا جبينها * يفيض الضيا في شرقها والمغارب
وهلا سألتم شعرها ستر وجهها * اذا شئتم طول احتبالك الغياهب

(فصل) فيما ذكر واشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذي اوقعه في الفضول وكيف ادخل نفسه بين الاحباب حتى انتقمت منه اهل الآداب فوجهوا

فقال غصبا قلت لا
الا على رأس علم
قال فخذها بالرضا
مني حلالا وابتسم
فلا تسل عما جرى
واستغفر الله ونم

(الباب الثلاثون في ذكر من اتصف بالعفاف وبأحسن الاوصاف)

أقول هذا باب عقدناه لذكر اكثر المحبين ميلا وأظهرهم دليلا وأحسنهم سيرة وأزكاهم سريرة وأعفهم مع القدرة ولا سيما بنو عذرة الذين هم أشد الناس غراما وأعظمهم هياما فلذلك قلت وأقول العشق مع العفة في بني عذرة كثير والمقتول منهم عشقا جم غفير فان ذكر أحدهم بالعفة فجميل جميل الصفات صادق العزمات وسنورد من أخباره في هذا المقام ما يصدق هذه الدعوى ويحقق ان التسلي بالمحبوب عن غيره ضرب من السلوى (فمن ذلك) ما حكاه محمد بن جعفر الاهوازي قال مرض جميل بمصر مرضه الذي مات فيه فدخل عليه العباس بن سهل فقال له جميل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد ان لا اله الا الله قلت أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا الرجل قال أنا فقلت له ما احسبك سلمت وانت منذ عشرين سنة تسبب بثينة فقال اني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا فلا تالني شفاعة محمد يوم القيامة ان كنت وضعت

يدي عليها لريبة قط فما قمنا حتى مات سنة اثنتين وثمانين من الهجرة (ومن غريب) ما حكاه الزبير من أخبار جميل أن بثينة المذكورة من بني عذرة وبنو عذرة قبيلة مشهورة بالعشق في قبائل العرب واليهم ينسب الهوى العذري لانهم أشد الناس خلق الله عشقا (قال سعيد بن عقبة) لاعرابي ممن أنت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا قال عذري ورب الكعبة ثم قال ولم ذلك قال لان في نساءنا صباحة وفي فتياننا عفة (وقال) رجل لعروة بن حزام يا هذا بالله أصحيح ما يقال عنكم انكم أرق الناس قلوبا قال نعم والله لقد تركت ثلاثين شابا في الحي قد خامرهم الموت مالهم داء الا الحب (وقال) رجل من بني فزارة لرجل من بني عذرة تعدون موتكم بالحب مزية وفضيلة وانما ذلك ضعف بنية وضيق روية ورقي وخور تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال له والله لو رأيتم النواظر الدعج من فوقها الحواجب الزج من تحتها المباسم الفلج والشفاه السمر تفتر عن الثنايا الغر لاتخذتموها اللات والعزى ثم أنشد

تتبعت مرعى الوحش حتى رمينني * من النبل لا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فيا عجبا للقاتلات الضعائف

(وقيل لبعضهم) ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تحب فقال احل الخمار وأحرم ما وراء الازار واظهر للعب ما يرضى الرب (وقال) الحافظ أبو محمد الاموي ان امرأة يشق بها حدثته ان فتى

(وقال ابن المعتز)

ويحك يا ريّ أما تشفي * تخبلني ما بين جلاسي تطلع من طوق كذا عامدا * تنكس العمة عن راسي

(وقال ابن مطروح) ٥٤ سألت من أمرضني * في قبله تشفي الالم فقال لا لا أبدا * قلت له نعم نعم

(وقال امرؤ القيس)

وليل كموج البحر ارخى سدوله * على بانواع الهموم ليبتلي

(وقال المتنبي)

كم زورة لك في الاعراب خافية * ازهى وقد رقدوا من زورة الذيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لي * وأتقي وبياض الصبح يغري بي

في هذا البيت من الانواع حسن المقابلة وفيه مقابلة خمسة بخمسة ولكن نقد عليه في مقابلة الصبح بالليل لان الجزء لا يقابل بالكل فلو قال النهار كان اولى وللمتنبي دقائق لطيفة الاترى الى قوله

وكم لظلام الليل عندي من يد * تخبر أن المانوية تكذب

فان المانوية فرقة تقول ان الآلهة اثنان اله الظلمة واله النور والاول لا يفعل الا الشر والثاني لا يفعل الا الخير فنقول ان زيارة المحب اعظم خير فعلته الظلمة وقد كذبوا في قولهم

(وقال ابن رشيق)

أيها الليل طل بغير جناح * ليس للعين راحة في الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عني نور الوجوه الملاح

وانما اكثروا من ذكر الليل دون غيره لانه محل سكون الحواس وهدو الانفاس وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعبات عنها فتنجلب الافكار الخفيات فيما مضى وما هو آت واما النهار فالافكار فيه منتشرة والشواغل مستكثرة فهو محل الاستغراق وقلة الاعتلاق ومحل التسلية عن الاشواق اللهم الا شخصا قد ملك الحب قياده فلا يلهيه شيء ولا يثنيه مراده (وقلت جامعا لغالب هذه المعاني)

بذكرك يا من في هواها ضنى حالي * شغلت فما منه أرى ابدا خالي
فتبت عن الاغيار فيك صبابة * فغيرك لم يخطر مدى الدهر في بالي
ولو زارني طيف الخيال لقال لي * الا انعم صباحا ايها الطلل البالي
سوى قصر أعوام الوصال وصدها * دقيقة هجران تقطع أوصالي
فيا من لها بالحسن يوسف قد سبا * ووالده بالحزن في الدهر أوصى لي
متى تنعمي والشمس بالقوس ليلة * وفي ضده يوما على رغم عذالي

(وقلت ايضا مخترعا فيما اظن)

ألوم جميع العاشقين لذنبهم * ضيا الصبح في تفريق شمل الحبائب
وما الصبح بل ما الشمس لولا جبينها * يفيض الضيا في شرقها والمغارب
وهلا سألتم شعرها ستر وجهها * اذا شئتم طول احتبالك الغياهب

(فصل) فيما ذكر واشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذي اوقعه في الفضول وكيف ادخل نفسه بين الاحباب حتى انتقمت منه اهل الآداب فوجهوا

يدي عليها لريبة قط فما قمنا حتى مات سنة اثنتين وثمانين من الهجرة (ومن غريب) ما حكاه الزبير من أخبار جميل أن بثينة المذكورة من بني عذرة وبنو عذرة قبيلة مشهورة بالعشق في قبائل العرب واليهم ينسب الهوى العذري لانهم أشد الناس خلق الله عشقا (قال سعيد بن عقبة) لاعرابي ممن أنت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا قال عذري ورب الكعبة ثم قال ولم ذلك قال لان في نساءنا صباحة وفي فتياننا عفة (وقال) رجل لعروة بن حزام يا هذا بالله أصحيح ما يقال عنكم انكم أرق الناس قلوبا قال نعم والله لقد تركت ثلاثين شابا في الحي قد خامرهم الموت مالهم داء الا الحب (وقال) رجل من بني فزارة لرجل من بني عذرة تعدون موتكم بالحب مزية وفضيلة وانما ذلك ضعف بنية وضيق روية ورقي وخور تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال له والله لو رأيتم النواظر الدعج من فوقها الحواجب الزج من تحتها المباسم الفلج والشفاه السمر تفتر عن الثنايا الغر لاتخذتموها اللات والعزى ثم أنشد

تتبعت مرعى الوحش حتى رمينني * من النبل لا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فيا عجبا للقاتلات الضعائف

(وقيل لبعضهم) ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تحب فقال احل الخمار وأحرم ما وراء الازار واظهر للعب ما يرضى الرب (وقال) الحافظ أبو محمد الاموي ان امرأة يشق بها حدثته ان فتى

(وقال ابن المعتز)

ويحك يا ريّ أما تشفي * تخبلني ما بين جلاسي تطلع من طوق كذا عامدا * تنكس العمة عن راسي

(وقال ابن مطروح) ٥٤ سألت من أمرضني * في قبله تشفي الالم فقال لا لا أبدا * قلت له نعم نعم

(وقال امرؤ القيس)

وليل كموج البحر ارخى سدوله * على بانواع الهموم ليبتلي

(وقال المتنبي)

كم زورة لك في الاعراب خافية * ازهى وقد رقدوا من زورة الذيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لي * وأتقي وبياض الصبح يغري بي

في هذا البيت من الانواع حسن المقابلة وفيه مقابلة خمسة بخمسة ولكن نقد عليه في مقابلة الصبح بالليل لان الجزء لا يقابل بالكل فلو قال النهار كان اولى وللمتنبي دقائق لطيفة الاترى الى قوله

وكم لظلام الليل عندي من يد * تخبر أن المانوية تكذب

فان المانوية فرقة تقول ان الآلهة اثنان اله الظلمة واله النور والاول لا يفعل الا الشر والثاني لا يفعل الا الخير فنقول ان زيارة المحب اعظم خير فعلته الظلمة وقد كذبوا في قولهم

(وقال ابن رشيق)

أيها الليل طل بغير جناح * ليس للعين راحة في الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عني نور الوجوه الملاح

وانما اكثروا من ذكر الليل دون غيره لانه محل سكون الحواس وهدو الانفاس وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعبات عنها فتنجلب الافكار الخفيات فيما مضى وما هو آت واما النهار فالافكار فيه منتشرة والشواغل مستكثرة فهو محل الاستغراق وقلة الاعتلاق ومحل التسلية عن الاشواق اللهم الا شخصا قد ملك الحب قياده فلا يلهيه شيء ولا يثنيه مراده (وقلت جامعا لغالب هذه المعاني)

بذكرك يا من في هواها ضنى حالي * شغلت فما منه أرى ابدا خالي
فتبت عن الاغيار فيك صبابة * فغيرك لم يخطر مدى الدهر في بالي
ولو زارني طيف الخيال لقال لي * الا انعم صباحا ايها الطلل البالي
سوى قصر أعوام الوصال وصدها * دقيقة هجران تقطع أوصالي
فيا من لها بالحسن يوسف قد سبا * ووالده بالحزن في الدهر أوصى لي
متى تنعمي والشمس بالقوس ليلة * وفي ضده يوما على رغم عذالي

(وقلت ايضا مخترعا فيما اظن)

ألوم جميع العاشقين لذنبهم * ضيا الصبح في تفريق شمل الحبائب
وما الصبح بل ما الشمس لولا جبينها * يفيض الضيا في شرقها والمغارب
وهلا سألتم شعرها ستر وجهها * اذا شئتم طول احتبالك الغياهب

(فصل) فيما ذكر واشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذي اوقعه في الفضول وكيف ادخل نفسه بين الاحباب حتى انتقمت منه اهل الآداب فوجهوا

المه سنان اللسان والاقلام فامتحن طعنا بكل نثر ونظام فقد قيل ليس من العدل كثرة العذل ومن تكلم بما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومن لم يملك عما استغنى عنه من الكلام فهو أحق بالملام وليس في هذا الباب الطف من كلام سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته حيث قال

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنفني

(وقال بعضهم)

يا عاذلي في هواه * اذا بدا كيف اسلو
يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يا من اذا باعت الابصار أسودها * بحبة فوق خديه فقد ربحت
يزيد في العذل تبريحا اسر به * فليت عذال حبي فيك ما بربحت

وقال ابن العفيف التلمساني

اسرفت في اللوم ولم تقتصر * وزدت في عذلك يا ذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

(وقال والده)

ولي على عاذلي حقوق هوى * شكري عليها من بعض ما يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت في عشقه انا السبب

(وقال بعضهم)

قد اقتصر اللاحي وجاء يلومني * وزخرف لي زورا لكلام بمينه
وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وانشد ابن وكيع وقد عشق غلاما نصرانيا ولامه عليه صاحبه فخر بهما المعشوق ولم يدر العاذل أنه هو فقال له لو عشقت هذا ما ملكت عليه فانشد

أبصره عاذلي عليه * ولم يكن قبلها رآه
فقال لي لو عشقت هذا * ما لام الناس في هواه
قل لي الى من عدلت عنه * فليس اهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

وقال شيخ الشيوخ بحماة

زعموا أنني هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعي * فلو ان كان قلبي سلاكم
قال لي عذلي متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

(وقال بعضهم)

علقها وعلقته وشاع أمرهما فاجتمعا يوما خاليين فقال لها هلمي نتحقق ما يقال فينا فقالت لا والله لا كان هذا أبدا وأنا اقر الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (وقيل) لبعضهم وقد طال عشقه لجار يته من قومه ما أنت صانع ان ظفرت بها ولا يراكما

الا الله قال والله لاجعلنه أهون الناظرين لأفعلن بها مثل الذي أفعله بحضرة اهلها حينين طويل ولحظ من بعيد واثرك
ما يكره الرب ويفسد الحب (وقيل لا آخر) ٥٦ ما كنت صانعا لو ظفرت بمحبوبتك فقال ضمها ولثمها وعصيان الشيطان
في اثمها ولا افسد عشق عشرين سنة بلذة ساعة تفنى ويبقى حسابها إلى ان فعلت هذا اللئيم ولم يلدني كريم
(قلت) وممن اتصف من العفاف بأحسن الاوصاف من الخلفاء هرون الرشيد وذلك انه عشق جارية فلما راودها عن نفسها قالت ان ابالك ألم يأبى فتركها وشغف بها حتى كاد يخرج على وجهه فكان ينشد
ارى ما به بي عاش شديد
ولكن لا سبيل الى الورد
فقال له القاضي أوكما قالت جارية شيأ تهذق قولها فقال الرشيد ما فوق الخلافة مرتبة فانظر ما احسن عفة الجارية وامتناع هرون الرشيد مع شدة شغفه بها (ودخل عليه) منصور بن عمار فاستدناه حتى ألصق ركبتيه بركبتيه فقال له منصور يا أمير المؤمنين تواضعك في شرفك احب الينا من شرفك فقال عظني فقال من عف في جاله وواسى من ماله وعدل في سلطانه كتبه الله من الابرار فبكى الرشيد وقال زدني فقال لو طلبت شربة ماء فلم تجدها الا بنصف الدنيا أكنت تشتريها به قال نعم قال فلو تعسرت عليك بعد شربها أكنت تشتري خروجها بالنصف الآخر قال نعم قال قبح الله دنيا تشترى بشربة ماء وبولة (وحكى) عن السلطان ملك شاه السلجوقي انه حضرت بين يديه مغنية فأعجب بها واستطاب غناءها فهم بها فقالت يا سلطان العالم انى أغار على هذا الوجه والله
المليح الجميل لئن يعذب بالنار وان الحلال أيسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى القاضي وتزوجها وأقامت في

ان قوما يلحون في حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثنا
سمعوا وصفها فلاموا عليها * اخذوا طيبا وأعطوا خبيثا
(وقال آخر)
من منصفي من عاذل جاهل * يخون باللوم لمن لا يخون
ان قلت ما تصحك الا أذى * قال وما عشقك الا جنون
وقال محمد بن شرف الدين القيرواني
يقول لي العاذل في لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من أحببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن
وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة
ايها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب
(وقال ابن عبد الظاهر)
كم على عاذلي وكم لحبيبي * ذاك تكبيرة وذا تهليله
يا شقائي وأين مني شقائي * اين من يتقي الى الوسيله
أنا ان مت قبلوني اليه * فحياتي وحقه نقبيله
(وقال قابوس)
من عادري في عاذل * يلوم في حب رشا
اذا طلبت وصله * قال كفى بالدمع شا (هذا)
(وقال الوداعي)
يا لائمي في هواه * افرطت في اللوم جهلا
ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا
(وقال البهاء زهير)
وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتهجم * فيا ليته لو كان يدفع بالقى
(وقال شيخ الشيوخ بحماة)
ابغض العشاق منه اثنتي * لم ابع في حبه رشدي بغي
قلت قد أضنيت جسمي قال قده قلت كي تذهب روحي قال كي
(وقال ايضا)
اليكم هجرتي وقصدي * وفيكم الموت والحياة
أمنت أن توحشوا فؤادي * فآنسوا مقلتي ولا تو (حشوا)
(وقال ابن مطروح)

٥٧ السلطان فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون هذا ما اشترى مملوكا قط بخمسين دينارا فلم اشترى هذا بخمسمائة دينار ثم تركني أياما وقال أحضره مع المماليك يقف في الخدمة كل يوم فلما كان بعد أيام قال أحضره بعد العشاء الى الخيمة ونم أنت وأياه على باب البرج فقلت في نفسي هذا الشيخ في زمان شبابه ما ارتكب كبيرة ولما كبر سنه يقع فيها والله لاقتلنه قبل أن يقع في المعصية فأخذت كفارة فأصلحتها وجئت بالمملوك وأنا في قلق فسهرت عامة الليل ونور الدين في أعلى البرج ثم غلبتني عيني فنمت ثم استيقظت فوقعت يدي على وجه الغلام فاذا به مثل الجمرة وعليه حمى شديدة فرجعت به الى خيمتي وأحضرت الطبيب فمات وقت الظهر فغسلته وكفنته ودفنته فدعاني نور الدين في اليوم الثاني وقال يا سهيل ان بعض الظن اثم فاستحييت فقال قد عرفت حالي وأنت ربيبي هل عثرت لي على زلة قلت حاشا لله قال فلم حملت الكفارة وحدثتك نفسك بالسوء ما أنا معصوم لما رأيت المملوك وقع في قلبي منه مثل النار فقلت اشتريه لعله يذهب عني ما أنا فيه فلم يذهب فقالت لي نفسي أريد كل يوم أن أراه فأمرتك باحضاره فقالت أريد أن تحضره الى البرج بالليل فأمرتك باحضاره فلما حضر

والله ما خطر السلو بخاطري * ما دمت في قيد الحياة ولا اذا
(وقال آخر)
لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه جميل
(وقال آخر)
قل للعذول اطلت اللوم في غرر * يزيد في كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما في حسنه عجب * قم فانظر الورد في خديه منثورا
(وقال محيي الدين البغدادي)
ان لامني من لا رآه فقد * جار على الغائب بالحكم
وان نهاني من رآه فقد * اضله الله على علم
(وقال البهاء زهير)
انت الحبيب الاول * ولك الهنا المستقبل
عندي لك الود الذي * هو ما عهدت واكمل
القلب فيك مقيد * والدمع فيك مسلسل
يا من يهدد بالصدو * د نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك في الهوى * لكني أتعلل
قل للعذول لقد اطلـ * ـت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوي * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول اخف من * غضب الحبيب واسهل
(وقال ابن أبي حجلة)
وعاذل بالغ في عذله * وقال لما هاج بلبالي
بعارض المحبوب ما تنهى * قلت ولا بالشيب والوالي
(وقال آخر)
وشادن مبتسم عن شنب * مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه له * وما دري شعبان أني رجب
المراد بشعبان العاذل ورجب الاصم وهي اسماء كانت مشهورة في الجاهلية
(وقال السراج الوراق)
قلت اذ جرد لحظا * حده يدني الاجل
يا عذولي كف عني * سبق السيف العذل
هذا مثل سائر أصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة خرجا لحاجة فرجع سعد دون أخيه فكانت العرب اذا عاد الرجل منهم من سفر يقولون له سعدا م سعيد فيقول سعدان رجع بفرصة وان عاد بدون فرصة يقول سعيد وان أباهما خرج مع رجل حتى بلغا موضعا فقال له

ماتركني النفس أنام ولا بقيت في حرب الى السحر فهممت ان أصعده الى عندي فتداركني الله برحمته فكشفت رأسي وقلت الهي عبدك محمود المجاهد في سبيلك الذاب عن دين نبيك صلى

الله عليه وسلم الذى عمر المساجد والمدارس والربط بختم أعماله بمثل هذا فسمعت هاتفا يقول قد كفيناك يا محمود فعلمت انه قد

حدث به حدث وأما أنت فجزاك الله عنى خيرا والله ان القتل عندى أهون من المعصية ثم أحسن الى (وحكى) عن فاطمة بنت الخثعمى انها دعت عبد الله بن عبد المطلب والد النبى صلى الله عليه وسلم الى نفسها للنور الذى رأته بين عينيه فأبى وقال أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فأستبينه فكيف بالامر الذى تبغينه

يحمى الكريم عرضه ودينه

قلت قصة عبد الله مع فاطمة هذه مثل قولهم فى المثل واحد يشتهى التين وآخر يقطفه فحاله معها كحال توبة مع ليلى الاخيلية وهو ما حكى انه راودها عن نفسها فنفرت منه وأنشدت

وذى حاجة قلناله لا تبح بها
فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه
وأنت لأخرى صاحب وخليل
فكانت كما قيل
جننا بليلى وهى جنت بغيرنا
وأخرى بنا مجنونة ما نريدها

ومثل قول الآخر

علقتها عرضا وعلقت رجلا
غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

وممن اتصف بالعفاف من ذوى الغرام الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهرى وله فى ذلك حكايات مشهورة وهذا موضع ايرادها ونذكر أبرادها فمن ذلك قوله لكل شئ زكاة وزكاة الوجه الحسن امكان أهل العفة من النظر اليه (وحكى) محبوبه محمد وقيل اسمه وهب بن جامع الصيدلانى انه دخل على أمير المؤمنين فسأله عن ابن داود هل رأيت عنه ما تنكره فقال لا يا أمير المؤمنين الا انى بت عنده ليلة فكان يكشف عن وجهى ثم يقول

اللهم أنت تعلم أنى أحبه وانى أراقبك فيه فاغفر له فلما خرجت نظرت فى المرآة فاستحسنت صورتى فوق ما عهدت فغطيت وجهى وآليت أن لا ينظر أحد الى وجهى قبله وبادرت اليه فلما رآنى مغطى الوجه خاف أن يكون لحقنى آفة فقال ما الخبر فقلت رأيت الساعة وجهى فى المرآة فاحببت أن لا يراه أحد قبلك فغشى عليه قال الليث بن سكرة كان محمد بن واسع ينفق على محمد ابن داود وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على عاشقه ويتقرب الى قلبه بأنواع البر الا هذا مع ما هو فيه من الصيانة وحسن الديانة فالحمد لله الذى رأينا فى زماننا من يتخلق بأخلاق الناس ولهذا العاشق مع هذا المعشوق حكاية غريبة أضربت عنها خوف الاطالة وكان محمد بن داود قد وضع كتاب الزهرة لاجل محبوبه محمد بن جامع المذكور وهو مجموع أدب أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائق وقال فى أوله وكيف تنكرت من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه ومن جفاء الاخوان وأنت المقدم فيه ومن عجيب ما تأتى به الايام ظالم يتظلم وغابن يتندم ومطاع يستظهر وغالب يستنصر ومن كلامه ما انفككت من هوى منذ دخلت الكتاب وبدأت فى كتاب الزهرة وأنا فى الكتاب ونظر أبى فى أكثره ومن ألطف ما حكى عنه انه التقى هو وأبو العباس بن سريج فى مجلس أبى الحسن بن عيسى الوزير فتناظرا فى مسئلة من

الرجل قد قتلت هذا رجلا واخذت منه هذا السيف وناوله ضبة فعرفه فجرده وضرب الرجل فعذل فقال ضبة سبق السيف العذل (وقال شيخ الشيوخ بحماة)

اعاذلى ابن مثلى من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذل
مادمت خلوا فما تنفك متهما * اعشق فقولك مقبول على وللى

(وقلت)

لقد ضلت العشاق عن سنن الهوى * للومهم العذال وهو عجيب
أما عذر المجنون مع ذى جهالة * لدى الشرع حتى يرعوى ويتوب
وما عاقل ذاق الهوى فيذمه * وبعذل صبا ان جفاه حبيب

(فصل فى احكام الزيارة وما جاء فى فضلها من البراعة والعبارة وتفنن العشاق فى فضل زيارة الحبيب وايثارا نفاسه على نفائس الطيب)

قيل كان الشافعى رضى الله عنه يكثر من زيارة احمد وكان أحمد يقل من زيارته هيبة له فقيل للشافعى انك لتزوره اكثر وهو المحتاج اليك فأنشد

قالوا يزور له احمد وتزوره * قلت الفضائل لا تفارق منزله
ان زارنى فبفضله او زرته * فلفضله فالفضل فى الحالين له

وقد أبدع لسان الحقيقة وواسطة عقد الطريقة سيدى عمر بن الفارض أفاض الله علينا من مدده فى هذا الباب حيث يقول

ولما توافينا عشاء وضمنا * سواء سبيلى دارها وخيامى
فرشت لها خدى وطاء على الثرى * فقالت لك البشرى بلثم لثامى

جعل الزيارة تفضلا منها ثم اشار الى اخذه فى اسباب السعى اليها بل شروعه فى ذلك رفعا لجانبها عن التكليف الكلى كأنه يقول انه ليس اهلا لها ثم فرش خده فى مقابلة السعى ولم يقل لها فقط بل اطلق فى جعله على الثرى المحتمل انها وطئته وانها لم تطأه وفى ذلك غاية رفع شأنها لمن يتأمل فلذلك عقبه أيضا بغاية رفع شأنه منها بأكثر مما كان يؤمله ولذلك لم تسمح نفسه بما سمعت له به غيرة كما صرح به هضما لجانبه عن هذا المقام كما اشار اليه ولما اعطى المقام حقه ونقلته العنايات الى محل الكرامات والحظوة بنيل المرادات اشار الى ذلك بقوله بعد البيت الذى تضمن ما ذكرنا

عتبت ولم تعتب كأن لم يكن قلى * وما كان الا أن أشرت وأومت

فانظر الى هذا الانتقال وصريح هذا المقال بعد ما قال

ومنت وما ضنت على بوقفة * تعادل عندى بالمعرف وقفتى

حيث عد زيارتها منة عليه لئلا يتوهم مما يأتى هضم جانبها ثم نفى عنها البخل ثم عتب بعد ذلك فأين هذا مما سبق فسبحان واهب الفضل لمن أحسن فى خدمته وقام بحقوق محبته ومن ألطف ما قيل فى الزيارة والعجلة قول العكوك

بأبى من زارنى مكتتما * خائفا من كل شئ فزعا
زائرتم عليه عرفه * كيف يخفى الليل بدرا طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت * ورعى الساهر حتى هجعا
ركب الاخطار فى زورته * ثم ما سـ ـلم حتى ودعا

(وقال ابن المعتز)

زارنى والدجى احم الحواشى * والثريا فى الغرب كالعنقود
وكان الهلال طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول * طول الله فيك غيظ الحسود

(وقال آخر)

زارت على غفلة الرقيب * كطيبة روعت بطيب
وكان وقت الوصال منها * اقصر من جلسة الخطيب

وقال عبد العزيز ويقال انه أصدق ما قالت الاوائل

يقولون لى بالله ما أنت فاعل * اذا زارك المحبوب قلت أنيكه

(وقال ابن النبيه)

قلت لليل اذ حبانى حبيبى * بعتاب يسبى النهى وعقارا
أنت يا ليل حاجبى فامنع الصبح وكن أنت يا دجى برددارا

(وقال ابن العفيف)

ومليح كالبدر زار بليل * فجلى حسنه الدجى اذ تجلى
ما درى منزلى ولكن قلبى * بالهيب الهوى هواه ودلا
وبجيب منه فقبه ذكى * بجعل النزاع كيف استدلا

(وقال بشار)

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المسا ويك
قد زرتنا زورة فى الدهر واحدة * عودى ولا تجعليها بيضة الديك

انما قال ذلك لانه قد اشتهر ان الديك يبيض فى عمره مرة ولم يذكر الطبيعيون ذلك واقول ان القياس لا يأباه لما تقرر فى الطبيعة من ان البيض الريحى فضلات غليظة هيأتها الحرارة والذكور يتوفر فيها ذلك على نحو المنى الفاضل ولولا الحرارة الخالة لكثر ذلك فيهم والممنوع بيض يولد النوع لعدم الزرع النامى ومن له يد فى الفلسفة سهل عليه علم هذا وقال ابن أبى حجلة

زار الحبيب ووجه الورد مخلان * فاصفر حين تثنى قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا * وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
ماضرنى ضيق عيشى حين واصلنى * سم الخياط مع الاحباب ميدان

الا بلا فقال له ابن سريج أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أحذق من أن تتكلم فى الفقه فقال له محمد بن داود ان قلت ذلك فانى أقول

أنزه فى روض المحاسن مقلتى * وامنع نفسى ان تنال محرما

بابى

وأحمل من ثقل الهوى مالوانه * يصب على الصخر الاصم تهدما وينطق طرفى عن متترجم خاطرى * فلولا اختلاسى ردّه لتكلما

رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست أرى حبا صحيحا مسلما فقال له ابن سريج فيم تفتخر على

ولو شئت اقامت
ومساهر بالغنج من لحظاته
قد بت أمنعه لذيذ سناته
شغفا بحسن حديثه وعتابه
واكرر اللحظات فى وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده
ولى بخاتم ربه وبراته
فقال محمد احفظ علىّ أيها الوزير ما أقربه من الاجتماع حتى يقيم البينة بشاهدى عدل على البراءة فقال له ابن سريج يلزمنى فى هذا ما يلزمك فى قولك أنزه فى روض المحاسن مقلتى
وامنع نفسى أن تنال محرما
قال فضحك الوزير وقال لقد جمعتما علما وفهما وظرفا ولطفا (ومن لطيف ما يحكى عن محمد) أيضا ما حكاه أبو القاسم الصائغ قال قال لى محمد بن داود ما دخلت جامع المدينة مما يلى باب خراسان منذ عشرين سنة قلت ولم قال لانى دخلت ذات يوم فرأيت غلامين من أحسن الناس وجها يتعاتبان فلما رأيانى تفرقا فاخترت أن لا أدخل من باب كنت فيه السبب فى الفرقة بين المتحابين ودخل عليه ثعلب فقال له أسمعنا شيأ من صبوتك فأنشد

سقى الله أياما لنا وليالیا
لهن بأكناف الشباب ملاعب
اذا العيش غض والزمان بغرة
وشاهد آفات الهجين غائب

(ومن شعره) لكل امرئ ضيف يسر به بقربه * ومالى سوى الاجفان والهم من ضيف
يقول خليلى كيف صبرك بعدنا * فقلت وهل صبر فيسئل عن كيف

(وقال ابن سكرة)

أهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من الحرس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت * وناب اشراقها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجى عنا لاظهرها * برق الثنايا وضوء البرق فى الغلس
ومما تدرجوا اليه من ذكر زيارة الحبيب وصف همّه بالطيب قال ابن النبيه
ان جاء من يبغى لهم منزلا * فقل له يمشى ويستنشق

(وقال الطغرائى)

فسر بنا فى ظلام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

(وقال آخر)

لو كان يوجد ريح مسك فائحا * لوجدته منهم على أميال

(وقال المتنبى)

ويفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانة تستنشق

ومما يخرط فى سلك الزيارة وينتظم فى عقد الاشارة ذكر العيادة وما يعجز الى المحب فيها من الافادة وهى فى الحقيقة زيارة بجميله تستعطف بها النفوس البخيله قال الطغرائى

خبروها انى مرضت فقالت * اضنى طارفا شكا أم تليدا
وأشاروا بأن تعود وسادى * فأبت وهى تشتهى أن تعودا
وأتتنى فى خفية وهى تشكو * الم الشوق والمزار البعيدا
ورأتنى كذا فلم تمالك * ان أمالت على عطفا وجيدا

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

وملولة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بعظمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

(وقال آخر)

لا تهجروا من لا تعود هجركم * وهو الذى بلبان وصلكم غذى
ورفعتموا مقداره بالابتدا * حاشاكم أن تقطعوا صلة الذى

وعلى ذكر الذى والصلة قيل كتب ابن عنين وقد مرض الى الملك المعظم

انظر الىّ بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى احتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر اليه وصحبته ثلثمائة دينار فقال أنت الذى وهذه الصلة وأنا العائد

(وما ألطف قول البهاء زهير فى المعنى)

يقولون لى أنت الذى شاع ذكره * فمن صادر يثنى عليه ووارد

فقلت

(وقال ابن السراج) فى كتاب مصارع العشاق وعن أبى عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوى قال دخلت على محمد بن داود الظاهرى فى مرضه الذى مات فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم

أورثنى ما ترى قلت له ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين أحدهما النظر المباح والثانى اللذة المحظورة فانه منعنى منها ما حدثنى أبى قال حدثنى سويد ابن سعيد قال حدثنا على بن مسهر عن ابى يحيى العقاف عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله ذنبه وأدخله الجنة ثم أنشد

انظر الى السحر يجرى فى لواحظه
وانظر الى دعج فى طرفه الساجى
وانظر الى شعرات فوق عارضه
كانهن نمال دب فى عاج

وأنشد لنفسه

مالهم أنكروا سواد الخدود * ولم ينكروا سواد العيون
ان يكن عيب خده بذر الشعر * فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له نفيت القياس فى القفة وأثبته فى الشعر فقال غلبة الهوى وملكة النفس دعوا اليه ومات فى ليلته رحمه الله (قلت) وقد اختلف الناس فى قوله عليه الصلاة والسلام من عشق وكتم وعف الحديث فقال بعضهم كتم عشقه عن الناس وقال بعضهم كتم اسم محبوبه وقال الحصرى أحب فكتم ووصل فعف وهجر فمات فهو شهيد وقال عثمان بن زكريا المؤدب أحد رواة الحديث عن سويد كتم محبوبه أنه يحبه قال الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين أبو عبد الله مغلطاى فى كتابه الواضح المبين هذا حديث اسناده صحيح وان كان جماعة من العلماء أعلوه بما ليس بعلة يرتبها يعنى قوله صلى الله عليه وسلم من عشق فكتم الحديث * ونقل

فقلت له هبنى الذى قد ذكرته * فأين صلاتى منكم وعوائدى

(وقال ابن عباد)

مرضت فأشفقت الزيارة عامدا * وما عن قلى أمسكتها لا ولا هجر
ولكننى أشفقت من أن أزوركم * فابصر آثار الكسوف على البدر

(الشهاب محمود)

رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالله صرايضا

(وقال الارجانى)

غالطتنى اذ كساجسمى الضنى * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

(ابن أبى حجلة)

شكوت الى الحبيبة سوء حظى * وما قاسيت من ألم البعاد
فقالت أنت حظك مثل عينى * فقلت نعم ولكن فى السواد

(ابن النقيب)

ومالى سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وغرقى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * فقلت نعم عين الحبيب ونظرتى

(والكل مأخوذ من قوله)

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو عقلوا قالوا به نظرة الانس

(شمس الدين بن العفيف)

اسم حبيبى ومابعانى * قد حيرا خاطرى ولبى
قالوا على فقلت قدرا * قالوا كوانى فقلت قلبى

(ابن الوكيل)

وبى من قد اقلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدنانى يضاعف تبعيدى
أقـــر برق اذ أقول أناله * وكم قالها أيضا ولكن لتهديدى

(ومما أورده صاحب الدمية له)

عذيرى من شاطر اغصبوه * بخمر دلى مرهفا فاتكا
وقال أنا لك يا ابن الوكيل * وهل لى رجا سوى ذلكا

وتشبيهاته فى نوع الزيارة كثيرة ذكرنا منها ما سمعت اذ لا يمكن استيعاب ذلك

(وقلت فى أصل الزيارة)

زارت وقد أخفى نهار حبينها * ليل الشعور مخافة الرقباء

فى كتابه المذكور أيضا ان هذا الحديث سنده كالشمس لامرية فى صحته ولا لبس قلت ولهذا عده جماعة من الفقهاء من العشق من الشهداء اخذا بهذا الحديث

محيى الدين النووى فانه أطلق ولم يشترط شيأ فقال والميت عشقا والميتة طلقا بعفى من الشهداء هذا مع شدته فى الدين وعدم مساهلته فى هذه الاشياء وما أحسن قول ابن الاثير دمع العاشق ودم القتيل متساويان فى التشبيه والقتيل الان بينهما بونا لانهما يختلفان لونا وقال الامام العلامة أبو الوليد الناجى اذا مات المحب جوى وعشقا

فذلك شهادة ياصاح حقا

رواه لنا ثقاة عن ثقاة

الى الحبر بن عباس ترقى

(وقال عبد الكريم القشيرى)

ان المحب اذا توفى صابرا

كانت منازله مع الشهداء

يرويه أقوام غدوا فى صدقهم

علما وناهيكم بهذا الداء

(وقال الحسن بن هانئ)

ولقد كان ربنا

عن سعيد عن قتاده

عن سعيد بن المسيب

ان سعد بن عباده

قال من مات محبا

كان من أهل الشهاده

(وقال بن رواحة الجوى) وأحسن ماشاء

لاموا عليك ومادروا

ان الهوى سبب السعاده

ان كان وصل قالمنى

او كان هجر فالشهاده

وانه عكس قوله هذا فقال

ماانت فيه حامدا أمرا

فوثب اجلالا أقبل نعلها * بل تربه للبره من أدوائى

قالت لك البشرى فطب نفسا بما * أوليت من نعم وحسن وفاء

بقنا وكل جوارحى تشكولها * شوقى وماصنع الهوى بحشائى

فسكرت من ألفاظها ورضابها * مع لينها ومحاسن الحسناء

ونسيم انفاس لقلبى ارسلت * سحرا فأحيامت الاحياء

لله من وطر قضيت مؤازرا * معها بثوبى عفة وحياء

يا ليلة غلط الزمان بها ولو * عوضتها بالعمر كان منائى

(وقلت أيضا)

افدى التى زارت بلا موعد * فى غفلة الواشين والجانى

والوجه منها روضة أينعت * ما لمستها راحة الجانى

قلت لاجنى الورد من خدها * وهى بسيف اللحظ ترعانى

فقلت ماهذا وقد راعنى * قالت حديد يمنع الجانى

وأما كلام سيدى عمر بن الفارض فى وصف طيب الحبيب فغاية لايدركها اللبيب وذلك قوله

ولو عبقت فى الشرق انفاس طيبها * وفى الغرب مزكوم لعادله الشم

فانه مع ذكر البعد فيما بين الجهتين مرصع بلطائف لايهتدى اليها الامن خص بالعنايه الاترى الى وصفه الشام بالزكام المانع من الشم عادة وجعله فى الغرب الذى يكثر الهواء منه لا اليه كما فى القرينة الثانية وجعل المحبوبة فى القطر الحجازى الذى تفنى فيه الرائحة اذا عبقت لشدة تحليل الشمس لما يحمله الهواء من تصعد البخار ومع ذلك يشم ومنه أخذت فقلت

لو اشتاقها فى الغرب فاقد شمه * وكانت بأقصى الشرق شم نسيمها

(وقلت فى العيادة)

أقول لها هل تسعفى بعيادة * مريضا كواه البين بالهجر والسقم

فقالت اذا ما فارق الروح زرته * لان محال جمع روحين فى جسم

ومما يتخرج على الزيارة تخريج الفروع على الاصول ويهتدى الى الحاقه بها أهل العقول ماجرى على ألسنة الاحباب من أحوال العتاب وانقسام الناس فيه الى مادح له لتأكيده المحبه وذام له بين الاحبه والصحيح انما كذب الناقل وميز الحق من الباطل وأكد المحبة بعد النفور وبين للحبيب الزور فهو احق بأن ينتصر ومنه يستكثر قال فى احياء علوم الدين ما معناه ان العتاب شأن اولى الالباب وقاطع لقطيعة الاخلاء والاصحاب وكان الرجل اذا وقع فى نفسه من اخيه شئ لم يهجره حتى يوضح له ذلك فان انتهى والاهجره واما عتاب يفضى الى المقاطعه ويحدث الهجر

يا قلب دع عنك الهوى واسترح * والممانعة

أضعت دنياى بهجرانه * ان نلت وصلا ضاعت الاخرى

(وقال آخر) خليلى هل خبرتما أو سمعتما * بأن قتيل الغانيات شهيد

نعم قد سمعنا ان من كتم الهوى

والممانعه فتقريع يجب اجتنابه عقلا ونقلا وتركه فضلا ووصلا وفيه قيل من سوء الآداب كثرة العتاب ومن أمثالهم فى الاول العتاب مفتاح الوصال فاطع للهجر والملال والى سلوك الطريقة الحسنة فيه أشار من أمر بقتله وهو سعيد الكاتب بقوله

اقلل عتابك فالبقاء قليل * والدهر بعدل تارة ويميل

ولعل أيام الحياة قصيرة * فعلام تكثر عتبنا وتطيل

(وقال آخر)

وبعض العتاب اذا ما رفقت * يباعد هجرا ويدنى وصالا

فعاتب أخاك ولا تجفه * فان لكل مقام مقالا

(والى مكثر التقاطع أشار بالترك من قال)

لا تقرعن سماع من * تهوى بتعداد الذنوب

ما ناقش الاحباب الا من يعيش بلا حبيب

(والى تأييد الاول أشار من قال)

فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شئ ألذ من العتاب

فلا هذا يمل حديث هذا * ولا هذا يمل من الجواب

(وقال آخر)

وأحسن أيام الهوى يومك الذى * ترقع بالهجران فيه وبالعتب

اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

(ابن سناء الملك)

وأملى عتابا يستطاب فليتقى * أطلت ذنوبى كى يطول عتابه

ومن غرتى ذكر العذيب وبارق * وما هو الا ثغره ورضابه

(ابو نواس)

أساء فزادته الاساءة حظوة * حبيب على ما كان منه حبيب

تعد على الواشيات ذنوبه * ومن أين للوجه المليح ذنوب

(الحكم بن قنبر)

كأنما الشمس فى أعطافه طبعت * حسنا أو البدر من ازراره طلعا

مستقبل بالذى يهوى وان عظمت * منه الاساءة معذورا بما صنعا

فى وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

(ابو فراس)

قل لاحبابنا الجناة علينا * درجونا على احتمال الملال

أحسنوا فى عتابكم او أسيؤا * لا عدمناكم على كل حال

(وقال آخر)

(وقال بلديتنا محمد بن العفيف التلمسانى رحمه الله) للعاشقين بأحكام الغرام رضا * فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا

روحى الفداء لاحبابى وان نقضوا * عهد الوفا للذى للعهد ما نقضا

(وقلت كأنى حاضر اخاطبه) وعف الى أن مات فهو شهيد

نفذ عن مقال أنت فيه مذبذب

فذلك ما قد كنت منه تحيد

سياق الذى يروبه ركب ذوى الهوى

به كل يوم سائق وشهيد

يطوفون بالاحباب خلف بيوتهم

فهم قيام حولها وقعود

يعومون فى بحر المدامع عندما

تميل بهم سفن الهوى وتميد

أتبكى دوين العام من عام منهم

وقد حق حولا للبكاء لبيد

قلت وقد انقضى الكلام على هذه الابواب المحكمة العقود النقية النقود المجبورة الكسور العالية القصور مشتملا كل باب منها على بيت قصيد وبحر مديد

يسقى ثمر غروسها ويروى المجد من طروسها

بعينين نجلاوين لورقرقتهما

لنوء الثريا لاستهل سحابها

ومابقى الا ذكر مصارع العشاق وأخبار من أصبح من المحبين ميتا بالاشواق

ان لم أمت فى هوى الاجفان والمقل

فواحيائى من العشاق واخجلى

ما أطيب الموت فى عشق الملاح كذا

لاسيما بسيوف الاعين النجل

ياصاحبى اذا مامت بينكما

دون الشهيدين وردا الخد والقبل

فاستغفرا لى وقولا عاشق غزل

قضى صريع القدود الهيف والمقل

قف واسمع راحما أخبار من قتلوا * ثمات فى حبهم لم يبلغ الغرضا رأى بخب فرام الوصل فامتنعو

فسام صبرا فاعيا ليله فقضى ٦٤ وقال جرير) ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به

وهن أضعف خلق الله أركانا

(وقال آخر)

مازال يهوى المقلا

قلبى الى أن قتلا

الحمد لله الذى

مات وما قيل سلا

(وقال آخر)

ترى المحبين صرعى فى ديارهم

كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا

ما توا فان عاد من يهوونه بعثوا

(وقال محمد الواعظ)

دعالومى فلومكم معاد

وقتل العاشقين له معاد

ولو قتل الهوى أهل التصابى

لما ماتوا ولو ردوا العادوا

(خاتمة الكتاب فى ذكر من مات من حبه وقدم على ربه) من صغير وكبير وغنى وفقير على اختلاف ضروبهم وتباين مطلوبهم ولاجل ذكرهم أسست قواعد هذا الكتاب ودخلت فيه من باب وخرجت من باب لا توصل منه الى ذكر من ساقه الهجر الى السياق وتحمل من العشق مالا طاقة له به من الباب الى الطاق ومن هنا أشرع فى ذكر مصارعهم وعرض بضائعهم اذ منهم الخاسر والرابح والصالح والطالح

(فمنهم شقى وسعيد)

ومنهم قتيل وشهيد

اذا مرضنا أتينا كم فعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(وقال آخر)

حجبى عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانى مخصوم

لا أستطيع أقول انت ظلمتنى * الله يعلم أننى مظلوم

(وقال آخر)

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادى ولكن للعتاب مواضع

(ابن المعتز)

اقبل معاذيرمن يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقد قيل ان أفضل العتاب ماغرس العفو وأثمر المحبة وعتب يوجب العفو والصفاء أفضل من ترك يوجب الجفاء وجاء فى تفسير قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل عن على يعنى اعف واصفح بلا عتاب وورد عنه صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا او كاذبا لم يرد على الحوض

(وما أحسن قول القائل)

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه

فجد بحفك أولا * فاصفح بفضلك عنه

ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

(وقال آخر)

ما أحسن العفو من قادر * لاسيما عن غيرذى ناصر

ياغاية القصد وأقصى المنى * وخير مرعى مقلة الناظر

ان كان لى ذنب ولا ذنب لى * فماله غيرك من غافر

أعود بالود الذى بيننا * ان يفسد الاول بالآخر

(وقال آخر)

وزعمت أنى ظالم فهجرتنى * ورميت فى قلبى بسهم نافذ

ونعم ظلمتك فاغتفر لى زلتى * هذا مقام المستجير العائذ

(ابن زيدون)

ياقمرا مطلعه المغرب * قد ضاق بى فى حبك المذهب

الزمتنى الذنب الذى جئته * صدقت فاصفح أيها المذنب

فان من أغرب ما مر بى * ان عذابى فيك مستعذب

(وقلت)

رأيت أساليب العتاب كثيرة * والطفها ما أكد الحب فى القلب

(حكى) أبو الفرج بن الجوزى قال ذكر لى شيخنا أبو الحسن على بن عبد الله ان رجلا عشق نصرانية حتى غلب على عقله فحمل الى البيمارستان وكان له صديق يترسل بينهما فلما زاد به الامر ونزل به الموت قال لصديقه ٦٥ قد قرب الاجل ولم ألق فلانة فى الدنيا وأخشى ان اموت على الاسلام ولا القاها فتنصر فمات فمضى صديقه الى النصرانية فوجدها عليله فقالت أنا ما لقيت صاحبى فى الدنيا واريد ان القاه فى الاخرى وأنا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم ماتت قلت لم أسمع باغرب من هذه الحكاية ولا اعظم من هذه النكاية قد سبق على صاحبها الكتاب وضرب بينه وبين محبوبته بسور له باب فابتلى من فراق محبوبته ودينه بداءين ودارت عليه دائرة السوء فى الدارين وكيف لا وقد ورد بكساده فى الحب دار البوار وأصبح بكفره واسلامها على شفى جرف هار

سارت مشرقة وسرت مغربا

شتان بين مشرق ومغرب

ذكرت بهذه الحكاية قول عبد الوهاب الازدى يرثى حبيبا له نصرانيا وأحسن ما شاء حيث قال

أخى بود ادلا اخى بديانة

ورب اخ فى الود مثل نسيب

وقالوا أتبكى اليوم من ليس صاحبا

غدا ان هذا فعل غير لبيب

فقلت لهم هذا وان تلهفى

وشدة اعوالى وفرط نحيبى

ومن أين لى أبكى حبيبا فقدته

اذا خاب منه فى المعاد نصيبى

وكان هذا النصرانى موسوما

اذا ما خالونا لم أجد ما أقوله * يلذ سوى الشكوى اليهامع العتب

ومن ذكر المحبوب شيأ منفرا * عقوبته الهجران فى مذهب الحب

ومن يرتكب ذنبا من حبيب فقد ع * وما الحب الا ان تنم بالذنب

وهذا مستمد من مدد قطب هذا الوجود وانسان عين أهل هذا الشهود سيدى عمر بن الفارض حيث قال وكل الذى ترضاه البيت السابق وقد قال بعضهم عتاب المحبين الذلة فى الاعتاب وخدمة الابواب وقال بعضهم كن اذا قابلت الحبيب مراة ينتقش فيك ذنبه فتراه منك وتطلب صفحه عنك ولم يوضح هذا الطريق أحد اجل من لسان العارفين وترجمان المحبين سيدى عمر بن الفارض حيث يقول

ولو عزفيها الذل مالذلى الهوى * ولم تك لولا الذل فى الحب عزتى

(فصل ومما يلحق بالعتاب ويصلح ان يكون معه فى باب)

الصبر على تعنت المعشوق وتجنيه على الصب المشوق والصفح عن التجنى حين يذوق جناه ونسخ سخطه وظلمه بظله ورضاه وهو أصل عند العشاق يبنى عليه ويرجع فى قواعد مذهب المحبين اليه كما قيل

شرط المحبة عند أرباب الهوى * ان الملح على التجنى يعشق

لا يصدهم صد ولا يقفون من سيوف اللحظ عند حد ولا تأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جورما يرد من الظلم من المظالم

(ابن النبيه)

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه * حلوا فقد جهل المحبة وادعى

ولقد تلطفت علية بنت المهدى فى هذا المعنى حيث تقول

جبل الحب على الجور فلو * انصف المحبوب فيه اسمج

ليس يستحسن فى شرع الهوى * عاشق يحسن تأليف الحجج

(وقال بعض الاعراب)

شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبى أراح الله قلبك من حبى

فلما كتمت الحب قالت تعنتا * صبرت وما هذا بفعل شجى القلب

وأدنو فتقصينى فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبى

فشكواى بؤذيها وصبرى يسوءها * وتنفر من بعدى وتجزع من قربى

فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها تستوجبوا الاجر من ربى

ولما كان التجنى من المحبوب وتعنته الذى يكاد أن يفوت الغرض المطلوب يشبه بالهجر والقطيعة وبعسر التفريق بينهما على من لم يخض لجة هذه الشريعة وجب بعد اد أشرنا الى حقيقة الاول ان نشير الى الثانى ونذكر ماله من الاقسام والمبانى

٩ تزنى بالجمال خمارا فعلقه عبد الوهاب المذكور واشتهر به وأقام ببايته فى الحانة ثلاث سنين ويدخل معه الكنيسة فى الاعياد والحدود طول هذه المدة حتى حفظ كثيرا من الانجيل وشرائع

أهله وهجره مرة فلم يجد سبيلا اليه وزعم أن عليه قسما شديدا ان لا يكلمه الى مدة شهر فلما يئس دعا بالفاصد فاقتصد فى احدى يديه ودعا فاصدا آخر فاقتصد فى اليد الاخرى ٦٦ ودخل داره وأغلق باب بيته وفجر النصادين فماشعر أهله الا والدم يدفع

من سد قباب المحل الذى هو فيه فأدركوه وقد أشرف على الموت فصالحه محبوبه النصرانى خوفا على نفسه (ومن شعره فيه)

انظر الى الشامة فى خده من
ألحاظه باللحظ جراحه
كانها من حسنها اذ بدت
حبة مسك فوق تفاحه

(ومنهم شهيد)

ذكر التنوخى فى كتاب الامتزاج عن أبى زيد النحوى عن رجل من أصحاب الحديث قال دخلت ديرا فى بعض المنازل ذكر لى ان فيه راهبا حسن المعرفة بأخبار الناس وايامهم فسرت اليه فوجدته فى حجرة وعليه زى المسلمين فسألته عن سبب اسلامه فحدثنى انه كان فى هذا الدير جارية نصرانية من بنى تغلب كثيرة الاموال وأنها هويت غلاما مسلما فكانت تبذل اليه الاموال والرغائب والغلام يأبى عليها فلما أعيتها الحيلة أعطت رجلا مصورا مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام كهيئته ففعل ذلك فمازالت تأتى كل يوم الى تلك الصورة فتلثم ما تجب منها ثم تجلس بازائها تبكى فاذا امست قبلتها وانصرفت فمازالت على ذلك مدة فتوفى الغلام فعملت فلحقها عليه وله حتى صارت به مثلا ثم رجعت الى الصورة فلم تزل تلثمها وتقبلها وتبكت الى ان امست فباتت الى جانبها فلما أصبحنا وجدناها ميتة ويدها

لثمن

سالكين فى ذلك مسلك ديوان الصبابة اذ لا مزيد فى هذا المحل على تقسيمانه المستطابة فنقول وقد قسم الهجر عند أهل المحبة بعد الاستقصاء الى أربعة أقسام

(القسم الاول هجر الدلال)

وهو الممدوح الصفات المقصود بالذات وسببه علم المحبوب بمكانته عند المحب وانه يتلذذ بالاساءة كما يتلذذ بالحسنة ولا تغيره الحوادث على اختلاف الازمنة ولهذا اذا صفت مرآة أهل المحبة اتحد والى كل رتبة فيقع لاحدهم بعد المبالغة فى هذا الصفاء ان يعتقد ارتفاع الخلاف واتصاف كل أحد بما عنده من الاوصاف فانظر الى قول بهاء الدين زهير فى قوله

عتب الحبيب فلم أجد * سببا الذا العتب حادث
ما كنت أعلم أنه * ممن تغيره الحوادث

فهو وان لم يقع منه ما يوجب التغير كما أفهمه البيت الاول لم يعتقد تغير المحبوب بما يقع منه لانه هو كذلك وفى هذا الاصل كلام للعارفين وكل يأخذ ما يناسبه من الاشارات والبهاء زهير لا يكثر عليه مثل هذا فلقد سمعت مولانا عارف الوقت الشيخ شمس الدين البكرى أدام الله مدده يقول انه كان اماما عارفا أوذا لسان عارف وعلامة هذا القسم الاسعاف بالمطلوب وان لم يكن كل آن والتلطف بالعاشق ورفع محله فى غصون الهوان وهم يرون اليسير خطيرا والقليل كثيرا قال استاذا الوجود فى هذا المعنى

فى نظرة منها ولو عمر ساعة * ترى الدهر عبدا طائعا ولك الحكم

وفوق ذلك قوله رضى الله عنه

وان لم أفز يوما اليها بنظرة * لعزتها حسبى افتخارا بهم متى
ودون انتهامى ان قضيت اسى فما * اسأت بنفس بالنهاد قسرت

فانظر كيف ارتضى بان يموت محبا وان لم يعلم به أحد ويكون شهيدا مع ذلك فائزا بالسعادة فى غاية الرضا بذلك بعد اذ سأل الوصل أولا ثم نظرة ما فى يوم ما ثم التهمة بالمحبة الصادقة على العدم ثم هذه المرتبة وما أحسن التكميل بعزة النظرة فى هذا المقام وعلاج هذا القسم ينحصر فى الصبر المقرون بالرضا ثم التسليم الخالى عن الشوائب المكدرة ومعنى قوله رضى الله عنه ولو عز فيها الذل يحقق ذلك وأما قوله

ونفس ترى فى الحب أن لا ترى عنا * متى ما تصدت للصبابة صدت

فزجر يتنى ويمنع غير النفوس الزكية والهمم العلية عن سلوك هذه المرتبة السنية

(رجع الى كلام المترسمين) قال بعضهم هجر الدلال أعذب من الوصال

ويدل هجركم على * أنى خطرت ببالكم

(وقال آخر)

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة * لقد سرنى انى خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال وأخذ بقلوب النساء والرجال ان يكون كثير التدلل قليل التبذل فان ذلك ادعى للسلامة وأبعد عن الملامة (ابن وكيع)

قالوا عشقت كثيرا انت فيه ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه
لو جاد هان وقلت الجود عادته * وانما عز لما عز مطلبه

(العباس بن الاحنف)

ياقوم لم أهجركم لملالة * منى ولا لقال واش حاسد
لكننى جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد

(وقلت)

عدى واضمرى خلفا بلذ بخاطرى * كوصلك وعدمنك غايته الخلف
فعندى موتى فى هواك وعلمك * بذلك وصف لا يعادله وصف

(القسم الثانى هجر الملال)

هو هجر منشؤه الملازمة مع اختلاف الخصال وتكون المحبة فيه غير عريقة بل منشؤها علة على الحقيقة وسببه ما ذكر من الاختلاف وتحرى النفس طلب الاعتساف وعلامته تأثير مباعدة المكان وطول الازمان وعلاجه التحبب والتخلق بخلق المراد وسلوك كل ما أراد وربما تحته الهدية والملاطفة بالاخلاق المرضية والصفح مع حسن الصبر والمجاوزة عن الزلة وان عظم الامر وبعض العشاق من المترسمين صرح فى علاجه بتباعد المكان والغيبة الممتدة الى مدة من الزمان وفيه أنشد

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

هذا لا يحسن على اطلاقه الا بعد تحقيق وثاقه وهو أن يكون للمحبة أصل وانما ضعف باللازمة والا فالبعد مع عدم ذلك غاية مطلوبه وصفة محبوبه

(القسم الثالث الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبة)

هو هجر سببه وقوع فى ذنب ولو خطأ وعلامته قبول الاوبة عند صدق التوبة وعلاجه تصديق الحبيب فى دعواه والنزول على حكمه والرضا بما يهواه والاعتراف بالذنب وان لم يكن صدر وطلب العفو ممن قدر والى هذا المشرب وسلوك هذا المأرب أشار سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه بقوله

عبد رق مارق يوما لعتق * لو تخلت عنه ما خلا كا

فقد حقق فى هذا الباب أن لا محيص له عن هذا الجناب وانه يطلبه بكل حال ولا ينحيه عنه فى سائر الاحوال سوى طلب أو منع أو جلب أو دفع ثم دل على صدق كلامه وانعقاد قلبه على مطاوعته فى مرامه فقال

يا موت دونك روحى بعد سيدها * خذها اليك فقد اودت بما فيها أسلمت روحى للرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها فى جنان الخلد يجمعها * يوم الحساب ويوم البعث بارئها ٦٧ مات الحبيب ومات بعده كمدا * محبة لم تزل تشقى محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاحتملوها ودفنوها الى جانبه وأخذوا مالها فبت مغموما بما آل اليه امرها فرأيتها فى المنام فقلت فلانة ما فعل الله بك فقالت

اصبحت فى راحة مما جنته يدى
وبت جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبى كلها وغدا
قلبى خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة
وقلت انك لم تولد ولم تلد
اثابنى رحمة منه وأسكننى
مع من هويت جنانا آخر الابد
فعلمت ان الذى صارت اليه خير من الذى انا عليه فاسلمت واسلم معى اهل الدير فكانت رحمها الله السبب

(ومنهم شهيد)

وهو ما اخبرنا به الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاى اجازة سنة سبع وخمسين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة قال رأيت فى الكتبيين غير مرة شيخا مغربيا وله ولد يكنى ابا يزيد يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة فكان يأتى الكتبيين فيما يزعم يستكتب شعرا يقوله ليس موزونا ولا معنى له ملخصه ان حاكما من حكامهم اخذ مالا كان والده خلفه وحصل من الاوراق المكتتب فيها هذا

الشعر شيأ كثيرا جدا فيما يقال وانه جامع مرة والمحدث فى الليل يقرأ سيرة البطال فاستمع اليه فذكر المحدث أن جماعة قتلوا فى المعركة فقال له ابو يزيد يا مولاى كيف قتل هؤلاء قال له ماتوا فى

سبيل الله تعالى فقال امولاى وانا الآخر اموت فى سبيل الله تعالى فقال له المحدث افعل قال فتمدد الى جانب الحلقة على دكان

فحسبوه بتوله فحركوه فاذا هو ميت واشتهر هذا وحكاه لى غير واحد ممن شاهده *(ومنهم شهيد)*

ذكر ابن داود فى كتاب الزهرة ان فتى يقال له امرؤ القيس هوى فتاة من حيه فلما علمت محبته لها هجرته فزال عقله واشرف على التلف وصار ترجمه الناس فلما بلغها ذلك اتت فأخذت بعضادتى الباب وقالت كيف تجدك يا امرأ القيس فقال

ولما رأتنى فى السياق تعطفت
على وعندى من تعطفها شغل
أتت وحياض الموت بينى وبينها
وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل
ثم اغمى عليه فمات

(ومنهم شهيدان)

ذكر السراج بن العلاء بن عبد الرحمن التغلبى قال كان رجل من اهل الادب والطرب يقال له على عشقته جارية من جوارى القينات ووصلته فكان يظهر لها ما ليس فى قلبه وكانت الجارية على غاية العشق له والميل اليه فلم يزالا على ذلك حتى ماتت الجارية عشقا وجد به فذكرها بعد ذلك واسف على ما كان من جفائه لها واعراضه عنها فرآها فى المنام ليلة وهى تقول له

اتبكى بعد قتلك لى علىّ
فهلا كان ذا اذ كنت حيا
سكبت دموع عينك لى وفاء
ومن قبل الممات نسى البا
فيا قبرا برى جسمى وروحى
وأهلكنى وما ابقى عليا
أقل من النياحة والمراثى * فانى لا ارالك صنعت شيا

قال فزاد ما كان عليه من الاسف والغم والبكاء وخلد حتى فاضت نفسه فمات رحمه الله

(ومنهم قتيل)

وبما شئت فى هواك اختبرنى * فاختيارى ما كان فيه رضاكا

ثم ارتفع عن هذه المرتبة ايضا لمراتب السالكين ودلالة على التنقل الموصل للتاسكين حيث قال

وقد صرت مستدعى قضاك ومابه * رضاك ولا أختار تأخير مدتى

فانه أبلغ من قوله

وان هددوا بالهجر ما نوا مخافة * وان أوعدوا بالقتل حنوا الى القتل

خلافا لبعض الشراح لعموم ما فى الاول بالنسبة الى هذا وبيانه يستدعى طولا وأما قوله

وما غدرت فى الحب اذ هدرت دمى * بشرع الهوى لكن وفت اذ توقفت

فاصرح من جميع ذلك فيما نحن فيه بل ربما ثنى على القسم الاول أو هو له حقيقة

(القسم الرابع الهجر الخلقى)

وسماه بعض الصوفية الازلى يقال ان الجنيد رضى الله عنه فسر قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف بان الله حيث أخرج عالم الذر جعله فى كفه ثم أخذ العهد عليه ثم نثره فوقع بعضه متقابلا وهؤلاء هم المشتركون فى نسب أو جبت الصحبة وحققت المحبة وتدابر الاخر فحققت بين افراده المقاطعة وجبلوا على الممانعة اه وهذا التقابل والتدابر يجوز حمله على حقيقته ويجوز أن يراد به أمر معنوى غايته الاختلاف وأسباب هذا كثيرة أعظمها عند المتمسكين بالشرائع اختلاف الاديان وعند مطلق العالم يستند الى الارادة الالهية حيث صرح بعجز أكمل مخلوقاته وعين اعيان سر صفاته عن قيام الناموس بدونها فقال عز من قائل لو انفقت ما فى الارض جميعا الآية وهذا القسم والذى قبله لا تعلق للعشاق بهما على ما اختاروه * وبعضهم يرى ان الثلاثة الاول من متعلقات العشق ويجمع بين الكلامين بتفاوت المراتب فان من بلغ الى قول الاستاذ رضى الله عنه وكل الذى ترضاه البيت لم يكن القسم الثانى فضلا عن الثالث من متعلقاته واذا عرفت ما قررناه ثبت عندك ان هذا القسم لا علاج له أصلا الا بالارادة الالهية ثم الهجر من المحب الصادق قد يؤول الامر فيه بالعاشق الى ان يخرج كلامه مخرج الدعاء عليه ويكون فى الحقيقة ثناء لديه وقد يستخير عند تمادى الهجر وحكم الغرام حلول رمسه فيجعل ذلك الدعاء على نفسه وألطف ما سطر فى الاول وعليه عند الظرفاء يعول قول الشاب الظريف المعروف بابن العفيف

أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلى ودينى

اخبرنا الشيخ علاء الدين مغلطاى فى التاريخ المذكور اجازة قال حدثنى طقطاى مملوك نائب الكرك الساكن بالخرنقش ان اخاه تزوج امراة اسمها قطلوملك وانها كانت تحبه وجدا شديدا وولدت له ولدا وأقامت عنده مدة سنين

وخلد دولة الاعطاف فينا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك السعد يوما * على قدبه هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان جارت على الفذ الطعين

(وقال أيضا)

أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالى
واسبغ ظل اغصان التدانى * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولازالت ثمار الانس تجنى * تزيد لطافة فى كل حال
ولا برحت لشافيها عيون * تغازل مقلتى خشف الغزال

(وقال آخر)

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللمسوالة اولا كؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شعشعة فى المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فلتك من عيون النرجس

(وقال شهاب الدين بن العائم)

والله ما أدعوعلى هاجرى * الا بان يمحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قدتم فى حقى

(وقال آخر)

أيها المعرض صفحا * عن خطابى وجوابى
لا أرالك الله عمرى * اويرينى بك مابى
رب فاجعله دعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبى ان يرى قل * بك فى مثل عذابى

(وقال آخر)

كم جفانى فرمت أدعوعليه * فتوقفت ثم قلت ذا هل
لا شفى الله طرفه من سقام * وأرانى عذاره وهو سائل

(ابن وكيع)

ان كنت تعلم مابى * وأنت بى لا تبالى
فصار قلبك قلبى * وصرت فى مثل حالى
بل عشت فى طيب عيش * تفديك نفسى ومالى
دعوت اذ ضاق صدرى * عليك ثم بدا لى

(وقال آخر)

ولما بدا لى انه غير رائدى * وأن هواه ليس عنى بمنجلى
تمنيت ان يهوى ويحيا لعله * يذوق مرارات الهوى فيرق لى

ولما خلت فيها يوما فلما بلغها ذلك ألقت نفسها من سطح دارها اسفا عليه وعشقا فلم تدرك الا وهى مادة اصبعها بالتشهد واستشهد بصهره علاء الدين استاذدار نائب الكرك وغيره من الساكنين هناك فقالوا نعم هى قصة معروفة فى تلك الحارة شهدها الرجال والنساء ومكثوا حينا يأسفون عليها ويبكون وكذلك زوجها اشتد حزنه واسفه لفقدها وندم على طلاقها ندما شديدا

(ومنهم شهيد)

ذكر ابو القاسم التنوخى انه كان ببغداد صوفى يعرف بابى الفتح الاعور يجلس فى مجلس أبى عبد الله البهلول يقرأ بالالحان قراءة حسنة وصبى يقرأ اول نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فزعق الصوفى بلى بلى دفعات واغمى عليه طول المجلس وتفرق الناس عن الموضع وكان الاجتماع فى صحن دار كنت أنزلها فلم يفق الصوفى الى ان قرب العصر ثم قام فلما كان بعد أيام سألت عنه فعرفت انه حضر عند جارية فى الكرخ تقول فى القضب

وجهك المأمول جنتنا
يوم تانى الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره الى ان اغمى عليه وسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا فغسلوه ودفنوه قال التنوخى واستفاض الخبر بهذا وشاع واخبر به جماعة من الناس والابيات لعبد الصمد بن المعذل وهى

يا بديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج

ان بيتا أنت ساكنه * غير محتاج الى السرج وجهك المأمول حجتنا * يوم تاتى الناس بالحجج قال والصوفية
اذا قالوا وجهك المأمول حجتنا نقلوه الى مالهم ٧٠ فى ذلك من المعانى وكانت قصة هذا الرجل وموته سنة خمسين وثلثمائة
وأمره من مفردات الاخبار

(ومنهم قتيلان)

قال الجاحظ طلب المتوكل رجلا لتأديب ولده فذكروني له فاحضرني بين يديه فلما رأى قبح صورتى كره النظر الى وأمر لى بعشرة آلاف درهم فاخذتها وخرجت من عنده فلقيت محمد ابن اسحق بن ابراهيم الموصلى وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض على الخروج معه والانحدار فى حراقته وكنا بسر من رأى فركبنا فى الحراقة وكانت دجلة فى غاية الزيادة والمد فدعا بالغداء فاكلنا ثم أمر بالنبيذ والغناء فناشدته ان لا يفعل فابى ومد الستارة بيننا وبين جواريه فغنت جارية عوادة ما سمعت أحسن من صوتها ولا أحذق منها بصناعة الغناء وطرائقه تقول برفيع صوتها

كل يوم قطيعة وعتاب * ينقضى دهرنا ونحن غضاب
ليت شعرى أنا خصصت بهذا * دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

ثم سكتت فامر الطنبورية فغنت

وارحمة للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا
كم يعذلون ويهجرو * ن ويعدون فيصبرونا
وتراهم عما بهم * بين البرية خاضعينا
يتعذلون ويظهرو * ن تجلدا للعاشقينا فقالت لها العوادة يا فاجرة

فيصنعون ما ذا قالت يصنعون هكذا وضربت بيديها فى الستارة فهتكتها وبدرت علينا كالقمر ثم

(وقلت)

الى طلعة بالحسن واللطف ناضره * أرى كل أرباب المحاسن ناظره
لقد بطنت فى كل معنى وصورة * من الكون لما أصبحت فيه ظاهره
تضن على العشاق بالقتل فى الهوى * فما طلبى للوصل الا مكابره
ولكننى أرجو تبدل مابنا * من الميل واستكشاف حجب المساتره
فتطلبنى من بعد ما انا طالب * لها وتحيينى بحسن المحاضره
فيارب خذ منها بحقى وانتصر * لنفس غدت فى بحر الشوق حائرة
ولا تستجب منى وسلطان عزها * أدمه وان كانت على الناس جائره

ثم قد ينادى الهجر ولا يسمع النداء ويعز الوصل ويصعب الرضاء فيأخذ العاشق فى سح الدموع والانحطاط من اوج الارتفاع الى حضيض الخضوع * والقطب هذه الدائرة وبدر سماء هذه الكواكب السائرة ذى المرتبة التى لا تلحق وقصب السبق التى لا تدرك والجواد الذى لا يسبق قوله

ومن درجات العز أمسيت مخلدا * الى دركات الذل من بعد تخوفى
فلا باب لى يغشى ولا جاه يرتجى * ولا جار لى يحمى اذا قد حميتنى

فقد أشار فى هذين البيتين الى طرح حظوظ نفسه التى قد تكون مانعة من الوصول باشارة يدق ادراك كنهها عن العقول فقد اثبت له رتبة رفيعة بين أن تركها بعد علاج عظيم ومن ثم كان تدريجا لعدم امكان طرحها دفعة كما أفهمته الدرجات والاضافة الى العز وعكس الحكم فى الطرف الآخر لانه فى غاية المقابلة وأكد ذلك بالاشارة الى غاية المحو الذى به حقق اثباته كما أشار بعده بقوله واقفد مشبق وأما اشارته الى الدموع وانسكابها فالغاية التى لا يدرك منها الناس الا القشور فمنها قوله

فسهدى حتى فى جفونى مخلد * ونومى بها ميت ودمعى له غسل

فانظر الى غرابة هذه الاستعارات ولطف هذا التركيب وصحة هذا السبك الخالص من الزيف مع بلوغ المقصود ثم بالغ فى تحقيق هذا المرام وارتق فى مسالك هذا المقام بقوله

وادمع هملت لولا التنفس من * نار الجوى لم أكد أنجو من اللجج

وأبلغ منه قوله

فطوفان نوح عند نوحى كادمعى * وايقاد نيران الخليل كلوعتى
فلولا زفيرى أغرقتنى مدامعى * ولولا دموعى احرقتنى زفرتى

لعكس التشبيه كما سبق فى صدر هذا الباب وتكافؤ الضدين هنا ومن قال بتساوى المعنيين فى القصيدتين لم يعرف معنى الطوفان بالنسبة الى اللجج فى الاول لانه انقلاب العناصر كلها الى واحد وهذا فى الدقة كقوله رضى الله عنه وان لم يكن مما

نحن

ألقت نفسها فى الماء وكان على رأس محمد غلام رومى الجنس بضا هيها فى الحسن والجمال وبيده مذبة يذب بها فلما رأى ما صنعت الجارية ألقى المذبة من يده وأتى الى الموضع الذى طرحت نفسها منه ونظر اليها وهى تمر بين الماء فقال

نحن فيه
وتخفت أخفافها فهى تمشى * من جواها فى مثل جمر الرماد

حيث نسب تخفية الاخفاف الى حرارة الجوى التى شأنها الصعود عكس الاخفاف فكانه يقول لشدة هذه الحرارة أستوعب الاحياز كلها وأما قوله

فلو بكى فى قفار خلتها لجبا * وان تنفس عادت كلها ايسا

وغيره فكثير لا يمكننا ادراك أدناه وأنى للبشر من حيث انه بشر ادراك دقائق الفيوضات الالهية والكرامات التى خلقت المعاجز النبوية كما صرح به رضى الله عنه حيث قال

فعالما منهم نبى ومن دعا * الى الحق منا قام بالرسلية

وأصرح منه قوله

فما كان منه معجزا صار بعده * كرامة صديق له او خليفة

(رجع الى كلام المترسمين) قال القاضى الفاضل

قد استخدمت بالافكار سرى * وما أطلقت لى بالوصل أسره
ولم أرها على الايام الا * عقدت مودة وحللت صره
ولا استطرت سحب العين الا * وصرت بادمعى فى الشمس عصره

(ابن عبد الظاهر)

لا تسلنى عن أول العشق انى * أنا فيه قديم هجر وهجره
من دموعى ومن جبينك ارخـ * ـت غرامى بمستهل وغره

(المتنبى)

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى الاماق

(وله أيضا)

وهبت اللوم لامنى * وبت من الشوق فى شاغل
كأن الجفون على مقلتى * ثياب شققن على ثاكل

(وقال آخر)

ولم أنس لا انس ذاك الخضوع * وفيض الدموع وغمز اليد
وخدى يضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

(ابراهيم بن المعمار)

وبى غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل * وفى عينى بعد الهجر قطره

(وقال آخر)

وقائلة ما بال عينيك مذرأت * محاسن هذا الظبى ادمعها هطل

قال فغنته فقال له يزيد قل الثالث قال تأمر لى برطل من شراب فأمر له به فلما شربه أشار اليها بابيات فغنتها ثم انه وثب وصعد على قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون

أنت التى عرفتنى
كيف القضا لو تعلمينا
لا خير بعدك فى البقا
والموت ستر العاشقينا

ثم ألقى نفسه فى اثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقات ثم غاصا فلم ير احدهما فاستعظم محمد ذلك وهاله الامر ثم قال يا عمرو لتحدثنى حديثا تسلينى به عن فعل هذين والا لحقتك بهما فقال فحضرنى حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين ان يخرج الىّ جاريته فلانة تغنى ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم أتبع الرسول برسول آخر يامره بأن يدخل اليه الرجل فادخله فلما وقف بين يديه قال له ما الذى حملك على هذا قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك قال فأمره بالجلوس بعد أن لم يبق احد من بنى أمية حتى خرج ثم امر بها فخرجت ومعها عودها قال لها الفتى غنى

افاطم مهلا بعض هذا التدلل
وان كنت قد أزمعت هجرى فأجملى

قال فغنت قال له يزيد قل الثانى

فقال لها غنى

تألق البرق نجديا فقلت له
يا برق انى بروحى عنك مشغول

أكان الاحق يظن انى اخرج اليه جاريتى تغنيه واردها الى ملكى يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى أهله ان كان له أهل
والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها ٧٢ الى أهله فلما توسطت الدار ونظرت الى حفرة فى وسط دار يزيد قد اعدت للمطر
فجذبت نفسها من بين ايديهم وانشدت

من مات عشقا فليمت هكذا
لا خير فى عشق بلا موت

وألقت نفسها فى الحفرة على دماغها فماتت

(ومنهم قتيل)

حكى ابن عبد ربه فى العقد الفريد عن محمد بن الحجاج وكان راوية بشار قال قال بشار ذات يوم وكان قد مات له حمار قبل ذلك ورأيت حمارى البارحة فى النوم فقلت له ويلك مالك مت قال لانك ركبتنى يوم كذا وكذا فمررنا على باب الاصبهانى فرأيت أتانا عند بابه فعشقتها فمت وانشدنى سيدى شمت أتانا

عند باب الاصبهانى
تيمتنى يوم رحنا * بثنايا ها الحسان
وبغنج ودلال * سل جسمى و برانى
وبها خد اسيل * مثل خد الشيقرانى
فبهامت ولو عشت

اذا طال هوانى

فقال له رجل من القوم يا با معاذ ما الشيقرانى قال هذا من لغة الحمير فاذا القيتم حمارا فسلموا (قلت) وذكر جماعة من اهل السير من حديث عبد الله بن حبيب الهذلى عن ابى عبد الرحمن السلمى عن ابى منصور وكان له صحبة أن النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح الله تعالى عليه خيبر اصاب حمارا اسود فكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى ما اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله من نسل جدى ستين حمارا كلهم لم يركبهم الا نبى

فقلت زنت عينى بنظرة طلعة * فحق لها من فيض أدمعها غسل

(السرى الرفاء)

بروحى من رد التحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس فى الوصل مطمعى
وحالت دموع العين بينى و بينها * كأن دموع العين تعشقه معى

(وقال آخر)

وقائلة ما بال دمعك اسودا * ولونك مصفرا وأنت نحيل
فقلت لها ان الدموع تحققت * وهذا سواد المقلتين يسيل

(ابن وكيع)

وسحاب اذا همى الما فيه * ألهب الرعد فى حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر الا * ظل يذكى على القلوب الحريقا

(المسعودى شارح المقامات)

قالت عهدتك تبكى * دما حذار التنائى
فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء
فقلت ماذا تمنى * ولم يكن بمنائى
لكن ضلوعى شابت * من طول عمر التنائى

(وقال آخر)

كانت دموعى حمرا يوم بينهم * فذنأوا قصرتها بعدهم حورا
قطفت باللحظ وردا من خدودهم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقى

(ابن الناشئ الاكبر)

بكيت الفراق وقد راعنى * بكاء الحبيب لفقد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

(وقلت)

ومحجوبة مذ كلمتنى كلمت * فؤادى وألقت بين سمعى وناظرى
الى ان رأتها مقلتى فاض دمعها * على الارض أمثال البحور الزواخر
فقالت عقيقا ما أرى قلت بل دمى * جرى عند ما من هجرك المتواتر

(فصل)

فى نفى كدر الهم والصدود باستجلاب الامانى والوعود والتعلل بالامانى والطمع فى التهانى وهو أصل انقسمت فيه العشاق الى قسمين قسم وفى له محبوبه وحصل له بعد الوعد مطلوبه وهو العزيز النادر وغير الوافى الوافر وقسم مات بغصته وحالت المنية بينه وبين أمنيته وافتهز فرصته واعجب ما فيه أن الراضون به مع العلم بزوره أكثر العشاق واغلب من نودى عليه فى هذه الاسواق وقد كشف عن غامض هذه

الطريقة واستثنى الرضا بزور وهذه الحقيقة الاستاذ رضى الله عنه فقال

عد بنى بوصل وامطلى بنجازه * فعندى اذا صح الوفا حسن المطل
وما الصد الا الود ما لم يكن قلى * واصعب شئ دون اعراضكم سهل

ثم تجرد من ثياب هذه الطريقة وانغمس فى بحار الحقيقة فانطوت نفسه الابية فى مطاوى الحقائق القدسية فقال

ان لم بكن وصل لديك فعدبه * املى وماطل ان وعدت ولا تفى

وأما المترسمة فقد اكثروا فى هذا الباب الاقوال واختلفوا باختلاف الاحوال قال بعضهم

أعال بالمنى قلبى لعلى * أروح بالامانى الهم عنى
واعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمنى

(وقال آخر)

وما بلوغ الامانى فى مواعدها * الا كشعب برجو وعد عرقوب

ومن كلام اقلاطون الامانى حلم المستيقظ وسلوة المحروم وقال غيره التمنى مؤنس ان لم ينفعك فقد الهالك * قيل لاعرابى ما أمتع لذات الدنيا قال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأمانى تقطع بها أيامك

(ياقوت الرومى)

لله أيام تقضت بكم * ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها * شئ سوى ان نتمناها

(ابن الوردى)

وشادن قلت له * هل لك فى المنادمه
فقال كم من عاشق * سفكت فى المنى دمه

(الحسين بن الضحاك)

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت انى وما أراك أراك
واذا ما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاك
خدعات المنى تعللنى فيك باشراق ذا وبهجة ذاك

(ابن أبى حجلة)

رق الصب فدامعا يكابده * من دمعه الصب يجرى فى مجاريه
لم يبق فيه سوى روح يرددها * لولا المنى مات يا أقصى أمانيه

(وقلت)

عدى فتى شفت الاسقام مهجته * بزورة منك يا أقصى تمنيه
فالهجر منك لكاس الموت يسلمه * والوعد منك ولو بالزور يحييه

(ومنهم شهيد)

ذكر العتبى قال جلست يوما وعندى جماعة من أهل الادب فتزع بنا الحديث الى أخبار

قرب فلم يزل يدنو حتى عد على يده ثم ضرب بعقاره الارض فسال منه الدم ثم مات

العشاق وفى الجماعة شيخ ساكت فسئل فقال كانت لى ابنة وكانت تهوى شابا ولا نعلم بذلك وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتى فحضرت فى بعض الايام مجلسا ٧٤ فيه ذلك الشاب والقينة فغنت علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكا فقال لها أحسنت يا سيدتى اتاذنين لى أن أموت فقالت نعم مت راشدا ان كنت عاشقا قال فنام وغمض عينيه ومات فانصرفنا مهمومين الى منازلنا فاخبرت أهلى بما كان من شأن الفتى فلما سمعت ابنتى كلامى نهضت الى مجلس لنا مبادرة فانكرت ذلك منها فقمت فوجدتها توسدت كما كنت وصفته عن الفتى فحركتها فاذا هى ميتة فاخذنا فى جهازها وغدونا بجنازتها وجنازة الشاب فاذا نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هى جنازة القينة بلغها قول ابنتى ففعلت مثل مافعلت فماتت فدفنا الثلاثة فى يوم واحد

(ومنهم شهيدان)

ذكر الشيزرى فى روضة العشاق انه كان بعمورية راهب يسمى عبد المسيح أسلم فسئل عن اسلامه فقال كان عندنا شاب فهوى جارية نصرانية تبيع الخمر فكان لا يبرح ناظرا اليها فلما علمت به سلطت عليه الصغار يضربونه ويصيحون عليه فكانت تفعل به ذلك كل يوم فلما علمت صدقه دعته الى نفسها حراما فابى فعرضت عليه التنصر ويتزوجها فابى فسلطت عليه الصغار فاثخنوه قتلا قال عبد المسيح فادركته وهو يقول اللهم اجمع بيننا فى الجنة ومات فلما كان من الليل رأت الجارية الشاب قالت فاخذ بيدى وانطلق بى الى الجنة فلما اردت أدخلها منعت لاجل الكفر قالت فاسلمت ودخلت معه

وقد ذم قوم الرضا بالوعد والامانى وعد ذلك جنونا ومشى على ذلك جمع كثير

(الخالدى)

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

(ابن المعتز)

لا تأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقيه الا مثل ماضيه

قال على كرم الله وجهه اجتنبوا المنى فانها تذهب ما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين انى رأيت كانى أسبح فى غير ماء واطير بغير جناح فقال أنت رجل تكثر الامانى وسمع الحجاج ليلة لبانا يقول أبيع اللبن بكذا واشترى بضاعة فاكسب فيها كذا فيكثر مالى فاتزوج ابنة الحجاج وتلد لى ولدا وآمرها يوما بشئ فلم تطع فارفسها هكذا ورفع رجله فكب اللبن فدخل الحجاج فضربه خمسين سوطا وقال أأنت تفجعنى فى ابنتى لو فعلت بها هذا

(وقال آخر)

لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر * فجاء نى فيه العذاب الاليم

وأما الرضا بالدون من المحبوب والقناعة باليسير من المطلوب وان طال الوعد وكثر الخضوع وامتد البعد وانسكبت الدموع فصفة العاشق القانع الملقى عن نفسه المطامع المنزه محبوبه عن التكليف * المشفق عليه من نحو التعنيف وقد اتصف به جم غزير عدوا فيه أقل القليل أكثر الكثير وليس فى هذا النمط الطف من جميل فى قوله وانى لارضى من بثينة الابيات السابقة فى قصته

(وقوله)

الست ارى النجم الذى هو طالع * عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقى فى الافق طرفى وطرفها * فيجمعنا اذ ليس فى الارض جامع

(وقال بعض الاعراب)

اليس الليل يجمع أم عمرو * واياناً فذاك لنا تدانى
نعم وأرى الهلال كما تراه * ويعلوها النهار كما علانى

(وقال بعضهم)

الى الطائر النسرا نظرى كل ليلة * فانى اليه بالعشية ناظر
عسى يلتقى طرفى وطرفك عنده * فنشكو اليه ما تكن الضمائر

(وقال بعض الاعراب)

وما نلت منها وصلها غير أننى * اذا هى بالت بلت حيث تبول

(وقال بعضهم)

فرأيت شيأ عظيما ورأيت قصرا من الجوهر فقال هذا لى ولك وأنا لا ادا خله الا بك والى خمس ليال تكونين عندى فلما استيقظت اسلمت وجلست عند قبره ومات فى الليلة الخامسة فكان ذلك سبب اسلامى ٧٥

وكن قنوعا فقد جرى مثل * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

هذه اشارة الى مثل يضرب للقناعة باليسير وأصله ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام أنت فى ضيافتى بجميع عسكرك فى جزيرة كذا فلما حضروا أخذ جرادة ورمى بها فى البحر وقال يا نبى الله من فاته اللحم فليشرب المرق فكان سليمان عليه السلام يضحك من ذلك اذا ذكره وعكس هو لاء من مد الى المحبوب باعه وأوسع آماله وأطماعه فلم يرض الا بامتزاج الاشباح فضلا عن الارواح والتأليف الذى لا يمكن تمييزه كالماء والراح حتى يراهما واحدا فى العين الاحول الذى يرى الشئ اثنين

(قال بعضهم)

وكدت وهو صحيحى ان أقول له * من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

(ابن الرومى)

أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تدانى
والثم فاه كى تزول حرارتى * فيشتد ما القى من الهيمان
كان فؤادى ليس يشفى غليله * تشفيه مما ترشف الشفتان
ولم يشف قدار الذى بى من الجوى * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

(خالد الكاتب)

كأنى عانقت ريحانة * تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانى فى قميص الدجى * حسبتنى فى جسد واحد

(فمطويه النحوى)

ولما التقينا بعد بعد بمجلس * نغازل فيه أعين النرجس الغض
جعلت اعتقادى ضمه وعناقه * فلم نفترق حتى توهمته بعضى

(أبو بكر الاربلى)

هم الرقيب ليسعى فى تفرقنا * ليلا وقد بات من أهواه معتنق
عانقته فاتحدنا والرقيب أتى * فخر أى واحدا ولى على حنق

(وقال بعضهم)

توهمنا واشينا بليل مزاره * فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا * فلما أتانا ما رأى غير واحد

(أبو الفضل)

سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا * ونحن نحكى عنا فاشكل تنوين
فصرت اذ علقت كفى حبائلكم * بسم هجرك تنوى ثم تنوينى

(ابن سنا الملك)

وليلة بتنا بعد سكرى وسكره * نبذت وسادى ثم وسدته يدى

(ومنهم قتيل)* ذكر أبو محمد عبد الحق ان رجلا كان واقفا بازاء داره وكان يشبه الحمام فمرت به امرأة جميلة وهى تقول أين الطريق الى حمام منجاب فاشار اليها به فلما دخلته دخل معها فلما رأت ذلك أظهرت له السرور وقالت تشتهى أن تكون معنا ما يطيب به عيشنا فخرج مبادرا اليأتيها بما سألت وغفل عن الباب فلما جاء وجدها قد خرجت فكثر ولهه بها فكان يمشى فى الطريق ويقول

يا رب قائلة يوما وقد جهلت * كيف الطريق الى حمام منجاب

وبقى على ذلك مدة حتى جاوبته امرأة من طاق

قرنان هلا جعلت اذ ظفرت بها * حرزا على الدار أو وقفا على الباب

فزاد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك بالبصرة حتى حضرته الوفاة فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول يا رب قائلة يوما البيت حتى مات

(ومنهم شهيد)

ذكر أبو القاسم الشروطى فى كتاب التسلى عن أبى الفرج الصوفى وغيره انه كان عندهم رجل صوفى يعرف بأبى القاسم الشواء وكانت له عنيزات يرعاهن وقال بعضهم انه لم يكن يحضر معهم مجالس السماع ويجذبونه الى ذلك ولم يكن له رغبة فى ذلك قال فبينما هو يرعى يوما عنيزاته اذ سمع صبيا من صبيان الصحراء يغنى فى حقل

ان هوالذ الذى بقلبى * صيرنى سامعا مطيعا اخذت قلبى وغمض طرفى * سلبتنى العقل والهجوعا

فاردد فؤادى وخذ رقادى * فقال لابل هما جميعا فراح منى بحاجتيه * وبت تحت الهوى صريعا

قال فاعتراه طرب شديد فقال للصبى وأقبل ٧٦ نحوه كيف قلت فقال جيد وكان يقال له جيد الفاخورى فتردد اليه ثلاثة

أيام وهو يردد عليه هذه الابيات ثم تخلف فى منزله عليلا يصيح فؤادى فؤادى الى ان قضى عليه

(ومنهم شهيدان)

ذكر المفضل الضبى عن كامل انه عشق أسماء بنت عبد الله بن مسافر ابنة عمه فلم يزل به العشق الى ان صار كالشن البالى فشكا أبوه الى أبيها خالد فامر بحمله الى داره ليزوجها به ولم يعلم كامل فلما علم قال وان اسماء لتسمع قيل نعم فشهق شهقة قضى مكانه فقيل لها مات بشجنه قالت والله لا موتن بعده بمثله ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعنى منها قبح ذكر الريبة ومرضت فلما اشتد مرضها قالت لاشفق نسائها عليها صوروا لى منالة فانى أحب ان أزوره قبل موتى ففعلت فلما وصلت الصورة اليها اعتنقتها وشهقت فماتت فطلب أبو الفتاة الى أبيه ان يدفنها الى جانب قبر ابنه ففعل وكتب على قبريهما

يتقسى هما ما متعا بهواهما
على الدهر حتى غيبا فى المقابر
أقاما على غير التزاور برهة
فلما أصيبا قربا بالتزاور

فيا حسن قبر زار قبرا يحبه
ويا زورة جاءت بريب المقادر

(ومنهم شهيدان)

ذكر مصعب بن الزبير ان مالك ابن عمرو الغسانى تزوج بنت عم النعمان بن بشير وكلف كل واحد منهما بصاحبه وكان ملكا شجاعا فاشترطت عليه ان لا يقاتل شفقة عليه وضنا به فباشر القتال فاصابته جراحة فقال وهو منقل منها

الا ليت شعرى عن غزال تركته * اذا ما أتاه مصرعى كيف يصنع

و بتنا جسم واحد فى عناقنا * وكالحرف فى لفظ الكلام المشدد

قيل اعترض هذا بكون العروضيين تعد الحرف المشدد بحرفين فلو قال فى الخط لحسن مطلوبه * واجتمع ابن الجهم وابن عروس فى سفينة فتذاكرا الشعر فقال ابن الجهم أنا أشعر منك حيث أقول

الا رب ليل ضمنا بعد هجعة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
وبتنا جميعا والوتراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تشرب

فقال أحسنت ولكنى أشعر منك حيث أقول

لا والمنازل من نجد وليلتنا * بعيد آذ جسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه * فوما فما انفك لا خد ولا عضد

(بشار بن برد)

ومرنجة الاعطاف مهضومة الحشا * تمور بسحرى عينها وتدور
اذا نظرت صبت عليك صبابة * وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لا يخلص الماء بيننا * الى الصبح دونى حاجب وستور

وكلام بشار وان كان فى الحقيقة أصلا للبيتين الا ان ابن الجهم تلطف حيث أبدل الماء بالخمر لانه أشد نفوذا وأما ابن عروس فلا لطف منه اذ لا شئ أشد سريانا من النوم وحاصله انه يمكن الجمع بين أهل القناعة باليسير من المحبوب ومن لم يقف على غاية فى المطلوب باختلاف الامكنة وصفاء الايام والخلو من نحو واش وغمام ومجالس الورد والنمام فان من الحزم انتهاز الفرص ومن الحمق الوقوع فى ضيق القفص ومن صفاله الزمان فجين عن مطلوبه فهو زاهد فى محبوبه ومن رأى العواتق دون مرامه فالحزم تقييد غرامه وقلت من الاول

لقد صار يشفينى الهوا لمزجه * بانفاسها مع ان دائى من الهوى
ويفرحنى ما جد فى الصبح والمسا * لانى واياها بمدركة سوا

(ومن الثانى)

رب ليل ضممتها فيه حتى * لو فرقنا كا هيولى وصورة
مع انى سألتها القرب منى * بخضوع وان تمن بزوره

وهو معنى فوق ما قصد من لطف الخمر والكرى اذ لا يتصور افتراق الهيولى والصورة بوجه وقد جعلت ذلك كالحال وقت الفرقة فلا أبلغ منه

(فصل فى ذكر مكابدة الامور الصعاب عند طلب رضا الاحباب وخوض الاهوال واستهلال قضاء الآجال فضلا عن بذل الاموال ليحصل من محبوبه على مطلوبه ويرضى باليسير كما سلف ولو كان ذلك يفضى الى التلف)

وقد قتح للفريقين هذا المحال ونسج على هذا المنوال من شيد هذه الشريعة كلامه

فلو انى كنت المؤخر بعده * لما برحت نفسى عليه تقطع ٧٧ ومكث يوما وليلة ومات فلما وصل خبره الى زوجته بكته سنة ثم اعتقل لسانها وامتنعت من الطعام والكلام وكثرت خطابها فقال من يلى أمرها زوجوها العل لسانها ينطلق ويذهب حزنها فانما هى من النساء فزوجوها بعض ابناء الملوك فساق لها ألف بعير فلما كانت الليلة التى أهديت اليه فيها قامت على باب القبة وقالت تقول رجال زوجوها العلها

تقر وترضى بعده بخليل
فاخفيت فى النفس التى ليس بعدها
رجاء لهم والصدق أفضل قيل

وحدثنى أصحابه ان مالكا صروم كما شى الشفرتين صقيل
فلما فرغت من انشاد الشعر شهقت شهقة فماتت

(ومنهم شهيدان)

قال أحمد بن محمد الغنوى فيما ذكره فى ذم الهوى دخلت الكوفة فجاءنى ظرفاؤها فقالوا هنا فتيان محابا وقد اعتل أحدهما فتريدان نعوده فذهبت معهم ليعودوا العليل ونعود الصحيح فوجدنا فتى ملقى على سرير وآخر متكئا عليه يذب عنه وينظرنى وجهه فلما رآنا فرج لنا عن صاحبه فجلس أصحابى حول العليل وجلست بازاء الصحيح فكان العليل اذا قال أواه قال الصحيح أواه فاذا قال العليل أواه من نخذى قال الصحيح أواه من نخذى واذا قال أواه من يدى قال الصحيح أواه من يدى الى ان قالوا قد قضى رحمه الله فشد أصحابى لحيى العليل وشددت لحيى الصحيح ومابرحنا حتى دفناهما

وصار بدر سمائها بل شمس آفاقها نظامه سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته وهدانا الى ادراك دقائق نفحاته فقال

ونافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك يا حبذا البذل
ومن لم يجد فى حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

فانظر كيف اضرب عن ذكر ما سوى النفس وان عز وأمر بيذلها من بادئ الرأى فكم طوى فى ذلك من المراتب وهذا فى الحقيقة اجمال بالنسبة الى قوله

بكل قبيل كم قتيل بها قضى * اسى لم يفز يوما اليها بنظرة

فانه أشار الى قطع كل رتبة بحيث ينتهى السالك الى ذهاب النفس وليس ذلك بشئ اذ قال انه لم يفز ولا بنظرة مع ذهاب نفسه وشرح ذلك واضحا قوله

بحيث ترى ان لا ترى ما عددته * وان الذى أعددته غير عدة

فانه يقول ان هذا المرام لا يعظم عنده شئ ومتى عد الشخص بذلا لنحو نفس فقد جعل له شيأ بالنسبة الى المحبوب وهو خلاف المطلوب ودقائقه فى هذا الباب محجوز عن حصرها كما تشهد به أولوا الالباب فلنرجع الى كلام المترسمة

(الطغرائى)

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل
ولا أهاب الصفاح البيض تسعدنى * باللمح من خلل الاستار والكلل

(ابن خفاجة)

وليل طرقت المالكية تحته * أجد على حكم الشباب مزارا
تخالطت اطراف الاسنة أنجما * ودست بها الات البدور ديارا

(ابن بسام)

لقد صبرت على المكروه اسمعه * من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم * لولاك ما كنت ادرى انهم خلقوا

(وقال آخر)

يغوص البحر من طلب اللآلى * ومن طلب العلا سهر الليالى
تروم المجد ثم تنام عنه * لقد أطمعت نفسك بالمحال

وأعظم من ذلك الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء وتلف النفس وشدة الابتلاء وامام هذا الشان والمتفرد بالسبق فى هذا الميدان الطغرائى قيل انه علق مملوكا لمؤيد الدين كان يهواه فحين بلغه نقم على الطغرائى فاراد قتله واشهر شفقة على المملوك من الالسنة ان الطغرائى ملحد فشده الى شجرة وامر أن تفوق اليه السهام وان لا يرموا حتى يأمرهم والمملوك امام الكل ثم أمر رجلا يسمع ما يقول الطغرائى وهو لا يشعر فاذا هو يقول

(ومنهم شهيد) قال أبو مسهر كان وضاح اليمن والمقنع الكندى وأبو زبيد الطائى يردون مواسم العرب متبرقعين يسترون وجوههم خوفا من العين وحذرا على أنفسهم من النساء لجمالهم وكان وضاح اليمن هو وام البنين بنت عبد العزيز بن مروان

صغير بن فاحبها واحبته وكان لا يصبر عنها فلما تزوجت بالوليد بن عبد الملك ذهب عقل وضاح فلما طال عليه البلا خرج الى الشام فجعل يطوف تحت قصر الوليد بن عبد الملك ٧٨ في كل يوم ولا يجد حيلة حتى راى يوما جارية صفراء فلم يزل يكلمها ويأنس بها الى ان قال لها هل لك تعرفين ام البنين قالت انك لتسأل عن مولاتي فقال انها ابنة عمي وانها لتسر بموضعي لو أخبرتها قالت نعم فاتى أخبرها فمضت الجارية فاخبرت أم البنين فقالت ويلك هو حي قالت نعم قالت قولي له كن بمكانك حتى يأتيك رسول ثم انها أدخلته في صندوق فمكث عندها حينا اذا أمنت أخرجته فيقعد معها واذا عبر رقيب أدخلته الصندوق واهدى يوما للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا الجوهر فامض به الى أم البنين قال فدخل الخادم من غير ان يستأذن ووضاح معها فلمحها أولم تشعر أم البنين فأدى الخادم الرسالة وقال لها هبي لي من هذا الجوهر حجرا فقالت لا أم لك وما تصنع أنت بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد فاخبره بما رأى ووصف له الصندوق الذي رأى وضاحا دخله فقال له كذبت لا أم لك ثم نهض الوليد مسرعا فدخل عليها وهي في ذلك البيت وفيه عدة صناديق فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصفه له الخادم فقال لها يا أم البنين هبي لي صندوقك من صناديقك قالت يا أمير المؤمنين هي لك وأنا لك أيضا فقال أريد هذا الصندوق الذي تحتي فقط فقالت ان فيه شيأ من امور النساء قال ما أريد غيره فقالت هو لك فامر به فحمل ثم دعا بغلامين فامرهما بحفر بئر فحفرا حتى بلغا الماء فوضع فيه على الصندوق وقال قد بلغنا عنك شيء فان كان حقا فقد دفنا خبرك ودرسنا أثرك وان كان كذبا فقاء لبنا في دفن

واقد أقول لمن يسد سهمه * نحوي واطراف المنية شرع
والموت في لحظات أحور طرفه * دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله قش في فؤادي هل ترى * فيه لغير هوى الاحبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فاطلقه ورفع شانه

(أبو عطاء السندي)

ذكرتك والخطي يخطر بيننا * وقد نهلت مني المثقفة السمر
فوالله ما أدري وإني لصادق * بنا فتكت تلك اللواحظ أم سحر

(عنترة العبسي)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(الطغرائي)

اني لاذكركم وقد بلغ الظما * مني فاشرق بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتي عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال بعضهم)

ذكرت سليمى وحر الوغى * بقلبي ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها * وقد ملن نحوي فعانقتها

(ابن رشيق)

ولقد ذكرتك والطبيب معبس * والجرح منغمس به المسبار
وأديم وجهي قد غراه حديده * ويمينه حذرا على يسار
فشغلتني عما يليق وانه * ليضيق عن برحائها الاقطار

(الشريف البياضي)

ولقد ذكرتك في السفينة والردى * متوقع بتلاطم الامواج
والجو يهطل والرياح عواصف * والليل مسود الذوائب داجي
وعلى السواحل للاعادي عسكر * يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة * وانا وذكرك في أذن نتاج

(أبو الثناء محمود)

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع * والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن في شفق الدروع تخاله * حسناء ترفل في رداء مذهب
سامي السماء فمن تطاول نحوه * للسمع مستتر فارماه بكوكب
والموت يلعب بالنفوس وخاطري * يلهو بطيف ذكرك المستعذب

صندوق من خشب حرج ثم أمر به فالقي في الحفرة وأمر بالخادم فقذف به فوقه وطم عليهما جميعا التراب قال أبو مسهر فكانت أم البنين لا تزال توجد في ذلك المكان تبكي الى ان وجدت فيه يوما مكبوبة على وجهها ميتة وذكر المعافى بن زكريا ان

(الصفي الحلي)

ولقد ذكرتك والمجاج كأنه * مطل الغني وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجدل في جندل * مناو بين معفر في معفر
فظننت اني في صباح مسفر * بضياء وجهك أو مساء مقمر
وتعطرت أرض الكفاح كأنما * فتقت لنا أرض الجلاد بعنبر

(وقلت)

لقد ردد روحي عند ما رام نزعها * ملائكة ذكرك حين تلوته
فلو لم يكن موت البرية لازما * اذا فرغت آجالهم ما نسيته

(تتمة)

تشتمل على ذكر مقاطيع فائقة وأبيات رائقة يشير مجموعها الى جميع الاصول السابقة وتترجم عندهم بالغزل والنسيب لاعراب مضمونها عن نحو محاسن الحبيب وتهييجها الاشواق المستغرقة حيث يذكر الشعر والطرة وتفصيلها الثلاث الجملة من حيث وصف الحاجب والمقلة وانارة ما قرمن البلبال عند ذكر الوجنة والخال واستقامة القوس الاحباب عند ذكر الثغر والرضاب واتيانها باعذب الموارد بعد ما حال الصدر اذا ذكر النهد والصدر ونشر مطاوي الاشواق اذا سمع مدح الخلخال والساق الى غير ذلك مما اقترحته أفكارهم الدقيقة اللطيفة وتخيرته في هذا الباب اذهانهم الشريفة وبها نختم هذا المورد اللطيف وما يتعلق بالعشق من هذا التأليف (ذكروا) ان أغزل بيت للمتأخرين قول بشار

انا والله اشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق

(شمس الدين بن العفيف)

يحكي الغزال مقلة ولفتة * من ذا رآه مقبلا ولا افتتن
أحسن خلق الله وجها وفما * ان لم يكن أحق بالحسن فمن
في ثغره وشكله وخده * الماء والخضرة والوجه الحسن

ولما وصلت هذه الابيات الى القاهرة والشاعر المشهور يومئذ بها الحلي اقترح عليه بعض أعيان الدولة محاكاتها فقال

كم قد سفكنا من دموع ودما * على ربوع للديار ودمن
وكم قضينا للبكاء منسكا * لما تذكرنا بهن من سكن
وكم أقمنا بالبكاء مأتما * اذ بعتهم روحي بغير ما ثمن

فاستحسن الجل أبيات الحلي ودامت الناس مدة طويلة مفترقين في ذلك والغزل كما سمعت كثير الفنون والشعب وقد توسعت فيه أهل الادب فمن الاول قول ابن نباتة

أيها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب

الخطيب بينما أنا في بعض طرقات البصرة اذ سمعت صعقة فاقبلت نحوها فرأيت رجلا مغشيا عليه فقلت ما بال هذا قالوا سمع آية من كتاب الله فقلت وما هي قالوا قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال أحمد فافاق عند سماعها وهو يقول

الخليفة الفاعل لذلك هو يزيد ابن عبد الملك وفيه نظر

(ومنهم شهيد)

ذكر الشيزري في كتاب روضة القلوب انه رأى بحلب سنة خمس وستين وخمسمائة رجلا تركيا له جارية رومية يهواها وانها احبت شابا خياطا فعملت الحيلة في وصاله فلم تقدر فطلبت من سيدها ان يعتقها ويتزوجها ففعل ثم أرادت تزويجها فأنظرته حتى أرسلت الى الخياط فتزوجته عند القاضي محيي الدين أبي حامد محمد بن محمد الشيزري فلما بلغ التركي ذلك صاح صيحة عظيمة ثم اختلط ذهنه ووسوس فحمل الى البيمارستان فاقام مقيدا بالحديد خمسة أيام لا يأكل ولا يشرب حتى مات في تلك الايام

(ومنهم شهيد)

عن الحسن قال كان شاب على عهد عمر ملازما للمسجد والعبادة فعشقته جارية فاتته في خلوة فكلمته فحدث نفسه بذلك فشهق شهقة غشي عليه فجاء عم له فحمله الى بيته فلما افاق قال يا عم انطلق الى عمر فاقرئه مني السلام وقل ما جزاء من خاف مقام ربه فانطلق عمه فاخبر عمر فقال جنتان فلما بلغه ذلك شهق شهقة فمات رحمه الله

(ومنهم شهيد)

قال أحمد بن أبي الحواري فيما ذكره

ألم يأن للهجران ان يتصرفا * وللغصن غصن البان ان يتكلما وللعاشق الصب الذى ذاب وانحنى * أما آن ان يبكى عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحى * كتابا حكى نقش الموشى المنمما ثم خرمغشيا عليه فخر كذا فاذا هو ميت

(ومنهم شهداء)

عن صالح المرى قال قدم علينا محمد بن السماك مرة فقال ارنى عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل فى بعض الاحياء فى خص له فاستأذنا عليه فاذا هو رجل يعمل خوصا فقرأت اذا الاغلال فى أعناقهم فشهق شهقة فاذا هو قد بيس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فاستأذنا عليه فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا تبارك وتعالى فاذا رجل جالس فى مصلى له فقرأت ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد فشهق شهقة وندر الدم من منخريه ثم جعل يتشحط فى دمه حتى يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله قال صالح حتى أدرته على ستة أنفس كل يخرج من عنده وهو على هذه الحال ثم أتيت به السابع فاستأذنا فاذا امرأة من وراء خص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس فى مصلاه فسلمنا فلم يعقل سلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما قال الشيخ بين يدى من ويحك ثم بقى مبهوتا فافتحاه فاه شاخصا بصره يصيح بصوت ضعيف ثم انقطع فقالت امرأته اخرجوا عنه فانكم لا تنتفعون به فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤذى فرضا فلما كان بعد ثلاثة أيام عقل

(ومنهم شهداء)

ذكر ابن أبى الدنيا عن خليد قال كررت ليلة هذه الآية كل نفس ذائقة الموت

ونجيب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

(وله أيضا)

قلت وقد أبدى جبينا واضحا * وفرقه ليل دلال قد سجا
أفدى الذى جبينه وشعره * طرة صبح تحت أذيال الدجى

(ابن مطران)

ظباء اعارتها الملاحة حسن مشيها * كما قد اعارتها العيون الجاذر
فمن حسن ذاك الشئ جاءت وقبلت * مواطئ من أقدامهن الغدائر

(اسمعيل السكندرى)

لم ار قبل شعره ووجهه * ليلا على صبح نهار عسعسا
والسكر فى وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

(حسام الدين الحاجرى)

ومهفهف من شعره وجبينه * تغدو الورى فى ظلمة وضياء
لا تنكروا الخال الذى فى خده * كل الشقيق بنقطة سوداء

(ابن الصائغ)

مشى غصنا ومد عليه فرعا * كخطى حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(السراج الوراق)

ذو طرة يعيذها رب الدجى * وطلعة يعيذها رب الفلق
الماء والنار معا فى خده * أما ترى الماء طغى ثم احترق

(شمس الدين بن العفيف)

بدا وجهه من فوق أسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب فى جنح
فقلت عجبا كيف لم يظهر الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح

(المتنبى)

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت لى الى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فارتنى القمرين فى وقت معا

(آخر)

برزت فقابل ناظرى من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل

(ابن المعتز)

سقتنى فى ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب
فاسبت فى ليلين للشعر والدجى * وشمس من خمر وخد حبيب

(البجلى)

فنادى مناديكم تردد هذه الآية فلقد قتلت بها أربعة نفر من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء حتى ماتوا

(ومنهم شهيد)

قال محمد أبو يحيى النيسى كان يختلف معنا شاب من النساك يقال له أبو الحسين الى ٨١ مسعر بن كدام وكان معه فتى حسن الوجه يفتن الناس اذا راوه فاكثر الناس القول فيه وفى صحبته اياه فنعه أهله صحبته وكلامه فذهل عقل أبى الحسين حتى خشى عليه التلف فبلغ ذلك مسعرا فقال لى قل له لا تقربنى ولا تأت مجلسى فانى له كاره فاخبرته بذلك فتنفس الصعداء ثم أنشأ يقول

يا من بدائع حسن صورته * تثنى اليه اعنة الحدق
لى منك ما للناس كلهم * نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بامنهم * وشقيت حين أرانى بالفرق

قال ثم صرخ صرخة فاذا هو ميت رحمة الله عليه

(ومنهم قتيل)

ذكر الشيرزى رحمه الله فى كتاب روضة القلوب انه رأى بجماة مؤدبا يقال له الوردى وأصله من حمص وكان فاضلا شاطرا فى فنه فافتتن بصبى من صبيانه وهام به الى الغاية حتى لم يبق يصبر عنه اللحظة الواحدة فبلغ ذلك اباه فمنع الصبى من المضى اليه ثم انه أرسله الى مؤدب آخر غيره وكان عدوا له فاشتد ما به من الغرام والهيام ثم انه الجأته الضرورة الى ان كتب الى أبيه يستعطفه فاجابه بانه متى ذكره شكاه للسلطان فلما قرأ الرقعة اطرق الى الارض ساعة واحمرت عيناه ووجهه حتى كاد يقطر منه الدم

رقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
تندى بماء الورد مسبل شعرها * كالظل يسقط من جناح الطائر

(الخيزرانى)

رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتى منهما * هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد فى الوجنتين * وما راعنى من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب * وكنت أظن الحبيب القمر

(التهامى)

وفى كتابك فاعذرنى بهيمان به * من المحاسن ما فى أجمل الصور
الطرس كالخد والنونات دائرة * مثل الحواجب والسينات كالطرر

(آخر)

أرى سهم لحظ تحت عقرب صدغ * وكيف نجانى بين سهم وعقرب
والحظ ما طلته باللحظ من دمى * على وجنتيها والبنان المخضب

(وقلت)

لله بالناس لطف فى معايشهم * لولاه لم ترموجودا من البشر
اذ كف شعرك عنهم يوم حاجتهم * للشمس فى نحو نضج الحب والثمر
وعند حاجة ليل يسكنون به * من المتاعب ابدى مسبل الشعر

(ومن الثانى قول ابن نباتة)

واغيد جارت فى القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان اجفانه الوسنى
أجل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين او أدنى

(الواوا الدمشقى)

يا من هو الماء فى تكوين خلقته * ومن هو الخمر فى افعال مقلته
ومن برقة سيف اللحظ طل دمى * والسيف ما فخره الا برقته
علمت انسان عينى ان يعوم فقد * جارت سباحته فى بحر معته

(علاء الدين الوداعى)

رمتنى سود عينيه * فاصمتنى ولم تبطى
وما فى ذاك من بدع * سهام الليل لا تخطى

(الصلاح الصفدى)

بسهم أجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

(ابن نباتة)

ثم جاشت نفسه وجاءه القيء فخرج مبلبلا الى باب المسجد فتقايأ قيأ اسود ومضى الى بيته والدم يخرج من حلقه ساعة بعد ساعة فجيء له بطبيب فاخبر ان كبده تقطرت ٨٢ فعالجه فلم ينقطع الدم ومات في اليوم الرابع *(ومنهم قتيل)*

قال ابن الجوزي كان ببغداد سنة ثمانين وأربعمائة غلام يقال له ابن الرواس يهوى امرأة فماتت فحزن عليها وبقي لا يطعم ثم خنق نفسه فمات

(ومنهم شهيدان)

ذكر العتبي عن الاخفش سعيد بن مسعدة صاحب النحو قال خرجت في سفر فنزلنا على ماء لطيء فبصرت بخيمة من بعيد فقصدت نحوها فاذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال فلما ابصرني أنشأ يقول

ألا ما للحبيبة لا تعود
ابخل بالحبيبة أم صدود
مرضت فعادني عواد قومي
فما لك لم ترى فيمن يعود
فلو كنت المريض ولا تكوني
لعدتكم ولو كثر الوعيد
وما استبطأت غيرك فاعلميه
وحولي من ذوي رحمي عديد
قال ثم أغمي عليه فمات فوقعت الصيحة في الحي فخرج من آخر الماء جارية كأنها فلقة قمر فتخطت رقاب الناس حتى وقعت عليه فقبلته وانشأت تقول

عداني ان أعود لك يا حبيبي
معاشر فيهم الواشي الحسود
اذا عوا ما علمت من الدواهي
وعابونا وما فيهم رشيد
فأما اذ حللت ببطن أرض
وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لي الدنيا فواقا * ولا لهم ولا أثر جديد

قال ثم شهقت شهقة فخرت ميتة

نسبوه حسنا للهلال وحسنه * للبدر ينسب لا بليت بينه
فاذا بدا قالوا هلال أصله * واذا نأى فهو الغزال بعينه

(الشيخ برهان الدين القيراطي)

يا بني سلطان حسن حسنه * لقتال القلب في الحب نوى
صال في العشاق منه ناظر * هو والسيف على حد سوا

(ابن نباتة)

وبيع قلبي من كاسر الطرف أضحى * فيه قلبي كما ترى مكسورا
قد حمى ثغره بعينيه عني * وكذا السيوف تحمي الثغورا

(الصلاح الصفدي)

سيوف الحاظه المرضى سفكن دمي * ولم يطق دفعها حولي ولا حيلي
لولا السقام الذي فيها لما فتكت * وربما صحت الاجسام بالعلل

(الفرزدق)

ومقلة شادن اودت بنفسي * كان السقم لي ولها لباس
يسل اللحظ منها مشرفيا * لقتلي ثم يغمده النعاس

(بدر الدين بن حبيب)

عيناه قد شهدت باني مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكاري

(جلال الدين بن خطيب داريا)

شهدت جفون معذبي بملاله * مني وان وداده تكليف
لكنني لم أنأ عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(أمين الدين كاتم سر الشام)

ان كان قيد هواك أطلق أدمعي * فوكيل شوقي عاجز عن حبسه
أو كان منك الطرف اسهر ناظري * فلكل شئ آفة من جنسه

(الصلاح الصفدي)

غزال من الاتراك ما ضاق لحظه * لحظي الا كي تضيق مذاهبي
كان الحشا طير وكاسر لحظه * نصيدها من جفنه بالمخالب

(ابن أسد الدين)

الى الله أشكو حب أهيف فاتن * وقعت فعالي من يديه خلاص
جرحت بلحظي خده وهو جارح * بلحظيه قلبي والجروح قصاص

(وقلت)

يقولون ان الشمس تحرق كل ما * تجاسده من كائنات الكواكب

فهاخذها

(ومنهم شهيد) قال ذو النون المصري فيما ذكره عبد الله محمد بن

فهاخذها المريخ مع شمس وجهها * قد اقترنا في سمت قوس الحواجب
نعم قضيا لي بالشقاوة منهما * بسهم لحاظ عاقني عن مطالبي

(ومن الثالث قول ابن قلاقس)

فوق خديك دليل * ان نهديك ثمار
ما اختفى الرمان الا * وتبدى الجلنار

(الصفوري)

ذات خد بكا دما يمه وهم * من مشير بالجد أو بالمزاح
في بياض وحمرة فكان قد * صيغ حسنا من ماء مزن وراح

(محمد بن ياقوت)

مالي بجور الحبيب من قبل * هل حاكم عادل فيحكم لي
حمرة خديه من دمي صبغت * ويدعي انها من الخجل

(علاء الدين المدني)

يا حسن ورد طفا في ماء جنته * فزاد أهل الهوى في حبه شغفا
وراح يجني ثمار الوصل عاشقه * لما تمكن من خديه واقتطفا

(وقال آخر)

وأغيد تدمى وجنتاه من اللمح * تخلق الامن صدودي بالشح
غدا قاتلي ان ظلت أجرح خده * متى صار بالقتل القصاص من الجرح

(كمال الدين بن النبيه)

صنعة الكيمياء صحت لعيني * حين يزداد ديراني احمرار
فاذا ما ألقيت اكسير لحظي * في لجين الخدود عاد نضارا

(مظفر الاعمى)

قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ومن عجب * لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترق

(وقال بعضهم)

فتنت بتركي حماني عناقه * عقارب صدغيه على خده صرعى
الم ترني كلما رمت لثمه * تخيل لي من سحرها انها تسعى

(عز الدين الموصلي)

كالزرد المنظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يفك الزرد

(ابن الوردي)

قال من أهواه صف صدغي بما * فيه توجيه وحبيبه الى

البحر اذ بصرت بجارية عليها اطمار شعر فاذا هي ناحلة ذابلة فدنوت لاسمع ما تقول فرأيتها متصلة الاحزان فلما عصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان صرخت ثم سقطت الى الارض فلما افاقت قالت سيدي لك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات ولجلال قدسك تساقطت الامواج المتلاطمات أنت الذي سجدلك سواد الليل وبياض النهار في القلك الدوار والبحر الزخار والنجم الزهار وكل شئ عندك بمقدار لانك العلي الغفار ثم أنشأت تقول

يا مؤنس الابرار في خلواتهم
يا خير من حطت به النزال
من ذا الذي حبك لا يزال متيما
فرح الفؤاد وحشوه بلبال
فقلت لها عسى ان تزيدينا من هذا فقالت اليك عني ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت

أحبك حبين حب الوداد
وحبا لانك أهل لذا كا
فاما الذي هو حب الوداد
فحب شغلت به عن سوا كا
وأما الذي أنت أهل له
فكشفك للحجب حتى أرا كا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي
ولكن لك الحمد في ذا وذا كا

ثم شهقت شهقة فاذا هي ميتة فبقيت أتعجب مما رأيت منها فاذا انا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها

فغسلناهما عنى فغسلتهما ثم أقبلن بهما فى اكفانهما فقلن لى تقدم فصل عليهما فصليت عليهما وهن خلفى ثم احتملتهما ومضين

عن حماد المراكبى فيما ذكره المعافى فى كتاب الاندلس قال وصفت

(ومنهم شهيد)

للمأمون جارية بكل ما توصف امرأة من الكمال والجمال فبعث فى شرائها فاتى بها وقت خروجه الى بلاد الروم فلما هم ليلبس درعه خطرت بباله فامر فخرجت اليه فلما نظر اليها أعجب بها وأعجبت به فقالت ما هذا قال اريد الخروج الى بلاد الروم فقالت قتلتنى والله يا سيدى ثم جرت دموعها على خدها كاللؤلؤ وأنشأت تقول

سأدعو دعوة المضطر ربا
يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله أن يكفيك حربا
ويجمعنا كما تهوى القلوب

فضمها المأمون الى صدره وأنشأ مقفلا يقول

فيا حسنها اذ يغسل الدمع كحلها
واذ هى تذرى الدمع منها الانامل
صبيحة قالت فى العتاب قتلتنى
وقتلى بما قالت هناك تحاول

ثم قال لخادمه يا مسرور احتفظ بها وأكرم محلها وأصلح لها كل ما تحتاج اليه من المقاصير والخدم والجوارى الى وقت رجوعى فلولا ما قال الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت باطهار

لكان لى ولها شأن ثم خرج فلم يزل يتعاهدها ويصلح من حالها ما أمره به فاعتلت الجارية علة شديدة اشفق عليها منها وورد نعى المأمون فلما بلغها ذلك تنفست الصعداء وأنشأت وهى تجود بنفسها

(وقال)

قلت ان الصدغ لام قد كوى * نصبها قلبى فهذى لام كى

(برهان الدين القيراطى)

عنقود صدغ الذى اهواه تيمنى * وقال لى ريقه لما رأى وصبى
ان كان فى الصدغ عنقود فتنت به * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب

(وقال آخر)

وبين الخد والشفتين خال * كزنجى اتى روضا صباحا
يحير فى الرياض فليس يدرى * ايجنى الورد ام يجنى الاقاحا

(الصلاح الصفدى)

بروضة خده المحمر أضحت * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

(وهذا مأخوذ كما ذكره ابن حجة من قول ابن نباتة)

بروحى فاتر الالحاظ المى * ملى الحسن حالى الوجنتين
له خال على دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

(العفيف التلمسانى)

ادنته لى سنة الكرى فلثمته * حتى تبدل بالشقيق السوسن
ماراعنى الا بلال الخال من * خديه فى صبح الجبين يؤذن

(شهاب الدين الحجى)

وعذولى لج فى عذلى اذ * لم ير الخال على الخد الاسيل
لو رأى وجه حبيبى عاذلى * لتغافرقنا على وجه جميل

(شمس الدين الصائغ)

بروحى افدى خاله فوق خده * وما أنا ذو مال فافديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن فى ذلك الخال

(جمال الدين بن نباتة)

لله خال على خد الحبيب له * بالعاشقين كما شاء الهوى عبث
اورثه حبة القلب القتيل به * وكان عهدى بأن الخال لا يرث

(الصلاح الصفدى)

افدى حبيبا له فى كل جارحة * منى جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(ابن الوردى)

لحبيبى شامة فى خده * لاعلا شان حسود شانها
رب عين دهشت منه فقد * نسيت فى خده انسانها

ان الزمان سقانا من مرارته * بعد الحلاوة انفاسا واردانا ابدى لنا تارة منه فاضحكنا * ثم اثنى تارة اخرى فابكانا
انا الى الله فيما لا يزال لنا * من القضاء ومن تلوين دنيانا دنيا نراها تزينا من تصرفها * ما لا يدوم مصافاة واحزانا

(وقال آخر)

يا سالبا قمر السماء جماله * البستنى فى الحزن ثوب سمائه
أشعلت قلبى فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت فى مائه

(ابن تميم)

رأيت حبة قلبى حين لاح لها * محبوبها انفرت من حر أفكارى
ثم استجارت بخدمنه فهى به * كالمستجير من الرمضاء بالنار

(وقال بعضهم)

له على حاجبه شامة * تنزهت فى الحسن عن عائب
مثل طوائى زاد فى حقه * يعلو على الناظر والحاجب

(تقى الدين بن حجة)

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لى * انا عبد لكل جيد

(وقال آخر)

غدا خاله رب الجمال لانه * على عرش كرسى الخدود قد استوى
وأرسل فى الاصداغ رسلا اعزة * على فترة تدعو القلوب الى الهوى

(وقال آخر)

يريك بوجنتيه الورد غضا * ونورا لاحوان من الثنايا
تأمل منه تحت الصدغ خالا * لتعلم كم خبايا فى الزوايا

(وقال آخر)

أبو طالب فى كفه وبخده * أبو لهب والقلب منه أبو جهل
وبنتا شعيب مقلتاه وخاله * الى الصدغ موسى قد تولى الى الظل

(وقال آخر)

لهيب الخد حين رآه طرفى * هوى قلبى عليه كالفراش
فاحرقه فصار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشى

(القيراطى)

انظر الى سطر عذار بدت * من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن وكم * قد راحت الارواح فيها غلط

(وقال آخر)

ومهفهف يحمى ورود رضابه * بصورام سلت من الاجفان
كتب العذار بليقة مسكية * فى خده سطرا من الريحان

(أبو غالب)

قفى أخبرك ما صنع الغرام * عشية قوضت تلك الخيام
سروا والليل فى ثوبى حداد * وقد لقى مراسيه الظلام
وقد هتكوا الاكلة عن بدور * كواكب لا يفارقها التمام
وفى الاحداج ذو لعس لماه * لنا كاس وريقته مدام

شابا حسن الوجه نظيف الثياب جالسا على حصير تليف وعن يساره مخدة وفى يده مروحة والى جانبه كوز فيه ماء فسلمت عليه فرد أحسن سلام فقلت له هل لك من حاجة قال نعم اريد قرصتين عليهما فالوذج قال على فضيت وجئته بذلك وجلست مقابله حتى أكل ثم قلت له هل بقى لك من حاجة قال نعم ولا أظنك تقدر عليها فقلت اذكرها فلعل الله تعالى ان ييسرها قال تمضى الى نهر الدجاج الى دار احمد الدهقان الى دار على باب زقاق الغسلة فاطرق وقل ان فلانا قال لى

سر للحبيب وقل له
محبوبكم من أخله

قال فمشيت وسألت عن الدرب والزقاق قال فطرقت الباب فخرجت الى عجوز فابلغتها الرسالة فدخلت وغابت ساعة ثم خرجت فقالت

ارجع اليه وقل له
عليلكم من اعله

فرجعت الى الفتى فاخبرته بالجواب فشهق شهقة فمات وعدت الى القوم فاخبرتهم بذلك فوجدت الصراخ فى الدار وقد ماتت الجارية

(ومنهم شهيدان)

ذكر الاصمعى انه رأى بالبادية رجلا قد دق عظمه ومحل جسمه ورق جلده فتعجبت منه ودنوت منه لاسأله عن حاله فقال لى اذكر له شيأ من الشعر يكلمك فقلت

سبق القضاء بانتى لك عاشق * حتى الممات فاين منك المذهب

ساصنع فى ذم العذار بداتعا * فمن شاء فليقض الدليل كما اقضى
الا انه كاللام واللام شأنها * اذا الصقت بالاسم صار الى الخفض

(البدر الدماميني)

تحدث ليل عارضه بانى * ساسلوه وينصرم المزار
فقال جبينه لما تبدى * حديث الليل يمحوه النهار

(سيدى أبو الفضل بن وفاء)

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حمى حما

(ابن النبيه)

جنت بمنظره البديع عيونا * فتسلست بمدامع الاجفان
واخضر فوق الخد آس عذاره * فعجبت للجنات فى النيران

(تاج الدين اليمانى)

بخلت لواحظ من رآنى مقبلا * برموزها ورموزهن سلام
فعذرت نرجس مقلتيه لانه * يخشى العذار لانه نمام

(الصلاح الصفدى)

عذارك والطرف يا قاتلى * يحاكيهما الآس والنرجس
وقد صار بينهما نسبة * فهـذا يدب وذا ينعس

(الطنبغا الجاولى)

عذارك والطرف قد أظهرا * جميع الذى فيهما يا رمز
وأنى يصان الهوى عنهما * وهـذا يمم وذا يغمز

(وله أيضا)

من قال عما قد بدا فى خدمن * أحببته شعرا به ما انصفا
هذا مثل رام شهد ريقه * فرأى تلهب خده فتوقفا

(محمد بن الرعاد)

أعد نظرا فما فى الخد نبت * حماه الله من ريب المنون
ولكن رق ماء الخد حتى * أرانا الخيال أهداب الجفون

(عز الدين الموصلى)

لقد كنت لى وحدى ووجهك جنتى * وكما كانت للزمان مواهب
فعارضنى فى ورد خدك عارض * وزاحمنى فى وردريقك شارب

(ابن نباتة)

واحر بامن هوى رشيق * معتدل كالقضيب مائل

عذاره

فقلت له أخبرنى عنك فقال ان كنت تريد علم ذلك فاحملنى وألقنى على باب تلك الخيمة ففعلت فانشأ يقول بصوت ضعيف

الا ما للمليحة لا تعود
ابخل ذا الثمها ام صدود
فلو كنت المريضة كنت أسعى
اليك ولم ينهنى الوعيد
فاذا جارية مثل القمر قد خرجت فالقت نفسها عليه فاعتنقا وطال ذلك وسترتهما بثوبى خشية ان يراهما الناس فلما خفت عليهما الفضيحة فرقت بينهما فاذا هما ميتان فسألت عنهما فقيل هذا عامر بن غالب وهذه جميلة ابنة عمه قال الاصمعى فتركتهما وانصرفت ذكرهما الحافظ أحمد بن محمد بن على الابنوسى فى اخباره

(ومنهم شهيدان)

ذكر ابن دريد عن الرقاشى قال قال عسكر بن الجميح الاسدى كان لى صديق من الحى وكان شابا جميلا يعشق ابنة عم له وكانت له محبة وكانت هيبة عمه تمنعه ان يخطبها فحجبت عنه فكان يأتينى فيشكو شوقه الى فمالبث ان مرض عمه مرضا شديدا فكان الفتى يدخل اليه فيستفتى بالنظر اليها ثم يخرج الى مسرورا الى ان برئ عمه فقال

أبكى من الخوف ان يبرا فيحجبها * ولست أبكى على عمى من الجزع
لما مات عمى ولا عوفى من الوجع * وعاش ما عاش بين اليأس والطمع

فخطبت الجارية فزوجها أبوها فجاءنى الفتى فودعنى وقال هذا وداع لا تلاقى بعده ابدا فناشدته فاذا الجزع قد حال دون فهمه

فقلت وأين تذهب فقال اذهب ما وجدت ارضا ومرض وكان آخر العهد به ولقد التمس عمه آفاق البلاد فما قدر عليه ولم يطل
عمر الجارية بعده حتى ماتت حزنا عليه ٨٨ *(ومنهم قتيلان)* ذكر الجاحظ ان محمد بن حبيب الطوسى كان جالسا
مع ندمائه وقد أخذ الشراب
برؤسهم اذ غنت جارية له من
وراء ستارة
ياقر القصر متى تطلع
اشتق وغيرى بك يستمتع
ان كان ربى قد قضى كل ذا
منك على رأسى فما أصنع
قال وعلى رأس محمد غلام على
أحسن ما يكون من الجمال ويده
قدح فوضع القدح من يده وقال
تصنعين مثل ذا ورمى بنفسه من
الدار الى الدجلة فلما رأت الجارية
ذلك هتكت الستارة ورمت
بنفسها على اثره ففزقا جميعا قال
الجاحظ فقطع محمد الشراب بعد
ذلك شهرا

(ومنهم شهيد)

قال محمد بن بشر الانصارى وليت
صدقات بنى عذرة فبينما انا بينهم
واذا بشيء يحتجل تحت ثوب فاقبلت
فكشفت عنه واذا رجل ليس
يرى منه سوى رأسه وعينيه
فقلت مابك فقال
كان قطاة علقت بخناجها
على كبدى من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد ان هما شفيانى
قال ثم تنفس حتى ملأ الثوب
الذى كان فيه ثم خمد فنظرت
فاذا هو قد مات فقيل هذا عروة
ابن حزام العذرى

(ومنهم شهيد)

يروى ان الحكم بن عمر الغفارى
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير ببعض كور خراسان وهو واليها فسمع رجلا يتغنى

ذكرت ريق حبيبى * بشرب راح معطر
وليس ذا بعجيب * فالشيء بالشيء يذكر
(جمال الدين بن نباتة)
وأغيد فى فيه المدام ولحظه * وفى وفى اعطافه نشوة السكر
تداويت من الحاظه برضابه * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
(وقال آخر)
نقل الارالنبان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الارالنبان لانه * يرويه حقا عن صحاح الجوهرى
(الصلاح الصفدى)
ياثغره ليس الثنايا التى * تضىء غير الانجم الغر
فليقل المسوالثما عنده * فهو عن الضحاك والزهرى
(ابن قلاقس)
جمعت نكهته فى ثغره * عبقا فى نسق يسبى الحدق
وبدت خجلته فى خده * شفقا فى فلق تحت غسق
(وقال آخر)
خد وثغر فجل رب * بمبدع الحسن قد تفرد
فذا عن الواقدى يروى * وذاك يروى عن المبرد
(شمس الدين بن الصائغ)
بروحى من ولى قولى بمهجتى * وولى منامى فهو كالوصل شارد
حمى ثغره عنى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ريقه وهو بارد
(الصلاح الصفدى)
رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لى صبر
وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر
(ابراهيم بن المعمار)
عزمت على رقيا محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين أقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت ببسم الله فى النظم أولا
(الصلاح الصفدى)
احيته كالغصن كم شاعر * له عليه نوح ورقاء
وثغره الصادى من حسنه * يحار فى تشبيهه الطائى
(يوسف بن مسعود)
راى ثغر من أهوى عذولى فلامنى * ولم يدر ان اللوم فى حبه يغرى

تعز بصبر لاورد لاترى * بشام الحمى اخرى الليالى الغوابر كان فؤادى من تذكره الحمى * وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

وقف وقال على بالرجل فجيء به فقال ويحك من أنت قال أنا رجل من أهل نجد بن عامر بن صعصعة فقال له فهل لك فى الحمى
فقال مالى الى ذلك سبيل ولى بتلك البلاد أهل وولد قال انى أحملك الى أهلك ٨٩ وولدك فقال لاحاجة لى فى هذا قال ليس
من ذلك بد وأمر به ان يحمل
فاضطرب فى أيديهم حتى مات

(ومنهم شهيد)

عن الاصمعى قال خرجت اريد
بعض احياء العرب فادركنى
الليل فأويت الى جبانة فتوسدت
قبرا فسمعت بالليل قائلا يقول
من القبر
أنعم الله بالجبابين قبرا
وبمعمر الذى اساء الينا
وحشة ما لقيت من خلل القبر
عسى ان نرالد أوان تربتا
قال فأرقت لبقى فلما أصبحت
دخلت الحى واذا بجنازة قد
اقبلت فسألت عنها فقيل هذه
سعاد كانت تحب ابن عم لها
فتعاقدا على الوفاء فلم تزل باكية
بعد ان مات وها هى قد لحقت به
فتبعتهم حتى دفنت الى جانب القبر
الذى بت عنده واذا هو قبر ابن
عمها فاخبرتهم بما سمعت فتعجبوا
من ذلك

(ومنهم شهيد)

حكى الفرزدق قال ابق غلام
لرجل من بنى نهشل فخرجت
فى طلبه اريد اليمامة فما صرت
على ماء لبنى حنيفة ارتفعت
سحابة وامطرت فعدلت الى بعض
ديارهم فسألتهم القرى فاجابوا
فاخذت فاقتى تحت بيت لهم من
جريد النخل وفى البيت جويرية
سوداء فخرجت جارية كأنها قمر

شغلت بهم ذا وارتبطت بحسنه * واحسن ما كان الرباط على الثغر
(النواجى)
قد ثغر للحبيب تجمعت * فى ضمنه للعاشقين نفائس
فيه الرحيق وخاله المسك الختا * م وفيه فليتنافس المتنافس
(الصلاح الصفدى)
قد شبه الخال على ثغره * تشبيه من لا عنده شك
بسجعة من جوهر أودعت * حق عقيق ختمه مسك
(ابن ريان)
لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت فى التمام
لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام
(ابن الوليد)
أريقا من رضابك ام رحيقا * رشفت فلست من سكرى مفيقا
وللصهباء اسماء ولكن * جهلت بان فى الاسماء ريقا
(شيخ الشيوخ بحماة)
سألته من ريقه شربة * اشفى بها من كبدى حره
فقال اخشى ياشديد الظما * ان تتبع الشربة بالجره
(الحريرى)
نفسى الفداء لثغر راق مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب
(ابن عنين)
ياغزالا اراى الغواية رشدا * فى هواه واحسب الرشد غيا
ما رأينا قبل ابتسامك بدر التم يفتر عن نجوم الثريا
(ابن سنا الملك)
له فم يمنعه ضيقه * ان يخرج اللفظ بتقويم
واللفظ سكران من ريقه * فهو لهذا غير مفهوم
ما فيه ميم ولكنه * علامة الجزم على الميم
(وقال آخر)
كان على انيابها الخمر مجه * بماء الندى فى آخر الليل عابق
وما ذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم من اعلى السحابة بارق
(ابن الرئيس)
لئن كان من لؤلؤ ثغرها * فان له صدفا من عقيق

فسألت الجارية السوداء عن هذه الناقة فاشارت الى وقالت ضيفكم فعدلت الى وسألت

وقالت عمن الرجل قلت من بني نهشل قالت فانتم الذين يقول فيكم الفرزدق ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول
قلت نعم فضحكت وقالت فان جريرا ٩٠ قد هدم عليه بيته حيث يقول اخرى الذي سمك السماء مجاشعا *
واحمل بيتك بالحضيض الاوهد
قال فاعجبتني فلما رأت ذلك في وجهي قالت اين تريد قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت
تذكرت اليمامة ان ذكرى
بها اهل المروءة والكرامه
الا فسقى الاله سحاب غيث
يجود بسحه بلد اليمامه
وحيا بالسلام اباانجيد
واهلا للتحية والسلامه
قال فانست بها وقلت اذات خدر أم ذات بعل فقالت
اذا رقد النيام فان عمرا
لكالقمر المنير المستنير
ومالي في التبعل من مراد
ولو ردا التبعل لي اسيري
ثم سكتت كانها تسمع كلاما ثم انشأت تقول
تخيل لي اباعمرو بن كعب
كانك قد حملت الى السرير
فان تك هكذا ياعمر واني
مبكرة عليك الى القبور
ثم شهقت شهقة فماتت فتصارخ النساء وسالت عنها فقيل انها عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر وسألت عن عمرو فقيل لي ابن عمها كان يحبها وتحبه فدخلت اليمامة فسألت عن عمرو فاذا به قد مات في ذلك الوقت من ذلك اليوم قال صاحب منازل الاحباب وهذه الحكاية أعجب من جميع ما تقدم فان كلا من أولئك حصل له الموت عند تحقق اليأس من محبوبه اما بمعاينة موته أو أخباره بذلك لان من الحكماء من يذكر ان روعة رضاب

وان كان من الحوان النبات * فان مشاربه من رحيق
(أبو العشائر)
ثغر كلمع البرق حسن بريقه * يشفي فؤاد المستهام بريقه
قد بت اللثمه وارتشف المنى * من دره ورحيقه وعقيقه
(وقال آخر)
بأبي فم شهد الضمير له * قبل المذاق بانه عذب
كشهادة لله خالصة * قبل العيان بأنه رب
والعير لا تعبأ بنظرتها * حتى يكون دليلها القلب
(ابو عبادة ويعزى الى يزيد بن معاوية وهو الصحيح)
واستطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * ورد اوعضت على العناب بالبرد
وهو من قصيدة كلها ملح وعيون وساذكرها في الغزل المطلق وأما بيت أبي عبادة الذي بنى عليه الحريري المقامة الحلوانية فهو
كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضد او برد أو اقاح
(الحريري)
سألتها حين زارت نضو برقعها الشقائي وايداع سمعي أطيب الخبر
فزحرحت ثم فقا غثى سناقره * وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر
واقبلت يوم جد البين في حلل * سودت عض بنان النادم الحصر
(وقلت)
أقول لمن بالطب أصبح جاهلا * مقالا صحيحا قيما غير ذي عوج
يرى ثغرها خضراء على ذي حرارة * لان به شهدا مع الخمرة امتزج
* أغرك أن الخمر أني مزجتها * بشهد أتت بالحمر في رابع الدرج
اما اعتدلت اذ جاورت برد ابه * تنضد والجريال في ذلك الفلج
وهبك جهلت الطبع ماذا تقول في * عقيق ويلور معا فيه قد نضج
وبينهما خاف طويل منصل * بكتب ارسطو والذي قبله درج
(وقلت)
أرى ريقها عند الشفاء لكل ما * تعذر من داء عن البرء أو فسد
عليك به فهو النجاة لشارب * وان جاوز القانون فيه أو اقتصد
فهذي اشارات كفت كل عاقل * وان قيل شئ غيرها ليس يعتمد
(وقلت)
عجبت من المسوالي رشف ريقها * مدى الدهر لا يحميه من ذاك مانع
ويبقى جمادا كيف لم يحي بالحيا * وتفنى الليالي وهو اخضر يانع

فقد الامل وتحقق اليأس يغمر ان القلب وهلة واحدة فتحتقن عنه مادة النفس فيضعف القلب عن دفع ما دهمه فيفيض الدم
وتذهب الروح وأما هذه فلطفت نفسها الى ان رفع بينها وبين محبوبها حجاب البعد ٩١ ولم يبق لنفسها مادة الامر يرد عليها
من ذلك الا نين فكان بمنزلة المصباح الذي للبصير فلما ذهب عن القلب احس بفقده كما يحس البصر بذهاب نور المصباح اذا طفئ

رضاب يقوم الميت ان شم عرفه * ولو قطعت أوصاله والاضالع
فقال خشيت الهجر منها فعاقني * فحسبك عذرا في جوابي قاطع
بنفسي ثغر قلت اذ لاح نوره * أبرق بدا من جانب الغور لامع
وبرد رضاب قلت عند وداعه * زمان اللقا بالخيف هل أنت راجع
وقد أكثروا من هذا النمط أعني التشبيب بالوجه واعضائه البسيطة والمركبة لكونه أشرف وابهج وأعلى وألطف وأما ما عداه فنادر ان تيسر لشاعر بيت أو بيتان أو أكثر في عضو بعينه أما في ضمن غيره فكثير سنورد منه ما تيسر حسبما شرطنا واما مطلق القامة بما فيها فاكثر من أن يحصى ما فيه وما قيل من ان أول من وصف الندى عمرو بن كلثوم
وثدي مثل حق العاج رخص * حصان عن أكف اللامسينا
فأمر يحتاج الى مزيد استقصاء واحاطة لان العرب تغزلت كثيرا غاية الامر ان المتأخرين الطف فن وصفهم الجيد في ضمن غيره قول بعضهم
لها جيد أتم الخشف ريعت فاقبلت * ووجه كفرن الشمس ريان مشرق
وعين كعين الظبي فيها ملاحة * هي السحر أو ادهى التباسا وأعلق
(دعبل)
اتاح لك الهوى بيض حسان * سلبنك بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضي * فاولى لو نظرت الى الخصور
(ابن الرومي)
صدور فوقهن حقاق عاج * وحلى زاى حسن اتساق
يقول الناظرون اذا رأوها * اهذا الحلي من هذا الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدي * قدرن من الحقاق على وفاق
نواهد ليس يعدوهن عيب * سوى منع المحب عن العناق
(المهلبي)
أقاتلتي بفتور الجفون * ورماتين على معصر
كغصنين من لب كافورة * برأسيهما نقطة عنبر
(الرقاء)
ومن وراء سجوف الحي شمس ضحى * تجول في جنح ليل مظلم داجي
مقصورة حفظت ايدي الشباب لها * حقين دون تجال العقد من عاج
(الثعالبي)
قد حجبت وجهها عن النظر * بمعصم حل عقد مصطبري
كانه والعيون ترمقه * عمود صبح في دارة القمر
(وقال بعضهم)

(ومنهم شهيد) قال عبد الحق في العاقبة مما ابتلى الله به الهادي من المحبة وعاقبه به أن كان مغرما بجارية له تسمى

عادرا وكانت أحسن الناس وأطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه فكر ساعة وتغير لونه وقطع
الشراب فقيل له مابال أمير المؤمنين ٩٢ فقال وقع في فكري اني اموت وان أخي هرون يلي الخلافة ويتزوج غادرا فامضوا

كان الثدايا اذا مابدت * وزين منها النهود الصدورا
حقاق من الدر مخروطة * يسعن من المسك شيأ يسيرا

(الحسن بن هانئ)

* بأبي غادة تميس بقد * تتثنى فتخجل الاغصانا
لمست صدرها فباهت وقالت * غصن قدي قد اثمر الرمانا

(وقلت)

اذاب لهيب الخد منها بناره * بلينا فمنه صيغ منبسط الصدر
وذا الثبر أى العين اما يملس * فلين حرير والنهود من الدر

ومن أوصافهم في الارداف والخصور بالضميمة كما سبق قول عبد الوهاب السندوبي

قام فكادت لين اعطافه * تقصمها الارداف من نهضه
فكيف يرجو الغير انصافه * وبعضه جار على بعضه

(ابن قزل)

وأهيف القدبت اشكو * له تلافي وما تلافى
فمال عطفا ورق خصرا * وانماد دفه تجافى

(آخر)

ياخصره كم جفاه * تبدى وأنت نحيل
ياردفه ملت عني * ما أنت الا ثقيل

(ابن مكانس)

كسلت ارداف حبي * فدموعي تتوالى
أيها المحبوب فارحم * رب دمع فيك سالا

(الصلاح الصفدي)

أقول له قد رق عيشي والصبا * وعقلي وكاساتي وصوت الذي غنى
وقال الذي أهواه خصري نسيته * فقلت له والله قد جئت في المعنى

(سيف الدين المشد)

مهفهف القد نحيل الحشا * يسبي الورى عمدا بطرف مريض
تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبي في الطويل العريض

(ابن سنا الملك)

تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبي في العريض الطويل
ياردفه جرت على خصره * رفقا به ما أنت الا ثقيل

(ابن الوردي)

اذا قبل ماردفي وشعري أجبته * كثيب مهيل فوقه حية تسعى

فأتولى برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ماخطر
بباله فلم يزل هرون يترفق له فلم يقنع بذلك وقال لا ارضى حتى تحلف لي
بكل ما أحلفك به انني اذا مت لا تتزوج غادرا فرضي بذلك
وحلف ايمانا عظيمة ثم قام ودخل
الى الجارية وحلفها أيضا على
مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك شهرا
حتى مات وولي هرون الخلافة
وطلب الجارية فقالت ياأمير
المؤمنين كيف نصنع بالايمان
التي حلفتنا بها فقال قد كفرت
عني وعنك ثم تزوج بها ووقعت
في قلبه موقعا عظيما وافتتن بها
أحسن من أخيه الهادي حتى
كانت تسكر وتنام في حجره فلا
يتحرك ولا يتقلب حتى تتنبه فبينما
هي في بعض الليالي في حجره اذ
انتبهت فزعة مذعورة فقال لها
مالك فداتك روحي فقالت رأيت
أخاك الهادي في المنام وأنشدني
أبيات

جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في
ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخي
صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد
ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح
وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عني وكان الابيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة فقال هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله ياأمير المؤمنين وان

ثم انها اضطربت بين يديه حتى ماتت في تلك الساعة فلا تسأل عن حال هرون ومالقي بعدها

الامام الحافظ علاء الدين أبو عبد الله مغلطاي بسنده عن أبي عبد الله محمد ٩٣ بن الحسن المذحجي الطبيب الاديب قال

وان قيل هل ترعى عذارى موريا * أقول له اي والذي أخرج المرعى

(الصلاح الصفدي)

لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا ازال سقاما
لكن تنازل في الشفاعة عنده * وغدا على أقدامه يترامى

(البهاء زهير وهو مما شاع ولم نره في ديوانه)

حبذا نفحة ريح * فرجت عني غمه
ضربت ثوب قناة * أظهرت تيها وحشمه
فرأيت البطن والسـ * ـرة والخصر وغمه

(الباخرزي فيما يكتب على التمكه)

لم لا أتيه ومضجعي * بين الروادف والخصور
واذا نسجت فاتني * بين التراقي والنحور
ولقد نشأت صغيرة * بأكف ربات الخدور

(بشار)

نظرت في القصر عيني * نظرا وافق حيني
سترت لما أن رأتني * دونه بالراحتين
فضلت منه فضول * تحت طي العكنتين
ليتني كنت عليه * ساعة أو ساعتين

ولها حكاية حاصلها ان المهدي دخل على بعض جواريه وهي مجردة فلما استترت منه
بيديها فاض عنهما فانشد نظرت في القصر عيني وأرتج عليه فاستدعى بشارا فقال له أجز
وأنشد الابيات

(العباس بن الاحنف)

ومثلك لم ار في العالمين * ن نصفا قضيبا ونصفا كثيبا
وانت اذا ما وطئت الترا * ب كأن ترابك للناس طيبا

(أبو الحسين الجزار)

وكم ليلة استغفر الله بيتها * بخد وثغر بين ورد وجريال
سرت راحتي غورا ونجدا الى الضحى * وماذا لا في خصورا كفال

(الصفي الحلي)

* اذا تثنت بأعطاف يجاذبها * مدار غصن من الكثبان ممطور
رأيت أمواج ارداف اذا التطمت * في لج بحر بماء الحسن مسجور

(وقال آخر)

واذا السوالف بالبنفسج جاورت ورد الخدود

وتحين جلوس اسلم عند اختلاط الظلام على بابه فتقدم اليه وقبل يده وقال يا مولاي تأمر من يقبض هذا فقال له اسلم ومن انت

(ومنهم قتيل) * أخبرنا الشيخ

بن الحسن المذحجي الطبيب الاديب قال

كنت اختلف في النحو الى محمد بن
الخطاب في جماعة وكان معنا
عنده ابو الحسن اسلم بن سعيد
الاسلمي قاضي قضاة الاندلس
وكان اجمل ما رأته العيون واحمد
ابن كليب كان من أهل الادب
والشعر فاشتد كلفه باسلم وفارق
صبره وصرف فيه القول متسترا
بذلك الى ان فشت اشعاره وجرت
على الالسنة ونوشدت في المحافل
فلما عهدي بعمر في بعض شوارع
قرطبة والزاهر يغني بقول احمد
ابن كليب

ايسلبني في هوا * ه اسلم هذا الرشا
غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشي بيننا حاسد * سيسئل عما وشى
ولو شاء ان يرتشى

على الوصل روحي ارتشى
ومغن محسن يسايره فيها قال فلما
بلغ اسلم هذا المبلغ انقطع عن
جميع مجالس الطلب ولزم بيته
والجلوس على بابه وكان احمد بن
كليب لا شغل له الا المرور على بابه
سائرا ومقبلا نهاره كله فامتنع اسلم
من الجلوس على باب داره نهارا
فاذا صلى المغرب واختلط الظلام
خرج مستروحا وجلس على باب
داره فعيل صبر احمد فتحيل في
بعض الليالي ولبس جبة صوف
من جباب اهل البادية واعتم
بمثل عمائمهم واخذ باحدى يديه
دجاجا وبالاخرى قفصا فيه بيض

فقال اجبرك فى الضيعة الفلانية فأمر اسلم بقبض ذلك منه على عادتهم وكان احمد قد عرف اسماء ضياع اسلم والعاملين فيها عند
ورودهم منه فجعل يسأله عن الضياع ٩٤ ضيعة ضيعة فلما جاوبه انكر الكلام فتأمله فعرفه فقال له يا اخى بلغت بنفسك الى

وتموجت كنب الروا * دف تحت أغصان القدود
شاهدت فى ايدى الظبا * قياد اعناق الاسود
(ابن نباته)
سألت التفاوالبان ان يحكيا لنا * روادف اوعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما انا حملها * وقال قضيب البان ما انا قدها
(الصلاح الصفدى)
اقول وقد نامت على حر وجهها * ومالى عليها فى الظلام رقيب
وان الكثيب الفرد من جانب الحمى * الى وان لم آته لحبيب
(ابن ابى حجلة)
مالت كغصن مع الارواح ميالس * مصرية الحلى تبدو لى بمقياس
ماجن ليلى وأمسى حليها قلقا * الاوثار بها جنى ووسواسى
ولا بد اردفها الراسى اذا قعدت * الاوباتت يدى منه على راسى

شمس الدين بن جابر النحوى وهو الشهير بالاعمى والبصير فى شرح الالفية يعنى باعتبار البصر فى الاول والبصيرة فى الثانى وبالعميان فى البديعية يعنى انه مفرد ناب عن جمع فلا يغتر بقول ابن حجة والعميان لم ينظموا ولم يقولوا وأمثال ذلك مما يدل على الجمع وطالما كلفت بمعرفة هذا وسألت عنه فلم اظفر بمن يشفى العلة حتى رأيته فى كلام العلامة السيوطى رحمه الله تعالى

مقدمة الارداف ركب فوقها * مقدمة الخصر الذى هو ذابل
فتم قياس الحسن لما تركبا * وجاء على النظم الذى هو كامل
فانتج حسنا لم يقم فيه عاشق * بوجه ولم يوجد من الناس عادل
(وله أيضا)
سبب خفيف خصرها ووراءه * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان فى تركيبها * الا لان الحسن فيها وافر
(وله أيضا)
ردف يقيم لنا بها فتن الهوى * واذا أتت لتقوم قال لها اقعدى
أبصرتها من بين ذاك وبين ذا * فوقعت منها فى المقيم المقعد
(وله أيضا)
تعليق ردفك بالخصر الخفيف له * ثلث الجمال وقد وقته اجعان
خذ عليه رياض الحسن قد خلعت * وفى حواشيه للصدغين ريحان
محقق نسخ صبرى فى هواه ومن * توقيع مدمعى المنثور برهان
ياحسن ماقلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان

وانما هى عيادة مريض قال فلم ازل به حتى اجاب فقلت فقم الآن فقال والله افعل ذلك ولكن غدا فقلت له بلا خلاف قال نعم قال
فانصرفت الى أحمد بن كليب فاخبرته بوعده بعد امتناعه فسر بذلك سرورا شديدا فلما كان من الغد بكرت الى اسلم

أقسمت بالمصحف السامى وأحرفه * ما مر بالبال يوما عنك سلوان
ولا اختيار على حبى فعندك لى * حساب شوق له فى القلب ديوان
(وله أيضا)
وقفت يوم الوداع ملتفتا * أطمع فى نظرة أردها
فاعرضت والظباء تغبطها * فى حسن اعراضها وتحسدها
وكافت لدن خصرها كفلا * يكاد عند القيام يقعدها
(وله أيضا)
رقم الخال خدها فى اناء * فمر الأفق فيه نقطة ليل
قلت ابن الكثيب والغصن قالت * كلما قد ذكرته تحت ذيلى
(وله أيضا)
ان شئت ظبيا أوهلالا أو دجى * أوزهربان فى الكثيب الاميد
فلحظها ولوجها وشعرها * وخدها والقد والردف اقصد
(وله أيضا)
أقبلت فى لازوردى على * ناعم أبيض لدن مجب
والحلى والوجه والثغر وما * لبست والعطف والردف حبى
أنجما حفت بيدر فى دجى * فى سماء فوقها ان الكثيب
(ابن نباته)
أفدى التى تشتكى فى مشيها ولها * بالردف والخصر تثقيل وتخفيف
تدعو على الكثب والاغصان لاعنة * فالكثب مهتوكة والغصن مقصوف
(الشهاب الحجازى)
قصدت رؤية خصر مذ سمعت به * فقال لى بلسان الحال ينشدنى
انظر الى الردف تستغنى به وأنا * مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى
(وقلت)
ما اخطأ الفيلسوف فيما * قرر من رفعة اللطافه
هاخصرها قد علا لما قد * حواه فى الظرف والترافه
ودونه الردف حط وصفا * مذ كان فى غاية الكثافه
(وقلت)
قد غرت من عشاقها * وتركهم للغزل
فى خصرها وشبيوا * بردفها والكفل
قلت الى كم تلهجوا * بسافل لا بعلى
(وأما الاغزال المطلقة التنصيص العامة من غير تخصيص) فكثيرة لا تحصى وغزيرة

ففقلت له الوعد فوجم وقال والله لقد حملتنى على خطة صعبة على وما ادرى كيف اطيق ذلك قال
فقلت له لابد ان توفى بوعدك لى فاخذت رداءه ونهض معى راجلا فلما اتينا منزل احمد وكان يسكن
فى آخر درب طويل وتوسطت الزقاق فوقف واحمر وخجل وقال
لى ياسيدى الساعة والله اموت ولا اقدر انقل قدمى ولا استطيع
اعرض هذا على لسانى قال فقلت
لا تفعل بعد ان بلغت المنزل
تنصرف فقال لا سبيل والله اليه
ورجع هاربا فاتبعته فاخذت
برداته فتمادى وخرق الرداء
وبقيت منه قطعة فى يدى لشدة
امساكى به ومضى ولم ادركه
فرجعت ودخلت على احمد بن
كليب قال وقد كان غلامه دخل
اليه اذر آنا من اول الزقاق مبشرا
قال فلما رآنى تغير وجهه وقال
واين اسلم فاخبرته القصة
فاستحال من وقته واختلط
وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه
اكثر من التوجع فاستشفعت
الحال وجعلت اتوجع وقت قال
فشاب اليه ذهنه وقال لى ياعبدالله
قلت نعم قال اسمع منى واحفظ عنى
ثم انشأ يقول

اسلم يا راحة العليل
ورفقا على الهائم النحيل
وصلك اشهى الى فؤادى
من رحمة الخالق الجليل

قال فقلت له اتق الله ما هذه العظيمة فقال لى قد كان قال فخرجت عنه فوالله ما توسطت الزقاق حتى

خلف وكانت فيهم وزارة وحجابة وكان شاعرا وابنه الآن بالحياة وقال ابو محمد ولقد ذكرت هذه الحكاية لابى عبد الله محمد بن سعد الخولانى الكاتب قال فعرفها وقال لقد أخبرنى ثقة انه رأى اسلم هذا فى يوم شديد المطر لا يكاد احد يمشى فى طريق وهو واقف عند قبر احمد بن كليب زائر له وقد تحين غفلة الناس فى مثل ذلك النهار ومما كتب به احمد بن كليب الى اسلم المذكور وقد اهدى اليه فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح
وهبته للطوعا * كما وهبتك روحى

(ومنهم قتيل)

حدث الخالدى فى كتاب الزيارات باسناد عن أبى بكر احمد بن محمد الصنوبرى قال كان بالرها ورّاق يقال له سعيد وكان فى دكانه مجلس كل اديب وقد كان احسن الادب والفهم يعمل شعرا رقيقا فما كان تفارق دكانه انا وابو بكر المعوج الشامى الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر وكان لتاجر بالرها نصرانى من كبار تجارها ابن اسمه عيسى من احسن الناس وجها واحلاهم قدّا واظرفهم منطوقا وكان يجالس الينا ويكتب عنا من اشعارنا وجميعنا نحبه ونميل اليه وهو حينئذ صبى فى الكتاب فعشقه سعيد الوراق عشقا مبرحا وكان يعمل فيه الاشعار كل يوم فمن ذلك وقد جلس عنده فى دكانه

لا تستقصى فلنورد منها ما حسن وقعه فى الاسماع وجلب القلوب السليمة الاوذاق عند السماع شمس الدين بن العفيف

قف واستمع سيرة الصب الذى قتلوا * فراح فى حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى الحبيب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

(وقال آخر)

لو كان مالك عالما بذوى الهوى * ومحله من اضلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى * وان استغاثوا غاثهم بفراق

(المظفر الآمدى)

قل للذين جفونى اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى فى محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

(ابن الوردى)

دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا
يا ليالى الوصل عودى * واجعينا أجمعينا

(ابن نباته)

أهلا بسائرة الصبا من نحوكم * وبما عهدنا من تعاهد طولها
املت على الزهر المقطب ذكركم * حتى تبسم ضاحكا من قولها

(الصفى الحلى)

لا غرو أن يصلى الفؤاد بحبكم * نار تؤججها يد التذكار
قلبى اذا غبتم يصور شخصكم * فيه وكل مصور فى النار

(وقال آخر)

صلوا مدنفا قد واصل السقم جسمه * ومن بعدكم طيب الرقاد فقد فقد
بأحشائه نار يهب ضرامها * ومن لى باطفاء الغرام وقد وقد

(الارجانى)

* تمتعا يا مقلتى بنظرة * وأوردتما قلبى أمر الموارد
أعيناى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

(الملك الصالح داود)

عيون عن السحر المبين تبين * لها عند تحريك الجفون سكون
اذا ابصرت قلبا خليا من الهوى * تقول له كن مغرما فيكون

(ابن اسرائيل)

وقلت شهودى فى هواك كثيرة * وأصدقها قلبى ودمعى مسفوح
فقال شهود ليس يقبل قولها * فدمعك مقذوف وقلبك مجروح

(القيراطى)

لما حدا بالركب حاديهم * وأسمع الدانى والقاصى
أطاعنى دمع جرى نهره * فدمعى الطائع كالعاصى

(لؤلؤ)

وأرقنى خيال من حبيب * تناءت داره لما أتانى
فمن سهرى يلم فلا أراه * ومن سقمى يطوف فلا يرانى

(وقال آخر)

قد كان لى فيه امضى خاتم * فرق جسمى فتمنطقت به
وزادنى السقم فلو زج بى * فى مقلة النائم لم ينتبه

(شمس الدين بن العفيف)

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتصالى ريقه وهو بارد
وكم يدعى صونا وهذى جفونه * تفسر للعشاق منها مواعد

(وله أيضا)

اذا مارمت حل البند فاقات * معاطفه حمانا لا يحل
وان جليت بوجنته مدام * يرى لعذاره دور ونزل

(وقال آخر)

قال لى أهيف المعاطف صف لى * هيفى قلت يا رشيق القوام
لك قد لو لا جوارح لحظيه * لك لغفت عليه ورق الحمام

(ابن خفاجة)

مهفهف طاوى الحشا * كالغصن يخطر ان خطر
فاذا رنا واذا شدا * واذا سقى واذا سفر
فضح الغزالة والحما * مة والغمامة والقمر

(ابن أبى الحديد)

بالله ضع قدميك فوق محاجرى * فلقد قنعت من الوصال بذا كا
وأطل محادثتى فان مسامعى * تهوى حديثك مثل ما تهوا كا

(ابن المستوفى)

رأت قمر السما فأذكرتنى * ليالى وصلنا بالرقتين
كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعينى

(ابن نباتة)

علقتها هيفاء حالية الطلى * تجنى على طرف المحب وقلبه
بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

اجعل فؤادى دواة والمداد دمى
وهالة فابرى عظامى موضع القلم
وصيرا للوح وجهى واجعله بيدى
فان ذلك لى برء من السقم
ترى العوالم لا تدرى بمن كانى
وأنت أشهر للصبيان من علم
ثم شاع خبره بعشق الغلام فى الرها فلما كبر وشارف الاحتلام أحب الرهبنة وخاطب أباه وأمه فى ذلك والح عليهما حتى أجاباه وخرجا به الى دير زنكى بنواحى الرقة وهو فى نهاية حسنه فابتاعا له قلاية ودفعا الى رئيس الدير جملة من المال عنها فأقام الغلام فيها وضاقت على سعيد الدنيا بما رحبت فاغلق دكانه وهجر اخوانه ولزم الدير مع الغلام وسعيد فى خلال ذلك يعمل فيه الاشعار فانكرت الرهبان المام سعيد به ونهوه عنه وحرموا عليه ان يدخل قلاية

(الدمياطى)

وفتانة الالحاظ معسولة اللمى * أهيم بها شوقا اذا هى أعرضت
تصامت لما ان سمعت كلامها * لتشفى قلبا بالاعادة أمرضت

(الوداعى)

قلت للعاذل المفند فيها * يوم زارت وسمات محتاله
قم بنا ندعى النبوة فى العشـ * ـق فقد سلمت علينا الغزاله

(باقوت)

وعدت أن تزور ليلا فألوت * وأتت فى النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت فى الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(وقال آخر)

تجلى محياها فخافت رقيبها * فارخت عليه من ذوابتها سجفا
محيا رآه الصب للحسن جامعا * فأجرى عليه من مدامعه وقفا

(ابن الرومى)

نظرت فاقصدت الفؤاد بسهمها * ثم انثنت عنه فكاد يهيم
ويلاه ان نظرت وان هى اقبلت * وقع السهام ونزعهن أليم

(شمس الدين)

حتى اذا طاش عنها المرط من دهش * وانحل بالضم عقد الملث فى الظلم
تبسمت فاضاء الجو فالتقطت * حبات منتثر فى ضوء منتظم

(ابن الساعاتى)

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فاباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

(الارجانى)

وفتانة صاغت سلاسل صدغها * قيودا على أعداد عشاقها الاسرى
تبسم عن درّ تنظـــم مثله * فلم أر أحلى منه نظما ولا نثرا

(وقال آخر)

نظرت اليها نظرة فتحيرت * دقائق فكرى فى بديع صفاتها
وأوحى اليها الوهم انى أحبها * فأثر ذاك الوهم فى وجناتها

(ابن مكانس)

علقتها معشوقة خالها * ان عمها بالحسن قد خصصا
ياوصلها الغالى وياجسمها * لله ما أغلى وما أرخصا

(أمين الدين السليمانى)

اضيف

ونوعدوه باخراجه من الديران ادخله اليه فاجابهم الى ماسألوه فلما رأى سعيد امتناعه منه شق عليه وخضع للرهبان ورقق لهم القول فلم يجيبوه وقالوا علينا فى هذا اثم وعار ونخاف السلطان فكان اذا وافى الدير أغلقوا الباب فى وجهه ومنعوه من دخوله اليه ولم يدعوا الغلام يكلمه فاشتد وجده وزاد عشقه حتى صار الى الجنون فخرق ثيابه وانصرف الى داره فضرب جميع ما فيها بالنار ولزم صحراء الدير وهو عريان يهيم ويعمل الاشعار قال ابو بكر الصنوبرى ثم عبرت انا والمعوج الشامى ببستان بنافيه فرأيناه جالسا فى ظل الدير وهو عريان وتغيرت خلقته فسلمنا عليه وعذلناه وعنفناه فقال دعانى من هذا الوسواس اتريان ذلك الطائر

أضيف الديحى معنى الى لون شعرها * فطال ولولا ذاك ماخص بالجر
وحاجبها نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

(ابن الوردى)

ردفها والخصر منها * جل من ربى ودقق
نهدها يطغى لهيبى * فهو رمان محقق

(أبو الحسين الجزار)

تكلف بدر السما اذ حكى * محياك لولم يشنه الكلف
وقام بعذرى فيك العذار * فأجرى دموعى لما وقف

(وله ايضا)

حمت خدها والثغر عن هائم شجى * له أمل فى مورد ومورّد
وكم هام قلبى لارتشاف رضابها * فأعرض عن تفصيل نحو المبرد

(ابن النقيب)

يامالكى وليك ذلى شافعى * مالى سألت فما أجبت سؤالى
فوخدك النعمان ان بليتى * وشكايتى من جفنك الغزالى

(شيخ الشيوخ بحماة)

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره
تعاطانى بما يحيى سلوى * ولكن ليس فى جوفى مراره

(وله أيضا)

حروف غرامى كلها حرف اغراء * على أن سقامى بعض أفعال أسماء

(وله أيضا)

وبدر دجى لم ينتقل كسميه * ولكنه مازال فى القلب والطرف
يلوح لعينى ماشقا نون صدغه * فأعبد خلقى على ذلك الحرف

(وله أيضا)

قلت وقد عقرب صدغاله * عن مشقة الحاجب لم يحجب
قدست يارب الجمال الذى * ألف بين النون والعقرب

(وله أيضا)

سبحان مورثه من حسن يوسفه ما * لم يبق فى الحجر لى والصبر من حصص
أقام للشعراء العذر عارضه * فكم له فى دبيب النمل من قصص

(وله ايضا)

يانظرة ماجلت لى حسن طلعته * حتى انقضت وادامتنى على وجل
عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

الذى على هيكل الدير واومأ بيده الى طائر هناك فقلنا نعم فقال وحقكما يا اخوانى انا ناشده منذ الغداة ان يسقط فاحمله رسالة الى عيسى ثم التفت الى وقال ياصنوبرى معك الواحك قلت نعم قال اكتب

بدينك يا حمامة دير زنكى
وبالانجيل عندك والصليب
قفى وتحملى منى سلاما
الى فرعى غصن رطيب
وقولى سعدك المسكين يشكو
لهيب جوى احر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد
اذا ما كنت تمنع من قريب
وان انامت فاكتب حول قبرى
محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش
فكيف بمن له ما ئتا رقيب

ثم تركنا وقام يعدو الى باب الدير

(مجير الدين الدمشقي)

لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت واقف مدمعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

(ابن لؤلؤ الذهبي)

رفقا بصب مغرم * ابليته صدا وهجرا
وافاك سائل دمعه * فرددته في الحال نهرا

(ابن قرناص)

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها * وأشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله اقبسها * نارا وجر عليها ذيله الخضر

(وله أيضا)

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ساهره
انزلتهم في مقلتي * فاذاهم بالساهره

(شمس الدين بن العفيف)

ايسعدني ياطلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخدك نازل
ولو ان قساوا صف منك وجنة * لا عجزه نبت بها وهو باقل

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة مضمنا (فقال)

تطاولت الاغصان تحكي قوامه * وعند التناهي يقصر المتطاول
وأعيا فصيح الوقت نعت عذاره * وعيرقسا بالفهاهة باقل

(وله أيضا)

وافي بوجه كالهلال مركب * في قامة غصنية هيفاء
وبمقلة خفق الفؤاد وقد رنت * وكذا الجنون يكون عن سوداء

(وله ايضا)

اسكرني باللفظ والمقلة الـ * ـكحلاء والوجنة والكاس
ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاسي

(وله ايضا)

بأبي شادن اغد الوجه منه * يخجل النيرين في الاشراق
سلب القضب لينها فهي غيظا * واقفات تشكوه بالاوراق

(وله ايضا)

لو لم تكن ابنة العنقود في فمه * ما كان في خده القاني ابو لهب
تبت يداعاذلي فيه فوجنته * حمالة الورد لاحمالة الحطب

(سيف الدين بن المشد)

وهو مغلق دونه وانصرفنا عنه ومازال كذلك زمانا حتى وجد في بعض الايام ميتا الى جانب الدير وكان امير البلد العباس بن كيغلغ فلما اتصل ذلك به وباهل الرها خرجوا الى الدير وقالوا ماقتله غير الرهبان فقال لهم ابن كيغلغ لابد من ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنار ولابد من تعزير جميع الرهبان بالسياط في قتله وتصعب في ذلك فافتدى النصارى نفوسهم ودير هم بمائة الف درهم وكان الغلام بعد ذلك اذا دخل الرها لزيارة اهله صاح به الصبيان هذا قاتل سعيد الوراق وشدوا عليه بالحجارة يرجونه وزاد عليه الامر في ذلك حتى امتنع من دخول المدينة ثم انتقل الى دير سمعان وما ادري ما كان منه

مسكينة الانفاس قلى الصبا * عنها حديثا قط لم يمل
جننت لما ان سرى عرفها * وماترى من جن بالمندل

(وله ايضا)

وشادن اوردني هجره * لهيب حر الشوق والفرقه
اصبحت حران الى ريقه * فليت لي من قلبه رقه

(علاء الدين الوداعي)

يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد ياحار

(وله ايضا)

ألحاظه وهي السيوف كليلة * ويكون تعذيب الكليلة اطولا

(وله ايضا)

ماكنت اول مغرم محروم * من باخل بادى النفار كريم

(وله ايضا)

فديت من مبسمه * زهر الغصن قده
فصدغه مطوق * في روضة من خده

(وله ايضا)

وذي دلال اهيف احور * اصبح في عقد الهوى شرطي
طاف على القوم بكاسانه * وقال ساق قلت في وسطي

(ابن نباتة)

بروحي مشروط على الخد اسمر * دنا ووفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته الفا على ذلك الشرط

(وله ايضا)

وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يقاتل بالالحاظ من لا يقاتله
وسال عذار فوق خد به جائر * على مهجتي فليتق الله سائله

(وله أيضا)

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * ياكثير المحاسن المختاله
للدعين وقامة في البرايا * تلك غزالة وذي قتاله

(وله أيضا)

بروحي معسول اللمى متعجب * اذا لم يزر لم يهن عيش ولا اذا
وان ذقت منا من حلاوة ريقه * اتانا رقيب يتبع المن بالاذى

(وله أيضا)

بابي نائم على الطرق راحت * في هواه وليس يعلم روحي

(ومنهم شهيد)

قال ياقوت في تاريخه كان مدرك ابن علي الشيباني شاعرا اديبا فاضلا وكان كثيرا ما يلم بدير الروم ببغداد وبعاشر نصاراه وكان بدير الروم غلام من أولاد النصارى يقال له عمرو بن يحيى وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلقا وكان مدرك بن على بهواه وكان لمدرك مجلس يجتمع فيه الاحداث لاغير فان حضر شيخ او صاحب حلية قال له مدرك قبيح بك ان تختلط بالاحداث والصبيان فقم في حفظ الله فيقوم وكان عمرو يحضر مجلسه فعشقه مدرك وهام به فجاء عمرو يوما الى المجلس فكتب مدرك رقعة

فاتح فى الكرى فاسكريا * ياله من مسكر مفتوح

(وله أيضا)

ومن الشقا ان الجفا وتشوقى * لاينتهى هذا وذاك الى الطرف
ما مال غصن قوامه عن فكرتى * يوما ولا دينار وجنته انصرف

(الصلاح الصفدى)

وظبى معانيه بيان بديعها * له حار فكرى اذ رأى كل معجز
قرأت مقامات الحريرى كلها * على خده مشروحة للمطرزى

(وله أيضا)

قالت وقد مادت كغصن النقا * اسرفت فى العشق بلا فائده
فقلت منهوم الهوى لم يكن * يشبع ان مدت له المائده

(ابن الوردى)

وملیح اذا التحاة رأوه * فضلوه على بديع الزمان
برضاب عن المبرد يروى * ونهود تروى عن الرمان

(وله أيضا)

عجبت فى رمضان من مسحرة * بديعة الحسن الا انها ابتدعت
جاءت تسحرنا بلا فقلت لها * كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

(وله أيضا)

أ تخلتنى حبيبة * أنحل الله خصرها
كسرتنى جفونها * ضاعف الله كسرها

(وله أيضا)

مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوح
خذوا من خده القانى نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

(وله أيضا)

تقويم ثغرك صح يا من ثغره * در يقصر دونه التقويم
انى لاعجب من جفاك ولى أب * والثغر يضحك منك وهو يتيم

(وله أيضا)

ووعدت امس بان تزور فلم تزر * فقعدت مسلوب الفؤاد مشتتا
لى مهجة فى النازعات وعبرة * فى المرسلات وفكرة فى هل أتى

(ابن الصائغ)

ياملیحا رووا الناعنه حسنا * وقبيح ان لم يكن تم حسنا
طبت لفظا مع الرواة ولكن * ينبغى ان تطيب فى الدهر معنى

وطرحها فى حجره فقرأها فاذا فيها

بحياس العلم التى
بك تم حسن جموعها
الا ثبت لمقلة
غرقت بفيض دموعها
بينى وبينك حرمة * الله فى تضييعها

قال فقرأ الابيات ووقف عليها

من كان فى الجلس وقرؤها
فاستحيا عمرو وانقطع عن
الحضور وغلب الامر على مدرك
فترك مجلسه ولزم دار الروم وجعل
يتبع عمرا حيث شاء وقال فيه
شعرا كثيرا قال الحريرى وقد
رأيت عمرا أبيض الرأس واللحية
ومن شعر مدرك فيه هذه القصيدة
المزدوجة الغريبة العجيبة

(ابن مكانس)

بابى عقيقة مرشف * برّت وكانت قبل عقت
فلثمتها ورشفتها * وقطعتها من حيث رقت

(وقال والده)

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلت لهم منى
فقالوا لنا غوصوا على دره وما * يحاكى اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

(وله أيضا)

بحق الله دع ظلم المعنى * ومتعه كما يهوى بانسك
وكف الصد يا مولاى عمن * يموت رحت تهجره بامسك

(وله أيضا)

يالائمى اذ فقدت الصبر فى قمر * اصداغه سلبت اهل الهوى وسبت
نبت سيوف اصطبارى عنه حين بدا * آس العوارض فى وجناته ونبت

(سيدى ابو الفضل بن وفاء)

ماخاتم واسمه فى درهبسمه * الا اغن غضيض الطرف مكحول
وريقه مع ثناياه التى انتظمت * كانه منهل بالراح معلول

(البدر الدماميني)

وبى وجنة حمراء زاد صفاؤها * فابدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لائمى ينهى عن الحب جهده * فما انا بالسالى صفاها ولونها

(وله ايضا)

تناسبت اوصاف من وصله * ينفى عن القلب جميع الكرب
فى الخد تسهيل ومن ثغره * يطيب للصب ارتشاف الضرب

(وله ايضا)

لاما عذاريك هما اوقعا * قلب المحب الصب فى الحين
فجده بالوصل واسمح به * فقيدك قد هام بالامين

(وله ايضا)

قلت لعطار به صبوتى * محمودة والصبر لا يستطاب
اسقيتنى كاس غرام به * ذبت وما احسن هذا الشراب

(الحافظ ابن حجر)

سألوا عن عاشق فى * قمر باد سناه
اسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

(وله ايضا)

المشهورة وهى

من عاشق ناه هواه دانى
ناطق دمع صامت اللسان
معذب بالصد والهجران
موثق قلب مطلق الجثمان
من غير ذنب كسبت يداه
يشكو هوى غبت به عيناه
شوقا الى رؤية من أشقاه
كانما عافاه من أضناه
يا ويحه من عاشق ما يلقى
من أدمع منهلة ماترقا
ناطقة وما أجادت نطقا
تخبر عن حب له استرقا
لم يبق منه غير طرف يبكى
بأدمع مثل نظام السلك

رسول أتى ممن احب فقال لى * ترفق ومن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

(وله أيضا)

ضنيت جوى فواصلنى حبيبى * وعاد الى الجفاء فعاد مابى
فقلت اعد وصالى قال كلا * فها أنا ذبت من رد الجواب

(وله أيضا)

محبوبتى واصلتنى * والهم عنى تشتت
وذاب قلب حسودى * لما دنت وتفتت

(وله أيضا)

وأهيف حيانى بطيب وصاله * ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
ادار لى الكاسين خمرا وريقة * ونزهنى عن جفوة ومللى

(وله أيضا)

تجرد من أحب فقال لى من * يلوم وأظهر الجسد المكتم
اجادلك الحبيب بلثم جسم * له كالخز قلت نعم وأنعم

(التلعفرى من قصيدة)

رشأ عهده وجفناه والخصـ * ـر وجسمى كلا أراه علىلا
أشبهته البدور نورا ولكن * ماحكته لونا وخصرا تحيلا
قرجا عل من القلب والطر * ف له فى سعوده كليلا
كلما ضل عن طريق جفاه * ظل فيه من الدليل ذليلا
بعث الصدغ منه فى نقرة الجفـ * ـن لانذار عاشقيه رسولا

(وله أيضا من قصيدة)

هذا العذول عليكم مالى وله * أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله
شرط المحبة ان كل متيم * صب يطيع هوى ويعصى عذله

(يزيد بن معاوية)

أليل دجا أم شعرك الفاحم الجعد * وبدر بدا أم وجهك المشرق السعد
ونرجسة هاتيك أم هى مقلة * وتفاحة ذاك المضرج أم خد
نقا يرد فى فيك هذا منضد * أبيض لنا أم لؤلؤ ضمه العقد
وحقان من عاج لطيفان ركبا * بصدرك أم ثديان هذان أم نهد
ودعصان اذ وليت أم كفل يرى * وكثبان رمل فى الغلائل أم قد
وانك لو عاينت مابى من الاسى * لقلت جنون ثابت بك أم وجد
اذا ما أتى من نحو ارضك مخبر * تضوع من ارجائه المسك والند

تطفئها أنار الهوى وتذكى
كانها قطر السماء يحكى
الى غزال من بنى النصارى
عذار خديه سبى العذارى
وغادر الاسد به حيارى
فى ربقة الحب له أسارى
ريم بدا والروم رام قتلى
بمقلة كلاه لا من كحل
وطرة بها استطار عقلى
وحسن وجه وقبيح فعل
ريم به أى هزبر لم يصد
بقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى يقل هاقالت الالحاظ قد
كانها ماسونه حين اتحد
ما أبصر الناس جميعا بدرا
ولا رأوا شمسا وغصنا نضرا

وقفت فاضجرت الرسول مسائلا * وأنشدته بيتاله المثل الفرد
وحدثنى ياسعد عنهم فزدتنى * شجونا فزدنى من حديثك ياسعد

(وله من قصيدة سلف صدرها فى الغيرة)

خذوا بدمى ذات الوشاح فانى * رأيت بعينى فى أناملها دمى
ولا تقتلوها ان ظفرتم بقتلها * بلى خبروها بعد موتى بأثمى
وقولوا لها يا منية النفس انتى * قتيل الهوى والعشق لو كنت تعلمى
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ونغمة داود وعفة مريم
ولى حزن يعقوب وحشة يونس * وآلام أيوب وحسرة آدم
ولما تلاقينا وجدت بنانها * مخضبة تحكى عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدى وهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وابدت فى الحشى حرق الجوى * مقالة من فى القول لم يتبرم
وعيشك ماهذا خضابا عرفته * فلاتك بالبهتان والزور متهمى
ولكننى لما رأيتك نائيا * وقد كنت لى كنى وزندى ومعصمى
بكيت دما يوم النوى فصبغته * بكفى وهذا الاثر من ذلك الدم
ولو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فكان الفضل للمتقدم
خفاجية الالحاظ مهضومة الحشى * هلالية العينين طائية الفم
منعمة الاعطاف يجرى وشاحها * على كشح مرتج الروادف أهضم
وممشوطة بالمسك قد فاح نشرها * بثغر كان الدر فيه منظم

(وله أيضا من قصيدة طويلة)

نالت على يدها مالم تنله يدى * نقش على معصم اوهت به جلدى
كانه طرق نمل فى أناملها * او روضة رصعتها السحب بالبرد
مليحة لو راتها الشمس ماطلعت * من بعد رؤيتها يوما على أحد
سالتها الوصل قالت لا تكن عبثا * من رام منا وصالا مات بالكمد
واسترجعت سالت عنى فقيل لها * مافيه من رمق دقت يد يد

واسقطت البيت السابق فى الثغر (البهاء زهير)

رقت شمائله فقلت شمول * وحوى الجمال فقلت ثم جميل
ودنا فما للبين فيه مطمع * ونأى فما للقرب فيه سبيل
اهواه أما خصره فمخفف * طاو وأما ردفه فثقيل
ريان من ماء الشباب مهفهف * أرأيت غصن البان كيف يميل
حلو التثنى والتثايا لم يزل * لى منهما العسل والمعسول

أحسن من عمر وقد بت عمرا
ظبى بعينيه سقانى خمرا
ها انا ذا بقده مقدود
والدمع فى خدى له خدود
ماضر من فقدى به موجود
لو لم يقبح فعله الصدود
ان كان ذنبى عنده الاسلام
فقد سعت فى نقضه الايام
وخلت الصلاة والصيام
وجاز فى الدين له الحرام
يالیتنى كنت له صليبا
اكون منه ابدا قريبا
ابصر حسنا وانم طيبا
لا واشيا اخشى ولا رقيبا
يالیتنى كنت له قربانا
الثم منه الثغر والبنانا
او جائليقا كنت او مطرانا
كيما يرى الطاعة لى ايمانا

أحبابنا ان الوشاة كثيرة * فيكم وان تصبرى لقليل
ايخاف قلبى غدركم مع انه * جار اقام لديكم ونزيل
فأصد حتى لايقال متيم * وأزور حتى لايقال ملول

(وله أيضا)

رعى الله من لم يرع لى حق صحبتى * وسلم من لم يسخ لى بسلامه
وفى ذمة الرحمن من ذم صحبتى * ولم ألك يوما ناقضا لذمامه
وانى على صبرى على فرط هجره * وقرب مغانيه وبعد مرامه
يحاول طرفى فى لحظه فى خياله * ويشتاق سمعى لطفه فى كلامه
ويوم وقفنا للوداع وقد بدا * بوجه يحاكى البدر عند تمامه
شكوت الذى ألقى فظل مقابلا * بكائى وشكوى حالتى بابتسامه
فبارق من شكواى غير خدوده * ولا لان من نجواى غير قوامه

(وله أيضا)

كمى والمدام فى فمه * قد عبقت من حباب مبسمه
وراح كالراح فى تمايله * سكران يشتط فى تحكمه
بالله يابرق هل تحدثه * عن نار وجدى وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فمى الى فمه
عجبت من بخله على وما * يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرنى * رب خذ الحق من معلمه

(وله أيضا)

يامن لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل
نشوان يهزه دلال * كالغصن مع النسيم مائل
لايمكنه السلام لكن * قد حمل طرفه رسائل
ما أطيب وقتنا وأهنى * والعاذل غائب وغافل
عشق ومسرة وسكر * العقل ببعض ذا لزائل
كالبدر يلوح فى قناع * والغصن يميس فى غلائل
والورد على الخدود غض * والنرجس فى الجفون ذابل
والعيش كما أحب صاف * والانس بمن احب كامل
مولاى يحق لى بانى * عن مثلك فى الهوى اقاتل
لى فيك وقد علمت عشق * لايفهم سره الاوائل
فى حبك قد بذلت روحى * ان كنت لما بذلت قابل
لى عندك حاجة فقل لى * هل انت اذا سئلت باذل

يابنتى كنت لعمرو مصحفا
يقرأ منى كل يوم أحرفا
او قلما يكتب بى ما ألفا
من أدب مستحسن قد صنفا
يابنتى كنت لعمرو عوده
او حلة يلبسها مقدوده
او بركة باسمه معدوده
او ربعة فى داره مشهوده
يابنتى كنت له زنارا
يدير لى فى الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا
صرت له حينئذ ازارا
واكبدى من خده المضرج
واكبدى من ثغره المفلج
لاشئ مثل الطرف منه الادعج
اذهب للنسك وللتحرج
اليك أشكو ياغزال الانس
مابى من الوحشة بعد الانس

فى وجهك للرضا دليل * ما تكذب هذه المخايل
ما أطلب فى الهوى شفيعا * لى فيك غنى عن الوسائل
ذا العام مضى وليت شعرى * هل يحصل لى رضاه فابل
ها عبدك واقف ذليل * بالباب يمد كف سائل
من وصلك بالقليل يرضى * الطل من الحبيب وابل

(وقلت وجميعه جناس خطى)

هو الشمائل روحى قبل تكوينى * وانت ظلما بنار الهجر تكوينى
صبرت فيك على أشياء ابسرها * ذهاب نفسى وقوم عنك تلوينى
وكلما قلت صحت لى محبتها * أرى ودادك ممزوجا بتلوين
قد حل عقد اصطبارى طول هجرك لى * وليس غير وصال منك يبريني
اذا شممت شذا ريا ك منتشقا * فانسيم أتى من نحو يبرين

(وقلت)

هيفاء كالغصن الرطيب اذا انثنت * تختال فى ثوبى حياء ودلال
تسبى القلوب بأسرها بجميعهم * فى أسرها لكن بقيد جمال
ياوجهها الحاوى لبهجة روضة * أنواره أنت العزيز الغالى
اذ فيك كل عجيبة ما بين تفاح وورد يانع ولآلى
والشهد والخمر الحلال وقرقف * مع برده يسلى ولست بسالى
ياجفنها الغزال كم من عاشق * بك فى المحبة مثل شئ بالى
عجبا تميت العاشقين ونحن لم * نعرف سوى الاحياء للغزالى

(وقلت)

وسالبة بالحسن عقل ذوى النهى * لطلعتها اسنى الدوارى آفل
اذا ماتجلت دلك طور قلوبهم * وخروا الى الاذقان والعقل زائل
فيا كعبة العشاق هل ثم مطلب * سوالك اليه تسنحث الرواحل
وياطلعة أصبحت للحسن جامعا * له القلب وقف والتبدل باطل
عذولى اشتدوا قصر فكل جوارحى * لها عن سماع الزور والعذل شاغل
اذا ماأطلت اللوم لابد ينتهى * وعند التناهى يقصر المطاول
لئن لم تزرنى او تمن بنظرة * وينعم دهرى بالذى أنا آمل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة * ويانفس جدى ان دهرك هازل

(وقلت)

أفدى فتاة فتنت مهجتى * وقد أذيب القلب من صدها
مالى وللدنيا اذا لم تزر * اذ ليس يحلو العيش من بعدها

يامن هلالى وجهه وشمسى
لاتقتل النفس بغير النفس
جدلى كما جدت بحسن الود
وارع كما أرعى قديم العهد
واصدد كصدى عن طويل الصد
فليس وجدى منك مثل وجدى
ها أنا فى بحر الهوى غريق
سكران من حبك لا أفيق
محترقا ما مسنى حريق
يرثى لى العدو والصديق
قلبت شعرى فيك هل ترثى لى
من سقم ومن ضنى طويل
أم هل الى وصلك من سبيل
لعاشق ذى جسد نحيل
فى كل عضو منه سقم والم
ومقلة تبكى بدمع وبدم
شوقا الى شمس وبدر وصنم
منه اليه المشتكى اذ ظلم

يقول لى الآسى وقد راعه * ما بفؤادى من جوى بعدها
خذ ماء ورد ولسان معا * تشرب بالماءين من شهدها
قد صدق الآسى هذا الدوا * هو الشفا لو كان من عندها
بان يكون الشهد من ثغرها * يجنى وماء الورد من خدها

(وقلت وفيه نكتة حكمية)

نار بوجنتك التى حرق الورى * منها كنار فى فؤاد مسعره
لكن يقول الفيلسوف الحران * افنى الرطوبة محرق ما اضمره
فلذاك احرق مهجتى تصعيدا * قطرته اجفانى وخدك حجره
اذ فيه ماء حياة العشاق غدت * فيه الحرارة باعتدال مزهره

انتهى ما اردنا ايراده من لطائف الغزل الخاصة والعامة فى الذاتيات والاعراض اللازمة وقد تغزل العشاق فى الاعراض المفارقة نحو الزينة والوظائف يسديع النكت واللطائف فلنورد منها ما لطف

(قال بعضهم فى النقش)

كان خضرة نقش فوق معصمها * شباك مسك على كف من البرد
فى صلا مقلتيه من محاسنها * كان الامان لعينيه من الرمد

(ابن المعتز فى الحناء)

اشرن على خوف باغصان فضة * مفوفة أثمارهن عقيق
سلام كاسقاط الندى تحت ليلة * سرى حيث لم يعلم اليه طريق

(ابن نباتة)

خضبت باحمر كالنضار معاصما * كالماء فيه رونق وصفاء
واها لهن معاصما مخضوبة * سال النضار بها وقام الماء

(الشريف المقدسى)

تقمعت بسويداء قلب عاشقها * أنامل بدم العشاق تختضب
فى كل أنملة ليل به شفق * كانه البسر فى اطرافه الرطب

(الشواء)

محجبة لها خال كمسك * على خد أشف من الزجاج
بدت والنقش يحكى فى يديها * محزم آبنوس فوق عاج

(على بن العباس الرومى)

سقى الله قصرا بالرصافة شاقنى * باعلاه قصرى الدلال رصافى
أشار بقضبان من الدرقعت * يواقيت حمرا تستبيح عفافى

(الصنوبرى)

بسطت أنامل لؤلؤ أطرافها * فيها تطاريف من المرجان
وتقنعت لك بالدجى فوق الضحى * وتنقبت بشقائق النعمان

(محمد بن عياض)

علقتها فتانة أعطافها * تزرى بغصن البانة المياد
من للغزالة والغزال بحسنها * فى الخد أو فى العين او فى الهادى
خضبت أناملها السواد وقلما * أبصرت أقلاما بغير مداد

(ابن الوردى)

مصرية كانها * بدر بخجل من خلق
تملقت مكرا ولا * ينكر من مصر الملق

(وله أيضا)

يا لتنى حاشية زركشت * يوما بكفى هذه الجاريه
قد أصبحت فى الحسن سلطانة * تفرق التبر على الحاشيه

(وله أيضا)

عوادة عوادة * بالنغم الملذذ
قالت لنا أوتارها * أنطقنا الله الذى

(الشهاب الحجازى)

فى ثوبها الخمرى قد أقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
قلت سكرا حين أبصرتها * لا تنكروا سكرى من الخمر

(ابن تميم)

جاءت بعود كلما لعبت به * لعبت بى الاشجان والتبريح
غنت فجاوبها وليك قبلها * شجرا الاراك الدمع الحمام ينوح

(الصلاح الصفدى)

أتتنا بعود حركته أنامل * هى الماء لطفا فى اتباع الاناشيد
يكاد وقد جست ملاويه يكتسى * باوراقه لما جرى الماء فى العود

(ومما يلحق بهذا الفصل التلميح)

وهو نوع لطيف جليل المقدار فى البديع عظيم الفائدة فى الايصال الى المطلوب من نحو نكاية الخصم وبلوغ الارب من ذوى الفهم ولم تدر الاغبياء وجل علماء المعانى على ان التلميح يرادفه والصحيح انه أخص *فمن طريق ما حكى فيه ان أبا العلاء المعرى حضر مجلس الشريف الموسوى فنال من المتنبى وكان أبو العلاء يتتصره فقال للشريف لو لم يكن من شعره الا قوله

لك يا منازل فى القلوب منازل

وكان لله تقيا مخلصا
يشفى ويبرى أكمها وابرصا
بحق محيى صورة الطيور
وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم ما فى البر والبحور
بحق من فى شامخ الصوامع
من ساجد لربه وراكع
يبكى اذا ما نام كل هاجع
خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا
وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا فى البيعة الناقوسا
مستعملين يعبدون عيسى
بحق مارى مريم وبولس
بحق شمعون الصفا وجرجس
بحق دانيل بحق يونس
بحق جرقيل وبيت المقدس

أقول اذ قام بقلبى وقعد
يا عمرو يا عامر قلبى بالكمد
أقسم بالله يمين المجتهد
ان امرأ أسعدته لقد سعد
يا عمرو ناشدتك بالمسيح
الا سمعت القول من فصيح
يبيح عن قلب له جريح
ناح بما يلقى من التبريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذى فى مهده المنعوت
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت بيطن مريم
حل محل الريق منها فى الفم
ثم استحال فى قنوم الاقدم
يكلم الناس ولم يتفطم
بحق من بعد الممات قصا
نوبا على مقداره ما قصصا

لكفاء فامر به فسحب على وجهه وعوتب الشريف فى ذلك فقال انما قصد قوله فى القصيدة

واذا أنتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بانى كامل

وأثنى سيف الدولة يوما على المتنبى فبالغ وكان الرفاء حاضرا فقال أشتهى ان تنتخب قصيدة من كلامه وتامرنى بمعارضتها لتعلم انك اركبته فى غير مركبه فقال بديهة عارض قوله

* لعينك ما يلقى الفؤاد ومالقى *

قال الرفاء فتصفحتها فلم أجدها كبير أمر فعلمت ان هناك نكتة فاعملت الذهن فى اخراجها فاذا أنا به قد أراد قوله

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * أراه غبارى ثم قال له الحق

وحكى ان ولادة بنت عبد الرحمن بن الحكم كانت من أظرف نساء زمنها وكان لها بعد أن تعدبها الدهر ولوع بالوزير أبى الوليد فكتبت اليه وقد غضبت منه

ان ابن زيدون على فضله * يلهج بى شقا ولا ذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كأننى جئت لاخصى على

أشارت بذلك الى عبد الوزير كان متهما به ودعت امرأة للرشيد يوما فقالت أتم الله أمرك وفرحك بما آتاك وزادك رفعة لقد عدلت فأقسطت ؟ فقال لجلسائه ما أرادت هذه قالوا خيرا فقال انها تدعو على فان قولها أتم الله أمرك تريد قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وقولها فرحك الله بما آتاك تريد قوله عز وجل حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وقولها وزادك رفعة تريد قول الشاعر

ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع

وقولها لقد عدلت فأقسطت تريد قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم استقرها فأقرت فقال وماذنبى اليك قالت قتلت رجالى واخذت اموالى فقال ممن انت قالت من بنى برمك فقال اما الرجال فقد ماتوا واما المال فيأتيك وردّه اليها وسأل احد الظرفاء امرأة ملفوفة فى كساء فقال من انت قالت انا السادس فى السابع تريد قول ابن سكرة

جاء الشتاء وعندى من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا

ومثله ما حكاه ابن الجوزى قال التقى رجل وامرأة على جسر بغداد فقال الرجل رحم الله ابن الجهم فقالت المرأة رحم الله ابا العلاء المعرى وافترقا فتبعها رجل فقال لها اقسمت عليك الا اما اخبرتنى ما اردت وردت فقالت اراد بابن الجهم قوله

بحق ما فى قلة الميرون
من نافع الادواء للجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون
من بركات الخوص والزيتون
بحق اعياد الصليب الزهر
وعيد انسونى وعيد الفطر
وبالثمانين النظام القدر
وعيد مرماري العظيم الذكر
بحق شعيا وبالهياكل
والدخن اللاتى بكف الحامل
يشفى بها من كل خبل خابل
ومن دخيل السقم فى المفاصل
بحق سبعين من العباد
قاموا بدين الله فى البلاد
وارشدوا الناس الى الرشاد
حتى اهتدى من لم يكن بهادى
بحق اثنى عشر من الامم
ساروا الى الاقطار يتلون الحكم

؟ قوله فأقسطت الصواب فقسطت تأمل

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا ادرى

واردت بقولى ابا العلاء قوله

فما دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال

ومن دقيق الاشارات ان المتنبى مدح بعض اعداء ملكه فغضب عليه وهم ان يفتك به فهرب فامر الملك بعد مدة كاتبه ان يلطف له القول ليأتى فيخدعه وكان الكاتب يحب المتنبى ولم تسعه المخالفة فكتب فى آخر الكتاب قد عفونا ان شاء الله وشدد النون فلما وقف عليه رحل وارسل الى الكاتب الكتاب وقد زاد ألفا بعد النون المشددة وهذه من الطف الاشارات فان الكاتب اراد بان قوله تعالى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين واراد المتنبى بزيادة الالف قوله تعالى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها

* (ومما ينسج فى هذا النمط ما سمته العرب بالملاحن) *

قال العلامة السيوطى عن ابن دريد انه مشتق من اللحن يعنى الفطنة وان فائدتها التخلص من انشوطة التعسف مع الامن من المؤاخذة عند الاجاء (قيل) اسر شخص من تميم عند بكر بن وائل اوسعد بن ضبيعة وعزموا على غزو قومه فطلب من يرسله الى اهله لحاجة فقالوا لا يكن بحضرتنا لئلا تنفرهم قال لكم ذلك فجاؤه بمولد فقال اخاف ان يكون احمق فقال الرسول ما انا احمق وانى لمبلغ ما تقول فقبض من الرمل قبضة فقال له كم هذه قال لا ادرى وانها كثيرة فقال له النيران اكبر ام الكواكب قال الكواكب وكل كبير فأومأ الى الشمس فقال ما هذه قال الشمس فقال انك عاقل بالغ قومى التحية وأن يكرموا الاسير فان قومه يكرمونى وأن يعروا ناقتى الحمراء فقد اطالوا راكوبها ويركبوا جملى الاصهب وقل لهم قد اربى العرفج واشتكت النساء ما بقى ما اكلت معكم الحليس واسألوا الحرث عن خبرى فلما وقفوا على الكلام قالوا قد جن الاعور بعدنا اذ لم نعرف له ناقة ولا جملا وصرفوا الرسول ودعوا الحرث فلما قصوا عليه القول قال قد انذركم فقوله أكرموا الاسير يعنى استكثروا من الزاد ومن علف الدواب وتهيؤا للرحيل فانهم عازمون على ان يدهموكم بخيل ورجل والرمل عدد القوم الذين يغزونكم منهم وان ذلك واضح كالشمس والناقة الحمراء الدهناء والجمل الاصهب الصمان يقول اعدلوا عن السهل الى الجبل وأربى العرفج يعنى لبس الرجال السلاح واشتكت النساء مجلت الشكاء وهى قرب صغار يحمل فيها المسافرون الماء والحليس كناية عن اختلاط الرجال فعملوا بقوله فنجوا (ومن ذلك) امثلة ينتفع بها فى التورية عند الحاجة كقولك ما سألت فلانا حاجة ضربا من شجر شائك ولا رأيته اى ضربت رقبته ولا كلمته اى جرحته ولا اعلمته اى شققت شفته العليا ولا اخذت له شعيرة اى راس مسمار فضة ولا ثوبا اى قطعة من أقط ولا كسرت له سنا اى قطعة عشب ولا ضرسا اى قطعة من المطر ولا لبست له جبة شئ

حتى اذا صبح الدجى جلا الظلم
ساروا الى الله فنازرا بالحكم
بحق ما فى محكم التنزيل
من محكم التحريم والتحليل
وغيره من نبأ جليل
يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق من عيد الشفيق الناصح
بحق لوقاذى الفعال الصالح
بحق غليخا الحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح
بحق معمودية الارواح
والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به لابس الامساح
وعابد بالك ومن ساح
بحق تقريبك فى الاعياد
وشربك القهوة كالفرصاد
وطول تفتيلك للاكباد
بما بعينيك من السواد

يستر به السنان ولا اخذت له حمارا ولا اتانا صخرتان معروقتان ولا عنزا الكمة سوداء ولا دجاجة كبة من غزل ولا فروجا مدرعة ولا بحشة صوف كالحلقة ولا ظلمته اى ماسقيته لبنا ولا جلست له على حصير لحمة فى جنب الفرس ولا اخذت له جرابا ماحول البئر ولا بيضة يعنى الخودة ولا فرخا هامة الدماغ ولا فروة جلدة الرأس ولا ابرة عظم المرفق ولا فأسا عظم القفا ولا كتبت جمت ولا لى هنا خط سيف البحر ولا وطئت له أرضا باطن حافر الفرس ولا لعبت سال لعابى ولا رويت الحديث شددته بالرواء وهو الحبل ولا رأيت بطنا ولا نفذا قبائل ولا ساقا ذكر الحمام ولا رجلا قطعة الجراد ولا وجها اى قصدا ولا أبصرته اى رأيت قشرا على الجلد

(خاتمة)

تشتمل على لطائف متفرقة تروق بالمسامع وتزين بها المجامع (حكى ولد الفرزدق) قال اجتمع أبى وجميل وجرير وكثير ونصيب بالموسم فقال بعضهم لبعض لاتجتمعون مثل هذه فهلموا نفعل شيأ نذكر به فى الزمان فقال جرير هل لكم ان نسلم على سكينة بنت الحسين فلعلها ان تكون سببا لما أردتم فقالوا نعم الرأى وانطلقوا فطرقوا الباب فخرجت جارية ظريفة فبلغها كل السلام فدخلت ثم عادت فقالت أيكم القائل

سرت الهموم فبتن غير نيام * واخو الهموم يروم كل مرام
درست معالمها الرواسم بعدنا * وسجال كل مجلجل سجام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعى بسلام
يجرى السوالف على اغر كانه * برد تحدر من متون غمام

قال جرير أنا قلته قالت فما أحسنت ولا أجملت ولا صنعت صنع الحر الكريم لاستراقه عليك كما هتكت ستره وسترها ما أنت بكلف ولا شريف حين رددتها وقد تجشمت اليك هول الليل هلا قلت

طرقتك صائدة القلوب فرحبا * نفسى فداؤك فادخلى بسلام

خذ هذه الخمسمائة درهم فاستعن بها فى سفرك ثم انصرفت الى مولاتها وقد اخمتنا وكل من الباقين يتوقع ما يخجله ثم خرجت فقالت ايكم القائل

الا حبذا البيت الذى انا هاجره * فلا أنا ناسيه ولا انا ذاكره
فبورك من بيت وطال نعيمه * ولازال مغشيا وخاد عامره
هو البيت بيت الطول والفضل دائما * واسعد ربى جد من هو حاذره
به كل موشى الذراعين يرتمى * أصول الخزامى ما يفرطا ثره
هما دليانى من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره

بحق ما قدس سمعا فيه
بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه
عن كل ناموس له فقيه
بحق جمع من شيوخ العلم
وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقوا قط بغير فهم
موتهم كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران
والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى
والبطرك الاكبر والرهبان
بكل قادس على قداس
قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسى
وقدموا الكاس لكل حاسى
بكل ناموس له مقدم
يعلم الناس وما يعلم

فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا * أحى يرجى أم قتيل نحاذره
فاصبحت فى أهلى وأصبح قصرها * مغلقة أبوابه ودساكره

قال أبى يعنى الفرزدق أنا قلته فقالت ما وفقت ولا أصبت أما ايست بتعريضك من عودة صدق محمودة خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

فلولا ان يقال صبا نصيب * لقلت بنفسى النشأ الصغار
بنفسى كل مهضوم حشاها * اذا ظلمت فليس لها انتصار

فقال نصيب أنا قلته فقالت اغزلت وأحسنت ولا كرمت لانك صبوت الى الصغار وتركت الناهضات باجمالها خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

وأعجبنى ياعز منك خلائق * كرام اذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا * وبعدك أسباب الهوى حين يطمع
وانك لاتدرى غريما مطلته * أيشتد ان لاقاك او يتضرع
وانك ان واصلت أعملت بالذى * لديك فلم يوجد لذلك الدهر مطمع

قال كثير أنا قلته قالت أغزلت وأحسنت خذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم خرجت فقالت أيكم القائل

لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل بينهن شهيد
يقولون جاهد ياجميل بغزوة * واى جهاد غيرهن أريد
وأفضل أيامى وأفضل مشهدى * اذا هيج بى يوما وهن قعود

فقال جميل أنا قلته قالت أغزلت وأحسنت وكرمت وعففت ادخل فلما دخلت سلمت فقالت سكينة أنت الذى جعلت قتيلنا شهيدا وحديثنا بشاشة وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ولم تتعد ذلك الى قبيح خذ هذه الالف درهم وابسط لنا العذر أنت أشعرهم وهذه الحكاية هى التى سبقت الاشارة اليها فى فصل الخيال من الباب الخامس

واجتمع كثير وجميل وعمر بن أبى ربيعة عند عبد الملك فقال أنشدونى أرق بيت قلتم فانشد جميل

حلفت يمينا يابثينة صادقا * فان كنت فيها كاذبا فعميت
فلوان جلدا غير جلدك مسنى * وباشرنى دون الشعار شريت
ولوان راقى الموت يرقى جنازتى * بمنطقها فى الناطقين حييت

(وأنشد كثير)

بابى وأمى انت من مظلومة * طبن العدو لها ففيم حالها
لوأن عزة خاصمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

بحرمة الصوم الكبير الاعظم
وما حوى مفرق رأس مريم
بحق يوم الذبح فى الاشراق
وليلة الميلاد والتلاقى
بالذهب الابريز فى الاوراق
بالفصح يامهذب الاخلاق
الا رغبت فى رضا اديب
باعده الحب عن الحبيب
وذاب من شوق الى المذيب
اعلى مناه ايسر القريب
فانظر اميرى فى صلاح امرى
محتسبا فى عظيم الاجر
مكتسبا فى جميل الشكر
فى نثر الفاظ ونظم درر
قبل ثوان مدركا يؤس وسل
جسمه وذهب عقله وانقطع عن
اخوانه ولزم الفراش قال حسان
ابن محمد بن عيسى فحضرته عائدا

وسمى الى بصرم عزة نسوة * جعل المليك خدودهن نقالها

(وأنشد ابن أبي ربيعة)

الا ليت قبري يوم تقضى منيتي * بتلك التي من بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله * وليت حنوطي من مشاشك والدم
الا ليت أم الفضل كانت قرينتي * هنا وهنا في جنة او جهنم

فقال أعط صاحب جهنم عشرة آلاف درهم * وسمع الحسن جارية تنشد وهي طائفة بالبيت

لا يقبل الله من معشوقة عملا * يوما وعاشقها غضان مهجور
وليس يأجرها في قتل عاشقها * لكن عاشقها في ذاك مأجور

فقال لها افي هذا المكان يقال هذا فقالت ألست ظريفا قال بلى قالت هل تروى الشعر قال نعم قالت أما سمعت قولهم

بيض غرائرها من بربية * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا * ويصدهن عن الخنا الاسلام

واستحضر الرشيد الرقاشي ومصعبا وأبا نواس فقال أجيزوا * كلام الليل يمحوه النهار * البيت الذي قالته الجارية التي لقيها بعد غضبه عليها فسألها الوصل فوعدته الى وقت فلما جاء أنشدته المصراع المذكور فقال الرقاشي ومصعب أبيات لم تناسب المقام وأنشد أبو نواس

وليلة أقبلت في القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الرداء عن منكبيها * من التخميش والمحل الازار
وهز الريح أردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار
فقلت الوعد سيدتي فقالت * كلام الليل يمحوه النهار

فقال له كانك كنت حاضرا معنا وامر له بعشرة آلاف درهم ولكل من الآخرين بخمسة * وأرق الرشيد ليلة فقام يمشي في المقاصير فرأى جارية لطيفة الشكل بديعة المنظر فأيقظها فقالت وقد علمت به (يا امين الله ماهذا الخبر) فقال

هو ضيف طارق حيكم * يرتجي المأوى الى وقت السحر

(فقالت)

بسر ورسيدي اخدمه * ان رضي بي ويسمى والبصر

فلما اصبح احضر ابا نواس وقال له اجز (يا امين الله ماهذا الخبر) فأنشد

طال ليلي حين وافاني السهر * فتفكرت فاحسنت الفكر
قمت أمشي في مكاني ساعة * ثم أخرى في مقاصير الحجر
واذا وجه جميل حسن * زانه الرحمن من بين البشر

فلست

فلست الرجل منها موقظا * فرنت نحوي ومدت لي البصر
واشارت وهي لي قائلة * يا أمين الله ماهذا الخبر
قلت ضيف طارق حيكم * يرتجي المأوى الى وقت السحر
فاجابت بسر ورسيدي * اخدم الضيف بسمعي والبصر

فقال لها كنت معنا قال لا ولكن ألجأني الشعر الى ذلك فاحسن صلته

(فصل في النوادر والحكم)

(نادرة)

قال اسحق غنيت الرشيد ليلة حتى نام فجلست انتظر انتباهه والعود في يدي واذا بشاب على اجمل ما يكون من الهيئات قد دخل علي فأصلح العود بعد ما شرب وأنشد

الا غنيا لي قبل ان نتفرقا * وهات اسقني صرفا شرابا مروقا
فقد كاد ضوء الصبح ان يفضح الدجى * وكاد قميص الليل ان يتمزقا

ثم قال هكذا غن الخلفاء وغاب وقد ذهب عقلي من حسن غنائه فلما افاق الرشيد قصصت عليه القصة وغنيته الصوت فاحسن صلتي وقال ليته متعنا بغنائه ولم يرنا شخصه قال اسحق فذكرت بهذه ما حكاه لي ابي انه استوهب الخليفة يوما يخلو به مع اهله فوهبه البيت لانه كان يستثقله فخلا ابراهيم يوما وقد زين بيته وحرمه واتقن طعاما وشرابا واوصى بحفظ الابواب من احد يدخل فبينما هو جالس على احسن ما يكون اذا بشيخ عليه قلنسوة وثياب فاخمة وبيده عكازة وقد عبقت رائحة الطيب منه فسلم بلطف ثم جلس قال ابراهيم فكدت ان اقضي فروضت نفسي فذاكرني الادب وايام العرب حتى ظننت ان غلماني جيوني به لما رأوا من ظرفه ثم قال بعد ما ابى من الطعام واخذ شيأ من الشراب هل لك ان تغني شيأ مما فقت به فتجشمت المشقة وغنيت فقال احسنت يا ابراهيم فزاد غضبي ثم استأذنني في الغناء فاذنت له معجبا من تجريه بحضرتي فاصلح العود وانشد

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح
اباها على الناس ان يشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيح
انين من الشوق الذي في جوانحي * انين غصيص بالشراب جريح

(ثم غير الصوت وغنى)

الا ياحمامات اللوى عدن عودة * فاني الى اصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتنني * وكدت باسراري لهن ابين
دعون بترداد الهدير كانما * شربن حميا اوبهن جنون
فلم ترعيني مثلهن حمائما * بكين ولم تدمع لهن عيون

فوالله ما سمعت باحسن منه واقد خلت ان العود والجدار ينطقان معه ثم غاب فخرجت مغضبا وسألت عن الشيخ فقالوا نعيذك بالله لم يدخل احد فرجعت واذا بها تف من جانب

لا تعدجسما وعد قلبا
رهينا في يديكا
كيف لا يهلك مرشو
ق بسهمي مقلتيكا
ثم انه شهق شهقة فارق فيها الدنيا فابرحنا حتى دفناه رحمه الله تعالى

(ومنهم قتيل)

قال العلامة ابو القاسم محمد بن عبد الرحمن الشيرزي في كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب وشاهدت امرأة كانت من اهل شيرز تزوجت رجلا جنديا اعجميا وكانت تحبه وجدا شديدا حتى كانت لا تصبر عنه لحظة وكان اذا مشى الى نوبته الى القلعة تأتزر وتطل قائمة قبالته حتى ينصرف فاذا

مع جماعة من اصحابه فقال الست صاحبكم القديم العشرة لكم فما منكم احد يسعدني بنظرة الى وجه عمرو قال فضينا باجمعنا الى عمرو وقلنا له ان كان قتل هذا الرجل دينا فان احياءه مروءة قال وما فعل قلنا قد صار الى حال ما نحسبك تلحقه قال فلبس ثيابه ثم نهض معنا فلما دخلنا عليه وسلم عليه عمرو اخذ بيده وقال كيف تجدك يا سيدي فنظر اليه ثم اغمى عليه ثم افاق وهو يقول

اتاني عافية الامن الشوق اليكا
ايها العائد ما بي * منك لا يخفى عليكا

البيت يقول لاباس عليك ما كان ضيفك الا ابليس فركبت الى الرشيد فحدثته بالقصة واخبرته ان الشيخ اخبرني انى احكمت الغناء وغنيته كما سمعت فاحسن صلتى (وحكى) عنه فى الاصل ايضا وفى غيره عن ولده اسحق قال اصبحت فى يوم مطيرا يقنت فيه ان لاياتينى احد فصنعت لنفسى ماشئت من طعام وشراب وجلست فى سرور حتى ولى النهار فذكرت جارية اهواها فقلت لو كانت عندى لكمل سرورى فما أكملت القول حتى جاءنى غلام فقال فلانة بالباب فوثبت لم أملك نفسى فاذا بغرس القنى قد أثمر فاعتنقتها وقد بلها المطر فخاعت ماعليها والبستها بدلة تليق بها وجئت بماء ساخن وغسلت رجليها بيدى وقلت ما الذى جاءبك فى هذا الوقت قالت جاءنى رسولك مرتين يخبرنى انك تشكو الحرقة فكرهت ان أقول ما أرسلت أحدا فجلست وأخذت العود فغنيت

توسدها كفى وبت ضجيعها * وقلت للیلى طل فقد رقد الفجر
بوجه اذا ماغاب عنى حكاه لى * وان لم يكن فى حسن صورته البدر
فلما أضاء الصبح فرق بيننا * واى نعيم لايكدره الدهر

فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا شيخ حسن الهيئة فجلس معنا فقالت هذا رسولك الى فانكرت اذلم أعرفه وعجبت من دخوله لان المفاتيح عندى هكذا فى الاصل وفى غيره ان الجارية حين استقر بها الجلوس قالت أريد من يغنى قال اسحق أنا قالت لاانت ولا أنا ولكن اخرج فالتمس لنا أحدا فخرجت طاعة لها فاذا أنا بشيخ أعمى وهو يقول لاجزى الله من كنت عندهم خيرا ان غنيت لم يسمعونى وان سكت استخفوا بى فقلت له هل تكون عندنا ليلتك فقال خذ بيدى ان شئت فلما دخلنا وجلس قال لى غن فحين غنيت قال قاربت ان تكون مغنيا فكدت ان أموت ثم سأل الجارية فغنت فقال ماجئت بشئ فقالت هذا ماعندنا فهات ماعندك فطلب عودا جديدا فاصلحه وكانت الجارية حين طرقت الباب قالت * أيدخل محبوب على الباب واقف * فانشد الشيخ

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف * حبيب باوقات الزيارة عارف

وماراعنى الا السلام وقولها * أيدخل محبوب على الباب واقف

فحين سمعت ذلك الجارية قالت قد ضاق صدرك بكلمة فلم أزل ارضاها واحلف انى لم أقل واتقرب اليها بالتقبيل ودغدغة الثديين حتى ضحكت فغنى الشيخ

الا ربما زرت الملاح وطالما * لمست بكفى البنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم أزل * أعض عض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها أنا أعلمته بذلك فاطمأنت ثم قام الى الخلاء وأبطأ فطلبناه فلم نجده فعلمت انه أبو مرة فتمثلت بقول أبى نواس

عجبت من ابليس فى كبره * وخبث ما أظهر من نيته
أبى على آدم فى سجدة * وصار قوادا لذريته

قال

(قال بعض الادباء) كان أبو نواس أول من فتح هذا الباب على ابليس فكثرت فيه الاقوال من الشعراء

(لطيفة ووصية)

قال بعض الحكماء لولده ونقله فى الاحياء لاتتزوج حنانة يعنى التى ولدها الذى من الزوج السابق ولامنانة يعنى ذات المال التى تعطى الزوج شيأ ثم تمن به عليه ولا أنانة يعنى على زوجها الاول وعليها نقل فى تحفة العروس ان الغدور بنت قيس بن خالد لما تزوج بها عمرو بن الجون بعد لقيط بن زرارة لم تزل تظهر الاسف على لقيط فخنق عمرو وقال لها ويلك انه لم يجئ من بعض عبيدى فصفى لى بعض مارأيت من حسنه قالت تطيب يوما وجلس يتناول الشراب ولم يوقظنى شفقة حتى انتبهت فاركبنى وخرج الى الصيد والزهو فلاحت غابة فيها اسدان فشد حتى قتل واحدا ورجع الى فضمنى ضمة وددت لو مت فيها ففعل عمرو ذلك وضمها فقال اين انا من لقيط فقالت ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وهو مثل سبق تقريره * وعن بعضهم كن فوق المرأة بالسن والمال والحسب والا احتقرتك ولتكن هى فوقك بالصبر والجمال والادب والا احتقرتها

(عجيبة)

قيل أعظم الولائم الاسلامية اثنتان احداهما وليمة زفاف الرشيد على زبيدة كانت الهبات فيها غير محصورة حتى انهم كانوا يهبون اوانى الذهب مملوأة بالفضة واوانى الفضة مملوأة بالدنانير ونوافج المسك وقطع العنبر وجليت فى درع من الدر لم يقدر احد على تقويمه وضبط ماخرج فكان خمسا وخمسين الف الف وثانيتهما وليمة بوران على المأمون فرش فيها حصير منسوج بالذهب ونثر عليها من اللآلى ما اغنى خلقا كثيرا قال شارح المقامات تقرر ماخرج من بيت المال فكان اربعين الف الف وقال غيره عن زبيدة سبعة وثلاثين واوقد فيها شمعة من العنبر زنتها ثمانون رطلا وكتب رقاعا باسماء ضيع ورساتيق وصلات وجعلها فى بنادق المسك فى النثار فكان الذى يلتقط شيأ منها يحبس عليه وقيل كان الحطب الذى اوقد فيها قد نقل باربعة آلاف بغل اربعة اشهر فلم يكف حتى اوقد الكتان

(فائدة)

فى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من العجز فى الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعرف اسمه وان يكرمه اخوه فيرد عليه كرامته وان يقارب المرأة فيصيبها قبل ان يحادثها ويؤانسها فيقضى حاجته منها قبل ان تقضى حاجتها منه وبهذا وافقت الحكمة السنة فان ابقراط يقول اكثر آفات قلة الولادة من عدم الموافقة فمن لم يدركها بالمعرفة فعليه بالملاعبة ويكره الجماع فى المحاق واول الشهر ماعدا رمضان قيل وليلة النصف

دخل عليها الاعبها وقبلها فيسكن بعض ماتجده فدخل عليها يوما مغضبا من كلام جرى بينه وبين مقدمه فلما دخل ارادت منه العادة فلم يلتفت اليها فظنت ان ذلك لسبب حدث منها فارتاعت وجزعت فمكث ساعة عنها لم يرفع طرفه اليها فقوى عندها التخيل فلما خرج خرجت خلفه كعادتها فانتهرها فلم تشك ان غضبه لاجلها فرجعت وجعلت فى رقبتها حبلا وشدته فى السقف فاختنقت به وماتت

(ومنهم شهيد)

قال الوداعى حكى الامير شهاب الدين احمد العقيلى ان شرف العلا هوى غلاما نصرانيا وتهتك فيه حتى لبس المسح وتزيا بزى الرهبان وكان يتبع الغلام حيث توجه فاتفق ان الملك الظاهر صلاح الدين سمع بحاله فبينما هو يتصيد فى نواحى حلب قيل له ان شرف العلا فى هذه الارض فأرسل اليه من يحضره على هيئته فلما حضر وكان السلطان فى مجلس الشراب قال لبعض ندمائه املأ قدحا كبيرا واق شرف العلا به فلما رأى القدح اخذه بيده وشربه وانشد فى الحال

ارتجالا يخاطب الملك الظاهر
جعت بالكاس شملى
فانله يجمع شملك
بحق رأسك دعنى
حتى اقبل انملك

(لطيفة ووصية)

قال بعض الحكماء خير النساء ما عفت وكفت ورضيت بالبسير واكثرت التزين ولم تظهره لسوى زوجها وخير الرجال الذى لم يكل المراة الى طلب شئ ولم يعصها فى الخلوة ولم يطعها فى شهوة قال بعض من شرح هذا الكلام المراد بعفت يعنى حصنت الزوج من حسنها ان يطمح الى غيرها وكفت لسانها عن الاذى وبالتزين مطلق التلطف ولو بالكلام المضحك المطفئ للغضب فان غاية النساء السكون اليهن من الوصب وبقوله لم يطعها فى الشهوة يعنى المفضية الى تبذلها كالخروج ورفع الصوت لافيما تشتهيه من مأكل وملبس فان قطع ذلك عنها اعانة لها على الفساد وزاد بعضهم ان لايذكر الرجل محاسن المراة لاحد فان ذلك يؤل الى نزعها منه وعلى ذكر التحبب ولو بالكلام نقل ابن الجوزى عن بعضهم قال قلت لجاريتى الانلبسين الحلى قالت لا لانه يستر المحاسن كما يستر القبائح وقلت لها اجلسى بنا فى القمر فقالت ما اولعك بالجمع بين الضرائر وكفت الشمس يوما فقالت ما كسفت الا حياء منى

(لطيفة)

اللذات اربع لذة ساعة وهى الجماع ولذة يوم وهى الحمام ولذة جمعة وهى النورة ولذة حول وهى تزويج البكر

(نادرة)

جاءت امراة الى عمر فقالت يا امير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم الليل وكررت ذلك وعمر يقول فى كل مرة جزاك الله خيرا من مثنية على بعلها فقال كعب انها ايا امير المؤمنين تطلبه بحق الفراش فقال حيث فهمت ذلك فاقض بينهما فاحضر الزوج وقال ان امراتك تشكوك فقال لم اقصر فى شئ فانشدت

يا ايها القاضى الحكيم رشده * ألهى خليلى عن فراشى مسجده
نهاره وليله ما يرقده * فلست فى حكم النساء احمده
زهده فى مضجعى تعبده * فاقض القضايا كعب لاتردده

فقال لزوجها

زهدنى فى فرشها وفى الجمل * انى امرؤ اذهلنى ما قد نزل
فى سورة النمل وفى السبع الطول * وفى كتاب الله تخويف جلل

(فقال كعب)

ان لها حقا عليك يا رجل * تصيبها فى اربع لمن عقل
قضية من ربنا عز وجل * فأعطها ذا الود عنك العلل
فان خير القاضيين من عدل * وقد قضى بالحق جهرا وفصل

ثم قال له ان الله قد احل لك اربع نسا فاجعل لها ليلة من اربع فقال عمر رضى الله عنه

(ومنهم قتيل)

وهو مما رأته عيناى وسمعته اذناى ووعاه قلبى وذلك انى لما كنت فى دمشق سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة اتفق ان شابا من ابناء دمشق جميل الصورة عدا على انسان كان يحبه فقتله فحمل الى الوالى فلما سأله انكر فعزاه ليضربه بالسياط فتقدم انسان كان يعشق ذلك الشاب وقال للوالى لاتضربه فانه ما قتله وانما قتلته انا فأحضر الوالى الشهود وكتب عليه محضرا باقراره بالقتل وأطلق الشاب وكان ابن غش نائب دمشق يومئذ فلما حكيت له هذه القصة واطلع

لا ادرى اعجب من حمقك أم من فهمك وولاه البصرة

(وصية)

قيل كانت العرب توصى بناتها بما يوجب الالفة فتقول للواحدة كونى له أرضا يكن لك سماء وكونى مهادا يكن عمادا وامة يكن عبدا وفراشا يكن معاشا ولاتقربى فيملك ولاتبعدى فينساك ولاتعاصيه شهوته وعليك بالنظافة ولايرى منك الاحسنا ولايشم الاطيبا ولا يسمع الامايرضى ولاتفشى سره فتسقطى من عينه ولاتفرحى اذا غضب ولاتغضبى اذا فرح

(لطيفة)

قال ابو العلاء اغزل بيت قول الاعشى

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشى الهوينا كما يمشى الونى الرجل

واشجع بيت قوله

قالوا الطعان فقلت الكل عادتنا * اوتنزلون فانا معشر نزل

(أخرى)

قيل تزوج اليزيد بن عبد الملك بالحرباء فحين زفت اليه دخلت القهرمانة لتصلح من شأنها فلطمتها اسالت دمها فقالت له أترسلنى الى مجنونة فدخل عليها فقال لاى شئ فعلت بالمرأة ما فعلت قالت أحببت ان لا ينظرنى غيرك فان رأيت حسنا كنت اول من نشره او قبيحا كنت اول من ستره فعظمت عنده

(نادرة)

قيل جلس المنصور فى قصره وقت ظهيرة فاشرف على رجل يتردد فى الطريق وعليه امارة الكرب فاحضره وسأله عن حاله فقال يا أمير المؤمنين أنا تاجر أملك ألف دينار وقد أحضرتها بالامس الى زوجتى وطلبتها اليوم فلم تجدها فقال هل تعلم على امرأتك شيأ قال لا فاستدعى الخليفة بقارورة طيب كان يصنع له بالخصوص فدفعها الى الرجل وقال له اجعلها عند زوجتك واعلمها انى حبوتك بها واعدنى ففعل وأمر المنصور حراس الابواب ان يأتوه بمن يشمون منه رائحة هذا الطيب فما كان باقرب من ان جاؤه بشخص فهدده وقال ائتنى لم تاتنى بالالف دينار التى أخذتها من موضع كذا الاضرب عنقك فجاء بها واحضر الخليفة التاجر وقال له هذا مالك قال نعم وقبل الارض فدفعه له وحكمه فى زوجته

(فصل فى المجون)

قيل حضرت سوق عكاظ امرأة بنصبين اعنى ظرفين من عسل فاتاها خوات بن جبير وكان فاتكا فى الجاهلية فحل احدهما واذاقه واعاده فمكنه باحدى يديها وفعل بالاخر كذلك ثم أمسك رجليها وقضى وطره فحين فرغ قالت لاهنئت قال بل هنئت وانشد

على باطنها توقف فى قتله وأمر بحبسه فلم تمض الأيام قلائل حتى حضر ارعون الكاملى من حلب عوضا عن ايتمش فى نيابته بدمشق فكان أول شئ حكم فيه من الدماء شنق ذلك العاشق المسكين بمقتضى المحضر المكتتب عليه واقد رأيته تحت القلعة وهو مشنوق والناس حوله يتأسفون عليه ويذكرون حكايته ويتعجبون منها وحكيت هذه الحكاية للقاضى كمال الدين بن النحاس فتعجب منها واخبرنى عن القاضى زين الدين بن السفاح واخيه القاضى شمس

وشدت على النحيين كفى ضنينة * واعجلتها والقتل من فعلاتى

وبهما ضرب المثل فقالوا اشغل من ذات النحيين واظلم من خوات (قال الاصمعى) بينا نحن بطريق مكة اذا باعرابى يقول من احس من بعير بعنقه علاط وبانفه خزامة يتبعه بكرتان سمرا وان عهد العاهد به عند البئر فقالت جويرية على حوض اعزب يافاسق لاردالله عليك ضالتك فقلنا مالك ولمن ينشد ضالته قالت انما ينشد ابره قوله علاط بالمهملة حبل يجعل فى عنق البعير وسمرا وان يريد اللون المعروف ويحتمل انه تثنية سمراء يعنى الناقة * وجىء لابن ابى مساحق بابن اخته وقد احبل جارية فقال له هبك ابتليت بالفاحشة فهلا عزلت فقال جعلت فداك بلغنى ان العزل مكروه فقال وما بلغك ان الزنا حرام * وكان بمكة رجل تجتمع الرجال والنساء عنده للفساد فشكوه فنفاه الوالى الى عرفات فقال لاصحابه يوما ما يمنعكم ان تاتوا الى على العادة فقالوا كيف لنا بذلك فقال حمار بدرهمين وقد صرتم الى الامن والنزهة فقالوا صدقت وفعلوا فعاد امره اعظم فرفعوه الى الوالى فقال الم انهك فقال اصلحك الله انهم يكذبون على فقالوا للوالى اجمع جيرة مكة وارسلها فان لم تأت ببينة فنحن كاذبون عليه ففعل فضوا الى بيته فجرده ليضربه فقال اوضار بى انت قال نعم فقال افعل فوالله ما بى الا قول اهل العراق ان اهل مكة يحكمون بشهادة الحمير فضحك وخلى سبيله (وفى منازل الاحباب) قال غلام جئت حياقد ازمعوا الرحيل وامرأة على احسن ما يكون من الحسن والهيئة والشباب قد تخلفت تهيئ امرها فما جئتها يسيرا فقالت ايما احسن عاريا الرجل ام المرأة فقلت الرجل قالت بل المرأة وان شئت علمت ذلك بان انجرد وامشى الى تلك الاكمة واعود وتعاهدنى ان تفعل كذلك فعاهدتها وكنت حين بقل وجهى وانا على اجمل ما يكون فتجردت عن محاسن تسر القلب وتملأ العين وتمشت كما ذكرت وعادت وسألتنى الوفاء ففعلت فلم امش المسافة حتى تدرعت ثيابى واعتقلت سيفى واستويت على جملى ومضت فلم اجد حيلة الا اخذ ثيابها وحملها كذلك فكنت استحيى ان الحق القوم وهم يصرخون على حتى جاءت جارية فجذبت زمام البعير حتى اوصلتنى اليهم فجاءت امها فقالت اى بنية كم اتعبتنا فى هذه الليلة وادخلتنى الستر فلما عرفونى واستخبرونى عن القصة اخبرتهم بها فقالت لى امها انها ذهبت الى صاحب لها وهذا وقت زفافها على رجل به لوثة تعنى خبالا فى عقله فهل لك ان تكون مكانها ساعة ولك عندى اليد البيضاء فأجبت الى ذلك فحين دخلت عليه ما نعته ساعة وانت المرأة فخرجت * اشترى بعضهم جملا فكان كلما ركبه يصرعه وهو يحسبه مهرا حتى نجمت قرناه * وفى الحلية عن الشافعى قال قيل للحطيئة وقد حضرته الوفاة بم توصى للمساكين قال بالمسئلة قيل فى مالك قال للذكور دون الاناث فقالوا ما قال الله هذا فقال لكنى اقوله ثم احملونى على حمار فانه لم يبت عليه كريم * وتزوج رجل اسمه حمار بامراة من ولد دارا فاعجب بها فامر ته بتغيير اسمه فسمى نفسه بغلا فقالت

الدين وجماعة من اهل حلب الموجودين الآن انهم اخبروه ان ناصر الدين محمد بن يكنوب احد كتاب المنسوب المعروف بالقاندرى انه كان يهوى مغنية لاتزال ترمونها معه فى كيس حريرا طلس معلق فى رقبته تحت ثيابه فاذا حضر فى مجلس ولم يتفق حضورها فيه اخرج الزرموزة من الكيس ووضعها قدامه وجعل يبكى فان لم يتفق له بكاء شديد انشد

لامتعت عين محب بما
يسرها ان هى لم تسجم

ثم انه يامر من حضر بربط رجليه وضربه عليها حتى يبكى انتهى

هو

هو خير لكنك لم تخرج من الاصطبل بعد وأتى كفيف فخاسا فقال له اطلب لى حمارا ليس بالصغير المحتقر ولا الكبير المشهر ان خلى الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لايصادم بى السوارى ولايدخلنى تحت البوارى ان أقللت علفه صبر وان أكثرته شكر وان ركبته هام وان ركبه غيرى نام فقال له الخاس اصبر فان مسخ الله القاضى حمارا قضيت حاجتك * وشدد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى النهى عن المعاصى كشرب الخمر فقال اصاحبى عسسه وخبره اذا رأيتما سكران فاتيانى به فطافا الى آخر الليل فاذا هما بشيخ حسن الهيئة بهى المنظر قد أخذ منه السكر وهو يقول

سقونى وقالوا الا تغنى ولو سقوا * جبال حنين ما سقونى لغنت

فقالا له اما تستحى وأنت بهذه الحالة فقال ارفقا بى فقد شربت مع اخوان احداث فحين أخذ الشراب منى أخرجونى فقال صاحب العسس اصاحب الخبر اكتم على وأنا أطلقه قال قد فعلت فقال له اذهب ياشيخ ولا تعد قال نعم وأنا تائب فلما كان فى الليلة الآتية رأياه كما ذكر وهو يغنى

انما هيج البلى * حين عض السفر جلا
فرمانى وقال لى * كن بعينى مبتلى
ولقد قام لحظه * لى على القلب بالقلى

فقالا له اين التوبة فقال ان اخوانى الذين ذكرتهم لكما البارحة عدوا على وحلفوا ان لايخرجونى اذا عمل بى الشراب فغلب على وعليهم فخرجت فاطلقاه فلما كان الثالثة رأياه على تلك الحالة وهو يغنى

ارض عنى فطالما قد سخطت * أنت مازلت جافيا مذ عرفت
أنت مازلت قاطعا لا وصولا * بل بهذا فدتك نفسى ألفت
ما كذا تفعل الكرام بنوالنا * من باحبابهم فلم كنت أنت

فقالا له هذه ثالثة ولا عفو فقال اخطأتما قالا ولم ذلك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثالثة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الرابعة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب لم يتب الله عليه وكان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال وهى عصارة أهل النار فقالا له اذهب فلما كانت الرابعة رأياه على الحكم وهو ينشد

قد كنت ابكى وما حنت لهم ابل * فما أقول اذا ما حل الثقل
كأنى بك نضو الاحر الذبه * تدعى وأنت عن الداعين مشتغل
فقلبوك بايديهم هنالك وقد * سارت باجمالك المهرية الذلل
حتى اذا استيأسوا من ان تجيبهم * عضوا عليك وقالوا قد قضى الرجل

ما اخبرنى به القاضى كمال الدين قلت ولهذا البيت المتقدم حكاية غريبة وهى ما حكاه المسترد عن النميرى أن رجلا قدم على ملك كسرى انوشروان وكان عالما بجميع الفلسفة وعلم الموسيقى فتعجب الملك من كمال اخلاقه المحموده فحبسه عن وطنه مدة من دهره فشكى اليه غلبة الوجد وطول الكمد بالف فارقه فى بلده فطله كسرى بالاذن وحمله على التسويف فبينما هو على هذه

فقالا لا لم يبق عفو فقال افعلا ما بدا لكما فحملاه الى عمر فاستنكهه فوجد الرائحة فجلده حتى افاق وجلده ثمانين ثم قال له لا تعد فقال قد ظلمتني يا أمير المؤمنين لاني عبد وقد جلدتني حد الاحرار فقال أخطأت اذلم تعرّفني وغم عمر فقال له الشيخ لا تحزن يا أمير المؤمنين واجعل الاربعين سلفا عن ذلك فضحك حتى استلقى على ظهره ثم قال لصاحب العسس اذا رأيت مثل هذا فارفعه الىّ واجتمع قوم عند بصيص جارية ابن نفيس وكانت محبوبة وقتها في الحسن والغناء يتمنى كل احد رؤيتها ولو بذهاب نفسه فتذاكروا بخل مزيد فقالت انا آخذ منه درهما فقال مولاها ان فعلت جعلتك حرة وكسوتك ثوب وشي واولمت لك يوما بالعقيق فقالت ارفع الغيرة فقال ولو رفع رجليك لم أقل شيأ فخرج ابن مصعب فراآه في مسجد المدينة فقال له يا أبا اسحق ان ترى بصيص جارية ابن نفيس فقال امرأته طالق ان لم يكن الله ساخطا على فيها وان لم اكن اسأله ان يرينيها منذ سنة فما يفعل فقلت له اليوم اذا صليت العصر فوافني ههنا قال امرأته طالق ان برحت من ههنا حتى تجيء صلاة العصر قال فتصرفت في حوائجي حتى كان العصر فدخلت المسجد فوجدته فيه فأخذت بيده وأتيتهم به فاكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا فاقبلت ببصيص على مزيد فقالت يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي ان اغنيك الساعة

لقد حثوا الجمال ليسرروا منا فلم يلووا

فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ قال فغنته ثم سكتت ساعة وقالت يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي ان تقوم فتجلس الى جانبي وتقرصني قرصات واغنيك

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

الست تبصر من حولي فقلت لها * غطي هوالك وما ألقى على بصري

فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في الارحام وما تكسب الانفس غدا وباي ارض تموت فغنته ثم قالت برح الخفاء أنا أعلم أنك تشتهي ان تقبلني شوق البين واغنيك هزجا

انا ابصرت بالليل * غلاما حسن الدل

كغصن البان قد اصبح * سقيا من الطل

فقال أنت قينة مرسلة فقبلها وغنته ثم قالت يا أبا اسحق ارأيت أسقط من هؤلاء يدعونك ويخرجونني اليك ولا يشترون ريحانا بدرهم يا أبا اسحق هلم درهما اشتري به ريحانا فوثب وصاح واحر باه اي زانية اخطأت استك الحفرة انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحى اليك وعطمط القوم وعلموا ان حيلتهم تنفذ فيه ثم خرج ولم يعد اليهم واعاد القوم مجلسهم فكان اكثر شغلهم فيه حديث مزيد والضحك منه (وحكى) ابو يعقوب قال حضرت مجلس حماد عجرد ومعنا غلام جميل فجعل يرمقه حتى حرز المكان الذي ينام فيه فلما هجع الناس وقد اختلف النوام فكنت موضع الغلام قام حماد فدب

على

الحالة اذ قدم عليه رجل من بلده ونعى اليه حبيبه ودفع اليه خاتمه فاذا فيه كتابة بالهندية فترجمت لكسرى فاذا هي كلام موزون بالمويسبقي يشاكل من الشعر العربي

لا تمتعت عين محب بما
يسرها ان هي لم تسجم
على حبيب تلفت نفسه
من التباريح ولم يضرم
فلما قرأها لم يملك نفسه خوفا وجزعا فأسعدته عينه اليسرى ولم تسعده

على فاخذت يده وجعلتها على عيني العوراء فلما عرف ولى وهو يقول وفدينا بذبح عظيم

* وروى ان نصرانيا وجد مع مسلمة آخر يوم صومه فاكره على الاسلام فأسلم وضرب مائة سوط واخذ منه مائة دينار وكان اول يوم من رمضان فصام مع الناس فقيل له بعد أيام كيف حالك فقال كيف حال من صام خمسين وأتبعها بثلاثين وضرب مائة ووزن مائة وخرج من ملة الى أخرى وزفّ فاجرة * وسأل رجل عالما فقال افطرت يوما من رمضان سهوا قال صم عوضه قال صمت عوضه واتيت أهلي وعندهم طعام فسبقتني يدي اليه فاكلت منه قال تقضي يوما آخر قال قضيته وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فأكلت ساهيا فما ترى قال ارى ان لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك * ودخل رجل على الشعبي وعنده امرأة فقال ايكما الشعبي فقال هذه * واشترى بجايا وماد قيقا واعطاه الحمال فلما دخلوا في الزحام هرب الحمال بالدقيق فرآه بجايا بعد أيام فتوارى منه فقيل له لم ذلك فقال اخاف ان يطالبني بالاجرة * وقدم الى أبي حازم القاضي سكران ليمتحنه فقال له من ربك فقال أصلحك الله ليس هذا من مسائل القضاة انما هو من مسائل منكر ونكير فضحك وخلى سبيله * وولي رجل تفرقة مال على العميان والايتام والقواعد من النساء فدخل عليه رجل ومعه ولده فقال أثبتني في القواعد فقال ويلك انهن نساء لا ازواج لهن وأنت رجل فقال أثبتني في العميان قال صدقت فان الله تعالى يقول فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور قال وأثبت ولدي أيضا في الايتام فقال أفعل ذلك لان من انت أبوه فهو يتيم * دخل جحا على المهدي يوما فقال له كم عيالك قال ثمانية فامر له بثمانية آلاف درهم فاخذها وخرج فلما بلغ الباب رجع وقال نسيت واحدا من عيالي قال من هو قال أنا فضحك المهدي وأمر له بمثل ذلك * مر يهودي في سوق وكان كاتبا فصاح به صبي ياعم قف حتى اصفعك فالتفت اليه وقال أنا مستعجل اصفع اخي عني وقال له بعض السوقة هذه النعل في قفاك فقال له اذا كان في رجل اختك ومثل ذلك رجل قال لامرأة في يدها خف ليته على كتفي فقالت بشرط ان يكون فارغا * وقال رجل لآخر اني اعرف صناعة الفضة واريد ان اعلمك ولكن أحتاج الى الف درهم للآلات فأعطاه فمضى ولم يعد فقيل له قد خدعك وكذب عليك قال لا لانه علمني كيف صناعة الفضة اي اخذها وكيفية الحيلة فان شئت أن افعل مثله فعلت

(فصل في ذكر نبذة من اطائف الاشعار ملتقطة مما ختم به الكتاب)

وفي غضون الحكايات قد سلكنا طريقتنا المعروفة من نحو حذف المكرر واتقاء المستلطف

(بعض الاعراب)

الا ياحمام الشعب شعب مؤنس * سقيت الغوادي من حمام ومن شعب
سقيت الغوادي رب خود خريدة * اصاخت لخفض من غنائك او نصب

اليمني فاقسم ان لا ينظر بها ما عاش في الدنيا ان لم تسعده بالبكاء على حبيبه وهي أقوى حاسة من اليسرى فكان يسمى الصابر (قلت) ومن غريب ما يحكى ان ناصر الدين القلندري المتقدم ذكره كان يضع المجبرة في يده الشمال والمجلد من الكتاب على زنده ويكتب منه وهو يغني ويضرب برجله الارض ويكتب في هذه الحالة ما شاء ولا يغلط ولا يلحن وأخبرني بعض من كتب عليه ان من غريب

فان يرتحل صحبي بجثمان اعظمي * يقم قلبي المحزون في منزل الركب
(ابن المرزبان)

لئن كنت لا اشكوهوالك فانني * اخو زفرات والفؤاد كئيب
فان كان قلبي فيك يضني صبابة * وقد مرضت من مقلتيك قلوب
فما عجب موت المحبين في الهوى * ولكن بقاء العاشقين عجيب
(ابو عكرمة الضبي)

فلو أن ما بي بالحصا قلق الحصا * وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو انني استغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب علي ذنوب
ولو أن انفاسي اصابت بحرها * حديدا اذا ظل الحديد يذوب
(صاحب الاصل)

وروض اتيناه عشية اقبلت * ملاح البرايا من غضيض وغضة
حكى لونه والبيض محدقة به * زمردة خضراء في وسط فضة
(محمد بن وهيب)

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام لعيني ما حييت اختلاجها
ومادقت كاسا مذ تعلقني الهوى * فاشربها الا ودمعي مزاجها
(صاحب الاصل)

اخا الكاسات اني في انتظام * وبنت الكرم واسطة العقود
وقدر مناتزوجها ابن مزن * فهل لك ان تكون من الشهود
(وله ايضا)

ولما رأيت البدر ألقى شعاعه * على نيل مصر والسفين يناتجرى
تخيلته نسرا يسير بسيرنا * من الفضة البيضاء في لجة البحر
(وله ايضا)

ولما رايت الشمس عند طلوعها * ونحن بوسط البحر في النيل من مصر
تخيلت ها تيك القلوع وسفنها * قصور نضار والقصور يناتجرى
(ولبعضهم)

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق * كلاما تكلمنا باعيننا شذرا
نصد اذا ما كاشح مال طرفه * الينا ونبدي ظاهرا بيننا هجرا
فان غفلوا عنا رأيت خدودنا * تصافح اوثغرا قصر عنابه ثغرا
ولو قذفت اجسادنا ما تضمنت * من الضر والبلوى اذا قذفت جمرا
(صاحب اصل الاصل)

لحى الله يوم البين كم مات عاشق * ارى قومه لا يطلبون بثاره

وعاذلة

وعاذلة اضحت تلوم على الهوى * اخا لوعة لم يستفق من خماره
واغيد في جيش من الحسن يقتدى * لماه وعيناه وخط عذاره
حكى الظبي ظبي الرمل جيدا ومقلة * فيا ليته لم يحكه في نفاره
(ابو العلاء الرقي)

احبك يا سلمى على غير ريبة * ولا بأس في حب تعف سرائره
فقدمات قلبي اول الحب فانقضى * فان مت امسى الحب قد مات آخره
(عبد الرحمن العقيلي)

هذي الخدود وهذه الحدق * فليدن من بفؤاده يثق
لو انهم عشقوا الماء عذلوا * لكنهم عذلوا وما عشقوا
عنفوا علي بلومهم سفها * لو برحوا كاس الهوى رفقوا
ليس الفؤاد معي فأعلم ما * قد نال منه الشوق والقلق
ما الحب الا مسلك خطر * عسر النجاة وموطئ زلق
(احمد بن يحيى)

اذا أنت رافقت الرجال فكن فتى * كانك مملوك لكل رفيق
وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا * على الكبد الحرا لكل صديق
(صاحب اصل الاصل)

اذا كنت من اسر الهوى غير منفك * فدع جسدي يضنى ودع مقلتي تبكي
الا قاتل الله الرقيب وموقفا * بكينا به والبين يفترنا بالضحك
وغرب غربان النوى حين بشرت * نعيبا من البين المفرق بالوشك
فيا ويح ذي العشاق امست دماؤهم * تطل غراما وهي هينة السفك
(وقال بعضهم)

وما الحب الا شعلة قدحت بها * عيون المها بالحظ بين الجوانح
ونار الهوى تخفى وفي القلب فعلها * كفعل الذي جادت به كف قادح
(وقال آخر)

يقول اناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما ادري لهم كيف انعت
فليس لشئ منه حد أحده * وليس لشئ منه وقت موقت
(وقال آخر)

لي في محبته شهود اربع * وشهود كل قضية اثنان
خفقان قلبي وارتعاد مفاصلي * وصفار لوني واعتقال لساني
(وقال آخر)

فسألتها باشارة عن حالها * وعلى فيها للوشاة عيون

ماشاهد من حاله انه كان يهوى شابا من أولاد الجند بطرابلس كان يكتب عليه وكان آخر ما تمثل به ومات عقيبه سنة خمس وثلاثين وسبعمائة قول الصاحب بن عباد

يا من وهبت له نفسي فعذبها
ورمت تخليصها منه فلم أطق
أدرك بقية نفس فيك قد تلفت
قبل الممات فهذا آخر الرمق
قلت وليكن هذا ما وقع عليه الاختيار وطابت به لابن أبي

جلة حسين سقط بمصر اوطار وكيف لا وقد سقطت منه على الجبير واتيت من اخبار من غفر الله لنا ولهم بالجسم الغفير فشهداؤه من اعيان المشاهد وقتلاؤه وان اختلفت اسباب موتهم فداؤهم واحد ففي ذلك والحمد لله كفاية وان كان التقصير قصرا غير مقصود عن الغاية على ان في رحلتي نشر العلمين في زيارة الحرمين ما هو كفص الخاتم لهذه الخاتمة

فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان ازيل عنه النون

(ذو النون المصرى)

شوق اضر بمهجة المشتاق * اجرى سوابق عبرة الاماق
لعبت يد العبرات فى وجناته * وكذا به لعبت يد الاشفاق

وانشد ابن دريد وقد اورده فى الباب الثانى فى قصة رملة مستشهدا به على الفرقة

اقول لورقاوين فى فرع أيكة * وقد طفل الاصداء او جنح العصر
وقد بسطت هذى املك جناحها * ومر على هاتيك من هذه النصر
ليهنكما أن لم تراعا بفرقة * ولا دب فى تشتيت شملكما الدهر
فلم أر مثلى قطع الهجر قلبه * على انه يحكى قساوته الصخر

(وقال آخر)

قالت ومدت يدا نحوى تودعنى * وروعة البين تأبى ان امد يدا
اميت أنت أم حى فقلت لها * من لم يمت يوم بين لم يمت أبدا

(الشهاب محمود)

أأحبابنا هل لى اليكم وقد نأت * بى الدار من بعد الديار رجوع
وهل شمس هذا الانس بعد فراقنا * يكون لها بعد المغيب طلوع
وهل لى ولا والله ماذا الذى ممكن * فؤاد اذا حان الفراق يطيع
وقد كنت أدرى والحياة شهية * تروق بكم أن النوى سيروع

(العباس بن الاحنف)

يا بعيد الدار عن وطنه * مفردا يبكى على شجنه
كلما جد النصيب به * زادت الاسقام فى بدنه
ولقد زاد الفؤاد شجا * هاتف يبكى على فننه
شاقه ما شاقنى فبكى * كلنا يبكى على سكنه

(وله أيضا)

جرى السيل فاستبكانى السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتى مغروب
وما ذاك الا حين اخبرت انه * يمر بوادا أنت منه قريب
يكون اجاجا دونكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب
أياساكنى أكناف دجلة كلكم * الى القلب من أجل الحبيب حبيب

(الشريف الرضى)

ومن حذرى لا أسأل الركب عنهم * وأعلاق وجدى باقيات كما هيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب * فلابد أن يلقى بشيرا ونا عيا

(وقال آخر)

والامواج العظيمة لهذه الابحر
المتلاطمة لاجرم انى لم اذكر من
اخبار اهل الحجاز الا ما اشار اليه
هذا الكتاب بيانه وبدا
من ورقه وقلمه على صفحات وجهه
وفلتات لسانه فكم فى الرحلة
المذكورة فى ذكر من مات على
هذه الصورة من اخبار متيم
امتنع من هجوعه واصبح غريقا
بسحاب دموعه
لدى سمرات الحى برق يسامره
يذكره بالثغر ما هو ذاكره

أياظبية الوادى التى سفكت دمى * بلحاظها بل بامهاة الاجرع
لى أن أبثك ما القاه من * الم الجوى وعليك أن لا تسمعى

(أبو نواس)

بانظرة ساقت الى ناظرى * أسباب ما يدعو الى حتفه
من حسن ظبى حسن دله * يقصر الواصف عن وصفه
فى البدر من صفحته لمحة * ولمحة فى الظبى من طرفه
مقاتل الانفس فى ثغره * وفى ثناياه وفى كفه

(سعد بن الدهان)

قل للبخيلة بالسلام تورعا * كيف استبحت دمى ولم تتورعى
هل تسمعين بذل ايسر نائل * أن اشتكى بنى اليك وتسمعى

(أبو الحسن السلامى)

ظبى اذا لاح فى عشيرته * يطرق بالهم قلب من طرقه
سهام ألحاظه مفوقة * فكل من رام وصله رشقه
بدائع الحسن فيه مفترقه * وأنفس العاشقين متفقه
قد كتب الحسن فوق عارضه * هذا مليح وحق من خلقه

(محمد بن موسى)

ياجفونا سواهرا اعدمتها * لذة النوم والرقاد جفون
ان لله فى العباد سهاما * سلطتها على القلوب العيون

(الحسين بن الضحاك)

ألا انما الدنيا وصال حبيب * وأخذك من مشموله بنصيب
ولم ار فى الدنيا كخلوة عاشق * وبذلة معشوق ونوم رقيب

(وقال آخر)

ليس الحب الذى يخشى العقاب ولو * كانت عقوبته فى الفة النار
بل الحب الذى لاشئ ينفعه * او يستقر ومن يهواه فى النار

(وقال آخر)

ارانى منحت الحب من ليس يعرف * فما أنصفتنى فى المحبة منصف
وزادت لدينا حظوة يوم أعرضت * وفى اصبعيها أسمر اللون اهيف
اصم سميع ساكن متحرك * ينال جسيمات العلا وهو أعجف
عجيب له انى ودهرك معجب * يقوم تحريف العباد محرف

(بشار بن برد)

وكاعب قالت لاترابها * ياقوم ما أعجب هذا الضرير

يذكره عهد العذيب وماحوى
على حاجر سالت عليه محاجره
اذا ما بدا البرق اليمانى لعينه
فما هو الا وشيه وحبائره
سقى السفح من ذيل المقطم عارض
تعارضه من دمع عينى مواطره
فكم فيه من صب قضى وغرامه
اوائله لا تنقضى واواخره
تطاول ليلى فى هواه وليتنا
لقصره من جبته مقاصره
فيا للهوى العذرى ما العذر عندما
نغادر يوما منزل ليلى غدائره

هل يعشق الانسان مالا يرى * فقلت والدمع بعينى غزير
ان كان عينى لا ترى وجهها * فانها قد صورت فى الضمير
(ابن أبى الدنيا)
اذا المرء لم ينصف اخاه ولم يكن * له غائبا يوما كما هو شاهد
فلا خير فيه فالتمس غيره أخا * كريما على فضل الكريم يعاهد
وان غبت يوما أو حضرت فوجهه * على كل حال أينما كنت شاهد
(لطيفة وخاتمة)
تشتمل على لطائف ما نقش على الخواتم والتكك وغيرهما * وجد على اكليل برأس جارية
والله يا طرفى الجانى على كبدى * لتطفئن بدمعى لوعة الحزن
بالله تطمع أن أبكى اسى وجوى * وأنت تلتذ طيب العيش والوسن
(وعلى عود)
يا أيها الزاعم الذى زعما * أن الهوى ليس يورث السقما
لو أن ما بى بك الغداة لما * لمت محبا اذا اشتكى ألما
(وعلى ميل)
لو كان يدرى مالك ما الذى * ألقى من الاحزان والكرب
وما ألاقى من أليم الهوى * عذب أهل النار بالحب
(وعلى كاس)
الحمد لله على ما قضى * قد كان ذا فى القدر السابق
ما تحمل الارض على ظهرها * اشقى ولا اوثق من عاشق
فبينما يمشى على مرمر * وبينما يسقط من شاهق
(وعلى اترجة)
يا لك اترجة مطيبة * توقد نار الهوى على كبدى
لو ان أترجة يكت لبكت * لرحمتى هذه التى بيدى
(وعلى تكة)
ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا
(وعلى خاتم)
قلبان فى خاتم الهوى جمعا * فأرغم الله أنف من قطعا
(وعلى آخر)
تمنيت القيامة ليس الا * لالقى من هويت على الصراط
وعلى آخر الموت فى الحب جميل ونقش ابن داود على خاتم سطرين أحدهما وما وجدنا

صحا ما صحا من زال فى الحب عقله
بسكرة حب لا تزال تخامره
أيبرد ما القاه يا جارتى وقد
سبانى ظبى فاتن الطرف فاتره
احاول منه وصله كل ساعة
فقنعنى استاره وستائره
ولو لم يكن سلطان حسن لما سرى
بمصر وكل العاشقين عساكره
يجود عليهم حين يسرى جواده
فيحضر فى قلب المتيم حافره
فلولاه ما أمضى أمير ذوى الهوى
ولا نفذت فى العاشقين اوامره

لا كثرهم من عهد والثانى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان يرمى به الى من ينظر الى حدث وكان ابن سمنون يعارضه فيما يفعل فقال له يوما اتعارض هذا قال نعم وجاء بعد قليل وقد نقش على خاتم سطرين أحدهما وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وعلى الثانى ولنصبرن على ما آذيتمونا ومما يخرط فى هذا السلك ما يكتب على الكتب قيل ان صاحب المصارع كتب على أول جزء منها
هذا كتاب مصارع العشاق * صرعتهم يوم النوى بفراق
تصنيف من لذع الفراق فؤاده * وتطلب الراقى فعز الراقى
فاذا تصفحه اللبيب رثى لهم * اسرى هوى أبسوا من الاطلاق
(وعلى الثانى)
مصارع العاشقين صرعهم * هوى الظباء القواتل الحدق
تصنيف من صده تصونه * عن كشف ما فى الفؤاد من حرق
فهو يسر الهوى ويكتمه * والقلب قد تاه منه فى الطرق
(وعلى الثالث)
مصارع العشاق مجموعة * فيها لمن يقرؤها عبره
جمع عفيف الحب يطوى الهوى * لو لم تكن تغشره العبره
غرامه ناعمة دائم * اعدمه يوم النوى صبره
(وعلى الرابع)
كتاب مصارع أهل الهوى * ومن فتكت فيه أيدى النوى
تكلف تصنيفه عاشق * عفيف الضمائر جم الجوى
أضل برمل اللوى قلبه * فهل ناشد قلبه باللوى
(وعلى الخامس)
مصارع قتلى من العاشقين * ما لدمائهم طالب
تكلف جمع أحاديثهم * عفيف هوى وجده غالب
سقاه الهوى صرف صهبائه * فاصبح سكرانا الشارب
(وعلى السادس)
كتاب صرعى الهوى وقتلاه * ومن صحا منهم وسكراه
تصنيف من كاد ان يشاركهم * لكن وقاه بفضله الله
فضم مما منوا به طرفا * يعجب قاريه حين يقراه
(وعلى السابع)
مصارع من جارت يد البين والنوى * عليهم فاضحوا فى ديارهم صرعى
دماؤهم مطلولة قد أباحها * لاحبابهم شرع الهوى حبذا شرعا

ولولا سطا السلطان فى مصر ما مشى
مع الذئب ظبى كان قبل يحاذره
هو الناصر المنصور والعادل الذى
يباطنه ما جار فى الملك ظاهره
له فى سبيل الله خير ذخيرة
وحسن الثنا بين الملوك ذخائره
ودرياقه فى الثغر عقرب تبله
وسمر عواليه بمصر نواشره
جزى الله عنه مصر ما هو اهله
فكم امنت فى قطرها من يجاوره

تدرعت من نيل الهوى الصبر جنة * فجاءت سهام منه اتفذت الدرعا

(وعلى الثامن)

كتاب مصارع قوم سقوا * كؤس الهوى مترعات دهاقا
شكوا صرفها طالبين المزاج * فشيبت على الرغم منهم فراقا
جعنا أحاديث صرعاهم * وسكراهم فيه لامن افاقا

(وعلى التاسع)

مصارع ابناء الهوى جمع عاشق * نجرع من راح الهوى ما تجرعا
فلما رأى الفودين قد حل فيهما الـ * ـمشيب منيخا والمفارق اقلعا
وأضحى مصيخا للنذير الذى علا * مفارقه ينعى الشباب المودعا

(وعلى العاشر)

كتاب من دارت كؤس الهوى * عليه صرفا ليس فيها مزاج
فصرعتهم اذ حسوها فهم * مرضى ينادون الامن علاج
تصنيف من شاركهم فى الهوى * فابقه مما لقى اليوم ناج

(وعلى الحادى عشر)

مصارع اللابسين قص الهوى * ضفت عليهم كل بحر جرها
تصنيف من ذاق من سلافته الـ * ـصفو ومافاته مكدرها
بطوى أحاديث وجده ودمو * ع العين فى فيضهن تنشرها

(وعلى الثانى عشر)

كتاب تضمن أخبار من * اطاع الهوى وعصى العذلا
فلما تمكن من قلبه * اعاد حلا وته حنظلا
تكلف تصنيفه عاشق * سلا العاشقون وما قد سلا

(وعلى الثالث عشر)

مصارع أقوام توالت عليهم * كؤس هوى ممزوجة بفراق
فقالوا كارى مالهم من افاقة * الى حين شمل جامع وتلاقى
فرق لهم مما لقوا عاشق أبت * تجفه بعد الفراق أماقى

(وعلى الرابع عشر)

كتاب مصارع من جهزت * بظلم اليه النوى جندها
جعناه لما سقينا الهوى * افاويق لم نستطع ردها
وسقنا أحاديث من جاوزت * به دمعات النوى حدها

(وعلى الخامس عشر)

كتاب مصارع العشا * ق من عرب ومن عجم

لينبر

جواد غدت نعماه منا قريبة
وان بعدت فى السبق عنا ضوامره
فما عابه أن الجنود جنائب
وما ضره أن البرق ضر ثوره
له من بياض الصبح والليل ادهم
واشهب كالبازى ينقض كاسره
فلا جابر يوما لما هو كاسر
ولا كاسر يوما لما هو جابره
ولله سر فى علاه لاجل ذا
تباهى به فوق السرور سروره

ليعتبر الخلى بما * لقوا شكرا على النعم
مصنفه عفيف هوى * مصون غير متهم

(وعلى السادس عشر)

مصارع أبناء الهوى كل عاشق * رماه الهوى عن قوسه فاصابا
رثى لهم من خاف يلقى الذى لقوا * فالف فيما قد لقوه كتابا
وجمع من أخبارهم فى هواهم * أحاديث مثل الروض جيد مصابا

(وعلى السابع عشر)

كتاب تضمن أبوابه * مصارع قتلى من العاشقين
سقاهم سلافته مازجا * هواهم فمالوا به خاضعين
غرام تلوم العيون القلو * ب فيه وتلحى القلوب العيون

(وعلى الثامن عشر)

كتاب جمعنا به عانيين * مصارع من قتل الحب صبرا
اذا ما تصفحه سالم * من الحب أخلص لله شكرا
جعناه صاحين حتى اذا * خبرناه ملنا من الحب سكرا

(وعلى التاسع عشر)

مصارع قتلى الهوى مثبت * لعينيك ما كان من حالهم
تضمن من كل أعجوبة * وكيف تفانوا باعجالهم
فلو ذقت ماذاق أهل الهوى * لكنت لحقت بامثالهم

(وعلى العشرين)

كتاب جمعت به كل ما * تفرق من قصص العاشقين
وكنت ألومهم عاذلا * فصرت لهم أحد العاذرين
فكم عاشق ذاق يوم النوى * وقد غرد الحاديان المنون

(وعلى الحادى والعشرين)

مصارع قتلاء الهوى صرعتهم * سلافته يسقونها صافيا صرفا
فنهم عفيف ظل يكتم وجده * فنم عليه ماء أجفانه وكفا
جمعت كتابا فى مصارعهم اذا * تصفحه ذو اللب رق تالفا

(وعلى الثانى والعشرين)

قد صنف الناس حقا فى الهوى كتبا * فمن صحا بعد سكر منه او عطبا
وأكثروا غير انى قد جمعت لهم * وما اختصرت كتابا رائقا عجبا
ذكرت فيه باسناد مصارعهم * عجما وجدتهم فى الناس او عربا
ونظائر ذلك كثيرة لا مطمع فى استقصائها ولا قدرة على احصائها فلنختم الكلام الذى

ونستقبل الآمال كعبة جوده
كما استقبل البيت المعظم زائره
فأنوال ما اضاعت شموسه
وما هى ان حققت الا نائره
هو البحر الا ان منهل جوده
موارده راقت به ومصادره
ولو لم يكن يجرى ونظمى دره
لما عرضت يوما عليه جواهره
أجود فيه المدح كل عشية
واذكار فكرى بالثناء تباكره

اقتطفناه من هذه الازهار وارتضيناه ومن هذه الاثمار جنيناه مستغفرين الله مما
جنيناه اذ هو أكرم كريم يقبل التائب والطف لطيف يؤب اليه الآيب قائلا

كتبت وقد أيقنت ان جوارحي * ستبلى ويبقى كل ما أنا عامله
فان كان خيرا سوف أحمد غبه * وان كان شرا اوبقتني غوائله
فاستغفر الله العظيم من الذي * كتبت وما قلت اوأنا قائله
فيارب بالهادي النبي محمد * نبي على كل الورى فاض نائله
وبالآل والاصحاب ترحم عاجزا * كليلا من الذنب الذي هو حامله
أتى تائبا من غفلة اللهو قائلا * (صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله)
ولم لا وجل العمر قد فات وانقضى * (وعرى افراس الصبا ورواحله)
تفضل عليه وارحم الآن ذله * وتختم بخير كل ما هو فاعله

فهذا اقصى ما أردنا تحريره وانتهى نهاية ما أردنا تسطيره معتذرين عن التقصير بما
أسلفنا في صدر الكتاب تقريره فليشفق الناظر فيه بانا لم ندع من أصله شيأ يعتد به
الا وقد اودعناه في مطاويه اللهم الان باتي غبي يتكل على المباني دون المعاني
ويؤثر التصريح في كل المواطن على التلويح ويقيس الابواب الاصلية على
تقاسيمنا الكلية فيضل ويتهم ويخطئ وما علم ولو سلكنا ذلك لتركنا الكتاب بحاله
ولم يظهر تميز بين أفعالنا وأفعاله ولم يتيسر ان يكون كابنا بالنسبة الى أصله كنصفه
مع احتوائه على زيادات مثل ضعفه فالحمد لله على اتمامه والشكر له على جزيل
انعامه وعلى خاصته من خلقه محمد وآله وأصحابه أفضل صلاته وسلامه * (قال مؤلفه)
رحمه الله تعالى وقد وافق ختامي له يوم الاربعاء خامس عشر شوال وايار الموافق
العشرين بشنفس وخامسة الجوزاء للشمس من شهور سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة
هجرية نبوية على مشرفها أفضل الصلاة والسلام والتحية

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه يقول المتوسل
الى مولاه بالقطب الحقيق ابراهيم عبد الغفار الدسوقي مصحح دار
الطباعه أعانه الله على اداء واجب هذه الصناعه

تم بعون الملك الخلاق طبع تزيين الاسواق بالمطبعة العامره الزاهية الزاهره
المشرقة كواكب سعدها المتوفرة دواعي مجدها في ظل من تعطرت بثنائه الانديه
وتنضرت بغيث كرمه الاوديه سلالة السراة الصناديد ونتيجة الولاة الاماجيد
الراقي بهمته الى كل مقام معتلى خديو مصر العزيز اسمعيل بن ابراهيم بن محمد علي
لازال متمتعا بوجود انجاله الكرام وأشباله الفخام خصوصا الوزير الشهير النبيل

الاصيل

اذا ناه مدحي في دجى ليل نفسه
عن القصد دلته عليه مآثره
عبرت على الشعرى العبور فاومأت
الي وقالت انت والله شاعره
فدحي له مدح المحب حبيبه
اذا زاره والليل قد نام ساهره
وحبي لما ان يقاس بغيره
لاني قيس الحب فيه وعامره
وقدمات قلبي أول الحب وانقضى
ولومت أمسى الحب قدمات آخره
وصلى الله وسلم على خاتم الانبياء
والمرسلين والحمد لله رب العالمين

الاصيل رب المعارف المشهوره والعوارف المشكوره من هو باحسن الثناء حقيق
سعادة محمد باشا توفيق ثم سعادة الوزير صنو الكمال مظهر الجلال والجمال أسد
العرين اشم العرنين من به جيش الجور تلاشى سعادة مدير الجهادية حسين كامل
باشا ثم حضرة ثالث كرام الانجال المعدود في ميزان الرجحان من فحول الابطال
حسن الصفات والاسم ومن له من حسن الصيت اوفى قسم من انتعش به البهاء
انتعاشا دولتلو حسن باشا لازالت الايام مضيئة بشموس علاهم والليالي منيرة بدور
حلاهم وكان طبعه الرائق وتمثيله الفائق مشمولا بادارة من خاطبته المعالي بايالتي أعني
سعادة حسين بك حسني نظارة وكيله السالك جادة سبيله القائم مقامه فيما
ينفع ويغني حضرة محمد افندي حسني وملاحظة ذي الرأي المسدد
حضرة أبي العينين أفندي أحمد واما تمام طبعه فكان في
اثناء ثاني الربيعين من سنة احدى وتسعين والف
ومائتين من هجرة خاتم الرسل الكرام عليه
وعلى آله افضل الصلاة والسلام
ما سرى النسيم واهتز
كل غصن قويم
آمين

كتابخانه مرزه ومركز اسناد مجلس شوراى اسلامى
١٣٠٢ هجرى شمسى